

الأساطير



750/2

أحمد عثمان

تحرير ومراجعة

مقدمة

معجم أسطوري كشاف

هوميروس الإلياذة



أحمد عثمان

تحرير ومراجعة

مقدمة

معجم أسطوري وكشاف

شارك معه في الترجمة

منيرة كروان
عادل النحاس

لطفي عبد الوهاب يحيى
السيد عبد السلام البراوي



www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية



المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٢/٧٥٠
- الإلياذة
- هوميروس
- أحمد عثمان
- لطفي عبد الوهاب يحيى
- منيرة كروان
- السيد عبد السلام البراوى
- عادل النحاس
- الطبعة الثانية ٢٠٠٨م

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب:

H TOY OMHPOY IΛΙΑΣ

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

Elgabalaya st, Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 27354526 - 27354524 Fax: 27354554
E-Mail : egyptcouncil@yahoo.com

بطاقة فهرست

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الضمنية

هوميروس .

الإلياذة . تأليف : هوميروس - ترجمة : نخبة .

تحرير ومراجعة : أحمد عثمان .

ط ٢ - القاهرة : المركز القومي للترجمة ؛ ٢٠٠٨

٨٤٨ ص ؛ ٣١ سم .

١ - الإلياذة

أ - عثمان ، أحمد (محرر ومراجع)

ب- العنوان

٨٨٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٢٠٤١٥

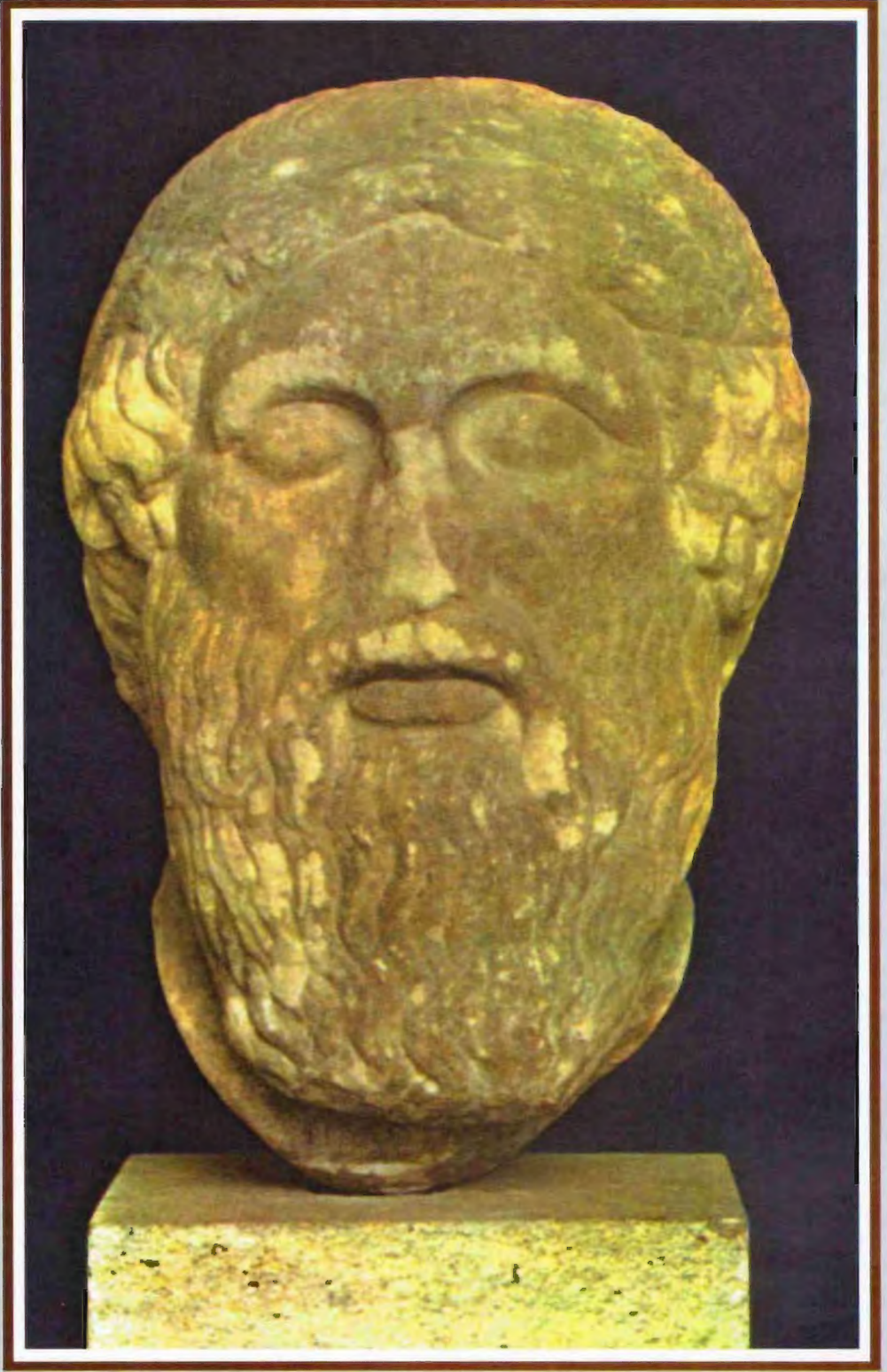
الترقيم الدولي: 9 - 920 - 437 - 977 I.S.B.N.

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية

المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها

فى ثقافتها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .



شكل (١)
نسخة رومانية من تمثال نصفي لهوميروس. تعود للقرن الخامس ق.م
ومحفوظ الآن بمتحف النحت في ميونيخ بألمانيا

المحتويات

الصفحة	
١٧ - ٧	مقدمة الطبعة الثانية : بقلم أحمد عثمان
١١٣ - ١٨	مقدمة الطبعة الأولى : بقلم أحمد عثمان
٢٢ - ١٨	أولاً: ترجمة البستاني ومحاولات أخرى.....
٣٦ - ٢٢	ثانياً: فك طلاسم اللغز الهومري
٤١ - ٣٦	ثالثاً: من هو الآخر فى "الإلياذة" ؟
٤٧ - ٤١	رابعاً: الكلمات المجنحة بالوزن السداسى
٦٣ - ٤٨	خامساً: العالمان المتوازيان والتوهج الشعرى فى التشبيهات .
٨٧ - ٦٤	سادساً: وحدة الحدث الملحمى
١٠٥ - ٨٧	سابعاً: أصداء "الإلياذة" فى الآداب العالمية
٩١ - ٨٧	أ- رحلة "الإلياذة" إلينا.....
١٠٥ - ٩١	ب- "الإلياذة" ينبوع الإلهام الشعرى قديماً وحديثاً
١٠٦-١٠٥	ثامناً: وبعد.. فأما قيل !
١١٣-١٠٦	قائمة مختارة من المراجع

" الإلياذة " تأليف هوميروس

١٤٤-١١٧	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الأول:
١٨٤-١٤٥	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الثانى:
٢٠٥-١٨٥	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الثالث:
٢٢٨-٢٠٧	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الرابع:
٢٦٢-٢٢٩	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الخامس:
٢٨٣-٢٦٣	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب السادس:
٣٠٧-٢٨٥	ترجمة منيرة كروان	الكتاب السابع:
٣٣٣-٣٠٩	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الثامن:
٣٦٦-٣٣٥	ترجمة منيرة كروان	الكتاب التاسع:
٣٩٢-٣٦٧	ترجمة منيرة كروان	الكتاب العاشر:
٤٢٩-٣٩٣	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الحادى عشر:
٤٥١-٤٣١	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الثانى عشر:
٤٨٤-٤٥٣	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الثالث عشر:
٥٠٧-٤٨٥	ترجمة السيد عبد السلام البراوى	الكتاب الرابع عشر:

الصفحة	
٥٤٠-٥٠٩	الكتاب الخامس عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٥٧٨-٥٤١	الكتاب السادس عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦١٠-٥٧٩	الكتاب السابع عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦٣٧-٦١١	الكتاب الثامن عشر: ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦٥٥-٦٣٩	الكتاب التاسع عشر: ترجمة أحمد عثمان
٦٧٦-٦٥٧	الكتاب العشرون: ترجمة أحمد عثمان
٧٠٢-٦٧٧	الكتاب الحادى والعشرون: ترجمة أحمد عثمان
٧٢٥-٧٠٣	الكتاب الثانى والعشرون: ترجمة عادل النحاس
٧٦٥-٧٢٧	الكتاب الثالث والعشرون: ترجمة عادل النحاس
٨٠٠-٧٦٧	الكتاب الرابع والعشرون: ترجمة عادل النحاس
٨٤٣-٨٠١	معجم أسطورى كشاف: إعداد أحمد عثمان
٨٤٦-٨٤٥	المشاركون فى الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

التعطش الخلاق للإلياذة العربية محلياً ودولياً

بقلم : أحمد عثمان

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصراً دقيقاً أو جامعاً مانعاً ما كُتب عن هذه الطبعة في الصحافة اليومية والمجلات الثقافية ، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية ، وذلك على امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج . ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق في الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة " الإلياذة " كانت تمثل تحدياً ثقافياً مزمناً في التراث العربي .

ولقد شعر كاتب هذه السطور بهذا التعطش الخلاق في ثنايا هذه الحفاوة البالغة "بالإلياذة" التي ترجمت ولأول مرة مباشرة من نصها الإغريقي الأصلي. وتجلى هذا التعطش الخلاق في السؤال الذي واجهنا دوماً في كل مكان ذهبنا إليه: وأين " الأوديسية"؟. فالقارئ العربي قد شعر منذ اطلاعه على " الإلياذة " أنها كانت مشكلة مزمنة وحسنت عندما تصدى لها المتخصصون ، الذين عليهم الآن القضاء كذلك على مشكلة " الأوديسية" .

ومن أهم ما طرح في وسائل الإعلام العربي هو ما جاء على لسان كبار النقاد من أنهم قرأوا النص المترجم فلم يلحظوا أية درجة من درجات التفاوت ما بين الكتب الأربعة والعشرين " للإلياذة " ، فكلها بأسلوب واحد وبالدقة نفسها والانضباط عينه ، مع أن عدد المشاركين في الترجمة مع كاتب هذه السطور قد بلغ الأربعة. ولعل هذه الملاحظة النقدية الدقيقة هي أكثر ما بعث الاغتياب في نفس كاتب هذه السطور بوصفه المراجع والمشرف العام على الترجمة إلى جانب قيامه

بترجمة سبعة كتب فيها ، كما وقع عليه عبء التحرير العام للترجمة . ولقد استغرق العمل فى الترجمة ست سنوات من الجهد الشاق والمثابرة . وبالفعل صاغ المحرر أربع نسخ متتالية حتى وصل إلى النسخة النهائية التى بلغت مرحلة من النضج والجودة ما أقنع المحرر بأنه قد آن الأوان لطبعها ونشرها .

وكان أصعب ما واجه المحرر العام هو توحيد المصطلح ومستوى الأسلوب وشكل الأسماء والصفات والصيغ المألوفة فى الشعر الملحمى الإغريقى . وجدير بالذكر ، على سبيل المثال لا الحصر ، أن هناك تكراراً لبعض الأبيات فى " الإلياذة " ولا يصح مطلقاً أن نورد بيتاً بترجمتين مختلفتين ، إحداهما فى كتاب والأخرى فى كتاب آخر فى إطار ملحمة واحدة . أما صفات الأبطال مثل " سريع القدمين ، إلهى ، ربانى ، بعيد النظر... إلخ " فهى مكررة من أول " الإلياذة " إلى آخرها وكل مترجم يترجمها بطريقته الخاصة . وكان على المحرر أن يوحد هذه الصفات ولا سيما تلك اللصيقة بأحد الأبطال والمميزة له فى كل كتب " الإلياذة " . ومثل هذه المشكلات ، وما هو أدق منها ، يدخل فى التفاصيل ، وكان على المحرر أن يتعامل معها بصبر وأناة وتدقيق وتحقيق حتى تخرج " الإلياذة " بهذه الصورة التى خرجت بها . وهناك بعض درجات التفاوت ظلت تراوغ المحرر ولم يضبطها إلا الكشاف الذى أعده لكل الأعلام فى " الإلياذة " حيث ذيل به الترجمة .

كرم المجلس الأعلى للثقافة المترجمين؛ إذ أهداهم درع المجلس فى إطار مؤتمر عالمى ضخم عن الترجمة فى مايو ٢٠٠٤ ، حيث عقدت ندوة خاصة (٢٩ مايو - ١ يونيو) تحت عنوان "الإلياذة عبر العصور" شارك فيها رواد الدراسات الكلاسيكية والمهتمون بهذه الثقافة ومنهم : أحمد أبو زيد، صفوت كمال، عبد الحميد حواس، عبد المعطى شعراوى، عليّة حنفى ، لطفى عبد الوهاب، محمد عبد الغنى، ماهر شفيق، ماجدة النويعمى ، أشرف فراج، محمد خليفة ، محمود أمين العالم، مصطفى العبادى، ممدوح عدوان ، منيرة كروان وغيرهم. وشارك فيها كذلك عالمان أوروبيان ، أحدهما هو فريدى ديكريس Freddy Decreus أستاذ الكلاسيكيات بجامعة خنت ببلجيكا. والثانية هى ميكى كولك Mieke Kolk

أستاذ المسرح بجامعة أمستردام- هولندا. ونشرت أعمال هذه الندوة (تحرير أحمد عثمان) عن المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٦ .

ومن هذه الدائرة الضيقة التي شهدت هذه الحفاوة عالية المستوى فى أروقة المجلس الأعلى للثقافة انطلقت الأصداء لتملأ آفاق الدنيا .

حكى لى الإخوة الذين أشرفوا على معارض الكتب المصرية فى العواصم العربية أن أية كمية تؤخذ من " الإلياذة " تنفد فى أول يوم للمعرض، ويظل رواد المعرض يسألون عنها طوال الأيام حتى نهاية المعرض. ولقد سمعت الشيء نفسه عن معرض أقيم فى أثينا وآخر فى فرانكفورت. فلا غرو أن تنفد الطبعة الأولى وأن تروج حتى لدى القراء المصريين وطلبة الجامعات مع أن سعر هذه الطبعة الفاخرة يعد مرتفعاً، ونأمل فى طبعة شعبية مستقبلاً .

وفى تلك الأثناء جاءتنى مكالمة تليفونية غير عادية ، وقدم المتحدث نفسه على أنه بيتر بورمان **Peter Pormann** وفوجئت به بإحادثتى باللغة العربية وبطلاقة وعرفت منه أنه ألمانى الأصل متخصص فى الكلاسيكيات ويعمل فى جامعة وارويك **Warwick** فى إنجلترا. ومنه عرفت حكايته الطريفة؛ حيث كان يتردد على المكتبات الباريسية التى تتبع كتباً عربية، وسأل عن ترجمة البستاني " للإلياذة "، فأخبره صاحب المكتبة بأن هناك ترجمة جديدة صدرت حديثاً فاشتراها على الفور وعاد بها إلى إنجلترا محل عمله. وهناك شرع يسأل عن المشرف على هذه الترجمة وهو كاتب هذه السطور. والتقى الأستاذ تشارلز بيرنت **Charles Burnett** من جامعة لندن ، المتخصص فى ترجمات العصور الوسطى من العربية إلى اللاتينية ، وكنت قد التقيت به فى مؤتمرات سابقة. حكى بورمان له عن " الإلياذة " التى ترجمت حديثاً إلى العربية من الإغريقية مباشرة وأشرف عليها فلان، وذكر اسم كاتب هذه السطور، وقال إنه لا يعرف كيف يصل إليه، وكانت المفاجأة أن ناوله تشارلز بيرنت بطاقة التعارف الخاصة بمن يبحث عنه. ومن هنا، جاءت المكالمة التليفونية سائلة الذكر .

وفي يوم ٢٩ يناير ٢٠٠٧ بالمعهد القومي للغات الشرقية INALCO بباريس ألقى بورمان محاضرة بعنوان "هوميروس العربى بين البستانى وأحمد عثمان" وتابعت هذه المحاضرة الدكتور كاميليا صبحى الملحق الثقافى وأرسلت تقريراً عنها إلى الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة، الذى تقضى بإرسال نسخة منه إلى كاتب هذه السطور. وجاء فى هذا التقرير الشىء الكثير عن إشادة بورمان بهذه الترجمة التى يعتبرها من أفضل الترجمات، حتى إنه قارنها بالترجمات الإنجليزية والفرنسية الشهيرة. ولأن الأستاذ بورمان طور هذه المحاضرة ونشرها فى مقال مستفيض بعد ذلك فسنعود إلى مناقشة آرائه بعد قليل .

ونتوقف الآن قليلاً عند ما أتلج صدر كاتب هذه السطور لشعوره بأن الدراسات الكلاسيكية فى مصر بدأت تأخذ موقعا لها على الخريطة الدولية للدراسات الكلاسيكية. لقد بدأت الخطوات الأولى فى هذا الاتجاه منذ تأسيس الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية عام ١٩٨٥ وانضمامها للاتحاد الدولى للجمعيات الكلاسيكية FIEC . لكن هذه الخطوات كان يمكن أن تذهب عبثاً إن لم تساندها أعمال علمية يشعر بها المجتمع الكلاسيكى الدولى. ومن هنا تأتى أهمية الأصداء الخارجية لترجمة " الإلياذة " ٢٠٠٤؛ إذ صدر كتاب مهم عن جامعة أكسفورد كما يلى :

Barbara Graziosi & Emily Greenwood (eds), *Homer in the Twentieth Century: Between World literature and the Western Canon*. Oxford University Press 2007

ضم هذا الكتاب اثنى عشر بحثاً بقلم كبار الأساتذة المختصين فى الدراسات الكلاسيكية المقارنة. ومن أهم المشاركين فى هذه الأبحاث الأستاذة لورنا هاردويك Lorna Hardwick أستاذة الكلاسيكيات فى الجامعة المفتوحة وصاحبة أهم الدراسات حول نظرية الاستقبال لاسيما استقبال الكلاسيكيات فى العصر الحديث. يحمل بحثها فى الكتاب المذكور العنوان التالى :

"Singing across the faultlines: Cultural shifts in Twentieth Century Reception of Homer" (pp.47-71)

"الشدو عبر التسققات : تغيرات ثقافية فى استقبال هوميروس فى القرن العشرين"
ولقد استهلت هذه الباحثة المرموقة بحثها فى استقبال القرن العشرين
لهوميروس بصفتين (٤٧-٤٨) ترحب فيهما بالنسخة العربية الجديدة " للإلياذة "
ومسجلة بعض ما نمت إلى علمها من حفاوة الثقافة العربية بهذه الترجمة ، والندوة
التي عقدت احتفاءً بها تحت عنوان " الإلياذة عبر العصور " وكذا إعادة طبع ترجمة
سليمان البستاني . وذكرت أن الترجمة استغرقت ست سنوات وأن المشرف على
الترجمة قد حرص على " روح النص " الأصلي وأن هذه الترجمة هي أول ترجمة
عربية للإلياذة عن النص الإغريقي الأصلي مباشرة .

ولقد توطدت علاقتي بهذه الباحثة التي قابلتها فى أكثر من مؤتمر . وكانت
بصدد الإعداد لإصدار موسوعة عن استقبال الكلاسيكيات، وطلبت منى الإسهام فى
هذه الموسوعة التي صدرت بالفعل على النحو التالى :

Lorna Hardwick & Christopher Stray (eds), *A Companion to Classical Receptions*. Blackwell Publishing 2008

وضمت هذه الموسوعة ٣٥ بحثاً بقلم نخبة من علماء مختلف الدول
الأساتذة المختصين فى الكلاسيكيات والأدب المقارن ولاسيما نظرية الاستقبال أو
التلقى . وكان من نصيب كاتب هذه السطور أن يسهم بالبحث رقم ١١ بعنوان :

"Translation at the Intersection of Traditions: The Arab Reception of the Classics" (pp.141- 152)

"الترجمة عند تقاطع التقاليد الثقافية: الاستقبال العربى للكلاسيكيات"

و فى إطار هذه الموسوعة تحدث كاتب هذه السطور عن استقبال العرب
القدامى والمحدثين للكلاسيكيات ، وموقف العرب القدامى والمحدثين من
هوميروس، ومشكلة عدم ترجمة العرب القدامى للشعر الأجنبي وأسباب ذلك
ونتائجه. ثم ما طرأ على الثقافة العربية الحديثة من تطورات أدت إلى الإقبال
الشديد على الأسطورة الإغريقية والأدب الإغريقي، ملحمة ومسرحاً فى المقام

الأول، ثم سائر الفنون الأدبية بعد ذلك. بدأ هذا التطور منذ السنين الأولى للنهضة العربية أوائل القرن التاسع عشر تقريباً. وفي ظل هذا الاتجاه جاءت ترجمة البستاني للإلياذة عام ١٩٠٤.

وقبل أن تنتشر هذه الموسوعة كان كاتب هذه السطور قد تلقى دعوة من جامعة درم Durham لإلقاء محاضرة بعنوان "هوميروس في العالم العربي" حدد لها في البداية ١٨ يونيو ٢٠٠٧ ثم تأجلت إلى ٢٤ سبتمبر من العام نفسه.

كان من بين الحضور عند إلقاء المحاضرة أساتذة مختصون في الكلاسيكيات من الجامعات الإنجليزية مثل مانشيستر وليفربول ووارويك والجامعة المفتوحة وغيرها. ومما جاء في هذه المحاضرة أن العرب القدامى ولاسيما في العصر العباسي وبعد إنشاء "بيت الحكمة" على يد المأمون ترجموا عيون التراث الإغريقي، ولاسيما كتب العلوم التطبيقية مثل الطب والفلك والرياضيات (من هندسة وحساب) وفلسفة الطبيعة واللاهوت وما إلى ذلك. ولكنهم أحجموا عن ترجمة الشعر الإغريقي بما في ذلك الملحمة والدراما (التراجيديا والكوميديا) وهناك سببان رئيسيان:

- ١- إيمان العرب بأن الشعر لا يترجم؛ فالترجمة تفسد الشعر وتحطم البنية الشعرية. وهذا الرأي ورد عند النقاد العرب القدامى. كما جاء في عبارة لا يعرف قائلها وردت في "صوان الحكمة" لأبي سليمان المنطقي السجستاني تقول: ^(١) "ومعلوم أن أكثر رونق الشعر يذهب عند النقل، وجل معانيه يتداخلها الخل عند تغير ديباجته".

(١)

وقال الجاحظ فى كتاب " الحيوان " : (٢)

"فقط العرب والشعب الذى يتكلم العربية هم الذين يفهمون الشعر على نحو سليم. فالأشعار لا تستسلم للترجمة ولا ينبغي أن تترجم. فعندما تترجم الأشعار تتمزق بنيتها الشعرية والوزن الشعرى ليس سليماً والجمال الشعرى يختفى ولا يبقى شئ يستحق الإعجاب".

٢- المفهوم الإغريقى للأسطورة والشعر. فصناعة الشعر عند الإغريق poiesis تعادل وتقابل بل تتمازج مع صناعة الأسطورة mythopoiein والشاعر poietae هو بالأساس صانع أسطورة mythopoios . وهناك رواية طريفة وردت عن الشاعر الغنائى الشاب بنداروس (ولد عام ٥٢٢ أو ٥١٨ ق. م) الذى ذهب إلى الشاعرة الكبيرة كورينا Corinna - مع التحفظ أن بعض الدارسين يضعها فى العصر الهيلينستى أى بعد ٣٠٠ ق. م - وعرض عليها قصيدة له فابتسمت كورينا وردت له القصيدة قائلة " كيف تنظم قصيدة كاملة بلا أسطورة ". وبعد مضى بعض الوقت عاد إليها ومعه قصيدة مفعمة بالأساطير. ابتسمت كورينا وقالت له: يا بنى الأسطورة فى يدك مثل البذور فى يد الزارع؛ هل يبذرهما كلها دفعة واحدة أم ينثرها فى أرجاء الحقل ؟ (٣)

(٢) طبعة القاهرة (١٩٣٨ - ١٩٤٥) ص ٧٤ وما يليها

(٣)

Plut. De Glor. Ath. 347f

وعن تاريخ حياة كورينا راجع :

D.L Page, " Corinna " ,The Society for the Promotion of Hellenic Studies .As supplementary paper No.6 (1963)p. 65 ff

هذا المفهوم الإغريقى لوظيفة الأسطورة فى بناء الشعر ولغة الشعر لا مثيل له عند العرب القدامى. وهذا - فيما يتصور كاتب هذه السطور - كان العائق الرئيسى فى فهم العرب للشعر الإغريقى ، ناهيك عن نقله إلى العربية .

وعلى وجه التحديد كيف يمكن فهم " الإلياذة " بدون أسطورة حكم الجمال بين الإلهات الثلاث هيرا وأثينة وأفروديتى؟ ألم تك أسطورة هيلينى أجمل نساء العالم هى محور الحرب الطروادية؟ بل كيف يمكن فهم مسار الحرب الطروادية بين كروفر، وهزيمة وانتصار، دون أن نتفهم تدخل آلهة الأوليمبوس لصالح هذا الطرف أو ذاك؟ الآلهة الأسطوريون والقوى الغيبية الخفية وكل ما وراء الطبيعة جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية فى " الإلياذة " ، حتى إن كل أبطال " الإلياذة " تقريباً هم من أبناء أو بنات الآلهة .

صفوة الكلام وباختصار شديد نقول إن فهم دقائق الأسطورة الإغريقية يعد شرطاً رئيسياً من شروط فهم " الإلياذة " وهذا ما لم يدركه العرب القدامى، ليس لأنه يتعارض مع دينهم ولكن لأنه لم يكن من تراثهم الشعرى الجاهلى والإسلامى . فالعرب القدامى إذن لم يترجموا هوميروس رغم إعجابهم به من وحى ما عرفوه عنه حيث ورد فى " منتخب صوان الحكمة " (رقم ١٩٣) أنه لما سئل ديوجينيس لائرتيوس عن أفضل الشعراء الإغريق قال: " كل أحد عند نفسه وأوميروس (= هوميروس) عند الجمهور " . وقال ابن رشد فى تلخيص "الخطابة" لأرسطو (١٠٢) عن هوميروس: " فكان رب النعمة العظيمة بذلك عند اليونانيين، وعظموه كل التعظيم حتى اعتقدوا فيه أنه كان رجلاً إلهياً، وأنه كان المعلم الأول لجميع اليونانيين " .

ومع أن رفاة رافع الطهطاوى فى " وقائع الأفلاك فى مغامرات تليماك " قد أفلح فى نقل جزء من أسطورة " الأوديسية" إلى العربية ، إلا أن ذلك كان توسطاً بالأدب الفرنسى . فهذه الرواية *Les aventures de Te'le'maque*

(1699) هى من مؤلفات القس الفرنسى فينلون *Francois de Salignac de*

la Moth'e Fenelon (1651- 1715) .

وكان الهدف من تأليفها - مثل هدف ترجمتها - تربويًا. وهو ما سهل للطهطاوى نقل أسطورة إغريقية إلى العربية. ونستدل على صعوبة التعامل مع الأسطورة حتى في العصر الحديث أن سليمان البستاني قد أعطى ترجمته للإلياذة عنواناً مطولاً يخلو من ذكر كلمة "أسطورة" فالعنوان هو كما يلي :

"إلياذة هوميروس معربة نظمًا، وعليها شرح تاريخي أدبي، وهي مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب، مذيلة بمعجم عام وفهارس " وجدير بالذكر أن الشعر العربي الحديث والمعاصر بعد ذلك تخطى هذه العقبة وتعامل مع الأسطورة الإغريقية بحرية كاملة. واعتبر عبد الوهاب البياتي الشاعر العراقي الفذ أن استلهم الأسطورة الإغريقية، ولاسيما أسطورة سارق النار بروميثيوس، ضرب من الثورة ليس فقط في مجال الشعر والثقافة بل في آفاق الثورة الشاملة^(٤).

والآن أن الأوان لكي نعود إلى البحث المنشور حديثاً لبير بورمان لكي نناقشه في بعض التفاصيل بعد أن ألمحنا إليه سلفاً. نشر البحث كما يلي :

Peter E. Prmann, "The Arabic Homer: An Untold Story", Classical and Modern Literature, 27.1 (2007) pp.27-44

"هوميروس العربي : قصة لم نسمع بها "

وفي الحاشية رقم (١) في الصفحة الأولى من البحث يشير بورمان إلى أنه سبق أن تناول موضوع الترجمة العربية " للإلياذة " في مقال بعنوان :

"The Arab Cultural Awakening (NAHDA) 1870-1950 and the Classical Tradition " International Journal of Classical Tradition 13.1 (2006) pp 3-20

(٤) أحمد عثمان، "عبد الوهاب البياتي وحرائقه الشعرية"، مجلة "الكويت"، العدد ١٩٠، فبراير ١٩٨٢، و"سارق النار وملهم الأشعار"، مجلة "الدوحة"، مارس ١٩٨٣.

وفى الحاشية نفسها يذكر بورمان أن البحث الراهن كان فى الأصل محاضرة بعنوان:

"L'Home`re arabe entre al Bustani et Ahmad Etman"

ألقيت فى معهد INALCO بباريس كما سبق أن ألمحنا. وليلد بورمان على دقة ترجمة " الإلياذة " ٢٠٠٤ ومدى التصاقها بالنص الأصيل وجوهر الفن الهومرى، أخذ الفقرة الشهيرة من الكتاب السادس (٤٠٧ - ٤١٣ و ٤٢٩ - ٤٣٢) وأورد النص الإغريقى الأصيل وأتبعها بترجمة إنجليزية. وهى الفقرة التى أعطت نقاد الإسكندرية الذريعة ليطلقوا على الكتاب السادس كله "حديث أندروماخى Andromaches Omilia". ففى هذا المشهد منقطع النظير فى الأدب الإغريقى كله تحاول أندروماخى، وهى تحمل طفلها الرضيع، أن تحول بين هيكتور - زوجها العزيز ووالد طفلها - والعودة للمعركة الفتاكة. ويعلق بورمان فيقول: إن ترجمة البستاني تدمج تفاصيل هذا المشهد الإنسانى المؤثر وتحذف كلمات مهمة كررها هوميروس بأسلوبه القائم على الملحمية والشفوية. أما ترجمة ٢٠٠٤ فقد حافظت على التفاصيل الدقيقة فى حديث أندروماخى.

ويضيف قائلاً:

"It is immediately eminent that Etman's rendering is much closer than any of the others we have seen so far. He translates the text directly from the Greek, often preserving even the word order" (p.37-38)

"من الواضح مباشرة أن ترجمة عثمان هى الأقرب (لهوميروس) بمراحل من الترجمات الأخرى التى رأيناها حتى الآن؛ فهو يترجم النص الإغريقى إلى العربية مباشرة وفى غالب الأحيان يحافظ حتى على ترتيب الكلمات". وحتى عندما يكون النص الهومرى - يضيف بورمان - ملتبساً أو متداخل المعانى؛ حيث يشمل اللفظ أكثر من معنى " تحاول الترجمة أن تنقل ذلك إلى العربية".

ويقرر بورمان أن ترجمة ٢٠٠٤ " تعكس أحدث التطورات فى الدراسات الكلاسيكية ليس فقط فى مصر وإنما فى العالم، وهذا ما تشهد به المقدمة التى كتبها عثمان وتضم مراجعها أحدث ما نشر حول هوميروس فى العقود القليلة الفائتة " .

ويتنبأ بورمان بأن تكون لترجمة الإلياذة ٢٠٠٤ آثار بالغة على مسار الأدب العربى المعاصر، كما سبق لإلياذة البستانى أن أحدثت فى الثقافة العربية ردود فعل مثمرة. ويتعجب من أن مكتبات أوروبا وأمريكا ما زالت تخلو من هذه الترجمة العربية. ويعزو ذلك إلى جهل الغرب والغربيين بما أنجزه الشرق وأهله فى الدراسات الكلاسيكية ؛ أى جذور حضارتهم الغربية .

ولعله من الجلى الآن والذى لا يحتاج إلى المزيد من التبيان أن " الإلياذة " ٢٠٠٤ قد حققت الكثير من المكاسب للحياة الثقافية العربية. ويأتى فى مقدمة هذه المكاسب - برأى كاتب هذه السطور - أن " الإلياذة " العربية قد رسخت موقع الدراسات الكلاسيكية المصرية على خريطة هذه الدراسات العالمية. وهذه شهادة بالغة الدلالة على نضوج النهضة الثقافية العربية، وتعطشها للحوار الخلاق مع الآخر . ونسأل الله تعالى التوفيق .

أحمد عثمان

أكتوبر ٢٠٠٨

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم : أحمد عثمان

أولاً: ترجمة البستانى ومحاولات أخرى

من حسن الطالع أن هذه الترجمة التى نقدم لها ستكون إن شاء الله بين أيدي القارئ العربى بعد مرور مائة عام على صدور ترجمة سليمان البستانى ١٩٠٤. فكأن هذه الترجمة التى بين أيدينا جاءت بمثابة احتفال ثقافى وعملى بصور ترجمة البستانى، التى تعد بحق علامة من علامات الطريق إلى النهضة المصرية والعربية، إذ فتحت مرحلة جديدة من محاولات الاتصال بثقافة الآخر عن طريق ترجمة عيون الأدب العالمى. لقد صدرت هذه الترجمة قبل إنشاء قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٢٥) بما يربو على عشرين عاماً. فهى ترجمة من نتاج الحياة الثقافية العامة والنشطة، وليست من نتاج الدراسات التخصصية التى تدين بالفضل فى إنشائها لجهود هؤلاء المتقنين المخلصين أمثال سليمان البستانى. أما الترجمة التى بين أيدينا فهى ثمرة من ثمرات ما يناهز مائة عام من التخصص الدقيق الذى توفرت عليه ثلاثة أجيال متتالية.

ومن ناحية أخرى فأغلب الظن أن العرب المسلمين لم يترجموا - فيما ترجموا - "الإلياذة"، لكن من المؤكد أنهم كانوا يعرفونها حق المعرفة؛ إذ تردد ذكرها كثيراً فى الأعمال التى ترجموها عن اللغة الإغريقية ولاسيما "فن الشعر" لأرسطو. وروى كذلك أن حنين بن إسحاق - من أفضل المترجمين العرب - كان يتغنى ببعض أشعار "الإلياذة" فى لغتها الأصلية. ويقول الشهرستانى (فى كتاب الملل والنحل، جزء ٢/ ١٥) "أوميروس (هوميروس) الشاعر من القدماء الكبار الذى يجريه أفلاطون وأرسطوطاليس فى أعلى المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ومثانة الحكمة وجودة الرأى وجزالة اللفظ".

لماذا لم يترجم المترجمون العرب القدامى "الإلياذة" أو "الأوديسية" ؟

سؤال مهم يحتاج إلى إجابة مستفيضة ودرس معمق. ونكتفى الآن بالإشارة إلى أن العرب لم يترجموا أيضاً المسرح الإغريقى (التراجيديات والكوميديات) ونعتقد أن الأسباب وراء ذلك متعددة، وأهمها جميعاً أن هذه الأعمال الملحمية

والدرامية تقوم بصفة جوهرية على الأسطورة الإغريقية الحافلة بالتعددية الإلهية، مما لم يكن من السهل تقبله في أيام الإسلام الأولى حين انطلقت الدعوة للوحدانية. وسلاحظ القارئ في الترجمة التي نقدم لها أن الآلهة والإلهات يلعبون دوراً عضوياً في الحدث الملحمي، بحيث لا يمكن الفصل بين وجودهم وأفعالهم وأقوالهم من ناحية وأحداث الحرب الطروادية من ناحية أخرى. وهذا أمر تتفق فيه الملحمة والتراجيديا الإغريقيتان، وبدون هذا الاندماج بين ما هو إلهي وما هو بشري لا يمكن استيعاب هذه الفنون الشعرية، ومن ثم لم يكن العرب قادرين على تقبل ذلك في أيام الإسلام الأولى، أو على الأقل لم يروا أية فائدة ترجى من ترجمة هذه الأشعار.

أما في العصر الحديث فقد قامت عدة محاولات لترجمة "الإلياذة"، أهمها جميعاً محاولة سليمان البستاني والتي صدرت كما يلي:

إلياذة هوميروس معربة نظماً وعليها شرح تاريخي وأدبي وهي مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب ومذيلة بمعجم عام وفهارس. بقلم سليمان البستاني. طبع بمطبعة الهلال بمصر عام ١٩٠٤.

ونحن نحثفى بترجمة سليمان البستاني لمحملة هوميروس لأسباب ثلاثة: الأول هو أن هذا الكتاب مقدمة ونصاً مترجماً يعد وثيقة أدبية بالغة الأهمية بالنسبة لنشأة الدراسات الكلاسيكية في مصر. فمعروف أن طه حسين عميد الأدب العربي هو الذي أسس أول قسم لهذه الدراسات بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٢٥. ولكننا في ترجمة البستاني إزاء دارس متعمق حصل قدرًا لا بأس به من اللغة اليونانية بجهوده الذاتية، ويحاول الترجمة عنها مستعيناً بترجمات أخرى فرنسية وإنجليزية وإيطالية. وهذه الحقيقة في حد ذاتها تضع تساؤلاً كبيراً حول تأريخ الدراسات اليونانية واللاتينية في مصر.

أما السبب الثاني لاهتمامنا المتجدد بهذه الترجمة فهو أننا — في المقدمة التي كتبها البستاني لترجمته — إزاء درس في المنهج المقارن. وهو درس مبكر نسبياً في تاريخ الأدب العربي الحديث، كما أنه يعد رائداً في مجاله، فالمترجم لم يكتف بنقل نص شعري يوناني إلى اللغة العربية، بل صدره بمقدمة ضافية تتناول أعوص مشكلات الأدب المقارن التي لا تزال تشغل المهتمين به إلى يومنا هذا، مثل علاقة الأدب العربي القديم بالآداب الأخرى ولاسيما الأدب الإغريقي.

أما السبب الثالث لانشغالنا بهذا الكتاب فهو الترجمة نفسها. ذلك أن هذه هي الترجمة الأولى الكاملة "للإلياذة" في الأدب العربي قديمه وحديثه. بل نكاد نقول إن هذه هي الترجمة الوحيدة الموجودة في لغتنا حتى الآن. فكل ما قدم قبل هذه الترجمة أو بعدها لا يعدو أن يكون مجرد تلخيص أو شرح أو اقتطاف. ولا توجد في اللغة العربية ترجمة كاملة "للإلياذة" سوى ترجمة البستاني هذه. ولقد نقلها نظاماً إلى العربية مما يضاعف من قيمة هذه الترجمة، التي لم تجد بعد الاهتمام الكافي من الدارسين المتخصصين، وإن وجدت ترحاباً فائقاً حين صدورها عام ١٩٠٤.

قال جمال الدين الأفغاني للبستاني في محضر من الأدباء آنذاك "إنه ليسرنا جداً أن تفعل اليوم ما كان يجب على العرب أن يفعلوا قبل ألف عام ونيف. ويأحبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم المأمون بادروا بادئ ذي بدء إلى نقل الإلياذة ولو ألجأهم ذلك إلى إهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها".

وقال منيف باشا ناظر المعارف العثمانية للبستاني آنذاك "لو أن الشاعر العربي القائل: "كأنى أوميروس لدين محمد... عمل حقيقة للشرق ما عمل هوميروس للغرب لما تعدانا الغرب هذا الشوط البعيد". ويعلق البستاني نفسه على ذلك قائلاً "لقد غاب عنه وعنى عرفان ذلك الشاعر".

هذا وقد نشر في "مجلة الدراسات الفلسطينية" التي تصدر بالفرنسية (*Revue d'études Palestiniennes*) صيف ١٩٩٥ (56, 4 n.s.) بعض صفحات من رسالة دكتوراه يجريها الشاعر والمترجم العراقي المقيم بباريس كاظم جهاد حسن، وكان يستعد آنذاك لتقديمها إلى جامعة السوربون قسم الدراسات العربية والإسلامية بعنوان "الترجمة الشعرية عند العرب في القرن ١٩ والقرن ٢٠. دراسة مقارنة في فن الشعر". ولقد نشرت المجلة جزءاً كبيراً من هذه الدراسة المستفيضة حول سليمان البستاني وترجمته الشعرية (ص ٧٩-١٠٠).

تبدأ الملحمة بالبيت الذي يقول:

"غن لى ياربة الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة". أو كما يترجمه البستاني شعراً:

ربة الشعر عن أخيل بن فيلا أنشدينا واروى احتداماً وببلا

وسيكشف القارئ من الترجمة التي نقدم لها أن غضبة أخيليوس بن بيليوس

هى بالفعل الحدث الرئيسى فى الملحمة. وهذا ما سنعود إليه فى إطار هذه المقدمة. بدأ البستانى فى ترجمة "الإلياذة" من لغة أوربية وسيطة وهى الفرنسية. ولكنه شعر بضرورة تعلم اليونانية وأقدم على ذلك بشغف ونهم. ولقد شرع فى هذه المهمة الشاقة أى الترجمة فى أواسط الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ونشرت الترجمة كما أسلفنا عام ١٩٠٤. وهذا يعنى أنه أنفق ما يزيد على عشرين عامًا فى الترجمة. وقد جاءت الأبيات العربية التى نظمها البستانى ترجمة "للإلياذة" بين عشرة آلاف وأحد عشر ألف بيت نقلاً عن أصل إغريقى يبلغ حوالى ستة عشر ألف بيت.

فإذا نظرنا إلى حجم الملحمة الإغريقية التى تعود إلى القرن التاسع ق.م تقريباً وما يكتنفها من غموض لاستطعنا أن نقدر ضخامة هذا الإنجاز الأدبى والحضارى الذى حققه البستانى فى بداية القرن العشرين. لقد واجهته مشكلات مستعصية مثل نقل أسماء الآلهة والأبطال والأعلام الجغرافية. بل هناك معارف لا بد من الإلمام بها حين يشرع المرء فى ترجمة "الإلياذة"، ونعنى معارف عصرها وصنائع وعاداته وتقاليده ومعتقداته. بل تشمل هذه المعارف سائر العلوم من طب وفلك ورياضة وهندسة وعمارة وما إلى ذلك. فكيف تسنى للبستانى أن يلم بكل ذلك ؟ تلك هى المسألة التى ينبغى أن نتدارسها وننبه الناشئة من الباحثين المتخصصين للالتفات إليها. ولا يسعنا إلا أن نعترف بالبطولة الملحمية لصاحب هذه الدرة اليتيمة فى الأدب العربى، أى سليمان البستانى.

وبالطبع لا يمكن لمنصف أن ينكر فضل جهود درينى خشبة فى تعريف القارئ العربى بالأساطير الإغريقية وكذا بمحتويات "الإلياذة" و "الأوديسية"، وإن كان ما قدمه لا يرقى إلى مستوى ترجمة حقيقية للنص، مع أن كتابه يحمل عنوان:

"هوميروس: الإلياذة" ترجمة درينى خشبة، دار الأيام ١٩٧٣
(عدد الصفحات ١٥٩. وقارن كتابه الآخر: الأوديسية مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠.
عدد الصفحات ٣٠٩).

ولعل أحدث المحاولات الجادة فى هذا السبيل هى ترجمة ممدوح عدوان، منشورات المجمع الثقافى، أبو ظبى ٢٠٠٢. وجاء فى مقدمة الترجمة أن صاحبها نقلها عن ترجمة إنجليزية، واعتمد فى ضبط الأسماء على ترجمة أمين سلامة

المنشورة فى سلسلة كتابى. وهذا ما يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم تظهر فى اللغة العربية حتى الآن ترجمة محققة عن النص الإغريقى القديم مباشرة.

وتلك هى مهمة المختصين فى اللغة الإغريقية القديمة وآدابها، وذلك هو واجبهم تجاه القارئ العربى. ففى هذه الترجمة التى بين أيدينا سيدد القارئ أول ترجمة مدققة يقوم بها متخصصون وينقلونها عن أصلها مباشرة إلى لغة الضاد. ويأمل هؤلاء المتخصصون بعملهم هذا أن يفتحوا باب مرحلة جديدة فى الدرس العربى للتراث العالمى. وهم يحاولون استعادة أمجاد المترجمين العرب القدامى الذين نقلوا العلوم والآداب والفلسفة من اليونانية إلى العربية فأسهموا فى حفظ التراث الإغريقى وقدموا الأنموذج لرواد الحركة الإنسانية إبان عصر النهضة الأوروبية. ونحن نختص بتقديم هذه الهدية كل من بذل جهداً فى سبيل عقد الصلة بين القارئ العربى والتراث الإغريقى، لاسيما أصحاب تلك التجارب والمحاولات التى أشرنا إليها وعلى رأسهم سليمان البستاني. ونضيف إليهم الكثيرين أمثال رفاعة الطهطاوى وأحمد شوقى وأحمد لطفى السيد وطه حسين وتوفيق الحكيم ولويس عوض وثروت عكاشة وشكرى عياد وغيرهم. هؤلاء المثقفون هم الذين مهدوا الطريق لظهور الدراسات المتخصصة والترجمات المدققة.

ثانياً: فك طلاسم اللغز الهومرى

لا نعرف شيئاً عن هوميروس، فلا يمكن استخلاص أية معلومة من ملحمتيه "الإلياذة" (Ilias) و "الأوديسية" (Odysseia) ^(١) عن حياة المؤلف وملابسائها. ووصلتنا سير كثيرة لهوميروس من العصر الإغريقى الرومانى، ولكنها جميعاً من صنع الخيال. هناك حقيقتان فقط مؤكدتان: الأولى أنه كان أعمى. والثانية أنه من ساحل آسيا الصغرى أو الجزر المحاذية له. وجزيرة خيوس هى الأقرب إلى نيل هذا الشرف.

(١) يعنى اسم "الإلياذة" (Ilias) "قصة إليون" أو "إليوس" (Ilion, Ilios) وهما الاسمان الأصليون للمدينة التى عرفت أيضاً باسم طروادة (Troie وباللاتينية Troia) وهو الاسم الأشهر، وإن كان فى الأصل يعنى المنطقة المحيطة بالمدينة لا المدينة نفسها. ويعنى اسم "الأوديسية" (Odysseia) "قصة أوديسوس" كما نقول "الأوريسية" عن قصة أوريسيس وهكذا. وجدير بالذكر أن "الأوديسية" لم تترجم إلى العربية لا قديماً ولا حديثاً، وإن كان النص الذى ترجمه رفاعة رافع الطهطاوى "وقائع الأفلاك فى مغامرات تليماك" للقس الفرنسى فينيلون يعد الخطوة الأولى لتعرف القارئ العربى المحدث على أسطورة أوديسوس وابنه تليماكخوس.

يقول ثوكيديديس المؤرخ الإغريقي المدقق (٤٥٥-٤٠٠ ق.م) إنه عاش بعد حصار طروادة بزمان طويل. ويقول شيشرون خطيب روما المفوه (١٠٦-٤٣ ق.م) إنه ولد قبل تأسيس روما المتفق على أنه كان عام ٧٥٣ ق.م.

لقد أثار ظهور هوميروس - أعظم الشعراء طرا - في بداية تاريخ الأدب الإغريقي مشكلة لم يهتد إلى حلها أحد حتى الآن. فأصر بعض العلماء والفقهاء على أن هذا الشاعر لم يوجد على ظهر الأرض قط، وأن اسمه هوميروس Homeros ويعنى إما "الرهيئة" أو "الأعمى" أو حرفيا "الذى لا يبصر" (ho me horon) منحوت أبده الخيال الأسطوري. وذهب البعض إلى القول بأنه كان هناك عدة شعراء - لا شاعر واحد - بهذا الاسم، ثم خفف هؤلاء من غلوائهم وقالوا إنه كان هناك على الأقل شاعران بهذا الاسم أحدهما نظم "الإلياذة" والآخر هو مؤلف "الأوديسية". وجدير بالذكر أن جذور المشكلة الهوميرية^(٢). تبدأ من العصر السكندري عندما بذرت بذور الشك في نسبة الملحميتين إلى هوميروس حيث رفضت جماعة "الفاصلين" (chorizontes) أن يكونا لشاعر واحد. وقال بعضهم إن "الإلياذة" من نظم هوميروس الشاب المتحمس، أما "الأوديسية" فهي من نتاج سنوات عمره الأخيرة أى فترة النضج والتعقل. يقول أحد النقاد الإغريق القدامى "ومن ثم فيمكن للمرء أن يشبه هوميروس في الأوديسية بالشمس ساعة الغروب"^(٣).

كان فريدريش أوجست فولف Friedrich August Wolf (١٧٥٩-١٨٢٤) أنبه تلاميذ عالم الكلاسيكيات الأشهر فينكلمان Winckelmann وبدأ يركز اهتمامه على هوميروس أثناء متابعته لمحاضرات هين Heyne. وبدأ هو نفسه يحاضر عن "الإلياذة" عام ١٧٨٥ وأصدر كتيبًا باللغة اللاتينية بعنوان "مقدمة إلى هوميروس" Prolegomena ad Homerum عام ١٧٩٥، وهو الذى أكسبه شهرة عالمية خالدة. ف لأول مرة فى التاريخ تبذل محاولة علمية دقيقة لتأريخ رحلة نص هوميروس إلى الأزمنة الحديثة. أقامها فولف على التعليقات التى وضعها العلامة فيلويزو J-B Villosion (d'Ansse de) عام ١٧٨٨ حيث كان قد اكتشف

(٢) راجع أحمد عثمان: الأدب الإغريقى تراثًا إنسانيًا وعالميًا. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٧-١٠٧.

(٣) الناقد المعنى هنا هو إما كاسيوس لونجينوس أو ديونيسيوس لونجينوس أو غيرهما ممن ينسب إليهم الكتاب الذى يحمل عنوان "فى السمو" أو "فى الأسلوب الرفيع" (Peri Hypsous) راجع:

Longinus, "On the Sublime", with an English translation by W.H. Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973.

مخطوط فينيسيا **Codex Venetus A** الشهير "للإلياذة"، والذي سنعود إليه.

قال فولف إنه من المحال الوصول إلى النص الأصلي الذي نظمه المؤلف، وقد يكون من الأسهل الوصول إلى النص السكندري الذي تداوله فقهاء الإسكندرية. وجره البحث إلى تناول فكرة صحة نسبة هذه الأشعار ومدى الوحدة التي تتمتع بها. وآمن فولف أن هوميروس يحتل موقعاً في التاريخ يجعله فريداً، ولا يصح أن نطبق عليه معايير الدرس النقدي التي نتبعها مع فرجيليوس أو غيره من شعراء الملاحم الذين ظهروا في عصور تختلف تمام الاختلاف عن عصر "الإلياذة" و "الأوديسية".

ومن الممتع حقاً قراءة كتيب فولف "مقدمة إلى هوميروس"، ليس فقط لأنه يمثل ثورة نقدية، ولكن لأن أسلوبه اللاتيني جذاب حقاً. ولقد بذل فولف أقصى الجهد ليثبت أن "الإلياذة" و "الأوديسية" ليستا من إبداع شاعر واحد. ولم يثر أى كتاب آخر مثل هذا الفيض من الجدل والنقاش عدة قرون كما فعل كتيب فولف.

ومن الملاحظ أنه في القرنين الأخيرين، حيث حققت مدارس النقد الأدبي الحديث قفزات هائلة، وقف هوميروس عقبة كأداء أمام أذهان كبار النقّاد؛ إذ تضاربت الآراء وتناقضت حوله. قال لاخمان **Lachmann** إن هناك ١٦ أغنية **lays** بدائية مجهولة المؤلف هي أساس "الإلياذة". وقال بالي **Paley** إن هوميروس الذي نعرفه يمثل ذروة الحضارة الهيلينية أى أثينا القرن السادس والخامس ق.م.^(٤).

وبلغ من قوة تأثير أبحاث فولف أن كل من أتى بعده من العلماء الرافضين لوجود هوميروس اعتبر فولفياً أى من أتباع نظرية فولف. وتتلخص هذه النظرية في القول بأن ملاحم هوميروس لم تدون في عصر نشأتها الذي لم يعرف فن تدوين الأدب. كما أنها لا يمكن أن تحفظ عن ظهر قلب ويتناقلها الناس شفاهة عبر الأجيال المتتالية، لأنها تبلغ من الطول ما يعجز أى عقل بشري عن حفظه. وعلى أية حال فلقد لعب فرسان المشكلة الهومرية دوراً مهماً في تطوير الدراسات الكلاسيكية (والإنسانية بصفة عامة). لقد حققوا نتائج هائلة لأن أبحاثهم كانت

(٤) عن هذه الآراء وأبعاد المشكلة الهومرية وتطوراتها راجع:

Jensen M. Skafte, *The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory*. Copenhagen 1980.

Karl Lachmann, *Betrachtungen über Homers Ilias, mit zusätzen von Maritz* Haupt. 2e Auflage. Berlin, Reimer 1865.

مخلصة وجادة، وهى التى اجتذبت الكثير من الأقلام للكتابة عن هوميروس، وهى التى لفتت الأنظار إلى كثير من الجوانب والتفاصيل التى كانت مهمة من قبل. ونعنى بعض النواحي الأدبية والنحوية والعروضية، وكذا الجانب التاريخي وعلاقة هوميروس بالآثار وما إلى ذلك. فأقطاب المشكلة الهوميرية هم الذين وضعوا الدراسات الهوميرية بخاصة والدراسات الكلاسيكية بعامة على الطريق السليمة. منهم فهمنا كيف كان الشعر الملحمي يؤلف وينشد أى ينشر على الناس. فليس الأمر متعلقاً بشاعر أعشى ملهم أوحى إليه منذ الصبا أن يتغنّى بالأشعار البطولية، ولكنه على الأرجح رجل مثقف يعمل فى مثابرة وعناية ملموستين، يدرس ويهضم ويمثل ما سبقه من تراث شفوي متناقل، ثم يعيد إفرازه فى شكل جديد مبتكر وأصيل. وإلى مفجرى المشكلة الهوميرية ندين بمعرفة حقيقة أن نصوص هوميروس لم تسك نهائية قط، بل أدخلت عليها التعديلات وأقحم عليها الكثير من الأبيات من حين إلى حين. بل ربما تبدلت لغتها ذاتها كلما تقدمت وبدت عتيقة مغلقة لا تفهم أو مبتذلة لا تمتع. ومن ثم فإن هوميروس هو ما نملك من أشعار بصفة عامة، أما إذا دققنا فى التفاصيل والجزئيات فربما نخرج بشيء آخر.

وجدير بالذكر فى هذا المقام أن رائد الرومانسية المثالية فى ألمانيا أى الشاعر شيللر كان معارضا قويا للنظرية الفولفية، بيد أنه لم يكن يتقن اللغة الإغريقية إتقاناً يتيح له قراءة نصوص هوميروس. أما جوته فيلسوف ألمانيا الأشهر فقد كان فولفياً متحمساً أثناء تأليفه "هيرمان ودوروثيا"، بل ذهب إلى ما وراء الفولفية ذاتها فى بعض الأحيان. فإذا كان فولف يعتقد بوجود هوميروس ويؤرخ له بالقرن العاشر ق.م، ويسند إليه بعض الأشعار الرئيسية فى صلب "الإلياذة" و"الأوديسية" فإن جوته آمن بأن عدداً من أتباع أو "أبناء هوميروس" (Homeridai) هم الذين قاموا بتأليف الملحمتين تأليفاً جماعياً. بيد أن جوته عاد ليعدل فى آرائه فيما بعد وأثناء تأليف "قصة أخيليوس"، إذ أصبح أكثر ميلاً للاعتقاد بوجود وحدة تأليفية فى الملاحم الهوميرية. أما الناقد الألمانى الكبير شليجل فقد شاع فولف بلا أدنى تحفظ. ولا يتسع المجال لتتبع سائر مواقف الأدباء والمفكرين الألمان والأوربيين من المشكلة الهوميرية. ومن حسن الحظ أن الدارسين المتخصصين والباحثين الجادين يميلون الآن إلى أن ينكبوا على نصوص هوميروس نفسها فحواً ودرسا، تحيى وتدقيقاً فى هذه الزاوية أو تلك النقطة دون أن يهدروا مزيداً من الوقت حول التساؤل ما إذا كان هوميروس حقيقة واقعة أم محض خيال. ونحن - إذ

نحبذ هذا الاتجاه وندعو إلى عدم نبش الرماد مرة أخرى في هذه المشكلة الشائكة — نشيد بالثمار النافعة التي جنتها الدراسات الأدبية من أبحاث أقطابها.

ونرى من الواجب علينا تبیین أن الدراسات الهومرية قد أغفلت جانبا مهما ربما يلعب دورا جوهريا في حل المشكلة الهومرية أو حتى فك بعض طلاسمها. ونعنى المصادر الشرقية لملاحم هوميروس. وبالطبع فإن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى مجلدات ضخمة ولا يتسع مقامنا هذا للخوض في غمار تفاصيله، وسنكتفى هنا بلمس أهم الجوانب. وبادئ ذي بدء نرى لزاما علينا توضيح أن فن الأدب ليس من اختراع الإغريق كما يظن الكثيرون. فقبل أن يظهر الإغريق (أى الهيلينيون) فى شمال البحر الإيجى كان هذا الفن قد قطع أشواطا من التطور والنضج فى بلاد سومر وأكاد ومصر. وفى منتصف الألف الثانية ق.م. عندما استقر الإغريق حول البحر الإيجى وبدأوا يظهرهم قدراتهم الحضارية واتصلوا بالحضارة المينوية فى كريت كانت حضارات آسيا الصغرى — مثل الحضارة الحيثية بالأناضول والحضارة السامية فى أوجاريت أى رأس شامرا فى شمال سوريا — قد عرفت الفن الأدبى ومارسته بدرجة عالية من الوعى والوضوح وبلغت به مستوى رفيعا من الإتقان والنضج. ومن هذه الحضارات جميعا تعلم الإغريق بطريق مباشر أو غير مباشر بعض الدروس الأولية فى مضممار المدنية والتحضر. أخذوا عنهم بعض الحكايات الشعبية عن الآلهة أو الأبطال. ونقلوا عنهم بعض الأفكار عن النظام الكونى واللاهوتى، وكذا بعض التراثيل والأناشيد التى تمجد الآلهة أو أشباه الآلهة من البشر الأحياء والموتى. يقول بعض علماء الأساطير إنه قد أصبح من المسلم به أن الإغريق قد أخذوا عن الشرق فكرة تتابع حكام السماء، أى التسلسل فى أنساب الآلهة، وهى الفكرة التى نجدها فى أشعار هوميروس، وإن لم تتبلور إلا فى قصيدة "أنساب الآلهة" لهيسودوس^(٥). إلى الشرق أيضا تعود تسمية هوميروس للمحيط (Okeanos) أنه أصل كل الأشياء وهى التى أصبحت فيما بعد أساسا للفكرة الفلسفية التى صاغها ثاليس (طاليس) فى نظريته القائلة بأن الماء هو الأصل الثابت والأزلى فى هذا الكون^(٦). ولربما تعلم الإغريق من أهل الشرق كذلك أن هناك ما نسميه فن

(٥) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ١٢٢-١٢٦.

(٦) G.S. Kirk, The Nature of Greek Myths. The Overlook Press, Woodstock, New York 1975, pp. 276 ff; cf. P. Walcot, Hesiod and the Near East. Cardiff 1966, passim.

الكتابة الأدبية أى فن التأليف الذى يختلف بالطبع عن حديث الحياة اليومية من ناحية والكتابة التخصصية الدقيقة من ناحية أخرى.

ولكن الإغريق تميزوا بالقدرة الفائقة على أن يصنعوا مما يأخذون عن الغير شيئاً جديداً يتفق مع طبائعهم وميولهم ورؤيتهم للحياة وأسلوب معيشتهم، حتى إنه صار من المتعذر أن نحدد بدقة مقدار ما يدينون به لحضارات الشرق القديم^(٧). واتجه الدارسون إلى القول بأن ما أخذوه عن الآخرين يقل بكثير عما أضافوا من عندياتهم، وطُبق هذا الحكم أول ما طبق على هوميروس.

وملاحم هوميروس هى أقدم ما وصلنا من الأدب الإغريقى. بيد أنه من المرجح أن تكون بذور الشعر الملحمى الأصلية قد جاءت من الأناشيد والتراتيل الدينية التى تتغنى بأمجاد الآلهة، والتى كانت تلقى أو تتشد فى الأعياد والمهرجانات العامة. ولقد نظم هذه الأشعار شعراء مجهولون أو بالأحرى أسطوريون، إذ لا نعرف عنهم شيئاً سوى أسمائهم ومنهم أورفيوس وموسايوس وإيومولبوس. وجدير بالذكر أن أولى المسابقات الشعرية التى كانت تعقد فى بلاد الإغريق كانت تقوم على الأشعار الدينية وتركزت فى دلفى مركز العبادة القديم^(٨). ومن ثم كان الشعر الملحمى فى بداية عهده من عمل وإلقاء مغنى المعبد أو منشده الذى كان يعزف أثناء الإنشاد على القيثارة. ويبدو أن هذا الفن الشعرى الدينى قد جاء بلاد الإغريق من مراكز الحضارة الشرقية القديمة عبر آسيا الصغرى. المهم أنه كانت هناك أشعار تنشد حتى قبل الحروب الطروادية، وهى أشعار تركت بصماتها بالطبع على الملاحم التى نظمت لتروى أحداث هذه الحروب^(٩).

ويبدأ الأدب الإغريقى بالنسبة لنا - بل ولإغريق الفترة الكلاسيكية - عند منتصف القرن الثامن ق.م. فلدينا من نتاج ذلك الزمان بضع وثائق أدبية عبارة عن شذرات متفرقة مرسومة على الأوانى أو منحوتة على الحجر وعثر عليها فى أماكن

(٧) انظر أحمد عثمان: "أثينة المصرية ليست زنجية ولا عنصرية" مقدمة ترجمة كتاب مارتن برنال. أثينة السوداء، الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية، الجزء الأول: تلفيق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة ١٦، القاهرة ١٩٩٧. ص ٧١-١٣.

(٨) Pausanias, X, 7, I ff.

(٩) وعن الأصول الشعبية لملاحم هوميروس انظر:

R. Carpenter, Folktales, Fiction and Saga in the Homeric Epics. University of California Press, reprint 1974, passim.

متباعدة مثل أثينا وإيثاكي وبيراخورا (على الخليج الكورنثي) وإيسخيا (على خليج نابولي في جنوب غرب إيطاليا) وغيرها. وبعض هذه الشذرات متصل بموضوع الاحتفالات الدينية، وبعضها يتحدث عن الخمر والحب والرقص والصدقة وما إلى ذلك. وبعضها يهدف إلى تخليد ذكرى هدية ما، قدمت لهذا الإله أو تلك الإلهة تقريباً وتكريماً. وكلها منظومة في الوزن السداسي ولم ينظمها شعراء محترفون. والسبب في أننا لا نملك شيئاً من النتاج الأدبي الإغريقي قبل منتصف القرن الثامن ق.م يسير. وهو أن الإغريق لم يستخدموا الألفبائية - التي نعرفها - قبل ذلك التاريخ، فلما عرفوها استطاعوا في خلال أربعة أو خمسة قرون أن يكتبوا بها أدباً من أرقى الآداب العالمية. ولما كانت ملاحم هوميروس تمثل قمة ما وصل إليه أدب هذه الفترة فإنها تحمل بعض سمات التشابه مع الشذرات التي وصلت إلينا منه، كما أن هذه الملاحم لا بد أن تكون قد وقعت تحت تأثير الحضارات الشرقية^(١٠).

خلف الأشعار الهومرية إذن يقبع ماضٍ طويلٌ وتراثٌ عريقٌ من أعمال أدبية لم تصل إلينا، لأنها في غياب فن تدوين الأدب لم تكتب، ولكنها أقيمت شفاهة وتناقلتها الأجيال قرناً بعد قرن من خلال الرواية المسموعة لا الصحف المقروءة. ومن ثم لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن هذا التراث الشعري الشفوي - المفقود الآن - وما فيه من تأثيرات شرقية واضحة يعد الفصل الأول الذي بدونه لا يفهم كتاب الأدب الإغريقي.

وبشيء من اليقين يمكن العودة بهذا الأدب المفقود إلى حوالى عام ١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م أى إلى عصر الحضارة التى سماها القدامى بالحضارة الآخية وتحمل الآن اسم الحضارة الموكينية. يطلق هوميروس في "الإلياذة" و "الأوديسية" على أهل ذلك العصر اسم "الآخيون" أو "الأرجيون" أو "الدانائيون". على أن الاسم الأول هو الأكثر شيوعاً وشمولاً كما سيلاحظ قارئ الترجمة التى نقدم لها. وكان الآخيون يتكلمون لهجة قديمة من اللغة الإغريقية (أى الهيلينية) وصلتنا بعض الأمثلة منها على ألواح من الفخار اكتشفت فى كنوسوس بكريت، وفى موكيناى نفسها، وكذا فى بيلوس بإقليم ميسينيا. وفك طلاس هذه اللغة الفقيه النابغة مايكل فينتريس Michael Ventris عام ١٩٥٣ فقدم للحضارة الآخية بذلك خدمة تعادل إنجاز

(١٠) Barry B. Powell, *Homer and the Origin of the Greek alphabet*. Cambridge University Press, First Paperback edition 1996, passim.

شامبليون الفرنسى بالنسبة للحضارة المصرية القديمة عندما حل رموز الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد مستعينا بالنص الإغريقى والديموطيقى على الحجر نفسه.

ذلك أنه فى أواخر القرن التاسع عشر تمكن هينريش شليمان من العثور على موقع طروادة، وانتقل بعد ذلك إلى شبه جزيرة البلوبونيسوس واكتشف أكرابوليس مدينة أرجوس وموكيناى (عام ١٨٧٦) وتيرنس (عام ١٨٨٤). وتوالت بعد ذلك عدة اكتشافات أثرية أخرى فى مواقع متصلة بالحرب الطروادية وملاحم هوميروس. ولوحظ أن مساكن زعماء تلك الفترة كانت بمثابة حصون حربية حقيقية. فأحيطت قلعة تيرنس على سبيل المثال بسور خارجى مبنى من صخور ضخمة للغاية، مما جعل إغريقى العصر الكلاسيكى يعتقدون أن الكيكلوبيس - وهم من سلالة العمالقة جيجانتيس الأسطورية - هم الذين أقاموه. وفى موكيناى كان المدخل الرئيسى للقصر يقع بين حائطين أقيما بطريقة تجعل المهاجمين يتعرضون لهجوم دفاعى مضاد من ثلاث جهات فى وقت واحد. أما البوابة فتحمل فى مقدمتها العلوية نقشا بارزا ثلاثى الشكل نُحت عليه أسدان يقفان وجها لوجه على جانبي عمود، ويسند كل منهما قدمه الأمامية على قاعدته. وكانت رأساهما فى الأصل تواجهان المهاجمين المعتدين بهدف إرهابهم أو ردعهم. وعثر شليمان فى مقابر الملوك والأمراء بموكيناى على أسلحتهم وجواهرهم وأقنعتهم الجنائزية المصنوعة من الذهب، وهى معروضة الآن بالمتحف القومى فى أثينا. وهكذا ثبت أن هوميروس صادق فى وصفه لمدينة موكيناى بأنها "حصينة البنيان" ("الإلياذة" الكتاب الثانى ٥٦٩) "غنية بالذهب" (الكتاب السابع ١٨٠). ومن الجلى أن مثل هذه الكنوز الضخمة ما كان للأخيين أن يحصلوا عليها إلا بعد أن خاضوا غمار حروب طويلة وحققوا فتوحات كبيرة فى بلدان بعيدة، من الأرجح أنها بأسيا الصغرى موطن الممالك القديمة والغنية. ولقد اعتقد شليمان أنه قد عثر على مقابر وأقنعة الدفن وبقايا أجساد أجاممنون وكليتمنسترا وغيرهما من أبطال الحرب الطروادية. بيد أنه ثبت فيما بعد أن هذه الأشياء تنتمى إلى عصر ما قبل هذه الحرب، أى إلى القرن السادس عشر ق.م. على أية حال فلقد اكتشف فيما بعد "كنز أترپوس"، وهو قبر والد أجاممنون الذى ينتمى إلى القرن الرابع عشر ق.م. ثم عثر على قصر أجاممنون نفسه. المهم أن هذه المقابر الموكينية - وهى على شكل خلية النحل - تنهض دليلاً قويا على قوة وثراء ملوك موكيناى وبراعة مهندسيهم المعماريين

وتقدم صناعتهم ولاسيما الحلى الذهبية والفضية والأحجار الكريمة وكذلك الآوانى الفخارية التى تحمل رسوما رائعة. وتم العثور فى هذه المقابر والقصور على حوائط ذات رسوم ملونة وسيوف وخناجر مرصعة بالذهب والفضة.

وواضح أن الحضارة الموكينية بصفة عامة عسكرية الطابع، بيد أن الفنون قد تطورت فى ظلها تطوراً ملحوظاً. فاحتل الشعر على ما يبدو مكانة ملموسة، وإن اقتصر دوره فى الغالب على مدح الأمراء الأحياء والثناء على من مات منهم. وينظر إغريقو الفترة الكلاسيكية إلى بناء الحضارة الموكينية على أنهم أبطال ويعتبرون أن عصرهم هو عصر البطولة، بل ويعتقدون أن دماء إلهية تجرى فى عروقهم، إذ حققوا من الإنجازات الحضارية ما لم يستطع أى جيل من الأجيال التالية أن يصل إلى مستواها. واعتقد إغريقو الفترة الكلاسيكية كذلك أنهم قد ورثوا عن أولئك الأجداد والأمجاد قصصاً خالدة تعالج موضوعات نبيلة ومحبية إلى النفس، وقصصاً أخرى مخيفة تعالج موضوعات مفرعة غير محببة. وقالوا إن هذه القصص وتلك تقوم على أساس من الواقع، أى أن لها بذوراً تاريخية وقعت بالفعل فى الزمن السحيق. وفى هذه الروايات المتواترة تقع بذور الشعر الملحمى الهومرى.

كان للعصر الموكينى نظامه الإدارى والبيروقراطى وكذا نظامه فى الكتابة. وكل ذلك مسجل على لوائح فخارية تحمل إهداءات للآلهة وأسماء للأراضى أو الممتلكات والعمليات العسكرية وما إلى ذلك. ونظام الكتابة الموكينية المسمى خط الكتابة ب (Linear B) ليس أبجدياً، بمعنى أنه مقطعى يتكون من حوالى سبع وثمانين علامة دالة على الحروف المتحركة والساكنة التى تتلوها حروف متحركة. إنه أشبه ما يكون بنظام الاختزال فى عصرنا الحديث. ومن ثم فهو بطبعه لا يصلح لأغراض جماهيرية، بل اقتصر استخدامه على الأغراض الرسمية المحدودة. وهذا بالقطع يعنى أنه لم يستخدم فى تدوين الأدب. وعندما اختفت الكتابة الموكينية بعد الغزو الدورى الكاسح حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. (أو ١١٠٠ ق.م. فى رأى آخر) كان الشعر لا يزال ينشد ويتناقله الناس شفاهة لا كتابة. وتراكم هذا الموروث الشعرى من جيل إلى جيل فى جميع أنحاء بلاد الإغريق ومستوطناتهم على ساحل آسيا الصغرى التى وصلها الإغريق منذ حوالى عام ١١٠٠ ق.م.

لا تتضمن الملحمتان الهومريتان أية إشارة إلى معرفة الإغريق آنذاك بفن الكتابة، أو على وجه التحديد فن تدوين الأدب. إذ جاء فى "الإلياذة" الكتاب السادس

بيت ١٦٨ وما يليه ما يلي:

أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزاً منقوشة على لوح مطوى
وأمره بعرضها على والد زوجته لعله يهلك.

فالعلامات المميتة (semata lygra) المشار إليها في ثايات أسطورة بيليروفون يفترض أنها تشير إلى نظام الكتابة الموكينية الذى ألمحنا إليه. ولربما انتشرت الكتابة الموكينية هذه بتوسع الإمبراطورية الموكينية نفسها فى نهاية القرن الثانى عشر ق.م، ولكننا لا نملك الدليل على ذلك. ولقد قامت الحضارة الموكينية على ثلاثة عناصر رئيسية: العنصر الأول هو المتمثل فى حضارة الآخيين الوافدين من الشمال. والعنصر الثانى هو التراث المحلى للبلاسجيين (Pelasgoi) أقدم سلالة سمعنا عنها فى بلاد الإغريق. أما العنصر الثالث فهو تأثير الحضارة الكريتية المينوية. ومما لا شك فيه أن المهاجرين من الشمال قد جاءوا عبر آسيا الصغرى وجلبوا معهم بعض التأثيرات من حضارات الشرق. أما الأثر الشرقى - ولا سيما المصرى والفينيقى - على حضارة كريت المينوية فلا يحتاج إلى تأكيد. وكان الحيثيون فى آسيا الصغرى قد نقلوا عن البابليين نظاما للكتابة. أما كريت فقد عرفت الكتابة منذ الألف الثانية ق.م على أقل تقدير واستعملت لغة لم تفك طلاسمها حتى الآن بصفة تامة وتشبه اللغة الصينية. وإذا كان الآخيون فى الأصل شعبا من الأميين فإنهم عندما قدموا من الشمال فى اتجاه الجنوب وصلوا إلى مناطق تعرف الكتابة وتمارسها من زمن بعيد. وتبنوا هذا الفن. ولكن من الملاحظ أن النظام الكريتى للكتابة لم يكن شائعا فى بلاد الإغريق الأساسية إبان العصر الآخى أى الموكينى. وحدثت طفرة ملموسة عندما تبنى الإغريق الأبجدية السامية الشمالية والتي اسموها "الحروف الفينيقية"^(١١) (grammata phoinikeia). وهى حروف

(١١) Herodot, V, 58, 2.

أحمد عثمان: تاريخ قبرص جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم (القاهرة ١٩٩٧)، ص ٣١-٤١.
R. Carpenter, "The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxxvii (1933) pp. 8-20.
Idem, "The Greek Alphabet Again" AJA XLII (1938) pp.59-69.

وعن تأثير الحضارة المصرية والفينيقية فى الإغريق بوجه عام راجع:-

R. Drews. "Phoenicians, Carthage and the Spartan Eunomia" AJPh. Vol. 100 no. I (1979) pp. 45-58.

إيمانويل فليكوفسكى (ترجمة فاروق فريد): أوديب وإخناون، القاهرة ١٩٧٠.

أما عن تأثير الحضارة الفينيقية فى هوميروس عبر الحضارة الموكينية فانظر:

M.P. Nilsson, Homer and Mycenae. Cooper Square Publishers Inc, New York 1968, pp. 119-158.

G.S. Kirk, The Songs of Homer. Cambridge at the University Press 1962, pp. 3-51, 55 ff.

تشبه — إلى حد ما — الحروف السامية، وتتكون من مجموعات من العلامات كل منها يمثل ساكنا. ولقد طور الإغريق في هذه الأبجدية حتى وصلوا بها إلى ما نعرفه الآن باسم اللغة الإغريقية، والتي لا تزال حية إلى يومنا هذا بالصورة المتطورة التي يتحدث بها اليونانيون المحدثون. وهذه ميزة الإغريق، وعلى حد قول أحد مؤلفيهم "يستعيرون من الأجانب (barbaroi) ولكنهم يضيفون الكثير من التحسينات في النهاية"^(١٢). وبالنسبة للأبجدية الفينيقية التي استعاروها فقد استخدموا في البداية بعض العلامات للدلالة على حروف الحركة. ثم استبدلوا بتلك العلامات أشكالاً مبتكرة تماماً أى حروفاً جديدة لم تكن موجودة في اللغات السامية، وربما أخذوها عن مصادر أخرى. المهم أنهم في النهاية توصلوا إلى الأبجدية الإغريقية التي هي أصل الأبجدية اللاتينية، وبالتالي فهي جدة بعض الأبجديات الأوروبية الحديثة أيضاً. المهم أن الإغريق لم يعرفوا هذه الأبجدية قبل منتصف القرن الثامن ق.م على أقل تقدير.

ويقدم الباحث بيدج أدلة واضحة من أسلوب ملحمتي هوميروس ولغتهما على أنهما تتبعان بالفعل من عدة مصادر مختلفة^(١٣)، أى أنهما تقعان عند مصب تراث شعري عريق له عدة روافد. ومما لاشك فيه أن التقدم في فنون الكتابة والنسخ والتوسع في تدوين الأدب يأتي على حساب عمل المنشد الملحمي aoidos الراوى للأحداث البطولية. أى أن التدوين أمر لا يتفق مع طبيعة الشعر الملحمي الأصلية أى الشفوية. وهذا ما سيتضح لنا من دراسة التقنية الملحمية الهوميرية ومتابعة ما طرأ عليها عبر العصور حتى تلاشت وحلت محلها ملاحم مكتوبة أى مصطنعة ابتداءً من العصر السكندري والروماني إلى يومنا هذا. وكان من الممكن أن تتحور وتتجدد ملاحم هوميروس مع مرور الزمن. وكان من المحتمل أن تتبدد أيضاً، لو لم يأت الطاغية الأثيني بيسيستراتوس في القرن السادس ق.م ويؤسس نظاماً جديداً للإنشاد الملحمي يسمى النظام الرابسودي، حيث اختفت قيثاره الراوى القديم وتزود الراوى المستحدث بدلا منها بعصا rhabdos. وكان عليه أن يغنى في كل مرة قصيدة مكتملة، أى أنشودة رابسودية rhapsode تبدأ من حيث انتهت السابقة ex hypolepseos. يقوم النظام الإنشادي الذي أسسه بيسيستراتوس إذن على

(١٢) (مجهول المؤلف ولو أنه ينسب أحيانا إلى أفلاطون) Epinomis, 987e.

(١٣) D.L. Page, The Homeric "Odyssey", Oxford 1955 Ch. Vi; cf. Idem, History and the Homeric "Iliad". University of California Press 1972, passim.

الإلقاء من الذاكرة اعتماداً على نص مكتوب وموثق يمكن الرجوع إليه فى أى وقت، وهو النص الذى صار يعرف باسم تحقيق أو تنقيح بيسيسترانوس. وإذا كان هذا التنقيح المدروس قد حفظ أشعار هوميروس من الضياع فإنه قد قضى على كل فرصة للتجديد فى تقنية الشعر الملحمى، وهذا أمر طبيعى بالنسبة لمن كان قد بلغ قمة النضج أصلاً. ولقد كتب شيشرون الخطيب الرومانى المفوه عام ٥٥م تقريباً - أى بعد أن كانت الدراسات الفقهية والتحقيقات العلمية فى الإسكندرية قد انتهت وأصبحت معروفة للجميع بنتائجها - وقال إن بيسيستراتوس طاغية أثينا هو الذى إبان القرن السادس ق.م "قد رتب كتب هوميروس التى لم تكن من قبل على هذا الترتيب الذى نعرفه"^(١٤). وإذا كان هذا صحيحاً فإن الأشعار الهوميرية - وبصورة قريبة للغاية من النصوص التى وصلتنا - كانت تنشد فى أعياد الباناتينايا الأثينية فيما قبل عام ٥٢٧ ق.م.

لكن مازال هناك سؤال بلا جواب، ففى مثل هذا المسار المطرد للأشعار الهوميرية أين يمكن أن نجد هوميروس نفسه؟ من المؤكد أن الذى حوّل الأغاني الملحمية الصغيرة والملائمة لحفلات الإنشاد والسمر إلى قصيدة كبيرة هو شاعر متأخر ولاحق للفترة التى ظهرت فيها هذه الأغاني ابتداءً. وبعبارة أخرى فإن هوميروس يأتى فى نهاية المطاف بالنسبة لتطور الشعر الملحمى لا فى بدايته. وعليه فإن التفكير المنطقي يرجح أن هوميروس لا يمكن أن يكون قد عاش قبل القرن الثامن ق.م. ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار أن هذا التفكير المنطقي - وهو كل ما نملك - يمكن أن يكون مخطئاً. وعلينا أن نتذكر أن الإغريق على وجه العموم، وإن قبلوا بوجود هوميروس وبنسبة الملحميتين "الإلياذة" و "الأوديسية" إليه، لم يتفقوا على تحديد العصر الذى عاش فيه. فمنهم من جعله يعاصر الحرب الطروادية التى يصف أحداثها، ومنهم من جعله يعيش بعدها عدة قرون. أما بالنسبة للدلائل الداخلية المستمدة من نص الملحميتين فهى أيضاً متضاربة وغير مؤكدة. فمثلاً يقال إن الإشارة الواردة فى "الإلياذة" (الكتاب السادس بيت ٣٠٢-٣٠٣) والتى تتحدث عن تمثال أثينة فى وضع الجلوس تشي بأن التاريخ المشار إليه لا يمكن أن يكون قبل القرن الثامن ق.م، حيث بدأ فن النحت الإغريقى يتطور إلى مرحلة جديدة متحرراً من تأثير النحت المصرى. بل إن وصف درع أجاممنون فى نفس

الملحمة (الكتاب الحادى عشر بيت ١٩ وما يليه) يمكن أن يعود إلى ما بعد ذلك التاريخ، وكذا الإشارة إلى استخدام الفيلق phalanx فى الحرب (الكتاب الثالث عشر بيت ١٣١ وما يليه). ومع ذلك فإن كل هذه الإشارات وغيرها الكثير يمكن أن تكون مدسوسة على هوميروس. وعلى أية حال فهناك حد زمنى لا يمكن أن يكون هوميروس قد عاش بعده بإجماع آراء كل العلماء ألا وهو عام ٧٠٠ ق.م. هذا ويمكن أن نحدد فترة تقريبية تقع فيها حياة هوميروس وهى ما بين ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م.

ومما لا شك فيه أن موقع طروادة الجغرافى يمكنها من السيطرة على الممر الإستراتيجى أى مضائق الدردنيل والبسفور البحرية التى تصل البحر الإيجى بسواحل البحر الأسود الخصبة. طروادة إذن مدينة ذات أهمية تجارية واقتصادية وعسكرية أغرت الأخيين بمحاولة السيطرة عليها. أما السبب الذى يقدمه هوميروس لقيام حرب طروادة - أى خطف هيلينى زوجة ملك إسبرطة مينيلأوس على يد الأمير الطروادى باريس - فهى الذريعة الواهية أو السبب الدبلوماسى المباشر والمعلن لتبرير حرب لها أهداف أخرى أعمق وأهم من ذلك بكثير، هذا إذا ما قبلنا بوجود هيلينى أصلا. وبعبارة أخرى فإن رواية هوميروس لأسباب الحرب الطروادية هى رواية أسطورية، أى الرؤية الشاعرية والملحمية لحرب حقيقية وقعت بالفعل فى تاريخ يقع ما بين ١٢٨٠ و ١١٨٣ ق.م. برأى معظم المؤرخين. المهم أن هوميروس يصف أحداثا تاريخية قديمة جدا بالنسبة له، إذ تسبقه بحوالى ثلاثة قرون. وهو يستمد روايته من الموروث الشعرى المألوف والمتداول شفاهة.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار "الإلياذة" و "الأوديسية" من خلق عدة أجيال متتالية من الشعراء المتجولين. ولكن إغريقى العصر الكلاسيكى اعتبروهما من تأليف شاعر واحد هو هوميروس وعلينا أن نحترم رأيهم، ولو أنهم نسبوا إليه أشعارا أخرى لا يمكن بأية حال أن يكون هو فعلا - إن وجد - مؤلفها. وبغض النظر عن الفوارق بين الملحمتين فإن روحهما العامة واحدة. يقول باورا إنه ليس من الخطأ أن نتحدث عن هوميروس - سواء أكننا نعنى به شاعرا واحدا أو عدة شعراء - باعتباره مؤلف هاتين الملحمتين^(١٥).

وبما أن هوميروس لا يتحدث عن نفسه في ملحمتيه "الإلياذة" (حوالي ستة عشر ألف بيت) و "الأوديسية" (حوالي اثنا عشر ألف بيت) فلقد استدل البعض من ذلك على أن مكانته الاجتماعية كانت أقل من مكانة أبطاله وهم من الملوك والأمراء، بل وأقل من مكانة جمهوره أيضاً لأنه كان ينشد أشعاره في بلاط أحفاد هؤلاء الأبطال. بيد أن تشبيهاته الشعرية - وهذا ما سنعود إليه - مستمدة من بيئته المعاصرة وما فيها، مما يظهر ميله إلى تصوير حياة بسطاء الناس بحرفهم اليدوية وأعمالهم الزراعية والرعية بما فيها من أدوات بسيطة وطيور وحيوانات وما إلى ذلك. ومن ثم قيل إن هوميروس كان شاعراً فقيراً وأعمى أو على الأقل فقد البصر في أواخر أيامه. ولعل هذه الرواية قد جاءت من الاعتقاد الشائع لدى مختلف الشعوب بأن المنشدين الملحميين كانوا في العادة من كفيفي البصر. يضاف إلى ذلك أن النشيد الهومري "إلى أبوللو" (بيت ١٧٢) يتحدث عن شاعر أعمى من جزيرة خيوس. ويعتقد أغلب العلماء المحدثين أن هذا البيت يتحدث عن هوميروس نفسه. بل يرون أنه أيوني لأن اللهجة الأيونية تغلب على أشعاره، كما أنه يعرف عن ما هو أيوني أكثر مما يعرف عن ما هو دوري أو أيولي. وينازع خيوس في الادعاء بنسبة هوميروس إليها الكثير من المدن والجزر وفي مقدمتها مدينة سميرني (أزمير بتركيا)، بيد أن كفة خيوس هي الراجحة. وبها يعقد كل عام مهرجان "الهومريات" الذي يحاول به اليونانيون المحدثون إحياء ذكرى شاعرهم القديم والمبدع الأول هوميروس.

يجمع الباحثون على أن ملاحم هوميروس تمثل المرحلة الناضجة من تراث شعري شقوى عبارة عن أغاني كانت تؤدي بمناسبة وفاة أحد الشبان. ولهذه الأغاني بقايا في أشعار هوميروس، فمثلاً في "الإلياذة" (الكتاب الثامن عشر بيت ٥٦٩) نجد أغنية عن لينوس Linos يؤديها شاب على القيثارة وسط العذراوات والشبان حاملي سلال الأعناب في أعياد جنى الكروم، ويعتقد بعض العلماء أن هذه الأغنيات من أصل سامي.

وارتبط بعض المنشدين الملحميين السابقين على هوميروس بعبادة أبوللون وربطوا بين آسيا وكريت وجزر بحر إيجه وأراضي بلاد الإغريق الأساسية. وبعضهم الآخر جاء من آسيا الصغرى وبالتحديد من فريجيا وارتبطوا بعبادة كيبيلى Kybele. وظهر ذلك التراث بينما كانت القبائل الهيلينية لا تزال تهاجر من آسيا

إلى أوروبا. فهو تراث - إذن - ينتمى إلى ما قبل الهيلينية. ويشير هوميروس نفسه إلى هذا التراث بالحديث عن "أمجاد الرجال" *klea andron* وكذلك أغاني الزواج *hymenaeus* والمرثى *threnos* وكلها كلمات وتعبيرات سيجدها القارئ تتكرر كثيرًا في "الإلياذة".

وتعكس أعمال الزخرفة على درع أخيليوس الذى صنعه هيفايستوس - وسنعود للحديث عنه - بعض المصادر الفينيقية والآشورية والمصرية القديمة^(١٦). ولوحظ أن هذا الدرع لا يتضمن أية إشارة للسفن مما يتناسب مع الآشوريين، كما لا يحوى أى شيء عن العبادات الإغريقية. وأعمال الفن المشار إليها عمومًا عند هوميروس سواء فى المنازل أو قصور الملوك تعكس الفن الشرقى، فنحس وكأننا فى نينوى أو فى صور^(١٧).

ثالثًا: من هو الآخر فى "الإلياذة"؟

هكذا دخلنا عالم هوميروس من أوسع أبوابه، وعلينا الآن أن نركز الانتباه على "الإلياذة"، التى بلغ من عظمتها أنها غطت على شهرة مؤلفها، حيث كان قد عاش فى وقت ما ومكان ما ببلاد الإغريق لا نعرفه بالضبط.

وفى الوقت نفسه يعطينا هوميروس صورة واضحة المعالم لفترة مبكرة من التطور الحضارى البشرى. وهى صورة حافلة بالمعالم السياسية والدينية والقيم الأخلاقية بالإضافة إلى البيئة الاجتماعية. تختلف هذه الصورة الهومرية عن لوحة من الفسيفساء أو أية قطعة أثرية أخرى، لأنها صورة مكتملة ومنسجمة مع الانطباع العام الذى يتركه هوميروس فى الأذهان.

لا يستخدم هوميروس فى "الإلياذة" اسمًا يشمل كافة بلاد الإغريق أو اليونان التى نعرفها. فهو يتحدث عن "الآخيين" و "الأرجيين" و "الدانيين". أما هيلاس

(١٦) A.S. Murray, History of Greek Sculpture. p. 44.

(١٧) للمزيد عن الأصول الشرقية لأشعار هوميروس راجع:

Allen W.S.: "Oriental Myth and Literature in the Iliad." In Hägg, ed., 1983: pp. 51-6.

J.D. Muhly, "Homer and the Phoenicians. The Relations between Greece and the Near East in the late Bronze Age and Early Iron Ages". Berytus 19 (1970) pp. 19-64.

C. Picard, "Homère et les religions de l'Egypte" Revue archeologique 6me Serie 10 (1937) pp. 110-113.

Hellas فهي لا تخرج عن حدود منطقة ثيساليا، مع أن هذا الاسم الأخير لا يرد قط في ملحمتي هوميروس. والآخيون الذين تتحدث عنهم "الإلياذة" لا زالوا يحكمون شبه جزيرة البلوبونيسوس (التي لا تذكر بهذا الاسم قط)، وكذا لا ذكر للدوريين في "الإلياذة". وهناك فرق بين "أرجوس الآخية" وتقابل معظم شبه جزيرة البلوبونيسوس، و "أرجوس البلاسية" وتعنى جزءاً من ثيساليا. وتتحدث "الإلياذة" عن طراقيا ونهر أكسيوس (= الآن فاردار Vardar).

أما بالنسبة للساحل الغربى لآسيا الصغرى، الذى تجرى فوقه أحداث "الإلياذة"، فتتحدث الملحمة عن مايونيا (= ليديا فيما بعد) ولا ذكر لأى مدينة إغريقية فى المنطقة من ميسيا إلى كاريا، ولا يذكر الاسم "الأيونيون" سوى مرة واحدة (الكتاب الثالث عشر بيت ٦٨٥)، وتؤخذ الفقرة كلها على أنها إشارة للأثينيين. وتذكر بعض مناطق أعماق آسيا الصغرى، مثل فريجيا وبافلاجونيا، فى إشارات عامة وغامضة.

من الجزر فى بحر إيجه تذكر كريت ورووس وما يحيط بها من جزر صغيرة فى الجانب الجنوبى الشرقى. ومن الجزء الشمالى الشرقى المحاذى لمنطقة طروادة تذكر تينيدوس وإمبروس وساموطراقيا (باسم ساموس) وليسبوس وليمنوس، ولا ذكر للكيكلاديس وخيوس وساموس.

ومن عالم الجنوب بعيداً عن بلاد الإغريق يذكر فى "الإلياذة" الأثيوبيون "ذوو الوجوه المحروقة" أو الداكنة. ويذكر البيجميون الذين يقطنون على ضفاف نهر الأوكيانوس (ربما فى أفريقيا الوسطى). ويذكر المصريون ومدينتهم طيبة (= الأقصر) (الكتاب التاسع بيت ٣٨١ وما يليه). فطيبة المصرية ذات مائة باب يخرج مائتا رجل من كل منها بخيولهم وعرباتهم :

ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة المصرية، حيث تمتلئ الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم، ذات البوابات المائة التى ينطلق من كل منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.

ويذكر الفينيقيون^(١٨) وصناعاتهم الدقيقة، وتذكر صيدا أكثر من مرة (الكتاب السادس بيت ٢٨٩، والكتاب الثالث والعشرون ٧٤٣). وتذكرنا زخرفة درع

أخيلئوس التي أبدعها هيفايستوس - كما سبق أن ألمحنا - بالصناعات الفينيقية الدقيقة ولاسيما فى صور. وكما هو واضح ضم قصر برياموس الفينيقيين والفينيقيات، وتحدثنا "الإلياذة" نفسها عن نساء صيدا الماهرات فى الأشغال اليدوية من تطريز وخلافه (الكتاب السادس أبيات ٢٨٧ وما يليها).

أما الملكة نفسها فقد نزلت إلى خزانة الكنوز ذات القباء

حيث أودعت ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقنت صنعها

نساء صيدا اللاتى كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله

قد جلبهن من صيدا حين مخر عباب البحر الشاسع فى رحلة

عودته (إلى طروادة) بهيلينى رفيعة النسب

ويتردد فى "الإلياذة" ذكر كادموس والكادميين (الكتاب الرابع أبيات ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، والكتاب الخامس ٨٠٣، ٨٠٧، والكتاب العاشر ٢٨٨، والكتاب الثالث والعشرون ٦٨٠). أما الإله مكار (أو مقار) الذى يذكره هوميروس فى الكتاب الرابع والعشرين (بيت ٥٤٤) فربما يكون الإله الفينيقى ملقرت Melqarth الذى اعتبره الإغريق فى العصور التالية أصلاً لعبادة البطل الإغريقى الأشهر هرقل^(١٩).

لكن من هم الطرواديون ؟

فى دفاعه عن بعض ملامح الوحشية والبربرية فى التراث الأسطورى والطقوس الإغريقية يقول جلبرت مورى Gilbert Murray إن هذه الملامح هى بعض بقايا البربرية الأقدم فى الروح الهيلينية الصافية والخالية من هذه البربرية. فعندما اقتحم الإغريق بلدة كيلائناى Kelainai فى أقصى فريجيا بآسيا الصغرى وجدوا هناك تقليدًا قديمًا يروى فحواه أن الإله المحلى سلخ البطل أو الملك المحلى مارسىاس Marsyas حيًا. ويورد مورى تفسير فريزر لهذه الأسطورة بأن مارسىاس هو ملك الخضرة الذى يسلم بين الحين والحين ويحتفظ بجلده حتى موسم

(١٩) Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis in the "Trachiniae" of Sophocles and in "Hercules Oetaeus" of Seneca. A Comparative Study of the Tragic and Stoic Meaning of the Myth. A thesis for the Ph.D. Degree in Greek with summary in English). Athens 1974., pp. 50-63.

وعن كادموس انظر :

Edwards, R.B.: Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age. Amsterdam 1979.

الحصاد التالى. ويؤكد مورى أن الإغريق هم تجار الحوض الشرقى للبحر المتوسط وبحارته دون أن يعنى ذلك انتماءهم لهذا العالم. وربما تكون هذه الأسطورة كما يقول مورى هى من بقايا الغزو الأشورى، لأن الأشوريين على حد قوله كانوا يحتفلون بعد انتصاراتهم بسلخ من قهروهم أحياء^(٢٠).

أثبتت الحفريات فى موقع طروادة بأنه كانت هناك ست مدن الواحدة فوق الأخرى وأنها جميعاً دمرت تباغاً وأعيد بناء كل منها فوق بقايا الأخرى، مما يعنى أن هذا الموقع كانت له حساسية خاصة. وحتى فى الإطار الأسطورى "للإلياذة" وتدمير طروادة على يد أجاممنون يتردد الحديث دائماً بأنها كانت قد دمرت من قبل عدة مرات.

وتروى الأسطورة الإغريقية أن هرقل - الذى ينتمى إلى جيل أسبق وأقدم من أبطال طروادة - ذهب إلى طروادة للحصول على خيول لاؤميدون. وتثبتت كل الدراسات الحديثة أن طروادة القديمة فعلاً اشتهرت بتربية الخيول. ومن الملاحظ فى "الإلياذة" أن صفة "مروضى الخيول" تلصق بالطرواديين دائماً جماعة أو فرادى. يقول آينياس فى "الإلياذة" (الكتاب العشرون ٢١٣ ومايليهِ):

إذ كان زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا
وبانى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد فى
الوادي على أنها مدينة البشر الفاتين، إذ كانوا لايزالون
يسكنون منحدرات إيدا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب
داردانوس ولداً هو الملك إريخثونيوس الذى أصبح أغنى
البشر الفاتين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرس ترعى فى المروج
وتنعم بصغارها. وبينما هى ترعى شغف بها بورياس حباً
وفى هيئة حصان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى
عشرة مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد
ذؤابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرهما ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فإنها تقشد ذؤابة
الموج الهائج.

(٢٠) Gilbert Murray, The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition. Oxford 1934, pp. 20-21.

وتعكس آراء مورى المركزية الأوروبية التى سبق أن دحضناها فى مقدمة "أثينة السوداء" راجع حاشية رقم ٧ أعلاه.

ولكن الخيول لم تكن الثروة الوحيدة التى تتمتع بها مملكة برياموس. فسترابون^(٢١) يتحدث عن مناجم الذهب فى أستيرا *Astyra* بالقرب من أبيدوس *Abydos* بمنطقة طروادة. ونحن نعرف أنه فى العصور التالية كانت تجارة شاسعة تمر فى بحر الهيلليسيونطوس (الدردنيل والبسفور) وتربط بين البحر المتوسط والبحر الأسود. ومن هنا تأتى أهمية التحكم فى هذا الممر التجارى. ولمزيد من إيضاح أهمية طروادة إبان العصر الموكينى نشير إلى أنه بعد أن أسس الإغريق مستعمرات لهم على الهيلليسيونطوس والبحر الأسود فى العصور التاريخية. فقدت طروادة أهميتها وأصبح بمقدور السفن الإغريقية أن تبحر دون الحاجة لمياه نهر سكماندروس العذبة وأخذ الإذن من مملكة طروادة. لقد كان وادى طروادة هو نقطة الالتقاء الطبيعية بين تجارة البحر الأسود وتجارة جزر بحر إيجة.

لكننا من معطيات "الإلياذة" لا نستطيع الإجابة عن السؤال المطروح: من هم الطرواديون ؟ هل هم شرقيون ينتمون لحضارات الشرق القديم ؟ فهذا ما لا نستطيع تأكيده من خلال "الإلياذة" التى تعطىهم أسماء إغريقية وتنسب إليهم عادات وتقاليد إغريقية. بل إن الطرواديين فى "الإلياذة" يتعبدون لآلهة الإغريق أنفسهم مثل زيوس وأفروديتى وأبوللون وغيرهم. وبعض هذه الآلهة ينحاز إليهم ضد الإغريق وبصفة خاصة أفروديتى ربة الجمال والحب والتناسل التى أنجب منها أنخيسيس أحد الأبطال الطرواديين المرموقين أى آينياس. بل إن الطرواديين فى "الإلياذة" يحملون الأسماء نفسها التى يحملها الإغريق مثل أخيلأوس فهو اسم لطرودادى فى الكتاب الثامن (بيت ٢٥٧) واسم لإغريقى فى الكتاب الحادى عشر (بيت ٣٠٢). بل إن بودارجوس يرد اسماً لحصانين فى "الإلياذة" أحدهما لهيكتور (الكتاب الثامن بيت ١٨٥)، والثانى لمينيلأوس (الكتاب الثالث والعشرون بيت ٢٩٥). ومن المدهش أن لاؤديكى هو اسم بنت أجاممنون (الكتاب التاسع بيت ١٤٥ و ٢٨٧) وهو فى الوقت نفسه اسم بنت عدوه اللدود برياموس (الكتاب الثالث ١٢٤ والكتاب السادس ٢٥٢).

فإذا قال قائل إن الطرواديين شرقيون عندئذ سنضع أيدينا على ما يسمى بالخلط الزمنى *anachronism*. وهو خلط لا يقتصر على الزمن بل يشمل كل شىء. وهو أمر لا ينفرد به هوميروس - الذى يخلط بين معطيات زمنه وزمن الأحداث التى يتحدث عنها - بل هو شائع فى الأعمال الإبداعية منذ القدم وإلى

شكسبير^(٢٢) بل وإلى يومنا هذا. ونجده على سبيل المثال فى مسرحية "الفرس" لأيسخولوس المعروضة عام ٤٧٢ ق.م حيث يتعبد الفرس فى هذه المسرحية لزيوس وسائر آلهة الأوليمبوس مثل الإغريق تمامًا، بل إن الجو العام فى القصر الفارسى يكاد لا يختلف عن الجو العام فى قصر ملكى إغريقى. فهل تصور "الإلياذة" الطرواديين على هذا النحو نفسه؟^(٢٣). وتزداد صعوبة الإجابة على التساؤل المطروح من هم الطرواديون ؟ إذا لاحظنا أن هوميروس كان واعيًا بالفروق اللسانية بين المتحاربين. فهو يميز بين الطرواديين وحلفائهم متعددى اللغات ويقول (الكتاب الثانى، أبيات ٨٠٣-٨٠٦) على لسان إيريس مخاطبة هيكتور:

"كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى المجموعة التى يرأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من ترتيب صفوف رجال مدينته".

فأهل آسيا الصغرى بلغاتهم الشرقية مشاركون فى الحرب. ومع أن الاحترام متبادل بين الإغريق والطرواديين بصفة عامة إلا أن المرء يحس بانحياز هوميروس الدفين للإغريق. فهل ينم هذا الموقف عن أن الطرواديين ينتمون إلى الآخر فى "الإلياذة" ؟

رابعاً: الكلمات المجنحة بالوزن السداسي

ومن المقطوع به أنه من المحال الوصول إلى تصور حقيقى "للإلياذة" الأصلية، ومدى حجم الإضافة والحذف التى عانت منهما عبر العصور منذ ثلاثة آلاف سنة. إنها على أية حال أول صورة فنية للسلاطة التى تعرف الآن بالسلاطة الهيلينية. وإذا كان ماتييو أرنولد Matthew Arnold يعرف الشعر على أنه "نقد الحياة" فقد تكون هذه هى نصف الحقيقة فقط، لأن الشعر فى أسمى تجلياته هو

(٢٢) أحمد عثمان: الكلاسيكية فى مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد فى مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٦٣-٢٧١.

(٢٣) يمكن للقارئ أن يعود للمعجم الأسطورى الملحق ليؤكد من أن "الإلياذة" بالفعل تضم أسماء مشتركة كثيرة جدًا. ولكن أسماء الملوك والأمراء ليست مشتركة. فأجاممنون وأخيليوس ومينلاؤس وبرياموس وهيكتور كل منها اسم لشخص واحد فقط. فالأبطال الهوميرون آحاد لا يشاركونهم الأسماء والثراء والأهبة والعظمة أحد آخر.

تفسير للحياة، بل هو تفعيل الحياة. وهذا بالضبط ما تمثله "الإلياذة" و "الأوديسية" فهما من أنصع آيات الفن المعبر بصدق عن الروح الهيلينية في بكارتها.

وسنحاول في السطور التالية معالجة الجوانب الفنية في "الإلياذة" التي تجسد هذا الدور. فمن الملامح الفنية البارزة في "الإلياذة" التشبيهات والخطب. وسنعود للحديث المفصل عن التشبيهات، أما الخطب فيقول عنها جيب Jebb صاحب أهم الدراسات في فن الخطابة الإغريقية :

"لا توجد خطبة واحدة في التراث القديم الذي وصلنا تقترب من النموذج المثالي للخطبة مثلما تفعل خطب هوميروس. ويكمن السبب في ذلك أن الخطب الواردة في "الإلياذة" تتبع بصورة طبيعية من مناظرة ما، وأعظمها يأتي ردًا (على خطبة أخرى)"^(٢٤).

ولا يملك المرء وهو يقرأ "الإلياذة" إلا أن يعبر عن بالغ دهشته وإعجابه بحس هوميروس ووعيه بدقائق النفس الإنسانية، وكذا بقوته ولينه ووضوح رؤيته وسعة أفقه، وسلامة تأملاته في الإنسان والطبيعة. إنه أروع مثال للفنان العظيم. إنه ينظم الشعر وعينه على الموضوع لا على الأسلوب، كما يفعل أغلب الشعراء المحدثين، حيث يولون الأسلوب جل اهتمامهم وإليه ينقلون أو يترجمون موضوعهم. فالزخرف في أسلوب هوميروس لا نحس به، لأنه لا يأتي وكأنه ملحق مصنوع يستهدف توسيع الموضوع، بل هو جزء طبيعي وعضوي في نسيج الموضوع ذاته.

يقول جلبرت موري G. Murray عالم الكلاسيكيات الأشهر وصاحب الدراسة المتعمقة في الشعر الإغريقي الملحمي إننا ينبغي أن نقرأ الأشعار الملحمية القديمة بشيء من الخيال والتعاطف، فبدونهما تصبح هذه الملاحم القديمة كتبًا صماء. لقد نجح هوميروس شاعر "الإلياذة" في أن يخلق الخيال والتعاطف اللازمين لأي معاصر يحاول قراءته الآن^(٢٥).

يتمتع هوميروس شاعر "الإلياذة" بما يمكن أن نسميه البساطة السامية والمباشرة الصريحة، فهو ليس غامضًا البتة. قد يكون حزينًا ولكن حزنه ليس فجًا

غليظاً، وإنما هو حزن ينم عن فخامة وأبهة. وهو سار ومفرح كالحياة نفسها فى مسراتها وأفراحها الطبيعية. إنه يعبر عن آمال البشرية ومخاوفها، سقطاتها وتطلعاتها. ولمن يريد أن يطلع على هذه الجوانب مجتمعة فليقرأ مشهد وداع هيكتور لزوجته أندروماخي (الكتاب السادس)، أو مشهد نصائح ساريبيدون لجلاوكوس (الكتاب الثانى عشر)، أو النهاية الدرامية المذهلة أى لقاء برياموس مع أخيليوس، حيث ذهب الملك الطروادى الطاعن فى السن يقدم الفدية فى مقابل تسلم جثة ابنه الصنديد هيكتور (الكتاب الرابع والعشرون).

قد تكون غضبة أخيليوس موضوعاً من الدرجة الثانية، وقد لا تصلح لعمل شعرى كبير، ولكن مؤلف "الإلياذة" المبدع صنع منه ملحمة شعرية رائعة. غضب أخيليوس عندما انتزعت منه محظيته بريسئيس وهذا أمر لا يصنع ملحمة، ولكنه صب جام غضبه أيضاً على هيكتور عندما قتل صديقه الحبيب باتروكلوس، وهذا الغضب يصلح لعمل شعرى. فكيف صاغ هوميروس من هذه الغضبة ملحمة "الإلياذة" التى تصور الحرب الطروادية فى إطار كونى ؟

يتسم أسلوب هوميروس بأربع صفات أساسية: فهو متدفق، واضح الفكر، بليغ العبارة، وسامٍ فى كل شىء. وهذا الجمع الفريد بين تلك الصفات الأربع كان بمثابة الصخرة التى تحطمت عليها جهود كبار مترجمى هوميروس ومقلديه عبر كافة العصور. فقد فشل كوبر Cowper، فى أن يكون متدفقاً، وفشل ألكسندر بوب Pope فى أن يكون بليغ العبارة. أما تشابمان Chapman فلم يكن واضح الفكر فى ترجمته، رغم أنه الأقرب إلى هوميروس من حيث بلاغة الكلمة وطزاجتها والقوة والتدفق. وسنعود لأصدقاء أسلوب هوميروس فى الآداب العالمية.

يتميز أسلوب هوميروس فى "الإلياذة" بأنه غنائى مزخرف بصفة عامة، ولكن التنوع هو السمة الرئيسة. خذ على ذلك مثلاً وصفه لجروح الأبطال وموتهم، فلو كان يتبع أسلوباً واحداً لمل المتلقى لأن المشهد متكرر فى "الإلياذة" من أولها إلى آخرها. ولكننا نكتشف تنوعاً فريداً يميز بين جرح بطل وآخر. وكيفية الانتقال إلى العالم السفلى أى الموت تختلف فى كل مرة عن سابقتها ولاحتقتها، فهذا ينكفى على بطنه ويعض الأرض، وذاك يطرح أرضاً على ظهره وتفيض روحه، وآخر يصارع الموت ويقاومه، وآخر يخفى بطريقة غامضة، وهكذا. وينطبق هذا المعيار نفسه على مشاهد المعارك والمبارزات الفردية، التى هى الموضوع الرئيسى

المتكرر. فلا نجد معركة مثل أخرى ولا تتشابه المبارزات الفردية. ويبدو وصف المعارك في "الإلياذة" وكأنه واقعي، أي كأن الشاعر يرى معركة حقيقية ويصفها لنا. ومع ذلك فهو ليس وصفاً تاريخياً. إنه وصف يبدو وكأنه يسرد وقائع وحقائق مع الإحياء سلفاً بالنتيجة الحتمية لكل معركة^(٢٦). وذلك بفضل تنوع الأسلوب والدقة كذلك في رسم الشخصيات والخلفيات^(٢٧).

ويقول كيرك Kirk إن لغة هوميروس مزيج مصطنع جاء من أماكن متفرقة وأزمنة مختلفة، لأنها نتاج الموروث الملحمي الشفوي، حيث كان كل منشد يبتدع مختلف التراكيب والأشكال اللغوية التي تتواءم مع قدراته وبيئته. وقد نسب ب. شانتراين P.Chantraine بعض هذه التراكيب والأشكال إلى فترة ما بعد هوميروس، ولكن العالم الأسترالي G.P. Shipp أثبت أن معظم ما كان ينسب إلى ما بعد هوميروس في هذه الأساليب اللغوية يعود أصلاً إلى الموروث الملحمي أي ما قبل هوميروس^(٢٨).

Alberto Camerotto, "Aristeia Azioni e tratti tematici delleroe in battaglia", (٢٦)
Aevum Antiquum N.S.I (2001) pp. 263-308.

M.M. Willcock, "The Fighting in the Iliad", Spondes ston omero, (Apo ta practika tou 18th Synedriou 8 yia ten Odysseia 2-5 sept. 1990). Kentro Odysseiakon Spoudon. (Ithaki 1993), pp. 141-147.

H. Erbse, Typical Battle Scenes in the Iliad, Hermes Einzelschriften 21. Wiesbaden 1968.

(٢٧) عن رسم الشخصيات في "الإلياذة" انظر: أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٦٦-٨٠ وراجع:
J. Griffin, Homer on Life and Death. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986, pp. 50-80.

وعن رسم شخصية ملياجروس وأخيلوس وفوينيكس ودوره في وحدة بناء "الإلياذة" راجع:
Andreou I. Boskou Meleagros – Achilleus kai Phoinix: (Symbole eis ten ereunan tes enotetes tes Iliados. (Meleagros – Achilleus and Phoinix. A Contribution to the Study of the Unity of the Iliad) Ph.D. Thesis Leukosia – Cyprus 1974.

P. Chantraine, Grammaire Homerique I. Paris 1958. pp. 15 ff., 44-47. (٢٨)

If. Kirk, Homer and the Epic. Cambridge. Reprint 1996, pp. 141 ff.

B. B. Powell, op. cit., passim.

أما عن آراء شيب فراجع:

G.P. Shipp, "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." Essays in Mycenaean and Homeric Greek. Melbourne: (1961), pp. 1-14.

Idem: Studies in the Language of Homer, Transactions of the Cambridge Philological Society 8. Cambridge 1953.

Idem : Studies in the language of Homer, 2nd ed. Cambridge 1972.

بذلت جهود شتى لتأريخ هوميروس بناء على الدرس اللغوى المنهجى "للإلياذة" و "الأوديسية" وكذا اللهجات الأيولية والأيونية وتطورهما. ولكن النتائج لم تكن مرضية، وإن أسهمت هذه الدراسات فى فهم المزيج العجيب لمكونات اللغة الهومرية. فبالحصر تم اكتشاف عدة طبقات فى لغة هوميروس دون الوصول إلى تاريخ محدد لكل طبقة منها ولا للطبقة الأحدث. ولا يمكن الجزم سوى بتاريخ هو الحد الأقصى أى ٧٣٠-٧٠٠ ق.م وهو التاريخ الأرجح لهيسودوس، وبعبارة أخرى ينبغى أن يكون هوميروس قد عاش قبله *terminus ante quem*.

وعلىنا أن نتذكر رحلة نص "الإلياذة" عبر العصور منذ إنشادها شفويًا وجمعها فى عصر الطاغية بيبسيستراتوس ثم نقدها وتحقيقها فى العصر السكندري^(٢٩). فى كل تلك المراحل مر النص بسلسلة من الحذف والإضافة والتغيير والتبديل فيما بين اللهجات الإغريقية الأيولية والأيونية والأتيكية. وسنعود للحديث عن رحلة نص "الإلياذة" إلينا.

ولكن لا مفر من الإشارة هنا إلى أن الكلام عن لغة هوميروس أمر تكتنفه الكثير من التساؤلات والشكوك. ولعل هذا ما أضاف إلى ملحمة "الإلياذة" مسحة من الغموض وصل بالبعض إلى الاعتقاد أنها لغة سماوية مقدسة.

يرى ريتشارد مارتن **Richard Martin** أن الدرس المقارن لتراث الشعر الملحمى الشفوى فى أفريقيا وأيسلنده وغيرها يوضح أن الأبطال كانوا بمثابة لاعبي أدوار **performers** ملحميين يتبعون أساليب فنية واعية سواء فى الفعل أو القول. وهذه هى النتيجة التى يمكن أن نصل إليها بتحليل الخطب التى يلقيها الأبطال فى

(٢٩) عن التقنية الشفوية فى "الإلياذة" وتأثيرها فى طبيعة اللغة المستخدمة راجع:

M.N. Nagler, *Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer*. Berkeley 1974.

M. Finkelberg, "A Creative Oral Poet and the Muse" *AJPh* 111 (1990) pp. 293-303.

R. Finnegan, *Oral Poetry*. Cambridge 1977.

Richard Bauman, *Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative*. Cambridge University Press 1986.

Claude Calame, "Entre oralité et écriture: Énonciation et énoncé dans la poésie grecque archaïque" *Semiotica* 43, (1983) pp. 245-73.

D. Gary Miller, *Improvisation, Typology, Culture, and "The New Orthodoxy": How Oral is Homer ?*. Washington, D.C.: University Press of America 1982.

"الإلياذة". فهي خطب صيغت بعناية فائقة لتظهر المجد البطولي والبراعة القولية لكل بطل على حدة، مع رسم خلفية اجتماعية مميزة له^(٣٠). فكل بطل في "الإلياذة" يؤدي دوراً ملحماً، ومن ثم فإن لكل بطل لغته المميزة ينفرد بها ويتميز عن غيره، حتى إنه يمكن الحديث عن "لغة أخيليوس"^(٣١). و "لغة هيكتور" وهكذا^(٣٢).

بالدرس اللغوي المتخصص ثبت أن هناك فروقاً بينة في المفردات والتراكيب والأساليب فيما بين الأجزاء السردية والخطب أو الأحاديث المباشرة على لسان الشخصيات نفسها في "الإلياذة". وهذا ما يضع المزيد من المشكلات المعقدة أمام النظرية الشفوية للملاحم الهومرية. بل هناك ما يميز لغة كل بطل عن الآخر في "الإلياذة"^(٣٣).

أما الوزن السداسي hexameton نفسه أداة الشعر الملحمي القوية في "الإلياذة" فهو جزء من تركة الحضارة الموكينية على ما يبدو. فما كان ليصل إلى هذه القوة والعظمة والسلاسة، كما هو عند هوميروس، لولا أنه كان قد مر بفترة طويلة من التطوير والصقل. إنه وزن يقوم على التقسيم الكمي لا الكيفي، أي لا يقوم على النبرة بل على الحروف والمقاطع بمقدار طولها وقصرها، أي على الزمن الذي يأخذه كل منها في النطق. ومع أن الشعر الأوروبي المعاصر يقوم أساساً على النبرة، فإنه من الراجح أن التقسيم الكمي كان هو الأصل وهو المتبع في لغات الأسرة الهند أوروبية بصفة عامة. فهو موجود في السانسكريتية والفارسية على سبيل المثال. وهو نظام أكثر طواعية واستقراراً من النظام القائم على النبرة.

Richard P. Martin, *The Language of Heroes. Speech and Performance in the Iliad*. Cornell University Press 1990, pp. 80-145. (٣٠)

Gordon M. Messing, "On Weighing Achilles' Winged Words". *Language* 57, (1981) pp. 888-900.

Ibid. pp. 146 ff. (٣١)

عن المزيد حول اللغة والأسلوب في "الإلياذة" راجع: (٣٢)

Steven Nims, "The Language of Achilles: Construction vs. Representation". *Classical World* 79, (1986), pp. 217-25.

M.D. Reeve, "The Language of Achilles", *CQ* 23 (1973), pp. 193-5.

Stephen Scully, "The Language of Achilles: The OXΘHEΑΣ Formulas", *TAPhA* 114, (1984) pp.11-27.

Jasper Griffin, "Homeric Words and speakers", *JHS CVI* (1986) pp. 36-57. (٣٣)

G. Horrocks, *Greek: A History of the Language and its Speakers*. Longmann 1997, pp. 17 ff.

لأن الأول يقوم على مبدأ ثابت وهو أن الحرف أو المقطع الطويل عند النطق يأخذ من الوقت ضعف ما يأخذه الحرف أو المقطع القصير. وكل مقطع يأخذ حجمه الطبيعي، كما تحسب الحروف المتحركة والساكنة في العملية كلها. واصطلح الناس على أن هذه الحروف طويلة وتلك قصيرة وتركوا بعضها محايداً، أى يمكن أن يكون طويلاً أو قصيراً^(٣٤).

يتكون الوزن السداسى من ستة أقدام، وكل قدم مكون من داكيتيلون أى مقطع طويل متبوع بآخرين قصيرين (U U —)^(٣٥). ويمكن أن يستبدل بأى قدم مسن الأقدام الستة الداكتيلون قدم سبوندى أى مقطعان طويلان (— —). بل إن القدم السادس يمكن أن يقتصر على مقطعين أحدهما طويل والآخر قصير (U —).

ولا نعرف أين اخترع الوزن السداسى، فلا مثيل له فى الشعر السامى أو الحيثى القديم. وقيل إنه جاء من جزيرة كريت المينوية، ولكننا لا نعرف عن لغة هذه الحضارة ما يكفى للتثبت من ذلك. الأرجح إذن أنه اختراع إغريقى قائم على التقسيم الكمى المعروف فى أسرة اللغات الهند أوروبية. ولقد ساعدت طبيعة اللغة الإغريقية نفسها على اختراع هذا الوزن، فهى تتناغم معه تماماً. وعلى أية حال فإن هذا الوزن قد عاش فيما بين ١٤٠٠ ق.م. تقريباً وحتى آخر ملاحم العصر القديم فى القرن الخامس الميلادى. وقد ينازعه أى وزن آخر فى طول البقاء، ولكنه يقف بلا منازع من حيث إنه لم يفقد شيئاً من كيانه الأساسى طوال حياته مع حدوث تطور لغوى وفكرى ضخم، بل ومع تنوع الموضوعات التى صيغت فيه من الملاحم مسرفة الطول إلى الأغاني القصيرة للغاية^(٣٦).

(٣٤) عن تقنيات هوميروس الشعرية راجع:

A.J.B. Wace & F.H. Stubbings (edd.), *A Companion to Homer* (Macmillan 1962), pp. 19-214 (By J.A. Davison).

وقارن أحمد عثمان: "الوزن الساتورى والأصول المحلية للأدب اللاتينى" مجلة الشعر القاهرية عدد ١٨ (أبريل ١٩٨٠) ص ٥٠-٥٧.

(٣٥) العلامة — تعنى حرفاً أو مقطعاً طويلاً والعلامة U تعنى حرفاً أو مقطعاً قصيراً وهى علامات متداولة ومعروفة فى علم العروض الإغريقى. وعن الأوزان بشكل مبسط راجع:

D.S. Raven, *Greek Metre. An Introduction*. Faber and Faber, London 2nd ed. 1968.

(٣٦) للمزيد عن تقنيات "الإلياذة" الشعرية راجع:

H. Erbse, *Epic verse before Homer*. Amsterdam 1981.

W.S. Allen, *Vox Graeca The Pronunciation*. 3rd edition. Cambridge 1987.

خامساً: العالمان المتوازيان والتوهج الشعري فى التشبيهات

ومن بين التقنيات الشعرية المميزة فى "الإلياذة" تبرز التشبيهات. وقد سبق لنا أن تناولنا التشبيهات الهومرية وموقعها فى إطار الفن الملحمي^(٣٧). وقد يكون من المفيد هنا ونحن بصدد التقديم للنص الهومري المترجم أن نسلط الضوء على بعض النواحي فى هذه التشبيهات التى بلغت حوالى ١٨٠ تشبيهاً مفصلاً فى "الإلياذة"، وسنورد بعد قليل قائمة بهذه التشبيهات. والملاحظة الأولى عليها أنها متسعة الأفق ومتنوعة. والتشبيهات الهومرية^(٣٨) إما قصيرة جداً وعابرة وإما مطولة تستهدف أن تطبع فى نفوس سامعيها أدق التفاصيل، ويستخدم هوميروس كلا من النوعين بصفة مستمرة. وهو أحياناً يستطرد فى التشبيهات المطولة إلى حد أنها تبدو للوهلة الأولى منفردة أو مفككة الأوصال. بيد أننا إذا دققنا النظر يمكن أن نعتبر هذا التطويل أو التمديد شيئاً ملائماً للسياق الذى ورد فيه. والانطباع العام الذى يخرج به السامع أو القارئ لملاحم هوميروس هو الانطباع نفسه الذى يحس به المرء عندما يشاهد بعض لوحات الرسم، حيث يحرص مبدعوها على أن يضيفوا - إلى جوار الموضوع الرئيسى الذى تسلط عليه الأضواء - ما يسمح لنا بإلقاء نظرة من نافذة جانبية صغيرة على مشهد طبيعى ساحر ومرسوم بعناية فائقة. وهو منظر يعكس الحياة الرعوية الوديعه. وبعض المشاهد الهومرية موروثة وقديم يمكن أن نعود به إلى العصر الموكينى. وبعضها أصيل مبتدع، أو بالأحرى مستمد من الحياة اليومية لعصر هوميروس نفسه. وكأن هوميروس الذى أدرك فظائع الحرب التى يصف أحداثها ويغوص فى تفاصيل أهوالها يعوض مستمعيه بهذه المناظر الجانبية الوديعه. فهو مثلاً يصف رجلاً يقع من فوق عربته الحربية على رأسه وتظل هذه الرأس مغروزة فى الرمال ! وفى مكان آخر يصيب حجر مقذوف عين أحد الرجال فيخلعها وتسقط العين على التراب تحت قدميه أو قدمى عدوه!! وفى مقابل ذلك يقدم هوميروس صورة رومانسية لطفلة صغيرة تجرى وراء أمها وبعينين مغرورتين بالدموع ترفع يديها إليها لكى ترفعها إلى أحضانها وتأخذها معها أنى ذهب. وهذه

(٣٧) أحمد عثمان: "الأدب الإغريقى"، ط ٣، ص ٥٥-٥٧.

(٣٨) C. Moulton, "Similes in the Homeric Poems", Hypomnemata XLIX Goettingen 1977.

ونشرت حديثاً بالعربية الدراسة التالية: منيرة كروان، "التشبيهات فى الإلياذة بانوراما الحياة والسطاء والطبيعة". مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٦١ عدد (١) (يناير ٢٠٠١) ص ٥١٥-٥٥٩.

الأمر الصغير الجانبية هي التي ترسم الخلفية الرقيقة والشفافة للأحداث الملحمية الضخمة. وبالطبع استخدم هوميروس لغة تتناغم مع كل لون من هذين اللونين في ملحمة - والحياة بصفة عامة - سواء هذا اللون الوديع أو ذلك الفظيع في قناتمه وعنفه. وقد لا نجد في الأدب الإغريقي كله ما يفوق رقة هوميروس شاعر الملاحم والمعارك وهو يصور مشهد الغرام بين زيوس وزوجته هيرا التي أغوته وتقول له (الكتاب الرابع عشر، أبيات ٣٣٠-٣٤٠):

"يا أكثر نسل كرونوس هولاً، أى قول هذا الذى نطقت به !

إذا كنت حقاً تهفو الآن لمضاجعتي هنا، فوق قمة إيدا ؛

فإن كل شيء هنا مكتشف للعيان. ماذا لو أن أحداً من الآلهة الخالدة

رآنا نحن الاثنين مضطجعين، وذهب وفضح الأمر للآلهة جميعاً ؟

حينئذ لن أعود إلى مقرك ثانية

بعد النهوض من مضجعي، سيمنعني الحياء.

لكن إذا كانت بك رغبة ويسعد قلبك أن تشبعها،

فثمة غرفة بناها لك ابنك العزيز

هيفايستوس، وقد ثبتت أبواباً منيعة على قوائمها

فهيا نذهب إلى هناك، ونتحاب، طالما أن العشق بغيتك "

وفي العادة يأخذ هوميروس مادة تشبيهاته من حياة البسطاء، وهو بذلك يخفف من حدة العنف الذى يسود أحداث ملحمة. حقا إن بعض تشبيهاته مستمد من الموروث الملحمي القديم، إلا أن الأغلبية - لاسيما التشبيهات الطويلة والمعتنى بها - من ابتداعه هو وجاءت لترسم ما يراه حوله. وفيها نجد امرأة تهش الذباب عن طفلها، وأخرى تصبغ قطعة من العاج لتصنع سرجاً للحصان. وفيها نجد الرجال يحصدون الشعير، والصبية يضربون حماراً قد انفلتت يجرى أمامهم على غير هدى في حقول الغلال. وفيها أيضاً نلمح طفلاً يبني قلاعاً فى الرمال، ورجالا يسقطون شجرة من عليائها ليصنعوا من أخشابها ألواحاً للسفن. وها هي امرأة تغزل الصوف وتبيع من غزلها ما تعول به أولادها وتصد عنهم مغبة الفاقة. وينطلق بنا التشبيه الهومري أحياناً إلى البرارى مع الرعاة الذين هبطوا يصطادون أسداً بلييل وفي ضوء المشاعل. وأحياناً أخرى نشعر بالراحة والبهجة مع الأطفال الذين شفى أبوهم

من مرض عضال. ونتابع رجلاً يقلب الشواء على النار حتى ينضج. ونتردد مع مسافر يتوقف هنيهة ليتدبر أمره ويفكر فى اختيار الطريق الذى سيسلكه بعد هذه الراحة القصيرة ! ونشاهد صانع الفخار يصنع إناءً مستديرًا مستخدمًا العجلة. وقد يصيبنا الهلع لرجل يفرع أشد الفزع ويقفز إلى الخلف من شدة الهول أمام ثعبان يتلوى. وقد نبكى مع والد يبكى بالدموع أمام محرقة ابنه الصغير الذى دفنه توا. هذه أمثلة قليلة من تشبيهات هومرية لا حصر لها متعددة الألوان وتعكس فى مجموعها حياة البسطاء. ويستطرد هوميروس أحياناً فى تفاصيل أحد التشبيهات مما قد لا يتطلبه الموقف الملحى، أو حتى مما قد يتعارض معه كما يبدو فى ظاهر الأمر. ولكن هذا الاستطراد نفسه يشى بعمق الإحساس وطول معاشة الشاعر لما يصف. وهكذا تكمل التشبيهات الهومرية الحدث الملحى، لأنها توحى بأن العالم البطولى ليس كل شىء عند هوميروس. فمعنى هذا العالم الضخم لا يمكن استيعابه إلا إذا قارناه بعالم آخر بسيط ومتواضع للغاية. فالتشبيهات الهومرية إذن وسيلة من وسائل الشاعر لعقد مقارنة بين العالمين. وبعدها يبرز العالم البطولى الملحى أبقى تأثيراً وأبقى تصويراً من ذى قبل. ولنقرأ هذا التشبيه المطول نسبياً من الكتاب الرابع (أبيات ٤١٩-٤٢٧):

"قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل

اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا

الأمير مربعاً. فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع

وكما يحدث على شاطئ تتردد منه الأصداً وقد أثارت

عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر

موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذوابة

الموجة، وبعدها يعلو زئيرها وهى تتكسر على الشاطئ، وهى

تعلو كل الصخور النائمة والمتناثرة على الشاطئ فى منحنى

قوى وقد قذفتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى

دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب."

ذلك أنه يلز لهوميروس أن يقدم الموضوع الواحد بعدة صور شعرية سريعة ومتتالية. وعلى سبيل المثال نجده فى ٢٢ بيتاً (الكتاب الثانى ٤٥٥-٤٧٦) يورد

خمسًا من الصور الشعرية المتتالية. وفي سياق السرد الملحمي تأتي هذه التشبيهات بمثابة التوهج التلقائي لجذوة القص الشعري، أو هي استجابات طبيعية لمطالبات السرد الملحمي الجذاب.

يقول جيب **Jebb** إن هذه التشبيهات ليست مجرد زخرف، فهي تستخدم لتقديم شيء ما يريد الشاعر أن يكون أكثر تأثيرًا مثل نظرة معينة، صوت ما، لحظة من الحدة أو العجب أو الخوف أو الشفقة، وفي كلمة واحدة يقدم شيئًا فريدًا. فهذه التشبيهات إذن استجابات من قبل الشاعر الراوى لمطالب تفرضها الرواية الملحمية نفسها ويتطلبها إلحاح الذوق العام لدى مستمعيه^(٣٩).

(٣٩) N.C. Jebb, *Homer: An Introduction to the Iliad and the Odyssey*. Glasgow. Sixth Edition 1898, pp. 26-7.

قائمة بالتشبيهات الواردة في "الإلياذة".

رقم الأبيات	أركان التشبيه
ك ١ (*)	
٤٧	مجيء أبوللون مثل هبوط الليل
١٠٤	عينا أجاممنون مثل اللهب المتأجج
ك ٢	
٩٣-٨٧	الجيش المحتشد مثل سرب النحل
١٤٩-١٤٤	إثارة الحشود المجتمعة مثل الريح تعصف بالغلال.
٣٩٧-٣٩٤	صيحات الأرجيين مثل زئير مياه البحر على الشاطئ
٤٨٣-٤٥٥	جمع الحشد مثل تجمع الأوز في المراعى ومثل سحابة مسن الذباب، وابن أتريوس مثل ثور يفود قطيعاً
ك ٣	
١٤-٢	تقدم الطرواديين إلى المعركة مثل طيور الكركى وهم أيضاً مثل الضباب الذى يغطى التل
٣٧-٢١	القتال بين مينيلأوس والكسندروس مثل أسد يلاحقه صائد أو مثل ثعبان يراه مسافر
٦٣-٦٠	صلابة هيكتور مثل بلطة نجار السفن
١٥٢-١٤٨	برياموس ومستشاروه مثل الجدجد أو صرار الليل
ك ٤	
٧٨-٧٥	تهبط أثينة إلى الأرض كما تهوى النجوم
١٣١، ١٣٠	تحمى أثينة مينيلأوس كما تدافع أم عن ابنها
١٤٧-١٤١	يشبه جرح بقطعة عاج لطختها بقعة قرمزية
٢٨٢-٢٧٥	يتقدم الجيش الإغريقى وكأنه عاصفة هوجاء هبت على صفحة البحر
٤٥٦-٤٢٢	يشبه تصادم الإغريق بالطرواديين بتلاطم الأمواج وتداخل تيارات المياه الجارفة، أما صرخات الطرواديين المضطربة فمثل ثغاء الأغنام
٤٨٩-٤٨٢	يشبه سقوط محارب بسقوط شجرة

أركان التشبيه	رقم الأبيات
<p>المعية ديوميديس الإلهية مثل النجم البازغ تشبه هجمة ديوميديس بتيار جارف هيجته العاصفة تشبه غضبة ديوميديس الجنونية بهجوم أسد على قطيع من الأغنام يثير الجيش الآخى المتقدم الغبار كما تذر الرياح القش المحاربون الواقفون يشبهون السحب فوق قمة الجبل يسقط الضحايا بسلاح آينياس كما يسقط الأسود بضربات الصيادين يتراجع ديوميديس أمام آريس مثلما يتراجع المسافر أمام نهر فياض تقاس قفزة خيول هيرا كما يقاس الأفق يصعد آريس إلى السماء فى سحابة سوداء مثل ارتفاع الأمواج أمام عاصفة هوجاء يجف الجرح بسرعة ويندمل كما تخثر الإنفحة اللبن</p>	<p>ك ٥ ٨-٤ ٩٤-٨٥ ١٤٣-١٣١ ١٦٤-١٦١ ٥٠٥-٤٩٩ ٥٢٧-٥٢٢ ٥٦٣-٥٥٤ ٦٠٠-٥٩٦ ٧٧٢-٧٦٧ ٨٦٧-٨٦٤ ٩٠٤-٩٠٢</p>
<p>حياة البشر مثل أوراق الشجر يشبه دخول باريس إلى المعركة بانطلاق حصان إلى الوادى بعد أن تغذى جيداً فى الحظيرة</p>	<p>ك ٦ ١٤٩-١٤٦ ٥١٤-٥٠٣</p>
<p>جاء دخول هيكتور وباريس إلى المعركة بالنسبة للطوراديين مثل هبوب ريح موآتية للسفن والبحارة يشاهد الآلهة والبشر المعركة فالآلهة مثل النسور والبشر مثل الرياح الغربية زيڤيروس تهيج صفحة المحيط</p>	<p>ك ٧ ٧-١ ٦٦-٥٤</p>
<p>يضغط هيكتور على الآخيين كما يطارد كلب الصيد حيواناً مفترساً تشبه المشاعل الموقدة للمنتصرين بالنجوم فى ليلة ذات سماء صافية</p>	<p>ك ٨ ٣٤٢-٣٣٦ ٥٦١-٥٥٣</p>

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٩ك ١٦-١	يشبه الآخيون في حزنهم بالأمواج التي تضربها الرياح، أما دموع أجاممنون فهي كالمياه المتدفقة على صخرة
١٠ك ١٠-١ ١٨٨-١٨١ ٣٦٤-٣٥٨	تتردد أنات أجاممنون مثل ومضات البرق يشبه القادة الإغريق في يقظتهم بكلاب الحراسة حول قطيع يشبه الذين يلاحقون دولون بكلاب الصيد تطارد فريستها
١١ك ٧٣-٦٢ ١٢١-١١٣ ١٥٩-١٥٥ ١٧٨-١٧٢ ٢٩٨-٢٩٢ ٣٠٩-٣٠٤ ٣٢٦-٣٢٤ ٤٢٠-٤١١ ٤٨٦-٤٧٣ ٤٩٧-٤٩٢ ٥٦٥-٥٤٤	يشبه هيكتور بالنجم سيربوس (الشعري اليمانية)، أما المتحاربون فهم كالحاصدين في حقل الحصاد يقتل ولدا برياموس على أيدي العدو كما يقتل أسد الأيلة يتقدم أجاممنون مثلما تلتهم النار غابة يشبت أجاممنون شمل الطرواديين كما يمزق الأسد فريسته يشبه هيكتور بحيوان مفترس، أما اندلاع المعركة فمثل انطلاق العاصفة يفر الأعداء أمام هيكتور مثلما تسوق الرياح الغربية الغيوم يشبه أوديسيوس وديميديس بحيوانين مفترسين في غار يشبه أوديسيوس بدب وحشى يحيط به الصيادون وكلابهم يلحق الطرواديون أوديسيوس كما يلاحق ابن آوى غزالاً، أما أياص الذى أسرع لنجدته فمثل الأسد الذى فر أمامه ابن آوى قوة آينياس مثل قوة مجرى مائى ينحدر من فوق الجبل يتراجع أياص ببطء أمام العدو مثل أسد أرغمه المزارعون على الانسحاب أو مثل حمار عنيد أراد الصبية أن يبعده عن حقل الغلال
١٢ك ٥٠-٤١	هيكتور مقتحماً الخندق الإغريقى مثل أسد يتدافع حوله الصيادون وكلابهم

رقم الأبيات	أركان التشبيه
١٣٦-١٣١	حراس البوابة مثل أشجار البلوط غائرة الجذور
١٧٢-١٤٥	المحاربان عند البوابة مثل دب مندفع وتتساقط القذائف من الجانب الإغريقي والطروادى مثل عاصفة تلجية. ويشبه الأبطال الآخيون بالنحل المدافع عن خليته
٢٨٧-٢٧٨	تساقط القذائف مثل تساقط الثلج فى يوم بلا رياح
٣٠٨-٢٩٨	يهاجم سارييدون الحائط الإغريقى كما يهاجم أسد جائع مزرعة
٤٣٦-٤٢١	التحصينات التى تفصل بين طرفى القتال مثل حائط يفصل جارين متنازعين، ويقف الآخيون مثل امرأة ماهرة تمسك بالميزان
١٣ ك	
٦٥-٦٢	يشبه رحيل بوسيدون بانقضاض الصقر على فريسته
١٠٦-٩٩	يشبه فرار الطرواديين بهروب الغزلان أمام الحيوانات المفترسة
١٤٦-١٣٦	يشبه تصدى الإغريق لهجوم هيكتور بجلمود صخر يتدحرج على التل ويستقر على سطح الوادى
١٨١-١٧٨	يشبه سقوط إمبريوس بسقوط شجرة البلوط الجبالية إذ قطعها جامع الأخشاب
٢٠٢-١٩٨	حمل الثنائى أياس جثمان إمبريوس كما يحمل أسدان عذرة
٢٤٥-٢٤١	يسرع إيدومينيوس لتقديم النجدة كأنه وميض البرق الذى يرسله زيوس من فوق الأوليمبوس
٣٠٥-٢٩٨	يتسلح ميريونيس وإيدومينيوس للمعركة كأنهما آريس وابنه فوبوس (الخوف)
٣٣٧-٣٣٤	التقاء الطرواديين والإغريق مثل التقاء سحابتين من الغبار المثار
٣٩٢-٣٨٩	سقوط آسيوس الضخم مثل سقوط شجرة باسقة على تل وقد قطعها نجار السفن
٤٧٧-٤٧٠	يترقب إيدومينيوس قدوم آينياس كما يترقب الدب الوحشى الصيادين وكلايهم
٤٩٥-٤٩١	يقود آينياس شعبه كما يقود الكباش قطيعًا إلى نبع الماء

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٥٧٣-٥٧٠	يشبه صراع أداماس مع الموت بمقاومة ثور صغير للرعاة الذين شددوا القبضة عليه
٥٩٢-٥٨٨	يشبه بريق السهم فى أسلحة مينيلأوس ببريق القش الذى تذروه المدراة
٧٠٨-٧٠١	يشبه الثنائى أياس فى تحركهما عبر الحشد دون تذبذب بثورين يجران سهم المحراث فى أرض مراحة
٨٠١-٧٩٥	تشبه الهجمة الطروادية بانطلاقة العاصفة الرعدية التى تجتاح البر والبحر
ك ١٤ ٢١-١٦	عقل نيسطور يتردد بين خطتين مثل مياه البحر تظل ساكنة حتى تهب الريح فتحركها وفق هواها
٢٩١-٢٨٦	إله النوم هيبنوس يحثم على شجرة مثل بومة ليلية
٤٠١-٣٩٣	صخب المعركة بين الجيشين مثل تلاطم الموج على الشاطئ
٤١٨-٤١٤	ومثل زئير غابة تحترق ومثل صفير الريح بين الأشجار
	يشبه هيكتور الذى ضرب بحجر فوق على الأرض بشجرة بلوط اقتلعت من جذورها ببيلة زيوس نفسه
ك ١٥ ٨٣-٨٠	تسرع هيرا من إيدا إلى الأوليمبوس فتشبه فى سرعتها بوجع الحنين يطراً على قلب المسافر العائد
١٧٢-١٦٨	تسرع إيريس لتبلغ رسالة زيوس فتشبه بقطع الثلج الطائرة فى هواء ثلجى
٢٣٨-٢٣٦	يهبط أبوللون من إيدا كصقر ينقض على فريسته
٢٨٠-٢٧١	يفزع الإغريق لظهور هيكتور المفاجئ كما يفزع الصيادون عند ظهور الأسد فجأة
٣٢٧-٣٢٣	يرعب أبوللون الإغريق ويبعثهم كما تتبعثر الأغنام عندما تباغتها الحيوانات المفترسة ليلاً

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يدمر أبوللون الحائط الإغريقي كما يدمر طفل قصرًا كان قد بناه من الرمل على شاطئ البحر	٣٦٦-٣٦١
يتدفق الطرواديون على الحائط الإغريقي كما تتدفق الأمواج على جانب السفينة	٣٨٤-٣٨٢
معركة متوازية ومتساوية بين الطرفين تشبه بقطعة من الخشب سواها النجار	٤١٣-٤١٠
تشبيه مزدوج ففي الجزء الأول يشبه أنتيلوخوس وهو ينقض على ميلانيبوس بكلب شرس ينقض على ظبي. وفي الجزء الثاني يشبه أنتيلوخوس المسرع تجنبًا لهيكتور بحيوان مفترس بعد أن قتل ضحيته وفر انتقاء للملاحقة	٥٨٩-٥٧٩
تشبه غضبة هيكتور بغضبة إله الحرب أريس أو بنار تلتهم أجمة على جنب التل	٦٠٦-٦٠٥
مجموعة تشبيهات متتالية: هجمة هيكتور على الإغريق تشبه بزبد البحر المرتد من ظهر صخرة، وتشبه كذلك بموجة عارمة تضرب سفينة في عاصفة، ثم تشبه بهجمة أسد على قطيع من الأغنام تهرب جميعًا فيما عدا ما قدر لها أن تقع ضحية	٦٣٨-٦١٧
يقفز أياس على ظهر السفن الإغريقية كلاعب أكروبات ماهر يقفز من ظهر جواد إلى آخر (*)	٦٩٣-٦٧٩
يؤنب أخيليوس باتروكلوس لأنه يبكي مثل طفلة صغيرة تجرى بجوار أمها ناظرة إلى أعلى بعينين مغرورتين بالدموع لكي ترفعها أمها بين ذراعيها وتأخذها معها أنى ذهبت	١٦٦-١٥٦
تجمع الميرميدونيين مثل تجمع الذئاب، بعد قتل غزالة، حول نبع مائي لكي تروى ظماها	٢١٤-٢١١
تماسك حشود الميرميدونيين وكثافتها مثل حائط متين البنيان تدافع الميرميدونيين من سفنهم مثل الزنابير التي انطلقت من أوكارها عندما استفزها أحد الصبية	٢٦٧-٢٥٩

(*) من المدهش أنه تم العثور على رسم جداري يعود لحضارة كريت المينوية ويصور مشهدًا مماثلًا.

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يشبه انفلات الإغريق من الطرواديين فجأة بانبلاج الضوء بين السحب	٣٠٢-٢٩٧
يهاجم قادة الإغريق الطرواديين كما تهاجم الذئاب قطعان الأغنام التى لا حارس عليها	٣٥٧-٣٥٢
يطرد الطرواديون من السفن كما يطرد الضباب من فوق جبل	٣٦٦-٣٦٤
يندفع الطرواديون فى اضطراب وخوف كما يضطرب الماء المنجرف من فوق جبل إلى البحر	٣٩٣-٣٨٤
يجر باتروكلوس ثيستور من فوق عربته كما يسحب الصياد سمكة من البحر	٤٠٩-٤٠٦
يهجم سارييدون وباتروكلوس على كل منهما الآخر بصيحات مدوية وكأنهما صقران	٤٣٠-٤٢٨
تشبيه مزدوج حيث يشبه موت سارييدون بسقوط شجرة قطعها جامع الأخشاب، ويشبه كذلك بسقوط ثور هاجمه أسد	٤٩١-٤٨٢
يندفع باتروكلوس إلى الأمام وكأنه صقر يهاجم سرباً من الطيور	٥٨٣-٥٨٢
يولى الطرواديون الأدبار أمام الإغريق وكأنهم سهم مقذوف	٥٩٢-٥٨٩
النزاع بين المتحاربين على جثة سارييدون مثل النزاع بين قاطعى الأخشاب فى غابة	٦٤٤-٦٣٣
يتصارع هيكتور وباتروكلوس على جثة كيريونيس كما يتصارع أسدان على جثة غزالة	٧٧١-٧٥١
يسقط باتروكلوس مقتولاً على يد هيكتور كما يسقط حيوان مفترس هاجمه أسد	٨٢٨-٨٢٣
يدافع مينيلأوس عن جثة باتروكلوس كما تدافع بقرة عن وليدها	١٧٤-٦
يشبه سقوط يوفوربوس بسقوط شجرة زيتون أطاحت بها الرياح العاصفة وبثور مزقه أسد وحشى	٦٩-٥٣
ينسحب مينيلأوس أمام هيكتور مثل أسد يلاحقه الصيادون وكلابهم	١١٣-١٠٦

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يحمى أياس جثة باتروكلوس كما يحمى الأسد أشباله	١٣٧-١٣٢
يشبه الصياح الموابك للهجمة الطروادية بزئير أمواج النهر في تدافعها إلى البحر عند المصب	٢٦٦-٢٦٣
يمزق أياس صفوف الطرواديين كما يمزق دب وحشى شمل جماعة الصيادين	٢٨٥-٢٨١
يشبه الصراع بين الفريقين المتحاربين على جثة باتروكلوس بشد جلد الثور بين فريقين متنازعين	٣٩٥-٣٨٩
تحزن خيول أخيليوس على موت باتروكلوس فتقف ساكنة وكأنها عمود أقيم فوق مقبرة	٤٣٧-٤٣٤
يسقط أرييتوس ميتاً كما يسقط ثور بضربة من فأس الجزار	٥٢٣-٥٢٠
تتشح أثينة بضباب أسود كما يتشح قوس قزح بسحابة قرمزية الشجاعة التي بثتها أثينة في مينيلأوس تشبه جسارة ذبابة عنود	٥٥٢-٥٤٧
يتراجع مينيلأوس كرها كأسد أنهك بعد تكرار هجمات الصيادين والكلاب عليه	٥٧٣-٥٦٩
يبحث مينيلأوس عن أنتيلوخوس بنظرات ثاقبة كصقر يبحث عن فريسته	٦٨١-٦٧٣
مجموعة صور شعرية متتالية:	٧٥٩-٧٢٢
يرفع الثنائى أياس جثة باتروكلوس ويتعدان بها فيهما جمهما الطرواديين وكأنهم كلاب صيد تطارد دُباً جريحاً. ثم تشبه هجمة الطرواديين بالنيران التي اندلعت فجأة في مدينة مكتظة بالسكان. ومن جهة أخرى يشبه حاملو جثمان باتروكلوس ببغال تجر حملاً ثَقِيلاً في طريق جبلى وعر. أما أياس السذى يصد المهاجمين فهو كالصخرة التي تحول مجرى مياه جارفة. أما هجمة آينياس وهيكتور على الإغريق فمثل هجمة الحدأة على صغار الطير	
لا يمكن الهجوم على هيكتور، فهو كالأسد لا يمكن للرعاة أن يصدوه عن أغنامهم	ك ١٨ ١٦٤-١٦١

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يشبه البريق الصادر من فوق رأس أخيليوس بالشفلة من تحت الدخان المنبعث من مدينة محاصرة	٢٠٥-٢١٤
صيحة أخيليوس فوق الخندق مثل صوت البوق	٢١٩-٢٢١
حزن أخيليوس على فقدان باتروكلوس مثل حزن أسد عاد إلى عرينه فلم يجد أشباله فتيقن من اختطافها	٣١٨-٣٢٣
تشبه دائرة الرقص بعجلة صانع الفخار	٥٩٩-٦٠١
يشبه هبوط أثينة من السماء بهبوط نسر من أجواز الفضاء	٣٤٩-٣٥١
يشبه بريق خوذات المحاربين ببريق قطع الثلج الهابط من السماء	٣٥٧-٣٦٣
يشبه البريق المنبعث من درع أخيليوس بنار مشتعلة فوق الجبل	٣٧٣-٣٧٩
تشبه الحالة النفسية لأخيليوس وهو يتأهب لملاقاة آينياس بالأسد الذى يستنفر قواه لملاقاة الأعداء	١٦٤-١٧٥
يشبه زئير هيوداماس وهو يحتضر بخوار الثور على المذبح	٤٠٣-٤٠٦
تشبيه مزدوج فأخيليوس يشبه ناراً تلتهم غابة، أما خيوله التى تدوس الموتى فهى كالثيران التى تدرس الغلال	٤٩٠-٤٩٩
يطرد الطرواديون إلى النهر كما يطرد الجراد	١٢-١٦
يهرب الطرواديون أمام أخيليوس كما يهرب السمك أمام الدolfin	٢٢-٢٦
يفر أخيليوس أمام إله النهر الذى يطارده بإصرار كما تفر المياه فى مجراها أثناء الرى	٢٥١-٢٦٤
يجفف هيفايستوس إله النار الوادى كما تجفف الرياح الشمالية الكرمة أثناء الخريف	٣٤٦-٣٤٨
تغلى مياه النهر سكماندروس كما تغلى المياه فى مرجل	٣٦٢-٣٦٥
تفر أرتميس من هيرا كما تفر حمامة من حداة تطاردها	٤٩٣-٤٩٦

أركان التشبيه	رقم الأبيات
الأسى الذى يسببه أخيلئوس للطرواديين يشبه الدخان الذى ينبعث من مدينة محكوم عليها بالفناء	٥٢٥-٥٢٢
تشبه شجاعة أجينور شجاعة النمر الذى يستدير لمواجهة ملاحقه	٥٨٠-٥٧٣
يشاهد برياموس من فوق أسوار طروادة أخيلئوس (وهو يطارده ابنه هيكتور) فيلمع سلاحه مثل نجم أوريون (الكلب)	٢٢ ك ٣٢-٢١
ينتظر هيكتور هجمة أخيلئوس عليه كما ينتظر ثعبان وحشى عند مدخل جحره رجلا يهاجمه	٩٧-٩٣
يلمع سلاح أخيلئوس فوق هيكتور كشعلة النار أو كإشراقة الشمس، ويجهز أخيلئوس على عدوه كما ينقض الصقر على حمامة	١٤٤-١٣١
السباق حول المدينة بين هيكتور الفار أمام ملاحقة أخيلئوس مثل سباق الخيول فى سباق العربات	١٦٦-١٥٧
لا زالت الملاحقة حول أسوار طروادة مستمرة فيشبه هيكتور بظبى صغير يلاحقه كلب ضارى، ثم يتبع ذلك تشبيه مأخوذ من حلم، حيث لا يستطيع الحالم أن يتبين ملاحم من يجرى أمامه	٢٠١-١٨٩
يشهر هيكتور سيفه ويهجم على أخيلئوس مثل صقر يهجم على ظبى صغير	٣١١-٣٠٨
يشبه سهم أخيلئوس المشهر بنجم المساء فى زهوته	٣٢٠-٣١٧
يشبه بكاء أخيلئوس على موت باتروكلوس ببكاء أب فقد ابنه	٢٢٥-٢٢٢
يسبق أنتيلوخوس مينيلائوس بقدر ما يسبق القرص من قذفه	٤٣٣-٤٣١
يقترّب مينيلائوس من أنتيلوخوس بقدر ما تقترب عجلة العربّة من ذيل الحصان	٥٢٢-٥١٧
يزوب غضب مينيلائوس كما تنوب قطرات الندى	٦٠٠-٥٩٦
يقذف بيوريالوس كما تقذف الريح بسمكة على الشاطئ	٦٩٤-٦٩٢

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٧١٣-٧١١	يشبه مصارعان بعارضتين خشبيتين تستند كل منهما على الأخرى
٧٦٣-٧٥٩	يلحق أوديسيوس منافسه فى الجرى كما تمسك امرأة مغزلها بالقرب من صدرها
٨٤٧-٨٤٤	يقذف بوليبيوتيس كتلة الحديد (القرص) كما يهوى الراعى بعصاه على أغنامه.
ك ٢٤	
٤٤-٤١	يشبه اندفاع أخيلئوس باندفاع أسد ضارى
٨٢-٧٧	يشبه غوص إيريس فى أعماق البحر بغوص شخصية مثقلة بالرصاص فى الماء
٤٨٣-٤٨٠	ينظر أخيلئوس باحترام وعطف إلى برياموس كما لو كان لاجئاً جريحاً من بلد أجنبى

تبدو بعض هذه التشبيهات وكأنها "جاهزة" وليست وليدة اللحظة، فهي مأخوذة من المخزون التقليدى الموروث. خذ على ذلك مثلاً بأكثر التشبيهات شيوعاً ونعنى الأسد. فليس من الضرورى أن يرى شاعر أو منشد "الإلياذة" أسداً، ولكنه عرف من الموروث الشفوى ماذا يفعل الأسد الجوعان أو الشبعان، وماذا يفعل عندما يهاجم الحظيرة أو يعود منها، وما رد فعله عندما يجرح أو عندما ينتصر. كلها تشبيهات جميلة وحية ولكنها تبدو مثل قطع الغيار الجاهزة، والتي يمكن أحياناً إساءة تركيبها أو وضعها فى مكان غير ملائم^(٤٠).

وتتكرر التشبيهات فى "الإلياذة" كما تتكرر الصفات^(٤١). ويتميز هوميروس بتكرار العبارات الملحمية المألوفة والموروثة التى - مع ذلك - تخلق انطباعاً بالأصالة والواقعية. فكما أن تكرار هذه العبارات والحوادث هو نتاج طبيعى لتراكم

(٤٠) Murray, The Rise of the Greek Epic, p. 245-9.

(٤١) عن تكرار الصفات وارتباط ذلك بالثقافة الشفوية راجع:

Paolo Vivante, The Epithets in Homer: A Study in Poetic Values. New Haven: Yale University Press 1982.

وقارن أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٤١-١٠٢.

الرواية الشفوية^(٤٢)، فإنه عند هوميروس بصفة عامة يعمل على طبع هذه الحوادث والعبارات في ذهن الراوى والسامع معاً. يورد الشاعر تفاصيل كثيرة ودقيقة توحى بأن الشاعر كما لو كان يشاهد أحداثاً فعلية ومناظر طبيعية ويصفها لنا بدقة متناهية على سبيل المثال: زينة الخيول، وسلاح المحاربين، وأحداث المعارك، وسقوط الأبطال بدءاً بجراحهم وحتى انتقالهم للعالم الآخر. كما يتسم الأسلوب الملحمى النمطى عند هوميروس بالحيادية، أى أنه يترك الجمهور يحس بنفسه ولنفسه. وهذا أسلوب يدفع هذا الجمهور إلى تركيز الانتباه فى كل صغيرة وكبيرة مما يروى عليه. وهناك تشبيهات حيرت النقاد مثل ذلك التشبيه فى الكتاب الثالث عشر بيت ٧٥٤ حيث يشبه هيكتور بطل المقاومة الطروادية وقائد الهجوم على السفن الإغريقية وحرقتها بأنه مثل الجبل الثلجى ! فحتى لو قلنا إنما هى إشارة للتهور أو التدهور الجبلى المفاجيء والمدمر يظل التشبيه غريباً.

وجدير بالذكر أن التشبيهات فى "الإلياذة" ليست سوى جزء يسير من كل أكبر، ونعنى لغة المجاز بصفة عامة. إذ تكتسب لغة المجاز فى "الإلياذة" أبعاداً أوسع وأعمق بفضل الأسطورة التى تدخل فى نسيج الملحمة شكلاً ومضموناً. إذ نجد الأشياء مثل الأحياء تتحرك وتتفاعل مع الأحداث وتؤثر فيها. ومن ثم تأتى التشبيهات فى هذا الخضم المجازى والأسطورى متناغمة مع الجو العام. فمن الملاحظ على سبيل المثال أن الكثيرين من أبطال "الإلياذة" عندما يتحدثون يطلقون "كلمات مجنحة" *epea pteroenta* (الكتاب الأول ٢٠١، الكتاب الثالث ١٥٥، الرابع ٦٩ إلخ) وكذلك توصف السهام بأنها مجنحة (الكتاب الرابع ١١٧) فالكلمات مثل السهام فى "الإلياذة" باعتبارها أداة من أدوات الحرب الطروادية^(٤٣).

(٤٢) W.C. Scott, *The Oral Nature of the Homeric Simile*. Leiden 1974.

(٤٣) للمزيد عن التشبيهات ولغة المجاز فى "الإلياذة" راجع:

Claude Calame, *op. cit.*, pp. 245-73.

George Calhoun, "The Art of the Formula in Homer - ΕΠΙΕΑ ΠΤΕΡΟΕΝΤΑ"
Ph. 30, (1935) pp. 215-27.

M.W. Edwards, *Homer and Oral Tradition: The Type Scene*. Oral Tradition 7
(1992), pp. 284-330.

R. Finnegan, *Oral Poetry*. Cambridge, 1977.

وعن تأثير التشبيهات الهومرية فى الآداب الأوروبية راجع:

G. Highet, *The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature*. Oxford at the Clarendon Press 1949, pp. 155 f.

سادساً: وحدة الحدث الملحمي

قبل فقهاء الإسكندرية - لاسيما زينودوتوس وأريستارخوس - بعض الأبيات في "الإلياذة"، ورفضوا البعض الآخر على أساس أنها منتحلة. ووصلتنا الآلاف من الأبيات من "الإلياذة" الهومرية على أوراق البردى. وهناك نقول لا حصر لها في الأعمال الأدبية الإغريقية واللاتينية. ولا زالت هناك فجوات كثيرة ومشكلات عويصة في بنية النص وقواعده النحوية، ومشكلات أكثر بالنسبة للوزن السداسي التي نظمت فيه. ولكن على القارئ أن ينسى كل تلك المشكلات وهو يقرأ الترجمة التي نقدم لها. وعليه أن ينسى أيضاً المشكلة الهومرية بكل تفاصيلها.

هناك بعض المثالب في "الإلياذة"، أولها الموضوع أى غضبة أخيليوس كما سبق أن ألمحنا، فهي لا توفر مادة شعرية ملحمة. وما وجه الملحمة في أخيليوس العبوس مقطب الجبين في خيمته بعيداً عن ميدان المعركة؟ وشخصية أخيليوس بصفة عامة ليست تلك الشخصية التي تكسب تعاطفنا دون تحفظ. حقاً إنه بليغ في خطابه، يثير الإعجاب بشجاعته وقوته التي لا تقهر وسرعة قدميه، ولكن معظم القراء في الأغلب لن تجذبهم كبرياؤه القاسية وعنفه الوحشي وذاتيته المفرطة وعدم خضوعه لعاطفة الحب، يستثنى من ذلك حزنه العميق على موت صديقه الحبيب باتروكلوس، واستقباله الودود لبرياموس.

وفي "الإلياذة" توجد بعض التناقضات وبعض نقاط الضعف، فمثلاً الحائط الإغريقي قيل لنا في نهاية الكتاب الثالث عشر إنه بنى في السنة العاشرة من الحرب، ولكن يرد في الكتاب نفسه بيت ٣١ أنه بنى في بداية الحرب. ويقال في الكتاب الثاني عشر بيت ١٠-٣٣ إنه لا يزال صامداً وإنه ظل كذلك حتى نهاية الحرب وحتى غمره الفيضان. وعلى النقيض من ذلك يرد في الكتاب الخامس عشر بيت ٣٦١ قبل موت باتروكلوس أن أبوللون اجتاحه، ودمره كما يدمر طفل قلعة من الرمال بناها على الشاطئ. ودمرت أبراجه في الكتاب الثاني عشر بيت ٣٩٩. ويرد كذلك أن البطل هيكتور كان أول من اجتاحه، ويرد نفس المعنى بالنسبة لساربيدون وبنفس الكلمات (قارن الكتاب الثاني عشر ٤٣٨ و الثالث عشر ٥٥٨).

ويهاجم الطرواديون هذا الحائط في طريقهم إلى السفن الإغريقية، أما في انسحابهم المضطرب فلا وجود لهذا الحائط. ويبدو الأمر كما لو أن الرواية الشفوية المتداولة كانت تتضمن عدة اختيارات، وكان المنشد الملحمي يختار منها ما يشاء أو ما يتوارد على ذهنه، أى أن هذا التناقض يندرج تحت تجليات الرواية الشفوية.

تبلغ "الإلياذة" في طبعة أكسفورد ١٥٦٩٣ بيتًا بالوزن السداسي، تتوزع على الكتب الأربعة والعشرين على النحو التالي:

الأول	٦١١	التاسع	٧١٣	السابع عشر	٧٦١
الثاني	٨٧٧	العاشر	٥٧٩	الثامن عشر	٦١٧
الثالث	٤٦١	الحادى عشر	٨٤٨	التاسع عشر	٤٢٤
الرابع	٥٤٤	الثانى عشر	٤٧١	العشرون	٥٠٣
الخامس	٩٠٩	الثالث عشر	٨٣٧	الحادى والعشرون	٦١١
السادس	٥٢٩	الرابع عشر	٥٢٢	الثانى والعشرون	٥١٥
السابع	٤٨٢	الخامس عشر	٧٤٦	الثالث والعشرون	٨٩٧
الثامن	٥٦٥	السادس عشر	٨٦٧	الرابع والعشرون	٨٠٤

ونلاحظ أن الكتاب الأول: بسيط وطبيعى وينقسم إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول ١-٤٣٠ عن الحرب وأسبابها. الجزء الثانى ٤٣٠-٤٩٢ فاصل زمنى تتم فى أثناءه عودة خريستيس إلى منزلها. الجزء الثالث ٤٩٣-٦١١ تشاور بين الآلهة.

تبدأ الأحداث الملحمية "للإلياذة" فى السنة العاشرة من حصار الإغريق لطرودة. يرسل أبوللون الطاعون على الإغريق استجابة لدعوة من كاهنه خريسيش، الذى أخذت ابنته خريستيس سبية على يد أجاممنون ملك موكيناى. ولدرء هذا الطاعون كان على أجاممنون أن يردها لأبيها، ففعل. ولكنه عوضًا عنها أخذ محظية أخيليوس وهى بريستيس. وكان أخيليوس على وشك أن يهاجم أجاممنون، لولا أن تدخلت أثينة وكبحت جماح غضبه، فاعتزل الحرب وعكف فى خيمته. ووعد زيوس أمه الإلهة ثيتيس أن المصائب ستتحقق بالإغريق بسبب الحيف فى معاملة ابنها بطل الأبطال. وأعطى الإسكندريون للكتاب الأول عنوان: " الطاعون Loimos" و "الغضببة Menis".

ويقع الكتاب الثاني في جزئين رئيسين: الأول ١-٥٤٥ تفقد الجيش الآخى، والجزء الثاني ٤٥٥-٨٧٧ قائمة السفن. إذ يرسل زيوس حلمًا إلى أجاممنون ليقتعه بقيادة الجيش إلى المعركة. ويمر أجاممنون بالفعل على القادة والجنود ويستحثهم على القتال، وعقد اجتماعًا للأمرأ ثم للحشد كله وقص عليهم حلمه. ولكن ظهر أن هناك ميلاً عاماً لفك الحصار حول طروادة والعودة للوطن. ويفلح أوديسيوس واسع الحيلة في تغيير الدفة ويوقع عقاباً مريباً على ثيرسيتيس، الذى تجاسر على الملك أجاممنون. ويستمتع الجميع لنصائح الملك الهرم والحكيم المحنك نيسطور ويستعد الجميع للنزال. وفي هذا الكتاب يرد ما تعارف على تسميته "قائمة السفن" *Katalogos ton neon* (أبيات ٤٥٥-٨٧٧) وهو الجزء الذى يعتبره بعض النقاد دخيلاً أو مقحماً على "الإلياذة". وأعطى السكندريون للكتاب الثانى عنوان: "الحلم *Oneiros*" و "بويوتيا أو قائمة السفن *Boiotia e Katalogos ton neon*".

ويثير الكثير من النقاد الشكوك حول "قائمة السفن" وهناك من يحذفها باعتبارها منتحلة مع مالها من تأثير ضخم فى الأجيال التالية من الشعراء. إذ نشأ ما يمكن أن نسميه أدب القوائم حيث تنسب لهيسودوس قصيدة "قائمة النساء" على سبيل المثال وعرفت لأرسطو عدة قوائم منها قائمة بالعروض المسرحية الأثينية (*didaskaliai*) وهناك قائمة الفائزين المنتصرين فى الألعاب الأولمبية وغيرها الكثير، ثم ازدهرت القوائم فى العصر الهيلينستى وفى الأدب السكندرى^(٤٤).

قائمة السفن المحاصرة لطروادة وعددتها ١١٨٦

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
٥٠	بينيلوس، لينيثوس، أركيسيلوس، بروثونور، كلونيوس	البويوتيون (٢٩ مدينة): هيريا، أوليس، سخوينوس، سكولوس، إيتيونوس، ثيسبيا، جرايا، ميكاليسوس، هارما، إيليسيون، إريثراي، إيليون، هولي، بيتيون، أوكاليا، ميديون، كوباي، إيوترسيس، ثيسبي، كورونيا، هاليارتوس، بلاتايا، جليساس، هيبوثيبي، أونخستوس، أرني، ميديا (Midea)، نيسا، أنثيدون
٣٠	أسكالافوس، يالمينوس	ميثيوس، أورخومينوس، أسبليدون
٤٠	ستديوس، إبيستروفوس	الفوكيون: كيبارسوس، بيثون، أنيموريا، كريسا، داوليس، بانوبيوس، ليلايا، هيامبوليس
٤٠	أياس بن أوليوس	اللوكريون: كينوس، أوبونيس، كالياروس، بيسا، سكارفي، أوجاي، تارفي، ثرويتون
٤٠	إلفينور	الأبانتيون (في يوبويا): خالكيس، إيريتريا، هيسثايا، كيرينثوس، ديون، كاريسوس، ستيرا
٥٠	مينيستوس	الأتثيون: أثينا
١٢	أياس بن تيلامون	أهل سلاميس: سلاميس
٨٠	ديوميديس، سثينيلوس، يوربالوس	الأرجيون: أرجوس، تيرنس، هرميون، أسيني، ترويزن، إيونيس، إبيداوروس، أيجينا، ماسيس

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
١٠٠	أجاممنون	الموكنيون: موكيتاي، كورنثة، كليوناى، أورنياى، أرايثريا، سيكيون، هيريسيا، جونوايسا، بيليني، أيجيون، إيجيالوس، إليكى
٦٠	مينيلاؤس	اللاكيدايمونيون (الإسبرطيون): فارس، اسبرطة، ميسى، بريسيياى، أوجياى، أميكلاى، هيلوس، لاس، أويتيلوس
٩٠	نيسطور	أهل بيلوس: بيلوس، أرينى، تريون، أبى، كيبارسيس، أفيجينيا، بتيلوس، هيلوس، دوريون
٦٠	أجابينور	الأركاديون: فينيوس، أورخومينوس، ريبى، ستراتيا، إنيسى، تيجا، مانتينيا، ستيمفالوس، باراسيا
٤٠	أفيماخوس، ثالبوس، ديوريس، بوليكسينوس	الإلييون (إيليس): بويراسيون، إيليس، هيرمينى، ميرسينوس، أولنيا بيترا، أليسيون
٤٠	ميجيس	الدولخيون: دولخيون، إخيئاى
١٢	أوديسيوس	الكيفالينيون: إيثاكي، نيريتوس، كروكيليا، أيجيالوس، زاكينثوس، ساموس
٤٠	ثواس	الأتوليون: بليورون، أولينوس، بيلينى، خالكيس، كاليدون
٨٠	إيدومينيوس، ميريونيس	الكريتون: كنوسوس، جوريس، ليكتوس، ميليتوس، ليكاستوس، فايسوس، ريتيون
٩	تليبوليموس	الروديون (الروديون): رودس، ليندوس، إيليسوس، كاميروس

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
٣	نيريوس Nireus	السيميون Symioi: سيمي
٣٠	فيديبوس، أنتيفوس	أهل الجزر الاثني عشر Dodekanesioi: نيسيروس، كراباثوس، كاسوس، كوس، جزر كاليدناي
٥٠	أخيليوس	الميرميدونيون: أرجوس البلاسجية، هالوس، ألوبي، تريخيس
٤٠	بروتيسيلأوس	فيلأكي، بيراسوس، إيتون، أنترون، بتيليوس
١١	يوميلوس	فيراي، بويبي، جلافيراي، يألوكوس
٧	فيلوكتيتيس (ميدون)	ميثوني، ثوماكيا، ميليبويا، أوليزون
٣٠	ماخاؤون، بوداليريوس	تريكي، إيثومي، أويخاليا
٤٠	يوريبيلوس	أورمينيون، هيريأكريني، أستيريون، تيتانوس
٤٠	بوليبوتيس، ليونتيوس	أرجيسا، جيرتوني، أورثي، إيلوني، أولوؤسون
٢٢	جونيوس	الإينيون Enienes = البيرايبيون Perraiboi: كيفوس، دودوني، منطقة تيتاريسيون
٤٠	بروثوؤس	الماجنيطيون: بيليون، منطقة بينيون

ومن الملاحظ لأول وهلة في هذه القائمة أنها تشمل كافة أنحاء بلاد الإغريق مما أيد شكوك البعض، حيث قالوا إنها من وضع الأجيال المتتالية حيث حاولت كل سلالة أن تضيف اسمها إلى هذه القائمة. وهل هي حرب "قومية" ضد "قومية" أخرى؟ وهل كان الإغريق آنذاك ينظمون في قومية واحدة؟ هذه الأسئلة وغيرها

الكثير تثار حول "قائمة السفن". وتذكرنا بالسؤال المطروح سلفاً من هو الآخر فى "الإلياذة"؟

ويستعد الجيشان فى الكتاب الثالث للالتحام، ولكن هيكتور يقترح تفادى إسالة الدماء بمنازلة فردية بين كل من باريس ومينيلأوس، بحيث تحسم نتيجة هذه المبارزة الحرب نهائياً. وتم الاتفاق على ذلك ودعت إيريس هيلينى لمشاهدة هذه المبارزة بين باريس الذى خطفها وتقيم معه الآن فى طروادة زوجة من جهة، ومينيلأوس زوجها السابق الذى جاء مع الجيش الإغريقى ليستردها من جهة أخرى. وجلست هيلينى مع برياموس ملك طروادة وشيوخها وأمرائها يشاهدون المبارزة من فوق أسوار المدينة. ويستفسر برياموس منها عن قادة الإغريق واحداً بعد الآخر. وتشرح هيلينى له كل ما يتصل بهم وبمدنهم فيما يشبه استكمالاً لقائمة السفن فى الكتاب السابق. ويهزم باريس وتنفذه أفروديتى من الهلاك المحقق فتلفه فى سحابة وتحمله إلى القصر حيث تستدعى هيلينى لكى ترعاه وتضمد جروحه. ويطالب أجاممنون الطرواديين بإرجاع هيلينى وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين الطرفين. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث عنوان: " الهدنة، القسم أو العهد Orkoi، مبارزة باريس ومينيلأوس Paridos kai Menelaou monomachia، النظر أو المشاهدة من فوق الأسوار Teichoskopia".

وفى الكتاب الرابع يعقد الآلهة مجلسهم للنشاور، وفى نهايته يرسل زيوس أثينة من السماء لكسر الهدنة بين الطرفين المتحاربين حول طروادة. فتغرى بانداروس لكى يصوب سهماً إلى مينيلأوس، فيصيبه بالفعل ويحدث به جرحاً فيعالجه الطبيب ماخاؤن. ويهاجم الطرواديون الإغريق الذين يقود أجاممنون حشودهم ويستحث أمراءهم ويلتحم الجيشان، ويقع الكثيرون من الطرفين موتى وجرحى.

وفى هذا الكتاب يرد حديث مطول عن عبادة التوام كاستور وبوليديوكيس (أبيات ٢٣٦-٢٤٤). ويربط بعض الدارسين بين فكرة التوام الإلهى المذكر بعبادة التوام الإلهى المؤنث ويشيرون بصفة خاصة لهيلينى وكليتمسترا ابنتى ليدا .

وكانت هيليني^(٤٥) قد وصفت في الكتاب الثالث بيت ٤٢٦ على أنها "بنت زيوس لابس الدرع أيجيس"، مما يشي بأن هاتين الأختين كانتا في الأصل بمثابة "توأم إلهي". وأعطى السكندريون للكتاب الرابع عنوان: "كسر الهدنة Orkion synchysis وجولة أجاممنون التفقدية Agamemnonos epipolesis".

وفي الكتاب الخامس يتمكن ديوميديس بمساعدة أثينة باللاس من إلحاق هزيمة فادحة بالطرواديين، فيجرحه باندروس وتداويه أثينة وتحذره من الدخول في نزاع ضد القوى الإلهية فيما عدا أفروديتي. فيدخل آينياس المعركة وتتعرض حياته للخطر فتنقذه أمه أفروديتي التي أصابها ديوميديس بجرح دامي. فيسرع أبوللون لمساعدتها ويتم نقل آينياس إلى داخل طروادة لعلاج. ثم يعود لساحة الوعى التي تشهد مقتل العديد من المحاربين. وبينهم تليبوليموس. وتدفع أثينة باللاس ديوميديس لمهاجمة آريس إله الحرب الذي يصاب بالجروح فينقل إلى السماء. وأعطى السكندريون للكتاب الخامس عنوان: "بطولات ديوميديس" Diomedous aristeia^(٤٦).

يقرر الآلهة في الكتاب السادس ترك ميدان الحرب وعدم التدخل لصالح أي طرف من الطرفين، فترجح كفة الإغريق. وفي الجانب الطروادى يأمر هيلينوس العراف هيكتور أن يعود إلى المدينة ويقوم بطقوس معينة يتضرع بها إلى أثينة أن تسحب ديوميديس من ساحة الوعى. ويتأهب كل من ديوميديس وجلاوكوس الليكى للمنازلة. وقبل أن يلتحما يكتشفان أنهما صديقان بالورثة فينصرف كل منهما عن

(٤٥) يبدو أن اسم "هيلنى" نفسه ليس إغريقيا صميما - كما هو الحال بالنسبة للكثير من أسماء الآلهة والإلهات والأبطال في الأساطير الإغريقية - وهناك دلائل كثيرة على أن هيلنى كانت في الأصل إلهة ترتبط بعبادتها بفكرة الحضرة والخصوبة في الطبيعة. وعرفت هكذا في بلاد الإغريق فيما قبل الغزو الدورى. وتعد من الأمثلة القليلة في الأساطير الإغريقية على نزول قوة إلهية من مرتبة الألوهية إلى مرتبة البشر العادية أو على الأقل إلى مرتبة الأبطال. كانت هيلنى في الأصل تعبد بوصفها إلهة حامية للأشجار وتحمل لقب "ربة الشجر" Dendritis. وقيل إن شجرة ما في إسبرطة كانت تسمى "شجرة هيلنى" المقدسة. هذا وهناك رواية أسطورية أخرى تقول إن نهاية هيلنى كانت عنيفة، إذ شقت فوق شجرة تماما كما حدث بالنسبة للخدومات الخائنات في قصر أوديسيوس في "الأوديسية". وربطت الأساطير كذلك هيلنى بالطيور، فقليل إن زيوس أبأها كان قد تنكر في هيئة طائر البجع ليتصل بأمرها ليدا. وقيل في رواية أخرى إن هيلنى ولدت من بيضة. ولما كانت الحضرة المنيوية في كريت مليئة بشخصيات إلهية على هيئة الطيور، فإن ذلك قد يشي بأن هيلنى جاءت إلى بلاد الإغريق عبر كريت من بلاد الشرق وتراثه الأسطورى العريق.

(٤٦) Alberto Camerotto, op. cit., pp. 263-308.

وقارن حاشية رقم ٢٦ التى سبقت.

الآخر في مودة. وفي أثناء وجود هيكتور بالمدينة يعرج على أخيه باريس ويأمره بالعودة للقتال كما يفعل الرجال تاركاً أحضان هيليني^(٤٧). ويودع هيكتور زوجته أندروماخي وداعاً حاراً وهو في طريقه إلى المعركة. وأعطى السكندريون للكتاب السادس عنوان: "لقاء (هيكتور) وأندروماخي *Andromaches omilia*".

ويركز هوميروس انتباهه في الكتاب السابع على المعركة بين آياس وهيكتور. في البداية تنزل أثينة من قمة الأوليمبوس منزعة وتلتقي بأبوللون عند بوابة سكاياي الطروادية. ويتفقان على أن تتأجل المعركة العامة، وأن ينازل هيكتور أحد أبطال الإغريق في مبارزة فردية تحسم الحرب. ويتم ضرب القرعة بالفعل ويكون من نصيب آياس ملاقاته هيكتور. يلتحم البطلان ويسفر اللقاء عن نتيجة غير محسومة، فينصرف كل إلى موطنه. وينصح نيسطور الإغريق بدفن قتلاهم وتحصين معسكرهم. وفي مجلس للأمراء الطرواديين يقترح أنتينور إعادة هيليني للإغريق وإنهاء الحرب، فيرفض باريس. ويتفق الطرفان، الإغريق والطرواديين، على عقد هدنة لدفن القتلى. ويقضى الجيشان الليل في مرح وولائم، ولا يعكر الصفو في الجانب الطروادي سوى صواعق زيوس وعوده. وأعطى السكندريون للكتاب السابع عنوان: "مبارزة هيكتور وآياس" *Hektoros kai Aiantos monomachia* و "دفن الموتى" *Nekron anairesis*.

يجمع زيوس كافة الآلهة فوق الأوليمبوس في الكتاب الثامن ويأمرهم متوعداً ومهدداً ألا يتدخلوا في سير الحرب مع هذا الطرف أو ذاك. وينزل زيوس من السماء إلى قمة جبل إيدا المطل على منطقة طروادة بأكملها. ويمنح الطرواديين بعض المزايا، إذ يزج الإغريق بصواعقه وعوده. ويدخل نيسطور الملك المسن غمار المعركة بمفرده ويصمد، إلا أنه في النهاية يتعرض لخطر حقيقي لولا تدخل ديوميديس البطل القوي لإنقاذه. وتحاول هيرا عبثاً أن تغري بوسيدون بعصيان أوامر زيوس والتدخل لمعاونة الإغريق. ويدخل تيوكروس المعركة ويحقق بعض الإنجازات الكبيرة، إلا أن هيكتور يصيبه بجرح خطير فينقل بعيداً عن ساحة القتال. وعندما تتأهب كل من هيرا وأثينة لتقديم العون للإغريق ينهرهما زيوس في رسالة تبلغها لهما إيريس. وأعطى السكندريون للكتاب الثامن عنوان: "انقطاع

(٤٧) Ann C. Suter, *Paris/Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization*. Ph.D. diss., Princeton University 1984.

الآلهة عن المعركة أو "سيف المعركة المبتور" **Kolos maches** "(٤٨).

ويروى الكتاب التاسع كيف أن أجاممنون، الذى شعر بالخزى إزاء تقهقر الإغريق، عرض الآن على أتباعه العودة للوطن. فباعترض عليه بشدة كل من ديوميديس ونيسطور. ويعقد مجلس تشاورى حول الموقف، ويقترح نيسطور إرسال وفد إلى أخيلئوس على أمل أن يلين ويعود إلى المعركة ضد الأعداء. ويتكون الوفد من أوديسئوس وأياس والشيخ المسن فوينيكس^(٤٩). ويتحرك الوفد ليلاً قاصداً خيمة أخيلئوس، الذى يستقبلهم بحفاوة بالغة، فيبلغونه رسالة الجيش الإغريقى وكيف أن أجاممنون يعرض أن يصلح أخطاءه بما فى ذلك إرجاع بريئئس إلى أخيلئوس. ولكن الأخير يرفض العرض ويحتفظ بفوينيكس فى خيمته، فى حين يعود أوديسئوس وأياس وقد خاب سعيهما. ويسلم الجميع أنفسهم للنوم. وأعطى السكندريون للكتاب التاسع عنوان: "وفد إلى أخيلئوس" **Presbeia pros Achillea**.

ويتألم أجاممنون فى الكتاب العاشر لفشل الوفد فى إقناع أخيلئوس بالعودة للحرب. ولم يذق طعم النوم طوال الليل ويمر بالمعسكر ويوقظ القادة ويعقد مجلساً للحرب يقرر فيه إرسال جواسيس لاستكشاف ما يجرى فى معسكر الأعداء. ويقع الاختيار على أوديسئوس وديوميديس للقيام بهذه المهمة الصعبة. فيصادفان فى الطريق محارباً طروادياً هو دولون، الذى أرسله هيكتور لنفس الغرض. فأجبراه على الإدلاء بالمعلومات التى يرغبان فيها وقتلاه. ووصلا إلى حيث معسكر الطراقئين حلفاء الطرواديين، فقتلا قائدهم ومليكمهم ريسوس وآخرين كثيرين، وسلبا خيول هذا الملك الشهيرة، وعادا إلى المعسكر الإغريقى سالمين غانمين.

ويشكك فقهاء كثيرون فى هذه الحادثة، بل وفى الكتاب العاشر برمته

(٤٨) حرفياً السيف المبتور أو ما يبقى من الذيل أو القرن بعد بتره.

(٤٩) بطريقة أو بأخرى يذكرنا هذا الاسم بالفينيقين والأصول الشرقية للملاحم الهومرية. ولقد عرفت الأسطورة الإغريقية شخصيتين بهذا الاسم. الأول هو المعنى هنا أى ابن أمينتور ملك هيلاس (القديمة) دب الخلاف بينه وبين أبيه الذى اتخذ عشيقه على زوجه الغيور أم فوينيكس، فأغرت الأخيرة ابنها بإغواء عشيقه الأب، وبذلك تخلصت منها. ولكن الأب الأشيب دعا على ابنه بعدم الإنجاب. ذهب فوينيكس إلى فيثيا، وصار مربياً لأخيلئوس. واتبع يوربيديس فى مسرحيته المفقودة "فوينيكس" الرواية القائلة بأن أمينتور فقاً عيى ابنه فوينيكس فعالجه خيرون. أما فوينيكس الآخر فهو شقيق كادموس الذى أرسل مثله للبحث عن أختهما يوروبى (يوروبا). ولما لم يجدها لم يعد إلى صور وإنما أسس السلالة الفينيقية. وعن شخصية فوينيكس فى "الإلياذة" راجع: Andreou I. Boskou, op. cit., passim وقارن أعلاه حاشية رقم ٢٧.

ويعتبرونه مقحماً على "الإلياذة" أى منتحلاً. وأول من أثار هذه المشكلة يوستاثيوس Eustathios فقيه القرن الثاني عشر الميلادى، حيث قال فى تعليقه على ملحمة هوميروس إن هذا الكتاب قد أضيف إلى "الإلياذة" على يد بيسيستراتوس طاغية أثينا فى القرن السادس ق.م. ويسخر كثير من الدارسين من حادثة دولون على اعتبار أنها هزلية^(٥٠) صارخة لا تتواءم مع الروح الهومرية الصارمة والجو الملحمى العام. فمحاربان قويان ومرعبان يأسران ويقتلان شخصاً رعيدياً. ولكن نقاداً آخرين كثيرين يرون فى هذه الحادثة براعة فنية، إذ جاءت بعد هزيمة الإغريق الفادحة وبأسهم، وهذا ما تم التركيز عليه فى نهاية الكتاب السابق أى التاسع. وأعطى السكندريون للكتاب العاشر عنوان: "قتل دولون" Doloneia و "تضرعات" Litai.

ويواصل هوميروس الخط نفسه فى الكتاب الحادى عشر حيث يقود أجاممنون جيشه فى المعركة، فيطارد الطرواديين أمامه، ولاسيما أن زيوس كان قد أمر هيكتور بالانسحاب من المعركة إلى حين يصاب أجاممنون بجرح. ولما وقع ذلك بالفعل عاد هيكتور للقتال، فتصدى لهجمته إلى حين كل من أوديسيوس وديوميديس، ولكن بعد إصابة الأخير صار أوديسيوس وحيداً ومعرضاً لخطر محقق. فيتدخل مينيلائوس وأياس وينقذاه.

ويتعرض ماخاؤون الطبيب للإصابة على يد باريس، فيحمله نيسطور بعيداً عن ساحة القتال. ويهجم هيكتور على أياس الذى يظهر بسالة نادرة. ويأتى باتروكلوس صديق أخيلئوس الحبيب للسؤال عن ماخاؤون بأمر من أخيلئوس نفسه. فيزور نيسطور الذى يفصل القول فى بطولاته أيام الشباب، ولكنه يشرح لباتروكلوس مأزق الإغريق المؤسف فى الوقت الراهن. وأعطى السكندريون للكتاب الحادى عشر عنوان: "بطولات أجاممنون Agamemnonos aristeia".

يتراجع الإغريق إلى داخل تحصيناتهم فى الكتاب الثانى عشر ويحاول هيكتور أن يستدرجهم إلى خارجها، ولكن الخندق المحفور يقف حائلاً أمام عبور

(٥٠) لاحظ النقاد وجود عناصر كوميدية فى الملاحم الهومرية ولاسيما "الإلياذة" فى جانب العنصر الذى نتحدث عنه هناك "خدعة هيرا" فى الكتاب الرابع عشر وراجع:

Andreas G. Katsoures, Omerika Schemata Komodias. University Studio Press. Thessaloniki 1998, passim.

العربات الطروادية. ويبدأ الطرواديون في هجوم على الأقدام. وفجأة يظهر في السماء نسر يحمل ثعباناً بين مخالفه ويأتى على يسار الطرواديين، فيؤخذ على أنه نذير شؤم. وبعد محاولات متكررة يفلح الطرواديون بقيادة ساربيدون في اقتحام تحصينات الإغريق. ويدخل هيكتور المعسكر عنوة ويرغم الإغريق على الهروب إلى سفنهم. وأعطى السكندريون للكتاب الثاني عشر عنوان: "معركة الحائط" (الإغريق) "Teichomachia".

في الكتاب الثالث عشر انشغل زيوس عن وادى طروادة، فانتهاز بوسيدون الفرصة واتخذ هيئة العراف كالخاس وزرع الحماس والإحساس بالقوة في قلوب الإغريق، حتى إنهم نجحوا في إيقاف الهجمة الطروادية. وبرزت الأعمال البطولية التي قام بها إيدومينيوس الكريتى، ولكنه ينسحب أمام آينياس وديفوبوس الطرواديين. وبعد جهود قتالية خارقة من الجانبين تفهقر الطرواديون في الجانب الأيسر، وإن ظل هيكتور صامداً أمام الثنائى أياس. وفي النهاية ينعقد مجلس حرب إغريقى بتوصية من بوليداماس، ويعقد هيكتور اجتماعاً على الجانب الطروادى يوبخ فيه باريس ويسرعان معاً إلى وسط الجبهة، حيث يتحدى أياس البطل الطروادى هيكتور. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث عشر عنوان: "المعركة فوق السفن" "Mache epi tais nausin".

وكان نيسطور في الكتاب الرابع عشر يتناول الطعام مع ماخاؤون عندما سمع ضوضاء بالخارج، فهرع إلى حيث وجد أجامنون بصحبة أوديسيوس وديوميديس. وحاول ثلاثتهم على الرغم من جروحهم أن يبنوا الشجاعة والبسالة في قلوب أفراد الجيش الإغريقى. وفي تلك الأثناء حاكت هيرا مليكة السماء خطة خداع تستولى بها على زيوس، فأخذت الحزام السحري من أفروديتى، وطلبت مساعدة إله النوم هيبنوس، واستدرجت زيوس للنوم فوق جبل إيدا. وعندما علم بوسيدون بذلك حث الإغريق على إشعال نار معركة فاصلة. وواجه هيكتور أياس فجرح الأول وحمل بعيداً عن المعركة إلى داخل طروادة، وطرده الطرواديون إلى الخلف إلى ماوراء التحصينات الإغريقية. وأعطى السكندريون للكتاب الرابع عشر عنوان: "مخادعة زيوس" أو "التحليل على زيوس" "Dios apate".

ولم يستيقظ زيوس كبير الآلهة المخدوع من نومه اللذيذ إلا في الكتاب الخامس عشر حيث يعاتب هيرا ويؤنبها، فتلجأ إلى مجمع الآلهة وتحاول تاليبهم

ضد زوجها زيوس. فتحرض آريس وتصل به إلى حد جنون الغضب. أما أثينة فتحاول أن تهدئ من غضبه. ويطيع كل من أبوللون وإيريس أوامر والدهما زيوس فتطلب هيرا من بوسيدون أن ينسحب من أرض المعركة الطروادية فينصاع كارهاً مرغماً. وبأمر من زيوس يحاول أبوللون أن يقوى من عزيمة هيكتور، ومن ثم تدب الروح في الجيش الطروادى الذى يجدد ويشدد الضغط على السفن الإغريقية التى يدافع عنها أياس ببسالة. وعندما يشعر باتروكلوس بالانزعاج لموقف الجيش الإغريقى الحرج يحاول أن يقنع أخيليوس بالعودة للقتال. وفى تلك الأثناء يحمل الطرواديون المشاعل ويشعلون النار فى السفن الإغريقية. وأعطى السكندريون للكتاب الخامس عشر عنوان: "صد (الطرواديين) عن السفن Palioxis para ton neon".

أما ما جرى فى الكتاب السادس عشر فيعد نقطة تحول أساسية فى الحدث الملحمى "للإلياذة". فهو يتعلق بالمحور الذى حوله تدور كل الأحداث والأحداث بالملحمة. إذ إن تحولاً مصيرياً سيطراً على الملابس المحيطة بالبطل أخيليوس. وذلك حين يتدخل باتروكلوس الصديق الحبيب لإنقاذ الإغريق من المأزق الحرج. فيعطيه أخيليوس أسلحته ليحارب بها، وبموته يزول غضب أخيليوس ضد أجاممنون أو ينسى فى خضم الحزن العارم لفقده، ويبدأ الحدث الملحمى مساره نحو النهاية. يصور الكتاب بسالة باتروكلوس الذى قتل ساربيدون بن زيوس نفسه، وطرده الطرواديين من السفن ولاحقهم حتى داخل المدينة ناسياً نصيحة أخيليوس ألا يفعل ذلك. فيضعفه أبوللون ويجرحه يوفوربوس، وفى النهاية يقتله هيكتور، ويجرده من سلاحه وهو فى الأصل سلاح أخيليوس الذى لا يقهر.

وقد يذهل القارئ وهو يطالع هذا الكتاب، فيقول إن هذا أروع كتاب فى "الإلياذة"، ولا أريد أن أحول بين القارئ الكريم والتعبير عن رد فعله الطبيعى والواعى، ولكننى فقط أنبهه أن كتباً أخرى (سابقة ولاحقة فى "الإلياذة") قد انتزعت مثل هذه العبارة من أفواه نقاد ذوى فطنة وحنكة. وأعطى السكندريون للكتاب السادس عشر عنوان: "مقتل باتروكلوس Patrokleia".

ويدافع مينيلائوس عن جثة باتروكلوس فى الكتاب السابع عشر ويقتل يوفوربوس الذى يتعرض له. ويعوق كل من مينيلائوس وأياس تقدم هيكتور، الذى يجدد المعركة بعد أن ارتدى أسلحة باتروكلوس التى هى فى الأصل

- كما ألمحنا - أسلحة أخيلئوس. وتبكي خيول باتروكلوس موت صاحبها. وفي نفس الوقت ينجح أوتوميدون في الفرار بعربة أخيلئوس على الرغم من محاولات آينياس وهيكتور المستميتة للاحتفاظ بها. ويلف زيوس جثة باتروكلوس في غلالة من الضباب الكثيف. واستجابة لتضرعات آياس يبدد زيوس الضباب ليتمكن المحاربون من الالتحام في وضح النهار. ويرسل مينيلائوس أنتيلوخوس إلى أخيلئوس ليخبره بموت باتروكلوس. فيعود بطل الأبطال إلى أرض المعركة بصحبة ميريونيس. ويعاونه الثنائى آياس في العودة بجثمان باتروكلوس إلى السفن. وأعطى الإسكندريون للكتاب السابع عشر عنوان: "بطولات مينيلائوس Menelaou aristeia".

وينقسم الكتاب الثامن عشر إلى جزعين رئيسين. الأول هو تأثير موت باتروكلوس على قلب أخيلئوس^(٥١). أما الجزء الثانى فيدور حول ملابسات صنع هيفايستوس إله النار والحدادة سلاحاً جديداً لأخيلئوس. والعنصر الرابط بين الجزئين هو تدخل الإلهة ثيتيس أم أخيلئوس في الجزعين. فعند سماع أخيلئوس نبأ قتل باتروكلوس فى المعركة صرخ صرخة مدوية سمعتها أمه فى أعماق البحر فهرعت إليه تواسيه. وفى الوقت نفسه استعرت المعركة بين الطرفين حول جثمان باتروكلوس. وبأمر من هيرا ظهرت إيريس لأخيلئوس تطلب منه الظهور فى الميدان لحسم الموقف. ويعقد الطرواديون مجلساً حربياً ويقررون الأخذ بتوصية هيكتور أى الصمود فى المعركة. ويبكى أخيلئوس صديقه الحبيب باتروكلوس. وأخيراً تسرع ثيتيس إلى إله النار والحدادة هيفايستوس وتقنعه بصنع سلاح جديد لابنها. ونرى دقائق مهارة الصناعة الإلهية التى يقوم بها هيفايستوس. ويعتبر النقاد وصف درع أخيلئوس الجديد إحدى روائع هوميروس فى "الإلياذة" من حيث الشكل والبناء العام والندفك الشعرى. فالعناصر الزخرفية لهذا الدرع تعكس طبيعة الفن الذى عاصره الشاعر ورآه بعينيه، ولكن كثرة الصور الشعرية والعناية الفائقة بها تتعدى كل ما وصلنا من فنون تلك الفترة. ومن ثم فعلىنا أن نلجأ للخيال المبدع والتصور الأسطورى المرتبط بصناعة إله الصناعة. والخطة العامة لهذا الزخرف هى وجود مساحة مركزية تمثل الكون تحيط بها أربعة مجموعات. المجموعات

(٥١) عن طبيعة العلاقة بين أخيلئوس وباتروكلوس راجع:

W. M. Clarke, "Achilles and Patroclus in Love", *Hermes* 106 (1978) pp. 381-95.

الداخليتان تنقسمان بدورهما إلى ستة موضوعات. أما المجموعتان الخارجيتان فتصوران على التوالي رقصة جماعية والأوكيانوس (المحيط) الذى يحيط بكل شىء. علمًا بأن المناظر الداخلية مأخوذة كلها من الحياة اليومية.

ومثل هذا الترتيب الزخرفى يتشابه مع ما وجد على أنية فينيقية عثر على بعضها فى قبرص وبعضها الآخر فى إيطاليا. ومع أن الأثريين لا يعودون بها إلى أكثر من القرن السادس ق.م بيد أنها تعكس أسلوبًا فنيًا أقدم. وحتى موضوعات الزخرفة على الدرع نجد لها ما يقابلها على الأنية الفينيقية، إلا أن الخيال المبدع لهذا الزخرف إنما يعكس الروح الإغريقية بلا جدال. وهذه كلها عناصر يستند إليها من ينادون بالأصول الشرقية "لإلياذة" هوميروس كما سبق أن ألمحنا.

ومع ذلك فجدير بالملاحظة أن الزخرف على درع أخيلئوس يمثل الكون والحياة الجارية فى أرجائه. وتبلغ دقة الوصف حدًا مذهلاً، مما يجعلنا نشعر وكأننا نلامس الواقع، حتى إن كل ما وصلنا من فنون عصر هوميروس وتمتلىء به المتاحف يبدو وكأنه شذرات من ذلك الإبداع الهومرى^(٥٢).

ولقد أثارت زخرفة "درع أخيلئوس" الكثير من الجدل والمناقشة فى كتب التاريخ والأدب والفن. صنع الدرع من خمس طبقات جلدية تغطيها طبقة برونزية مطعمة بأربعة معادن أخرى. يمثل الإطار الخارجى الأوكيانوس أى المحيط، أما المساحة المركزية فتضم الأرض والأجرام السماوية. أما المشاهد الأخرى فهى كما يلي:

١. حفلة زفاف: أبيات ٤٩٠ - ٤٩٦
٢. مشهد قتل: أبيات ٤٩٧ - ٥٠٨
٣. الحصار: أبيات ٥٠٩ - ٥١٢
٤. الهجمة على مدينة محاصرة: أبيات ٥١٣ - ٥٤٠
٥. حرث الحقول: أبيات ٥٤١ - ٥٤٩
٦. الحصاد: أبيات ٥٥٠ - ٥٦٠
٧. جنى الكروم: أبيات ٥٦١ - ٥٧٢

٨. الأسود تهاجم قطاعان الماشية: أبيات ٥٧٣ - ٥٨٦

٩. حظائر الأغنام: أبيات ٥٨٧ - ٥٨٩

١٠. الرقص: أبيات ٥٩٠ - ٦٠٦

وأعطى الإسكندريون للكتاب الثامن عشر عنوان: "صنع أسلحة (أخيلوس) Hoplopoia".

فى الكتاب التاسع عشر تحمل ثيتيس الدرع الجديد الذى صنعه هيفايستوس بإتقان شديد إلى ابنها أخيلوس وتأمره بأن يعقد اجتماعاً للجيش ويعلن تخليه عن الغضب ضد أجاممنون. وبالفعل يتم عقد الصلح بين القطبين الرئيسيين أمام الحشد الإغريقى. ويعبر أخيلوس عن رغبته الجامحة فى النزول إلى ساحة القتال، فينصحه أوديسيوس بالتمهل ريثما يتمكن أفراد الجيش من أخذ كفايتهم من الطعام والشراب. وتحمل الهدايا التى كان أجاممنون قد وعد بها إلى خيمة أخيلوس، بما فى ذلك بريسئيس التى تبكى باتروكلوس بمرارة عندما علمت بموته. ويمسك أخيلوس عن الطعام والشراب حزناً على صديقه الحبيب. ولكن أثينة بأمر من زيوس تشبعه بالطعام الإلهى الأمبروسيا. ويتسلح أخيلوس استعداداً للمعركة، وعندما توضع الخيول فى عربته يتحدث الحصان كسانثوس بصوت بشرى، ويتنبأ بمصير أخيلوس الحزين، ومع ذلك يندفع البطل للقتال فى جموح وجنون وهو على يقين من أنه بقتله هيكتور يقترب من نهايته المحتومة. فالبطولة فى الفكر الإغريقى تدمر نفسها بنفسها.

وقد أثار حديث الحصان كسانثوس قريحة الكثيرين من الأدباء والشعراء والنقاد المحدثين، ولاسيما أن أخيلوس دخل فى حوار مع صاحبه. وتدور أغلب التعليقات حول العبقرية الهومرية فى بناء الشخصية والحدث الملحميين. فنحن على وشك أن نشاهد أخيلوس ينفجر غضباً وجنوناً وقتلاً فى أعدائه. لقد أفقده الحزن على موت صديقه الحبيب القدرة على التحكم فى غضبه الجنونى، فانفلت الزمام من يده ووصل إلى حد القسوة والوحشية. وتخف حدة هذا العنف الدموى وتتزيا بزي مأساوى قشيب عندما نتذكر ما قاله كسانثوس له - وما قالت له أمه ثيتيس أيضاً - من أنه يرسل قتلاه إلى هاديس مبشرين بقدومه هو أيضاً إلى نفس المصير. فكل فعل عنيف يرتكبه أخيلوس هو خطوة مؤكدة نحو موته. إنه بعبارة أخرى بشر فان يقتل بشراً فاني، وسيأتى موته عما قريب، مما يجعل من غضبه وجنونه أفعالاً مأساوية،

ولاسيما أنه هو نفسه يشعر بذلك فى أعماقه. فكلما اشتد غضبه وجنونه اقترب من مصيره المحتوم أى الموت، وتلك هى نواة المأساة البشرية وذروتها فى آن واحد. وجدير بالذكر أن هوميروس يعتمد إلى هذا التصوير المأساوى للأحداث والشخصيات ويبرزه كلما سنحت له الفرصة، فهو القائل فى الكتاب السادس عشر (بيت ٦٩٢-٦٩٣) تعليقا على عريدة باتروكلوس فى قتل الطرواديين:

فمن، إذن، كان أول من قُتلت، ومن كان الأخير يا باتروكلوس،
عندما كانت الآلهة تناديك إلى الموت".

جاء ذلك عندما بلغ باتروكلوس أقصى النصر والنشوة بقتل الأعداء، وبذلك يسبق هوميروس كتاب التراجيديا فى تصوير المأساة الإنسانية، التى نحاها جميعا نحن البشر. ولعلنا هنا نفهم ما قاله أيسخولوس خالق التراجيديا الإغريقية فى عبارة شهيرة، إذ نسب إليه القول "ما مسرحياتى إلا فئات مائدة هوميروس الحافلة"^(٥٣). وأعطى السكندريون للكتاب التاسع عشر عنوان: "التخلى عن الغضبة Menidos aporrasis".

ويواصل الكتاب العشرون تعميق المأساة. فبعد عودة أخيلئوس للمعركة يعقد زيوس مجلسا للآلهة ويسمح لهم بالمشاركة فى الحرب. فيتوجهون إلى ساحة القتال بعضهم يقف مع الإغريق، والبعض الآخر مع الطرواديين. يستحث أبوللون آينياس أن يواجه أخيلئوس، ويبعد الآلهة قليلا لمشاهدة اللقاء. ويلتحم أخيلئوس وآينياس الذى ينقذه بوسيدون بأعجوبة من الموت. ويهاجم أخيلئوس بشراسة الطرواديين وكاد أن يفتك بهيكتور نفسه. وكان الأخير قد اشتعل غضبا لموت أخيه الأصغر بوليدوروس. ولم ينقذ هيكتور سوى أبوللون الذى لفه فى سحابة ورفع به بعيدا عن ساحة الوغى. ويواصل أخيلئوس الفتك بالطرواديين. وأعطى السكندريون للكتاب العشرين عنوان: "المعركة بين الآلهة Theomachia".

ويرتفع بنا هوميروس فى الكتاب الحادى والعشرين إلى آفاق كونية عليا، حيث يصور معركة أخيلئوس مع إله النهر سكاماندروس (يعرف هنا النهر فى

(٥٣) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٢٤٩-٣٠٢. وعن مفهوم البطولة فى الأدب الإغريقى راجع:

Ahmed Etman, "The Conception of Heroism in Greek Literature", Classical Papers, Vol. III (Cairo University, January 1994), pp. 35-50.

تركيا الحديثة باسم منديرية (Menderé). فيكتسب السرد الملحمي مزيداً من الحيوية والتدفق وعنفوان الخيال المبدع، ويصل إلى شأو قلما وصل إليه الشعر بعد هوميروس. فالطرواديون الهاربون أمام أخيلئوس يلجأون إلى المدينة وإلى النهر سكماندروس. ويظل أخيلئوس يطاردهم ويعمل القتل فيهم ويحتفظ باثنى عشر نبيلاً منهم أحياءً لكي يقدمهم قرباناً على قبر باتروكلوس. وعندما يصادف ليكاون يستعطفه الأخير بكل وسيلة، ولكنه لا يرحمه ويقتله ويقذف بجثته إلى النهر. ثم يهجم على أستيروبايوس ويقتله. وعندما شعر إله النهر سكماندروس أن الجثث قد ملأت مجراه وربما تسد المياه ثار غضباً وشرع يهاجم أخيلئوس، الذي يتمتع بعون بوسيدون وباللاس أثينة. وينضم إله النهر سيموئيس إلى رفيقه وصديقه سكماندروس. وعندئذ تطلب هيرا من هيفايستوس إله النار أن يجفف مياه الأنهار، وتدور اشتباكات عنيفة فيما بين الآلهة حتى إن أثينة جرحت إله الحرب آريس.

إنها حرب كونية إذن تشارك فيها كل عناصر الطبيعة، الأرض والسماء، النار والماء، البشر والآلهة، ناهيك عن الأمطار والبروق والرعود.

وفي الوقت نفسه يواصل أخيلئوس القتال ويطارد الناجين إلى داخل طروادة. ولم يقف في وجهه سوى أجينور الذي كاد أن يقتل هو أيضاً، لولا أن أنقذه أبوللون وأبعده عن ساحة القتال. ولكن أبوللون خدع أخيلئوس متخذاً هيئة أجينور وفر أمام أخيلئوس، الذي ظل يطارده. وقد استدرجه هكذا الإله إلى مكان بعيد. وبذلك استطاع الطرواديون الهاربون أن يدخلوا مدينتهم. وأعطى السكندريون للكتاب الحادي والعشرين عنوان: "المعركة على النهر Mache parapotamios".

ويرى بعض النقاد أن الكتاب الثاني والعشرين يمثل ذروة الحدث الملحمي في "الإلياذة". ويقول جيب Jebb إنه لا يوجد كتاب مثله في "الإلياذة" من حيث الشمولية^(٥٤) وسعة الأفق وتدفق الحدث. و يسرد هذا الكتاب مقتل هيكتور ويمثل في حد ذاته ذروة ملحمة، ولا يوجد كتاب آخر في ملحمة هوميروس يضارعه في شموليته وشاعريته وتدفقه وسموه. ويعد هذا الكتاب جامعاً لكل الخصائص الهوميرية المميزة مثل رسم الشخصيات الدقيق بوسيلة أفعال هذه الشخصيات وأحاديثها وكذا تأملاتها المسموعة. ومن هذه الخصائص أيضاً تمازج الفعل البشري

مع الفعل الإلهي^(٥٥). ويصاحب كم هائل من التشبيهات الرائعة المستمدة من الطبيعة هذا التوهج الشعري، وتتم مقاطعة الحدث الرهيب والفعل الوحشي بمشاهد غاية في الرقة من الحب الأسرى أو الأسى الإنساني. ويمكن إجمال السمات الأساسية في هذا الكتاب على النحو التالي:

- الدقة في رسم ملامح الشخصية.
- المزج بين الحدث البشري والتدبير الإلهي.
- تكثيف استخدام تقنية التشبيهات.
- براعة هوميروس في تطوير العنف الوحشي إلى نوع من الترويح بتقديم مشاهد غاية في الإنسانية والرحمة، وذلك برسم مشاهد الحياة الأسرية العذبة والحب الأسر بين أفرادها وكذا الحزن الجياش بالمشاعر.

ذلك أن الطرواديين قد أكملوا انسحابهم وتدفقوا إلى داخل أسوار طروادة فيما عدا هيكتور الذى ظل أمام الأسوار ليلالقي أخيلئوس. وعبثاً حاول والداه المسنان أن يثنياه عن ذلك. وعندما تقدم إليه أخيلئوس لم يستطع هيكتور الوقوف، إذ خانتة شجاعته وفر أمام أخيلئوس الذى ظل يلاحقه حول أسوار المدينة دورات ثلاث متتالية^(٥٦). وفى ميزان ذهبى وضع زيوس أقدار البطلين، فظهر أن هيكتور على وشك الموت، فهجره الإله أبوللون^(٥٧)، ونزلت أثينة لتساعد أخيلئوس. ويقتل أخيلئوس هيكتور ويسحب جثته بعربته إلى السفن تحت أنظار والديه البائسين والطرواديين جميعاً. وتسمع أندروماخى الصرخات فتهرع إلى الأسوار وعندما ترى جثمان زوجها الحبيب يغمى عليها، وعندما تفيق تنخرط فى العويل والبكاء. وأعطى الإسكندريون للكتاب الثانى والعشرين عنوان: "مقتل هيكتور Hektoros anairresis".

(٥٥) عن العلاقة بين الفعل البشرى والتدبير الإلهى فى ملاحم هوميروس راجع: "ناسوتية الآلهة وألوهية البشر"، أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٨٠-٨٩.

Paolo Vivante, *The Homeric Imagination: A Study of Homer's Poetic Perception of Reality*. Indiana University Press 1970, pp. 35-71.

(٥٦) S.E. Bassett, "The Pursuit of Hector", *TAPhA* 61 (1930) pp. 130-149.

(٥٧) يحكى بلوتارخوس أن الإله هجر أنطونئوس عندما هزم نهائياً فى الإسكندرية. وصاغ شاعر الإسكندرية المحدث كفافئس رائعته قصيدة: "الإله يهجر أنطونئوس" مستلهماً هذه الفكرة راجع: أحمد عثمان: "كليوباترا وأنطونئوس. دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي" أيجئوس القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٠، ص ١٢١ وما يليها مع الحواشى.

أما الكتاب الثالث والعشرون فيحمل مفاجأة هومرية أخرى. ذلك أنه كان قد ساد اعتقاد في العالم القديم بأن الألعاب الرياضية نشأت أصلاً من مراسم دفن الموتى. وتأكد ذلك عبر العصور التاريخية حيث نظمت ألعاب رياضية في مناسبات عديدة احتفالاً بموت بعض العظماء مثل ميلتياديس وليونيداس (بطل ممر ثرموبيلاي) وبراسيداس وتيموليون (منقذ سيراكوساى أى سراقوسة في صقلية) وغيرهم. وبعد معارك تاريخية كثيرة أقام الإغريق الألعاب الرياضية تمجيداً للأبطال الذين ماتوا أثناءها. وهذا تقليد مازال يتبع إلى يومنا هذا في بعض البلدان.

وقد كرس هوميروس الكتاب الثالث والعشرين لوصف احتفال أخيليوس بدفن صديقه الحبيب باتروكلوس، ولأسيما الألعاب الرياضية. فبعد الوليمة الجنائزية^(٥٨). يظهر شبح باتروكلوس لأخيليوس عندما كان يستلقى على شاطئ البحر، طالباً سرعة الدفن لجثمانه. وبعد حرق الجثمان على محرقة وتقديم الضحايا بما في ذلك اثني عشر نبيلًا أسيراً طروادياً. تبدأ الألعاب الرياضية التي يسهب هوميروس في وصفها. وهذه أول شهادة أدبية تصلنا عن الألعاب الرياضية في العقليّة الإغريقية والتي ستتزيا بزى جديد فيما نعرفه جميعاً اليوم باسم الألعاب الأولمبية والروح الأولمبية... إلخ. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث والعشرين عنوان: "ألعاب رياضية جنائزية تكريماً لباتروكلوس Athla epi Patroklo".

هكذا كرم باتروكلوس وشفى غليل أخيليوس، وبقي أن يرد هوميروس الاعتبار لهيكتور البطل المدافع عن طروادة، والذي مات فداءً للوطن. وهذا هو موضوع الكتاب الرابع والعشرين. إذ كان أخيليوس يجر جثمان هيكتور يومياً حول قبر باتروكلوس، فأمر زيوس إيريس بالذهاب إلى برياموس وحثه على الذهاب إلى أخيليوس مفتدياً ابنه بفدية كبيرة ومتوسلاً للبطل الإغريقي. وفي نفس الوقت تنكر هيرميس في هيئة أمير إغريقي شاب واقتاد برياموس حتى خيمة أخيليوس. فاستقبل الأخير برياموس بمودة وقبل الفدية وتناولوا العشاء معاً. وفي الصباح الباكر قاده هيرميس في طريق العودة إلى طروادة مع جثمان ابنه هيكتور، الذي بكاه كل من أمه وزوجه وهيليني وكافة الطرواديين، وبذلك تنتهي الإلياذة. وأعطى السكندريون

(٥٨) راجع: Elena Marino, "Il lutto a banchetto (Iliade 24- Odissea 4), pp. 15-39 in Materiali e discussioni per l'analisi dei testi- Classici 43) Istituti Editoriali e Poligrafici Internazionali Pisa- Roma 1999.

للكتاب الرابع والعشرين عنوان: "فدية هيكتور Hektoros Lytra".

وبعد الاستعراض السريع للحدث في الكتب الأربعة والعشرين لزام علينا أن نتأمل سر الإبداع الهومري في السرد الملحمي، إذ لا يحفل هوميروس بأن يحكى في ملحمة ما حدث فقط، ولكنه يحفل أكثر بتقديم كنه ما حدث وتصوير العالم الذى وقع فيه هذا الحدث. فنجد الأحداث تغطى الكون من فوق جبل الأوليمبوس - السماء - الثلجية إلى أعماق البحر الهائج والغابات المحترقة، بل وأعماق النفس الإنسانية ذاتها فى كافة أحوالها من السراء والضراء. وتغطى الأحداث كذلك الآلهة والبشر ومملكة الحيوان والطير. فنحن إذن إزاء تصوير لحالة وجودية كونية لا حدث فردى عابر. نحن إزاء نظام متكامل تتفاعل فيه كل السمات ومختلف مقومات الأحياء والأشياء، بحيث نحصل فى النهاية على استكشاف شعري للكون ونظام عمله.

تحمل إپريس رسالة من زيوس كبير آلهة الأوليمبوس، فتتزل من علياء السماء إلى أعماق البحر فتجد ثيتيس حزينة على مصير ابنها أخيليوس بطل الأبطال الإغريق حول طروادة فتبلغها رسالة زيوس. ثم تصعد ثيتيس من أعماق البحر إلى خيمة أخيليوس فى طروادة لتبلغه أوامر زيوس. وهذه لقطة واحدة من "الإلياذة" (الكتاب الرابع والعشرون)، تجد فيها كل عناصر الكون مشاركة فى الحدث الملحمي.

وهذا ما يفسر لنا كثرة الاستطرادات التى عاقت بعض النقاد عن إدراك طبيعة وحدة الحدث الملحمي عند هوميروس، فهذه الوحدة تتعدى مجرد التسلسل الزمنى المترابط، لأن هناك دائماً قضية ما ينبغى استيفائها وشرحها وتفسيرها. فهذا هو الأهم من التسلسل الزمنى المطرد. فإن أطول استطراد أسطوري ورد فى الكتاب التاسع (أبيات ٥٤٣-٥٩٠) ويدور حول أسطورة ملياجروس ويرويها فوينيكس، كان الهدف منه إقناع أخيليوس بالعودة للمعركة لأن ملياجروس عانى أيضاً من الغضب المدمر. والاستطراد حول أسطورة نيبوى (الكتاب الرابع والعشرون أبيات ٦٠٢ وما يليه)، يرويها أخيليوس نفسه لبرياموس الذى ذهب ليستجديه تسليم جثة ابنه هيكتور، كان الهدف من هذا الاستطراد ليس فقط إيجاد معادل أسطوري للحزن الفتاك، بل أيضاً التمهيد لدعوة برياموس لأن يجلس إلى وليمة العشاء مع أخيليوس. وفى كل من الاستطرادين نجد القضية المطروحة تحتل

المكانة الأولى بالرعاية. في الاستطراد الأول تطرح قضية الغضب وضرورة كبح جماحه. وفي الاستطراد الثاني يتم سبر أغوار الحزن وضرورة تخطيه. والمشاركون في الاستطراد أو في تلقيه هم جميعاً متورطون بنفس الدرجة في القضية المطروحة^(٥٩).

يعتمد جانب كبير من وحدة الحدث الملحمي في "الإلياذة" على الثنائيات المتقابلة. فأخيلئوس بطل الأبطال الإغريق يقابله هيكتور بطل الأبطال الطرواديين. الأول بطل الهجوم والحصار، والثاني بطل الصمود والمقاومة. يبدأ البيت الأول في الملحمة كلها بغضبة أخيلئوس المدمرة، أما البيت الأخير في الملحمة فقد فاز به هيكتور الميت حيث يقول الشاعر: "وكانت تلك هي مراسم دفن هيكتور مروض الخيول". وعلاوة على أن الوحدة الملحمية تتجلى في الربط بين البيت الأول الذي يقدم السبب والبيت الأخير الذي يحمل النتيجة. فإن موضوع دفن هيكتور يحتل أهمية خاصة في بناء الملحمة، بل بصفة عامة يصور الفكرة الإغريقية بأن المصير بعد الموت جزء مكمل للحياة على الأرض، ونتيجة مباشرة لها.

يمتدح أرسطو هوميروس لأنه يجمع بين الوحدة والتنوع، وهو ممتاز في كل من القول والعاطفة، إنه يختفي وراء أشعاره ويقدم شخصه بأقوالهم وأفعالهم المباشرة ويرسم شخصياتهم جيّداً، وهو يتمتع بخيال إبداعى رائع، فهو يستخدم بجرأة غير المحتمل والخارق - وهو ما تتسع له الملحمة أكثر من التراجيديا - ولكنه يستخدمهما ببراعة فائقة. وهوميروس بالنسبة لأرسطو هو أول الشعراء وأكثرهم نضجاً. هذا مع العلم بأن أرسطو فضل التراجيديا على الملحمة لأنها تؤدي نفس الوظيفة ولكن في حجم أقل^(٦٠).

يضيف أرسطو أن الملاحم - مثل المسرحيات - تصنف بين "بسيطة" *haple* ومركبة *peripeplegmene*. فيقول إن "الإلياذة" بسيطة مثل "بروميثيوس مقيداً" لأيسخولوس، فلها حدث واحد مطرد ونهاية واحدة. أما "الأوديسية" فهي مركبة لأنها

(٥٩) N. Austin, "The Function of Digressions in the *Iliad*", GRBS. 7 (1966) pp. 295-312.

Cf. Andreas G. Katsoures, "To Mythologiko Paradeigma Ston Omero" Dodone 31 (2002) pp. 167-206.

(٦٠) Aristotle: The Poetics. ed. W. Hamilton Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973, 1459b. 4-10.

تتضمن سلسلة من التعرف والتحول (*peripeteia*) ولها نهايتان، نهاية سيئة للأشرار ونهاية سعيدة للأخيار. ويقول أرسطو كذلك إن "الإلياذة" ملحمة عاطفية انفعالية *pathetike*، فغضبة أخيلئوس من أجاممنون وحزنه المفجع على موت باتروكلوس صديقه الحبيب ورغبته الجامحة في الانتقام هي ينبوع الأحداث كلها. في حين إن "الأوديسية" ملحمة أخلاقية *ethike* بمعنى أن سلوك الشخصية الرئيسية (*ethos*) أى أوديسيوس وحيله هي المحرك الأساسي للأحداث^(٦١). ويقول أرسطو إن هوميروس برع في رسم أحداث ملحمة، كما أن أشعاره تفوق سائر الأشعار في القول *lexis* والفكر *dianoia*^(٦٢).

ومن براعة هوميروس في حبك الوحدة الملحمية أن أخيلئوس لم يظهر إلا في أحد عشر كتاباً: (١، ٩، ١١، ١٦، ١٨-٢٤) مع أن غضبة أخيلئوس هي التي تعطي "الإلياذة" الوحدة الملحمية، فانسحابه من المعركة يجعل كفتي الحرب والبطولة متعادلتين فيما بين الإغريق والطوراديين. وهكذا تستمر المعارك ولا يحسم الموقف. ومن ثم يمكن القول إن الحدث الملحمي يمر بثلاث مراحل رئيسة: الأولى تنتهي في الكتاب التاسع عندما يرسل الإغريق وفداً إلى أخيلئوس فيرد على أعقابه خاسراً. وتنتهي المرحلة الثانية بالكتاب الثامن عشر حيث ينتهي اعتزال أخيلئوس للحرب. أما المرحلة الثالثة فتشمل الكتب من التاسع عشر إلى الرابع والعشرين وتتوج الحدث الملحمي. ولعل هذا مما دعا ويتمان C.H. Whitman أن يصف بناء "الإلياذة" بأنه هندسى (Geometric Structure)^(٦٣).

تجرى أحداث "الإلياذة" فيما وراء حدود التاريخ، فهي أحداث درامية يغوص أبطالها في الأسطورة التي لا علاقة لها بالحادثة الفعلية، ولا بشخصيات هذه الأحداث الدرامية في لحظة وجودية مطلقة. إذ نسي ماضيهم، أما مصيرهم فهو على المحك ويمر بمرحلة حرجة. لم يحفل ساربيدون بأنه ابن زيوس ولا يعنبر المستقبل في شيء، إذ يقول لجلاوكوس (الكتاب الثاني عشر بيت ٣٢٢ وما يليه).
يا صديقى العزيز ، لو كان الهروب من هذه

Ibidem 1459b- 2-3. (٦١)

Ibidem. (٦٢)

C.H. Whitman, *Homer and the Heroic Tradition*. Harvard University Press (٦٣)
1958, pp. 249-284.

الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين ،
 ما كنت لأحارب فى طليعة الصفوف
 وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التى تجلب المجد للأبطال.
 أما الآن ، فإتنى أرى ما لا حصر له من حالات الموت
 تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
 لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد .

إنها لحظة حيوية ومصيرية، فلا بد من عمل شيء ما ولا بد من الالتزام بقيم الخير والفعل المجيد. فأبطال هوميروس أطفال الآلهة يعيشون على الأرض ويلامسون ترابها، إنهم من البشر، ولكنهم لم يخطرخوا تمامًا فى مجرى التاريخ العام. إنهم يعيشون بين عالمين عالم الآلهية والخلود الذى يتطلعون إليه، وعالم البشرية الفانية الذى يكابدون أهواله ويصنعون أمجاده. هكذا يسعى هيكتور للدفاع عن طروادة فيسعى بذلك لإنهائه. بل هكذا أخيلئوس نفسه يغضب ويحزن ويندفع لقتل هيكتور، الذى يعرف أنه مقدمة لموته هو أيضًا. فأبطال هوميروس رجال على وشك الفناء. بل يساورهم إحساس بالضعف البشرى وتلفهم هالة من المجد الإلهى^(٦٤).

سابعاً: أصداء "الإلياذة" فى الآداب العالمية

أ- رحلة "الإلياذة" إلينا:

يرجع وجود "الإلياذة" بصفة عامة إلى ما بين ٧٥٠ و ٥٥٠ ق.م كما أسلفنا، ولكن "النص المعتمد" لا يبدأ تاريخه إلا على يد طاغية أثينا بيسيستراتوس فى القرن السادس ق.م كما رأينا. وظلت "الإلياذة" موضع اهتمام وتعليق وشرح من الفقهاء والنقاد منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا^(٦٥).

ومن المعروف أن إنشاد ملاحم هوميروس فى احتفالات عامة ظل سائداً فى كافة المدن الإغريقية عبر مختلف العصور. فيشير إليها هيرودوتوس^(٦٦). إذ يقول

(٦٤) Vivante, op. cit. pp. 120-209.

قارن أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٤٢-٦٦، ٨٠-٨٩.

(٦٥) M.M.Willcock, A Companion to the Iliad. The University of Chicago Press 1976, p. 277-8.

(٦٦) Herodot., V 76.

إن كليستينيس طاغية سيكيون (٦٠٠-٥٧٠ ق.م) المعادى لأرجوس قد ألغى منافسات إنشاد ملاحم هوميروس، لأنها تمجد أرجوس والأرجيين في كل أجزائها. وفي هذا ما يؤكد دور أشعار هوميروس من حيث التأثير في الاتجاهات السياسية والرأى العام ببلاد الإغريق.

وفي جزيرة خيوس كانت هناك أسرة من المنشدين تحمل لقب "أبناء هوميروس" (Homeridai). وتطور محاوراة أفلاطون "إيون" Ion حول المنشد الملحمى الجوال الذى ولد في إفيسوس، وكان قد شاهد احتفالات الإنشاد في إبيداوروس والباناثينيا في أثينا. ويدل كل هذا على أن هوميروس كان لا يزال يحرك مشاعر كافة الإغريق في القرن الرابع ق.م. ونفهم من محاوراة أفلاطون "بروتاجوراس" (٦٧) أن تلاميذ المدارس كانوا يتدربون على قراءة هوميروس. وسماه أفلاطون في محاوراة "الجمهورية" (٦٨). "معلم هيلاس". وفي "مأدبة" (Symposion) كسينوفون يقول أحد الحاضرين "لقد أراد أبى أن يجعلنى رجلاً طيباً فأمرنى بقراءة أشعار هوميروس كلها، وأنا الآن أحفظ عن ظهر قلب كل "الإلياذة" و "الأوديسية" (٦٩).

ويقول إيسوكراتيس إن هوميروس يجسد الروح الهيلينية (٧٠) ويروى بلوتارخوس أن الكبياديس ذهب إلى إحدى المدارس وطلب من ناظر المدرسة نسخة من هوميروس، فلما أجابه الناظر أنه لا توجد أية نسخة لهوميروس بالمدرسة انهال عليه ضرباً مبرحاً. وهناك إشارات متعددة في مسرحيات أريستوفانيس لهوميروس باعتباره رمز "التعليم القديم" في مقابل "التعليم الحديث" الذى أفسد الشباب وجعلهم مخنثين (٧١).

وكانت كل طبعة من الطباعات التى صدرت لهوميروس في العصر الهيلينستى وفي مكتبة الإسكندرية تحمل اسم صاحبها من الفقهاء. وكانت "الطبعة الأولى" التى سمعنا عنها من عمل أنتيماخوس من كلاروس (في أيونيا حوالى ٤١٠ ق.م).

Plato, Prot. 326A. (٦٧)

Idem. Rep. 606 E. (٦٨)

Xenoph., Symp. (٦٩)

Isocr., Panegyrikos, أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٤٩٦-٤٩٩، ٥١١ وما يليها وانظر (٧٠)

Plutarch., Alcib. 7. (٧١)

وهناك طبعات تنسب إلى المدن، فهناك طبعة ماساليا وخيوس وأرجوس وسينوبى وقبرص وهى التى عاد إليها فيما بعد أريستارخوس. بالإضافة إلى طبعات شعبية عامة غير دقيقة (Koinai, demodeis).

أما الدراسات الهومرية بالإسكندرية فقد بلغت شأواً عظيماً فيما بين ٢٧٠ و ١٥٠ ق.م. وارتبطت بأسماء ثلاثة من كبار الفقهاء هم زينودوتوس وأريستوفانيس وأريستارخوس.

جاء زينودوتوس من إفيسوس وجعله بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٨ ق.م) أميناً لمكتبة الإسكندرية وأصدر طبعة لهوميروس ومعجماً لغوياً (Homerikai glossai). ثم جاء أريستوفانيس البيزنطى (حوالى عام ٢٠٠ ق.م) تلميذ زينودوتوس وخليفته أميناً للمكتبة. ونشر طبعة جديدة لهوميروس مبنية على طبعة أستاذه مع شىء من التحسينات.

أما أريستارخوس الساموطراقى فكان تلميذ أريستوفانيس وخليفته أميناً للمكتبة إبان النصف الأول من القرن الثانى ق.م (حوالى عام ١٦٠ ق.م). وله ثلاثة إسهامات، الأول بعنوان Syggrammata (دراسات فى بعض المسائل الهومرية) والثانى بعنوان تعليقات على نص هوميروس Hypomnemata، والثالث بعنوان "طبقات" ekdoseis، حيث نشر نصوص هوميروس مع استخدام نظام من العلامات الدالة على الأبيات المشكوك فيها أو فى ترتيبها على سبيل المثال. وكان أريستارخوس بلا شك أعظم الفقهاء دارسى هوميروس فى العالم القديم. وبلغ من الدقة فى تحقيق "الإلياذة" إلى حد أنه قد وضع خريطة طبوغرافية لمنطقة طروادة والمعسكر الإغريقى هناك. وهو الذى فرق بين "أرجوس البلاسية" فى ثيساليا و "أرجوس الآخية" فى البلوبونيسوس. وإليه (أو إلى أريستوفانيس أو زينودوتوس) تنسب فكرة تقسيم "الإلياذة" و "الأوديسية" إلى ٢٤ كتاباً يحمل كل منها حرفاً من حروف اللغة الإغريقية. وهو النظام المتبع إلى يومنا هذا حتى فى أحدث الطبقات، حيث توضع الحروف الكبيرة ترقيماً "للإلياذة" والحروف الصغيرة "للأوديسية".

ولا يتسع المجال لتتبع جهود ديديموس Didymos السكندرى (حوالى ٨٠-١٠ ق.م) ومعاصره الأصغر أريستونيكوس Aristonikos السكندرى (الذى عاش فى العصر الأوغسطى) ولا آيليوس هيروديانوس Aelius Herodianos (حوالى ١٦٠م) ووضع دراسة عن النظام الصوتى "للإلياذة". أما نيكانور Nikanor

(ازدهر ١٣٠م) فقد ألف كتابًا عن الترقيم في أشعار هوميروس.

وفيما بين ٢٠٠ و ٢٥٠م وضع أحد تلامذة الفقهاء الأربعة ديديموس وأريستونيكوس وهيروديانوس ونيكانور ملخصًا للإلياذة Epitome. وفي القرن العاشر الميلادي كتب ناسخ "الإلياذة" هذا الملخص على هامشها. وهذا هو محتوى مخطوط فينيسيا الشهير Codex Venetus A رقم ٤٥٤ الموجود إلى اليوم بمكتبة سان مارك في فينيسيا.

ولا تفوتنا الإشارة السريعة إلى ديميتريوس Demetrios من سكبسيس Skepsis بمنطقة طروادة (ولد حوالي ٢١٤ ق.م) الذي ساعد في وضع طبوغرافيا "الإلياذة". حيث ألف ستين كتابًا تعليقًا على "قائمة السفن" الواردة بالكتاب الثاني "بالإلياذة" والتي أسلفنا الحديث عنها. ولا ننسى كذلك أسقف نيسالونيكي يوستاثيوس Eustathios الذي جمع أقوالاً وشروحاً ومقتطفات من هوميروس في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي وسبق أن ألمحنا إليه.

وبصفة عامة يمكن القول إن النص الهومري المتداول الآن "للإلياذة" هو الذي حققه أريستارخوس بعد الاطلاع على طبعات سابقة له قد تعود للقرن السادس ق.م. وهو الذي وصل بعد قدر من التعديلات والتصويبات عبر مخطوطات عدة إلى ناشري الطبعات الحديثة.

ومازالت الدراسات الهومرية متواصلة وستواصل تجددتها مع الزمن. ويرجع الفضل في ذلك جزئيًا على الأقل إلى رمال مصر التي ماقتت تمدنا بشذرات بردية من "الإلياذة" و "الأوديسية" تدعم النص الذي بأيدينا أو تصححه وتغير وتبدل فيه. ونضرب لذلك مثلاً بالبرديات التالية المكتشفة في مصر وتحمل شذرات من "الإلياذة".

Manfredo Manfredi, Papiri dell' Iliade, a cura di Manfredo Manfredi, Istituto Papirologico G. Vitelli. Firenze 2000.

وباليونان أنشئ "مركز دراسات الأوديسية" في إيثاكي موطن أوديسيوس وعقد عدة مؤتمرات دولية نشرت أعمالها في مجلدات تملأ المكتبات. ويعقد مهرجان سنوي بعنوان "الهومريات" يتمحور حول جزيرة خيوس. أما إذا نظر المرء في الدوريات المتخصصة وكذا إصدارات دور النشر عبر العالم كله وشبكة

المعلومات الدولية (إنترنت) فلن يستطيع أن يحصى بسهولة فيض الدراسات المنهجرة بكل لغات العالم عن هوميروس^(٧٢).

ب- "الإلياذة" ينبوع الإلهام الشعري قديماً وحديثاً:

واعتبر هوميروس في العصور الإغريقية التالية له مصدراً للديانة والطقوس بل مرجعاً للتاريخ وحجة في المنازعات. فعندما تصارع الأثينيون والميجاريون حول ملكية الجزيرة الصغيرة سلاميس استشهد الأثينيون بالبيت رقم ٥٥٨ من الكتاب الثاني حيث وضع أياس من سلاميس سفنه جنباً إلى جنب مع السفن الأثينية (في الجزء المعروف باسم قائمة السفن)^(٧٣). ويقول بريكلير في الخطبة الجنائزية التي حفظها لنا ثوكيديديس إن أثينا وأمجادها لا تحتاج حتى لمديح هوميروس^(٧٤)، مما يعني أن كافة المدن الإغريقية كانت تبني اعتزازها القومي وفخارها بالماضي العريق على ما جاء عند هوميروس. ومن هنا أيضاً تأتي الشكوك حول الانتحال.

فهوميروس هو ينبوع الأدب الإغريقي الذي انبثق جارفاً من قمة شاهقة فسالت منه الأنهار هنا وهناك، ونهل منه كل من جاء بعده في الأدب الإغريقي والروماني ثم الأوروبي والعالمي. صارت أشعار هوميروس بمثابة كتابات مقدسة توجز جوهر المعرفة الإنسانية وتجسد التفوق البشري. يقول أفلاطون إن من تتسنى له فرصة فهم هوميروس يهيمن على أساليب الفنون جميعاً هيمنة تامة^(٧٥). ويعتبر هيراكليتوس أشعاره منجماً لا ينضب معينه من الورع الديني والحكمة الفلسفية^(٧٦).

(٧٢) عن الدراسات الهومرية راجع:

R. Pfeiffer, History of Classical Scholarship. From the beginnings to the End of the Hellenistic Age. Oxford 1968.

Anton Powell ed. : The Greek World. Routledge. London and New York 1995.

D.W. Packard – T. Meyers, A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970, preliminary ed. Malibu, Calif. 1974.

R.W. Lambertson– J. Kenney: (edd.) Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes. Princeton 1992.

أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٥٢٥ وما يليها.

Aristotle, Rhet, I 15. (٧٣)

Thucyd. II 414. (٧٤)

Plato., Ion. 359 d. (٧٥)

Herakleitos, Homerika Problemata (Quaestiones Homericae), Teubner 1910; (٧٦)

cf. H.J. Rose, A Handbook of Greek Literature from Homer to the Age of

Lucian. Methuen, London 1965. pp. 15, 355.

ولم يقتصر تأثير هوميروس على الشعر^(٧٧) بل امتد إلى فنون النثر، لأن الناثرين تعلموا منه كيف يسردون قصة طويلة في أسلوب أدبي شيق، حتى إنه يمكن اعتبار تاريخ هيرودوتوس وكأنه ملحمة نثرية. وهكذا صار هوميروس بمرور الزمن في نظر معجبيه من الإغريق والرومان الشاعر الذي لا يخطئ. إذ لا بد دائماً من البحث عن المعنى الخفي الذي لم نعيه أو نستوعبه، ولا مناص في النهاية من أن يكون هو الصائب ونحن المخطئون. وفي العصور الوسطى أصبح هوميروس (و فرجيليوس) منبعاً لكل فتوى ومصدرًا لكل حكمة ودرساً في كل فن، فلا مفر من إيجاد سند قوى من أشعاره إذا أراد أى إنسان أن يثبت حجته أو يدعم رأيه في أية مسألة مطروحة علمية كانت أم فلسفية، دنيوية أم لاهوتية.

تعتبر "الإلياذة" و "الأوديسية" - إذا قورنتا بالملاحم الأوروبية الحديثة^(٧٨) مثل "الفردوس المفقود"^(٧٩) لميلتون - ملحمتين ملهمتين بمعنى أنهما من الشعر الملحمي النابع مباشرة من أفعال بطولية بصورة تلقائية. ومثل هذا الشعر الملحمي الشفوى كان موجوداً حتى قبل هوميروس كما سبق أن ألمحنا، وكما يرد في "الإلياذة" (الكتاب التاسع بيت ١٨٦ وما يليه)، حيث يذهب وفد آخى إلى أخيليوس المعتكف في محاولة لاسترضائه فيجدونه يعزف على قيثارته متغنيا بأمجاد الرجال أى منشدا شعراً ملحمياً. وهدف مثل هذا الغناء الملحمي عملي ونفعي، لأنه يعطى تسجيلاً

(٧٧) عن تأثير هوميروس في الشعر الغنائي عامة وفي أشعار بنداروس خاصة راجع:

Gregory Nagy, *Pindar's Homer: The Lyric Possession of an Epic Past*. The Johns Hopkins University Press 1982.

Bernard Fenik, *Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style*. Cambridge: Harvard University Press 1986. (٧٨)

Jeffrey Tigay, *The Evolution of the Gilgamesh Epic*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press 1982.

Ronald Barnett, *Comparative Studies in Homeric Epic and other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic*. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.

وأما بشأن البحث عن هوميروس في أفريقيا ومقارنة ملاحم هوميروس بالتراث الملحمي شرقاً وغرباً راجع: Muhammed Dalhatu, "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In *Oral Poetry in Nigeria*. Ed. U. Abalogu, 1981, pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.

Jan. Knappert, *Epic Poetry in Swahili and other African Languages*. Leiden Brill 1983.

أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٨٩-١٠٢

(٧٩) عن تقليد ميلتون هوميروس راجع: Highet, op. cit., pp. 150 ff.

شعريا وحيًا للبطولات، كما يتمتع كلا من المشاركين في الغناء والمستمعين إليه. وهو شعر يصف عالما حقيقيا لا خياليا صرفا، ولو أن غلالة طقسية وسحرية قد تلف عملية الغناء الملحمي برمتها. ولكن هذا ما نلاحظه حتى في ملحمة أوروبية حديثة مثل "أغنية رولان" *Chanson de Roland* التى تتغنى بأعمال بطولية خارقة، ومع ذلك يشعر المرء بأن هذه القصيدة تقوم على أساس وصف حادث فعلى.

هناك نوع آخر من الملاحم يختلف عن ملحمتى هوميروس، ملاحم تعالج أحداثا أسطورية تتفاعل فى ذهن الشاعر ومع خياله. وهذا ما حدث بالنسبة لشاعر الإسكندرية أبوللوونيوس الرودسى (أى الرودى) وهو ينظم ملحمة "الأرجونوتيكا" (أى "رحلة السفينة أرجو"). إنه يتبع الخطوط العريضة للأسطورة كما وردت عند شعراء التراجميديا الإغريقية، ولكنه يخترع شخوصا وأحداثا جديدة يرويها بالطريقة التى تروق له. فشخصية ميديا مثلا فى الكتاب الثالث يرسمها أبوللوونيوس بوعى "سيكولوجى" عميق، كما أن لحظة الشك التى تتابها (بيت ٦٤٥ وما يليه) مقنعة لأقصى حد. بيد أننا نلاحظ أن مغامرات بحارة السفينة أرجو عند أبوللوونيوس الرودسى فى نهر الدانوب والبو والرون من اختراع الشاعر نفسه، وتعكس سعة اطلاعه واهتماماته الجغرافية وهى سمة مميزة لعصره أى العصر الهيلينى أو السكندرى^(٨٠).

ما يهمنا الآن هو أن ملحمة أبوللوونيوس الرودسى قد نظمت فى سعة من الوقت وروجعت وصححت أكثر من مرة. وهى تخاطب جمهورا قارئا بصمت - أو حتى بصوت مسموع - على النقيض من ملاحم هوميروس الإنشادية التى تلقى على جمهور منصت. ومن ثم يمكن القول عن ملحمة أبوللوونيوس إنها ملحمة أغلبها من صنع الخيال، أو على الأقل غير واقعى، وتخاطب الذهن أكثر مما تخاطب الوجدان. وهذا أمر ينطبق على ملحمة "الإنيادة" لفرجيليوس وسائر الملاحم الرومانية الأخرى و "الفردوس المفقود" لميلتون. فعالهما جميعا من صنع الخيال والدرس الواعى، وهو شئ ينبغى ألا نتوقعه من هوميروس الشاعر أو المنشد الملهم. تدور ملاحم أبوللوونيوس وفرجيليوس وميلتون وغيرهم فى الأغلب حول موضوعات تجريدية. ورب قائل يقول إن "غضبة أخيليوس" التى تقوم عليها "الإلياذة" - مثلا - فكرة تجريدية أيضا. وقد يكون هذا صحيحا بيد أننا فى الملحمة

نفسها لا نرى هذه الغضبة إلا فى إطار وصف أحداث ووقائع، محسوسة وتشكل أساساً فنياً وواقعياً للإنشاد الملحمى. أما فى "الإنيادة" لفرجيليوس على سبيل المثال فالموضوع الرئيسى هو عظمة روما، وكذا فى "الفردوس المفقود" لميلتون فالهدف هو وصف سقوط الإنسان، بيد أن الملحميتين تضمان الكثير من الحوادث والتفاصيل الإضافية التى قصد بها على وجه العموم تأكيد الموضوع الرئيسى، ولكنها فى مجملها لا ترتبط عضوياً بالحبكة الفنية للملحمة. مثال ذلك الاستعراض التنبؤى لتاريخ روما الذى يقدمه لنا أنخيسيس فى العالم السفلى بالكتاب السادس من "الإنيادة"^(٨١). لقد وضع فرجيليوس من البداية هدفاً واضحاً نصب عينيه ويسعى إليه بكل الطرق وبكل الوعى - أى تمجيد أو غسّطس - مما أفقد ملحمة دفع العفوية وطلاوة التفائنية المتدفقة. وأصبح بطله آينياس وعاءاً ممثلاً من الفضائل الرومانية، وبذلك أخرجه من نطاق البشرية. وشتان بين هذا البطل وأخيليوس أو أوديسيوس الهومريين ! أما ملاحم العصر الفضى فى الأدب اللاتينى فهى تقلد مقلدى هوميروس السكندريين، وتبتعد تماماً عن الأصول الشفوية للشعر الملحمى^(٨٢).

صفوة القول إن هوميروس يمثل الشعر الملحمى الأصيل والقائم على تقنية الشعر الشفوى لا الأدب المكتوب. وهى تقنية تتجلى فى عدة جوانب أهمها جميعاً الحبكة الملحمية القائمة على وحدة الموضوع والجو النفسى العام مهما وقع من تكرار أو استطراد. ونتيجة أخرى يمكن أن نستنبطها من دراستنا للتقنية الملحمية الهومرية وهى أن التفكير الدرامى صفة مميزة للعقالية الإغريقية منذ البداية. وهذا ما يفسر لنا مقولة أيسخولوس سألقة الذكر "ما مسرحياتى إلا فئات مائدة هوميروس الحافلة".

كان هوميروس أول من فجر قضية جوهرية لا تزال تشغل كل المهتمين بالأدب والفنون إلى يومنا هذا، أى قضية التعامل مع التراث. فموضوع هوميروس ليس الماضى فقط بل الحاضر أيضاً، فهو يتعامل مع أساطير الأبطال القدامى، ولكنه يصور حياة معاصريه. وبذلك ضرب المثل الذى حذا حذوه كل الأدباء

(٨١) أحمد عثمان: "الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى"، (الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٩٥)، ص ٢٤٤-٢٨٠.

(٨٢) أحمد عثمان: الأدب اللاتينى ودوره الحضارى العصر الفضى. أيجيتوس ١٩٩٠، ص ١٣٤ ومايلها.

والشعراء الإغريق من بعده. بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الآداب الحديثة كلها لازالت تتبع هذا النموذج الهومري وهي تتعامل مع التراث الموروث عن الماضي البعيد. إذ ما هي الفائدة المرجوة من إحياء التراث - أى تراث - إن لم يكن يهدف إلى خدمة الحاضر وتصوير أحواله وتسلط الضوء على آماله وآلامه ؟

فى قصيدة بترارك الملحمية "أفريقيا" نجد الشاعر اللاتينى الملحمى إنيسوس رفيق سكيبيو أفريكانوس فى حملته الإفريقية يحكى أنه فى رحلة العودة إلى روما رأى فيما يرى النائم هوميروس الذى أخبره أنه سيصبح "هوميروس الآخر" أو "الثانى" *alter Homerus* ^(٨٣). ووجه بترارك الذى حاول مراراً أن يتعلم الإغريقية أربعة من رسائله - وهى الأطول - إلى هوميروس.

فى عام ١٣٥٤ وصل نيكولاس سيجيروس *Nicholas Sigeros* مبعوث الإمبراطور البيزنطى إلى البلاط البابوى فى أفينيون *Avignon* وقدم له نسخة من "الإلياذة" فاحتضنها البابا بحماس، ولكنه اعترف "هوميروس هديتك لى سيظل عندى صامتاً، كم كنت أتمنى أنى قد سمعتك !".

"*Homerus tuus apud me mutus... quam cupido te audirem*".

وكان على بترارك أيضاً أن ينتظر أربع أو خمس سنوات لىسمع هوميروس يتحدث فى ترجمة لاتينية حرفية أنجزها ليوننتزيو بيلاتو *Leonzio Pilato*، وكان قد ولد فى كالابريا لأم يونانية. وكان قد ترجم بالفعل خمس كتب من "الإلياذة" قبل أن يقنعه بترارك وبوكاشيو فى فلورنسا أن يتم ترجمة ملحمتى هوميروس.

وبىدين مرتعتشتين أمسك الشيخ المسن بترارك ترجمة الملحمتين وعلق عليهما حتى وصل إلى الكتاب الثانى من "الأوديسية" بيت ٢٤٢. حيث مات فى ٢٣ يوليو ١٣٧٤ قبل أن يتم التعليق على "الأوديسية"، ولكنه أنجز تدوين ملاحظاته على "الإلياذة".

وكان بوكاشيو هو الذى دعى بيلاتو إلى فلورنسا ليتعلم على يديه اللغة الإغريقية، بل استضافه فى منزله - رغم أنه لم يكن غنياً أو ذا نفوذ - طيلة ثلاث سنوات ليتم ترجمة هوميروس إلى اللاتينية، وهى أول ترجمة من نوعها فى فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة.

كان بوليتسيانو **Poliziano** أو كما هو شائع بوليتيان شاعرًا وناقذًا ولد عام ١٤٥٤ وصار في شبابه صديقًا للورنزو دي ميديتشي. وبدأ يتعلم الإغريقية في سن العاشرة، وفي سن السادسة عشر نظم شعرًا بها، وفي الثامنة عشر ترجم الكتب من الثالث إلى الخامس من "الإلياذة" في شعر لاتيني رائع بالوزن السداسي. لقد كان أول عالم غربي ينافس المهاجرين اليونان في معرفة اللغة الإغريقية القديمة. وهو أول من حاول تصحيح المخطوطات الإغريقية القديمة ويملاً الفجوات فيها بكلمات إغريقية صحيحة. حاضر في هوميرس (وهيسودوس وثيوكريتوس) وكانت مقدماته لهذه المحاضرات قصائد بالوزن السداسي أطلق عليها اسم "البستان" **Silvae** إحياءً لذكرى شاعر الملاحم اللاتيني الفضي ستاتيوس^(٨٤). ولم يمهل الموت ليصدر طبعة كاملة لهوميرس.

نقل لورنزو فالالا **Lorenzo Valla** (١٤٠٧-١٤٥٧) عام ١٤٢٨-١٤٢٩ أربعة كتب من "الإلياذة" إلى لغة لاتينية نثرية بسيطة وواضحة. وفي عام ١٤٤٢-١٤٤٣ كان قد وصل إلى ما يقرب من ثلثي الملحمة. وبعد موته أكمل عمله تلميذه فرانشيסקو أريتينو **Francesco Aretino**.

وظهرت أول ترجمة فرنسية لهوميرس عام ١٥٣٠، وهي ترجمة جان سامكسون **Jehan Samxon** النثرية "للإلياذة" والتي هي في الواقع منقولة عن ترجمة فالالا اللاتينية مع إضافات من روايات أخرى للحرب الطروادية سادت في العصور الوسطى ستعرض لها بعد قليل. وبعدها ترجم سالييل **H.Salel** عشرة كتب من "الإلياذة" عام ١٥٤١ شعرًا ونشرت ١٥٤٥. وأكملها أماديس جامين **Amadis Jamyn** عام ١٥٧٧. ثم جاءت مدام داسيه **Mme Dacier** (١٦٥٤-١٧٢٠) بترجمة "الإلياذة" ١٧١١ و "الأوديسية" ١٧١٦ فأذهلت الجميع وغطت على كل الترجمات السابقة، ولا تزال ترجمتها تقرأ إلى يومنا هذا. أما أبوها ليفيفر **Tanaquil Lefevre** فقد كان محررًا واسع الثقافة وناشرًا للعديد من النصوص الإغريقية واللاتينية.

نقل تشابمان **George Chapman** "الإلياذة" ١٦١١ و "الأوديسية" ١٦١٤ والأنشيد ١٦١٦ من اللغة الإغريقية إلى الإنجليزية مباشرة وشعرًا. ولطالما تفاخر

(٨٤) أحمد عثمان: الأدب اللاتيني الفضي، ص ١٤١-١٥٠، ١٦٠-١٦٤.

تشابمان بأنه أنجز ترجمة النصف الثانى من "الإلياذة" (الكتب ١٣-٢٤) فى أقل من أربعة شهور ! ووصف الشاعر كيتس Keats هذه الترجمة بأنها عالية الصوت وجريئة (Loud and Bold). إنها أول ترجمة شعرية كاملة لهوميروس ومن الإغريقية مباشرة فى لغة أوربية حديثة.

هذا وإن سبقته بعض المحاولات الجادة مثل الترجمة الشعرية الإيطالية للأوديسية" التى قام بها لودوفيكو دولشى Lodovico Dolce عام ١٥٧٣، وكذلك ترجمة الكتب السبعة الأولى من "الإلياذة" فى شعر مرسل أنجزها جيرولامو باتشيللى Girolamo Bacelli عام ١٥٨١-١٥٨٢. ومن ثم يمكن القول إن ترجمة تشابمان رائدة ولم يسبق لها مثيل.

وفى مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" (Troilus and Cressida) الإغريقية الموضوع أيضاً يستعير الشاعر الإنجليزى بعض الشئ من "الإلياذة" هوميروس. مثال ذلك المبارزة بين هيكتور وأياس وحديث أوديسيوس^(٢٠) (ف ١ م ٣ ب ٧٨ ومايليها) وكذلك شخصية ثيرسييتيس^(٨٥) سالفة الذكر، التى لم تظهر فى الروايات الشائعة للحرب الطروادية إبان العصور الوسطى، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فى حينه. يهمنى الآن أن نشير إلى أن كل الدلائل تثبت أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة"، ولاسيما الكتاب الأول والثانى والكتب من السابع إلى الحادى عشر، حيث ظهرت عام ١٥٩٨. ومع ذلك نجد مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" ليست فقط منافية لروح البطولة الإغريقية، ولكنها أيضاً تمثل كاريكاتيراً غير مقنع لبلاد الإغريق وحضارتهم.

وعرضت مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" عام ١٦٠١/١٦٠٢. ويعنى الاسم ترويلوس أو طرويلوس "الطروادى الصغير". وقد ورد فى الروايات الأسطورية الإغريقية على أنه اسم الابن الأصغر لبرياموس ملك طروادة من هيكاى ملكتها. وتقول الأساطير أيضاً إنه قد قتل على يد أخيلئوس وهو الذى يبكيه ملك طروادة برياموس - بين أبنائه الآخرين المفقودين فى الحرب ("الإلياذة" الكتاب الرابع والعشرون، بيت ٢٥٧). وبغض النظر عن هذه الأساطير الإغريقية الكلاسيكية، هناك قصة أخرى شاعت فيما بعد العصر الإغريقى الرومانى، وتعزى

(*) ف = فصل، م = مشهد، ب = بيت.

(٨٥) عن هذه الشخصية وعلاقتها بأبطال هوميروس راجع: أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٥١ ومايليها.

إلى الشاعر الغنائى بينوا دى سانت مور، الذى عاش إبان القرن الثانى عشر تحت رعاية وحماية هنرى الثانى ملك إنجلترا. إذ كان هذا الشاعر قد ألف "قصة طروادة" (Roman de Troie) معتمدا على داريس الفريجي Dares Phrygius - والفريجي تعنى الطروادى^(٨٦)، وديكتيس كريتينسيس Dictys Cretensis (أى ديكيتيس الكريتى). والأول هو فى الأصل شخص يرد اسمه فى "الإلياذة" (الكتاب الخامس بيت ٩)، على أنه كاهن الإله هيفايستوس فى طروادة. وفى العصور الوسطى نسب إليه وضع عمل لاتينى، قيل إنه ترجمة للوصف الذى أعطاه هو بنفسه بوصفه شاهد عيان لتدمير موطنه طروادة، وحمل عنوان "عن الخروج من طروادة" (De Excidio Trojae). ويرجع بعض الدارسين ظهور هذا المؤلف المترجم إلى القرن الخامس الميلادى. أما ديكيتيس كريتينسيس (الكريتى) فقد نسب إليه أيضاً وضع عمل مماثل يسجل أحداث الحرب الطروادية وكتب باللغة الإغريقية^(٨٧). ثم شاعت ترجمته اللاتينية على يد لوكيوس سيبتيميوس (Lucius Septimius) إبان القرن الرابع الميلادى. ولاقت هذه الترجمة قبولا وذبوعا فى العصور الوسطى التى حفظتها من الضياع، حتى وصلت إلى أيدى الدارسين المحدثين. ومن مقدمة هذه الترجمة علم أن ديكيتيس من مواليد مدينة كنوسوس (تسمى الآن هيراكليون) بجزيرة كريت، وأنه هو الذى اصطحب إيدومينيوس - حفيد الملك الأسطورى للجزيرة أى مينوس - إلى الحرب الطروادية.

وهاتان الروايتان الأسطوريتان الشائعتان فى العصور الوسطى أصبحتا المصدر الرئيسى لأى عمل أدبى عن الحرب الطروادية إبان عصر النهضة الأوروبية. فعليهما اتكأ جويدو دا كولونا أو ديللى كولونى (Guido da Colonna أو G.delle Colonne) الكاتب الصقلى الذى عاش إبان القرن الثالث عشر ومؤلف القصص باللغة اللاتينية وصاحب "التاريخ الطروادى" (Historia Troiana). وهى

(٨٦) ساد الاعتقاد لدى الكتاب الإغريق بعد هوميروس بأن الطرواديين جاءوا من سلالة الفريجيين، ولكن الأمر غير ذلك عند هوميروس نفسه ولقد سلف أن تساءلنا: من هم الطرواديون ؟ راجع أعلاه.

(٨٧) H.J. Rose, Outlines of Classical Literature for the Students of English. London Methuen 1959, pp. 216-217.

حيث يذكر المؤلف أنه عثر مؤخرا على بردية فى تيبونيس Tebtunis (أى أم البرجات على الحدود بين الفيوم وبني سويف) وتحوى شذرة إغريقية من مؤلف ديكيتيس هذا، ويرجح أن تاريخها يعود إلى القرن الثانى الميلادى.

فى الواقع نسخة نثرية لـ ("قصة طروادة") للمؤلف الشاعر بينوا دى سانت مور، مع أن جويدو نفسه لا يعترف بذلك. ولقد ترجمت قصة جويدو نفسها فيما بعد إلى أشعار تنسب إلى كل من جون باربور John Barbour (١٣١٦-١٣٩٥) الشاعر الإسكتلندى، وجون ليدجيت John Lydgate (١٣٧٠-١٤٥١؟) راهب بيورى سانت إدموندز (Bury St.Edmonds). فالأول نظم قصيدة "أسطورة طروادة" (Legend of Troy)، وقيل إنها ترجمة لقصة جويدو التى أصبحت تعرف بعنوان جديد هو "قصة تدمير طروادة" (Historia Destructionis Troiae). أما الثانى فهو صاحب "كتاب طروادة" (Troy Book) الموضوع فيما بين ١٤١٢ و ١٤٣٠ والمطبوع عام ١٥١٣. وهو فى الواقع عبارة عن قصيدة تقع فى خمسة كتب، ونظمت بناء على طلب الأمير هنرى - أى الملك هنرى الخامس فيما بعد - وتقص "القصة العظيمة" (noble storye) لطروادة، وتعد بصورة أو بأخرى مدخلا تمهيديا لقصة "الاستعمار" الطروادى لإنجلترا على يد بروتوس حفيد آينياس الطروادى^(٨٨) - الذى أسس حفيده رومولوس وريموس مدينة روما - طبقا لما ورد عند جيوفرى من مونموث Geoffrey of Monmouth أو باللاتينية جافريدوس

(٨٨) حاولت بعض الدول الأوروبية الحديثة أن تنهج نهج روما القديمة فتدعى لنفسها نسبا طرواديا. فكما أشاع الرومان - واعتقدوا - أنهم من نسل آينياس الطروادى حاولت هذه الدول أن تبحث لنفسها عن أصول طروادية. ولم تلك قصة بروتوس أو بروت (Brut) مؤسس السلالة البريطانية موضوعا خياليا صالحا للأدب والفن فحسب، بل صارت شبه واقعة تاريخية يؤمن الناس بصحتها. فمنذ ليامون (Layamon) - أو لومون (Lawmon) ويعنى اسمه "رجل القانون" (Lawman) - الذى ازدهر حول عام ١٢٠٠م وألف كتاب "بروت" وهو تاريخ لإنجلترا منذ وصول بروتوس الأسطورى إلى الجزيرة البريطانية وحتى عهد كادواللادار Cadwalladar (٦٨٩م) والذى اعتمد المؤلف فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة على نسخة ويس Wace الفرنسية لـ "تاريخ ملوك بريطانيا" لجيوفراى من مونموث مع إضافات أخرى. وتضمن مؤلف ليامون لأول مرة تاريخ ملوك مثل لير وسمييلين وشخصيات أخرى ظهرت فى الأدب الإنجليزى بعد ذلك. ولكن قصة بروت (بروتوس) قبلت أيضا كما سبق القول على أنها تاريخ حقيقى إلى الحد الذى دفع بوشانان (Buchanan) فى الكتاب الثانى من مؤلفه "تاريخ الإسكتلنديين" (Historia Scotorum) إلى أن يتخذ هذا الاعتقاد بشدة. على أية حال لقد حاول البريطانيون بخلق هذه الأسطورة أن يربطوا نشأة دولتهم بأصل طروادى ضاربين عرض الحائط بالصعوبة اللغوية الكامنة فى حقيقة أن اسم البطل الطروادى الذى وقع عليه اختيارهم أى "بروتوس" كان لاتينيا وليس إغريقيا أو طرواديا ! وذهب بعض البريطانيين إلى حد أن جعلوا لغة هذا البطل ويلشية (Welsh) ! وقيل كذلك إن الاسم الأصلى للعاصمة البريطانية هو "طروى نوفانت" أى "طروادة الجديدة" (Troynovant). ولكن هذا الاسم قد يكون مشتقا من الاسم القبلى فى بريطانيا "ترينو بانيس" (Trinobantes) والذى ورد عند يوليوس قيصر وتاكيوس. ومما يذكر فى هذا الصدد أن الحرف b و v قد أصبحا شيئا واحداً ويمكن أن يحمل الواحد منهما محل الآخر أبان العصور الوسطى فذلك ما حدث بالنسبة للحرف الاغريقى "بيتا" (B) الذى أصبح ينطق "فيتا". أما المقطع Tri فمن اليسر تحويله إلى Troia وبذلك يصبح اسم العاصمة البريطانية الأصلى - مثل اسم روما القديمة - هو "طروادة الجديدة" أو "طروى نوفانت" !

مونيموتينسيس *Gaufridus Monemutensis* (١١٠٠-١١٥٤) في كتابه "تاريخ ملوك بريطانيا" (*Historia Regum Britanniae*).

وفي الكتاب الثالث من قصيدة ليدجيت، وهو الذى يعالج قصة ترويلوس وكريسيدا، يقدم الشاعر تحية مستطابة إلى أستاذه (maister) تشوسر (حوالى ١٣٥٤-١٤٠٠)، الذى سبق أن تناول الموضوع فى قصيدته "ترويلوس وكريسيدا" (*Troilus and Cryseyde*)، التى نظمت فى الفترة ما بين عام ١٣٧٢ و ١٣٨٦ والتى يعتبرها الدارسون مرحلة التأثير الإيطالى فى إنتاج هذا الشاعر الإنجليزى القديم. فلقد تأثر تشوسر فى هذه المرحلة بدانتى (١٢٦٥-١٣٢١) ويوكاشيو (١٣١٣-١٣٧٥)، الذى كتب قصيدة بعنوان "فيلوستراتو" (*Filostrato*) عن قصة ترويلوس وكريسيدا. أما عن الآخرين الذين كتبوا عن ترويلوس وكريسيدا قبل شكسبير فنذكر منهم الشاعر الإسكتلندى، الذى يعد من أتباع مدرسة تشوسر فى الشعر، إنه روبرت هنريسون أو هنريسون *Robert Henryson* أو *R. Henderson*. الذى عاش تقريبا فيما بين ١٤٣٠ و ١٥٠٦، وكتب قصيدة "عهد كريسيدا" (*Testament of Cresseid*) التى كانت تنسب إلى تشوسر حتى عام ١٧٢١، بالرغم من أنها كانت مطبوعة تحت اسم مؤلفها هنريسون منذ عام ١٥٩٣^(٨٩).

ومن المعروف أن ملحمة هوميروس الخالدة "الإلياذة" تتخذ من غضبة أخيلئوس موضوعا رئيسيا لها، كما سبق أن ألمحنا. ولقد وقعت غضبة بطل الأبطال الإغريق بسبب الإهانة التى لحقت به من أجاممنون ملك الملوك. ذلك أن طاعونا كان قد داهم المعسكر الإغريقى إبان الحرب الطروادية فأعلن العراف كالكاس أنه لا علاج ولا دواء يدرأ هذه الكارثة سوى أن يسلم أجاممنون محظيته العذراء الجميلة خريسئيس إلى أبيها كاهن أبوللو. فقبل أجاممنون أن يفعل ذلك على مضض، وبشرط أن تسلم إليه أولا عوضا عن محظيته الجميلة محظية أخيلئوس وتدعى بريسئيس. ولكن بريسئيس هذه أصبحت فى قصة جويدو بريسيدا

(٨٩) الجدير بالذكر أن درايدن (١٦٣١-١٧٠٠) نشر عام ١٦٧٩ مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" فانتقدتها جورج سينتزبرى (*George Saintsbury*) فى كتابه "رجالات الأدب الإنجليزى" (*English Men of Letters*) قائلا: "إنه كان من الأفضل بكثير ألا يحاول المؤلف تناول هذا الموضوع". وجدير بالتنويه أن درايدن جعل كريسيدا تتحرر عندما أثرت الشكوك حول إخلاصها لترويلوس. أما الآخر فيقتل ديوميديس ثم يقتل بدوره على يد أخيلئوس وهذا حل شائع لعقدة القصة.

(Briseida) بنت العراف كالخاس التى أحبها على التوالى كل من ترويلوس وديوميديس، ثم تحول اسمها فى قصيدة بوكاشيو إلى جريسيدا (Griseida). وعلى يد تشوسر أصبح الاسم كريسيد (Cryseyde). ولقد ضمت قصيدة تشوسر حوالى ٨٢٠٠ بيتاً، وأثرى المؤلف القصة التى نقلها عن بوكاشيو بإضافة عنصر الحيوية والسخرية لشخصية بانداروس (Pandarus)، الذى توسط بين ترويلوس وكريسيدا، وكذلك بتطوير شخصية الأخيرة فجعلها امرأة رزينة جادة متأنية تضع فى عين الاعتبار سمعتها ومصلحتها من ناحية، ومتعتها من ناحية أخرى. أما شخصية كريسيديا فى مسرحية شكسبير فهى فتاة طائشة مستهترّة وأنثى متهورة متقلبة وقعت فى حب ترويلوس وهجرته بعد ذلك دون سبب حقيقى. يعالج تشوسر بطلته بلطف وتعاطف ظاهرين ويرسمها لنا أرملة صغيرة جذابة ومرنة، ولكنها تذوب حياءً. وبكياسة بارعة تجنب تشوسر أن يقدم أى شرح أو تفسير مباشر لخيانتها التى وقعت، ولكنه أوحى لنا أنها تحولت إلى حب ديوميديس لا بدافع الشهوة الحسية الرخيصة، وإنما لأنها شعرت بالوحدة الفتاكة والاغتراب القاتل فى المعسكر الإغريقى. كما أنها بطبعها - كما نفهم من معطيات تشوسر - لا تقوى على المقاومة طويلة النفس أمام غواية الحب. أما كريسيديا شكسبير فهى امرأة غير متزوجة مغناج بطبعها شهوانية فى سلوكها، أى أنها أبعد ماتكون عن براءة كريسيديا تشوسر ونقائها الداخلى. فهى عند شكسبير تتورط فى الخيانة بدافع الشهوة الحسية. وهنا ينبغى أن نتذكر حقيقة أن قصيدة تشوسر قد كتبت فى عصر الحب البلاطى وفى ظل سلوك الفروسية، الذى وضع قالباً معيناً أو نمطاً مقدساً لكياسة العشاق من الفرسان النبلاء. فساد مبدآن مهمان فى قانون الحب الفروسى غير المكتوب، أولهما السرية. فعلى العاشق الفارس أن يحفظ سر عشقه فى مكنون صدره، ولا يسمح له بالخروج من أعماق القلب كيلا يشيع أمره بين الناس، ويفضح المحبوبة ويسئ إلى سمعتها وتلك سيرتها كل الألسنة. أما المبدأ الثانى فهو الإخلاص التام أو قل التفانى فى المحبوب. ولم يتضمن دستور الحب الفروسى العلاقة الزوجية، لأن هذا الحب لم يكن يهدف إلى هذه النهاية السعيدة، فلا أمل للعاشق الفارس سوى أن يفنى فى خدمة ورعاية عشيقته، ولو لم يحصل منها على مبتغاه. نعم قد تقوم علاقة جسدية بين العشيقين الفروسيين، ولكن ذلك أمر يرجع فى المقام الأول إلى المحبوبة ورضاها أو قل تعطفها على العاشق الولهان. فالعلاقة الغرامية الفروسية مقضى عليها بالفساد إذا تسرب أمرها إلى أذن أو ألسنة الناس

من ناحية، وإذا داخلها شيء من الحسية أو الشهوانية البذيئة من ناحية أخرى.

أما شكسبير الذى كتب مسرحيته بعد قرنين من الزمان فيخاطب مجتمعا آخر، تغيرت فيه الأعراف والتقاليد. فالكاتب الإليزابيثي يرى أن النهاية الصحيحة للحب هى الزواج. فإذا وضعنا فى اعتبارنا حقيقة أخرى، وهى أن كتاب عصر شكسبير لم يحفلوا كثيرا بالزنا إلا فى إطار الكوميديا الهزلية، تبينا قدر الصعوبة البالغة التى واجهت شكسبير وهو يعالج قصة ترويلوس وكريسيديا معالجة تراجيدية. كان ترويلوس أنموذج العاشق المخلص من ناحية، ولكنه لم يتزوج كريسيديا فى أى مصدر من مصادر شكسبير من ناحية أخرى. ولقد استطاع شكسبير على أية حال أن يحتفظ بمبدأ السرية المطلوبة، كما عمل على ألا يثير موضوع الزواج بطريقة مكشوفة قدر الإمكان. وذهب بعض النقاد إلى اعتبار لقاء العاشقين فى حضرة أحد الشهود نوعا من الزواج، ولكن هذه الفكرة لا تتواءم مع الانطباع العام الذى نخرج به من المسرحية برمتها، والتى يحيط بها - على أية حال - قدر كبير من الغموض. بقى أن نشير إلى أن شكسبير وتشوسر كانا أكثر تقاربا وتشابها فى رسمهما لشخصية ترويلوس، إذ اتفقا فيما بينهما على القدرة العسكرية لهذا البطل الذى لم يتفوق عليه أى بطل طروادى آخر سوى هيكتور وهو بطل الأبطال الطرواديين ونظير أخيلوس الإغريقى. ويتفق الشاعران كذلك فى أن ترويلوس عند كل منهما يتميز بالإخلاص فى الحب إلى ما لانهاية، كما أنه قد حاول أن ينسى حبه أثناء القتال، بل وتمنى أن يموت فى ميدان الحرب ليكسب الحب. ومع ذلك فيمكن القول بصفة عامة إن الجو السائد فى مسرحية شكسبير جد مختلف عنه فى قصيدة تشوسر. فمسرحية شكسبير ومعطياتها ليست فقط منافية للبطولة (antiheroic)، ولكنها إلى حد ما تعد كاريكاتيرا بعيدا فى روحه عن الروح الإغريقية التى يجهلها أو يتجاهلها.

ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى ظهور شخصية ثيرسيتيس فى مسرحية شكسبير. ولما كانت هذه الشخصية غير موجودة فى الروايات الشائعة إبان العصور الوسطى كما رأينا، فإن ذلك يدل على أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة" ولاسيما الكتاب الأول والثانى والكتب من السابع إلى الحادى عشر حيث ظهرت عام ١٥٩. وفى الواقع هناك ثلاث أو أربع إشارات أسطورية يمكن إرجاعها إلى نفس ذلك المصدر (قارن "ترويلوس وكريسيديا" ف ٣ م ٣ ب ١٩٠ على سبيل المثال).

أما عن هوميروس في بقية الدول الأوروبية الناهضة فلا يتسع المقام هنا لتتبع كل الترجمات ولا كل التأثيرات التي مارسها هوميروس في فنون الأدب ونكتفي بالإشارة إلى بعض الأمثلة، ففي إسبانيا ترجم خوان دي مينا Juan de Mena (١٤١١-١٤٥٦) "الإلياذة" نثرًا ثم صدرت نسخة موجزة للترجمة ١٤٤٠، ولكن هذه الترجمة ومن باب أولى الموجز ابتعدا كثيرًا عن نص هوميروس.

وفي ألمانيا قام سبرنج Spreng من أوجسبرج Augsburg بترجمة "الإلياذة" شعرًا إلى الألمانية. واكتسب كريستيان توبيلي Ch.T. Damm (١٦٩٨-١٧٧٨) لقب "الأكثر هومرية" Homerikotatos لأنه كان يحب اللغة الإغريقية أكثر من أي شيء آخر، ونشر قاموسًا اشتقاقياً لهوميروس وترجمة "للإلياذة" و "الأوديسية" في نثر ألماني عام ١٧٦٧.

وكان إرازموس عالم الكلاسيكيات الأشهر قد كرس جهوده لترجمة "العهد الجديد" ولم يترجم هوميروس. فلما سئل قال إن "الكتاب المقدس scriptura sacra" مثلما كان قد قيل عن هوميروس - يترجم نفسه بنفسه sui ipsius interpres^(٩٠).

وفي أوائل القرن الثامن عشر ترجم الكسندر بوب Alexander Pope (١٦٨٨-١٧٤٤) "الإلياذة" ١٧٢٠ و "الأوديسية" (١٧٢٥-١٧٢٦) وقال بنتلي - وسنعود إليه - عن هذه الترجمة "إنها قصيدة جميلة جدًا... ولكن ينبغي ألا يسميها هوميروس". ولكن تعليقات بوب وشروحه كانت ضخمة ومدققة وأعيد طبعها عدة مرات، وكان بنتلي نفسه يعد طبعة لهوميروس عام ١٧٣٢ وقيل إنه كان منهمكًا في العمل بها عام ١٧٣٤ ولكنها فيما يبدو لم تخرج للوجود.

ولطالما عقد النقاد مقارنات بين هوميروس وأغاني البطولة الشعبية ballads في الدول الأوروبية إبان العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة. وفي هذا الصدد علينا أن نضع في الاعتبار أن هذه الأغاني ليست من التطور والنضج كما مثل ملاحم هوميروس. لم تصلنا الأغاني الفولكلورية السابقة لهوميروس، والتي ربما كانت - في حالة وصولها - ستكون هي الأقرب إلى وضعها في المقارنة مع الأغاني الشعبية البطولية الأوروبية. وأهم من كل ذلك أنه ليس لدينا في الشعر

(٩٠) حول إرازموس وجهوده في إحياء التراث الكلاسيكي ودوره في النهضة راجع: أحمد عثمان: الكلاسيكية في مسرح عصر النهضة، ص ١٣٩-١٤٩.

الأوروبي الحديث هوميروس آخر.

ومن جهة أخرى وضع مؤلفو الملاحم الأدبية الحديثة ملاحمهم وهم على دراية تامة بالملاحم التي سبقتهم وبالمراجع التاريخية والأسطورية التي وضعت قبلهم. إنهم مثقفون يخاطبون جمهوراً مثقفاً يقرأ ملاحمهم ولا تنشدهم شفاهة. وهذا ما ينطبق على دانتي الليجيرى وتشوسر وميلتون وجيمس جويس وكازانزاكيس. ولدايدن Dryden أبيات مشهورة في كتب النقد حيث يقول:

Three poets, in three distant ages born,
Greece, Italy, and England did adorn:
The first in loftiness of thought surpassed;
The next in majesty; in both the last.
The force of Nature could no further go;
To make a third she joined the former two.

ثلاثة شعراء في ثلاثة عصور متباعدة زينوا جبين بلاد اليونان وإيطاليا وإنجلترا، الأول (هوميروس) تفوق في سمو الفكر، وتفوق الثاني (فرجيليوس) في الأبهة، وتفوق الثالث (ميلتون) في كليهما. ففوة الطبيعة لم تستطع أن تذهب أبعد من ذلك، فلكى تصنع شاعراً ثالثاً جمعت بين الاثنين السابقين.

فمؤلف الملاحم الأدبية لا يستطيع أن يهرب من عصره فهو يعكسه ويعكس أحواله، ومن ثم ما أبعدته عن البداوة والتلفائية الهومرية. يعطى دايدن لهوميروس المكانة الأعلى في السمو وفرجيليوس في الأبهة ولميلتون قصب السبق في الجانبين. هذه وجهة نظر دايدن التي أثارت الكثير من الجدل. فهناك من يرفضون فكرة المقارنة بين هوميروس وكتاب الملاحم الأدبية كما سبق أن أشرنا. ويمكن عقد مقارنة بين هوميروس وولتر سكوت Walter Scott (١٧٧١-١٨٣٢) الذي أعاد صياغة الأغاني الشعبية البطولية كما فعل هوميروس مع أشعار التراث الموكيني الذي سبقه فأحيا البطولات الآخية. ولكن ماثيو أرنولد Matthew Arnold (١٨٢٢-١٨٨٨) يقول عن أسلوب سكوت "إنها محاولة عالية المستوى للوصول إلى أسلوب ملحمي غير شرعي a bastard epic style". يتحدث ألفريد تينسون Alfred Tennyson (١٨٠٠-١٨٩٢) عن موسيقى هوميروس قوية الأجنحة

The strong-winged music of Homer.

تعجب ريتشارد بنتلي R. Bentley (١٦٦٢-١٧٤٢) من مقولة كولنز Collins الفضفاضة وفحواها أن هوميروس نظم أشعاره للخلود ليمتع ويعلم البشرية وبضيف قائلاً "اسمع كلامي لم يكن لدى هوميروس المسكين poor Homer مثل هذه الأفكار الطموحة. لقد نظم سلسلة أغاني ورايسوديات يغنيها هو نفسه في مقابل أجر زهيد ومتعة عظيمة في الاحتفالات والمناسبات السارة. وضع الإلياذة للرجال والأوديسية للجنس الآخر. هذه الأغاني المتفرقة لم تجمع في شكل قصيدة ملحمية حتى عصر بيسيستراتوس...".

وتحدث الشاعر الملحمي الفرنسي بيير رونسار Pierre de Ronsard (١٥٢٤-١٥٨٥) عن السلسلة الهومرية الطبيعية "La naïve facilité" في مقابل الاجتهاد والمثابرة la curieuse diligence من جانب فرجيليوس^(٩١). أما دانتى فقد قال عن هوميروس في الكوميديا الإلهية إنه الشاعر ذو الهيمنة Omèro poeta sovrano^(٩٢).

ثامناً: وبعد ... فأما قبل!

فبعد هذه الجولة المحدودة في آفاق "الإلياذة" اللانهائية نرى أن يركز القارئ على النص الهومري المترجم، وأن يحيل كل ما أثير حوله إلى الخلفية. ولقد حاولنا قدر المستطاع أن نلتزم بالنص الهومري، وأن ننقل جوهره ومعناه وروحه إلى لغة عربية مستساغة. ويحتاج كل بيت في "الإلياذة" إلى تعليقات وشروح ومناقشات، سواء بالنسبة للمحتوى أو لأبعاده الأسطورية والتاريخية والاجتماعية وما إلى ذلك. ورأينا أن نترك ذلك لدراسات تخصصية مفصلة يمكن أن تستوجبها هذه الترجمة فيما بعد، وهذا ما نتوقعه بالفعل. ففي الوقت الراهن لا نريد للقارئ الكريم أن ينشغل كثيراً بغير متعة القراءة والتأمل. على أننا وضعنا الأسس للدرس المفصل بداية بالمقدمة وانتهاءً بالمعجم الأسطوري الكشاف، الذي يضبط شكل الاسماء من جهة ويساعد الباحث على تتبع اسم معين أو أسطورة ما في النص من أوله لآخره. ولدينا آمال عريضة بأن الترجمة التي نقدم لها قادرة على أن تمنح القارئ

(٩١) Ronsard, Oeuvres Completes, ed. P. Laumonier xvi (1950) p. 5, cf. Quintil. x 86.

(٩٢) للمزيد حول تأثيرات هوميروس في الآداب الأوروبية راجع:

Hight, op. cit., pp. 270-274, 574f and passim.

الفرصة كاملة لتذوق الفن الهومري بالعربية. ونطمح كذلك أن تفتح هذه الترجمة آفاقاً جديدة للبحث والدرس المعمق.

قائمة مختارة من المراجع

أولاً: طبعات "الإلياذة"

MONRO (D.B.) – ALLEN (Th.W.): *Homeri Opera, Recognoverunt brevique adnotatione critica instruxerunt. Tomus 1: Iliadis Libros I-XII, Tomus II: Iliadis Libros XIII-XXIV, Oxonii e Typographeo Clarendoniano. Oxford University, Reprint 1978.*

MURRAY (A.T.): *Homer. Iliad, Vols 2. With an English Translation by. A. T. Murray, revised by W.F. Wyatt, L.C.L. 2nd edition. Harvard University Press 1999.*

ثانياً: مراجع باللغة العربية

أحمد عثمان : الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١.

: الكلاسيكية في مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد في مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩.

ثالثاً: مراجع بلغات أخرى

ALLEN, (W.S.) : *Accent and Rhythm. Prosodic Features of Latin and Greek. A Study in Theory and Reconstruction. Cambridge 1973.*

Idem : *Vox Graeca The Pronunciation of Classical Greek. 3rd edition Cambridge 1987.*

AUSTIN (N.) : "The Function of Digressions in the *Iliad*", *GRBS* 7 (1966) pp. 295-312.

BARNETT (Ronald) : *Comparative Studies in Homeric Epic and Other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.*

BASSETT (S. E.) : "The Pursuit of Hector", *TAPhA* 61 (1930) pp. 130-149.

- Idem** : "Dismissing the Assembly in Homer". CJ 26 (1931) pp. 458-60.
- BAUMAN (Richard.)** : Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative. Cambridge University Press 1986.
- BEYE (C.R.)** : The *Iliad*, the *Odyssey* and the epic tradition. London 1968.
- CALAME (Claude)** : "Entre oralité et écriture: Enonciation et énoncé dans la poésie grecque archaïque", Semiotica 43, (1983) pp. 245-73.
- CALHOUN (George)** : "The Art of the Formula in Homer - επεα πτεροεντα" Ph. 30, (1935) pp. 215-27.
- CAMEROTTO (Alberto)**: "Aristeia Azioni e tratti tematici dell'eroe in battaglia", Aevum Antiquum N.S. 1 (2001) pp. 263-308.
- CANTILENA (M.)**: "Il cantore riprende", QU 55 (1997) pp. 141-154.
- CHANTRAINE (Pierre)** : Grammaire Homerique. Vols 2, Paris 1958, 1963.
- CLARKE (W. M.)** : "Achilles and Patroclus in Love", *Hermes* 106 (1978) pp. 381-95.
- CULLER (J.)** : The Pursuit of Signs: Semiotics, Literature, Deconstruction. Ithaca: Cornell University Press 1981.
- CUNLIFFE (R.J.)** : A Lexicon of the Homeric Dialect. Oxford Reprint 1992.
- DALHATU (Muhammed)**: "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In Oral Poetry in Nigeria. Ed. U. Abalogu, 1981. pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.
- DARAKI (M.)** : "Le héros à μενος et le héros δαιμονι ισος" Une polarité homérique", ASPN 10 (1980) pp. 1-24.
- DAVIDSON (Olga M.)** : "Indo-European Dimensions of Herakles in

- Iliad* 19. 19-133", *Arethusa* 13 (1980) pp. 197-202.
- DETIENNE (Marcel) : *The Creation of Mythology*. Transl. by M. Cook. University of Chicago Press 1986.
- EDWARDS (M.W.) : "Convention and Individuality in *Iliad* 1", *HSCPh* 84 (1980) pp. 1-28.
- Idem : "Homer and Oral Tradition: The Type Scene", *Oral Tradition* 7 (1992) pp. 284-330.
- Idem : "The Conventions of a Homeric Funeral" in *Studies in Honour T.B.L. Webster*, ed. By J.H. Betts, J.T. Hooker, and J.R. Green (Bristol 1986) pp. 84-92.
- Idem : "Homer and Oral Tradition: The Formula", Part 1. *Oral Tradition* 1, (1986) pp. 171-230.
- Idem : "On Some Answering Expressions in Homer". *Ph.* 64. (1969) pp. 81-87.
- Idem : *Homer: Poet of the Iliad*. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1987.
- EDWARDS (R.B.) : *Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age*. Amsterdam 1979.
- ERBSE (H.) : "Ettore nell' *Iliade*", *Studi classici e orientali* 28 (1978) pp. 13-34.
- Idem : "Stylization and Variety: Four Monologues in the *Iliad*" in *Homer: Tradition and Invention*, ed. By B. Fenik, (Leiden 1978) pp. 68-90.
- Idem : *Epic Verse Before Homer*. Amsterdam 1981.
- Idem : *Typical Battle Scenes in the Iliad*, *Hermes Einzelschriften* 21. Wiesbaden 1968.
- FENIK (Bernard) : *Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style*. Cambridge: Harvard University Press 1986.

- FINKELBERG (M.)** : "A Creative Oral Poet and the Muse", *AJPh* 111 (1990) pp. 293-303.
- FINNEGAN (R.)** : *Oral Poetry*. Cambridge 1977.
- FRONTISI – DUCROUX (F.)**: *La Cithare d'Achille*. Rome 1986.
- GAISSER (J.H.)** : "Adaptation of Traditional Material in the Glaucus-Diomedes Episode" *TAPhA* 100 (1969) pp. 165-176.
- GERNET (L.)** : *Anthropologie de la Grèce antique*. Paris 1968.
- GIORDANO (M.)**, : *La supplica rituale, istituzione sociale e tema epico in Omero*. Napoli 1999.
- GRIFFIN (Jasper)** : *Homer on Life and Death*. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986.
- Idem** : "Homeric Words and Speakers", *JHS* CVI (1986) pp. 36-56.
- HARDIE (R.R.)** : "Imago Mundi: Cosmological and Ideological Aspects of the Shield of Achilles", *JHS* 105 (1985) pp. 11-31.
- HELD (George F.)** : "Phoenix, Agamemnon and Achilles: Parables and Paradeigmata", *CQ* 37 (1987) pp. 245-61.
- HERINGTON (John.)**: *Poetry into Drama: Early Tragedy and the Greek Poetic Tradition*. Berkeley: University of California Press 1985.
- HIGHET (G.)** : *The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature*. Oxford at the Clarendon Press 1949.
- HORROCKS (G.C.)** : *Space and time in Homer*. New York 1981.
- Idem** : *Greek: A History of the Language and its Speakers*. Longman London – New York 1997.
- HUXLEY (G.L.)** : *Greek Epic Poetry: From Eumelos to Panyassis*. London 1969.
- JEBB (R.C.)** : *Homer: An Introduction to the Iliad and the*

Odyssey. Glasgow Sixth Edition 1898.

- JONG (de I.J.F.)** : Narrators and Focalizers, The Presentation of the Story in the *Iliad*. Amsterdam 1987.
- KIRK (G.S.), ed.,** : The Language and Background of Homer. Some Recent Studies and Controversies. Cambridge 1964.
- Idem** : The *Iliad*: A Commentary. Cambridge 1990.
- Idem** : Homer and the Epic. Cambridge, Reprint 1996.
- Idem** : Homer and the Oral Tradition, Cambridge, 1978.
- KNAPPERT (Jan.)** : Epic Poetry in Swahili and other African Languages. Leiden Brill 1983.
- KRISCHER (T.)** : "Arcieri nell'epica omerica. Armi, comportamenti, valori, in Omero. Gli aedi, I poemi, gli interpreti", a c. di F. Montanari. Firenze (1998) pp. 79-100.
- KULLMANN (Wolfgang)**: "Oral Poetry Theory and Neoanalysis in Homeric Research", GRBS 25 (1984) pp. 307-23.
- LAMBERTON (R.W.) – KENNEY (J), (edd.):** Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes. Princeton 1992.
- MESSING (Gordon M.):** "On Weighing Achilles' Winged Words". Language 57 (1981) pp. 888-900.
- MILLER (D. Gary.):** Improvisation, Typology, Culture, and The New Orthodoxy: How Oral is Homer. Washington, D.C.: University Press of America 1982.
- MORRIS (I.) – POWELL (B.): (edd.)** A New Companion to Homer. Leiden 1997.
- MOULTON (C.)** : Similes in the Homeric Poems, (*Hypomnemata* 49) Göttingen 1977.
- MUHLY (J.D.)** : "Homer and the Phoenicians", Berytus 19

- (1970) pp. 19-64.
- MURRAY (G.)** : The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition, Oxford 1934.
- NAGLER (M.N.)** : Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer. Berkeley 1974.
- NAGY (Gregory)** : The Best of the Achaeans. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1979.
- Idem** : Homeric Questions. Austin 1996.
- NIMIS (Steven)** : "The Language of Achilles: Construction vs. Representation", Classical World 79 (1986) pp. 217-25.
- PACKARD (D.W.) - MEYERS, (T.):** A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970, preliminary ed. Malibu, Calif 1974.
- PAGE (D.L.)** : History and the Homeric *Iliad*. Berkeley 1959.
- PARRY (M.)** : The Making of Homeric Verse, ed. A. Parry. Oxford 1971.
- PATZER (H.)** : Die Formgesetze des homerischen Epos. Stuttgart 1996.
- PAVESE (C.O.)** : "L'inno rapsodico: analisi tematica degli Inni omerici, in L'inno tra rituale e letteratura" Atti di un colloquio, Napoli 21-24 ottobre, AION 13, (1991) pp. 155-178.
- Idem** : L'inno rapsodico: indice tematico degli Inni omerici, AION 15, (1993) pp. 21-36.
- PFEIFFER (R.)** : History of Classical Scholarship from 1300 to 1850. Clarendon Press Oxford, Reprint 1999.
- Idem** : History of Classical Scholarship: From the Beginnings to the End of the Hellenistic Age. Oxford 1968.
- POWELL (Anton) ed.** : The Greek World. Routledge. London and

New York 1995.

POWELL (Barry B.): *Homer and the Origin of the Greek alphabet.* Cambridge University Press. First Paperback edition 1996.

PUCCI (Pietro) : *Odysseus Polutropos: Intertextual Readings in the Odyssey and the Iliad.* Ithaca: Cornell University Press 1987.

REDFIELD (J.M.) : *Nature and Culture in the Iliad.* Chicago 1975.

REEVE (M.D.) : "The Language of Achilles", *CQ* 23 (1973) pp. 193-5.

ROMILLY (de, Jacqueline): *Perspectives actuelles sur l'épopée homérique.* Paris: Presses Universitaires de France 1983.

SCOTT (W.C.) : *The Oral Nature of the Homeric Simile.* Leiden 1974.

SCULLY (Stephen) : "The Language of Achilles: The OXΘΗΣΑΣ Formulas", *TAPhA* 114 (1984) pp.11-27.

SHIPP (G.P.) : "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." *Essays in Mycenaean and Homeric Greek.* (Melbourne 1961) pp. 1-14.

Idem : *Studies in the Language of Homer,* Transactions of the Cambridge Philological Society 8. Cambridge 1953.

SKAFTE (Jensen, M.): *The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory.* Copenhagen 1980.

STANLEY (K.) : *The Shield of Homer: Narrative Structure in the Iliad.* Princeton 1993.

SUTER (Ann C.) : *Paris / Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization.* Ph.D. diss., Princeton University 1984.

TIGAY (Jeffrey.) : *The Evolution of the Gilgamesh Epic.*

- Philadelphia: University of Pennsylvania Press 1982.
- TRYPANIS (C.A.) : The Homeric Epics. Warminster 1977.
- VERMEULE (E.) : Aspects of Death in Early Greek Art and Poetry. Berkeley- Los Angeles 1979.
- VERNANT (J.P.) : Figure, idoli maschere. Milano 2000.
- VIVANTE (Paolo.) : The Epithets in Homer: A Study in Poetic Values. New Haven: Yale University Press 1982.
- Idem : The Homeric Imagination. Indiana 1970.
- WEBSTER (T.B.L.) : From Mycenae to Homer. London 1958.
- WEES (Van H. van) : "Homeric Warfare", in I. Morris and B. Powell (edd.), A New Companion to Homer, Leiden (1997) pp. 668-693.
- WHITMAN (C. H.) : Homer and the Heroic Tradition. Harvard University Press 1958.
- WILLCOCK (Maleolm M.): A Companion to the *Iliad* based on the Translation by Richmond Lattimore. The University of Chicago Press 1976.
- WRIGHT (John), ed.: Essays on the *Iliad*: Selected Modern Criticism. Bloomington: Indiana University Press 1978.

والله ولى التوفيق

أحمد عثمان

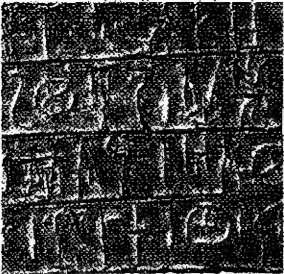
القاهرة أغسطس ٢٠٠٣

هوميروس

اللياذة



الكتاب الأول



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

غَنَ لى يارية الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة،
التي ألحقت بالآخيين^(*) مأسى تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الآخر (هاديس)^(**) بأرواح الكثيرين من المقاتلين البواسل، بينما
جعلت من أجسادهم لقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح
- وهكذا تحققت مشيئة زيوس. غَنَ ممن جاءت هذه

٥ الغضبة بادئة من حيث أخذ الشقاق يدب بين (أجاممنون)،
ملك الرجال، ابن أتريوس، وبين أخيليوس شبيه الآلهة^(***)

مَنْ مِنْ بَيْنِ الآلهة هو ذاك الذى دفع بهذين الاثنين إلى
الصراع فيما بينهما؟ إنه (أبوللون) بن ليتو وزيوس. فهو الذى
أدى غضبه إلى انتشار الطاعون المشئوم بين صفوف المقاتلين
وإلى هلاك الرجال، لأن ابن أتريوس ألحق بكاهنه خريسيش

١٠ إهانة بالغة. فقد أتى الكاهن إلى سفن الآخيين السريعة ليحرر
ابنته (خريسيش)، وهو يحمل معه فدية تفوق العد، وكان يمسك
بأكاليل أبوللون، الذى يسدد سهامه بعيداً، (وقد لفها) حول

١٥ صولجان من الذهب، وراح يتوسل إلى كل الآخيين، وكان أكثر
توسله إلى ابني أتريوس^(****)، راعى جموع الرجال
"يا ابني أتريوس، ويا جميع الآخيين المزودين جيداً بواقيات
الأرجل ! لئمنحك الآلهة التى تتخذ مقامها فوق جبل

(*) الآخيون: إحدى التسميات التى كان يعرف بها الإغريق فى العصور المبكرة الأولى قبل أن يستقروا على تسمية واحدة وهى "اهلييون". وقد أطلق الشاعر عليهم، إلى جانب هذه التسمية، تسميتين أخريين هما: الدانايون وأهل أو شعب أرجوس (الأرجيون). وقد جاء استخدامه للتسميات الثلاث بشكل مترادف. (هذا وترد تسمية "اهلييين" وهم شعب متحالف مع الآخيين ويسكنون فى جزء من تيساليا فى الكتاب الثانى: بيت ٥٣٠).

(**) اللفظة التى يستخدمها الشاعر هى: Aïdēs وهى صورة شعرية للفظه Hades أو Haidēs (وفى لهجة الدورين Aidas). وهى تسميات لأحد أبناء كرونوس أول آلهة الإغريق. وقد أصبح إلهاً للعالم السفلى، ثم أصبحت تطلق بشكل عام على العالم الآخر.

(***) يوجد صدى لهذه الأبيات فى مقدمة مسرحية يوريبيديس "هيلنى" (أبيات ٣٨-٤١) كما قدمت الملحمة المفقودة "القبرصية" تفسيراً لأصل الحرب الطروادية (الغرى).

(****) هما أجاممنون ملك موكيناى وسيد الآخيين وأخوه مينيلائوس ملك إسبرطة الذى فرت زوجته هيلنى مع باريس (ألكسندروس) بن برياموس ملك طروادة، فكان هذا، فيما يقول الشاعر، سبباً فى إشعال الحرب بين الآخيين والطرواديين.

٢٠ الأوليمبوس، القدرة على إسقاط مدينة برياموس (طروادة)، ولتقدر لكم العودة سالمين إلى وطنكم^(*). و(كل ما أطلبه إليكم هو) أن تطلقوا سراح ابنتى الحبيبة (خريستيس) وأن تقبلوا الفدية بحق ابن الإله، أبوللون، الذى يطلق سهامه إلى بعيد".

عند ذلك صاح الأخيون جميعا معلنين موافقتهم ومنادين باحترام الكاهن وقبول الفدية القيمة. ولكن هذا الأمر لم تسعد به نفس أجاممنون بن أتريوس فطرد الكاهن شر طردة، أمرا ٢٥ إياه فى خشونة.

"حذار أيها الشيخ الأشيب أن أجذك متلكئا بين السفن المجوفة^(**) الآن أو عائدا إليها بعد الآن، وإلا فإن صولجانك وإكليل الإله لن يحمياك (منى). أما هذه (الفتاة خريستيس) فلن أطلق سراحها قبل أن تدهمها

٣٠ الشيوخوخة فى بيتنا فى أرجوس بعيدا عن مسقط رأسها، وهى تذهب (فى عملها) أمام المنول وتقدم لى المتعة فى الفراش. أغرب عن وجهى وحاذر أن تغضبنى حتى يمكنك الانصراف فى أمان".

هكذا تحدث، بينما استبد الخوف بالشيخ وانصاع لأمره ثم

٣٥ مضى فى صمت على شاطئ البحر الهادر. وبعد أن ذهب بعيدا صلى فى خشوع للسيد أبوللون، الذى ولدته ليتو ذات الشعر الأشقر مبتهل:

"لتستمع إلى دعائى ياذا القوس الفضى، الذى يرعى خريسى وكيللا

(*) قارن ما يرد عند هوراتيوس (Sat. ii 3.191).

Maxime regum.

Di tibi dent capta classem reducere Troia.

يا أعظم الملوك !

لنمنحك الآلهة بعد سقوط طروادة أن تستعيد أسطولك. (الحرر)

(**) توصف سفن الإغريق بأنها مجوفة koilai لأن الواحد منهم، كما يقال، كان يعمد، فى المرحلة البدائية إلى جذع شجرة فيجوفه ثم يتخذ منه سفينة صغيرة. ثم ظلت هذه التسمية مستمرة حتى بعد أن كبر حجم السفن وتطورت صناعتها. والأقرب من هذا إلى المعنى هو أن شكل السفينة فى عمومها يوحى بالتجويف، أو أن مكان وضع وحفظ السلع أو المعدات فى السفينة يكون بالضرورة مكانا مجوفا - وهى التسمية التى أصبح يوصف بها هذا المكان فى فترة لاحقة من تاريخ الإغريق.

- المقدسة، ياسيد تينيدوس^(*)، (يارب) سمنثيوس^(**). (إنى أبتهل إليك)
 ٤٠ كلما أشرفت على إقامة محراب يحظى برضاك، وكلما قدمت القطع
 المشوية الدسمة من أفخاذ الثيران أو الماعز قربانا لك، أن تستجيب
 لدعائى هذا: لتنتقم بسهامك من الدانائيين لقاء ماذرفت من الدموع".
 هكذا ابتهل فى صلاته، وسمعه فوييوس (الوضاء)^(***)
 ٤٥ أبوللون، فأسرع بخطواته من أعالى الأوليمبوس وقد تمكن الغضب
 من قلبه، بينما حمل على كتفيه قوسه وجعبة سهامه المغطاة.
 وقد كانت السهام تصلصل على كتفى الإله الغاضب وهو
 يتحرك، وكان مجيئه مثل الليل، ثم جلس بعيدا عن السفن
 وأطلق سهما فأحدث الصوت الفضى رنينا رهيبا. لقد انقض
 ٥٠ (سهمه) على البغال فى البداية، ثم على الكلاب السريعة،
 ولكنه ما لبث أن سدده سهامه (الحادة) اللاذعة إلى الرجال أنفسهم.
 وهكذا توالى ضرباته بينما ظلت محارق الموتى تشتعل فى كثافة.
 وقد استمرت سهام الإله تنطلق تسعة أيام على حشد
 ٥٥ المقاتلين. وحين حل اليوم العاشر دعا أخيليوس الرجال إلى
 ساحة الاجتماع، بعد أن كانت الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
 قد أوعزت إليه بذلك. إذ إنها بدأت تشفق على الدانائيين حين
 شهدت ما أصابهم من هلاك. وحين جمعهم للقاء نهض من
 بينهم أخيليوس سريع القدم قائلا:
 ٦٠ "يا ابن أتريوس ! يبدو أننا سننهزم ونعود (إلى حيث أتينا) دون

(*) تقع خريسي وكيلا فى منطقة طروادة أما تينيدوس (تقابل الآن Bosdscha Ada) فهى جزيرة صغيرة على بعد بضعة أميال من ساحل طروادة. (المترجم)

(**) فى الأصل Smintheus (أى الإسمنى)، نسبة إلى مدينة سمنثوس Sminthos أو Sminthè، وهى مدينة فى منطقة طروادة، وهى تشير إلى معنى "إله الفئران" لأن كلمة sminthos تعنى الفأر وهو لقب وصف به الإله أبوللون لأنه خلص هذه المدينة الصغيرة من وباء فئران الحقل، وهكذا تصبح التسمية معبرة عن معنى "المخلص من طاعون الفئران". وقد تكون هذه العبارة جزء من الطوطمية راجع:

Frazer, Golden Bough, vol ii pp. 427-8.

(المحرر)

(***) فوييوس Phoibos، لقب من ألقاب أبوللون ويعنى الساطع أو الوضاء. (المترجم)

- أَنْ نَنْجِزَ شَيْئًا، هَذَا إِذَا أَفْلَتْنَا (أَسَاسًا) مِنَ الْمَوْتِ، فَالطَّاعُونَ وَالْمَوْتُ
كَفِيلَانِ بِالْقَضَاءِ عَلَى الْآخِيَيْنِ. تَعَالِ، إِذَنْ، وَلِنَسْأَلَ عَرَافًا أَوْ كَاهِنًا،
نَعَمْ، أَوْ مَفْسِرًا لِلْأَحْلَامِ، فَالْحَلْمُ، هُوَ الْآخَرُ، (وَحَى) مِنْ عِنْدِ
زَيْوُس^(*)، فَرِيْمَا نَعْرِفُ مِنْهُمْ الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ فَوِيْبْيُوسَ أَبُولْلُونِ
يَسْتَشِيْطُ غَضَبًا عَلَى هَذَا النُّحُوِّ سَوَاءَ أَكَانَ هَذَا وَعْدًا (أَخْلَفْنَاهُ)
٦٥ أَوْ قَرْبَانًا مِنْ مَائَةِ ثَوْرٍ (لَمْ نَقْدِمْهُ)، مُؤْمَلِّينَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا طَعْمَ الْخِرَافِ
وَالْمَاعِزِ الَّتِي بَلَغَتْ قِمَّةَ نَمُوهَا، فَيَفْكَرَ أَنْ يَصْدَ عَنَا الطَّاعُونَ".
ثُمَّ جَلَسَ (أَخِيلْيُوسَ) بَعْدَ أَنْ خَتَمَ حَدِيثَهُ عَلَى هَذَا النُّحُوِّ،
٧٠ فَهَضَّ مِنْ بَيْنِ الْمَجْتَمِعِينَ كَالْخَاسِ بْنِ ثَيْسْتُورٍ، وَهُوَ خَيْرُ
الْعَرَافِينَ، فَهُوَ يَعْرِفُ كُلَّ مَا وَقَعَ مِنْ أَحْدَاثٍ، كَمَا يَعْلَمُ بِتِلْكَ الَّتِي
سَوْفَ تَقَعُ، وَتِلْكَ الَّتِي تَسْبِقُهَا (فِي الْحَاضِرِ)، وَهُوَ الَّذِي أُرْشَدَ
سَفْنَ الْآخِيَيْنِ إِلَى إِلْيُوسَ بِفَضْلِ عَرَافَتِهِ الَّتِي أَضْفَاها عَلَيْهِ
فَوِيْبْيُوسَ أَبُولْلُونِ. لَقَدْ خَاطَبَ جَمْعَهُمْ بَنِيَّةً خَالِصَةً قَائِلًا:
"أَيُّ أَخِيلْيُوسَ، حَبِيبِ زَيْوُسَ، إِنَّكَ تَطْلُبُ إِلَيَّ أَنْ أُعْلِنَ (مَا
٧٥ أَعْرِفُهُ) عَنْ غَضَبِ أَبُولْلُونِ السَّيِّدِ الَّذِي يُطْلِقُ سَهَامَهُ بَعِيدًا. وَعَلَى هَذَا
فَإِنِّي سَأَتَكَلِّمُ، وَلَكِنْ عَلَى أَنْ تَصْغِيَ إِلَيَّ مَا سَأُطْلِبُهُ. لِنُقَسِّمَ بَنِيَّةً
صَادِقَةً عَلَى أَنْ تَسْرَعَ بِالِدِّفَاعِ عَنِّي قَوْلًا وَفَعْلًا لِأَنِّي، عَلَى مَا أَعْتَقِدُ،
سَوْفَ أَغْضِبُ رِجَالًا يَحْكُمُ كُلُّ حَشَوْدٍ أَرْجُوسَ وَيَطِيعُهُ الْآخِيُونَ،
إِذَا إِنَّ الْمَلِكَ يَزْدَادُ عَنْفَهُ حِينَ يَغْضِبُهُ رَجُلٌ أَقَلُّ مِنْهُ مَرْتَبَةً.
٨٠ وَمِنْ هُنَا فَإِنَّهُ قَدْ يَكْظُمُ غَيْظَهُ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّهُ يَظَلُّ طَاوِيَا صَدْرَهُ
عَلَى غَضَبِهِ حَتَّى يَأْتِيَ الْوَقْتُ الَّذِي يُصَفَّى فِيهِ حَسَابُهُ
(مَعَ مَنْ أَغْضَبَهُ). فَلِنَفْكَرْ إِذَنْ إِذَا كُنْتَ سَتَقُومُ بِحِمَايَتِي".
وَهُنَا رَدَّ عَلَيْهِ أَخِيلْيُوسَ سَرِيعَ الْقَدَمِ قَائِلًا:

(*) عَنْ الْحَلْمِ بِوصْفِهِ وَحْيًا مِنَ الْإِلَهِ؛ قَارَنَ مِيلْتُونُ "الفردوس المفقود" (الكتاب ١٢ بيت ٦١١).

For God is also in sleep, and dreams advise"

(الحرر)

- ٨٥ "لا تخف ! وتحدث عن أية نبوءة (أنت على علم بها)، فبحق أبوللون الحبيب إلى زيوس الذى تصلى له يا كالخاس والذى تعلن باسمه نبوءاتك للدانائيين، إنه طالما أنا على قيد الحياة، وطالما لازلت أرى وجه الأرض، فإن أحدا لن (يجرؤ على أن) يضع عليك يديه الثقيلتين (بسوء) بجوار السفن المجوفة، من بين كل الدانائيين، حتى لو كنت تعنى بحديثك أجاممنون الذى يعلن أنه خير الأخيين على الإطلاق".

عندئذ تشجع العراف النبيل وتحدث قائلاً :

- "إن الإله لا ينحى باللائمة لا من أجل عهد (نكصتم به)، ولا من أجل قربان من مائة ثور (لم تقدموه)، وإنما من أجل الكاهن الذى نال أجاممنون من شرفه حين لم يطلق سراح ابنته (خريسيس) أو يقبل الفدية، ولهذا فإن الإله الذى يطلق سهامه بعيداً قد صب المأسى فوق رعوس الدانائيين وسوف يستمر فى ذلك ولن يبعد عنهم الطاعون الممقوت حتى يعيدوا الفتاة ذات العيون البراقة إلى أبيها دون أن يشتريها أو يدفع فدية عنها، وحتى تقدموا محرقة من الذبائح فى خريسي، حينئذ قد نفلح فى تهدئة غضب الإله ونوصل إلى إرضائه".

- وعندما انتهى من حديثه على هذا النحو عاد إلى مجلسه. وهنا نهض المحارب ابن أتريوس، أجاممنون الذى يمتد سلطانه على أراضٍ شاسعة، وقد ظهر على وجهه الضيق الشديد وامتلاً قلبه عن آخره بالغضب الأسود، بينما بدت عيناه كاللهب المتأجج، فوجه فى البداية إلى كالخاس حديثاً ينبئ بالعواقب الوخيمة:

- "يانذير الشؤم ! إنك لم تتحدث معى بالخير حتى الآن، فنبوءات الشر هى الحبيبة إلى قلبك دائماً، أما الكلمة الطيبة فإنك لم تأت بها قولاً أو فعلاً حتى الآن. وها أنت تتطق بنبوءاتك بين الدانائيين المجتمعين وتعلن أن الإله الذى يطلق

سهامه بعيدا قد جلب إليهم المأسى من أجل السبب (الذى ذكرته)
 بالذات، وهو أنى لم أقبل الفدية القيمة فى مقابل (إطلاق سراح) الفتاة
 خريستيس، ابنة خريسيس، لأنى أنوى الاحتفاظ بها فى منزلى.
 فلتعلموا إذن أتى أفضلها على كليتمنسترا - زوجتى. فالفتاة ليست
 ١١٥ أقل منها شكلا أو قدًا أو فكرًا أو أداء لأية صنعة من الصنائع. على
 أنى مستعد رغم ذلك أن أعيدها، إذا كان الخير فى هذا، لأنى أفضل
 سلامة الرجال على هلاكهم. ولكن عليكم (فى مقابل ذلك) أن تعدوا
 لى غنيمة على الفور، حتى لا أكون الوحيد بين حشود أرجوس الذى
 ١٢٠ لم يحصل على غنيمة. إذ من غير اللائق أن تشاهدوا جميعا
 غنيمتى وهى تنتقل من حوزتى إلى مكان آخر."

عندئذ رد عليه أخيليوس، الإلهى سريع القدم :
 "يا بن أثريوس، يا أمجد الناس وأكثر الناس طمعا فيما ليس من
 حقه، كيف يتسنى للأخيين ذوى القلوب الكبيرة أن يقدموا لك
 ١٢٥ غنيمة ؟ إننا لا علم لنا بأية ثروة محفوظة (تحت طلبنا) فى
 مخزن عام للغنائم، ولكنا قسمنا أسلابنا من المدن بين الجميع،
 ولا يجوز أن نعود فنأخذها من الرجال، نعم، عليك أن تطلق
 سراح الفتاة حسب مشيئة الإله، وسنعوضك، نحن الآخيون،
 عن ذلك ثلاثا أو أربعا، إذا أكرمنا زيوس وأسقطنا طرودة
 ١٣٠ ذات الأسوار الحصينة".

بعدها رد عليه أجاممنون السيد:
 "أى أخيليوس، ياشبيه الآلهة ! إنك لن تخدعنى بفطنتك. ومهما
 كان لديك من شجاعة أو من أصل نبيل فإنك لن تفوقنى فى الدهاء أو
 فى الإقناع. أطلب إلى أن أتنازل عن غنيمتى وأن أبقى هنا صفر
 ١٣٥ اليدين حتى تستبقى أنت غنيمتك؟ إن هذا لن يكون إلا إذا قدم لى
 الآخيون ذوو القلوب الكبيرة سبية أرى فيها بديلا مساويا لغنيمتى. أما
 إذا لم يفعلوا ذلك فإنى سأحضر بنفسى وأستولى على غنيمتك أو

- غنيمة أياس أو أوديسيوس وأعود بها، وليكن ما يكون من
غضب ذلك الذى سأحضر إليه ! ولكن على
أية حال سوف يكون هناك وقت للتدبر فى هذا الأمر لاحقاً
١٤٠ أما الآن فلننزل إلى البحر اللألاء سفينة سوداء نجمع
فيها عددًا كافياً من المجدفين والحيوانات المقدمة للتضحية،
ولتنزل بها خريستيس، ذات الخدود الجميلة نفسها، وليقم
على قيادة السفينة أحد من ذوى الرأى، أياس أو إيدومينيوس
١٤٥ أو أوديسيوس، الإلهى، أو أنت ابن بيليوس الذى يخشاه الرجال
أكثر من أى شخص آخر، حتى تقدم الأضاحى وتهدى من
غضب ذلك الذى يطلق سهامه بعيداً".

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدم، نظرة غاضبة كالحة
ووجه إليه الحديث قائلاً:

- ١٥٠ "آه، يامن ترتدى رداء عدم الحياء ! أيها الطماع المحتال ! كيف
تنتظر من أى من الآخيين أن يقدم عن طيب خاطر على تنفيذ ما
تطلبه إليه من المشاركة فى غارة أو القتال ببسالة مع المحاربين.
إنى لم آت هنا من أجل (الانتقام من) حاملى الرماح من محاربى
طروادة، فهم لم يسيئوا إلى قط. إنهم لم يتحرشوا على أية صورة
بأبقارى أو بخيلى، لا ولم يخرّبوا محصول الحبوب فى أرض فثيا
١٥٥ الخصيبة، منجبة الأبطال، فهناك الكثير الذى يفصل بينهم
وبيننا، جبال داكنة وبحر هادر. ولكننا تبعناك إلى هنا
لنرضيك ! نعم يامن لا يعرف الخجل، حتى تسترد أنت
١٦٠ ومينيلأوس ما فقدتماه على يد الطرواديين - وهو الأمر الذى
تتجاهله ولا تدخله فى اعتبارك. والآن تهددنى، أنت بالذات،
بالاستيلاء على غنيمتى التى بذلت الكثير من الجهد فى سبيل
الحصول عليها، فمنحنى إياها أبناء الآخيين. ومع ذلك فإنى لم
أحصل قط على غنيمة مثل الغنائم التى كنت أنت تحصل

عليها كلما أسقط الآخيون مدينة مأهولة من مدن الطرواديين.
 ١٦٥ إن وطأة الحرب كانت تقع على عاتقي أنا، أما عند تقسيم الغنائم فقد
 كان لك النصيب الأكبر، بينما أعود أنا إلى السفن ومعى ما حصلت
 عليه بنفسى مهما كان ضئيلاً، بعد أن يكون القتال قد أخذ منى كل
 مأخذ. أما الآن فإنى سأعود إلى فثيا، فإنه لأخف وطأة على النفس أن
 ١٧٠ أعود إلى الوطن فى سفنى ذات المقدمات المعقوفة، من أن أتحمل
 الإهانة هنا بينما أجمع لك الثروة وأسباب الرفاهية".

وهنا رد عليه أجاممنون، ملك الرجال :
 "قلتهرب من المعركة إذا طاوعتك نفسك. إنى لا أرجو منك أن
 تبقى هنا من أجلى، فإلى جانبى يقف آخرون ممن سيشفروننى
 (بأدائهم)، ومعى، فوق الجميع، زيوس رب التدبير الحكيم. إنك
 ١٧٥ أبغض إلى من كل الملوك الذين يرعاهم الإله، فأنت تعشق الخصام
 والعنف والقتال. وماذا لو كنت عظيم الشجاعة ! إن إلهاً، فيما أحسب،
 هو الذى وهبك ذلك. ارحل إلى بلادك أنت وسفنك ورفاقك وأقم
 نفسك سيداً على الميرميدونيين، فأنا لن أهتم بك بعد اليوم
 ولم أعد أعبا بغضبك. على أنى أحذرك: إذا كان فويبوس
 أبوللون سيأخذ منى خريستيس فإنى سأرسلها فى سفينة من
 سفنى ومع رجال من رجالى، ولكنى سأتى بنفسى إلى خيمتك
 ١٨٥ لآخذ (بدلاً منها) سبيتك بريسثيس، ذات الخدود الجميلة، حتى
 تعلم جيداً كم أنا أرفع منك قدراً، وحتى يرتدع كثيرون غيرك
 عن أن يعلن أى منهم فى حضورى أنه ندلى".

هكذا تحدث (أجاممنون)، فابتأس لذلك ابن بيليوس، وفى داخل
 صدره ذى الشعر الكث كان يتنازع قلبه أمران، إما أن يستل
 ١٩٠ سيفه القاطع من جانب فخذيه فيفرق الجميع ويذبح ابن أتريوس،
 أو أن يكظم غيظه ويتحكم فى نفسه. وبينما كان يقلب الرأى
 بين ما يدعو إليه كل من قلبه وعقله، وهو يستل سيفه الكبير

- من غمده، هبطت الإلهة أثينة من السماء. وكانت الإلهة
 ١٩٥ هيرا ذات الذراع الأبيض قد أرسلتها لأنها كانت تكن للملكين
 الحب من كل قلبها وتهتم بأمر كل منهما بالقدر ذاته. وقد
 اتخذت أثينة موقفها خلف ابن بيليوس^(*)، وأمسكت بشعره الأشقر
 بحيث تتجلى له وحده بينما لا يراها الآخرون. وقد استحوزت
 الدهشة على أخيليوس فاستدار وتعرف في التو على أثينة باللاس^(**)
 ٢٠٠ ببريق عينيها الرهيب، وتحدث إليها بكلمات مجنحة،
 "لماذا عدت يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس؟ هل جئت
 لعلك ترين صفاقة أجاممنون بن أتريوس؟ إذن سأخبرك، وفي
 ٢٠٥ تصورى أن ما أقوله سيتم فعلا. إنه سيدفع حياته عما قريب ثمنا
 لاستعلائه المفرط".
 عندئذ أجابته الإلهة أثينة ذات العينين الزرقاوين^(***)،
 "لقد هبطت من السماء لكى أهدئ من غضبك، إذا استمعت إلى
 ما سأقوله. وقد أرسلتني الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
 لأنها تحب كلا منكما من قلبها بالقدر ذاته وتهتم بأمركما.
 ٢١٠ فلتكف إذن عن الصراع ولا تجعل يدك تشهر سيفك. وجّه إلى
 (أجاممنون) من ألفاظ التأنيب ما يخطر على بالك. فهأنذا أقوله
 لك، وسوف يتحقق ما أقوله: إنك سوف تحصل، بسبب هذه
 الإهانة، على ثلاثة أمثال ما كنت ستفوز به. فلتحجم إذن (عما
 كنت تتوى القيام به) وضع ثقتك فى قولنا (أنا والإلهة هيرا)".
 ٢١٥ وهنا رد عليها أخيليوس سريع القدم:
 "أيها الربة، من الواجب على المرء أن يراعى كلا منكما
 بغض النظر عما يعتمل فى قلبه من غضب، فإن هذا هو الأفضل،

(*) هذا المشهد هو بالقطع الذى استوحاه سوفوكليس فى مسرحيته "أيباس" (٧٢٩ وما يليه) (المحرر).
 (**) أحد ألقاب الإلهة أثينة، ويرى أنه كان اسما لإحدى صديقاتها، ثم قتلها الإلهة عن طريق الخطأ، فأقامت
 معبدا على اسمها، هو البالاديون، تخليدا لها.
 (***) للتأكد من أن glaukōpis تعنى ذات العيون الزرقاء راجع: Pausanias I 14. 6. (المحرر).

لأن الذى يطيع الآلهة تستجيب له بالكامل".

٢٢٠

وهكذا تحدث بينما أطبق بيده الثقيلة على المقبض الفضى
للسيف الكبير دافعا إياه فى غمده دون اعتراض على ما قالته أثينة.
ولكنها كانت حينذاك قد انطلقت إلى الأوليمبوس حيث مقر الإله
زيوس، لابس الدرع أيجيس، لكى تلتقى بالآلهة الآخرين.

ولكن ابن بيليوس خاطب ابن أثريوس من جديد بألفاظ عنيفة

٢٢٥

دون أن يزايله غضبه على أى وجه :

"أيها المخمور، يا من له عينا كلب (شرس) وقلب غزال
(جبان). إنك لم تواتك الشجاعة مرة واحدة أن تتسلح للمعركة إلى
جانب رجالك، أو تتقدم لتصنع كميناً مع زعماء الآخيين، فذلك يبدو
لك كأنه الموت (*) ذاته. بل إنك فى الحقيقة تجد خيراً من ذلك كثيراً،

٢٣٠

وسط جيش الآخيين الجرار، أن تستولى على غنيمة من
يتحدث على غير هواك. أيها الملك المفترس لشعبه ! لا بد أنك
تحكم رجالاً لا قيمة لهم، وإلا فإنك يابن أثريوس تكون قد
ارتكبت آخر وقاحتك اليوم. ولكنى سأعلن كلمتى (مدوية) إليك
وأقسم عليها قسماً رهيباً. بحق هذا الصولجان الذى لن

٢٣٥

تتبت فيه أوراق أو براعم بعد أن انفصل (الغصن الذى
صنع منه) عن جذعه لأول مرة بين الجبال، والذى لن يعود
إليه اخضراره مرة أخرى بعد أن نزع (المنجل المصنوع من)
البرنز أوراقه ولحاءه، والذى يحمل (مثله) الآن (سادة القوم)
من أبناء الآخيين وهم يصدرون أحكامهم ويحافظون على
القوانين باسم الإله زيوس، وسيكون هذا قسمًا عظيمًا بالنسبة

(*) اللفظة الموجودة فى الأصل هى ker، مفرد keres التى تعنى الأرواح التى تجلب البلاء بأنواعه المختلفة: العمى، الشيخوخة، الحظ السيئ، فقدان البصرة، الموت. وفى أغلب استخداماتها تظهر باعتبارها لفظة عادية بمعنى الموت أو جالية (جاليات) الموت، وإن كانت فى بعض الأحيان، حسبما يستدعى النص، تترجم بمعنى القدر (الإلياذة، الكتاب التاسع ٤١١) وفى بعض الأحيان يراوح معناها بين القدر والموت (الكتاب الثالث، ٢٢٠). وقد ترجمتها أحيانا بلفظة "الموت" أو "شبح الموت"، وأحيانا بلفظة "القضاء" حسب المعنى الذى تراءى لى من السياق.

٢٤٠ لكم: ليأتين اليوم الذى يفتقد فيه ابناء الآخيين جميعا أخيليوس !
وفى ذلك اليوم لن يكون بوسعك بأية حال أن تمد لهم يد العون
مهما بلغ بك الأسى، حين يتساقط الكثيرون أمام هيكتور قاتل
الرجال. ولكن قلبك سوف يتمزق تدمًا لأنك لم تعامل خير
الآخيين بما يستحقه من تبجيل".

٢٤٥

هكذا تحدث ابن بيلوس. ثم قذف على الأرض بصولجانه
المرصع بمشابك ذهبية وعاد إلى جلسته، بينما ظل ابن أتريوس
ينفث غضبه من مكانه بالجانب المقابل. بعد ذلك قام بينهم نيسطور،
سيد الكلمة العذبة وخطيب أهل بيلوس، ذو الصوت النقى، الذى
ينطق لسانه بكلام أحلى من العسل. لقد شهد نهاية جيلين من الرجال
الذين ولدوا وشبوا فى بيلوس المقدسة، وها هو يحكم الجيل الثالث.
و (الآن) خاطب الجمع وهو مفعم بالنوايا الطيبة قائلاً:

٢٥٠

"يالأسى ! إن يؤسًا كبيراً يخيم على أرض

٢٥٥

الآخيين. كم سيتهج برياموس (ملك طروادة) هو وابناؤه،

وكم ستسعد قلوبهم وقلوب بقية الطرواديين إذا سمعوا قصة

الشقاق بينكما أنتما الاثنين، سيدى الدانائيين أحكما فى رأى

٢٦٠

والآخر فى الحرب. ولكن انصتا إلى ! إنكما أصغر منى سنا،

وقد رافقت قبل الآن رجالا خيرا منكما، ولم يقلل أحد منهم من

شأنى أبداً. إنى لم أر بعدهم من يماثلهم ولن أرى من يماثلهم.

هكذا كان بيريثوؤس ودرياس راعى الشعوب وبوليفيموس شبيهه

٢٦٥

الآلهة، كايونيوس وإكسادىوس وثيسىوس بن آيجيوس، نظير الخالدين.

لقد كان هؤلاء أقوى ابناء الأرض من الرجال، وقد قاتلوا أقوى

الرجال، بل لقد حاربوا الفيريس^(*) الذين سكنوا الجبال، وقضوا

(*) اللفظة المستخدمة هنا: Féres، واللفظة المرادفة لها Kentauroi كانت تطلق على قوم شرسين يعيشون حياة برية كانوا يعيشون فى نيساليا بين مدينتى بيلون Pelion و أوسا Ossa. وقد اقتلعوا من هذه المنطقة على يد شعب مجاور فى فترة مبكرة. وعند الشعراء المتأخرين نجدهم يظهر على شكل كائنات، الواحد منها نصفه العلوى إنسان ونصفه السفلى حصان. وواضح أن هومروس كان يعنى المعنى الأول لأن الصور الثانى لم يكن قد ظهر بعد.

- عليهم بلا شفقة أو رحمة. نعم، لقد كنت رفيقاً لهؤلاء الرجال حين قدمت (إليهم) من بيلوس من الأرض البعيدة، وكانوا هم أنفسهم الذين وجهوا الدعوة إليّ (لألحق بهم). أما فى حومة الوغى فلم أكن تابعاً لأحد. إن أحدا ممن يعيشون الآن على وجه الأرض لا يقوى على قتال (الفيريس)، ومع ذلك فقد كانوا يستمعون إلى رأيى ويقدرّون مشيئتى، وإنى أهيب بكما أن تستمعا إلى المشورة، فالاستماع إلى المشورة خير. أنت (يا ابن أتريوس) لا تحاول رغم مالك من مكانة سامية، أن تستولى على الفتاة، ولكن دع الأمر على ما كان عليه حين أعطاه أبناء الآخيين إياها غنيمة له. وأنت يا ابن بيلوس، لا تفكر فى مقارنة ملك، قوة فى مقابل قوة، مهما كان لك من شأن، فإن مجد الملك الذى منحه زيوس الصولجان ليس مجداً عادياً.
- وإنك رغم ما أنت عليه من شجاعة من حيث إن إلهة هى التى أنجبتك، فإنه هو الأكثر قوة طالما هو ملك على رجال أكثر عدداً. (وأنت) يا ابن أتريوس ! إنى أهيب بك أن تهدئ من ثأرتك وأن تتخلى عن غضبك على أخيلئوس لأنه سند هائل للآخيين جميعاً فى هذه الحرب المدمرة.

- وهنا رد عليه أجاممنون، سيد القوم:
- "نعم ياسيدى الشيخ (الحكيم). لقد تحدثت بما فيه الحق فعلاً، ولكن هذا الرجل لا يفكر إلا فى السيطرة وفى أن يصبح سيد الجميع وأن يفرض سلطته على الآخرين، بينما أعتقد أنا أن أحداً لن يطيعه فيما يسعى إليه. وحتى إذا كانت الآلهة قد جعلته بارعاً فى القتال بالرمح، هل أعطوه بذلك الحق فى التفوه بهذه الإهانات؟".
- وهنا قاطعه أخيلئوس، الإلهى، قائلاً:
- "ليكونن اسمى هو الجبان الذى لا قيمة له إذا رضخت لك فى كل شىء، حسبما تريد. افرض أوامرك على الآخرين إذا شئت، ولكن لا تصدر

إلى أية أوامر، فقد عقدت العزم على ألا أطيعك بعد الآن. ثم هناك شيء، آخر أود أن أقوله لك، وعليك أن تأخذه مأخذ الجد. إنى لن أصارع فى سبيل الحصول على الفتاة، سواء أكان ذلك معك أو مع الآخرين، طالما أنك عدت فأخذت منى ما كنت قد أعطيتنى إياه فى البداية. ولكن حذار أن تأخذ شيئاً مما أملك من أشياء موجودة فى سفينتى السوداء. نعم حاول أن تجرب ذلك حتى يعلم الجميع (ماذا سيصيبك): إن دمك الأسود سيندفع ليسيل فوق رمحى على الفور".

٣٠٥ وحين انتهى الاثنان من معركتهما اللفظية العنيفة نهضا وفضا الاجتماع الذى كان معقودا إلى جوار سفن الأخيين. فأخذ ابن بيليوس طريقه إلى حيث سقيفته وسفنه الأنيقة، وقد اصطحب معه (باتروكلوس) بن مينويتيوس ورفاقه، أما ابن أتريوس فقد دفع سفينة سريعة إلى البحر واختار عشرين مجدفا وساق إلى ظهر السفينة الحيوانات التى سيضحى بها للإله. كما أحضر خريستيس، ذات الخدود الجميلة، بينما صعد أوديسيوس الواسع الحيلة^(*) إلى السفينة ليتسلم قيادها. وحين اعتلى الجميع متن السفينة أفلعوا فى مسالك البحر. أما ابن أتريوس فقد طلب إلى جميع الأخيين أن يتطهروا، فتطهر الجميع وقذفوا إلى البحر بكل ما لحق به الدنس. بعدها قدموا، قرباناً إلى (الإله) أبوللون، ذبائح كافية من الثيران والماعز على شاطئ البحر التواق^(**). وتصاعدت

(*) المعنى الدقيق للفظ اليونانية polymetis هو: ذو الحيل الكثيرة أو ذو الآراء المتعددة، وهو معنى قد يوحى فى العربية بتصور سئ لشخصية أوديسيوس، علماً بأن المعنى المقصود يوحى بالتصور الحسن، وعلى ذلك فقد فضلت صفة: الواسع الحيلة، وهى تقدم التصور الحسن المقصود بدقة.

(**) اللفظة فى الأصل اليونانى هى صيغة المضاف إليه من صفة atrugetos بمعنى: الذى لم يؤت ثماراً أو حصداً. وقد ترجمها ريو (Rieu: Homer, the Iliad, Penguin) بصفة: الذى لم يحصد ثماره أحد، وأجدها شديدة التقيد بالمعنى الحرفى عند هوميروس. دون أن توضح لنا شيئاً ملموساً، كذلك ترجمها هاينرخ فوس: (H.Voss, Homer, Ilias, Goldmans Gelbe Taschenbuecher) بمعنى: المهجور، وهنا أجدها الترجمة تقترب نسبياً من الأصل اليونانى ولكنها تعارض مع الحركة والانهماك اللذين لا بد أنهما صاحبا تقديم القرابين بما فيه من ذبح عدد من الثيران والماعز ورائحة الشواء ودوامه الدخان. كذلك ترجمة مورى (Murray: Homer, The Iliad, Loeb) بمعنى: الذى لا يهدأ، وأجد فى هذه الترجمة تجاوزاً لا يؤدى إلى معنى يتصل بالسياق. وفى تصورى أن الشاعر يريد أن يصور جو الموقف الذى يكون فيه البحر وكأنه يشاهد الأحداث التى تقع بين أجاثون وأخيليوس ولكنه لا يزال يترقب نتائجها دون أن يصل إلى معرفة ماستسفر عنه، وهو فى ذلك يشبه الحقل الذى لم يؤت حصاده أو ثماره بعد.

رائحة الشواء إلى عنان السماء في دوامة من الدخان.

انشغل الرجال في معسكرهم. ولكن أجاممنون لم يكن قد تخطى
 ٣٢٠ بعد عن نزاعه الذي كان قد بدأه بتهديد أخيليوس. وهكذا استدعى كلا
 من تالشيبيوس وبوريباتيس، رسولييه ورجليه اللذين كانا يقومان على
 تلبية مطالبه قائلاً لهما:

"اذهبا إلى سقيفة أخيليوس بن بيليوس واستوليا على بريسيوس ابنة
 ٣٢٥ بريسيوس، ذات الخدود الجميلة، واقتاداهما إلى هنا. فإذا لم يسلمها
 لكما، سوف أذهب بنفسى مع مجموعة أكبر وأستولى عليها، وسيكون
 ذلك شيئاً أسوأ".

وبعد أن فرغ من كلامه أرسلهما تحت الأوامر المشددة.
 وذهب الاثنان على مضض (متخذين طريقهما) بطول شاطئ
 البحر المتلاطم الأمواج حتى وصلا إلى معسكر الميرميدونيين
 ٣٣٠ وسفنهم، فوجدا أخيليوس إلى جانب سقيفته وسفينته السوداء.
 على أنه وهو في جلسته، لم يكن سعيداً بمرآهما. وهنا انتابهما
 الخوف والرغبة من الملك، فتوقفا دون أن يجترأ على أن ينسبا
 بكلمة، أو على أن يلقيا عليه سؤالاً. ولكنه أدرك في دخيلة
 نفسه ما قدما من أجله فبادرهما بالحديث قائلاً:

"مرحبا أيها الرسولين، رسولى زيوس والبشر، اقتربا. إنكما فى
 ٣٣٥ نظرى لم تقترفا إثماً، ولكن أجاممنون (هو الذى فعل ذلك)، فهو الذى
 أرسلكما من أجل الفتاة بريسيوس ابنة بريسيوس. ومع ذلك تعال
 يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، ولتحضر

معك الفتاة لتعطيها إياها حتى يأخذاها إلى هناك. وليكن هذان
 ٣٤٠ الاثنان شاهدين (على ذلك) أمام الآلهة المباركة وأمام البشر
 الفانين، بل وأمامه هو، ذلك الملك الذى لا يعرف الرحمة - إذا
 حدث فى المستقبل أن كانت هناك حاجة إلى لى أدفع الكارثة
 المخزية عن المقاتلين. حقاً، إنه فى سورة غضبه المدمر لا

يعرف كيف ينظر أمامه أو خلفه (ليتدبر الأمور) حتى يتمكن
من حماية أتباعه الآخيين وهم يقاتلون بجوار السفن". ٣٤٥

هكذا تحدث، وقد استمع باتروكلوس إلى ما قاله رفيقه
الحبيب، فقاد بريسيثيس، ذات الخدود الجميلة، إلى خارج السفينة
وأعطاهما إياها ليعودا إلى سفن الآخيين. فذهب الرجلان
وذهبت معهما المرأة على غير رغبة منها، بينما انفجر
أخيليوس باكيا وانسحب بعيدًا عن رفاقه، وجلس على شاطئ
البحر الرمادى محملاً في أعماقه الزرقاء الداكنة. ثم بسط يديه ٣٥٠
موجها دعاءه إلى أمه الحبيبة، (ثيتيس، عروس البحر):

"أماه ! طالما أنك حملت بى حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة،
فقد كان على زيوس، سيد الأوليمبوس ومطلق الرعد أن يمنحني
قدرا من الاعتبار. ولكنه لم يقدم لى (من ذلك) حتى النزر
اليسير. بل لقد أساء ابن أتريوس، أجامنون ذو السلطان العريض،
إلى شرفى. فانتزع منى غنيمتى واستولى عليها ظلماً وعدواناً!". ٣٥٥

هكذا تحدث باكياً، فسمعت أمه العظيمة وهى جالسة فى قاع
البحر إلى جانب أبيها الشيخ (نيريوس). وبسرعة ظهرت من
البحر الرمادى فى هيئة ضبابية وجلست بعد ذلك مباشرة فى
مواجهته وهو لا يزال منخرطاً فى بكائه. ثم ربتت عليه بيدها ٣٦٠
وقالت له وهى تدعوه باسمه:

"لماذا تبكى. يا ولدى ؟ أى أسى قد مس قلبك ؟ تحدث بصدر
مفتوح ولا تخف عني ما يدور بذهنك، حتى أشاطرك معرفة
(مانقاسيه)".

عند ذلك تحدث إليها أخيليوس سريع القدم وهو يتهدد فى
زفرات عميقة: ٣٦٥

"إنك تعلمين (ما أقاسيه)، فلماذا أذكر لك قصتى وأنت تعلمين كل

- شئء.. لقد ذهبنا إلى ثيبى^(*)، مدينة إيثيتيون المقدسة واستولينا عليها
ودمرناها وأحضرنا إلى هنا كل الغنائم فاقترسناها الآخيون فيما بينهم
بالعدل، ولكنهم اختاروا لابن أتريوس، خريسئيس ذات الخدود
الجميلة إلا أن خريسئيس، كاهن أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
جاء إلى السفن السريعة، سفن الآخيين الذين يلبسون البرونز، ليشتري
(حرية) ابنته وقد أحضر معه فدية تفوق العد، حاملا فى يديه
إكليل الغار الخاص بأبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
حول صولجان من ذهب، وتوسل إلى جميع الآخيين.
وكان أكثر توسله إلى ابنى أتريوس اللذين كانا يتزعمان
الحشود. وهنا عبر بقية الآخيين عن موافقتهم بالصياح،
معربين عن احترامهم للكهنة وقبولهم للفدية القيمة. على أن
ذلك لم يلق قبول لدى أجاممنون فرفضه بخشونة موجهة إليه
كلامًا باترًا. وهكذا عاد الشيخ وقد تملكه الغضب، وكان
أبوللون قد استمع إلى ابتهالاته لما كان له من معزة لديه،
فأطلق على حشود أرجوس أحد سهامه التى تجلب البلاء،
وهنا أخذ الرجال يموتون بكثرة وبسرعة. ثم انطلقت سهام الإله
فى كافة أرجاء معسكر الآخيين المتسع. وأخيرا فإن عرافًا على
علم ببواطن الأمور أعلن لنا عن نبوءة الإله الذى يطلق سهامه
بعيدا، فوفقت أنا فى التو ونصحت الآخيين أن يسترضوا الإله.
ولكن الغضب استبد على أثر ذلك بابن أتريوس فوجه إلى كلمة
تهديد تم الآن تنفيذها، فإن أبناء الآخيين ذوى العيون التى لا
تهدا، ومعهم الفتاة فى سفينة سريعة، فى طريقهم الآن إلى
خريسئى وهم يحملون القرايين للإله. أما الفتاة الأخرى، بريسئيس،
فإنه جعل رسله يأخذونها من سقيفتى بعد أن كان

(*) ثيبى Thebe (غير طيبة Thebai) وهى مدينة تقع على حدود ميسيا Mysia فى آسيا الصغرى على بعد أميال قليلة إلى الشمال الشرقى من أدراميتيوم Adramyttium. (البحر)

- الآخيون قد أعطوها لى. والآن. إذا كنت تملكين أية قوة فإن عليك أن
 ٣٩٥ تحمى ابنك. اذهبي إلى الأوليمبوس وابتهلى إلى زيوس
 إذا كنت (يوما ما) قد أسعدته بكلمة أو بفعل. فلطالما سمعتك
 تفخرين فى بيت أبى بأنك كنت الوحيدة بين الخالدين، التى
 أنقذت ابن كرونوس، سيد الغمام القاتم، فى ذلك اليوم حين كان
 ٤٠٠ الآخرون من ساكنى الأوليمبوس يودون أن يضعوه فى
 الأغلال: هيرا وبوسيدون وباللاس أثينة، ولكنك أتيت، أيتها
 الإلهة، وخلصتني من أغلاله حين استدعيت إلى جبل
 الأوليمبوس الشاهق، (الوحش) ذا المائة يد، الذى تسميه الآلهة
 برياريوس بينما يدعوهُ كل البشر أيجايون(*) لأنه أقوى حتى من
 ٤٠٥ أبيه. لقد جلس إلى جانب ابن كرونوس متهلّ فى مجده،
 فاستولى الخوف على الآلهة المباركة فلم يجرؤ أحد منهم على تقييد
 زيوس بالأغلال. أعيدى الآن ذلك إلى ذاكرته، واجلسى إلى جانبه
 وضعى يديك حول ركبتيه، على أمل أن ينقذ الطرواديين. أما
 أولئك الآخرون، الآخيون، فعلى أمل أن يدفع بهم إلى مؤخرات
 ٤١٠ سفنهم بينما يحاصرهم البحر (من كل جانب) ثم يُعمل فيهم
 القتل حتى يحصدوا نتيجة انصياعهم لملكهم، وحتى يدرك
 ابن أترىوس، أجامنون ذو السلطان العريض، مدى انعدام بصيرته
 حين لم يقدم لمن هو أفضل الآخيين ذرة مما يستحقه من تشريف".
 وهنا أجابته ثيتيس وهى تذرف الدموع:
 ٤١٥ "ياالحظى العاثر ! ولداه ! أمن أجل هذا (الوضع المحزن) كانت
 تنشئ، تى إياك. لقد أصابك سوء الطالع وأنا حامل بك. لكم تمنيت أن
 يتركوك وشأنك بجانب السفن دون دموع أو أسى، ولكن قدرك هو
 الموت السريع والتعاسة أكثر من كل البشر. هل حملت

(*) أحد الوحوش الذين كان لكل منها مائة يد hecatoncheires والذين أنجبتهم الأرض من السماء ورعتهم ثيتيس Thetis عروس البحر للدافع بهم عن زيوس ضد مكائد عدد من الآلهة، وقد ساعدوا زيوس فى صراعه مع العمالقة.

- بك في قاعات بيتنا من أجل هذه النهاية الحزينة ؟ ومع ذلك
 فلكى أذكر ما طلبت إلى أن أذكره لزيوس المتمتع بإطلاق
 الرعود فسوف أذهب بنفسى إلى الأوليمبوس الذى تغطيه
 الثلوج على أمل أن ينصت إليّ. ولكنى أهيب بك أن تبقى إلى
 ٤٢٠ جانب سفنك السريعة التى تجوب البحار، ولتستمر فى عضبك
 الشديد على الآخيين ولتمسك تماما عن المشاركة فى المعركة،
 لأن زيوس قد ذهب بالأمس إلى النهر المحيط (بالأرض) (*)
 ليشارك فى مأدبة مع الإتيوبيين الشرفاء، وقد تبعه فى ذلك كل
 ٤٢٥ الآلهة. ولكنه سيعود بعد اثنى عشر يوما إلى الأوليمبوس،
 وحينئذ سأذهب إلى بيته ذى العتبة البرونزية وسوف احتضن
 ركبته بين يدى وأنا ابتهل إليه. وإنى أعتقد أنه سيستمع إلى دعائى".
 وعندما انتهت من حديثها ذهبت فى طريقها تاركة أخيليوس
 ٤٣٠ وقد ملأ الحنق قلبه من أجل المرأة ذات النطاق الجميل، التى
 أخذوها منه رغما عنه. فى أثناء ذلك كان أوديسيوس ورجاله
 قد وصلوا إلى خريسي ومعهام أضحى القربان المقدس. وعندما
 وجدوا أنفسهم فى مياه الميناء العميقة لفوا الشراع ووضعوه فى
 السفينة السوداء ثم جذبوا الصارى إلى أسفل من الحبلين اللذين
 يصلان بين رأسه وبين مقدم السفينة حتى استقر على دعامته.
 ٤٣٥ بعد ذلك جذفوا بالسفينة بسرعة حتى وصلوا إلى المرسى ثم
 قذفوا بحجارة الإرساء (**) (فى العمق) وثبتوا حبال مؤخرة
 السفينة وذهبوا إلى شاطئ البحر، فأنزلوا أضحى القربان
 المقدم إلى أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا، بينما نزلت ابنة
 خريسيس كذلك من السفينة التى تجوب البحار. بعد ذلك قادها

(*) اللفظة المستخدمة فى الأصل هي Okeanos . وكان اليونان القدماء يعتقدون أنه فخر يحيط بالعالم تقيم عند روافده مجموعة من القبائل والشعوب.

(**) "حجارة الإرساء" eunai هى مجموعة من الحجارة كانت تربط فى نهاية حبل (أو مجموعة من الحبال)، مثبتة بالسفينة، ثم تلقى هذه الأحجار فى الماء حتى لا تتحرك السفينة من مكانها.

أوديسيوس الواسع الحيلة إلى المذبح حيث سلمها إلى أبيها
الحبيب مخاطبا إياه:

"أى خريسيش، إن أجاممنون، ملك الرجال، قد أرسلنى لأعيد إليك
ابنتك ولأقدم إلى فوبيوس (أبوللون) باسم الدانائيين قربانا مقدسا حتى
نستطيع بذلك أن نسترضى (الإله) السيد، الذى جلب على أهل
أرجوس حتى الآن كثيرا من المآسى".

٤٤٥

ولم يلبث، بعد أن قال ذلك، أن قدم الفتاة إلى أبيها الذى تلقاها
بفرحة كبيرة. أما مرافقوه فقد أسرعوا بصف أضيحى القربان
المقدس المقدم للإله حول المذبح الجيد البناء، ثم غسلوا أيديهم
وأخذوا حبوب الشعير المعدة لهذا الطقس. وهنا رفع خريسيش
يديه وصلى من أجلهم بصوت مرتفع:

٤٥٠

"استمع إلىّ (فى دعائى) يا صاحب القوس الفضى، يا حامى (مدينتى)
خريسيش وكيللا المقدسة، أيها السيد الأعلى لتينيدوس ! إني
أهيب بك: كما استمعت إلى ابنتي لاتي من قبل فأنصفتنى وضربت
على أيدى الآخرين، فإني أبتهل إليك الآن أن تحقق مطلبى فترفع
عن الدانائيين هذا الطاعون الممقوت".

٤٥٥

هكذا تحدث فى صلاته، وقد استمع فوبيوس أبوللون إلى
دعائه. وحين فرغ الجميع من صلاتهم نثروا الشعير المقدس
وبدأوا بدفع رعوس الأضيحى إلى الخلف ثم حزوا رقابها

٤٦٠

وسلخواها. بعد ذلك قطعوا الأفخاذ ولفوها بطبقة مزدوجة من
(رقائق) الدهن ثم وضعوا فوقها قطعاً من اللحم النيئ وقد قام
الشيخ بشيئها على (وقود) من حزم الخشب بعد أن سكب عليها
خمراً أشعلت ألسنة اللهب، بينما اصطف حوله الشباب وهم
يحملون شوكلات خمسة الأصابع. وحين فرغوا من شئى الأفخاذ
تماما وتذوقوها من الداخل، قطعوا بقية

٤٦٥

أجزاء الذبائح وأدخلوا فيها الأسياخ وقاموا بشيئها بعناية ثم

- نزعوها من أسياخها. وبعد أن فرغوا من مهمتهم وأعدوا
 الوليمة أقبلوا على احتفالهم بشهية مفتوحة وتمتعوا بالوليمة
 جميعاً على السواء. ثم بعد أن أخذوا حظهم من الطعام
 ٤٧٠ والشراب، ملأ الشباب الكئوس حتى حوافها بالخمير (المقدسة)
 وأداروها على الجميع بعد أن سكبوا من كل كأس قطرات للمباركة.
 بعد ذلك قضوا اليوم كله وهم يحاولون استرضاء الإله (أبوللون)
 بترانيم الشكر بينما كان فتیان الأخيين يقدمون الأناشيد للإله الذى
 يطلق سهامه بعيداً.. وقد سعد (أبوللون) وهو يستمع إليهم.
- ٤٧٥ وعندما غابت الشمس وحل الظلام استلقى الجميع للراحة
 عند حبال مؤخرة السفينة. وحين بدت بشائر الفجر (أيوس) ذى
 الأصابع الوردية ألقوا ماضين إلى المعسكر الكبير للأخيين، بينما
 أرسل لهم أبوللون، الذى يعمل بعيداً، ريحاً مواتية، فرفعوا الصارى
 ٤٨٠ ثم نشروا الشراع الأبيض فملأت الريح بطن الشراع وارتفع
 صخب الموجة الداكنة(*) عند مقدمة السفينة التى كانت تمضى
 مسرعة فوق الموج. ولما وصلوا إلى معسكر الأخيين
 ٤٨٥ المتسع سحبوا السفينة السوداء على الشاطئ فوق الرمال المرتفعة
 ووضعوا السنادات الطويلة تحتها ثم تناثروا بين الخيام والسفن.
 على أن الابن الذى حملت به الإلهة من بيليوس، أخيليوس سريع
 القدم بقى إلى جانب سفنه السريعة وهو يلوك غضبه الشديد،
 ٤٩٠ فلم يذهب إلى الاجتماعات حيث تتحقق الشهرة للرجال، كما لم
 يشارك فى المعركة وإنما أسلم نفسه للضياع ببقائه حيث كان،
 بينما كان (فى داخله) يتوق إلى صيحة الحرب والمعركة.
- وحين انبج صباح اليوم الثانى عشر بعد ذلك، عاد الآلهة
 ٤٩٥ الخالدون إلى الأوليمبوس، وكان زيوس يقود الطريق. ولم

(*) لفظة porphyreos تعنى عند الكتاب الذين جاءوا بعد عصر هوميروس، اللون الأرجوانى أو اللون الأحمر القانى. ولكنها فى شعر هوميروس لا تشير إلى أكثر من معنى: الداكن.

- تكن ثيتيس قد نسيت مطلب ابنها، فظهرت من بين أمواج البحر،
ثم صعدت فى الصباح الباكر إلى السماء العريضة ووصلت
إلى الأوليمبوس. وهناك وجدت ابن كرونوس الذى يمتد
بصره إلى الآفاق بينما كان يجلس وحده بعيداً عن الآخرين على
القمة العليا من الأوليمبوس المتعدد القمم. وهكذا جلست أمامه
وأمسكت بركبتيه بيدها اليسرى ووضعت يدها اليمنى تحت ذقنه
٥٠٠ ثم تحدثت بابتهاال إلى سيد الكون، زيوس بن كرونوس:
"أبانا زيوس ! إذا كنت، من بين الخالدين، قد ساعدتك يوماً بالكلمة
أو بالفعل، فلتستمع إلى هذا الدعاء: أسألك أن ترد الاعتبار لابنى
الذى سيكون قدره أن يلقى الموت أسرع من أقرانه. ذلك أن
٥٠٥ أجاممنون، سيد الرجال، قد وجه إليه إهانة بالاستيلاء على
غنيمته واستبقائها لديه ظلماً وعدواناً. إنى أهيب بك أن ترد إليه
شرفه (المسلوب)، أى زيوس، صاحب التدبير فوق
٥١٠ الأوليمبوس، امنح الطرواديين القوة إلى أن يرد الأخيون إلى
ابنى الاعتبار الواجب، وعوّضه تعويضاً كبيراً".
- هكذا تحدثت، ولكن زيوس، جامع السحب، لم يرد عليها
بكلمة واحدة، وإنما أخذ فى جلسته إلى صمت طويل. على أن
ثيتيس التى كانت ممسكة بركبتيه ظلت على ما هى عليه واقتربت
منه أكثر وطلبت إليه ثانية:
- ٥١٥ "عدنى مخلصاً بهذا الأمر بأن تومئ برأسك،
وإلا فافرض ما طلبته إليك، فإنك لن تخشى بذلك شيئاً سوى أنى
سأعرف أنى أشغل أقل موقع بين الآلهة".
- وهنا قال لها زيوس، جامع السحب، وقد ظهر عليه القلق،
"إن هذا سيكون عملاً يدعو إلى الأسى، لأنك تجعليننى بذلك أقدم
على صراع مع الإلهة هيرا التى سوف تثير غضبى بألفاظها
الجارحة فإنها، حتى فى الوقت الراهن وأمام الآلهة الخالدة تصب
٥٢٠

على جام غضبها معلنة أنى أقدم المساعدة للطرواديين فى
المعركة. ومع ذلك فلتغادرى المكان الآن حتى لا تلحظ هيرا أى
شئ، وسوف أدبر الأمر حتى أحقق ما ترغبين. هلمى الآن،
وسوف أومئ برأسى من أجلك حتى تكونى على ثقة من ذلك،
فهذه من جانبى هى إشارة الوعد المؤكد بين الخالدين،
٥٢٥ إذ ليست هناك كلمة أرجع عنها أو كلمة مخادعة أو
كلمة لا أحققها طالما أومأت برأسى".

٥٣٠ هكذا تحدث ابن كرونوس خافضا حاجبه الداكن (الشعر)
علامة على الموافقة فتموجت إلى الأمام خصلات السيد فوق رأسه
الخالد، واهتز الأوليمبوس العظيم (*).

ثم افترق الاثنان بعد أن تبادلوا الرأى على هذا النحو. أما
هى فقد قفزت على الفور من الأوليمبوس الساطع إلى أعماق
البحر (القائمة)، وأما زيوس فقد ذهب إلى مقره الخاص. وهنا
٥٣٥ نهض الآلهة جميعا من مقاعدهم قبل أن يطل عليهم وجه أبيهم،
لم يجرؤ أحد منهم على (أن يظل جالسا فى) انتظار مجيئه،
ولكنهم نهضوا جميعا ليكونوا فى استقباله. وهكذا جلس هناك على
عرشه. ولكن هيرا كانت قد لمحت ما حدث ولم يفتها أن تثبتيس
ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، كانت تتبادل
معه المشورة الحميمة، فوجهت حديثها على الفور إلى زيوس بن
٥٤٠ كرونوس وهى تقول فى كلمات ساخرة:

"من هى من بين الآلهة، أيها المخادع الكبير، تلك التى كانت تتبادل
المشورة الحميمة. إنك تفعل دائما ما يروق لك من خلف ظهري ثم

(*) يبدو أن هذه الأبيات كانت فى ذهن ميلتون وهو يقول فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الثانى، ٣٥١-٣٥٣).

So was His will

Pronounced among the gods, and by an oath

That shook Heaven's whole circumference confirmed.

"هكذا كانت مشيئته المعلنة فى حضرة الآلهة وبالقسم تأكدت حيث ارتجت لها أركان السماء".
وقارن "الإلياذة" لفرجيلوس (الكتاب التاسع ١٠٦)، وكاتوللوس (٦٤، ٢٠٤، ٢٠٦). (الحرر)

تصدر أحكامك التي فكرت فيها في الخفاء، ولم تحاول مرة واحدة أن تطلعن على الأمر الذي تنتويه".

٥٤٥

وهنا أجابها أبو البشر والآلهة:

"أى هيرا ! لا تؤملى إطلاقاً في أن تعرفى كل ما أقرره، فإن ذلك سوف يكلفك من أمرك عسراً، حتى ولو كنت زوجتى. إن ما أجد من الملائم أن تسمعيه لن يعرفه قبلك أحد من الآلهة أو البشر، ولكنى حين أفكر فى أن أقدم على أمر دون أن أرجع فيه إلى الآلهة، فليس لك أن تسألينى عنه بالمرة!".

٥٥٠

وهنا ردت عليه هيرا ذات العيون الواسعة (كالمها) (*)

والسمت العظيم:

"أى ابن كرونوس، يامن يرهبه الجميع ! ما هذا الذى تقوله ؟

٥٥٥

حقاً إنى لم أكن أعمد فى الماضى إلى أن أسألك أو استقصى منك عن شىء، ولكنك كنت تدبر ما تشاء كما تشاء. على أن الخوف ينتابنى الآن أن تكون ثيتيس ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، قد ضللتك بخداعها، فقد كانت تجلس إلى جوارك عند تباشير الفجر وتضم ركبتيك بين يديها. وأعتقد أنك أومأت برأسك لها فى إشارة واضحة إلى أنك سترد إلى أخيليوس اعتباره و سوف تتسبب فى موت الكثيرين بجوار سفن الأخيين".

٥٦٠

ولكن زيوس، جامع السحب، رد عليها قائلاً:

"أيتها السيدة الإلهية البائسة(**)، إن أحوالك لغريبة حقاً، فأنت

تتخللين الأشياء تخيلاً، ولا تفتأين تلاحقينى (بسبب ما يجول فى خيالك)، ولكنك لن تستطيعى أن تحققي بذلك شيئاً إلا أن ترى بعداً عن قلبى، وسيكون هذا أسوأ ما تجنيه يدك. وإذا كان هذا الأمر

(*) الكلمة اليونانية المستخدمة boopis تعنى "عيون البقرة" أو "عيون المها" وهو ما يذكرنا بالديانات الأقدم

مثل الديانة المصرية التي كانت فيها الآلهة تتخذ أشكال من مختلف الحيوانات والطيور. (الحرر)

(**) لفظة daimonié تعنى فى الأصل أيتها المصنفة بالصفة الإلهية، ولكن استخدامها هنا يشير (كما هو واضح) إلى شىء، من الازدراء وتقليل الشأن.

٥٦٥ (الذى ذكرته) كما تقولين فإن هذا من شأنى (وحدى). أما الآن
فلتجلسى ولتصغى إلى ما أقوله، وإلا فإن أيا من الآلهة الذين يقطنون
الأوليمبوس لن ينفعك إذا أطبقت عليك يدي اللتين لا يستطيع أحد أن
يقاومهما".

هكذا تحدث، وعندها استبد الفرع بالإلهة هيرا ذات العيون
الواسعة والسمت العظيم فجلست فى صمت متحكمة فيما يجيش به
صدرها. هنا خيم جو الابتئاس على الآلهة السماويين فى أرجاء
مقر زيوس، وكان أول من تحدث بينهم هو هيفايستوس، إله
الصناعة الشهير، مسانداً أمه هيرا ذات الذراع الأبيض.

"حقاً إنه سيكون أمراً مؤسفاً ولا يمكن احتمالاه بعد الآن،
إذا كنتما أنتما الاثنان ستظلان على تشاحنكما من أجل (البشر)
٥٧٥ الفانين وتثيران الفتنة بذلك بين الآلهة، إذ لن يكون هناك ابتهاج
على أى نحو فى الاحتفال طالما كان الذى يسوده هو أسوأ
الأجواء. إنى لأشير على أمى. رغم كل ما تتحلى به من حكمة،
أن تسترضى أبانا الحبيب حتى لا يوبخها مرة أخرى ويشبع
بذلك جو القلق والارتباك فى احتفالنا. إذ لو شاء رب

٥٨٠ الأوليمبوس، سيد البرق والصواعق، لعصف بنا من فوق
مقاعدنا، فهو الأقوى بين الجميع. إنى أهيب بك (يا أماه) أن
تحدثيه حديثاً لينا حتى يغمرنا رب الأوليمبوس بسماحة نفسه".

وما أن قال ذلك حتى أسرع فوضع الكأس ذات المقبضين
٥٨٥ فى يد أمه الحبيبة مخاطباً إياها:

"هونى عليك يا أماه وتحملّى أساك من أجل الجميع، فأنت عزيزة على
ولا أود لعينى أن ترياك وقد نزل بك العقاب. لأنه لن يكون فى
مقدورى آنذاك أن أمد لك يد الغوث رغم كل ما سوف يصيبني من
٥٩٠ حزن، فإن رب الأوليمبوس خصم عنيد إذا وقف فى طريقه أحد.

نعم ! ففي مرة سابقة، حين كنت أحاول الدفاع عنك، أمسكنى من قدمى وقذف بى من عتبة السماء فاندفعت فى الفراغ يوما بأكمله قبل أن أسقط عند غروب الشمس فى ليمنوس^(*) بعد أن كدت أفارق الحياة، حيث أسرع السينيتيون برعايتى".

٥٩٥

هكذا تحدث فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض وهى تأخذ الكأس من يد ابنها، ثم أخذ يصب النيكثار لكل الآلهة من اليسار إلى اليمين، أخذا إياه من طاس الرحيق الحلو الإلهى. وقد ضج الآلهة بالضحك وهم يرون هيفايستوس يلهث فى أرجاء (بهو) القصر.

٦٠٠

هكذا احتفل الآلهة طوال اليوم حتى غروب الشمس بقلوب مفعمة كلها بالمتعة التى لم ينتقص منها شىء، سواء من الوليمة أو من موسيقى الربابة^(**) الجميلة التى كان يحملها أبوللون أو من الغناء الذى كانت تتبادلله ربات الفنون (الموساى)^(***) بأصوات عذبة.

٦٠٥

ولكن حين غرب قنديل الشمس المنير، ذهب كل منهم إلى حيث يقيم ليأخذوا قسطا من الراحة، إذ كان الإله هيفايستوس ذو الذراعين القويتين قد بنى بمهارة فائقة قصرا لكل منهم. أما زيوس، رب الأوليمبوس وسيد البرق، فقد اتجه إلى مخدعه

(*) ذكرت جزيرة ليمنوس فى "الأوديسية" (الكتاب الثامن ٢٨٤) وقارن أوفيدوس (الأعياد) الكتاب الثالث ٨٠) وأعاد ميلتون صياغة هذه الفقرة فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الأول ٧٤٠ وما يليه). (الحرر).

(**) اللفظة فى الأصل هى phormynx وترجم أحيانا بالقيثارة. ولكنى آثرت ترجمتها بالربابة لأنها كانت أولى الآلات الوترية (البداية بالضرورة) التى استخدمها اليونان فى العصر المبكر وكانت تحمل باليد. أما القيثارة kithara بالتحديد فقد وجدت عند اليونان وكانت آلة مثقلة الشكل ذات سبعة أوتار وتوضع واقفة على الأرض.

(***) يناجى هوميروس ربة الشعر موسا أو ربات الشعر موساى. وفى العصر الهيلينستى أصبح عدد ربات الفنون تسعة لكل منها فن يعينه ترعاه. أنجبهن زيوس كبير الآلهة من عشيقته منيموسىنى إلهة الذاكرة: أورانيا (Ourania) ربة الفلك، وكليو (Klio) ربة التاريخ، يوتيرى (Euterpe) ربة الموسيقى، تيربسيخورى (Terpsichore) ربة الرقص، ملبومينى (Melpomene) ربة التراجيديات، إيراتو (Erato) ربة شعر الحب والبيكائيات والمراثى، بوليهمنيا (Polyhymnia) ربة الشعر الغنائى، كاليوبي (Kalliope) ربة الشعر الحماسى أى الملحمى، وثاليا (Thalia) ربة الكوميديا ولا تختلف الموساى كثيرا عن الخوريات أو عرائس البحر والغابات... إلخ، واتخذن صورة البشر واتصفن بالحكمة والإلام بكافة القصص وإلام من يخترنه لروايتها وإلام الشعراء بما ينظمون من شعر وهكذا أصبحن راعيات لفروع الفنون والآداب وسادت عبادتهن فى أماكن كثيرة خاصة فى منطقة بيريا قرب جبل الهليكون والأوليمبوس. (الحرر)

- ٦١٠ حيث كان يأخذ راحته دائما حين يراوده (خَدَرَ) النوم اللذيذ، ثم
٦١١ صعد إليه، وإلى جواره كانت هيرا ذات العرش الذهبى.

الكتاب الثاني



ترجمة لطفى عبد الوهاب يعقوب

هجع الآلهة والرجال المزودون بالخيول^(*). جميعا طوال الليل، إلا أن زيوس لم يخلد إلى النوم العميق، لأنه كان يتدبر الطريقة التي يرد بها إلى أخيليوس اعتباره، وهى التي سوف يسقط من جرأها كثير من الآخيين صرعى بجوار سفنهم وقد بدا له أن خير طريقة هى أن يرسل إلى أجاممنون بن أتريوس ٥ حلما مدمرا يجلب عليه الهلاك. وهكذا تحدث مخاطبا الإله الحلم (أونيروس) بكلمات مجنحة.

"قم يا إله الحلم (أونيروس) المدمر واذهب إلى سفن الآخيين السريعة، وحين تصل إلى خيمة أجاممنون بن

أتريوس، أعد عليه كل كلامى كما كلفتك به دون تغيير. اطلب ١٠ إليه أن يسلح رجاله الآخيين ذوى الشعور الطويلة بسرعة فائقة، ففى مقدوره الآن أن يستولى على مدينة الطرواديين ذات الطرق العريضة، إذ إن الآلهة الخالدين الذين يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة خلاف بينهم فى

الرأى، بعد أن حزموا أمرهم بفضل توسلات ١٥ (الإلهة) هيرا إليهم، وهكذا باتت نذر الويل تخيم على الطرواديين".

هكذا تحدث زيوس، وعندما استمع إله الحلم (أونيروس) إلى ذلك لم يتوان فى الوصول إلى حيث سفن الآخيين السريعة، وشق طريقه إلى أجاممنون بن أتريوس فوجده فى خيمته

مستغرقا فى نوم إلهى. وهنا اتخذ موقفه عند رأسه فى هيئة ابن ٢٠ نيلئوس، نيسطور، الذى كان أجاممنون يكن له من الاحترام أكثر مما كان يكن لأى من الكبار الآخيين، واضعاً إياه فى منزلة مساوية لمنزلته. ثم تحدث إله الحلم (أونيروس):

(*) هذه هى الترجمة الحرفية للفظة الأصلية: hippokorystai وقد أثر فرى أن يترجمها: سادة العجلات الحربية، وهى ترجمة لها قيمتها، إذ إن العجلة الحربية كانت هى الأداة الحربية المهمة بين اليونان آنذاك. ومع ذلك فالالتزام الحرفى هنا يتضمن كذلك معنى العجلات الحربية التى كانت تجرها الخيول بالضرورة.

"إنك تخلد إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب

٢٥

ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم
حامل مسؤولية الرأى (الفصل)، فإليه يُرجع فى أمر المقاتلين،
وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن، فلتُصنع إلى دون إبطاء
لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل بينكما من
مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتماماً كبيراً كما أنه يُشفق
عليك. إنه يطلب إليك أن تسلم الآخيين ذوى الشعور الطويلة
بسرعة فائقة، ففى مقدورك الآن أن تستولى على مدينة

٣٠

الطرواديين ذات الطرق العريضة، إذ إن الآلهة الخالدين الذين
يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة
بينهم خلاف فى الرأى بعد أن حزموا أمرهم بفضل
توسلات هيرا إليهم. وهكذا باتت نذر الويل تخيم
على الطرواديين بمشيئة زيوس. والآن، لتحتفظ بهذا فى
صدرك ولا تُسلم نفسك إلى النسيان حين تفيق من نومك الذى
له مذاق العسل".

٣٥

هكذا تحدث أونيروس (الحلم) إلى أجاممنون، ثم عاد

تاركاً إياه يقلب الرأى ملياً فى أمور لم يكن مقدراً لها أن
تتحقق، بعد أن اعتقد حقاً أنه سيستولى على مدينة برياموس
فى اليوم ذاته. ألا ما كان أحمقه ! إنه لم يكن يدرك ما كان
يدبره زيوس من أمور وما كان ينتوى أن يسوق إلى

٤٠

الطرواديين والدانائيين على السواء من الولايات والأبنين من
خلال قتالهم الشرس. ثم أفاق (أجاممنون) من سباته بينما كان
الصوت الإلهى لا يزال يطن فى أذنيه، فجلس وقد انتصب
ظهره ولبس قميصه اللين الجديد وقد لف فوقه عباءته
العظيمة وفى أقدامه الناصعة ربط خفه الأنيق. ثم وضع حول
كتفيه سيفه (ذا المقبض) المرصع بالأزرار الفضية وأمسك

٤٥

سيف آبائه الخالد، وأخذ طريقه بمحاذاة سفن الأخيين ذوى الدروع البرونزية.

والآن صعدت إلهة الفجر إيوس إلى جبل الأوليمبوس فى عليائه لتعلن بزوغ الضياء إلى زيوس وبقية (الآلهة) الخالدين.

- ٥٠ وهنا طلب (أجاممنون) إلى المنادين ذوى الأصوات النقية الرنانة أن يدعوا الأخيين ذوى الشعور الطويلة إلى ساحة الاجتماع، فبلغوا الدعوة واجتمع الرجال على جناح السرعة. وقد بدأ (أجاممنون) بالشيوخ من ذوى الرأى فجعلهم يجلسون إلى جوار سفينة الملك نيستور الذى ينحدر من مدينة بيلوس وكان حين دعاهم إلى الاجتماع قد دبر فكرة مكرة، وقال:

"أنصتوا إلى أيها الأصدقاء ! لقد جاءنى أونيروس،

فيما يرى النائم، حلم من السماء فى أثناء الليل مضمخ بعطر الآلهة. وكان أقرب ما يكون من نيستور، شبيه الإله، سواء فى هيئته أو فى قوامه أو فى بنيته واتخذ موقفه عند رأسى وحدثنى قائلاً: إنك تخلد إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب،

- ٦٠ ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم حامل مسئولية الرأى (الفاصل) بين الرجال، فإليه يرجع فى أمر المقاتلين، وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن فلتصغ إلى دون إبطاء لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل بينكما من مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتماماً كبيراً. كما أنه يشفق عليك. إنه يطلب إليك أن تسليح الأخيين ذوى الشعور

- ٦٥ الطويلة بسرعة فائقة، ففى مقدورك الآن أن تستولى على المدينة ذات الطرق العريضة التى يقطنها الطرواديون، إذ إن

(الآلهة) الخالدين الذين يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة خلاف بينهم فى الرأى بعد أن عزموا أمرهم بفضل توسلات هيرا إليهم،

وهكذا باتت نذر الويل تخيم على الطرواديين بمشيئة زيوس.

٧٠

والآن، لتحفظ هذا فى صدرك ولا تسلم نفسك إلى النسيان حين

تفريق من نومك اللذيذ^(*). هكذا تحدث (أونيروس) الحلم ثم

طار بعيداً، بينما تركنى النوم العميق. هلموا الآن ولنحاول بأية

وسيلة أن نسلح أبناء الآخيين، ولكنى قبل ذلك سأحدث إليهم

حسبما تقضى التقاليد. وسأحاول أن أطلب إليهم الفرار بسفنهم

٧٥

ذات المجاديف الكثيرة^(**). أما أنتم فحاولوا أن تحدثوهم وأن

تحثوهم بكافة الطرق على البقاء".

ثم جلس (أجاممنون) بعد أن فرغ من حديثه، فنهض من

بينهم نيسطور ملك بيلوس ذات الأراضى الرملية ووجهه إلى

جمعهم حديثاً نابعا من القلب:

"أيها الأصدقاء من زعماء وأمرأء الأرجيين !^(***) لو

٨٠

كان الذى قص علينا هذا الحلم شخصاً آخر من بين الآخيين

لاعتبرنا ما قال أمراً زائفاً ولم نلقِ إليه بالاً. ولكن طالما أن

الذى رآه فى منامه هو أعظم وأنبل الآخيين، فلنقدم إذن

ولنسلح أبناء الآخيين بكل الوسائل".

هكذا تحدث ثم قاد الطريق خارجاً من المجلس، فوقف

الملوك ذوو الصولجانات وقد اقتنعوا بما ذكره لهم راعى

٨٥

الجموع، بينما تسارعت حشود الرجال، تماماً كما يحدث عندما

تخرج أسراب النحل من شقوق الأحجار الغائرة هنا وهناك،

متدافعة فى طيرانها فى مجموعة تلو الأخرى نحو أزهار

(*) التكرار سمة هومرية وتعيد هذه الفقرة رواية الحلم - الرسالة الإلهية - للمرة الثالثة (راجع أبيات ٢٣-٣٤)

ولذلك قيل إن زينودوتوس Zenodotos قد كشف هذه الفقرة إلى بيتين فقط ويفعل بعض المترجمين المحدثين نفس الشيء ولكننا رأينا أن تتبع النص كما جاء فى طبعة أكسفورد. (المحرر).

(**) لفظة polykleisi فى الأصل اليونانى تعنى: ذات مقاعد المحدثين الكثيرة. وقد ترجمها قرى بتعبير: ذات المقاعد الكثيرة، وترجمها فوس: ذات المجاديف الكثيرة. ورغم أن الترجمة الأولى أقرب حرفياً للأصل، إلا أن الترجمة الثانية أقرب فى رأى إلى السياق الذى يقدمه الشاعر، فالشاعر هنا يتحدث عن "فرار" الآخيين بسفنهم، وكثرة المجاديف توحى بالسرعة التى تلازم معنى الفرار. ولذلك تبنت هذه الترجمة الأخيرة.

(***) تستخدم كلمة "الأرجيون" عند هوميروس للدلالة على الإغريق جميعاً، وليس فقط أهل أرجوس. (المحرر).

- ٩٠ الربيع، تارة هنا وتارة هناك. هكذا تدفق الرجال من السفن والخيام المقابلة للشاطئ المنخفض متقدمين في فصائلهم العديدة إلى ساحة الاجتماع على شاطئ البحر العريض، وقد انتشرت بين جموعهم أوساً "الشائعة الإلهية" مرسلّة من زيوس. كما تنتشر النار (في الهشيم) وهى تحترق على الذهاب (إلى المعركة) - حتى التأم شملهم جميعاً. وكانت الجموع تضطرب بالحياة والأرض تنثّن تحتهم والطنين يعلو، بينما كان تسعة من المنادين يحاولون بأصواتهم المرتفعة أن يعيدوهم إلى الهدوء حتى يخف صخبهم ويلقوا السمع إلى ملوكهم الذين شبوا على يدى زيوس. وفى النهاية تم بالكاد التوصل بهم إلى الجلوس فى أماكنهم بعد أن تخلوا عن ضجيجهم.

- وهنا نهض فى وسطهم أجاممنون السيد، حاملاً فى يده الصولجان الذى بذل هيفايستوس جهداً كبيراً فى صناعته. وكان هيفايستوس قد قدمه إلى زيوس بن كرونوس ثم قدمه هرميس إلى بيلوبس سائق الخيل وقدمه بيلوبس بدوره إلى أثريوس راعى الشعب، وتركه أثريوس لدى موته إلى ثيستيس صاحب قطعان الغنم الثرى، ثم تركه ثيستيس بدوره إلى أجاممنون حتى يكون بذلك سيّداً على جزر كثيرة وعلى كل أرجوس. اتكأ أجاممنون عليه وألقى كلمته بين جموع الأرجيين:

- ١٠٥ "أصدقائى، أيها الأبطال الدانائيون المحاربون(*)
سدنة آريس. إن زيوس العظيم ابن كرونوس قد أوقعنى فى مأزق من سوء تقدير الأمور أضيق به كثيراً. إن هذا الإله القاسى قد وعدنى من قبل، وأوماً تأكيداً لوعده، بأنى لن

(*) فى الأصل therapontes Areos أى القائمون على خدمة آريس، إله الحرب، وهى تسمية أطلقها الشاعر على المحاربين.

- أعود إلى أرض الوطن قبل أن أكون قد أسقطت إليون
 ذات الأسوار المنيعه. ولكنه (على ما يبدو) قد
 ١١٥ خطط الآن لخداع قاسٍ. فهو يطلب إليّ أن أعود بلا مجد إلى
 أرجوس، بعد أن أكون قد فقدت أعدادًا كبيرة من الرجال. هذه
 فيما أظن مشيئة زيوس القدير الذى أحنى من قبل رؤوس مدن عديدة
 ١٢٠ وسوف يُحنى بعدُ رءوس مدن أخرى، فإن قدرته هى الأعلى.
 إنه لمن العار أن يقع على مسامع ذريتنا أن حشدًا من الآخيين
 الطيبين يمثل هذه العظمة قد حارب دون أن يحصل على
 غنيمة، وأنه قاتل رجالاً أقل منه عددًا دون أن تظهر حتى الآن
 أية نتيجة لذلك. لأنه لو أننا أردنا، آخيين وطرواديين، أن
 نُقسم يمينًا مقدسة وأردنا أن يحصى كل من الطرفين
 ١٢٥ أعدادهم، ولو أن الطرواديين جمعوا معًا كل من يقيمون
 بمدينتهم وقسمنا نحن الآخيين أنفسنا إلى جماعات تضم كل
 منها عشرة أفراد، ثم اختارت كل جماعة منا رجالاً من
 الطرواديين ليصب نبيذها، فإن عددًا كبيرًا من هذه الجماعات
 ١٣٠ لن يجد من يصب لهم نبيذهم - إلى هذا الحد يتفوق أبناء
 الآخيين فى العدد على الطرواديين الذين يقطنون بالمدينة^(*).
 على أن لهؤلاء حلفاء من مدن أخرى كثيرة، وهم رجال
 يجيدون استخدام الحراب ويقفون فى مواجهتى ويحولون دون
 أن أسقط مدينة إليون الحصينة الآهلة بالسكان. لقد مرت حتى الآن تسع
 من سنوات زيوس العظيم لقد تهرأ خشب سفننا بينما تراخت حبال
 ١٣٥ الأشرعة والصواري، وأحسب أن نساءنا وأولادنا الصغار
 ينتظروننا فى قاعات بيوتنا، ومع ذلك فإن مهمتنا التى جاءت
 بنا إلى هنا قد بقيت دون أن تتحقق على الإطلاق. وإذن

(*) يقدر بعض الدارسين المحدثين عدد الإغريق المحاربين حول طروادة بـ ١٢٠.٠٠٠ فإذا أخذنا بما يقوله هوميروس بأن نسبة الطرواديين كانت العشر تقريباً فإن عددهم يكون ١٢.٠٠٠ يمكن أن نضيف إليهم ٣٨.٠٠٠ من الحلفاء فيصل مجمل عددهم إلى ٥٠.٠٠٠ رجلاً. (الخرر)

١٤٠ فلتنقذوا جميعا ما أطلبه إليكم. دعونا نقفل عائدين فى سفننا إلى أرض آبائنا الحبيبة. فليس أمامنا أى أمل فى أن نستولى على طروادة ذات الطرق العريضة".

هكذا تحدث (أجاممنون) فانقضت الأفئدة فى الصدور فى صفوف الجمع ممن لم يسمعوا ما دار فى اجتماع الشيوخ،

١٤٥ وانتشرت الحركة فى الحشود كما تتور الأمواج فى عرض البحر الإيكارى حين تثيرها الرياح الشرقية (يوروس) أو الرياح الجنوبية (نوتوس) عندما تندفع إليها من السحب التى

يجمعها الأب زيوس. وكما تحرك الرياح الغربية (زيفيروس) فى أثناء هبوبها، السنابل التى تتحنى أمامها فى حقل القمح المنخفض - هكذا تحرك جمعهم وقد علا صياحهم وهم

١٥٠ يهرولون إلى السفن، بينما ثار الغبار من تحت أقدامهم وهم يتنادون فيما بينهم ليمسكوا بالسفن ويسحبوها إلى البحر

الصافى. ثم أقدموا على إخلاء مسارات دفع السفن إلى البحر (من العوائق) وارتفع صياحهم إلى عنان السماء - إلى هذا الحد كان ابتهاجهم بحديث العودة إلى بلادهم، وهكذا بدأوا يسحبون الدعامات من تحت السفن.

١٥٥

والآن لقد كانت حشود الأرجيين على وشك الشروع فى العودة التى لم يكن مقدراً لها أن تتحقق، لولا أن هيرا تحدثت إلى أثينة قائلة: "يا للخرى يابنة زيوس، لابس الدرع أجبس أثينة أتريتونى !

هل قدر على الأرجيين أن يقفلوا عائدين إلى أرض آبائهم الحبيبة على متن البحر العريض وأن يتركوا لبرياموس

١٦٠ وللطرواديين ما يفخرون به، هيلينى، ابنة أرجوس التى هلك

من أجلها كثير من الآخيين على أرض طروادة، بعيدا عن أرض آبائهم الحبيبة. ألا فلتذهبى ولتطوفى بحشود المقاتلين من الآخيين ذوى الدروع البرونزية وبحديثك العذب حاولى

١٦٥ أن توقفى اندفاع الرجال حتى لا يسحبوا (إلى البحر) سفنهم ذات الصفوف المتقابلة من المجاديف^(*).

هكذا تحدثت (هيرا) ولم تتوان أثينة ذات العيون الزرقاء فى طاعتها. وهكذا انطلقت من قمم الأوليمبوس

ووصلت دون إبطاء إلى سفن الأخيين السريعة. وهناك وجدت أوديسيوس، نظير زيوس فى رأى السديد، واقفا.

١٧٠ لم يكن أوديسيوس يعتمد بيديه على سفينته السوداء ذات المجاديف الكثيرة^(**)، لأن الأسى كان يتقل قلبه. فوقفت أثينة ذات العيون الزرقاء إلى جواره وقالت.

"أى ابن لائيرتيس، يا سليل زيوس، أى أوديسيوس الواسع الحيلة ! هل ستقفزون حقيقة فى سفنكم ذات المجاديف الكثيرة وتفرون إلى أرض آبائكم الحبيبة ؟ هل ستتركون لبرياموس وللطرواديين ما يفخرون به، هيلينى ابنة أرجوس، التى هلك من أجلها الكثير من الأخيين فى طروادة بعيدا عن أرض آبائهم الحبيبة ؟ لتذهب فى هذه اللحظة بين جموع الأخيين دون أن تقيد نفسك

١٨٠ (بالصمت) بعد الآن. وإنما هدىء بكلماتك الرقيقة من اندفاع كل منهم ولا تدع الرجال يسحبون سفنهم ذات الصفوف المتقابلة من المجاديف".

هكذا تحدثت أثينة، وقد تعرف (أوديسيوس) على صوت الإلهة حين كانت تتحدث، فانطلق راكضاً بعد أن رمى بعباءته من على جسده فالتقطها رسوله يوريباتيس الذى ينحدر من إيثاكي والذى كان يقوم على خدمته. أما هو نفسه فقد ذهب فى

١٨٥

(*) amphielissas (فى حالة المفعول به) فى الأصل تعنى بشكل مباشر: التى تجدف من ناحيتين متقابلتين. وقد تعنى: مدور، إذا أخذت من جذر لغوى آخر. وقد استخدم قرى وريو المعنى الثانى، واستخدم فوس المعنى المباشر. وأجد أن المعنى المباشر أنسب للسياق العام، فهو يوحى بالأعداد الكبيرة من المجدفين. وهذا يتسق مع المعنى الذى يقدمه الشاعر، وهو أن الأخيين هرعوا أو اندفعوا إلى السفن بجرونها إلى البحر. وعلى هذا فقد تبين فى ترجمتى المعنى المباشر للفظ.

(**) eusselmos فى الأصل، تعنى (المركب) المجهزة جيداً بمقاعد المجدفين الكثيرة.

التوّ إلى أجاممتون بن أترىوس وأخذ منه صولجان آبائه الذى لا يفنى
 وذهب به فى طريقه إلى سفن الأخيين ذوى الدروع البرونزية
 و (هناك) كان يقترب من كل من كان يصادفه من الملوك ومن
 الرجال البارزين ويحاول أن يهدىء من اندفاعه بكلمات رقيقة قائلاً:

١٩٠

"ياسيدى الفاضل، إنه لا يليق بك أن تستسلم
 (هكذا) لليأس كما لو كنت جباناً، ولكنى أهيب بك أن تجلس
 أنت نفسك وأن تطلب إلى رجالك أن يجلسوا (كذلك)، لأنك
 لا تعرف بوضوح ما يُكنه ابن أترىوس فى قرارة نفسه. إن
 هذا هو مجرد اختبار. ولكنه سيسدد ضربة عاجلة إلى (من
 يحاول الفرار) من أبناء الأخيين. ألم نسمع جميعاً ما قاله فى
 المجلس ؟ حذار من أن يثور غضبه فيوجه الأذى إلى أبناء
 الأخيين. ذلك أن الاعتزاز بالنفس يملأ قلوب الملوك الذين
 انحدروا من السماء. لأن شرفهم من شرف زيوس، ولأن
 زيوس، إله الرأى، يكن لهم (كلّ) المحبة".

١٩٥

أما حين كان (أوديسيوس) يرى رجلاً من العامة يثير اللغظ (حول
 هذا الأمر) فإنه كان يضربه بصولجانه ويوجه إليه ألفاظ التقرع قائلاً:

٢٠٠

"أيها البائس ! ابق فى مكانك دون أن تتحرك، واصنع
 إلى كلمات الآخرين ممن هم خير منك. أيها الجبان الرعدي
 الذى لا اعتبار له فى الحرب أو فى الرأى. إننا، نحن الأخيين،
 لن نكون جميعاً ملوكاً هنا، وإنه لشيء سيئ حقاً أن تكون هناك
 جموع من السادة ! ليكن هناك سيد واحد، ملك واحد، خصه
 بالصولجان والحكم (زيوس) بن كرونوس ذو الدهاء^(*). وذلك

٢٠٥

(*) اللفظة ankylometes فى الأصل معناها الماكر أو ذو الدهاء الذى لا يظهر كل ما لديه من أفكار، وإنما يظهر بعضها ويخفى البعض الآخر. كذلك من معانيها: المتوى أو المخادع. وقد تبنى المعنى الأخير كل من قرى وريو، وهو معنى يوحى بصفة سيئة عند الإله. وهو لا يتفق مع سياق الحديث الذى يرمى فيه زيوس (بن كرونوس) الملوك الذين يقدمون الرأى لشعبهم. كذلك ترجم فورس اللفظة بمعنى: الخفى، ويقصد به الذى يخفى بعض الأشياء (حسبما يوحى به سياق الترجمة)، وهو معنى جزئى يورد نصف المعنى الحقيقى. وأفضل أنا المعنى المباشر للفظه وهو : ذو الدهاء، فهو يجمع بين الإيماءات المذكورة جميعاً.

- حتى يكون صاحب الأمر فى رعاية النظام بين الناس".
- وقد تناول (أوديسيوس) الأمر بين المقاتلين بحزم جعلهم يسرعون ثانية من سفنهم وخيامهم إلى مكان الاجتماع فى جلبية تحاكي صوت موجة من أمواج البحر الهادر، تتردد كالرعد بطول الشاطئ بينما يزار البحر من الأعماق. أما الآخرون فقد جلسوا وظلوا فى أماكنهم، ولم يبق مستمرا فى ثرثرته إلا ثرسيتيس الذى لا ينتهى حديثه والذى يعيش فى ذهنه قدر كبير من اللغة البذيئة التى يتناول بها على الملوك فى ألفاظ تافهة، لا رابط بينها، وإنما تبدو له وكأنها تثير الضحك بين الأرجيين. كان هذا الرجل هو أبأس من أتى إلى إليون وأكثرهم مدعاة للكراهية، مقوس الساقين، أعرج فى إحدى قدميه، تكاد كتفاه تلتقيان أمام صدره بينما يعلوهما رأس محدودب نمت فوقه بضع شعيرات قصيرة^(*)، كما كان يمثته فوق كل شىء كل من أخيليوس وأوديسيوس لأنه كان ينزع إلى توجيه السباب إليهما. ولكنه الآن، مرة أخرى، كان يوجه السباب بصوته الحاد إلى أجاممنون، شبيه الآلهة. هذا بينما يثير سخط الآخرين ويملاً قلوبهم الغضب منه.
- وأيا كان الأمر فإنه وجه الخطاب إلى أجاممنون مقترنا بالتوبيخ،
- "يا ابن أثريوس ! ما الذى يدعوك إلى السخط من جديد ؟ وماذا ينقصك ؟ إن خيامك مليئة بالبرونز كما هى مليئة بالنساء. وهى غنائم مختارة تعطيك إياها قبل الآخرين كلما استولينا على مدينة محصنة. أم أنك لا تزال تريد، إلى جانب ذلك، ذهباً قد يأتى به إليك، من إليون، رجل من بين

(*) فى شخصية ثرسيتيس يتجسد النقيض الشارح لفكرة أن الجمال هو جمال الشكل والمضمون معاً، ولا يمكن أن يكون الإنسان المثالى أو الخير والفاضل Kalos k'agathos إلا جميل المظهر لأنه رائع الجوهر. وثرستيس هو الشخص الوحيد من عامة الناس أو الدهماء الذى يذكر بشىء من الوضوح والتركيز فى "الإلياذة". (الحرر)

- الطرواديين يفتدى به أينما له قد أكون أنا أو قد يكون غيرى من الأخيين
الذى قيده واقتاده من هناك؟ أم أنك تريد فتاة أخرى تمارس
معها الحب وتبتغى أن تحتفظ بها لنفسك؟ حقاً إنه لا يليق بشخص
هو قائد أبناء الأخيين أن يعرضهم للهلاك. يالكم من ضعفاء مخنثين^(٢).
- إنكم (حقاً) كائنات دنيئة تجلب العار. يانسأء أخايا، فأنتم لم تعودوا رجالاً
أخيين. دعونا نلق بسفننا إلى بلدنا، أما هذا (الشخص) فلنتركه
هنا فى أرض طروادة لينعم بغنائمه وليدرك كذلك إذا كنا ذوى
نفع له أم غير ذلك؟ لقد أساء إلى شرف أخيليوس الذى هو
خير منه بكثير، فقد سلبه سيئته ظمناً وعدواناً. ولكن يبدو من
المؤكد أن أخيليوس لم يغضب لذلك. نعم، إنه لم يتحرك على
الإطلاق وإلا، يا ابن أتريوس، لكنت هذه آخر مرة تقدم فيها
على مثل هذه الإساءة".
- هكذا تحدث ثرسيتيس موجهًا نقده اللاذع إلى راعى
الشعب. أجاممنون ابن أتريوس، وما أن فرغ من حديثه حتى
كان أوديسيوس إلى جواره، وقد انطلقت من عينيه نظرة
داكنة، معنفاً إياه فى كلمات خشنة:
- "أى ثرسيتيس! ياذا الحديث الذى ينضح حمفاً. إنك قد تكون
خطيباً مفوها ذا حديث رنان، ولكن حذار، ولا تكن أنت وحدك الذى
يجابه الملوك، إذ لا يوجد فى اعتقادى رجل أحقر منك من بين كل
من أتوا مع ابنى أتريوس. إلى إليون. ولذا فليس لك أن
تلك أسماء الملوك فى حديثك موجهاً إليهم أنواع التقريع دون
أن يكون لك من هدف سوى العودة إلى الوطن. إننا لا
نعرف على الإطلاق ما الذى ستكشف عنه الأمور وهل سنعود
نحن أبناء الأخيين بما هو خير لنا أم ستكون عودتنا بالبلاء
والويل، بينما لا يشغلك أنت إلا أن توجه إلى أجاممنون بن

(٢) قارن فرجيليوس "الإلياذة" الكتاب التاسع (٦١٧).

- ٢٥٥ أتريوس قائد الرجال، البذاءات بصفة مستمرة، لأن الدانائيين يقدمون إليه الهدايا الكثيرة، وإلا أن تستمر فى هذا الخطاب اللاذع. ولكنى سأوجه لك الآن كلاماً وهو ليس تهديداً أجوف: إذا وجدتكم مرة أخرى تردد حماقاتكم كما تفعل الآن، فلتفصل رأس أوديسيوس عن كتفه. ولينكر الناس أبوتى لتيليماخوس بعد الآن إذا لم أمسك بك وأجردك من ثيابك، قميصك وعباءتك، التى تغطى عورتك، وأطردك من ساحة الاجتماع مولولا إلى حيث توجد السفن بعد أن أكون قد أشبعتك ضرباً".
- ٢٦٥ هكذا تحدث (أوديسيوس) ثم ضرب (ثرسيتيس) بصولجانه على ظهره وكتفيه، بينما انكمش هذا مذعورا وسقطت (من عينيه) دمة كبيرة، كما تفجرت من ظهره قطرات الدماء تحت (أزرار) الصولجان الذهبى. بعد ذلك جلس وقد تملكه الذعر وزاغ بصره بينما كان الألم يلسعه وهو يمسح دموعه. أما أولئك الذين كانوا حوله. فرغم ابتئاسهم العميق، إلا أنهم ضجوا بالضحك منه. وهكذا كان الواحد منهم يقول: يا لغيرابة (ما أقدم عليه ثرسيتيس) ! حقاً إن أوديسيوس قد قام قبل الآن بالعديد من الأعمال الجليلة، سواء أكان يدلى برأيه الحكيم أم كان يعد العدة للمعركة. ولكن ما فعله الآن هو خير ما قام به بين الأرجيين، من حيث إنه وضع حداً للسباب الذى يقذف به هذا الشرثار. إن (ثرسيتيس)، فيما أظن، لن يكون بعد الآن فى عجلة من أمره ليقذف الملوك بالألفاظ النابية.

- ٢٧٥ هكذا تحدث الجمع قبل أن ينهض أوديسيوس، مدمر المدن، وفى يده الصولجان، وإلى جواره الإلهة أثينة، ذات العيون الزرقاء، وقد اتخذت هيئة الرسول. ثم طلب إلى الجمع أن يصمتوا حتى يستطيع أمناء الآخيين. سواء منهم
- ٢٨٠

أقرب الناس من مكانة أو أكثرهم بعدًا عنه، أن يستمعوا إلى كلماته وأن يأخذوا بنصيحته. ثم تحدث إلى الجميع بنية صادقة قائلاً:

"يا ابن أتريوس، إن الآخيين يريدون جميعاً أن

- ٢٨٥ يجعلوا منك أيها الملك أحقر الناس أجمعين، وألا يفوا بوعدهم الذى قطعوه على أنفسهم أمامك لدى قدومهم من أرجوس، حيث مراعى الخيل: وهو ألا تعود إلى أرض الوطن قبل أن تدمر إليون ذات الأسوار القوية. وذلك لأنهم مثل الأطفال الصغار أو النساء الأرامل، يولول كل منهم للآخرين وقد غلبه الحنين للعودة إلى أرض الوطن. حقيقة لقد كان الجهد المرهق هنا كفيلاً بأن يجعل الرجل منا يعود وقد خبت همته، ذلك لأن من يقضى شهراً واحداً بعيداً عن زوجته فى سفينته المزودة بالمقاعد الكثيرة لا بد أن ينتابه الأسى بعد أن تكون قد ابتعدت به أنواء الشتاء والأمواج المتلاطمة. أما بالنسبة لنا، فإن السنة التاسعة تكاد تنتهى ونحن ها هنا بعد قابعون. ولهذا فإنى لا أعيب على الآخيين أن ينتابهم الضيق وهم إلى جوار سفنهم المعقوفة الأطراف. ومع ذلك فإنه لمن العار أن نغيب (عن الوطن) كل هذا الوقت ثم نعود خاليى الوفاض. تحملوا أيها الأصدقاء وخذوا وقتكم حتى نعرف إذا ما كانت نبوءة كالخاس ستصدق أم تخيب. فما عرفناه لا يزال مستقراً
- ٢٩٥ فى قلوبنا حتى الآن وكلكم، ممن لم يذهب به قضاة الموت، شهود على ذلك.

لقد كان ذلك كأنه بالأمس أو أول أمس حين تجمعت سفن

الآخيين فى أوليس وهى تحمل الولايات لبرياموس

والطرواديين. وكنا نحن حول النبع نقدم الأضاحى الناضجة

- ٣٠٥ فوق المذابح المقدسة قرايين للآلهة الخالدة حتى يتحقق الخير

لنا. وكان ذلك تحت شجرة دلب نضرة تجرى من تحتها المياه

- المتألّفة. وهنا ظهرت لنا بشارة عظيمة. ذلك أن شعبانا ضحما
 بشعًا، لون ظهره فى حمرة الدماء، دفعه رب الأوليمبوس
 ٣١٠ (من جحره) إلى الضياء، فزحف من تحت المذبح وانطلق
 إلى شجرة الدلب. وقد كانت فوق هذه الشجرة أفراخ لعصفورة،
 وكانت هذه الأفراخ لم تزل بعد صغارًا لا حول لها، وقد
 انكششت تحت الأوراق على أعلى فرع فى الشجرة، وكان
 عددها جميعا ثمانية وتاسعتهم أمهم التى أفرختهم. وهنا التهم
 الثعبان الأفراخ جميعا وهى ترزق زرققة صاحبة تدعو
 ٣١٥ للشفقة، هذا بينما كانت الأم ترفرف حول الأفراخ وهى
 تولول من أجل صغارها المحبوبين. غير أن الثعبان التف
 حول نفسه وعض على جناحها بينما كانت تصرخ من
 حوله. ولكن بعدما التهم الثعبان أفراخ العصفورة ومعها أمها،
 رأينا الإله الذى كان قد أخرجه إلى الضياء يحول كيانه
 بحيث لم يعد يرى - ذلك أن ابن كرونوس ذا الدهاء كان قد
 أحاله إلى كتلة من الحجر، بينما وقفنا نحن نعجب لما حدث.
 ٣٢٠ وحين ظهرت هذه الآية المخيفة حيث توجد أضاحى
 الآلهة قدم كالخاس نبوءته مباشرة وخاطب جمعنا قائلا:
- لماذا يخيم عليكم الصمت أيها الآخيون ذوو الشعور
 الطويلة ؟ إن زيوس صاحب الرأى قد أطلعنا على هذه الآية
 ٣٢٥ العظيمة: لقد انتظرنا مجيئها طويلاً وسوف يتأخر تحقيقها كثيراً،
 ولكن ذكرى ذلك اليوم لن تختفى أبداً. فكما أن هذا الثعبان
 الضخم قد افترس أفراخ العصفورة وافترسها معهم، وكانوا
 ثمانية وكانت الأم التى أفرختهم هى التاسعة، فإننا كذلك
 سنخوض الحرب هنا سنين بالعدد نفسه، ولكننا سوف نستولى
 فى السنة العاشرة على المدينة ذات الطرق العريضة.
 ٣٣٠ هكذا ألقى (كالخاس) كلماته الحكيمة، والآن فإن ما ذكره يتحقق

- بالفعل. اصمدوا إذن فى أماكنكم أيها الأخيون المزودون جيداً
بواقيات الأرجل حتى نستولى على مدينة برياموس العظيمة".
- هكذا تحدث (أوديسيوس). وهنا أخذت حشود الأرجيين تتصارع
بصوت مرتفع، ومن حولهم رددت السفن صيحات الأخيين فى روعة
مدهشة، وهم يثنون على كلمات أوديسيوس شبيهة بالآلهة.
- ٣٣٥ وهنا تحدث نيستور، الفارس الجيرينى:
- "يا للعجب ! حقا إنكم تتصرفون فى اجتماعاتكم كما لو
كنتم صغارا لا يهتمون بإنجازات الحرب. ماذا إذن سيئول إليه
ما اتفقنا عليه وأقسمنا على تنفيذه ؟ فلنلق إذن فى النار بكل
الآراء وبكل خطط الرجال (المحاربين) وبكل ما سكنا من قرابين
- ٣٤٠ الشراب (لتكريس القسم)، وبكل ما تعاهدنا بالمصافحة
على القيام به. فما نحن نتجادل بالكلمات دون جدوى، ودون
أن نجد وسيلة ناجعة (للفاء بكل ذلك) مهما طال مقامنا فى
هذا المكان. يا ابن أتريوس ! ابق على رأيك الذى كنت عليه
من قبل دون أن تهتز إرادتك وقد الأرجيين خلال المعارك
- ٣٤٥ الشرسة، وإذا كان من بين الأخيين فرد أو اثنان قد اتفقا فى
الخفاء على أن يعودا إلى أرجوس - فلن يجنى هؤلاء سوى الإحباط -
فدعهم يذهبون إلى الهلاك قبل أن يتبين لنا ما إذا كان
ما وعدنا به زيوس، لابس الدرع أيجيس، أمرا صادقاً أم غير صادق.
- ٣٥٠ أما أنا فإنى أعلن أن ابن كرونوس، القادر على كل شيء، قد
أعطانا وعدا بإيماءة من رأسه فى ذلك اليوم حين اعتلى أبناء
أرجوس سفنهم السريعة حاملين الموت والقدر إلى الطرواديين،
لأنه جعل النور عن يميننا وأظهر لنا آيات الخير. وإذن فلا
نتعجلوا فى العودة إلى أرض الوطن قبل أن يضاجع كل منكم
امرأة من زوجات الطرواديين، وبذلك يكون قد أخذ ثأره لكل
٣٥٥ ما انتابه من عناء وأسى بسبب ما حدث لهيلينى. ومع ذلك

- فإذا كان هناك من هو متعطش للرحيل إلى الوطن، فليضع
يده على سفينته السوداء ذات المجاديف الكثيرة. وسيلقى
أمامنا جميعا نهايته وقدره. أما الآن، أيها الملك فتدبر الأمر
٣٦٠ ملئًا واستمع لرأى الآخرين ولا تأخذ ما أقوله ببساطة. قسم
رجالك يا أجامنون إلى القبائل والعشائر (التي ينتمون إليها)،
حتى تساعد كل عشيرة الأخرى، وحتى تشد كل قبيلة من أزر
الأخرى. إنك إن فعلت ذلك والتزم به الأخيون، فإنك سوف
٣٦٥ تعرف من هم الجبناء من بين قادتك ورجالك، كما ستعرف
من هم الشجعان لأن كل عشيرة ستقاتل من أجل كيائها،
وعندئذ سوف تعرف ما إذا كانت إرادة الآلهة هي التي تحول
دون أن تستولى على المدينة أم أن ذلك يعود إلى جبن
الرجال وقلة خبرتهم بالحروب".
- وهنا رد عليه الملك أجامنون قائلاً:
- ٣٧٠ "حقاً أيها الشيخ (الحكيم) إنك تتميز في الحديث، مرة
أخرى، على كل الآخرين. لكم أتمنى، أى زيوس الأب، ويا
أيتها الإلهة أثينة، ويا أيها الإله أبوللون أن يكون لدى عشرة من
الآخيين يقدمون هذا النوع من المشورة. عندئذ سوف تحنى مدينة الملك
برياموس رأسها بعد أن نكون قد استولينا عليها ودمرناها.
- ٣٧٥ ولكن ابن كرونوس، زيوس الذى يلبس الدرع أيجيس، قد
جلب لى الأسى حين وضعنى وسط صراعات ومشاحنات غير
ذات جدوى. فقد نشبت الخصومة بينى وبين أخيليوس بكلمات
عنيفة حول فتاة، وكنت أنا الذى ثار فى البداية،
- ٣٨٠ ومع ذلك فلو اتفقنا فى رأى فلن يكون للطرواديين نجاة من
البلاء بالمرة. ولكن على أية حال فلنذهبوا الآن جميعاً لتناول طعامكم
حتى نستطيع أن نخوض معاً معركة أريس، وليشحذ كل منكم رمحه
ويعد ترسه إعداداً حسناً، ولتزودوا بالطعام خيلكم راكضة

- الخطو، وليتم (أصحاب العجلات الحربية) كل على
 ٣٨٥ عجلته من كل جانب وليركز كل منكم ذهنه في القتال حتى
 نستطيع أن نقاتل طوال اليوم معركة أريس البغيضة، إذ لن
 تكون هناك لحظة راحة قبل أن يفرق الليل بين عنف
 المتقاتلين. إن أربطة الدروع التي تحمى الرجال ستكون
 مبللة بالعرق، وستكون يد المقاتل حول الرمح قد أصابها الكلل
 وسيكون حصانه قد نضح بالعرق وهو يجر عجلته الحربية
 ٣٩٠ المصقولة. على أنى إذا أبصرت بأحد يتلكأ عند السفن
 المعقوفة الطرفين، فلن تكون هناك بارقة أمل في أن تقلت
 جيشه من الكلاب والجوارح".
- هكذا تحدث (أجاممنون)، فارتفع صياح الأرجبيين كأنهم
 ٣٩٥ موجة تهدر عند شاطئ مرتفع عندما تأتي ريح الجنوب
 نوتوس، فتزيد من حجمها وهى ترتطم بنبوء صخرى
 لا ينجو من الأمواج التى تتقاذفها الرياح حين تهب مرة من
 هنا ومرة من هناك. وهنا نهض الجميع وأسرعوا، متناثرين
 بين السفن، ثم أشعلوا (مواقد) النار داخل خيامهم وتناولوا
 الوجبة (*). وقدم كل منهم القرابين لإلهه (المفضل)،
 ٤٠٠ واحدًا لهذا وآخر لذاك، ومعها دعاء بأن ينجو من الموت
 ومن عناء القتال. أما أجاممنون، ملك الرجال، فقد ذبح لابن
 كرونوس، الأعلى في قدرته، ثورًا ذا خمسة أعوام، ودعا
 شيوخ القوم وزعماء كل الأخيين. نيستور في المقدمة
 ٤٠٥ والملك إيدومينيوس ثم الثنائى أياس(**) وابن تيديوس(***)،
 وكان سادسهم هو أوديسيوس نظير زيوس فى رأى. أما

(*) لفظة deipnon الموجودة في الأصل تعنى الوجبة الرئيسية، سواء أكانت في الصباح أم في الظهر أم في المساء. ولكن المعنى الواضح هو وجبة الصباح في ضوء مذكره أجاممنون سابقا (بيت ٣٨٥) وهو يخاطب الأخيين قائلا: حتى نستطيع أن نقاتل طوال اليوم... الخ.

(**) أى أياس بن تيلامون وأياس بن أويليوس Oileus. (المحرر)

(***) أى ديوميديس. (المحرر)

- مينيلاؤس (أخو أجاممنون)، الشجاع عند سماع صيحة الحرب
فقد حضر دون دعوة، إذ كان يعرف ما يشغل أخاه من مهام.
٤١٠ ثم التقوا حول الثور وأخذوا حبوب الشعير (اللازمة لتقديم
القربان). بعدها ارتفع صوت أجاممنون، سيد الجمع، بالدعاء:
"أى زيوس، الأمد والأعظم، رب السحب ورب
السموات ! فلنكن مشيئتك ألا تغرب الشمس ويزحف علينا
الظلام قبل أن أكون قد انقضضت مدمرا قصر برياموس،
٤١٥ بعد أن يكون الدخان قد كساه بالسواد، وقبل أن أكون قد
أحرقت أبوابه وأضرمت فيها النيران وشققت قميص هيكتور
من على صدره بسيفى البرونزى، وليسقط رفاقه من حوله
فى الرغام وهم يعضون الأرض".
- هكذا تحدث (أجاممنون)، ولكن ابن كرونوس لم تكن
٤٢٠ مشيئته قد انعقدت بعدُ على الاستجابة لدعواته. لقد قبل القربان
ولكنه دفع فى طريق (أجاممنون) بالمزيد من المعاناة. ولما
انتهوا من صلاتهم ونثروا حبوب الشعير قاموا فى البداية
بدفع رعوس الأضاحى إلى الخلف وقطعوا رقابها ثم سلخواها.
بعد ذلك قطعوا أفخاذها قطعاً غطوها بطبقة مزدوجة من
الدهن ومن فوق هذه قطع (أخرى) من اللحم، ثم قاموا بشى كل
٤٢٥ ذلك على عيدان من الأغصان الجافة نزعوا عنها أوراقها.
أما الأجزاء الداخلية للذبائح فقد شكوها بأسياخ أمسكوا بها
فوق نيران هيفايستوس. وحين أتموا إنضاج قطع الأفخاذ
وتذوقوا الأجزاء الداخلية، قطعوا ما تبقى من
٤٣٠ الذبائح وشكوا القطع فى أسياخ (كذلك) وشووها بعناية ثم
نزعوا القطع من على الأسياخ. وحين توقفوا عن عملهم هذا
وجهزوا الطعام، احتفلوا بالوليمة التى أخذ كل منهم نصيبه
منها على الشواء. وحين شبعوا من الطعام وارتووا من الشراب

كان أول من تحدث بينهم هو نيستور، الفارس الجبريني فقال:

٤٣٥

"أيها الأمجد، يا ابن أتريوس أى أجاممنون ياملك

الرجال ! لا تدعنا نبقي ها هنا مجتمعين أو تؤجل العمل الذى

عهد به إلينا الإله. بل تقدم ودع منادى الأخيين ذوى الدروع

البرونزية يقومون بإعلان الأمر عليهم ويجمعون الحشد من

حول السفن، لنذهب جماعة إلى المعسكر العريض للأخيين

٤٤٠

حتى نتمكن من دفع حركة الحرب على جناح السرعة".

هكذا تحدث (نيستور)، ولم يتوان ملك الرجال،

أجاممنون، عن أن يوليه أذناً صاغية. وهكذا طلب إلى

المنادين ذوى الأصوات الرنانة أن يجمعوا للمعركة

الأخيين ذوى الشعور الطويلة، وقد قام المنادون بالإعلان

(المطلوب) واجتمع المقاتلون بسرعة فائقة. وهنا أسرع

٤٤٥

الزعماء، (ملوك المدن)، الذين رعاهم زيوس والذين كانوا

حول ابن أتريوس يجمعون حشود المقاتلين، وفى وسطهم

كانت تقف (الإلهة) أثينة ذات العيون الزرقاء وقد ارتدت

الدرع أيجيس الذى لا يقدر بثمن والذى لا يبلى ولا يعرف الفناء،

وقد تدلت منها مائة شرابة من خيوط الذهب،

نسجت بمهارة فائقة وتصل قيمة كل منها إلى ما يساوى مائة

٤٥٠

ثور. وما لبثت الإلهة أن أسرعت متألقة خلال صفوف

الأخيين تحثهم على التقدم، وتبعث العزم على القتال فى قلب

كل رجل بلا توقف، (وظلت هكذا) حتى غدت الحرب أكثر

٤٥٥

عذوبة لديهم من أن يعودوا بسفنهم إلى أرض الوطن الحبيب.

وكما تضطرم النار المدمرة فى غابة شاسعة على قمة

جبل بحيث يرى وهجها عن بعد، هكذا كان ينبعث الوميض

المبهر من عتادهم البرونزى الذى لا حصر له، وهم

يتقدمون، ليصل إلى عنان السماء. وكما تفعل المجموعات

- ٤٦٠ العديدة من الطيور المرفرفة. من الإوز البرى والكراكى
والجمع ذات الرقاب الطويلة فوق المرج الآسيوى عند
روافد نهر كاوستريوس، وهى تطير مختالة بأجنحتها القوية،
ثم وهى تحط (على الأرض) خلف طليعتها المتقدمة - هكذا
كانت تندفع العشائر العديدة للرجال وهى تتدفق من السفن
والخيام إلى الأمام فى سهل سكامانديوس، بينما كانت
٤٦٥ الأرض تردد الأصداء الرهيبة تحت وقع (أقدام) الرجال
و(سنايك) الخيل، وهكذا توقف الجمع عند المرج المزهر بجوار
النهر فى أعداد تفوق الحصر تحاكي وفرة الأوراق والزهور
فى موسم ازدهارها. ومثل أسراب الذباب العديدة التى تطن
غادية رائحة فى حركة دائبة فى حظائر الرعاة فى موسم
٤٧٠ الربيع عندما تمتلئ الدلاء بالحليب، هكذا اصطف الآخيون
ذوو الشعور الطويلة فى الوادى فى مواجهة الطرواديين، وهم
متعطشون إلى أن يمزقوهم إربًا.
ومثلما يفعل الرعاة فى حالة القطعان المتناثرة من
الماعز، حين يفرقونها دون صعوبة عندما تختلط فى المرعى،
٤٧٥ هكذا فعل الزعماء حين جمعوا الرجال ونظموهم هنا وهناك
ليخوضوا المعركة. هذا بينما كان يقف فى وسطهم سيد القوم
أجاممنون، (وقد بدت) عيناه ورأسه مثل زيوس حين يطلق الصاعقة،
وخصره مثل خصر آريس و صدره مثل صدر بوسيدون. وكما يقف
٤٨٠ الفحل وسط أفراد القطيع رئيسًا سيدًا للجميع مقدما على القطيع،
هكذا فعل زيوس بابن أثريوس فى ذلك اليوم، مقدما على الكثيرين
ومبرزًا بين المحاربين.
والآن، أخبرتنى يا ربات الفن (الموساى) يا من تقطن
٤٨٥ الأوليمبوس، فأنتن إلهات تساعدن الجميع وتعرفن كل
شئ، بينما ما نسمعه نحن هو محض شائعات، ولا نعرف

شبيهاً على الإطلاق: من كان زعماء الدانائيين
ورؤساؤهم (*) ؟ أما العامة فإنى لن أعرفهم أو أعرف أسماءهم
حتى لو أوتيت عشرة ألسن وعشرة أفواه وصوتاً لا يكل،
وحتى لو كان القلب الذى فى صدرى قد صبّ من البرونز،
ما لم تنشأ ربات الفن الموساى، المقيمات فوق الأوليمبوس،
بنات زيوس الذى يلبس الدرع (أيجيس)، أن تُعذّنَ إلى ذاكرتى
كل من قدم إلى إليون. والآن سأذكر لكم قادة السفن ثم أذكر
السفن جميعاً.

من البويوتيين كان هناك من الزعماء بينيليوس وليئيتوس
وكذلك أركيسيلائوس وبروثونينور وكلونيوس. وقد كان
هؤلاء (البويوتيون) يقيمون فى هيريا وأوليس ذات الطبيعة
الصخرية وسخوينوس وسكولوس وإتيونوس ذات التلال العالية
وثيسبيا وجرايا وميكاليسوس الفسيحة. ومعهم كان أولئك
الذين كانوا يقيمون حول هارما وإريثراى وإيليسيون، والذين
كانت فى أيديهم مدن إيليون وهولى وبيتيون وأوكاليا
وميديون ذات المباني المتقنة (**) وكوباي ويوتريسيس وثيسبى،
حيث يتجمع اليمام. ومع هؤلاء جميعاً كان أولئك الذين
قدموا من كورونيا وهاليارتوس حيث الحشائش التى تنبت
بوفرة وأولئك الذين كانت فى أيديهم بلاتايا والذين كانوا
يقيمون فى جلساس. والذين كانت بأيديهم ثيبى السفلى ذات
المباني المتقنة وأونخيستوس المقدسة، وغيصنة بوسيدون
الباهرة والذين كانت بأيديهم أرنى الغنية بالكروم، وميديا

(*) هذا الجزء ٨٤٤-٨٧٧ كان يعرف باسم بويوتيا أو قائمة السفن Boiotia e katalogos ton neon وتحذفه كثير من الطبعات على اعتبار أنه مقحم أو متحلل. ولكننا نتبع طبعة أكسفورد التى أوردته وشرحنا فى المقدمة أهمية هذا الجزء. (المحرر)

(**) لفظة euktimenos ترجمة ريو بمعنى النقطة الحصينة وترجمها مرى بمعنى الحصن المتقن البناء. ولكن معنى الحصن لا يأتى كصفة للمدينة إلا إذا اقترنت المدينة بما يفيد معنى الارتفاع، وهو غير متوفر فى هذا البيت، وعلى هذا فقد فضلت فى ترجمتى المعنى المباشر لللفظة وهو: المتقنة البناء أو ذات المباني المتقنة.

ونيسا المقدسة وأنثيدون المطلة على البحر. من هؤلاء
(جميعا) جاءت خمسون سفينة على متن كل منها مائة
وعشرون من رجال البويوتيين.

٥١٠

وأولئك الذين كانوا يقيمون في أسبليدون
وأورخومينوس بلد المينيائيين، الذين كان يقودهم أسكالافوس
وبالمينوس ابنا (الإله) آريس اللذين حملت فيهما أستيوخى،
الفتاة الرقيقة في قصر أكتور بن أزيوس من آريس القوى
الجبار بعد أن صعدت إلى غرفتها في الطابق العلوى حيث
ضاجعها الإله في الخفاء. ومع هؤلاء كانت هناك ثلاثون سفينة
مجوفة.

٥١٥

وعلى رأس الفوكيين كان سخيديوس وإبيستروفوس ابنا
إفيتوس ذى الهمة العالية ابن ناوبيلوس. وكان هؤلاء
(الفوكيون) هم مواطنى كيباريوسوس وبيثو (ذات الأرض)
الصخرية وكريسا المقدسة وداوليس وبانوبيوس. و (كذلك)
الذين كانوا يقيمون حول أنيموريا وهيامبوليس، والذين كانوا
يعيشون حول النهر المقدس كيفيسوس، والذين كانت بأيديهم
لياليا عند منابع كيفيسوس. ومع هؤلاء كانت هناك أربعون
سفينة سوداء. وقد نشط رؤساء الفوكيين فى جمع صفوفهم
واستعدوا للمعركة، (وكان موقعهم) إلى يسار البويوتيين
مباشرة.

٥٢٠

٥٢٥

أما اللوكريون فقد كان يقودهم الابن العداء لأويليوس،
وهو أياس الأقل شأنا فهو لا يصل بأى حال إلى قدرة أياس
التيلامونى، وإنما يقل عن ذلك كثيرا، وكان صغيرا فى حجمه
يشتمل بمشد من الكتان. ومع ذلك فقد كان يفوق فى رمى
الرمح كل مقاتلى الهلينييين والآخيين. هؤلاء (اللوكريون) هم
الذين كانوا يقطنون كينوس وأوبويس وكالياروس وبيسا

٥٣٠

- وسكارفى وأوجياى الجميلة وتارفى وثرونيون حول روافد
نهر بوأجربوس. وقد جاءت مع أياس أربعون سفينة سوداء
٥٣٥ (من سفن) اللوكريين الذين يقيمون مقابل (جزيرة) يوبويا المقدسة.
وكان هناك الأبانتيون الذين ينفثون الغضب، وقد كانت
بأيديهم يوبويا وخالكيس وإيريتريا وهستييا، الغنية بالكروم،
وكيرينثوس المطلة على البحر ومدينة ديون المحصنة
الشاهقة الارتفاع، والذين كانت بأيديهم كاريستوس وأولئك الذين
٥٤٠ يقطنون ستيرا. وكان يقود هؤلاء (جميعا) إليفينور، سليل
أريس، والذي كان ابناً لخالكودون زعيماً للأبانتيين ذوى
الروح العالية. وقد تبعه الأبانتيون السريعو الخطى ذوو الشعر
الطويل على ظهورهم، حاملو الحراب المتحمسون، وقد شرعوا
رماحهم الرمادية وهم متعطشون لأن يمزقوا بها
٥٤٥ المشدات التى أحاط بها أعداؤهم صدورهم. وقد جاءت
مع قائدهم أربعون سفينة سوداء.
وأولئك الذين كانت بأيديهم أثينا، المدينة الحصينة البناء،
مدينة إريختيوس ذى القلب الكبير، الذى رعته فى قديم الزمان
الإلهة أثينة، ابنة زيوس، حين حملت به الأرض المنتجة
للحبوب، والذى جعلته (الربة) يقيم فى محرابها الخاص (ذى
٥٥٠ المذبح) الدهنى الملمس (من وفرة الأضاحى)، حيث يحاول
الشباب الأثينيون على مر السنين أن يحصلوا على رضاه بتقديم
القرابين من الثيران والكباش. هؤلاء كان يقودهم مينيسثيوس
بن بيتيوس الذى لا نظير له على وجه البسيطة فى تنظيم
(فصائل) العجلات الحربية والمحاربين من حملة التروس،
٥٥٥ فيما عدا نيسطور لأنه كان أكبر منه سناً، وقد جاءت معه
خمسون سفينة سوداء. كذلك قاد أياس اثنتى عشر سفينة
من سلاميس وصفهم حيث كان يوجد الأثينيون.

- ٥٦٠ أما من كانت بأيديهم أرجوس وتيرينس التى اشتهرت
بأسوارها وهرميونى وأسينى اللتان تطوقان الخليج العميق،
وترويزين وإيوناي وإبيداوروس التى تغطى أرضها الكروم
وشباب الآخيين الذين كانت بأيديهم أيجينا وماسيس، فقد كان
٥٦٥ على رأسهم ديوميديس الذى تميز بإطلاق صيحة الحرب
وستينيلوس، الابن المحبوب لكابانيوس صاحب الأمجاد.
وكان ثالثهم الذى جاء معهم هو يوريبألوس، المحارب الشبيه
بالآلهة، ابن الملك ميكستئوس بن تالائوس. على أن قائدهم
جميعا كان ديوميديس الذى يجيد إطلاق صيحة الحرب. وقد
جاءت مع هؤلاء ثمانون سفينة سوداء.
- ٥٧٠ أما الذين كانت بأيديهم موكيناي، المدينة الحصينة البنيان
وكورنثة الغنية وكليوناي ذات المباني الرائعة وأورنياي
وأراثيريا الجميلة وسيكيون التى كان أدرستوس أول
ملوكها، والذين كانت بأيديهم هيبيريسيا وجونوئيسا التى تقع
٥٧٥ على مرتفع شديد الانحدار وبيليني وأولئك الذين يقطنون حول
أيجيون وفى كل أرجاء أيجيالوس وحول هيليكى المترامية
الأطراف. كل أولئك كان يرأسهم سيد القوم، أجاممنون بن
أثريوس ومعه مائة سفينة. وكان الذين تبعوه هم خيرة الرجال
وأكثرهم عدداً. أما هو فكان يقف بينهم بسلحه البرونزى
اللامع، ملكاً مجيداً ومقدماً على المقاتلين جميعاً، فقد كان
٥٨٠ أكثرهم نبلاً كما كان يقود أكثر القوات عدداً.
- ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أغوار لأكيدايمون التى
تكثر فيها الوهاد الضيقة المنحدرة. وفاريس وإسبرطة
وميسى حيث يتجمع اليمام، وبرويساي وأوجياى الجميلة،
وكذلك الذين كانت بأيديهم أميكلاى وهيلوس، المدينة
٥٨٥ المحصنة التى تقع على ساحل البحر، وأولئك الذين كانت

بأيديهم لآس، والذين كانوا يقيمون حول أويتيلوس. هؤلاء
 (جميعا) كان على رأسهم أخو أجاممنون، مينيلائوس الذى
 يجيد صيحة الحرب ومعه ستون سفينة. وقد تم تجميع هؤلاء
 (فى موقع) على حدة. أما هو فقد كان يتحرك بينهم وهو
 واثق من شجاعته. كما كان يحثهم على المعركة، إذ لم
 يكن بين كل الآخرين من تهفو روحه أكثر منه لينتقم
 لنفسه بسبب ما أصابه من عناء وأنين من جرأ هيلينى.

٥٩٠

كذلك كان هناك أولئك الذين كانوا يقيمون فى بيلوس
 وأرينى الجميلة وثر يون حيث يسهل عبور نهر الألفيوس وفى
 آيبى ذات التأسيس الجميل، وأولئك الذين كانوا يقيمون فى
 كياريسينيس وأمفيجينيا وبتيلوس وإيلوس ودور يون حيث كانت
 ربات الفنون الموساى قد قابلن ثاموريس الطراقى ووضعن
 حدًا لغنائهن وهو بسبيل سفره من أويخاليا، من بيت يوريتوس
 الذى ينحدر من أويخاليا، وذلك لأنه كان يفخر بثقته الكاملة فى
 الفوز (فى أية مباراة للغناء) حتى لو كانت ربات الفنون
 الموساى هن اللاتى يغنين فى مواجهته - وهن بنات زيوس
 لابس الدرع أيجيس. وقد أغضبهن هذا فأصبنه بالعمى
 وعاقبنه بأن سلبنه نعمة الغناء الجميل وأنسينه فن العزف
 على القيثارة. كل هؤلاء كان يقودهم الفارس نيسطور الجيرينى،
 وقد اصطفت معه تسعون سفينة مجوفة.

٦٠٠

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أركاديا عند سفح الجبل
 المرتفع فى كيللينى بجوار مقبرة أيبوتيس حيث يحارب
 المقاتلون فى مواجهة متلاحمة (مع الأعداء)، وأولئك الذين
 كانوا يقيمون فى فينيوس وأورخومينوس الغنية بقطعان
 الغنم وريبي وستراتيا وإنيسبى التى تهب عليها الرياح
 الشديدة. والذين كانت بأيديهم تيجيا ومانتينيا الجميلة والذين

٦٠٥

- كانت بأيديهم ستيμφالوس، والذين كانوا يقيمون في باراسيا.
- ٦١٠ لقد كان هؤلاء (جميعاً) تحت قيادة ابن أنكاوس أجابينور السيد (ومعه) ستون سفينة، على متن كل منها مجموعة كبيرة من رجال الأركاديين الذين تميزوا بالمهارة في القتال، لأن ملك الرجال، أجاممنون بن أتريوس، قام بنفسه بإعطائهم السفن الكثيرة المجاديف. ليعبروا بها البحر الذى له لون الخمر الداكنة، إذ لم تكن لهم دراية بأمور البحر .
- ٦١٥ أما عن أولئك الذين كانوا يقطنون بويراسيون وتلك المنطقة من أرض إيليس الرائعة، التى كانت تحتضنها هيرمينى وميرسينوس الواقعتان على ساحل البحر (من جانب) وصخرة أولينيا وأليسيون من الجانب الآخر. هؤلاء، مرة أخرى، كان على رأسهم أربعة قواد تتبع كلا منهم عشر سفن سريعة كان يعتلى سطحها عدد كبير من الإيبينيين.
- ٦٢٠ إذ كان يقود بعض هذه السفن أمفيماخوس وثالبوريوس، الأول ابن كتياتوس والآخر ابن يوريتوس وكلاهما من نسل أكتور. أما البعض الآخر فكان يقود عدداً منه ديوريس ذو المقدرة الفائقة من نسل أمارينكيوس، وأما المجموعة الرابعة فكانت تحت قيادة شبيهه الآلهة، ابن الملك أجاستنيس بن أوجياس.
- ٦٢٥ ثم أولئك الذين قدموا من دوليخيون وإيخيئاي، الجزر المقدسة التى تقع عبر البحر فى مواجهة إيليس. وكان على رأس هؤلاء، مرة أخرى، ميحيس نظير الإله آريس، وهو ابن فيليوس، (الابن) الذى أنجبه الفارس فيليوس، الذى يحبه زيوس، والذى كان قد ذهب فى الزمن الماضى ليقيم فى دوليخيون حين كان حانقاً على أبيه. و(مع ميحيس) جاءت أربعون سفينة سوداء.
- ٦٣٠ وقد قاد أوديسيوس الكيفالينيين ذوى الهمة العالية،

الذين كانت بأيديهم إيثاكي ونيريتون ذات الغابات التي
تتموج (أمام الرياح)، والذين يقيمون في كروكيليا وأيجيليبس
الصخرية ومواطني زاكينثوس وكذلك الذين يقيمون حول
٦٣٥ ساموس ومواطني القسم الرئيسي من الأراضى والشواطئ
المقابلة للجزر. كل هؤلاء كان يقودهم أوديسيوس، نظير
الإله زيوس فى الرأى وقد جاءت معه اثنتا عشر سفينة
لونت مقدماتها باللون القرمزى.

أما الأيتوليون فقد كان يقودهم ثواس بن أندرايمون،
٦٤٠ وكان هؤلاء يقيمون فى بليورون وأولينوس وبيليني.
وخالكيس المطلة على البحر وكاليدون الصخرية. وذلك
لأن أبناء أونيوس ذى الهمة العالية لم يكونوا على قيد الحياة،
وكان هو الآخر قد مات. وكان قد فارق الحياة كذلك
ملياجروس ذو الشعر الذهبى الذى كانت الأوامر قد صدرت
بأن يقود كل الأيتولين. وقد جاءت مع ثواس أربعون
٦٤٥ سفينة سوداء.

وكان قائد الكريتيين هو إيدومينيوس، الذى اشتهر
باستخدام الرمح. وكانت بأيدي هؤلاء كنوسوس وجورتين
التي ذاع صيتها بسبب (متانة) أسوارها وليكتوس وميليتوس
وليكاستوس التى يكسوها الحجر الطباشيرى بالبياض،
وفايستوس وريتون اللتان تقطنهما أعداد غفيرة. ثم الآخرون
الذين كانوا يقيمون فى كريت ذات المائة مدينة. كل هؤلاء
٦٥٠ كان يقودهم إيدومينيوس الذى اشتهر باستخدام الرمح ومعه
ميريونيس، نظير إنياليوس قاتل الرجال. وقد جاءت معهما
ثمانون سفينة سوداء.

وهناك تليبوليموس بن هيراكليس (هرقل)، رجل
شجاع كبير الجسم. وقد قاد من رودس تسع سفن عليها

- مجموعات من الرودسيين المعتدين بأنفسهم، الذين يقيمون
 ٦٥٥ في رودس مقسمين إلى ثلاثة أقسام، في ليندوس وبليسوس
 وكاميروس التي يكسوها بياض الحجر الطباشيري. هؤلاء
 كان يقودهم تليبوليموس، الذي اشتهر باستخدام رمحه، وهو
 الذي حملت فيه من هيراكليس البالغ القدرة، أستيوخيا التي
 ٦٦٠ كان قد اقتادها من إفيري ونهر سيلليثس بعد أن دمر عددا
 من مدن (المقاتلين) الأشداء الذين كان يرعاهم زيوس. ولكن
 حين بلغ تليبوليموس مبلغ الرجال في القصر الذي تحيط به
 الأسوار القوية، قام على التو بقتل ليكيمنيوس، العم الحبيب
 لأبيه ذاته، وسليل آريس وكان قد بدأ يتقدم في
 السن آنذاك. وهكذا بدأ تليبوليموس يبني لنفسه سفناً، وحين
 ٦٦٥ جمع عدداً كبيراً من الناس هرب إلى البحر لأن أبناء وأحفاد
 هيراكليس البالغ القدرة قد هددوه. ولكنه وصل في تجواله
 إلى رودس بعد عناء كبير، وهناك استقر شعبه في ثلاثة
 أقسام حسب قبائلهم التي كانت تتمتع بحب زيوس، ملك الآلهة
 والبشر. وقد أنعم ابن كرونوس عليهم بثرأء عريض.
 ٦٧٠ وإلى جانب ذلك قاد نيريوس ثلاث سفن رائعة المظهر
 من سومي. وكان نيريوس ابناً لأجلايا والملك خاروبس. إنه
 نيريوس، أوسم من وصل إلى أسوار إليوس من الدانائيين،
 وذلك بعد ابن بيليوس، الذي لا نظير له. على أن نيريوس
 ٦٧٥ كان رجلاً تنقصه القوة ولم يتبعه إلا عدد قليل من الرجال.
 أما أولئك الذين كانت بأيديهم نيسوروس وكراباثوس
 وكاسوس وكوس، مدينة يوريبيلوس، والجزر الكاليدونية
 (كاليدناي)، فقد كان يقودهم فيديبوس وأنتيفوس، ابنا الملك
 ٦٨٠ ثيسالوس، ابن هيراكليس الملك - وكان معهم ثلاثون سفينة مجوفة.
 هذا وكل أولئك الذين كانوا يقيمون في أرجوس،

- المدينة البلاسية، والذين كانوا يقيمون فى ألس وألوى
وتراخيس، والذين كانت بأيديهم فثيا وهىلاس التى اشتهرت
بجمال نساءها - وكانوا يدعون الميرميدونيين والهلينيين
والآخيين. كل أولئك كان أخيليوس يقود سفنهم الخمسين.
على أنهم لم يعودوا يفكرون الآن فى الحرب
البعيضة، إذ لم يكن هناك من يُعدّ صفوفهم للقتال، فقد كان
أخيليوس النبيل سريع القدم، يرقد بين السفن لا يفعل
شيئاً وقد غلبته الهموم من جراء الفتاة بريستيس ذات الشعر
الجميل التى كان قد سبها (لنفسه) من ليرنيسوس بعد عناء
شديد دمر خلاله ليرنيسوس وأسوار ثيبى وصرع كلا من
مينيس وإبيستروفوس، من رجال الرمح العتاة وأبناء الملك
إيونوس بن سيلبيوس. هكذا كان أخيليوس، فى حزنه الشديد
أخرى. عليها، يرقد دون أن يفعل شيئاً ولكنه كان سينهض مرة
أما أولئك الذين كانت بأيديهم فيلاكى وبيراسوس
المزهرة، مدينة ديميتير، وإيتون ذات قطعان الغنم
وأنترون المتاخمة للبحر وبتيليوس التى تحتضنها الحشائش
الوفيرة هؤلاء كان يقودهم بروتيسيلأوس، المحارب الشديد المراس
عندما كان على قيد الحياة قبل أن يرقد تحت الأرض السوداء
أما زوجته التى مزقت خدودها (نواخاً عليه) فقد
تركها (الآن) وراءه فى فيلاكى، كما ترك بيته يفتقد السيد
والخلف^(*)، فقد ذبحه رجل داردانى بينما كان (بروتيسيلأوس)
يقفز من سفينته قبل كل الآخيين. على أن رجاله لم يستمروا

(*) تعبير domos hemiteles يعنى: البيت الذى لم يكتمل بناؤه، وقد ترجمه ريو بهذا المعنى الحرفى. كذلك ترجمه مرى بالمعنى الحرفى ولكنه أضاف فى الحاشية أنه يعنى أن البيت خال من الابن، على اعتبار أن الزوج القتل لم يترك أبناً. أما فوس فقد اكفى بأن يترجمه: البيت الخالى. ويترك للقارئ تصور هذا المعنى المجازى. وقد رأيت أن أترجمه: البيت الخالى من السيد والخلف. على أساس أن الزوج (سيد البيت) قد قتل، وأنه، لو كان قد ترك خلفاً لما ذكر هومروس أنه لم يكتمل، حيث إن الابن يخلف الأب ويصبح هو رجل البيت فيكتمل البيت بذلك.

٧٠٥

دون قيادة رغم افتقارهم إياه، فقد خلفه على تنظيم
صفوفهم بوداركيس سليل أريس وحفيد فيلاكوس وابن
أفيكلوس، صاحب قطعان الغنم الكثيرة. كما كان أخا
بروتيسيلأوس ذى الهمة العالية. كان هو الأخ الأصغر
بينما كان (بروتيسيلأوس) هو الأخ الأكبر وهكذا لم تفتقر
قواتهم إلى قائد رغم أنهم كانوا يفتقدون الرجل النبيل الذى
فقدوه. وقد جاءت مع بوداركيس أربعون سفينة سوداء.

٧١٠

ثم أولئك الذين كانوا يقيمون فى فيراى بجوار بحيرة
بويينيس وفى بويى وجلافيراي ويأولكوس الحصينة
البنيان. وكان يقودهم الابن الحبيب لأدميتوس ومعه إحدى
عشر سفينة، وهو يوميلوس الذى أنجبته من أدميتوس،
سيدة النساء ألكيستيس، أنبل بنات بيلياس.

٧١٥

أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى ميثونى وثاوماكيا وفى
ميليبويا وأوليزون الوعرة، فقد كان يقودهم، هم وسفنهم
السبع، فيلوكتيتيس الذى يجيد الرماية. وقد كان فى كل
سفينة خمسون مجدفًا تمرسوا فى القتال بالقوس. ولكن

٧٢٠

فيلوكتيتيس كان يرقد فى جزيرة وقد ألمت به آلام موجعة،
إذ تركه أبناء الأخيين (مضطرين) وهو يعانى من جراح
جرح أصابه به ثعبان مميت من ثعابين البحر. على أنه لم
يمضى وقت طويل قبل أن تتذكر جموع أرجوس الملك

٧٢٥

فيلوكتيتيس وهم بجوار سفنهم. وحقيقة أنهم افتقدوا قائدهم
إلا أنهم لم يظلموا بلا قائد. فقد أعد ميدون صفوفهم للمعركة،
وهو الابن الذى حملت به رينى سفاحًا من أوليلوس مدمر المدن.

٧٣٠

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم تريكى وإيثومى ذات
المنحدرات الصخرية وأويخاليا، مدينة يوريتوس الأويخالى.
هذه المدن كان يقودها ابنا أسكليبيوس، وهما الطبيبان

الماهران بوداليريوس وماخاؤون، ومع هؤلاء كانت هناك

٧٣٥

ثلاثون سفينة مجوفة.

أما أولئك الذين كانت بأيديهم أورمينيوس ونبع هيبيريا، والذين كانت بأيديهم أستيريون والقمم البيضاء لتيتانوس، فقد كان يقودهم يوريبيلوس، الابن المجيد ليوأيمون، وكانت معه أربعون سفينة سوداء.

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أرجيسا والذين كانوا

٧٤٠

يقطنون جورتوني وأورثي وإلوني ومدينة أولوؤسون

البيضاء. وكان يقودهم بوليبيوتيس، المحارب القدير ابن

بيريثوؤس الذي أنجبه زيوس الخالد والذي حملت به

هيبوداميا المجيدة من بيريثوؤس في اليوم الذي انتقم فيه

من الكنتوروي^(*). ذوى الشعر الأشعث وطردهم من

بيليون ثم دفع بهم إلى أيدي الأيثيكين. هذا ولم يكن

٧٤٥

(بوليبويوتيس) وحده، بل كان معه ليونتيوس، سليل آريس

وحفيد كاينبوس وابن كورونوس ذي الهممة العالية وكانت معهما

أربعون سفينة سوداء.

٧٥٠

كذلك كان جونيوس يقود اثنين وعشرين سفينة من

كوفوس. وقد تبعه الإينيونيون والبيرايبيون، وهم مقاتلون

أشداء، كانوا قد أقاموا مساكنهم في دودوني ذات الطقس

الشتوي وعاشوا على فلاحه الأرض حول (نهر) تيتاريسيوس

الذي تتوق النفس إلى رؤيته، والذي تتدفق مياهه في سلاسة

(*) اللفظة في الأصل: Feres. وترجمها فوس: الوحشيون المسوخون. ويكفي ريو بترجمتها: رجال البراري، بينما يترجمها موري: مخلوقات الكنتوروي، وهي مخلوقات نصفها الأعلى حتى أسفل الجذع على هيئة نصف بشر أما بقية الجسم فهو بقية جسم حصان، والترجمة بهذا الشكل قوية ففي ملحمة "الأوديسية" الكتاب الأول، بيت ٢٩٥ وما بعده إشارة إلى علاقة بين بيرثوس وهذه الكائنات. وقد رأيت أن الترجمة الأولى (الوحشيين المسوخين) غير كاملة المعنى لأنها لا تشير إلى النصف البشري من هذه المسوخ كما رأيت أن ترجمة: رجال البراري لا تستند على أصل لغوي أو أسطوري، وفي رأيي أن ترجمة: مخلوقات الكنتوروي هو الأقوى بين الترجمات الثلاث وذلك استنادا إلى ما ذكره الشاعر في ملحمة "الأوديسية" على نحو ما سبق. ولكن خوفا من أن يكون بعض القراء على غير معرفة كافية بماهية مخلوقات الكنتوروي، نشير إلى أنها مخلوقات نصفها الأمامي على هيئة بشر ونصفها السفلي على هيئة حصان. (راجع "الأوديسية" مرة أخرى، الكتاب الحادي والعشرون، آيات ٣٠١-٣٠٣، حيث ترد كلمة الكنتوروي بمعنى الحيوان البري أو المتوحش).

- فى (نهر) بينيوس، ومع ذلك لا تلتقى بالدوامات الفضية لنهر
بينيوس وإنما تجرى فوق مياهه كما يسيل الزيت، إذ إنه
٧٥٥ يتفرع من مياه (نهر) ستيكس، نهر القسم (الرهيب)^(*).
ثم هناك الماجنيتيون الذين كان يقودهم بروثوؤس بن
تنثريدون، وكان هؤلاء يقيمون حول بينيوس وبيليون التى
تغطيها الغابات التى تتماوج (أوراقها تحت الرياح). لقد كان
٧٦٠ بروثوؤس هو قائد هؤلاء. وقد جاءت معه أربعون سفينة سوداء.
وكان أولئك قادة الدانائيين وسادتهم. ولكن حديثنى
ياربة الفن والحكمة: من كان الأفضل بينهم، سواء من أولئك
(الرجال) أو من الخيل، ممن تبعوا ابنى أتريوس.
لقد كانت فرسا ابن فيريس، من بين الخيل، هما الأفضل
كثيراً، وهما اللتان كان يسوقهما يوميلوس، سريعتين كالطير
ولهما نفس لون الجلد وذات السن. أما ظهراهما فكانا فى
استوائهما كخير ما يمكن أن يصل إليه الخط الذى يحدد مدى
٧٦٥ الاستواء. لقد كان الإله أبوللون ذو القوس الفضى هو الذى
رعى هاتين الفرسين اللتين تثيران الهلع. أما من بين الرجال فقد
كان الأفضل هو أياس التيلامونى طالما كان أخيليوس لا يزال على
غضبه، ذلك أن أخيليوس كان أقدرهم بشوط طويل، هو والخيل التى
٧٧٠ كان يسوقها (هو نفسه)، ابن بيليوس الذى لا نظير له. ولكنه كان
يقيم (آنذاك) بين سفنه ذات المقدمات المعقوفة والتى تمخر
عباب البحر، وقد استبد به الغضب على أجاممنون بن
أتريوس، راعى حشود المقاتلين، بينما كان رجاله يمضون
٧٧٥ وقتهم على شاطئ البحر فى رمى القرص والرمح والرمية
بالقسي والسهام. أما خيولهم فقد كانت تقف فى تراخ، كل

(*) Styx: هو نهر فى أركاديا (بلاد اليونان) له صلة فى الميولوجيا اليونانية بالعالم الآخر، وكان أهل أركاديا
وكذلك الآلهة عند هومروس) يقسمون عنده (هيروdotus)، الكتاب السادس، بيت ٧٤.

منها إلى جانب عجلته الحربية، وهي تقضم اللوتس ونبات
المقدونس من الأرض الموحلة، وبينما كانت عجلات
الزعماء معدة ومغطاة بعناية في داخل خيامهم، كانوا هم،
في غمرة افتقادهم لقائدهم الحبيب، يتجولون في تراخ
في أرجاء المعسكر دون أن يشاركوا في القتال.

٧٨٠

هكذا تقدم (بقية) الرجال كما لو كان السهل قد اكتسحته
النيران وقد أنت الأرض تحت وطأتهم كما تنن تحت وطأة
زيوس حين يقذف بصاعقة الرعد في لحظة غضبه ليجلد
بها الأرض حول تيفويوس^(*)، في منطقة الأريبيين التي
يقولون إن بها مخدع تيفويوس. هكذا كانت الأرض تنن

٧٨٥

تحت أقدامهم عندما أتوا وهم يخترقون السهل في سرعة فائقة.
أما عن الطرواديين فقد ذهب إليهم إيريس^(**) بخطواتها
التي تحاكي سرعة الريح، ومعها رسالة محزنة من زيوس
لابس الدرع أيجيس، بينما كان هؤلاء يعقدون اجتماعهم أمام بوابة
برياموس، وقد التأم جمعهم في مجلس واحد، الشباب منهم
والشيوخ. لقد وقفت إيريس سريعة الخطى على مقربة منهم
وتحدثت إليهم وجعلت صوتها شبيها بصوت بوليتيس، بن
برياموس، الذي كان يجلس، وكأنه حارس يحمي الطرواديين،
فوق قمة الرابية التي تعلو مقبرة أيسيثيتيس الشيخ المسن، واثقا
في سرعة قدميه، منتظرا حين يبدأ الآخيون التقدم بعد
أن يغادروا سفنهم. وبعد أن جعلت نفسها شبيها له تحدثت
إيريس ذات الخطى الخفيفة إلى برياموس:

٧٩٥

"سيدى الشيخ ! إن الأحاديث التي لا تنتهى لا تزال حبيبة إلى

(*) وحش أنجته الأرض من أحد المعالقة له مائة رأس على هيئة رأس التنين ومائة يد ومائتا قدم (وفي رواية أخرى مائتا زوج من الأيدي والأقدام) ذات حجم هائل.

(**) إلهة قوس قزح، وكانت مهمتها أن تقوم بدور الرسول لكبار الآلهة. وربما كان السبب في نسبة هذا الدور إليها هو أن قوس قزح حين يظهر يبدو وكأنه يمتد عبر السماء ويلمس الأرض عند طرفيه، فكانه يصل ما بين السماء والأرض أو ما بين طرفي الأرض.

- قلبك كما كان الحال فى أيام السلام، ولكن الحرب التى لا يهدأ أوارها
أصبحت (الآن) على الأبواب. وفى الحق فإننى قد خضت قبل الآن
حروباً كثيرة ضد المقاتلين، ولكن لم أر قبل الآن حشداً من
المقاتلين بمثل هذا الحجم الكبير، فإنهم (يبدون) بعدد أوراق
الشجر وحببات الرمل، وهم يتقدمون نحو السهل ليحاربوا ضد
المدينة. ياهيكتور ! إنى أطلب إليك قبل أى شخص آخر أن
تعمل بما سأقوله. كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس
العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال
المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى
المجموعة التى يرأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من
ترتيب صفوف رجال مدينته".
- هكذا تحدثت، ولم يخف على هيكتور صوت الإلهة بأية حال،
ففض الاجتماع لساعته وانطلق الجميع ليأخذوا أسلحتهم وفتحت كل
الأبواب على مصاريعها وأسرع الرجال، سواء منهم المشاة أو راكبو
العجلات الحربية، بينما ارتفع الضجيج.
- هذا، وهناك أمام المدينة، وعلى مسافة بعيدة منها، تقوم
رابية على شىء من الانحدار ، تحفها الأرض الفسيحة من
هنا ومن هناك. ويطلق الرجال على هذه الرابية اسم باتينيا،
بينما يسميها الآلهة الخالدون رابية ميرينى ذات الخطى
الخفيفة. هناك قسّم الطرواديون والحلفاء حشودهم.
- وكان يقود الطرواديين هيكتور ذو الخوذة اللامعة، ابن
برياموس، وكانت قد انتظمت معه أعظم القوات وأفضلها،
ملوحين بالرماح فى شجاعة.
- وكان يقود الداردانيين الابن الشجاع لأنخيسيس، وهو
آينياس الهمام الذى حملت به الإلهة أفروديتى الجميلة من
أنخيسيس على أحد نتوءات جبل إيدا حين ضاجعت الإلهة هذا

الرجل من بنى البشر. ولم يكن وحده (على رأس الداردانيين)، وإنما كان معه إينا أنتينور: أرخيلوخوس وأكاماس، المتمرسان فى كل ضروب القتال.

٨٢٥

أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى زيليا عند أدنى سفوح جبل إيدا، وهم عشيرة طروادية من أهل الثراء، يشربون المياه السوداء^(*). من نبع أيسيبوس، فقد كان يقودهم الابن المجيد لليكائن، بانداروس الذى أعطاه أبوللون نفسه القوس. ثم أولئك الذين كانت بيديهم أدراسيا وأرض أبايسوس،

٨٣٠

وأولئك الذين كانت بأيديهم بيتويا وجبل تيريا الشديد الانحدار. وكان يقودهم أدراستوس وأمفيوس ذو المشد الكتانى، وهما ابنا ميروبس الذى ينتمى إلى بركوتى والذى كان أمهر القوم فى العرافة. ولم يكن (ميروبس) يريد لولديه أن يخوضا الحرب المدمرة للرجال. ولكن الأخوين لم يصغيا لرأيه على الإطلاق لأن أشباح الموت كانت تغريهما بالذهاب إلى قدرهما.

٨٣٥

أما أولئك الذين كانوا يقطنون حول بركوتى وبراكيتوس، والذين كانت بأيديهم سيسستوس وأبيدوس وأريسبى الجميلة، فقد كان يقودهم ابن هيرتاكوس، أسبيوس، وهو زعيم (بطبيعته) للرجال، أسبيوس بن هيرتاكوس، الذى جاءت معه من أريسبى عند نهر سيللثيس خيوله الكبيرة التى تشع بريقا.

٨٤٠

هذا، وقد قاد هيپوثوؤس قبائل البلاسجيين المتمرسين فى استخدام الرماح، والذين كانوا يقيمون فى لاريسا ذات التربة العميقة. لقد كان يقودهم هيپوثوؤس وبيلايوس، سليل أريس، وهما ابنا ليثوس البلاسجى ابن تيوتاموس.

٨٤٥

أما أكاماس والمحارب البطل بيروؤس فقد كانا على

(*) المياه السوداء ترد عند هوميروس صفة لمياه الينابيع العميقة (على سبيل المثال، "الأوديسية": الكتاب الرابع سطر ٢٥٩) التى لا يصل النور إلى عمقها فبدر سوداء الجدران، أو التى تزلق على صخرة مكسوة بالبقع السوداء (الإلياذة، الكتاب السادس عشر، بيت ٤ وما بعده).

رأس الطراقيين الذين يحيط بأرضهم بحر الهيليسبونطوس
ذو المياه المتدفقة.

كذلك كان يوفيموس قائدا لحاملى الرماح الكيكونيين،
وهو حفيد كياس وابن ترويزينوس الذى يرعاه زيوس.

٨٥٠

أما بيرايخميس فقد كان يقود البايونيين ذوى الأقواس
المشدودة والذين أتوا من بلاد بعيدة، من أميدون ومن

(ضفاف) أكسيوس، النهر الواسع المتدفق، أكسيوس الذى تجرى مياهه
فى سلاستها كما لا تجرى أى مياه أخرى على وجه البسيطة.

ثم هناك البافلاجونيون الذين كان على رأسهم

بيلايمينيس ذو الرجولة الخشنة^(*)، وقد أتى بهم من أرض

الإينيتيين حيث توجد مجموعة إناث البغال البرية. إنهم أولئك

٨٥٥

الذين كانت بأيديهم كيتوروس والمناطق الواقعة حول

سيساموس وكانت تقوم مساكنهم الشهيرة حول نهر بارثينيوس
وحول كرومنا وأيجيالوس وإريثينى ذات الموقع المرتفع.

وكان يقود الهاليزونيين كل من أوديوس وإبيستروفوس

الذين جاءا من منطقة بعيدة، من أليبي حيث مصدر الفضة.

أما عن الميسيين، فقد كان يقودهم خروميس وإنوموس

العراف (الذى يتنبأ عن طريق مراقبة حركات الطير وأصواته)

الذى لم يستطع - رغم كل تنبؤاته وعرافته - أن يتخلص

٨٦٠

من قدر الموت الأسود، فقد ذبحه ابن أياكوس، (أخيليوس)

العداء ذو القدم السريعة، الذى كان يشيع الدمار بين

(*) التعبير فى الأصل *lasion ker*. والمعنى الحرق (على غرابته) هو: القلب الأشعث أو الخشن. وعلى هذا
فإذا أن تأخذ التعبير بالمعنى المجازى بمعنى الصدر الأشعث الشعر أو الخشن الشعر (على أساس أن الصدر
يحوى القلب)، وإذا أن تأخذه بمعنى القلب الشديد الذى لا يهاب (ويقابله فى العامية المصرية: القلب
الجامد). والترجمتان تشير كل منهما إلى معنى الرجولة الشديدة (أمثلة فى الإلياذة، الكتاب الأول،
بيت ١٨٩، الكتاب السادس عشر، بيت ٥٥٤). وقد ترجم مرى هذا التعبير: القلب الأشعث وهى ترجمة
غير مألوفة، كما ترجمة ريو: ذو الصدر المغطى بالشعر الأشعث. أما فوس فقد ترجمه: ذو القلب العنيد.
وقد رأيت أن أترجمه: ذو الرجولة الخشنة، فهى تجمع، فى تصورى، بين المعنى الحرق والمعنى المجازى بشكل
أكثر قبولا وأقرب إلى الدقة فى الوقت ذاته.

الطرواديين ولدى الآخرين^(*).

وقد كان فوركيس يقوم هو وأسكانيوس، ذو القوام الإلهى، بقيادة الفريجيين الذين أتوا من منطقة بعيدة، من أسكانيا، والذين كانوا يتحرقون شوقا إلى خوض المعركة.

٨٦٥

وكان على رأس المايونيين كل من ميستليس وأنتيفوس، ابنا تالامينيس الذى كانت أمه عروس بحيرة جيجايا - كانا على رأس المايونيين الذين ينتمون إلى سفح (جبل) تمولوس. كذلك كان ناستيس يقود الكاريين الذين يتحدثون لغة غير مألوفة^(**). وكانت بأيديهم ميليتوس وجبل فنثريس

٨٧٠

الذى تكسوه الأشجار المورقة، وروافد (نهر) الماياندروس وقمم ميكالى الشديدة الانحدار. وكان يقود هؤلاء كل من أمفيماخوس وناستيس، ناستيس وأمفيماخوس هما ابنا نوميون المجيدان وكان قد أتى إلى الحرب متزيّنا بالذهب كما تتزين الفتاة، ياله من أحق ! ولكن ذهبه لم يجد شيئا فى دفع النهاية التعيسة عنه، فلقد لقي حتفه ذبحا على يدى ابن أياكوس، (العداء) ذى القدم السريعة، فى النهر وقد

٨٧٥

قام أخيليوس (بن أياكوس)، الذى كان يفكر بعقلية المحارب^(***)، بالاستيلاء على الذهب.

و(أخيرا) كان هناك ساربيدون وجلاوكوس الذى لا

(*) فى الأصل: الآخرون، ولكننا نفهم أن الآخرين هم "الحلفاء، وذلك بالرجوع إلى أبيات ٨٠٣-٨٠٥ من هذا الكتاب، حيث يتحدث هوميروس عن الحلفاء الكثيرين، الموجودين فى داخل المدينة وأولئك الذين تختلف لغاتهم والمتناثرين خارج المدينة كما تعرف منه فى آخر هذه الأبيات أن هؤلاء جميعا سوف يحاربون إلى جانب طروادة.

(**) barbarophonoi تعنى حرفيا ذوى اللغة البربرية. ولكن اليونان يطلقون لفظة البربرى على كل من يتحدث لغة غير يونانية (وليس بالضرورة من هم أقل منهم تحضرا)، لأن أية لغة غير يونانية كان صوغها، بالنسبة لهم، كأنه تكرار مستمر لصوت: بربر.

(***) daiphron تعنى فى الأصل أحد معنيين، الأول هو: الذى يفكر بعقلية المحارب، والثانى هو: العاقل أو الحكيم. وقد اختار مرى معنى الحكيم القلب، واختار فوس: العظيم، واختار ريو معنى: البعيد النظر، وكلها تدور حول المعنى الثانى. ولكنى وجدت أن المعنى الأول أنسب وهو: الذى يفكر بعقلية المحارب. ففى الحرب يصبح ما يملكه المغلوب ملكا لمن يغلب. وقد تغلب أخيليوس وقتل خصمه فأصبح ذهب الخصم ملكا لأخيليوس.

نظير له، وكانا يقودان الليكيين الذين أتوا من منطقة بعيدة،
من ليكيا ونهر كسانثوس ذى الدوامات الكثيرة.

الكتاب الثالث



ترجمة لعنفي عبد الوهاب يحيى

- حين تم تجميع الحشود وقادتها، أقدم الطرواديون صاخبين
متصايحين مثل أسراب الطير، تماما كما يرتفع صخب طيور الكركى
إلى عنان السماء حين تفر أمام عواصف الشتاء والأمطار التى لا حد لها
وتطير فى صخبها نحو روافد النهر المحيط الأوكيانوس جالبة
معهما القتل والهلاك لمجتمعات البيجميين الأقزام^(*)، وهى
تنقض عليهم فى معركة شرسة مع بدايات الفجر. ولكن
الآخيين كانوا يتقدمون فى صمت وهم ينفثون غضبهم وكلهم
حماس لأن يساعد كل رجل رفيقه .
- ١٠ ومثلما تنتشر ريح الجنوب (نوتوس). الضباب على قمم الجبال،
وهو ضباب لا يحبه راعى الأغنام وإن كان لدى اللص خيرا
من (ظلام) الليل، ولا يرى فيه الرجل أبعد من رمية حجر،
هكذا ارتفعت سحابة الغبار الكثيفة من تحت أقدامهم وهم
ذاهبون (إلى المعركة) وقد تقدموا فى سرعة فائقة عبر السهل.
- ١٥ وعندما اقترب الرجال حين تقدم كل من الجيشين فى مواجهة الآخر،
تقدم (صفوف) الطرواديين زعيمهم ألكسندروس شبيه الآلهة، وهو يحمل
فوق كتفيه جلد الفهد إلى جانب قوسه وسيفه، ثم أخذ يلوح
بحربتين ذات رأسين من البرونز وهو يتحدى أقدر من فى
الأرجيين أن يقاتله وجها لوجه فى معركة شرسة حاسمة.
- ٢٠ وحين شعر به مينيلائوس، الحبيب إلى آريس، وهو
يتقدم بخطى واسعة أمام الحشد، كان فى مثل فرحة الأسد حين
يعثر على فريسة كبيرة، غزال ذى قرون كبيرة أو عنزة
برية، بعد أن يكون قد نال منه الجوع، فيلتهمها بشراهة غير

(*) أوكيانوس، هو النهر الذى يحيط بالعالم، حسب تصور اليونان القدماء (راجع الكتاب الأول)، وكان من بين روافده نهر ستيكس (راجع الكتاب الثانى: بيت ٧٥٥). وعند هذه الروافد كانت تسكن مجموعات من قبائل المخلوقات المتوحشة وعدد من الشعوب غير المألوفة بالنسبة لليونان، من بينهم الأثيبيون والأقزام. ويذكر بعض الكتاب القدامى هذه القبائل أى البيجميون على أنها فى وسط أفريقيا Pausanias I xii 4 (اخرى)

- ٢٥ عابىء بالكلاب السريعة أو بالشباب المتعطش (لصيده) وهم
يطاردونه - (مثلما يكون هذا الأسد) كان مينيلأوس سعيدا
عندما رأى بعينه ألكسندروس شبيه الآلهة، إذ إنه اعتقد أنه
سيأخذ بثأره من المعتدى. وفى لمح البصر كان قد قفز
٣٠ بسلاحه وغدته من عجلته الحربية إلى الأرض.
على أن ألكسندروس، شبيه الآلهة، حين شعر به عندما
ظهر بين الزعماء، ارتجف قلبه وتراجع بين مجموعة
رفاقه تجنباً للهلاك. ومثلما يقفز رجل إلى الخلف حين يباغته
ثعبان عند وهدة بغاية فى جبل فترتعد أطرافه ويلتف
بحسمه ليعود مسرعاً إلى حيث أتى وقد امتقع وجهه،
٣٥ هكذا استبد الخوف بألكسندروس شبيه الآلهة من ابن أثريوس،
فقفز إلى الخلف بين الطرواديين المعتدين بأنفسهم.
ولكن هيكتور شاهده وقرعه بالفاظ شائنة،
"أى باريس، المنحوس ! (*) إنك (قد) تملك الوسامة
الفائقة فى أعين من ينظر إليك، أيها المجنون بالنساء
وبإغوائهن، (ولكن) لبتك لم تولد، ولبتك لقيت حتفك قبل أن
٤٠ تتزوج. نعم ! إنى أتمنى لو كان ذلك قد حدث، فهو خير من
أن تكون موضع خزي لنا وأن ينظر إليك الرجال باحتقار.
إن الآخرين ذوى الشعور الطويلة سيضحكون ملء أشفادهم
حقاً حين يرون أننا نعتبر أميرنا زعيماً، لمجرد أن لك قواماً
ممشوقاً، بينما لا تملك القوة أو الشجاعة. هل كنت (حقيقة)
٤٥ على هذا القدر (الضئيل) من القوة حين أقلعت إلى ظهر البحر
فى سفنك التى اعتادت الإبحار، بعد أن جمعت رفاقك من
أهل الثقة، ثم وصلت إلى شعب غريب وجئت من بلاد بعيدة

(*) باريس هو اسم آخر لألكسندروس. ويأتى هذا الاسم البديل ضمن لفظة واحدة هى: Dysparis بمعنى باريس المنحوس، (قارن: Ovid. Her xiii 43: Dyspari Priamide). (الحرر)

- ٥٠ بامرأة جميلة، ابنة رجل يجيد استخدام الرمح، ولكنها لعنة بالنسبة لأبيك ولمدینتك ولكل الشعب - فهي فرحة لأعدائك ولكنها خزي لك أنت. ألا تريد حقيقة أن نتصدى لمينيلأوس، حبيب أريس ؟ إنك (لو فعلت) ستعرف أى نوع من المحاربين هو ذلك الرجل الذى سلبته زوجته، وحينئذ لن تتفكك قيثارتك أو هدايا أفروديتى. أو خصلات شعرك أو وسامتك حين تمرغ فى التراب. ولكن الطرواديين ذوو قلوب لينة وإلا لرجموك^(*) حتى الموت قبل الآن جزاء وفاقاً على ما أقدمت عليه من شرور.

وهنا رد عليه ألكسندروس، شبيه الآلهة قائلاً:

- ٦٠ "أى هيكتور ! إنك توبخنى بما أستحقه وبما لا يتجاوز الحق، وإن قلبك لا يعرف الرضوخ أبداً، مثله مثل البلطة التى تدفعها إلى قلب عرق الخشب على يد نجار ماهر وهو يشكل عارضات السفن فيزيد ذلك من قوته (على تشكيل تلك العارضات) - هكذا روحك الصامدة دوماً وهكذا دائماً قلبك الذى لا يعرف الخوف. ولكن لا تعيرنى بالهدايا الجميلة التى قدمتها إلى أفروديتى الذهبية، فالهدايا القيمة التى تقدمها الآلهة، دون أن نسألها إياها، لا يجوز أن يرفضها المرء أو يفرط فيها، رغم أنه قد لا يختارها إذا ترك لإرادته. ولكنك إذا أردت منى الآن أن التحم فى معركة، فلتدع الطرواديين الآخرين يجلسون وكذلك الآخيين، وأدفع بى أنا ومينيلأوس،

- ٧٠ حبيب أريس، إلى ما بين الجمعین لنتبارز فى سبيل هيلينى وكل ممتلكاتها، ومن ينتصر منا نحن الاثنين ويثبت أنه الرجل الأقوى، فلنكن من نصيبه الممتلكات والمرأة، وليأخذها جميعاً ويعود بها إلى بيته. أما الآخرون فليقسموا على الصداقة

(*) كان الرجم بالحجارة عقوبة معروفة لدى الشعوب السامية القديمة. (الحرر)

والثقة (المتبادلة) وليقدموا القرابين على ذلك، أنتم تقيمون
 فى طروادة ذات التربة العميقة، وهم يحرون إلى أرجوس
 ٧٥ حيث مراعى الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات".
 هكذا تحدث (باريس). وقد ابتهج هيكتور كثيرا حين
 سمع كلماته، ثم تقدم إلى ما بين الجمعين وأوقف عن الحركة
 حشود الطرواديين بإشارة من رمحه التى كان يقبض بيده
 على وسطها، فجلسوا جميعا. أما الآخيون ذوو الشعور
 الطويلة فقد كانوا يحاولون طوال الوقت أن يصوبوا سهامهم
 ٨٠ نحوه وأن يسددوا إليه ضرباتهم وأن يقذفوه بالحجارة. ولكن
 أجاممنون، ملك الرجال، صاح فيهم:

"أوقفوا ذلك، ولا تصوبوا بعد الآن يا شباب الآخيين، فإن هيكتور،
 ذا الخوذة اللامعة، يبدو وكأنه يود أن يقول شيئا".

٨٥ هكذا تحدث فتوقفوا عن هجماتهم وأخلدوا إلى الصمت
 فى سرعة فائقة ثم تكلم هيكتور بين الجيشين:

"استمعوا منى أيها الطرواديين وأنتم أيها الآخيون
 المزودون بواقيات الأرجل، إلى ما يقوله ألكسندروس، الذى
 نشب الصراع من جراء ما قام به. إنه يدعو كل الطرواديين
 الآخرين وكل الآخيين أن يضعوا عدتهم وسلاحهم الرائع
 ٩٠ فوق الأرض السخية، حتى يتبارز هو ومينيلأوس فى البقعة
 الواقعة بين الجيشين من أجل هيلينى وكل ممتلكاتها، وأى من
 الطرفين تكون له الغلبة ويثبت أنه الرجل الأصلى تكون من
 نصيبه الممتلكات والمرأة ويعود بها (جميعا) إلى بيته، أما
 نحن الآخرون فلنتعاهد على الصداقة ولنقسم على الثقة
 (المتبادلة) مقدمين القرابين فى سبيل ذلك".

٩٥ هكذا تحدث (هيكتور) فخيم الصمت عليهم جميعا
 وأمسكوا عن القتال. ثم تحدث مينيلأوس البارع فى صيحة الحرب:

- ١٠٠ "أنصتوا إلىّ الآن كذلك. فإن قلبي مفعم بالأسى أكثر من الجميع. إنى أرى أن يتفرق الأرجيون والطوراديون الآن بعد أن تحملتم قدرا كبيرا من الولايات بسبب النزاع الذى كانت بدايته بينى وبين ألكسندروس. فمن منا كان الموت هو قدره، فلنتركه للموت. أما أنتم الآخرون، فابتعدوا الآن بكل سرعة ولتحضروا (أيها الطوراديون) خروفيين: كبشاً أبيض ونعجة سوداء (قربانا) للأرض (جى) والشمس (هيلئوس) وسنحضر نحن (قربانا) آخر للاله زيوس، واطلبوا حضور (الملك) برياموس حتى يقوم هو بنفسه بتأدية اليمين مصحوبا بالتضحية طالما أن ابنه يتسمان بالتعالى وعدم الالتزام بالعهد، وذلك حتى لا يُقدم أحد، نتيجة عدم الالتزام، على عمل عنيف يسيىء إلى قسم زيوس، فإن قلوب الشباب لا تستقر دائما على رأى ثابت. أما إذا شارك (فى العهد) من هو أكبر سنا فإنه يقلّب الأمر على كافة جوانبه، السابقة منها واللاحقة (فينظر إلى الأمام وإلى الخلف) (*)، حتى يرى ما فيه أقصى الخير لكل من الطرفين".
- ١١٠ هكذا تحدث (مينيلاؤس)، فسّر بحديثه الآخيون والطوراديون على حد سواء، إذ قدر الجانبان أنهما فازا بالراحة من الحرب المليئة بالولايات فأوقفوا عجلاتهم الحربية فى أماكنها ونزلوا منها ونزعوا عدتهم وسلاحهم وألقوا بها على الأرض، كل مجموعة إلى جانب الأخرى لا يفصل بينها سوى فاصل ضيق. ثم أرسل هيكتور رسولى المدينة على
- ١١٥

(*) هكذا يقول النص الهومرى الأصلي وقارن Plato, Cratylus 428D. وقول شكسبير فى "هاملت" (الفصل الرابع مشهد ٤ بيت ٣٧):

"He that made us with such large discourse,
Looking before and after.

وقارن شيللى "إلى طائر القبرة" "To a Skylark"

We look before and after
And pine for what is not

- وجه السرعة ليحضرُوا الخراف وليطلبوا إلى برياموس
المجىء. أما أجاممنون فقد أرسل تالشيبيوس إلى السفن المجوفة
وطلب أن يقوم بإحضار خروف. وقد أصغى هذا إلى
أجاممنون، شبيه الإله (وشرع فى تنفيذ ماطلبه).
ولكن (الإلهة) إيريس ذهبت رسولاً إلى هيلينى
ذات الأذرع البيضاء فى صورة أخت زوجها، زوجة ابن
أنتينور، التى اتخذها السيد هيليكائون ابن أنتينور زوجة له،
وهى لاؤديكى، أجمل بنات برياموس وقد وجدت هيلينى فى
البهو وهى تتسج شالا مزدوج العرض وقد ظهر فوقه تطريز
يمثل معارك كثيرة بين الطرواديين مروضى الخيول
والآخيين ذوى الدروع البرونزية والذين تحملوا فى سبيلها
الكثير على أيدى آريس. وقد تقدمت إيريس إليها فى خطى سريعة
وتحدثت إليها قائلة:
- "هيا أيتها العروس العزيزة(*)، حتى يمكنك أن تشاهدى الأعمال
الغريبة التى يُقدم عليها الطرواديون مروضو الخيول والآخيون ذوو
الدروع البرونزية. إن أولئك الذين كانوا مستعدين فى الماضى لأن
يخوضوا فوق سهل آريس حرباً شرسة فيما بينهما وقد استقر عزمهم
على معركة دامية، أخلدوا الآن إلى الصمت وتوقفوا عن إشعال
نار الحرب وهم يتكئون (الآن) على تروسهم بعد أن غرسوا
حولهم حراهم الطويلة فى الأرض. ولكن ألكسندروس
ومينيلأوس، حبيب آريس، ستدور المعركة بينهما
بحراهما الطويلة من أجلك، ومن يحالفه النصر منهما
ستصبحين زوجته الحبيبة".

(*) اللفظة التى يستخدمها الشاعر وهى: *nymphé*، تعنى المرأة الصغيرة المتزوجة أو المرأة المتزوجة على الإطلاق أو الفتاة المقبلة على الزواج. وواضح هنا أن لاؤديكى كانت تريد أن تدلل هيلينى وتكون رفيقة معها حتى تستطيع أن تستميلها لما تريد أن تقوله له. ومن هنا استخدمت لفظة عروس التى تماشى مع هذه الرقة وهذا التدليل.

هكذا تحدثت الإلهة، وملأت (بحديثها) قلب هيلينى
 بالحنين إلى زوجها السابق وإلى مدينتها وإلى أبويها فوضعت
 على رأسها غطاء من الكتان الفضى وخرجت من غرفتها^(*)
 وقد انهمرت الدموع من عينيها. ولم تكن وحيدة فقد تبعتها
 وصيفتاها كذلك، وهما آيثرا ابنة بيتيثيوس وكليمينى ذات
 العيون الواسعة، ووصل الجميع بسرعة إلى حيث توجد
 البوابات سكاياى.

أما الذين كانوا حول برياموس وبانتوس وثيرمويتيس
 ولامبوس وكليتيوس وهيكتاؤن، سليل آريس، وأوكاليجون
 وأنتينور، وهم من أصحاب الرأى - فقد جلسوا بوصفهم
 شيوخ المدينة فوق بوابات سكاياى. لقد كان هؤلاء
 قد توقفوا عن المشاركة فى الحرب بعد أن تقدمت بهم السن،
 ولكنهم كانوا متحدثين متميزين. وكما تعتمد الجنادب إلى
 شجرة فى الغابة وترسل من هناك صغيرها النقى الناصع
 كان زعماء الطرواديين يتحدثون وهم يجلسون فوق
 سور المدينة. وحين رأوا هيلينى تصعد إلى أعلى السور.
 تهامسوا فيما بينهم بصوت خافت وكلمات مجنحة:

"(حقاً) إننا لا يمكن أن نلوم أحداً إذا عانى الولايات كل من
 الطرواديين والآخيين المزودين بواقيات الأرجل فى سبيل امرأة كهذه.
 إنها تشبه إلى حد العجب الرباب المقدسة لمن ينظر إليها.
 ومع ذلك ورغم كل ما هى عليه (من جمال) دعوها تغادر إلى
 السفن (حتى تعود إلى وطنها) ولا تبقوا عليها هنا حتى لا
 تصبح (بوجودها) مصدر لعنة تحل بنا وبابنائنا من بعدنا".
 هكذا تحدث (الزعماء)، ولكن برياموس نادى هيلينى قائلاً:

(*) يبدو أن غطاء الرأس كان متبعاً عند ظهور المرأة فى مجتمع الرجال فهل هذه عادة طروادية شرقية أم
 إغريقية كذلك ؟. (الخرن)

- "تقدمى يا صغيرتى الحبيبة واجلسى هنا أمامى حتى
تستطيعى أن ترى زوجك السابق وأقاربك وشعبك. إنه لا
لوم عليك البتة فى نظرى، إنما يقع اللوم فى رأى على
الآلهة، فهم الذين أثاروا الآخيين للحرب الرهيبة. ولتخبرينى من هو
١٦٥ ذلك الآخى الظاهر فى بسالته، الفارع فى طوله. حقيقة أن هناك من
يفوقه طولاً بفارق رأس، ولكن عينى لم تقع قط على من هو أكثر منه
وسامة أو عظمة. إن له سميت الملوك".
- ١٧٠ وهنا ردت عليه هيلينى الحلوة الشمائل بين النساء:
"إنك لتبعث فى نفسى الاحترام والهيبة، أى حماى
وموضع إعزازى، لكم تمنيت لو كنت قد اخترت الموت بائسة
قبل أن أحضر فى ركاب ابنك إلى هنا، تاركة ورائى بيت
زوجيتى وأهلى وطفلتى (*) الوحيدة الحبيبة (**) ورفيقات الصبا
- ولكن هذا لم يكن مقدراً له أن يكون. ومن أجل هذا فأنى
أتلاشى الآن فى دموعى. ومع ذلك فأنى سأجيبك عما تتساءل
عنه. إن هذا الرجل هو ابن أتريوس، أجاممنون، الذى
يسيطر على بلاد مترامية الأطراف، فهو ملك ومن رماة
الرمح البواسل وكان أخاً لزوجى، أنا التى لم تعرف الحياء،
١٨٠ إذا كان هناك حقاً أحد بهذه الصفات".
- هكذا تحدثت (هيلينى) فتملك الإعجاب الشيخ وقال:
"يا ابن أتريوس، أيها السعيد المحظوظ المبارك، إنى
أرى الآن الأعداد الهائلة من شباب الآخيين الذين يخضعون
لحكمك. لقد سافرت فى الماضى إلى أرض قريجيا (***)
- ١٨٥

(*) المقصودة هنا هى هرميون (قارن "الأوديسية" الكتاب الرابع ١٤) ومن الملاحظ أن هيلينى تقدم هنا فى الإلياذة على أنها ليست زوجة صغيرة مدللة ومضللة لأن هرميون الصبية (مابين ١٣ و ٢٠ سنة) توحى بأن هيلينى فى الثلاثينيات من عمرها على الأقل. (الحرر)

(**) لفظة telygete الواردة فى النص صفة للطفل الوحيد أو الطفل الحبيب. فرأيت أن أجمع بينهما.

(***) كما هو واضح يفرق هوميروس فى "الإلياذة" بين الفريجيين والطوراديين ولكن فيما بعد هوميروس صار هذا التمييز غير واضح أو بالأحرى تلاشى، وراجع المقدمة. (الحرر)

الغنية بالكروم وشاهدت الفريجيين المتمرسين فى ركوب
الخيول ذات الجلد البراق، قوم أوترىوس وميجدون، نظير
الآلهة، الذين كانوا يعسكرون على ضفاف نهر سانجارىوس
لأنى، أنا الآخر، بوصفى حليفاً لهم، كنت أعد واحدا منهم
١٩٠ حين جاءت (نساء) الأمازونات، نظيرات الرجال. ومع
ذلك فحتى هؤلاء (الفريجيون) لم يكونوا بكثرة الأخيين ذوى
العيون البراقة".

بعد ذلك وقعت عينا الشيخ على أوديسيوس فسأل (هيلينى) عنه:
"والآن خبرينى، يا صغيرتى الحبيبة، عن هذا الرجل،
من هو؟ إنه أقصر بمقدار رأس عن أجامنون بن أثريوس،
ولكنه (بيدو) لمن ينظر إليه أعرض منكبين وصدرًا. إن
١٩٥ عدته الحربية ملقاة على الأرض السخية بينما يطوف هو
مثل الكبش الذى يتزعم القطيع بين صفوف المفاتلين. إنه بيدو
لى مثل الكبش، الكبش ذى الصوف السميك وهو يتابع
الخطو خلال قطيع كبير من النعاج البيضاء".
وقد أجابته هيلينى، سليلة زيوس:

"هذا هو ابن لائيرتيس، أوديسيوس الواسع الحيلة، الذى شب فى أرض
٢٠٠ إيثاكي الوعرة. ومع ذلك فهو على قدر كبير من الدهاء
ومتمرس فى دهاليز التحايل الماكرة".
وهنا أردف أنتينور، الرجل الحكيم:

"إن ما ذكرته (الآن) هو عين الحقيقة، فقد جاء أوديسيوس، شبيه
٢٠٥ الآلهة إلى هنا فى الماضى فى مهمة تخصك، هو ومينىلاؤس حبيب
أريس. وقد كنت أنا الذى يحتفى بهما فى أبهاء (قصرى)
واستطعت أن أتعرف على شكلهما وقوامهما وحيلهما الماكرة.
وحين تقابلا مع الطرواديين واختلطا بهم عندما اجتمع
٢١٠ الطرفان، كان مينىلاؤس، وهو واقف، يفوق أوديسيوس

- بمنكبيه العريضين، ومع ذلك فحين كان الاثنان يجلسان كان
أوديسيوس هو أبرزهما من حيث السمات الملكى. ولكن
عندما بدأ يدبجان الحديث ويقدمان الرأى فى حضور الجميع،
٢١٥ تحدث مينيلأوس بكلمات قليلة حقاً ولكن فى وضوح كامل،
إنه لم يكن رجل الأحاديث المطولة أو الخروج عن لب الموضوع
مع أنه كان أصغر الرجلين سناً. ولكن أوديسيوس الواسع الحيلة كان،
حين ينهض (من مجلسه)، يقف وينظر إلى أسفل مركزاً نظراته على
الأرض دون أن يحرك عصاه إلى الأمام أو الخلف، وإنما يقبض
عليها كما لو كان رجلاً تنقصه القدرة على الفهم، حتى إنك لتظنه
٢٢٠ رجلاً فظاً غليظاً غارقاً فى البلاهة. على أن صوته الضخم حين كان
ينطلق من صدره وتتساب كلماته مثل ندف الثلج فى يوم من
أيام الشتاء، حينئذ كان لا يجارى أوديسيوس أحد من بنى
البشر الفانين. وحين كنا ننظر إلى طلعة أوديسيوس آنذاك لم
٢٢٥ تعد تخذعنا ظواهر الأمور".
وكان ثالث من رآهم الشيخ هو أياس، فسأل (هيلينى):
"ومن إذن هو هذا الرجل الآخى الباسل الضخم الذى يقف
شامخاً بين الأرجيين برأسه ومنكبيه العريضين؟".
وهنا أجابته هيلينى ذات الرداء الطويل وذات الشمائل
الحلوة بين النساء:
"هذا هو أياس، الرجل العملاق والسند الرئيسى للآخيين. وعلى
٢٣٠ الجانب المقابل يقف إيدومينيوس مثل الإله بين الكريتيين، وحوله
يلتف زعماء الكريتيين. وقد كان مينيلأوس، حبيب آريس،
يحرص على أن يحتفى به فى بيتنا كلما أتى من كريت.
والآن فإنى أرى باقى الآخيين ذوى العيون البراقة، الذين أتبينهم جيداً
وأذكر أسماءهم ولكن اثنين من بين من قاموا بتنظيم الجيش لا
٢٣٥ أراهما، وهما كاستور مروض الخيول، والملاكم النبيل بوليديوكيس،

- وهما أخوای اللذين حملت بهما أمی. فإما أنهما لم يتبعا (المقاتلين)
 ٢٤٠ من لأكيدایمون الساحرة، وإما أنهما، بعد أن حضرا إلى هنا في
 سفنهم التي تمخر عباب البحر، يتجنبان دخول معركة المقاتلين نقاديا
 للفضيحة والإهانات التي ارتبطت بشخصی".
- هكذا تحدثت (هيلینی) ولكنها لم تكن تدری أن الأرض
 ٢٤٥ واهبة الحياة كانت قد احتوتهما في لأكيدایمون، وطنهما الحبيب.
 وفي خلال ذلك كان الرسل يحملون في طرف المدينة
 قرايين الأيمان المقدسة (التي أقسموها) إلى الآلهة: خروفين
 وقربة للخمر مصنوعة من جلد الماعز وفاكهة الأرض التي
 تتعش القلب. وكان الرسول إیدایوس يحمل طاساً لامعة
 وكئوساً من الذهب، فذهب إلى جوار الشيخ قائلاً:
- "قم يا ابن لاؤمیدون، فإن زعماء الطرواديين مروضی الخيول
 ٢٥٠ و(زعماء) الأخيين ذوی الدروع البرونزية يطلبون إليك أن
 تنزل إليهم في السهل حتى تقسم أيمان الثقة مصحوبة بتقديم
 القرايين، فإن ألكسندروس ومينيلأوس، حبيب آريس،
 ٢٥٥ سیتبارزان بالرماح الطويلة من أجل المرأة، وأی من الاثنين
 يكون النصر حليفاً له فلتتبعه المرأة وما تملك. أما فيما
 يخص الآخرين، فبعد القسم على الصداقة وتقديم أيمان الثقة
 مصحوبة بتقديم القرايين، نقيم نحن في طروادة ذات التربة
 العميقة، بينما يغادرون هم إلى أرجوس حيث مراعى
 الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات".
- هكذا تحدث (إیدایوس) فارتجف الشيخ، ولكنه طلب إلى
 ٢٦٠ رفاقه أن يشدوا وثاق الخيل (إلى عجلته الحربية)، فنفذوا ما
 أمر به بسرعة، وارتقى برياموس (العجلة) وأمسك بالعنان
 ثم صعد أنتينور إلى جواره في العجلة الجميلة، وساق الاثنان
 الحصانين السريعين من خلال بوابات سكاياى إلى السهل.

- ٢٦٥ ولكنهما حين وصلا إلى حيث يوجد الطرواديون
والآخيون، نزلا من العجلة على الأرض السخية وذهبا إلى
(البقعة التي تقع) مابين الطرواديين والآخيين. وعلى الفور
نهض أجاممنون ملك الرجال وأوديسيوس واسع الحيلة. بعدها
أحضر الرسل، ذوو السمات النبيل، القرايين التي كانت
ستصاحب الأيمان المقدسة للآلهة، و (صبوا) الخمر في
الطاس وخلطوها^(*) ثم سكبوا الماء على أيدي الملوك
والزعماء، بعدها سحب ابن أترئوس بيده السكين التي كان يعلقها دائما
إلى جوار غمد سيفه الكبير ثم قطع شعرا من رعوس الخراف وقسمه
الرسل بين زعماء الطرواديين والآخيين، وفي وسطهم رفع ابن أترئوس
يديه وأطلق دعواته بصوت مرتفع:
- ٢٧٥ "أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من (جبل)
إيدا، أيها الأُمجد الأعظم، وأنت أيتها الشمس (هيلئوس) التي
تري كل شيء وتسمع كل شيء، وأنت أيتها الأنهار ويا أيتها
الأرض والقوى الإلهية الموجودة تحت الأرض^(**)،
يا من ينتقمون من الذين فارقوا هذه الحياة بعد أن حنثوا بأيمانهم !
٢٨٠ لتكونوا (جميعا) شهودا ولترعوا أيمان العهد. إذا قتل
ألكسندروس مينيلائوس فليحتفظ بهيلئنى وكل ما تملكه وسنعود
نحن فى سفننا التي تمخر عباب البحر. أما إذا قتل مينيلائوس
ذو الشعر الأشقر ألكسندروس، فليعد الطرواديون
٢٨٥ هيلئنى وكل ما تملكه، وليدفعوا للأرجيين، ردًا للاعتبار،
التعويض الملائم الذى سوف يتحدث به رجال لم يوجدوا بعد^(***).
أما إذا رأى برياموس وأبناء برياموس ألا يدفعوا لى

(*) الخمر المستخدمة فى القسم وإبرام العهد لا تخلط بالماء والمقصود هنا هو خلط الخمر الطروادية مع نظيرها الإغريقية. (الحرر)

(**) المقصود هنا هاديس وبرسيفونى. (الحرر)

(***) فى الأصل: من سوف يكونون essomenoisi، ويقصد بذلك الأجيال القادمة.

- ٢٩٠ التعويض إذا قتل ألكسندروس، فإنى سوف أحارب عند ذلك لأحصل على التعويض، وسوف أظل هنا حتى أصل بهذه الحرب إلى نهايتها". وبعد أن تحدث (أجاممنون) حز رقاب الخراف بالنصل البرونزى الذى لا يعرف الرحمة ووضعها على الأرض وهى تشهق باحثة عن الأنفاس الضائعة، لأن النصل البرونزى قد
- ٢٩٥ حرمها من قوتها. بعد ذلك ملأوا كئوسهم خمرا من الطاس وسكبوها (على الأرض) وصلوا للآلهة الخالدة. وهكذا كان أى (رجل) من الآخيين أو من الطرواديين يقول، "أى زيوس، أيها الأجد الأعظم، وأنت أيتها الآلهة الخالدة الأخرى إذا بدأ أى من الجمعين بالشر حثثا بالآيمان والعهود، فلترق أمخاهم على الأرض مثل هذه الخمر، وأمخاخ ابنائهم (من بعدهم)، ولتصبح نساؤهم إماء عند الآخرين".
- ٣٠٠ هكذا تحدثوا ولكن (زيوس) بن كرونوس لم يكن قد شاء بعد أن يحقق ما تعاهدوا عليه. بعد ذلك تحدث فى وسطهم برياموس ابن داردانوس قائلا:
- ٣٠٥ "أنصتوا إلىّ أيها الطرواديين وأيها الآخيون المزودون بواقيات الأرجل. إنى سأأخذ طريقى عائداً إلى إليون التى تتناوبها الرياح، لأنى لن أستطيع بأية حال أن أتحمّل رؤية ابنى الحبيب وهو يبارز مينيلاؤس، حبيب أريس. ولكنى أعتقد أن زيوس وحده هو والآلهة الخالدة يعلمون مَنْ من الاثنين قد كتب عليه الموت".
- ٣١٠ هكذا تحدث الرجل نظير الآلهة وأمر بوضع الخراف فى عجلته الحربية وأمسك بالعنان وصعد أنتينور بجواره فى العجلة الرائعة وعاد الاثنان إلى إليون. ولكن هيكتور بن برياموس وأوديسيوس، شبيه الآلهة، قاسا مسافة (بين الغريمين) فى أول الأمر ثم أخذوا علامات الاقتراع ووضعها فى
- ٣١٥

- الخوذة البرونزية ليعرفوا أيا من الاثنين سيكون له حق البدء بالرماية برمح البرونزى، ثم قامت الجموع بالدعاء ورفعوا أيديهم (ابتهالا) إلى الآلهة. وهكذا كان أى (رجل) من الآخيين أو من الطرواديين يقول، "أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من إيدا، أيها الأمجد الأعظم، فلتكن مشيئتك، إذا كان أى من الاثنين هو الذى تسبب فى هذا العناء، أن يكون الموت نصيبه وأن يدخل مقر هاديس، بينما تكون الصداقة وعهود الثقة (المتبادلة) من نصيبنا".
- ٣٢٠ هكذا كانوا يتحدثون، بينما كان هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة يهز الخوذة (التي بها علامات الاقتراع) وهو ينظر إلى الخلف (حتى لا يراها)، وفى التوقفزت علامة باريس إلى المقدمة. فجلست الجموع فى صفوف حيث كانت توجد الخيل ذات الخطو المرتفع الخاصة بكل منهم، وحيث كان قد وضع عدته الحربية المرصعة. أما هو فقد وضع عدته الأنيفة حول منكبيه، ألكسندروس، زوج هيلينى ذات الشعر الجميل. ثم بدأ بتثبيت الواقيات حول رجليه. لكم كان هذا جميلا وقد نُتِبَت بأسفله قطعتان فضيتان عند الكعبين. بعدها لف صدره بمشد أخيه ليكاون بعد أن أحكمه ليلائم حجم (صدره)، ثم علق على منكبه سيفه البرونزى^(*) الذى رصع (مقبضه) بالأزرار الفضية. بعد ذلك أعد ترسه الكبير القوى، وفوق رأسه الضخم وضع الخوذة المتقنة الصنع تعلوها خصلة من شعر الخيل. أما الريشة (المثبتة بها) فقد كانت تهتز من أعلى إلى الأمام بشكل مخيف، ثم أخذ رمحا ملائما لقبضته. وبالطريقة ذاتها أعد مينيلائوس، المعرم بالحرب، سلاحه وعدته.
- ٣٣٠
- ٣٣٥
- ٣٤٠
- وحيثما انتهيا من التسلح على جانبي الحشدين، خطا

(*) هذه الصفة تأتي فى نهاية الجملة فى الأصل وتقع فى بداية بيت ٣٣٥، ولكن كان لابد من تقديمها فى الجملة العربية المترجمة إلى البيت السابق، ٣٣٤.

- كل منهما خطوات واسعة إلى المسافة الموجودة بين
الطرواديين والآخيين، وكل منهما يرمق الآخر بنظرات
مخيفة، بينما علت الدهشة أوجه الذين كانوا يشاهدونهما من
الطرواديين مروضى الخيول والآخيين المزودين بواقيات
الأرجل. ثم وقفا على مقربة من بعضهما فى المساحة
المحددة وكل منهما يهز رمح فى غضب نحو الآخر. وفى
البداية رمى ألكسندروس رمح البعيد الظل(*) فأصاب
ضربته ترس ابن أتريوس، المتوازن الاستدارة ولكن
الرمح البرونزى لم يخترق الترس وإنما التوى سنه على ظهر
الترس السميك. بعد ذلك أسرع برمح البرونزى ابن
أتريوس، مينيلائوس، مقدما الدعاء للأب زيوس:
- "أى زيوس، ملكنا، فلتكن مشيئتك أن أنقم ممن كان البادىء
بإيذائى، ألكسندروس شبيه الإله، ولتجعله يجثو تحت يدى حتى
يرتجف رجال سوف يولدون، إذا حاول أحدهم أن يسبب الأذى
لمضيفه الذى أكرم وفادته".
- وبعد أن قال ذلك وازن فى يده رمح البعيد الظل ثم
صوبه فأصاب ضربته ترس ابن برياموس، المتوازن
الاستدارة، فاخترق الرمح الترس اللامع ثم نفذ من خلال
الدرع فى اندفاعه القوى حتى مزق قميصه عند خاصرته،
ولكن ألكسندروس انتشى بجسمه فأفلت من الموت الأسود. بعد
ذلك استل ابن أتريوس سيفه المرصع (مقبضه) بالأزرار الفضية،
وارتفع بنفسه عاليا فهوت ضربته على حافة خوذة (ألكسندروس)،
ولكن سيفه تحطم إلى ثلاث قطع إن لم يكن أربعا. عندها أطلق ابن
أتريوس صرخة مليئة بالمرارة وهو ينظر إلى السماء:
- "أبانا زيوس، إنه لا يوجد إله آخر فى مثل

(*) كناية عن طول الرمح.

قدرتك على التدبير. لقد اعتقدت أنى انتقمتم من ألكسندروس
بسبب ما أوقعه بى من أذى، ولكن سيفى تحطم فى يدى،
بينما سددت رمحى بلا طائل دون أن أصيب (غريمى).
قال ذلك ثم انقض عليه وأمسك به من خوذته ذات الخصلة

٣٧٠ السميكة من شعر الخيل ثم دار به عدة دورات وسحبه نحو
الآخيين المزودين بواقيات الأرجل، وهنا كاد (ألكسندروس) أن
يختنق بالشريط الجلدى المطرز بسخاء أسفل حلقه اللين
والذى كان مشدودا بإحكام تحت ذقنه حتى يضبط الخوذة فى
مكانها. وقد كان بإمكان مينيلأوس أن يفوز بالمجد الذى لا
نزاع فيه لولا أن ابنة زيوس، أفروديتى، لمحت بسرعة

٣٧٥ ما حدث فقطعت، لفرط أسفه، الشريط المصنوع من جلد
ثور ذبيح، إلى قطعتين، وهكذا انخلعت الخوذة الفارغة فى
يده القوية، فقفز بها بشدة إلى جمع الآخيين المزودين بواقيات
الأرجل ليتلقفها رجاله المخلصون. أما هو فقد قفز مرة أخرى،
وكله حماس ليقتل غريمه بالرمح البرونزى، ولكن أفروديتى

٣٨٠ جذبت (ألكسندروس) بعيداً بسهولة فائقة لا تستطيعها إلا إلهة،
وأحاطته بضباب سميك ثم وضعته فى غرفته المعطرة ذات
العقود بينما ذهبته هى لكى تستدعى هيلينى، فوجدتها فوق
السور العالى وقد أحاطت بها مجموعات من الطرواديات. فأمسكت
٣٨٥ الإلهة بردائها العطر وجذبتة قليلا وتحدثت إليها فى صورة سيدة مسنة،
ماشطة للصوف، كانت تقوم بتمشيط الصوف الجميل عندها حين كانت
(لاتزال) فى لأكيدايون، وكانت محبوبة لديها. فى صورة

٣٩٠ هذه الماشطة تحدثت أفروديتى:

"تعالى إلى هنا، إن ألكسندروس يدعوك إلى الذهاب إلى
بيتك، إنه هناك فى غرفته وفوق سريره المزركش يشع وسامة
ونضارة، لن يخطر على بالك أنه قد أتى إلى هناك من

مبارزة خصم، بل (ستعتقدين) أنه ذاهب إلى (حفلة) رقص أو
أنه يجلس (على سريرته) وكأنه شخص أتى لتوه من (حفلة) رقص". ٣٩٥

هكذا تحدثت (أفروديتي) فاضطرب قلب هيليني وحين

رأت عنق الإلهة الجميل وصدرها الساحر وعيونها

البراقة. تملكته الدهشة فوجهت حديثها إليها قائلة:

"أيتها الإلهة غريبة الأطوار ! لماذا تريدان أن تضلليني على

هذه الصورة ؟ حقا إنك كنت ستقودينني إلى أبعد من هنا، ٤٠٠

(ربما) إلى إحدى المدن الآهلة بالسكان في فريجيا أو مايونيا

الجميلة، إذا كان هناك، مرة أخرى، شخص من البشر حبيب

إليك، بعد أن انتصر مينيلائوس على ألكسندروس شبيه

الآلهة، ويريد الآن أن يأخذني، أنا المكروهة إلى بلده.

إنك أتيت إلى هنا لهذا السبب بفكر مخادع، فلتذهبي ٤٠٥

الآن ولتجلسي إلى جوار (ألكسندروس)، ولتبتعدى عن طريق

الآلهة ولا تجعلي قدميك تقودانك بعد الآن إلى الأوليمبوس،

بل ظلي منشغلة به وأحرسيه حتى يتخذك زوجة

له أو ربما أمًا له. ولكني لن أذهب إلى هناك لكي أشاركه ٤١٠

مخدعه، فهو شيء مشين. إن كل الطرواديات سوف يوجهن

إلى اللوم بعد ذلك، وأنا لدى من الهموم ما يتقل روحى بلا حدود".

وقد أغضب ذلك (الكلام) الإلهة أفروديتي، فردت عليها:

"لا تثيريني أيتها المرأة الطائشة وإلا غضبت عليك ٤١٥

وتخليت عنك وكرهتك بقدر ما أحبك الآن حبا جمًا، وقمت

بإثارة الكراهية بين الجانبين، الطرواديين والدانائيين، وبذلك

يكون قدرك هو النهاية البائسة".

هكذا تحدثت فتملك الخوف هيليني، سليلة زيوس،

وذهبت وهى ملتفة بردائها اللامع فى صمت دون أن تلاحظها ٤٢٠

الطرواديات، بينما كانت الإلهة تقود الطريق.

- وحين وصلا إلى قصر ألكسندروس الرائع، بدأت خادמות
القصر أعمالهن. ولكن السيدة حلوة الشمائل ذهبت إلى الغرفة
ذات السقف العالى. وهناك أخذت الإلهة أفروديتى، الضحوك
٤٢٥ كرسيا وضعتَه فى مواجهة ألكسندروس، فجلست عليه هيلينى ابنة
زيوس لابس الدرع أيجيس وعيناها تنتظران شزراً، وعنفَت زوجها قائلة:
"لقد عدت من القتال، وياليتك كنت هلكت هناك بعد أن
انتصر عليك رجل باسل هو زوجى السابق. لقد كنت تفخر فى
٤٣٠ الماضى بأنك أفضل من مينىلاؤس، حبيب أريس، سواء
فى قوة يدك أو فى تسديد الرمح. فلتذهب إذن ولتتحد
مينىلاؤس، حبيب أريس، للمبارزة وجها لوجه ! ولكنى
أنا نفسى أدعوك ألا تقدم على ذلك وألا تندفع إلى مينىلاؤس
ذى الشعر الأشقر لتبارزه، فقد تسقط صريع رمح".
٤٣٥ وهنا رد عليها بريس بهذه الكلمات:
"لا تعنفى قلبى أيتها السيدة بكلمات الإهانة الجارحة.
لقد هزمنى مينىلاؤس هذه المرة بمساعدة (الإلهة) أثينة، ولكنى
٤٤٠ سأنتصر عليه فى مرة قادمة، فهناك آلهة تقف إلى جانبنا
ولكن تعالى (الآن)، ولنأخذ حظنا من البهجة والسعادة
بممارسة الحب معاً، فإن روحى لم تستشعر مثل هذه الرغبة
الجارفة من قبل، حتى حين انتزعتك فى البداية من (أرض)
لاكيدايمون الجميلة وأبحرت معك على سفنى التى تمر
٤٤٥ عباب البحر، ولا حتى فى جزيرة كراناي^(*). حين داعبتك
فوق مخدع الحب - (إن روحى لم تستشعر ذلك) كما أحب
الآن ولا كما تسيطر على الرغبة اللذيذة (فى هذه اللحظة)".
وحين انتهى من حديثه قاد الطريق إلى الفراش وتبعته

(*) "كراناي Kranai يقول البعض إنها ماراثونيسى Marathonisi (جزيرة ماراثون = جيثيون Gythion الحديثة ميناء إسبرطة وتقع على مبعدة ٢٧ ميلاً منها ويقول آخرون إنها جزيرة هيلينى Hellene بالقرب من ساحل أتيكا. (البحر)

- زوجته، وهكذا رقد الاثنان على السرير الخشبى الجيد الصنع.
- ٤٥٠ أما ابن أتريوس فقد هاج وماج وسط الجمع كأنه حيوان متوحش،
 وراح يبحث عن ألكسندروس، شبيه الآلهة، فى كل مكان. ولكن أحدا
 من الطرواديين أو من حلفائهم ذوى الصيت الذائع لم يكن بمقدوره أن
 يدل مينىلاؤس، حبيب أريس، عليه، ولم يكونوا يودون إخفاءه لحب
 يكونه له، فقد كان الجميع يبغضونه كما يبغضون الموت الأسود.
- ٤٥٥ عند ذلك تحدث بينهم ملك الرجال، أجاممنون، قائلا:
 "أنصتوا إلى أيها الطرواديون والداردانيون والحلفاء. إن النصر
 الآن بكل تأكيد فى جانب مينىلاؤس، حبيب أريس. وعلى هذا
 فلتدخلوا عن هيلينى التى تتحدر من أرجوس وعمها تملكه،
 وعليكم أن تدفعوا التعويض الملائم الذى سيبقى فى أذهان
 الرجال الذين سوف يولدون".
- ٤٦٠ هكذا تحدث ابن أتريوس فتعالى صياح كل الآخيين تأييدا له.
- ٤٦١

الكتاب الرابع



ترجمة أحمد عثمان

- كان الآلهة يجلسون في حضرة زيوس يتباحثون ويتحدثون
على الأرضية الذهبية^(*)، وعليهم تدور هيبى وتصب لهم النيكتار
في كؤوس ذهبية. تبادلوا أنخاب العهد الوثيق فيما بينهم، وألقوا نظرة
من عليائهم على مدينة طروادة. وفجأة هب ابن كرونوس زيوس
يداعب هيرا بكلمات موحية، إذ قال ساخرًا :
٥ "اثنتان من الإلهات تساعدان مينيلائوس، هيرا الأرجية
وأثينة الحارسة الالكومينية"^(**)، ولكنهما فيما يبدو لى تجلسان جانبًا
وتستمتعان بالمشاهدة، بينما أفروديتي الضحك تقف دومًا بجوار
١٠ بطليها المحبوب تدفع عنه غائلة المصير المحتوم. والآن تَوَّأ
أنقذته من موت محقق، وإنى لعلنى يقين تام أن النصر حليف
مينيلائوس حبيب آريس. وعلينا نحن إذن أن نتظر فيما يمكن أن تنتهى
١٥ إليه هذه الأعمال، هل سنثيرها من جديد حربًا ضروسًا وصراعًا مريرًا،
أم نزرع الحب والسلام بين الطرفين. فإذا راق لكم جميعًا ما ندع
مدينة الملك برياموس تظل عامرة بأهلها ويعود مينيلائوس بهيلينى
الأرجية إلى وطنهما".
٢٠ قال ذلك بينما كانت أثينة وهيرا تتهامسان فى تمللم وتبرم.
كانتا تجلسان ملتصقتين تضمران الشر للطرواديين. صامتا كانت أثينة،
فلم تنبس بكلمة، عابسة تقطب الجبين لوالدها زيوس، حيث استولى عليها
غضب وحشى. أما هيرا فلم يستطع صدرها أن يحتوى غضبها
فانفجرت صارخة فى وجهه:
٢٥ "يا ابن كرونوس، أيها المرعب، ما معنى هذا الذى تقولهُ ؟
كيف تضيع جهدى وتجعله عبثًا، جهدى الطويل وعرقى يرم أجهدت
جوادى الاثنين وأنا أجمع الناس وأعلنها لعنة وخرابًا على برياموس

(*) سادت فى العصور القديمة فكرة تعدد من الخزعلات فحواما أن هذا الكتاب إذا وضع تحت الرأس وقى صاحبه من وباء حتى اليوم الرابع quartan ague. (أغور)

(**) نسبة إلى مدينة صغيرة فى بويوتيا (Pausanias, IX 33.5) وكان لأثينة معبد صغير هناك ويعنى الاسم "الحارسة".

- وذريته ؟ امض فى طريقك واعمل ما تشاء ! ولكن أعلم عن
يقين أن كل الآلهة الآخرين لا يوافقونك .
- ٣٠ عندئذ رد عليها زيوس جامع السحب وقد تميز غيظاً
"أيتهما الشريرة! أى ذنب اقترف برياموس وابنائه فى حقك
حتى تصرين هكذا فى عناد على تدمير قلعة إليون الحصينة ؟
إنك لو تصادف ومررت عبر أبواب طروادة إلى داخل
أسوارها الطويلة لابتلعت برياموس وابنائه - هكذا لحما
٣٥ نيناً - مع كل الطرواديين، وعندئذ فقط يمكن أن تخدمى سورة
غضبك. افعلنى ما تشائين! ولكن لا تدعى ذلك بحدث، أى
أن يصبح الأمر سبباً لنزاع كبير بيننا، بينى وبينك. ولأضف
كلمة واحدة تعيها جيداً، عندما أرغب أنا فى تدمير مدينة يقطنها
٤٠ أناس تحبينهم، لا تعترضنى طريق غضبى، بل دعيه يأخذ مجراه
فاللوم قد ليبت لك طلبك ليس كرها بل بمحض
إرادتى، فمن بين كل المدائن المعمورة بالبشر وتحتل مكاناً
تحت الشمس والسماء ذات النجوم لا تحتل واحدة منها ما
٤٥ تحتله إليوس المقدسة من مكانة فى قلبى، هى ومليكها برياموس
ذو الرمح المتين وشعبه. فمذبحى هناك لا تنقصه اللوائم ولا
قرايين الشراب ولا الأضاحى، فهذا هو التكریم الواجب ويستحقه اسمى".
- ٥٠ فأجابته المليك هيرا ذات العيون الواسعة كعيون المها:
"أما بالنسبة لى فأحب المدن ثلاث: أرجوس وإمبرطة
وموكيناى ذات الطرقات الواسعة. دمرها إذا ما داخلك حقد عليها !
فأنا لا أقف فى وجهك دفاعاً عنها، لا ولن أنازعك بشأنها.
٥٥ فحتى إذا عن لى أن أنازعك هذه المدن فأنى لى أن أقاوم يدك المدمرة ؟
لن أكسب شيئاً فأنت الأقوى منى بكثير، ومع ذلك فينبغى ألا تقصد
على جهدى المبذول، فأنا أيضاً من منبت إلهى وجنت من نفس السلالة
متلك، بل أنجبني كرونوس ذو التدبير المراوغ الملتو قبلك مما يزيدنى

- شرفاً. فيفضل سنى الأكبر، ولأننى أدعى زوجتك ولأنك سيد كل الآلهة
 ٦٠ الخالدين دعنا إذن نستسلم لبعضنا البعض، أنا لك وأنت لى،
 وعندئذ سيبتعنا بقية الآلهة الخالدين.
- فعليك إذن أن تصدر الأمر فوراً لأثينة أن تسرع الخطى نحو
 ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وتحاول أن تدفع الطرواديين
 ٦٥ للإساءة إلى الآخيين الأمجاد بنقض الهدنة".
- هكذا أنهت حديثها ودون أن يجيبها أبو البشر والآلهة
 وجه مباشرة إلى أثينة كلماته المجنحة:
- "أسرعى إلى ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وحاولى أن
 ٧٠ تدفعى الطرواديين للإساءة إلى الآخيين الأمجاد بنقض الهدنة" (*).
- بهذه الكلمات حث زيوس أثينة التى طالما تلهفت على
 هذه المهمة وقفزت من علياء الأوليمبوس كنجم أرسله ابن
 كرونوس ذو التدبير المراوغ لتكون نذيراً للبحارة والجيوش
 ٧٥ المتحاربة كانت تلمع متوهجة وتطير منها سنابل النور بلا
 عدد، هكذا هبطت باللاس أثينة إلى الأرض فيما بين الجيشين.
- فذهل الجميع، الطرواديون مروضو الخيول البارعون
 والآخيون لابسو دروع الساق القوية، ذهلوا عندما رأوها
 ٨٠ وصار كل واحد منهم يحث جاره "انظر ستشتعل الحرب
 المدمرة والمعركة الوحشية ثانية"، أو "هل زيوس موجه دفعة
 الحروب بين البشر، سيزرع الحب بيننا؟".
- هكذا كان لسان حال الطرواديين والآخيين يلهج
 بالحديث. تنكرت الإلهة وشقت طريقها عبر الجمع متكررة
 ٨٥ فى هيئة لاودوكوس بن أنتينور ذلك المحارب المغوار، باحثة
 عن بانداروس شبيه الآلهة عساها أن تجده أينما وجد. ووجدت
 ابن ليكاون يقف ساكناً وسط الجمع، إنه محارب باسل وعتيذ،

(*) الهجان ٧١-٧٢ تكرر حرف للبيتين ٦٦-٦٧.

- وحوله يتحلق لغير من صفوف لابسى الدروع الأقوياء من
 ٩٠ بنى شعبه الذين جاءوا معه من حيث مجرى نهر أيسيبوس^(*).
 بجانبه وقفت الإلهة هامسة بكلماتها المجنحة:
 "أى ابن ليكاون، الحكيم، أرجو أن تسمعنى ! كن شجاعاً
 وأطلق سهمًا خاطفًا على مينيلأوس، وهكذا تفوز برضا الطرواديين
 ٩٥ وتحوز الشهرة بينهم سترضى وقبل كل شيء ألكسندروس أمير
 طروادة حقًا. فمعه، دون الآخرين، ستتلقى الهدايا الملكية إذا رأى
 مينيلأوس الشجاع بن أتريوس يسقط بسهمك صريعًا فوق
 كومة الدفن المفجعة. اذهب الآن وصوب سهامك على
 مينيلأوس ذائع الصيت وأذر لأبوللون، سليل الذئب (ابن الضوء)^(**)
 ١٠٠ الشهير بقوسه أنك ستقدم له قرىبان الذبائح الفخم من بكور الكباش.
 عندما تعود سالمًا إلى وطنك مدينة زيليا المقدسة"
 هكذا قالت أثينة وأقنعت قلب هذا الرجل فى حمقه (بانداروس)،
 وعلى الفور نزع الغطاء عن قوسه الصقيل المصنوع من قرن
 ١٠٥ الوعل الوحشى، الذى هو نفسه كان قد طعنه فى الصدر تحت القلب
 عندما انطلق من فوق صخرة، وحيث كان بانداروس يختبئ فى
 مكمن مترصدًا إياه. وقد وقع الوعل الوحشى على ظهره إلى
 الخلف فوق الصخرة. وكانت قد نمت فوق رأسه ستة عشر قرنًا
 كاملة فى طول جريد النخيل. فأخذها صانع الحدادة الماهر فطوعها
 ١١٠ وصبها جميعا فى كتلة واحدة، ولما صقلها صقلًا أنيقًا صنع من
 هذه الكتلة عرقًا مذهبًا ذا طرف مدبب.
 عندئذ أسند (بانداروس) القوس على الأرض وشده وبعناية فائقة
 أعده، بينما وضع رفاقه الأقوياء الدروع على أجسامهم
 خشية أن يشرع أبناء آخايا المحاربون فى القذف، أو أن يصاب

(*) نهر أيسيبوس Aisepos يصب مياهه فى بحر مرمرة.

(**) Lykegenes لقب من ألقاب أبوللون.. وقد يعنى "ابن الذئب" أو "ابن الضوء" فهذان المعبران مرتبطان به فى الأسطورة.

- ١١٥ مينيلاؤس بن أتريوس وحبيب آريس.
عندئذ نزع غطاء جعبته، والنقطة سهمًا مجنحًا لم يسبق
إطلاقه من قبل، إنه حقًا حامل الآلام السوداء ! ويسرعة
خاطفة شد القوس وابتعد لإطلاق السهم ونذر لأبوللون بن
الذئب (أو الضوء) المجيد بقوسه أنه سيقدم قربان الذبائح الفخم
١٢٠ من بكور الكباش عندما يعود إلى وطنه مدينة زيليا المقدسة.
عندئذ أمسك بمقبض السهم ووتره القوى معًا وأطلقه
وكان قد ألصق وتر السهم بصدرة وقرب طرف السهم من القوس،
وعندما كان قد أنشئ القوس القوى إلى نصف دائرة أطلق القوس
صفيرًا مدويًا وانطلق الوتر بعناء صاحب وانقض السهم ذو الرأس
١٢٥ المدببة بحدّة ملهوفًا على هدفه وقد اخترق صفوف الحشد.
ولكن الآلهة الخالدين المباركين لم يغفلوا عنك يامينيلاؤس،
ولاسيما ابنة زيوس جالبة الأسلاب أثينة التي وقفت أمامه وتبادت
ضربة السهم الشرسة. وحالت بينه وبين أن يصيب لحمه،
وأبعدته مسافة قصيرة كما تبعد الأم ذبابة عن طفلها حين يرتع
في نوم لذيذ. فبيديها قادت السهم إلى حيث تلتقى مشابك الحزام بأطرافه.
١٣٠ لقد أصاب السهم القاسى الحزام المربوط جيدًا عند الحلية المعدنية
واخترق الحزام المزخرف بالحلقات المعدنية ونفذ منه، وكان صاحبه
قد ارتداه ليتقى ضربات السهام. وثبت أنه اتخذ أقوى وسائل
الدفاع عن نفسه. ومع ذلك فقد نفذ السهم إلى اللحم، لقد خدش
١٣٥ السهم سطح جلده، ومن الجرح انهمر الدم القانى غزيرًا متدفقًا.
وكما تخلط امرأة ما من مايونيا أو كائيرا الصبيغة
١٤٠ العاجية ناصعة البياض بالصبيغة القرمزية لكي يصنعوا
العدار (غطاء الوجنة) لحصان ما يرقد فى الحظيرة، ويتكلف
الكثير من الفرمان على امتطاء صهوته، ولكنه هو ما يزهو
به ينتظر ملكًا ما يزين بالعدار حصانه، وهو مايزهو به سائق العربة،

- ١٤٥ هكذا أرى، أى مينيلأوس، فخذبك الممتلئين وركبتك وكعبك وقد غطاها الدم.
- عندئذ انتفض أجامنون ملك الرجال، عندما رمقت عيناه الدم القاني يتدفق من الجرح. وانتفض أيضاً مينيلأوس نفسه حبيب آريس. ولكنه عندما لاحظ أن نصل السهم نفسه وشوكاته خارج اللحم، استجمع قواه وشجاعته. بيد أن أجامنون الملك أمسك بيد مينيلأوس وزأر فى أنين وسط صيحات الرفاق من حوله:
- "أيها الأخ الحبيب ! كأننى بالقسم على الهدنة وبوضعك فى مقدمة صفوف الأخيين لمحاربة أبناء طروادة كنت أدبر لموتك ! فالطرواديون قد أصابوك وداسوا بأقدامهم العهود ولكن لا... لن يذهب سدى قريان القسم ولا دماء الكباش المذبوحة، ولا قرايين الشراب الطاهرة المسكوبة، ولا يمانا التى أعطينا بها عهودنا. فمع أن سيد الأوليمبوس لم ينجز على الفور انتقامه ولكنه من المؤكد أنه سيأذن به ولو أجلاً. وسوف يسدد المعتدون دينهم بثمن باهظ، بحياتهم، بنسائهم وأطفالهم. فأنا أعرف جيداً ما يستقر سرّاً فى أعماق قلبى سيأتى اليوم الذى تهلك فيه إليوس المقدمة وبرياموس وشعب برياموس بسهمه الرمادى^(*). عندما سيهز زيوس نفسه، على العرش ابن كرونوس ساكن الأثير، درعه المرعب (الأيجيس) فوقهم مرة واحدة وللأبد نعمة من خداعهم. بالقطع لن نترك هذه الأمور دون أن تتجز، ولكن حزنى سيكون أليما عليك يامينيلأوس إذا مت ولقيت أجلك المحتوم وسيلحقنى العار المشين حين أعود إلى أرجوس العطشى. فهلاكك سيذكر الأخيين بوطن الآباء، وسنترك هيلينى الأرجية يتباهى بها برياموس والطرواديون، وستنوب عظامك
- ١٥٥
- ١٦٠
- ١٦٥
- ١٧٠

(*) هذان البيتان ١٦٤-١٦٥ اكتسبا شهرة واسعة بعد أن رددتهما سكيو أفريكانوس على أنقاض قرطاجة موحياً بمصير روما نفسها. وورد فى "الفردوس المفقود" ليجتون (2-441 XI).
 "And over them triumphant Death his dart shook".

- ١٧٥ في تراب طروادة حيث ترقد ميتاً دون أن تتجز واجبك !
وقد يصبح أحد الطرواديين المتكبرين وهو يقفز فوق
قبر مينيلائوس المجيد: دع أجاممنون يصل بغضبه إلى
عنان السماء، فلن يجنى من وراء ذلك سوى ماجنائه عندما
أحضر إلى هنا الجيش الآخى عبثاً، وعاد إلى أرض وطنه
١٨٠ الحبيب بسفن فارغة، تاركاً مينيلائوس الطيب هنا.
هكذا يوماً ما سيجرى الحديث على ألسنة الناس عندئذ
لتفغر الأرض الفاه واسعا وتبتلعني"
عندئذ أجابه مينيلائوس الأشقر مهدناً روع أخيه:
"تشجع ولا ترزعج الشعب الآخى. فإن نصل السهم الحاد
١٨٥ لم ينفذ إلى جزء قاتل بل بلغ فقط واستقر عند حلية الحزام المعدنية
وما تحتها عند الخصر حيث الثياب بأيدي صانعي الدروع".
فأجابه أجاممنون الملك:
"عزيزى مينيلائوس ! حسناً إن الأمر كان هكذا، ولكن هذا الجرح
١٩٠ يحتاج إلى طبيب ليضع البلم عليه، ويخفف آلامك الفظيعة".
قال ذلك والتفت إلى تالتيبيوس الرسول الإلهى قائلاً:
١٩٥ "تالتيبيوس على جناح السرعة أحضر إلى هنا ماخاؤن
ابن أسكليبيوس، ذلك الطبيب الشهير والإنسان النبيل، ليرى
مينيلائوس بن أتريوس، حبيب آريس، حيث أصيب بسهم
صوبه قواس داهية من الطرواديين أو الليكيين فحقق لنفسه
مجداً، ولنا حزناً بالغاً"
٢٠٠ هكذا تحدث وأنصت إليه الرسول وانصاع لأمره
واستدار مخترقاً جموع الآخيين المسلحين بحثاً عن ماخاؤن
البطل. ولمحه واقفاً فى الوسط تحيط به صفوف من الأشاوس
حاملى السهام، أولئك الذين جاءوا معه من تريكى^(*). مربية

(*) مدينة على حدود ثيساليا.

الخيول. ووقف الرسول لصيقاً بجانبه ونطق بكلماته المجنحة:

٢٠٥

"هيا يا ابن أسكليبيوس، فالملك أجاممنون يدعوك لفحص
المحارب مينيلائوس أحد قادة الأخيين، الذي أصابه سهم
صوبه أحد الرماة الحاذقين - سواء أكان من الطرواديين أو
الليكيين - فأصاب مجداً، وسبب لنا ألماً".

قال الرسول ذلك فحرك روح ماخاؤون وقلبه،

٢١٠

فشقا طريقهما سريعاً بين الجموع، عبر الحشد الآخر.
ولكن عندما وصلا في النهاية إلى حيث برقد مصاباً ذو
الشعر الأشقر مينيلائوس، وحيث يلتف حوله في دائرة أشجع
القادة إلى الوسط دخل ماخاؤون البطل شبيه الآلهة ووقف إلى جانبه.

وعلى الفور نزع السهم من الحزام الملتصق بجسد مينيلائوس،

٢١٥

وعندما خرج السهم تكسرت أطرافه الحادة وسقطت للخلف،
وعندئذ فك عقدة الحزام والثنيات الموشاة بأيدي صانعي الدروع.
فلما رأى موضع الجرح الذي سكن فيه السهم المرير صفى الدم منه،
وبراعة وضع البلسم على الجرح. كما كان قد فعل خيرون^(*)،
طيب القلب والطوية، مع أبيه.

٢٢٠

وبينما كانوا منهمكين في العناية بمينيلائوس البارع في
صبيحة للحرب تقدمت جموع الطرواديين من حملة السهام،
ومرة أخرى استعاد المحاربون الأخيون حماسهم، وعادتهم اللهفة
على متعة القتال الوحشية.

وقد ترى أجاممنون الإلهي لا يهجع ولا يتردد ولا

٢٢٥

يحجم عن النزال، بل هو مندفع نحو المعركة جالبة المجد

(*) خيرون Cheiron: ابن كرونوس و فيلوا. كما تقول الأساطير من سلالة الكنتوروي فله رأس آدمي وجسد جواد. أشهر بعلمه الغزير بالموسيقى والرماية والطب. وقد علم البشر استخدام الأعشاب الطبية، كما أشرف على تربية وتعليم أعظم أبطال عصره. مثل أخيليس ونيستوس وبيلوس واسكليبيوس وهيراكليس وغيرهم. أصيب ركبته بجرح من أحد السهام المسمومة التي أطلقها هيراكليس أثناء مطاردته للكنتوروي، وعندما اكتشف هيراكليس ذلك هب لمساعدته: غير أن عمق الجرح كان أخطر من أن يعالج، ونظراً لشدة آلامه عرض على زيوس أن يحرمه من الخلود حتى يخلصه من عذابه. فاستجاب له كبير الآلهة وضمه إلى مجموعات النجوم تحت اسم كوكبه (القوس والرامي Sagittarius).

- والشهرة للرجال. لقد ترك خيوله وعربته المرصعة بالبرونز
فقد كان تابعه يوريميديون بن بطلميوس بن بيرايوس قد نحى
جانباً الخيول وهي تصهل في إباء. وقد أمر الملك تابعه أن
يكون على أهبة الاستعداد مع خيوله، إذا ماتسرب الإغيا إلى
٢٢٠ أقدام الملك، وهو يتفقد الحشود الهائلة، وسار على قدميه
يتفقد جيئة وذهاباً الصفوف. فإذا لقي أحداً من الدانائيين نوى الخيول
السريعة متحفزاً للحرب كان يقترب منه ويحثه بحماس قائلاً:
"أيها الأرجيون لا تتخلوا عن شيء من قوتكم الفياضة،
فزيوس لن يعين الكذابين أولئك الذين حنثوا بأيمانهم.
٢٣٥ حقاً فالرجال منهم ستتغذى الجوارح على لحومهم الطرية،
أما الحرائر من نسايتهم وأطفالهم الناعمين فسنأخذهم أسرى
فوق سفننا، بعد أن نكون قد استولينا على مدينتهم".
أما إذا لقي متخاذلاً متعاساً عن الحرب الكريهة
٢٤٠ وبخه الملك أجاممنون بكلمات حادة قائلاً:
"أيها الأرجيون، محبى القوس يارجال العار ألا تفكرون
في الكرامة؟ لماذا تفقون هكذا مذهبين كالطباء التى أنهكها الجرى
٢٤٥ سريعاً عبر الوادى جيئة وذهاباً فوقف بلا روح؟
هكذا تفقون مذهبين ولا تحاربون؟ أتراكم تنتظرون أن يقترب
الطرواديين إلى حيث ترسو سفنكم المثينة عند شاطئ البحر الهادر
تتطلعون إلى زيوس بن كرونوس لعله يمد يد العون لكم لينقذكم؟".
٢٥٠ هكذا سار الملك أجاممنون يتفقد صفوف المحاربين.
فجاء إلى حيث كان الكريتيون، وتحرك وسط حشودهم.
كان إيديمينيوس شجاع القلب وحاشيته منهمكين في ترتيب الصفوف
وهم في كامل عدتهم. وقف إيديمينيوس في صفوف المحاربين الأولى
فهو قوى البنية كالخنزير البرى، بينما كان ميريونيس يحث الجنود في
الصفوف الخلفية. فلما رأهما أجاممنون ملك الرجال انفرجت أساريره،

- ٢٥٥ وعلى الفور حيا إيدومينيوس بكلمات الود:
 "أى إيدومينيوس، إنى أشيد بك أكثر من كل الدانائيين ذوى
 الخيول السريعة، أشيد بك سواء فى ميدان الوعى، أو فى كل عمل
 شاق من أى نوع، وفى الوليمة حين يتبادل أنبل نبلاء
 الأرجيين فى ولائم الاحتفالات كنوس الخمر المتهوجة.
 ٢٦٠ فبينما الآخرون من الأخيين ذوى الشعر الطويل يشربون قدرًا
 محدودًا، فإن كأسك يظل دومًا إلى جانبك مترغًا يفيض
 بالخمر، مثل كأسى، ليترد كل ما قد يعكر صفوك. ولكن ما
 أن تحين ساعة الجد حتى تهب للمعركة وتظهر نفسك كما كنت
 دومًا مفخرة للجميع".
 ٢٦٥ فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين:
 "يا ابن أترىوس، اعلم علم اليقين أننى سأكون لك نعم الصديق،
 وكما أقسمت لك بالقسم المقدس منذ البداية، بل استنفر الأخيين
 ذوى الشعر الطويل أن تسرع بالحرب فى أقرب وقت، حيث إن
 الطرواديين هم الذين نقضوا موافقتهم فلهم الأحران والموت
 ٢٧٠ من الآن فصاعدًا بما أنهم كانوا سباقين فى الخيانة والحنث بالقسم".
 وهكذا تحدث إيدومينيوس ومضى ابن أترىوس فى
 طريقه مسرورًا. وبعد ذلك وصل إلى حيث أتباع الثنائى أياس
 فتحرك وسط جموعهم. كان كل من الاثنين يضع الخوذة على رأسه
 وتتبعهما سحابة من المحاربين. وكما يلاحظ راعى المعيز
 ٢٧٥ من فوق صخرة سحابة تزحف فوق البحر، تسوقها الرياح
 الغربية (زيفيروس). ولأنه يقف بعيدًا تبدو السحابة أكثر اسودادًا
 من القار وهى تسافر عبر البحر وتسوقها عاصفة هوجاء.
 فعندما رآها راعى المعيز ارتعدت فرائصه وأسرع
 ٢٨٠ بقطعانه إلى الكهف. هكذا كانت سحابة(*) الصفوف الكثيفة

(*) قارن: Lucretius vi 256 ff, Tennyson "Princess", vii.

من المحاربين الأشداء المتحركين مع الثنائي أياض نحو المعركة
النارية متأهبين بالدروع والسهام، وبرؤية هذا المشهد اتفرجت
أسارير الملك أجاممنون وتحرك لسانه بكلمات مجنحة:

٢٨٥ "أى أياض وسميه، أنتما الاثنان قائدا الأرجيين لابسى البرونز
لا يصح أن أحتكما، فلا مزيد من الحصى لكما، أنتما بنفسكما تقودان
بعزم قوى شعبكما للقتال بحماس. أى زيوس الأب وأنت أثينة
وأبوللون كم أتمنى أن تكون مثل هذه الروح فى صدور كل الرجال !
فعندئذ أعتقد أن مدينة الملك برياموس ستسقط على الفور فتدمرها
ونستولى عليها بأيدينا"

٢٩٠ بهذه الكلمات تركهما وذهب نحو الآخرين. فوصل إلى
حيث نيسطور القائد الخطيب الفصيح زعيم أهل بيلوس الذى
كان ينظم صفوف أتباعه ويحثهم على الدخول فى المعركة
تحت قيادة بيلاجون وآلاستور وخروميوس وهاميون السيد
٢٩٥ النبيل، وكذا بياس راعى الحشود، فى المقدمة وضع نيسطور
الفرسان بخيولهم وعرباتهم وخلفهم المشاة كثيرى العدد
والشجعان ليكونوا درع المعركة برمتها. وعندئذ وضع
الضعفاء فى الوسط حتى يضطر كل واحد منهم رغما عن
أنفه للدخول فى الحرب. فى البداية أصدر أوامره للفرسان،
٣٠٠ أمرهم أن يشددوا قيضتهم على خيولهم وحتى لا تعوقها
الحشود فصاح قائلاً:

"لا تدع أحدا معتمداً على فروسيته الفائقة، أو قوته
البالغة يسعى للقتال ضد الطرودايين بمفرده مستيقفاً الآخرين،
٣٠٥ ولا تدعه ينسحب، وإلا فسكونون فريسة أسلس استسلاماً.
أى واحد منكم يحارب من عربته ويستطيع أن يدرك عربات
العدو دعه يصوب سهامه نحوها من مسافة بعيدة. هكذا كان
يفعل أبائنا، فهذه قاعدة موروثه، إذ دمروا الأسوار والمدن. وهم

متماسكون عقلاً وقلباً".

- ٣١٠ هكذا كان المحارب الهرم المحنك في ميدان الوغى يسحثهم
فعندما لمح الملك أجاممنون انفرجت أساريه وحياه بكلماته المجنحة:
"أيها الشيخ ليت عضلات جسمك وركبتك توازي قوة
قلبك، وليت قوتك لا تهتز ! ولكن الشيخوخة التي تصيب
الجميع سواء بسواء قد أثقلت حملها عليك، ليت أحداً آخر هو
الذي بلغ هذه السن المتقدمة، أما أنت فلتعد بين الشباب".
فرد عليه نيسطور فارس جيريى:
"يا ابن أتريوس فعلاً كم كنت أتمنى أنا نفسى أن أعود كما كنت
يوماً ما، عندما قتلت إريوثاليون الإلهى. ولكن الآلهة لا تهب كل شىء
للشئ دفعة واحدة. لقد كنت شاباً عندئذ، والآن بلغت أذل العمر،
لا بأس، سأظل، متخذاً مكانى بين الفرسان وسأحثهم بنصائحى
وكلماتى، فهى ثمرة من ثمرات السن المتقدمة. ولكن الشباب
الأكثر استعداداً للخدمة منى سيتسلحون بالسهم ويثقون فى قوتهم".
٣٢٥ هكذا كان حديث نيسطور، فمضى ابن أتريوس وقد
انفرجت أساريه، فوجد مينيسثيوس ضارب الخيل (بالسوط)
ابن بيتيوس، يقف ساكناً وحوله يتجمع الأثينيون البارعون فى صيحة
الحرب. وبالقرب منهم يقف أوديسيوس واسع الحيلة
ومعه على الجانب الآخر تصطف صفوف محاربى
كيفالينيا الأشاوس، فهم لم يسمعوا بعد صيحة القتال
ويرون أنه قد تأخر تحرك أسراب الطرواديين
٣٣٠ مربى الخيول والآخين نحو اللقاء فى أرض المعركة. ومن
ثم فهم لم يستنفروا أنفسهم، بل ينتظرون حتى تبدأ صفوف
الآخين فى اتخاذ الخطوة الأولى لمهاجمة الطرواديين
فيبدأون الحرب فلما رآهم أجاممنون ملك الرجال ناداهم بصوت
٣٣٥ جهورى محيياً بكلماته المجنحة:

- ٣٤٠ "أنت يا ابن بيتيوس، أيها الملك سليل زيوس، وأنت يا أوديسيوس الماهر في الحيل الماكرة، أية خطة داهية تختبئ في ذهنك؟ من المؤكد أنه ينبغي أن تقف في المقدمة، لتكون أول من يواجه هجمة العدو. وأتمنى أن تكونا أنتما الاثنان أول من يتلقى دعواتنا عندما نقيم نحن الأخيين الوليمة لكبار القوم! وستسرون جدًا بأكل اللحم المشوى واحتماء كئوس الخمر الطوة كالعمل، تشربون منها مانشاءون قدر طاعتكم.
- ٣٤٥ أما الآن فقد لا يكون سروركما أقل، عندما ترون صفوف الأخيين العشرة يحاربون أمامكم بنصل سيوف لا ترحم" فرد عليه أوديسيوس واسع الحيلة بنظراته الصارمة:
- ٣٥٠ "يا ابن أتريوس! أي حديث هذا الذي تفوهت به؟ كيف تقول إننا نتلكأ في القتال حين يهب الأخيون للحرب الفاضلة ضد الطرواديين مربى الخيول؟ سترى بنفسك أن أبا تيلياماخوس سيشتبك مع مقدمة جيش الطرواديين مربى الخيول، إن كلماتك حقيقة فارغة مثل الهواء"
- ٣٥٥ رد عليه الملك أجاممنون مبتسماً، فقد لاحظ غضبه وأراد أن يسحب كلامه:
- "يا ابن لائيرتيس وسليل زيوس أي أوديسيوس واسع الحيلة! أنا لا أوبخك كثيرًا ولا أمرك، فأنا أعرف أن الروح داخل صدرك تدرك الأفكار النبيلة. إنك تملك عقلًا يشبه عقلي.
- ٣٦٠ على أية حال دعنا الآن نكفر عن أية كلمة مسيئة قد تكون خرجت من أفواهنا، فياليت السماء تمحو كلماتي وتحيلها عدماً.
- بهذه الكلمات تركهم حيث كانوا وانتقل نحو الآخرين.
- فوجد بعد ذلك ديوميديس بن تيديوس سامي الروح يقف فوق عربته الحربية بخيولها وقد زركشت تمامًا. وبجواره كان يقف سثينيلوس بن كابانيوس. فلما رآه صاح الملك

أجاممنون يناديه ويحييه بكلماته المجنحة:

- ٣٧٠ " ويحي ! يا ابن تيديوس يا مروض الخيول الحكيم لماذا تتوارى ؟ لماذا تتفاضى عن الخطوط الفاصلة فى المعركة ؟ لم يكن تيديوس فيما أعتقد، يتوارى هكذا، بل حارب العدو وهو فى مقدمة أفرانه. ومع أننى لم ألتق به قط ولم أره ولكن يقول الناس - ممن شاهدوه فى قلب المصمعة - إنه فاق الجميع حقاً.
- ٣٧٥ لقد جاء إلى موكناي ذات مرة - ضيفاً لا عدواً - مع بولينيكيس شبيه الآلهة ليحشد جيشاً. لقد كانوا آنذاك عازمين على الحرب حتى ضد الأسوار المقدسة لطيبة، ومن ثم توجهوا إلى موكناي (وملكها ثيستيس) برجاء حار أن تمنحهم حلفاء أمالجد. لقد كانوا متلهفين على مثل هذه المساعدة من موكناي ووافقوا على مطالبها، ولكن زيوس عطل خطتهم بأن أظهر علامات التثؤم.
- ٣٨٠ وعندما رحلوا وكانوا بالفعل على طريق الرحيل، ووصلوا إلى أسوبوس الذى كان يفيض مجراه على الجانبين وتحيط به مستنقعات موحلة، أرسل الأخيون تيديوس رسلاً (إلى طيبة) فلما وصل إلى هناك ووجد الكثيرين من الكادميين (أهل طيبة)، يجلسون إلى الوليمة فى منزل إتيوكليس القوى. فلم يتردد تيديوس مروض الخيول رغم أنه غريب ووحيد بين كادميين كثيرين، بل تحداهم فى مباراة للمصارعة وتفوق عليهم جميعاً، فقد منحته الربة أثينة العون.
- ٣٩٠ عندئذ استشاط الكادميون غضباً وهم البارعون فى نخس الخيول بالمهماز فنصبوا كميناً مكثفاً فى طريق عودته. كان الكمين من خمسين محارباً يقودهم التوأم مايون بن هايمون قرين الآلهة الخالدة وبوليفونتييس بن أوتوفونوس ذى القلب الصلب. ومع ذلك فقد جلب عليهم تيديوس مصيراً مخزياً، لقد قتلهم جميعاً ماعداً واحداً سمح له بالعودة إلى بلده سليماً. لقد أرسل
- ٣٩٥

مايون على الطريق، وقد انصاع تيديوس لنذر السماء. هذا
هو تيديوس الأيتولى. أما فيما يتعلق بابنه الذي أنجبه فهو
بالقطع محارب أشد خطرًا وأكثر بلاغة". ٤٠٠

هكذا كان حديثه. ولكن ديوميديس الصنديد لم يرد عليه
بكلمة واحدة، فلقد شعر بالحرَج إزاء توبيخ الملك الذي يحترمه.
وعندئذ أجاب ابن كايانيوس النبيل (سثينيلوس) قائلاً:

"يا ابن أتريبوس لا تقل الكذب وأنت تعرف كيف تقول
للصدق حقاً، فنحن نفخر بأننا نفوق أبائنا، نحن الاثنان استولينا
على طيبة المدينة ذات السبعة أبواب، رغم أننا كنا نقود
جيشاً صغيراً أمام أسوارها المنيعه، لأننا أطعنا نذر السماء
وبعون من زيوس حققنا ذلك، أما أبائنا فقد ماتوا بفعل جنونهم.
ومن ثم لا أسمح لك أن توجه قدرًا من التكريم لآبائنا مثل ما توجه لنا" ٤١٠

عندئذ وينظرة صارمة أردف ديوميديس الصنديد:
"كفاك ! والزم جانب السلامة واسمع كلامي. لا أنكر
على أجاسمون وهو راعي الشعب أن يحث الآخيين
المسلحين بالدروع جيذاً للحرب. فعليه كما أعتقد نفع
المسئولية وينتظره الشرف والمجد إذا سحق الآخيون
الطرواديين وأسروا إليون المقدسة. وعليه سيهبط عبء الحزن
إذا هزم الآخيون. ولكن امض في طريقك الآن (يا أجاسمون)
ودعنا نفكر في أمر قوتنا الهائلة". ٤١٥

قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل
اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا
الأمير مرعباً، فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع
وكما يحدث على شاطئ تتردد منه الأصدااء وقد أثارت
عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر
موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذوابة ٤٢٠

الموجة، وبعدئذ يعلو زئيرها وهي تنكسر على الشاطئين وهي
تعلو كل الصخور النائثة والمتناثرة على الشاطئ في منحني
قوى وقد قذفتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى
دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب.

٤٢٥

كان كل قائد يقود رجاله ويتبعهم الآخرون في
صمت - في صمت لايسمح بتصور أن جيشاً جراراً في
الطريق إلى المعركة - وفي سكون خشية من أولئك الذين
يقودونهم. ويلفهم جميعاً في أثناء سيرهم بريق أسلحتهم.

٤٣٠

أما الطرواديون فكانوا كالقطعان يقفون في أعداد لا
حصر لها وهم في حوزة صاحبها الثرى، بينما يحلب اللبن
الأبيض منها يعلو ثغاؤهم ولا يتوقف وهم يسمعون كباشهم.
هكذا كان دوى الضوضاء في الجانب الطروادى حيث ساد
عبر كل جموعهم، فلم يكن واحداً الحديث الدائر بينهم، ولم
يكن واحداً صوتهم، بل كان صوتهم مختلطاً وكانت أصوات
محاربيهم تسمع من بعيد.

٤٣٥

كان يستقرهم آريس وأثينة ذات العيون الزرقاء،
ومعهم سارت القوى الإلهية الرعب (ديموس) والخوف
(فوبوس) والنزاع (إريس)^(*). التي لا تشبع من جنونها.

٤٤٠

"النزاع" (إريس) أخت آريس الفتاك وحبيبتته. إنها ذات
قوام صغير، ولكنها عندما انتصبت واقفة وصلت رأسها إلى
السماء، بينما وضعت قدمها على الأرض. وإذا تتجول عبر
الحشود غرست شجرة النزاع بالتساوى فيما بين الفريقين

(*) إريس Eris: هي ربة النزاع والشقاق وشقيقة آريس إله الحرب. وقد بدأت أحداث الحرب الطروادية عندما أرسلت إريس الفاتحة الذهبية إلى الربيات الثلاث، ولكن هيسودوس في قصيدته "الأعمال والأيام (بيت ١١ وما يليه) "يوحي بوجود شكلين مختلفين من ربة النزاع: واحدة خيرة والأخرى شريرة وتسبب ربة النزاع الشريرة في إشعال الحروب والصراعات. وأتباعها هم العار والخدايع والجنس والشيخوخة والفائلة. وقد أنجبت الحب والنسيان والجماعة والألم وكافة أشكال الموت العنيف والتجارب والتمرد والجنون. بينما نجد أن إريس الحرة تدفع حتى الشخص الكسول مثل بيريس شقيق هيسودوس إلى بذل الجهد حتى يحقق ثروة مثل الآخرين.

مضاعفة بذلك أحزان البشر . ٤٤٥

وعندما التقى الجمعان في مكان واحد، عندئذ فإن البرونز
الذي يغطي أجساد المحاربين من الطرفين قد اصطدم وأحدث
دويًا، الترس ضد الترس، والسهم مع السهم، والدروع
المحدودة مع الدروع، وارتفع الصياح إلى الأعلى. فهنا
٤٥٠ وهناك اختلطت الصرخات والتضرعات الصادرة من الرجال،
القتلة والمقتولين وفاضت الأرض بالدماء.

وكما يحدث في النهرات التي تفيض بمياه أمطار الشتاء
فتنفذ من التلال نحو الوديان، وتلتقي مع مياه أخرى تنفذ بها
الينابيع الكبيرة عبر الصخور المجوفة، وهناك بعيدًا بين
٤٥٥ الجبال يسمع الراعي خريز المياه المتدفقة، هكذا كان صخب
ورعب الجموع التي اشتبكت في المعركة.

في البداية قتل أنتيلوخوس رجلًا من الطرواديين
محاربًا قويًا في كامل عدته كان في المقدمة. إنه إخيولوس
بن ثاليسوس، كان أول من ضربه (أنتيلوخوس) فوق قرن
٤٦٠ خوذته ذات العرف من شعر الخيل لقد رشق السهم تمامًا في وجهه،
فاخترق رأس السهم البرونزي العظام وغطى الظلام عينيه،
وسقط كأنه قلعة هوت في ميدان المعركة الوحشية.

وبعد أن هوى على الأرض فإن الأمير إليفينور القائد الهمام
نلأنتيس بن خالكودون وضع قدمه عليه وجره جانبًا حرصًا على أن
٤٦٥ يئسبه عدته بأقصى سرعة ممكنة. ولكن اندفاعه كان طيشًا لأن أجيونور
ذا الهمة العالية رآه وهو يجر الجثة فأصابه بالرمح البرونزي
وسبب له جرحًا في جنبه، فلما انحنى زحزح عن نفسه جزءًا
من الدرع وأسلم أعضائه جسمه للموت.

٤٧٠ هكذا انتزعت الحياة من جسد إليفينور، بينما كان
عمل الطرواديين والآخيين محزنًا وثقيلًا على الطرفين. كانوا

- كالذئاب التي تنهاجم بعضها بعضاً، فكل محارب يلتحم مع نده.
عندئذ ضرب أياش بن تيلامون الشاب سيموثيسوس بن:
أنثيميون، وهو في زهرة العمر. كانت أمه فيما مضى في
٤٧٥ طريقها من جبل إيدا وعندما كانت ترعى الغنم مع والديها رقدت
عارية على ضفاف سيموثيس. فحملت به ولداً أطلقوا عليه إسم
سيموثيسوس ولكنه لم يكن قد سدد لوالديه العزيزين شيئاً
من دينه مكافأة على تربيتهما له، كانت حياته قصيرة وسريعة،
لقد سقط صريعاً بسهم أياش ذى الهمة العالية. فما أن جاء
٤٨٠ إلى الصفوف الأمامية فى المعركة حتى ضربه عند صدره
بجوار حلمة الندى اليمنى. واخترق السهم البيرونزى مباشرة
إلى الكتف، لقد مال وسقط فى التراب كما تسقط شجرة الحور
التي نمت على حافة مستنقع ضخم فريت وأورقت أغصانها
عند القمة، والآن يسقطها النصل البراق، يسقطها صانع العربة
لكى تستخدم أخشابها فيما بعد إطاراً لعجلة فى عربة ما مجيدة.
٤٨٥ منتصرة ترقد الشجرة الآن على ضفاف المجرى المائى، كما يرقد
ابن أنثيميون سيموثيسوس وقد قتله أياش بن زيوس.
عندئذ حاول ابن برياموس، أنتيفوس ذو الأسلحة اللامعة أن
يصوب سهمًا حاداً إلى أياش من بين جموع الأخيين. أخطأ
٤٩٠ التصويب وأصاب السهم ليوكوس صديق أوديسوس الصدوق
عند أعلى الفخذين عندما كان يجر الجثة جانباً. فسقط فوق
الميت وأفلتت الجثة منه، واستشاط أوديسوس غضباً عندما
رأى صديقه ميتاً. اخترق صفوف المقدمة وقد برقت عليهم
٤٩٥ جميعاً عدة الحرب اللامعة. فاقترب ووقف، وبعد نظرة فاحصة
حولـه صوب سهمًا لامعاً، ولكن الطرواديين ولوا الأدبار
أمام هجمة البطل. ومع ذلك لم يذهب هذا السهم عبثاً بل
أصاب ديموكوژن بن برياموس غير الشرعى، الذى جاء

- ٥٠٠ من أبيدوس حيث كان يقوم على تربية الخيول السريعة،
ولقد ضربه أوديسيوس بسهم في جبهته وقد تملكه الغضب
من أجل صديقه، فاخترق رأس السهم البرونزي صدغيه وغطى
الظلام عينيه وسقط صريعاً، فكان ارتباطه بالأرض مدوياً
وكذا تكومت عنده الحربة فوق جسده وأحدثت ضجيجاً.
- ٥٠٥ عندئذ فقط اضطر هيكتور المجيد أن يتراجع عن قليل
من الأرض مع الصفوف الأمامية، فصاح الأرجيون صيحة
عالية وسحبوا الموتى وضغطوا بشدة زاحفين إلى الأمام.
ولكن عندما نظر إليهم أبوللون من فوق قلعة طروادة
برجاموس امتلاً بالحنق ونادى الطرواديين بصوت مدوٍ واستحثهم :
"انهضوا أيها الطرواديون مروضى الخيول لا تستسلموا
للأرجيين وهم في نشوة القتال الوحشية، فأجسادهم ليست من
حجر ولا من حديد، ولا يمكن أن تقاوم حد السهم النافذ
عندما يصابون به. لا .. ولا يحارب الآن معهم أخيليوس
بن ثيتيس ذات الخصلات الجميلة، ولكنه يقبع بجوار السفن
يجتر غضبه الموجه لقلبه".
- هكذا تحدث الإله المرعب من القلعة الشاهقة في نفس الوقت
- ٥١٥ كانت بنت زيوس تريتوجينيا الإلهة المجيدة تتحرك بين
الحشود مستنهضة الهم عندما رأتهم مترددين.
وبعد ذلك سرعان ما أصاب القدر ديوريس بن أمارونكيوس،
فلقد ضرب بحجر خشن في قصبة الساق اليمنى عند الكعب.
كان قائداً طراقياً هو الذى رمى هذا الحجر إنه
- ٥٢٠ بيروس بن إمبراسوس الذى جاء من أينوس (*). لقد مزق
هذا الحجر القاسى العضلات والعظام تمرقاً كاملاً.
فسقط إلى الخلف فى التراب ماذا يديه لرفاقه المحبوبين

(*) مدينة تقع على غر هيروس في طراقيا.

- وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ أجهز عليه - من سبق
أن قذفه بالحجر - بيروس فجرحه بالسهم الحاد عند السرة،
فتفجرت كل أمعائه إلى خارج بطنه، وغطى الظلام عينيه. ٥٢٥
عندئذ أسرع ثواس الأيتولى وضربه بسهم عند الصدر
فوق حلمة الثدي، فثبت رأس السهم البرونزية في الرئة. واقترب
ثواس من الجثة، ونزع السهم القوي من صدره واستل سيفه
الحاد وضربه ضربة نجلاء عند المعدة فقضى على حياته
قضاءً ميرماً. ولكنه لم يسلب الميت أسلحته إذ وقف حوله ٥٣٠
أصدقاؤه المقربون الطراقيون بخصالات شعرهم العنقودية،
وقد أمسكوا بسهام طويلة في أيديهم، فعلى الرغم من قوته
وقامته ومظهره النبيل حال هؤلاء بينه وبين أسلحته
فاستدار وعاد أدرجه إلى الوراء. وجنباً إلى جنب كان يرقد
هذان الاثنان القائدان، أحدهما من الطراقيين والآخر من ٥٣٥
الإيبينين لابسى البرونز وكثيرون آخرون رقدوا موتى حولهم .
وعندئذ لم يستطع أحد أن يستخف بهذه المعركة ولا أن
يشتبك في مزيد من القتال. فإذا كان هناك من لم يصب
بضربة ولم يجرح برمح فتاك، فإنه كان يتحرك وسط الحشود ٥٤٠
تقوده باللاس أثينة التي كانت قد أمسكت بيده وهي تدفع عنه جانباً
الضربات القوية. لأنه حقا في ذلك اليوم كثير من الطرواديين
وكثير من الأخيين سقطوا صرعى فوق الرمال جنباً إلى جنب. ٥٤٤

الكتاب الخامس



ترجمة أحمد عثمان

- وهبت باللاس أثينة ديوميديس بن تيديوس القوة واليسالة،
لكي يبز كل الأرجيين ويحرز الشهرة المجيدة. فقيست من خوذته
ودرعه ناراً لا يخمد أوارها، مثل نجم الحصاد (= سيربوس)
الذي يتلألأ بأنواره أكثر من أى نجم آخر، عندما يبرز
مغتسلاً بالأوكيانوس (المحيط). لقد أوقدت الإلهة هذه الشعلة
من رأسه وكتفيه؛ وأرسلته إلى القلب من حشد الرجال.
وكان داريوس بين الطرواديين رجلاً ثرياً لا نظير له، كاهن
هيفايستوس؛ وكان له ابنان: فيجيوس وإيدايوس، وكانا بارعين
فى كافة فنون القتال. تركا صفوف الجيش وتقدما لمواجهة ديوميديس،
وكانا يمتطيان عربتهما، بينما كان هو يهرول بقدميه على الأرض.
وعندما اقتربا وتقدم كل منهما من الآخر، أطلق فيجيوس
رمحه الخاطف، فكاد سن الرمح أن يلامس الكتف
الأسير لابن تيديوس دون أن ينال منه. وعلى الفور أطلق
ابن تيديوس رمحه البرونزى، ولم ينطلق الرمح سدى
إذ أصاب عدوه فى صدره بين الحلمتين، وأطاح به من فوق العربة.
أما إيدايوس فقد قفز إلى الخلف متخلياً عن عربته رائعة الجمال، ولم
يطعنه، ولم يجرؤ على الزود عن أخيه المقتول،
بل إنه هو نفسه ما كان ليتملص من مصيره الأسود، لولا أن
نجاه هيفايستوس وأنقذه. إذ لفه فى غلالة من الظلام، حتى لا يأتى
الحزن على والده الكاهن المسن. وبالنسبة للخيل فإن ابن تيديوس
الجسور قد أدن لرفاقه أن يسوقوها نحو السفن المجوفة.
فلما رأى الطرواديين اليواصل ولدى داريوس على هذه الحال،
أحدهما يولى الأديار والآخر يرقد صريعاً بجوار عربته، أصاب
الهلع قلوبهم جميعاً. وأمسكت أثينة ذات العينين الزرقاوين
بأرياس المجنون قائلة:

- "أريس، أريس، يا لعنة على البشر الفانين، يا محطم الأسوار، أيها الملطخ بالدماء ! دع الطرواديين والآخيين يتقاتلون، لنرى لأى من الطرفين يشاء زيوس الأب أن يهب المجد ؟ وعلينا نحن الاثنين أن ننسحب تجنباً لسورة الغضب من قبل زيوس".
- ٣٥ هكذا قالت وقادت أريس المجنون بعيداً عن ساحة الوغى، حيث أجلسه فوق رمال ضفة نهر سكماندروس، فأجبر الدانائيون الطرواديين على أن يولوا الأدبار مدحورين. إذ قتل كل قائد الرجل الذى يواجهه؛
- ٤٠ ففى البداية قتل ملك الرجال أجاممنون أوديسوس العظيم قائد الهاليزونيين فى عربته، فعندما استدار ليولى الأدبار صوب رمحه إلى ظهره بين كتفيه، غرس الرمح وغاص به حتى صدره؛ فخرّ صريعاً فى صوت مكتوم تحت درعه.
- ٤٥ وقتل إيدومينيوس فابستوس بن بوريوس المايونى الذى جاء من أرض تارنى^(٩) الخصيبة. إذ كان يمتطى عربته مرتدياً درعه، فأصابه إيدومينيوس بطعنة من رمحه الطويل حيث اخترق كتفه الأيمن؛ فسقط عن عربته واحتواه ظلام الموت الكريه. ثم جرده أتباع إيدومينيوس من أسلحته.
- ٥٠ وأما سكماندريوس بن ستروفيوس البارع فى فنون الصيد فقد قتله مينيلأوس بن أتريوس برمح المسنون ، مع أنه كان صياداً عتيذاً، إذ دربته أرتميس بنفسها على التصويب وإصابة كافة وحوش الغابات فوق الجبال. بيد أن أرتميس رامية القوس لم تفده الآن بشيء ولم تنفعه مهارته الفائقة فى رماية القوس، واللى بزّ فيها الجميع من قبل. طعنه مينيلأوس بن أتريوس الشهير برمح بهذا الرمح فى ظهره بين كتفيه قبل أن يولى الأدبار أمامه، وغرس رمحه ليبلغ صدره

(٩) مدينة فى ليديا عرفت فيما بعد باسم سارديس. (المحرر)

فانكفا على وجهه وسقط درعه فوقه.

وقتل ميريونيس فيريكوس بن تكتون بن هارمون، ذا اليدين

الماهرتين في صنع كل شىء دقيق؛ وكانت باللاس

٦٠ أثينة تحبه أكثر من أى شخص آخر. وكان هو الذى بنى لألكسندروس

السفن الجميلة متبع الثرور والخراب لكل الطرواديين وله هو

نفسه، لانه لم يكن يعرف شيئاً البتة عن نبوات الآلهة. طارده

ميريونيس فلما أدركه طعنه على يمين مؤخرته وغاص سن الرمح

٦٥ تحت عظامه إلى مثانته؛ فسقط على ركبتيه وهو يئن وطواه الموت.

ثم قتل ميجيس بيدايوس بن أنتينور، والذى كان فى الحقيقة

ابنا غير شرعى، ولكن ثيانو الطيبة ربه وتولته بالرعاية

كأحد ابنائها إرضاء لزوجها. فاقترب منه

٧٠ ابن فيليوس (ميجيس)^(*) الشهير برمحه وطعنه بهذا الرمح

المسنون فى وتر رأسه؛ فغاص الرمح حتى وصل إلى أسنانه

عند جذور لسانه، فسقط فى التراب وهو يعض الرمح البارد بأسنانه.

وقتل يوريبيلوس بن يوايمون هيبسينور بن دولوبيون الطيب

٧٥ ساسى الروح، وقد كان كاهنا لإله النهر سكماندروس، وكان الناس

يبدلونهم وكأنه إله. فقد اندفع نحوه يوريبيلوس بن يوايمون العظيم

٨٠ بسيفه بينما كان يولى الأدبار أمامه، فأصابه فى كتفه ففقطع

نراعه الثقيلة حيث سقطت على الأرض وغرقت فى الدماء،

وغيب الموت المظلم والقدر القهار نور عينيه.

وهكذا أجهدوا أنفسهم فى الاقتتال؛ أما ابن تيديوس

٨٥ فلا تستطيع أن تقول مع أى الفريقين كان يحارب،

هل كان يحارب فى صف الطرواديين أم الآخيين.

فقد صال وجال فى السهل كله كأنه سيل شتوى عارم

يكسح السدود بفيضانه الجارف؛ فلا تصده

(*) فارن الكتاب الثانى بيت ٦٢٧. (الحرر)

- ٩٠ السدود المحكمة، ولا تستطيع حوائط بساتين الكروم المتقلبة بالأعنان
أن توقف هجمته المباغتة عندما تسوقه
عاصفة زيوس؛ فتتداعى أمامه التحصينات التي أنجزها
اليمثري. هكذا اندحرت فرق الطرواديين على كثرتها ولم تصمد
٩٥ أمام هجمات ابن تيديوس. ولكن ما أن رآه ابن ليكاون العظيم
وهو يجتاح السهول ويلحق قلول فرق الطرواديين المنحدرين، حتى
صوب قوسه المعقوف إلى ابن تيديوس أثناء اندفاعه فأصابه
في كتفه الأيمن أعلى درع الصدر؛ فاخترق الرمح القاتل
١٠٠ صدره وتدفقت منه الدماء غزيرة وغطت الدرع.
وعندئذ صاح ابن ليكاون العظيم قائلاً:
"انهضوا أيها الطرواديون العظام، مروضو
الخيول؛ فقد سقط أفضل الرجال بين الأخيين،
وأرى أنه لن يحتمل طويلاً طعنة الرمح القوية؛ فأنا في الواقع
مبعوث الملك ابن زيوس (أبوللون)، حين انطلقت من ليكيا".
هكذا قال في زهو بالغ، بيد أن الرمح
١٠٥ الحاد لم يغص تماماً في جسد خصمه، الذي ارتد للوراء ووقف أمام
خيوله وعربته، وخاطب ستينيلوس بن كابانيوس قائلاً:
"أقبل يا ابن كابانيوس الطيب،
وانزل من العربة، لكي تسحب السهم الحاد من كتفي".
هكذا قال فقفز ستينيلوس من عربته إلى الأرض
ووقف بجانبه وسحب السهم الحاد من كتفه،
١١٠ فانهمر الدم وغطى رداءه ذا الطيات. وشرع
ديوميديس البارع في صيحة الحرب في الابتهاال قائلاً:
"اسمعيني يا أثينة أتريتوني، يا ابنة زيوس، يا ذات الدرع
(أيجيس)، يا من لا يصيبك الوهن ! يامن وقفت بكل
١١٥ عناية إلى جانب أبي في خضم حومة الوغي، فافعل

- ذلك الآن يا أثينة واشملينى أنا أيضا برعابتك.
- بنى أستعين بك لكى أفضى على ذلك الرجل الذى أصابنى
فاجعليه فى مرمى رمحى. إنى أبغضه، إذ يتنجح
معلنًا هزيمتى وأنى لن أرى شمس النهار المساطعة".
- ١٢٠ هكذا قال فى ابتهاج، وسمعه باللاس أثينة فلملمت أوصاله
وقوت قدميه ويديه، واقتربت منه وهمست إليه بكلمات مجنحة قائلة:
"كن شجاعًا الآن يا ديوميديس لكى تقاثل الطرواديين،
فقد وضعت فى صدرك قوة أبليك القوى المقدام،
قوة تيديوس الفارس لابس الدرع الأشهر. وقد
١٢٥ أزلت الغشاوة عن عينيك حتى تميز الإله من الإنسان.
فإذا أتاك إله ما مبتليًا، فلا تقاثل الخالدين وجها لوجه
إلا إذا دخلت أفروديتى ابنة زيوس
١٣٠ المعركة، فعليك أن تطعنهما بسيفك البتار".
وانصرفت أثينة ذات العينين الزرقاوين بعد أن قالت ذلك
وعاد ابن تيديوس لينضم من جديد إلى مقدمة المقاتلين؛ وكان
١٣٥ يتكهن من كل قلبه لمنزلة الطرواديين، إذ تملكه الغضب ثلاث
مرات الآن. وكأنه أسد استفره للغضب راع فى الحقل يحرس أغنامه
ذات الصوف الغزير، وهو يقفز فوق أسوار حظيرة الأغنام، ولم
١٤٠ يخدم الغضب الذى استثاره بقوة، ولكنه تخلص عن الدفاع وراح يهاجم
وسط مبانى المزرعة، فتبعثرت الأغنام هنا وهناك فى فلول هاربة.
ويستشيط الأسد غضبًا ويقفز فوق أسوار الحظيرة العالية.
١٤٥ هكذا وبمثل هذا الغضب يقاثل ديوميديس العظيم الطرواديين.
قتل أستينووس وهيبايرون راعى شعبه، ضرب أحدهما فى صدره
بطعنة من رمحه البرونزى، وضرب الآخر بسيفه البتار
بجانب كتفه فى عظمة الترقوة، ففصل الكتف عن الرقبة والظهر.
ثم تركهما وأسرع ليلحق أباس وبوليئيدوس بن بوليداماس

- ١٥٠ الشيخ المسن مفسر الأحلام، فلم يرجعنا إلى أبيهما الشيخ ليفسر
لهما أحلامهما، فقد قتلتهما ديوميديس. ثم لاحق كسانثوس وثوون
ابنى فاينوبس الحبيبين. وكان أبوهما يعاني من أرذل العمر
ولم يرزق بابن آخر يرث أملاكه ويرعاها. قتلتهما ديوميديس
وانتزع منهما الحياة الغالية. ولم يترك لأبيهما سوى الحزن والحسرة
١٥٥ حيث لم يرهما ليرحب بعودتهما إليه؛ واقتسم الأقربون ممتلكاته.
وبعد ذلك أسر إخبمون وخروميوس ابنى برياموس بن
داردانوس، وكانا كلاهما فوق عربة واحدة، فكان كاسد قفر في قلب
القطيع، فهشم رقبة عجل أو بقرة كانا يرعيان في المرعى وسط الغاية.
١٦٠ هكذا فعل ابن تيديوس، حيث أنزلهما مرغمين بقسوة وعنف مؤلم
من عربتهما وجردهما من السلاح، وأسلم خيولهما لرفاقه ليقتاذاها
إلى السفن. ولمحه آينياس وهو يمزق صفوف المحاربين ويخوض
١٦٥ المعركة في غمار قعقة الرماح بحثاً عن بانداروس شبيه الآلهة
عسى أن يعثر عليه هنا أو هناك. فوجد ابن ليكاون، القوى العتيد
الذى لا نظير له، ووقف أمامه وخاطبه قائلاً:
١٧٠ "أين قوسك الآن يا بانداروس ؟ وأين سهامك المجنحة
بل وأين شهرتك المجيدة ؟ لم يكن هناك قط
على ظهر الأرض من يقف في وجهك، ولم يكن هناك في ليكيا
من يزعم بز هو أنه أفضل منك. تعال الآن
١٧٥ وأرفع يديك مبتهلاً لزيوس، وأطلق رمحا على
هذا الرجل أيّا كان ذلك الذى انتصر هكذا وأوقع
الكثير من الأذى بالطرواديين، وقتل الكثيرين من النبلاء؛
إن هو إلا إله ما قد أضمر الغضب على الطرواديين
لسبب يتعلق بالقرايين، فكم هو ثقيل غضب الإله على البشر (*)".

(*) قارن ما قاله سيبكا عن بطش الإله:

Gravis ira regum est; quanto magis dei, qui rex regum !

"ثقل هو غضب الملوك، وأنقل منه بكثير غضب الإله فهو ملك الملوك".

- ١٨٠ فرد عليه ابن ليكاون المجيد قائلاً:
 "أى آينياس، يا مرشد الطرواديين ذوى الدروع البرونزية،
 إنى أراه شبيه ابن تيديوس محب القتال شجاع القلب وأعرفه بدرعه
 وخوذته المجنحة وحين أنظر إلى خيوله؛ ولكنى لا أعرف يقينا
 ما إذا كان إلهاً. وعلى أية حال إذا كان إنساناً، ذلك الرجل الذى أظنه،
 فإن ابن تيديوس طيب القلب ما كان لينزل كل هذا الغضب دون عون
 من أحد الآلهة، فهناك أحد الخالدين يقف بجانبه دوماً وتحيط بكففيه
 سحابة هى التى ضللت رمحي السريع بعيداً عنه. فقد
 أطلقت عليه رمحا بالفعل أصاب كتفه الأيمن فاخترق
 صدره؛ وحسبت أنى شيعته إلى آيدونيوس، ولكن
 هيهات فلم أستطع القضاء عليه. إنه حقا إله غاضب.
 ولم تكن لدى عربية ولا خيول أمّطيتها مع أن
 هناك إحدى عشرة عربية جديدة مجهزة ومطهّمة
 فى ساحة ليكاون؛ تجر كلاً منها خيول تأكل الشعير الأبيض
 والحنطة. حقاً عندما انطلقت للمعركة من
 قصر ليكاون المنيع عهد إلى ذلك المحارب الأشيب بمهام جمة،
 إذ أمرنى أن أمّطى صهوة الحصان والعربية،
 وأن أهاجم الطرواديين فى معارك طاحنة.
 ولكنى لم أطعه. وكان من الأفضل كثيراً لو فعلت
 لقد تركت الخيول خشية أن يعوزها العلف ولا أجد
 ما يشبعها فى حومة الوغى. وجئت على
 قدمى إلى إليوس واضعاً كل ثقّتى فى قوسى؛
 ولكنه لم ينفعنى. وقد أطلقت رمحا أصاب بالفعل
 الزعيمين ابن تيديوس وابن أترىوس فأسّال دماءً غزيرةً منهما
 ولم أجن من ذلك سوى المزيد من غضبهما.
 لقد كان من سوء الطالع أنى استليت قوسى المعقوف من جعيتى

- ٢١٠ فى ذلك اليوم. وقدت رجالى من الطرواديين إلى إليوس الجميلة
من أجل إرضاء هيكتور المجيد.
- ولكن إذا عدت إلى بيتى لألقى نظرة على بلدى وزوجتى
وقاعات قصرى العالى فليفصل أحد الغرباء رأسى عن رقبتى
- ٢١٥ إذا لم أنزع بنفسى هذا القوس وألقه بيدى فى لهب النار
فهو كقبض الريح لا ينفعنى فى شئ"
- فرد عليه آينياس قائد الطرواديين قائلاً :
- "لا، لا تتحدث هكذا فلن يتحسن الموقف إذا لم
نقد أنا وأنت خيولنا وعربتنا لصد هذا الرجل
- ٢٢٠ ونبتليه بالقتال. بل هيا امتط عربتى لترى من أى نوع
خيول طروس، البارعة فى الركض هنا
- وهناك عبر الوديان سواء فى الكر أو الفر.
- وسيعود الجوادان بنا سالمين إلى
- ٢٢٥ المدينة، إذا منح زيوس المجد لديوميديس بن تيديوس
مرة أخرى. هيا أقبل وخذ السوط والعنان اللامع وسأنزل
أنا للقتال؛ وإلا فعليك أن تصد هجمته، لأعتنى أنا بالخيول"
- فرد عليه ابن ليكاون المجيد قائلاً :
- ٢٣٠ "أى آينياس لتمسك أنت العنان ولتقد أنت الخيول
التي ستجر العربة المحوفة على نحو أفضل؛
- فمن الأنفع لها أن تجر العربة بقيادة سائقها المعتاد، إذا كان
لايد لنا من الفرار هرباً من ابن تيديوس. أما أنا
- فلن أستطيع قيادها، وفى غياب صوتك قد تجفل وتحرن
- ٢٣٥ ولا تخرج بنا من المعركة فينقض علينا ابن تيديوس
القوى ويقتلنا معاً ويسوق خيولنا ذات الحافر الواحد أسلاباً.
- فلتكن أنت قائد عربتك وخيولك، وسأتصدى أنا لهجمة
هذا الرجل برمحي المسنون".

- تبادلا هذا الحديث تم امتطيا العربية المزركشة وقادا الخيول
 ٢٤٠ السريعة ضد ابن تيديوس. فلما لمحهما سثينيلوس بن كابانيوس
 المجيد قال:
- "ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا حبيب قلبي، إنني ألمح محاربين
 باسليين مهرولين في لهفة لقتالك، ولا حدود لقوتهما، أحدهما بارع
 في رمى القوس إنه بانداروس الذي يزهر بأنه ابن ليكاون؛
 ٢٤٥ أما الثاني آينياس، فيفخر أنه من نسل أنخيسيس الذي لا نظير له،
 وأمه أفروديتي. تعال نمطلي العربية ونمضي، أتوسل إليك، ولا تتدفع
 هكذا في الصف الأول بين المحاربين الأشواس كيلا تهلك."
 ٢٥٠ فرد عليه ديوميديس العظيم بنظرة حائقة قائلاً:
- "لا تحدثني عن الفرار، فلا أظن أنك ستقنعني.
 وليس من شيمتي أن أتملل متسحباً من حومة الوعى
 ٢٥٥ أو أن أجبن. فلا تزال قوتي عتيدة. لا نية عندي أن أمتطي
 عربية، بل سأنقدم كما أنا لمواجهةهما؛ فتخاذلي أمر
 لا تسمح به باللاس أثينة. أما هذان فإن خيولهما
 السريعة لن تعود بهما سالمين من هنا، حتى ولو فر أحدهما
 ٢٦٠ أو الآخر. ولأصارع قلبك بشيء آخر: إذا أرادت (باللاس) ذات
 النصائح الكثيرة أن تمنحني هذا المجد
 بأن أقتل كليهما، فلتبق أنت ممتطيا الخيول السريعة
 هنا واربط العنان إلى إطار العربية،
 ولا تتمس أن تسرع إلى خيول آينياس ولتأخذها من
 الطرواديين ولتقدّها إلى حشود الآخيين لابسى الدروع.
 ٢٦٥ فهذه الخيول من السلالة التي عوض بها زيوس
 ذو الصوت المدوى في الأفاق، طروس عن ابنه جاني ميديس،
 لذا فهي أفضل خيول تحت أشعة الفجر والشمس. وقد سرق
 أنخيسيس ملك الرجال عدداً من هذه السلالة وهجن بها فرسانه

- ٢٧٠ دون علم صاحبها لأوميدون. فولدت له ستة خيول في قصره من هذه السلالة، احتفظ بأربعة لنفسه ورباها في حظيرته، وأعطى الاثنين الباقيين مسبى الذعر لأينياس. فإذا أخذنا هذين الحصانين لأحرزنا مجداً عريضاً".
- ٢٧٥ هكذا جرى الحديث بينهما واقتربا (من ديوميديس) وهما يقودان الخيول السريعة. وكان ابن ليكاون المجيد البادئ بالحديث: "يا ابن تيديوس العظيم، يا ذا القلب الجسور الشغوف بالحرب، حقاً إن سهماً المرير السريع لم يصبك؛ والآن سأجرب رمحي فلعلني أصيبك".
- ٢٨٠ قال ذلك وأعد رمحه طويل الظل وأطلقه فأصاب درع ابن تيديوس؛ فاخترق البرونز حتى حزام الخصر. فصاح به ابن ليكاون المجيد قائلاً: "لقد أصبت بطنك مباشرة وأظن أنك لن تحتمل طويلاً وقد منحتني مجداً عظيماً".
- ٢٨٥ فرد عليه ديوميديس المجيد دون أية بادرة من خوف وقال: "بل أخطأت فلم تصبني. وأرى أن كليكما لن تكفا حتى يسقط أحدهما أو الآخر صريعاً فينخم بدمه آريس المحارب ذا الدرع المحكم".
- ٢٩٠ هكذا كان يصيح وهو يصوب رمحه، ووجهت أنينة الرمح إلى أنف (ابن ليكاون) بجانب عينه، فاخترق أسنانه البيضاء. أصاب الرمح لسانه عند المنبت فبرزت أسنانه أسفل الذقن. فسقط عن العربية ومن فوقه درعه، وارتعدت الخيول السريعة، وتحت جانبا،
- ٢٩٥ وهناك خارت قواه وقاضت روحه. أما أينياس فقد قفز بدرعه وأمسك برمحه الطويل متأهباً، خشية أن يسحب الأخيون جثة الميت منه. ووقف فوق الجثمان كأنه أسد شديد الثقة في قوته، ممسكاً بدرعه
- ٣٠٠ ورمحه بثبات وتوازن، متلهفاً لقتل كل من تسول له نفسه أن يتقدم ليخطف الجثة، وأخذ

- يطلق الصيحات الرهيبة. لكن ابن تيديوس
أمسك بحجر - لا يستطيع رجلان رفعه،
٣٠٥ ومع ذلك فقد سيطر عليه بمفرده - ياله من عمل خارق !
وأصاب به آنياس أعلى الفخذ حيث يلتقي الفخذ
بالمؤخرة - أى عند "الكأس" كما يقول الرجال.
فهشم عظمة الكأس وحطم أيضًا عظام الحوض،
ومزق الحجر جلده. فانكأ المحارب على ركبتيه متكئًا على يديه،
٣١٠ وأطبق ظلام الموت الدامس على عينيه.
كاد آنياس ملك الرجال أن يهلك لولا أن أسرعت أفروديتي ابنة زيوس
التي أنجبته لأنخيسيس وهو يرعى قطعانه. ففتحت
ذراعيها البيضاءوين لابنها الحبيب وغطته
٣١٥ بثنية من رداثها ليكون له درعًا يحميه من
القدائف، خشية أن يصيبه أحد الدانائيين
ذوى الخيول السريعة برمح برونزى فى صدره
فيهلكه. ثم حملت ابنتها الحبيب بعيدًا عن
حومة الوغى. لكن ابن كابانيوس (ستينيلوس) لم ينس
٣٢٠ الأوامر التي كلفه بها ديوميديس البارع
فى صيحة للقتال. فأبعد جواده ذا الحافر
الواحد عن المعركة، وربط العنان إلى إطار
العربة وهرع إلى خيول آنياس وأخذها
٣٢٥ من الطرواديين إلى حشود الأخيين وسلمها لدابيلوس رفيقه
العزيز الذى هكذا فضله بالتكريم على كل رفاق شبابه، إذ كان
مقرَّبًا إلى نفسه؛ وأمره بالإسراع
إلى السفن المجوفة. ثم امتطى المحارب عربته
وأمسك بالعنان اللامع وقاد خيوله سعيًا
٣٣٠ إلى ابن تيديوس. الذى مضت فترة وهو يبحث برمحه

البرونزى الذى لا يرحم عن كيبريس (القرصية)^(*) مدركاً أنها
إلهة ضعيفة وليست من الإلهات المحاربات التى تسود
فى المعارك؛ فهى ليست أثينة ولا إنيو^(**)
محطمة المدن. فلما عثر عليها بعد لأى

٣٣٥

فى خضم الحشود، رماها ابن نيدىوس المجيد
برمحه الحاد وثب إليها، وجرح سطح يدها الرقيقة، فمزق الرمح
رداءها الأمبروسى (الإلهى) الذى صنعه لها إلهات الرشاقة
الثلاث الخاريتيس، واخترق الرمح الجلد عند رسغها
فوق راحة اليد فسال الدم الإلهى من الإلهة، كما يتدفق
فى الآلهة المباركين؛ فهم لا يأكلون الخبز ولا يشربون
النبيذ. لذا فلا تجرى فى عروقهم الدماء العادية ويسمون بالخالدين.

٣٤٠

صرخت صرخة مدوية وتركت ابنها يسقط،
فالتقطه فويبوس أبوللون بين ذراعيه وأنقذه فى

٣٤٥

سحابة داكنة خشية أن يطعنه أحد الدانائين
برمح برونزى فى صدره فيودى بحياته.

بيد أن ديوميديس البارع فى صيحة الحرب صاح فيها قائلاً:
"ابتعدى يا ابنة زيوس عن ساحة الحرب والضرب
ألا تكفيك غواية النساء الضعيفات ؟

٣٥٠

أما إذا اقتربت من ساحة الحرب فتذكرى أنك ستصابين
بالهلع من مجرد سماع اسمها ولو من بعيد".

هكذا قال، فأنصرفت يركبها الفزع والحزن؛ فأخذتها
إيريس ذات القدمين السريعتين كالريح بعيداً
عن الحشود. كانت تتألم وقد غطى الدم جلدها حتى اسودّ لونه.

(*) من بداية "الإلياذة" هذه أول مرة يذكر لقب أفروديتى هذا "القرصية" (كيبريس) مما جعل بعض النقاد
يؤرخون هذا الكتاب بفترة زمنية تالية لتأليف بقية الكتب. وقارن الكتاب الخامس عشر ٦٣٨. (الغرر)
(**) إنيو Enyo هى التى اعتبر الدارسون إلهة الحرب الرومانية القديمة ييللونا Bellona مقابلاً لها واعتبرها
بعض الشعراء المتأخرين أم آريس. (الغرر)

- وسرعان ما صادفت آريس الثائر يقف على يسار
أرض المعركة، وكان رمحه يتكئ على سحابة،
ممسكا في يده بعنان جواده السريعين.
فجثت على ركبتيها وأخذت تتوسل وتطلب
من أخيها خيوله المغطاة جبينها بعصابات ذهبية قاتلة :
- ٣٥٥ "أنقذني يا أخى الحبيب وأعطني خيولك عسى أن أصل بها إلى
الأوليمبوس حيث مساكن الخالدين. إذ يعتصرني الألم من جرح أصابني
به رجل فإن هو ابن تيديوس، الذى قد يشعل حرباً على زيوس
الأب نفسه".
- هكذا قالت فقدم لها آريس جواده وعليهما العصابات الذهبية؛
- ٣٦٥ فامتطت العربة بقلب مضطرب وركبت بجانبها إيريس،
وأمسكت بالعنان فى يديها وضربت الحياض بالسوط حتى تتحرك،
فركض الجوادان حتى بلغا مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق؛
- ٣٧٠ وهناك أوقفت إيريس ذات القدمين السريعتين كالريح
الجوادين وفكت قيودهما عن العربة، ووضعت أمامها
العلف الأميوسى؛ وجثت أفروديتى الجميلة على ركبتي أميا
ديونى^(٩). التى احتضنت ابنتها بين ذراعيها وربتت
عليها بيدها وقالت لها :
- "من من أبناء السماء يا طفلى الحبيبة أساء إليك على
هذا النحو، كما لو أنك ارتكبت منكراً أمام أعين الجميع؟"
- ٣٧٥ فردت عليها أفروديتى صاحبة الابتسامة الجميلة قائلة:
"جرحنى ديوميديس بن تيديوس، لأنى كنت أحمل ابنى الحبيب،
آينياس أحب البشر لدى، بعيداً عن ساحة الوغى. فلم تعد الحرب حرباً
بين الطرواديين والآخين؛ إذ يقاتل الآن الدانييون الخالدين".
- ٣٨٠ فردت عليها ديونى الإلهة الجميلة قائلة :

(٩) لم تذكر ديون Dione عند هومروس إلا في هذا الموضع. (اغرر)

"هذهنى من روعك يا ابنتى، وصبراً على كل ما تعانين؛
فكم عانى كثير منا نحن آلهة الأوليمبوس على أيدي البشر
وهم يجلبون الآلام لبعضهم البعض .

٣٨٥

فهكذا عانى آريس عندما قام أوتوس وإفيالتيس
العظيم ولدا ألويوس بحبسه فى الأصفاة القاسية. وظل
راقداً فى إناء نحاسى لمدة ثلاثة عشر شهراً. وهكذا
أوشك آريس المتعطش للحروب على الهلاك، لولا أن
جاءت إيريبويا الجميلة زوجة الأب

٣٩٠

وأنبأت هرميس؛ فأخذ آريس خلسة وكان فى حزن
شديد لأن الأصفاة كانت أقوى منه. وهكذا أيضاً عانت
هيرا عندما أصابها ابن أمفيتريون العظيم (هرقل) فى صدرها
الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكات؛ ثم أصابها أيضاً ألم
لم يهدأ أبداً. وهكذا عانى هاديس المتوحش من بقية

٣٩٥

سهم مسموم عندما أصابه هذا الرجل هيراكليس (هرقل) نفسه
ابن زيوس لابس الدرع أيجيس فى بيلوس وسط
الموتى وتركه للآلام. ولكنه ذهب إلى مقر زيوس وإلى
الأوليمبوس الشاهق بالحزن فى قلبه والآلام فى جرحه؛ فقد

٤٠٠

اخترق الرمح كتفه القوى فأصاب روحه بالحزن. لكن بايون نثر
عليه عشباً مدارياً فشفاه؛ فهو لم يكن من سلالة الفاتنين.
الطائش مرتكب العنف هو الذى لا يتوقف

٤٠٥

عن أعماله الشريرة، فهو بسهامه يثير حنق
الآلهة صاحبة السيادة على الأوليمبوس. وعليك أطلقت الإلهة
أثينة ذات العيون الزرقاء هذا الرجل الأحمق؛
فعقل ابن تيديوس لا يدرك أن الفانى لا يحتمل قتال
الخالدين لمدة طويلة، ولا أبناؤه يثرثرون عند
قدميه عندما يعود من الحرب والنزال المميت.

- ٤١٠ والآن دعى ابن تيديوس مهما كان بأسلاً
دعیه یقاتل من هو أقوى منك، أخشى أن توقظ أيجيالیا زوجته ابنة
أدراستوس كل أهل بيتها من نومهم
بالعويل الطويل والنحيب الحزين على زوجها أفضل
٤١٥ رجال الآخيين، زوجها ديوميديس مروض الخيول.
هكذا قالت ثم بكلتا يديها أزالته الدم من فوق الذراع،
فشفى الذراع وهذأت حدة الآلام. ولكن أثينة وهيرا
بعد أن شاهدتا ما حدث استشارتا غضب زيوس بن كرونوس
٤٢٠ بساخر الكلام. وكانت أثينة ذات العيون الزرقاء هي البائدة بالقول:
"أبى زيوس، هل ستغضب على بسبب ما أقول ؟
يبدو أن كيريس (القبرصية) هي التي أغوت إحدى نساء الآخيين
على اللحاق بالطرواديين الذين تحبهم الآن
٤٢٥ إلى أقصى حد؛ وبينما هي تغوى إحدى نساء آخايا ذات الرداء الجميل
وتضرب بيديها على ديوستها الذهبى خدشت يدها الرقيقة".
هكذا قالت، لكن أبا البشر والآلهة ابتسم ونادى أفروديتى
الذهبية قائلاً:
"لم تعهد إليك يا طفلى شؤون الحرب؛
وعليك متابعة أمور الزواج المحببة،
٤٣٠ أما كل تلك المهام فهى من شأن آريس السريع وأثينة".
هكذا تحدث كل منهم إلى الآخر، أما ديوميديس البارع فى صيحة
الحرب فقد انقض على آينياس، مع علمه أن أبوللون نفسه
كان يحميه بذراعيه؛ إلا أنه لم يكن يهرب حتى هذا الإله الكبير،
٤٣٥ وكان لا يزال يتلطف على قتل آينياس وسلب أسلحته المجيدة.
وهاجمه مرات ثلاث وكاد أن يفتك به وصده أبوللون بدرعه اللامع
ثلاث مرات. ولكن عندما هاجمه للمرة الرابعة كأنه إله،
توجه إليه أبوللون بصيحة رهبة دوت أصدائها من بعيد:

- ٤٤٠ "تغل يا ابن تيديوس، وامض بعيداً ! لا تنظن أنك ستصير مثل الآلهة. فليس هناك ما يوحد بين سلالة الآلهة الخالدين وسلالة البشر الذين يمشون على الأرض".
- هكذا خاطبه فترجع ابن تيديوس إلى الخلف ليتحاشى أن يصيبه غضب أبوللون من بعيد.
- ٤٤٥ ثم عزل أبوللون آينياس عن الحشد وذهب به إلى برجاموس المقدسة التي بنى فيها معبده. وهناك قامت ليتو وأرتميس ربة القوس بعلاجه في المعبد الفسيح ومنحاه المجد؛ لكن أبوللون صاحب القوس الفضى صنع طيفاً على شاكلة آينياس ودرعاً على شاكلة درعه؛ وحول هذا الطيف شرع الطرواديون والآخيون شبيهو الآلهة يضرب كل منهم على صدر الآخر، وعلى التروس المستديرة والمصنوعة من جلد الثور وعلى الدروع المتطايرة بشدة.
- ثم تحدث فوييوس أبوللون إلى آريس السريع قاتلاً:
- ٤٥٥ "أى آريس، يا آريس أنت يا مهلك البشر، أيها الملطخ بالدماء العاصف بالأسوار، ألن تدخل ساحة المعركة لكي تسحب منها هذا الرجل، ابن تيديوس الذى على وشك أن يحارب زيوس الأب نفسه؟ فهو بداية أصاب كبيريس (القبرصية) بجرح فى راسها فى التحام مباشر، ثم شرع يهاجمنى أنا نفسى وكأنه إله".
- هكذا قال ثم أجلسه بنفسه على قمة برجاموس وتسلل آريس الفتاك إلى وسط صفوف الطرواديين، وأخذ يحثهم متخفياً فى هيئة أكاماس الشجاع قائد الطراقيين. واستدعى أبناء برياموس الذين رباهم زيوس وقال :
- "يا أبناء برياموس الملك ربيب زيوس، إلام تتركون الآخيين يقتلون حشودكم ؟ هل سيظل الأمر كذلك إلى أن يقاتلونا عند بواباتنا المحكمة ؟
- ٤٦٥

- إن رجالاً نكرمه كما نكرم هيكتور إلياسل
 يعانى، إنه آينياس بن أنخيسيس المغوار.
 هلموا ننقذ رفيقنا النبيل من مأزق الصراع.
 ٤٧٠ بهذا القول رفع عاليًا روح كل رجل وقواها
 فذهب ساربيدون يوبخ هيكتور الإلهى بشدة قائلاً:
 "أين ذهبى القوة التى كانت لك
 من قبل يا هيكتور؟ كنت قد قلت من قبل إنك
 بدون الحشود والحلفاء ستدافع عن المدينة وتصد
 ٤٧٥ وحذك بعون من أزواج شقيقاتك وإخوتك؛ ولا أجد أحدًا
 من هؤلاء الآن، فهم يتقاعسون كما تتقاعس الكلاب
 حول الأسد. نحن الذين نقاتل، ونحن مجرد حلفاء لكم.
 وما أنا إلا حليف جاء من بعيد؛ من ليكيا
 عند كسانثوس الفياض، حيث تركت زوجتى الحبيبة
 ٤٨٠ وابنى الرضيع وثروتى الكبيرة التى يطعم فيها كل
 إنسان. ومع ذلك فإنى أستغفر أهل ليكيا، وأنا
 نفسى أتلهف على قتال العدو، مع أنه ليس لى هنا ما أملكه
 مما يطعم الأخيون فى سلبه ونهبه؛ أما أنت فلا تتحرك ولا حتى تحض
 ٤٨٥ حشودك على الصمود والدفاع عن زوجاتهم.
 فاحذر لنفسك ولهم، كيلا تقعوا
 فى خيوط الفخ المحبوكة جيدًا لتسقطوا فرائس وغنائم
 فى أيدي أعدائكم؛ وسيحطمون فوراً مدينتكم العامرة
 ٤٩٠ بمكانها. ينبغى أن يكون هذا شغلكم الشاغل ليل نهار. وينبغى أن
 تتوسلوا إلى قادة حلفائكم الأمجد لكي يثبتوا فى مواقعهم
 ويصمدوا دون خوف عليكم، وبذلك تتجنبون التائب العنيف".
 هكذا قال ساربيدون، وأصاب كلامه قلب هيكتور فى الصميم.
 ٤٩٥ فقفز بدرعه من عربته إلى الأرض، وأخذ يلوح برمحيه المسنونين،

- وهو يجرى فى كل اتجاه وسط الحشود ويحث الرجال على القتال
فأثار صخب المعركة. إذ احتشدوا وأخذوا مواقعهم
ولوا وجوههم صوب الآخرين؛ وصمد الأرجيون أمام
هجمتهم فى حشود كبيرة ولم يفروا. وكما تسوق الريح
قش الغلال إلى أرض الحصاد المقدسة، عندما
٥٠٠ يذروها الرجال فى وجه الريح،
فتفصل ديميتير ذات الشعر الذهبى الحبوب عن
القش وسط هبات الريح القوية، وتعلو
أكوام الغلة البيضاء وتترايد. هكذا الآخيون أنفسهم
ترداد رؤوسهم وأكتافهم بياضاً تحت سحابة الغبار التى تنثرها
٥٠٥ حوافر الخيل بين المحاربين لتصل إلى عنان السماء البرونزية.
لقد اشتبك الجمعان مرة أخرى، وأدار سائقو العربات عجلاتهم.
مشددين قبضة أيديهم على العنان، وغطى آريس السريع
أرض المعركة بضباب كثيف لمساعدة الطرواديين
المندفعين فى كل اتجاه؛ وبذلك حقق وصية فوبوس
أبوللون ذى السيف الذهبى الذى أمره بتقوية روح الطرواديين
عندما رأى باللاس أثينة ترحل، فقد
٥١٠ كانت هى التى تمد يد العون للدانائيين. وقام أبوللون
نفسه بإرسال آينياس من معبده الثرى
ونفث الشجاعة فى صدره باعتباره راعى الحشود. وأخذ
آينياس موقعه وسط رفاقه المحاربين ففرحوا حين
٥١٥ رأوه قادماً لينضم إليهم حياً وسليماً مفعماً بالشجاعة. ولكنهم لم
يسألوه عن شىء فقد شغلتهم متاعب من نوع آخر، أى تلك
التي أثارها صاحب القوس الفضى وآريس مرعب
للغانيين، وإلهة الشقاق إريس التى انطلقت دون أن يعوقها عائق.
٥٢٠ وعلى الجانب الآخر كان الثنائى أباس وأوديسيوس وديوميديس

- يحرصون الدانائين على القتال؛ فهم لم يرهبوا عنف الطرواديين
وهجماتهم، بل صمدوا فكانوا مثل السحب
التي جمعها ابن كرونوس ثابتة بلا حراك فوق قمة الجبل
حيث الجو ساكن، حين تهدأ قوة ريح الشمال بورياس، وتهجع
الريح الفائرة الأخرى التي تهب وتزمر فتتفرق السحب
الظليلة هنا وهناك. وصمد الدانائيون للطرواديين ولم يهربوا.
وجال ابن أترئوس بين الجموع مردداً أوامره قائلاً:
"كونوا رجالاً يا أصدقائي، ولتتسجع قلوبكم، وليستح كل منكم
من الآخر في هذه المعركة الطاحنة. فأغلب الرجال ذوى الحياء
ينجون ولا يهلكون، أما من دأبوا على الفرار فلا يرجى منهم مجد
ولا دفاع".
- قال ذلك ثم صوب رمحه فأصاب محارباً في المقدمة، أحد
رفاق آينياس الهمام، إنه ديكوؤن بن برجاسوس الذي يبجله
الطرواديين كما يبجلون أبناء برياموس لسرعته في
القتال في المقدمة. أصابه أجاممنون الملك برمحه في درعه الذي لم
يصد الرمح، بل نفذ من البرونز إلى أسفل البطن مخترقاً الحزام؛
فهوى وهو يصرخ صرخة مكتومة وسقط درعه فوقه.
- ثم فثك آينياس باثنين من أبطال الدانائين هما كريثون وأورسيلوخوس
ولدا ديوكليس الذي كان يقيم في فيري^(*) المنبعة، كان ثرياً منحدرًا
من نسل إله النهر ألفيوس ذي المجرى العريض عبر أرض اليبليين،
أنجب ألفيوس أورسيلوخوس ليكون ملكاً على رجال
كثيرين. وأنجب أورسيلوخوس ديوكليس
سامى الروح، وولد لديوكليس توأم من الإبناء
هما كريثون وأورسيلوخوس (أورتيلوخوس)^(**)، وهما بارعان

(*) تقع فيري Phere في ميسينا Messene.

(**) يرد هذا الاسم أحياناً على هيئة أورتيلوخوس Ortilochos. كما ورد عند زينو دوتوس. (الغرر)

- في كل فنون القتال. والآن عندما بلغ الاثنان مبلغ الرجال، جاء
مع الأرجبيين على السفن السوداء إلى إليوس الشهيرة بخيولها سعيًا وراء
الفوز بتكريم ولدى أتريوس أجاممنون ومينيلأوس؛ إلا أن الموت
المشئوم طواهما على تلك الأرض. كانا مثل أسدين يريضان على قمة ٥٥٥
الجبيل ربتهما أمهما في غابة كثيفة؛
كانا يفترسان الماشية والأغنام وينشران
الدمار في المزارع، حتى قتلًا يسيوف برونزية بتارة،
هكذا فلك أينياس بالتوأم فسقطا مثل شجرتي الصنوبر الشاهقتين. ٥٦٠
حزن مينيلأوس المحب للقتال عليهما وقد سقطا على أرض المعركة،
فاخترق مقاتلي الصفوف الأولى شاهراً سيفه
البرونزي البتار وملوحاً برمحه؛ وقوى آريس شديد البأس
روح هذا البطل حتى لا يقتل على أيدي أينياس. لكن أنتيلوخوس ٥٦٥
بن نيسطور المقدام رآه فشق طريقه بين
مقاتلي المقدمة؛ فقد كان يخاف على راعي الحشود
خشية أن يناله مكروه، فيحبط كل جهودهم.
كان الاثنان يرفعان أيديهما بالرماح
الواحد ضد الآخر، وكانا على وشك الالتحام، فاقترب ٥٧٠
أنتيلوخوس من راعي الحشود. ولم يصمد أينياس طويلاً،
مع أنه كان محارباً هماماً، عندما رأى الاثنين يقفان بثبات
جنباً إلى جنب؛ بل سحب الجثتين (كريتون وأورسيلوخوس)
نحر حشود الآخيين ووضعاهما في أيدي
رفاقهما ثم عادا ليقاتلا وسط الصفوف الأولى. ٥٧٥
ثم قتلًا بيلامينيس ند آريس وقائد لابسى الدروع
البافلاجونيين الأثاوس. كان يقف راسخاً فطعنه مينيلأوس
بن أتريوس الشهير برمحه، حيث أصاب الرمح عظمة الترقوة.

- ٥٨٠ وصبوب أنتيلوخوس رمحه على حامل
دروعه وسائق عربته ميذون ابن أتيمنوس
القوي، عندما كان يقود الخيول ذات الحافر الواحد.
فأصابه بحجر في كوعه؛ فسقط العنان الأبيض العاجي
٥٨٥ من يده على الأرض في التراب . انقض أنتيلوخوس
عليه وطعنه بسيفه في صدغه فسقط من عربته المحكمة
على رأسه وكنتفه وهو يلفظ أنفاسه في التراب.
وظل كذلك لمدة طويلة راقداً فوق حفرة رملية
إلى أن ركلته الخيول وألقت به إلى
التراب؛ ضربها أنتيلوخوس بالسوط وقادها إلى حشود الآخيين.
٥٩٠ وعندما لمح هيكتور المحاربين من وسط الصفوف أسرع
نحوهم وهو يصيح صيحات مدوية وتبعته فرق الطرواديين
القوية، يقودها أريس وإنيو^(٦) الرهيب حيث جاءت
ومعها صخب الحرب (كيدويموس)، بينما أمسك أريس في يده
٥٩٥ برمح ضخم وأخذ يحوم أمام هيكتور ووراءه. وعندما لمح
ديوميدس الباراع في صيحة الحرب أصابه الهلع؛ كان مثل رجل
يعبر وادياً فسيحاً توقف في فزع عند النهر جارف
التدفق نحو البحر، حيث رآه يرغى بالزبد
فبدأ يتراجع. حتى ابن تيديوس تراجع الآن وقال للحشود :
٦٠٠ "انظروا يارفاقي كيف كنا أقرب إلى التغلب على هيكتور الإلهي
وكنا نظنه رجلاً محارباً بالرمح لا خوف منه، ولكن إلهاً ما يقف بجانبه
ويصد عنه الهلاك؛ إنه أريس على هيئة بشري فان. فترجعوا إلى
٦٠٥ الوراء ووجوهكم نحو الطرواديين دون أن نندفع في الحرب ضد الآلهة"
بعد أن قال ذلك اقترب الطرواديين منهم بشدة، فقتل هيكتور
اثنتين من المقاتلين شديدي المراس في النزال، وهما

(٦) قارن أعلاه بيت ٣٣٣. (المحرر)

- ميتيسثيس وأنخيايوس. وكانا يمتطيان عربة واحدة.
- ٦١٠ فلما قُتلا حزن عليهما أياص بن تيلامون فاقترَبَ منهما وأصاب
برمحه المتألق أمفيوس بن سيلاجوس
من سكان بایسوس. إنه رجل ذو مال وفير
وله من حقول الغلال الكثير؛ لكن القدر
٦١٥ ساقه حليفاً لبرياموس وابنائِه. أصابه أياص التيلاموني
في خصره واستقر الرمح طويل الظل في أسفل بطنه،
فسقط وهو يصرخ صرخة مكتومة. وأسرع إليه أياص
المجيد ليجرده من أسلحته، ولكن الطرواديين
٦٢٠ قذفوه برماحهم المسنونة ذات البريق وصد درعه الكثير منها.
ولكنه ثبت قدمه على الجثمان وسحب الرمح البرونزي،
ولكنه لم يستطع نزع بقية سلاحه من
الكتفين، حيث تلقى الكثير من القذائف. كما أنه
كان يخشى المدافعين الطرواديين، فقد حاصره حشد من
أشواسهم برماحهم المشهورة، ومع أنه طويل القامة قوى البنیان،
٦٢٥ إلا أنهم دفعوه للخلف؛ وتراجع إلى الوراء وتقهقر.
كان القتال على أشده ومات القدر العنيد تليبوليموس
بن هيراكليس (هرقل)، وهو رجل بأسل
طويل القامة، لملاقاة ساربيدون شبيه الآلهة.
٦٣٠ وعندما اقتربا وتقدم كل منهما نحو الآخر، ابن زيوس جامع السحب
وحفيده، كان تليبوليموس البادئ بالحديث فقال :
"أى ساربيدون يا مسدى المشورة بين أهل ليكيا،
ما الذى أتى بك إلى هنا إلى أرض المعركة
وأنت لا تتقن فن الحرب ؟ كذابون من يقولون إنك من نسل زيوس
٦٣٥ حامل الدرع أيجيس. إذ أراك اليوم أقل شأنًا
من أولئك المحاربين الذين أنجبهم زيوس فى

- الزمن القديم. يقولون إن هيراكليس (هرقل) المجيد أبى
 كان نوعاً آخر من الرجال، قوياً في القتال، له قلب
 ٦٤٠ أسد. وجاء إلى هنا ذات مرة طلباً لخيول
 لاؤميدون، ولم يكن معه سوى ست سفن
 وعند أقل من الرجال، ولكنه دمر مدينة إليوس
 وخرّب طرقاتها. أما أنت فجبان القلب
 وقليل حشذك. مجيئك من ليكيا لتدافع
 ٦٤٥ عن أهل طروادة بلا طائل، فأنت لست قوياً، بل
 سأقهرك لتغير بوابات هاديس".
 فأجابه ساربيدون قائد الليكيين قائلاً:
 "أى تليبوليموس، حقا إن أباك ذلك البطل الأشهر دمر إليوس
 المقدسة بسبب رعونة سيدها لاؤميدون الذى
 ٦٥٠ أغلظ القول لمن قدم له جميلاً معروفاً
 ولم يعطه الخيول التى كان قد جاء من أجلها من بعيد.
 أما فيما يتعلق بك أنت، فأظن أن مونك ذلك المصير الأسود سيكون
 على يدى، وهزيمتك برمحي ستمنحني المجد
 ٦٥٥ وسترحل روحك إلى هاديس ذى الخيول الأصيلية".
 هكذا قال ساربيدون، وشهر تليبوليموس رمحه عاليًا، وانطلقت
 الرماح الطويلة من أيدي كل منهما صوب الآخر فى لحظة واحدة.
 فأصابه ساربيدون فى رقبته واخترقه الرمح
 وغطى ظلام الليل الحالك نور عينيه وأحاط به.
 أما تليبوليموس فضرب ساربيدون فى فخذه الأيسر
 ٦٦٠ برمحه الطويل، ونفذ الرمح إلى العظم؛ لكن أباه
 كان لا يزال يصد عنه الموت. ثم قام رفاقه الطبيون
 بحمل ساربيدون شبيه الآلهة بعيداً عن ساحة الوغى،
 وكان الرمح الطويل يتقله، لكن لم يلحظه أحد

- من الرجال فى عجلتهم، ولم يفكر أحد فى سحب الرمح من فخذ
 ٦٦٥ لكى يقف على قدميه؛ فقد استغرقتهم العناية به.
 وعلى الجانب الآخر، حمل الأخيون لابسو الدروع المتينة
 تليوليموس بعيداً عن أرض المعركة، ولما علم أوديسيوس الإلهى
 ذو الروح الصبور بالأمر ثارت روحه بالغضب
 ٦٧٠ فى داخله، وقلب فى قلبه وروحه الفكرة ما إذا
 كان عليه أن يلاحق ابن زيوس مرسل الرعد المدوى،
 أم عليه أن يحصد أرواح المزيد من الليكيين،
 فلم يكن من العسير على أوديسيوس المغوار أن يقتل ابن زيوس
 ٦٧٥ الصنديد بسيفه البرونزى البتار؛ فحولت أثينا انتباهه
 إلى حشود الليكيين، ففتك بكل من كويرانوس والاستور وخروميوس
 والكاندروس وهاليوس ونوثيمون ويريتانيس؛
 وكان بوسع أوديسيوس الإلهى أن يقتل
 ٦٨٠ المزيد من الليكيين، لكن هيكتور العظيم ذا الخوذة اللامعة
 رأى ذلك فشق طريقه نحو مقاتلى
 الصفوف الأولى المدججين بالسيوف البراقة
 فألقى الرعب فى قلوب الدانائيين، وفرح ساربيدون
 بن زيوس بقدومه وقال له كلمات تثير الشفقة :
 ٦٨٥ يا ابن برياموس، لا تتركنى راقداً هنا فريسة للدانائيين، بل
 مد لى يد العون واحملنى بعيداً؛ وبعد ذلك إن أملت الضرورة دع روحى
 تغارقنى فى مدينتك، فلا أظن أننى سأعود
 إلى بلادى وإلى أرضى لأدخل السرور على
 زوجتى الحبيبة وطفلى الرضيع".
 ٦٩٠ هكذا قال، لكن هيكتور ذا الخوذة اللامعة لم يرد عليه، بل انطلق
 فى لهفة وبكل سرعة ليطلعن الأرجيين ويحصد
 أرواح الكثيرين منهم. ثم قام الرفاق الطيبون بمساعدة

- ساربيدون شبيه الآلهة على الجلوس تحت شجرة
بلوط من أشجار زيوس حامل الدرع أيجيس؛
٦٩٥ وسحب بيلاجون القوى والرفيق الحبيب الرمح من فخذة، فلم
تتحمل روحه وحط الضباب على نور عينيه.
ولكنه عاود التنفس مرة أخرى،
حيث هبت نسمة من ريح الشمال بورياس عليه وبعثت فيه الحياة
من جديد بعد أن كان قد لفظ روحه على نحو حزين.
٧٠٠ لم يول الأرجيون الأديار نحو السفن السوداء، أمام هجمة آريس
وهيكتور المدججين بالبرونز ولم يصمدوا في المعركة،
بل تراجعوا إلى الوراء عندما أدركوا أن آريس كان مع الطرواديين.
من كان أول من قتل ومن كان الأخير على يد هيكتور
٧٠٥ بن برياموس وآريس لابن البرونز؟ تيوتراس شبيه الآلهة،
وبعده أوربستيس قائد الخيول، وتريخوس رماح آيتوليا، وأويناموس
وهيلينوس بن لوينوبس، وأوريسيبيوس الذي كان يسكن في هولى على
بحيرة كيفيسيس^(٢) يرعى ثروته. وكان يسكن معه
البويوتيون الآخرون ذوو الأرض الغنية.
٧١٠ وحين علمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض بهم وبما
أحدثوا من خراب بين الأرجيين في القتال الطاحن،
خاطبت أثينة بكلمات مجنحة :
"يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أى أتريتوني ! حقا كان
٧١٥ سدى أن أعطينا كلمتنا لمينيلائوس ألا يعود إلى بلاده حتى يدمر
إليوس منيعة الأسوار، إذا سمحنا هكذا لآريس اللعين
أن يعربد في غضبه المجنون. لنفكر نحن الاثنين في عمل شجاع".
هكذا قالت ولم تتوان الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
٧٢٠ في تلبية رغبتها. ثم راحت هيرا، الملكة ابنة كرونوس ذى الجلال،

(٢) كيفيسيس Kephisis كان الاسم القديم لبحيرة كوبايس Kopais في بويوتيا. (الغور)

- تطوف هنا وهناك لتجهز الخيول ذات العصابات الذهبية،
 ووضعت هيبى بهمة العجلات البرونزية المقوسة
 ذات الثمانية برامق على محور العربة الحديدى.
 وكانت الحلقة المستديرة حول العجلة ذهبية لا تصدأ ولا تبلى
 يغطيها إطار برونزى، هكذا كان منظرها أعجوبة، ٧٢٥
 أما صرر العجلات فضضية تلف على هذا الجانب وذاك؛
 وكان هيكل العربة مطليًا بالذهب وعروق الفضة،
 وتحيط به حافظان مزركتشان. ومن الهيكل خرج عمود فضى،
 ربطت هيبى فى طرفه النير الذهبى الجميل، ولقت حوله ٧٣٠
 الأحزمة الذهبية البهيجة؛ وشدت هيرا
 الخيول السريعة إلى نير العربة، وكانت توافقه إلى
 القتال وصيحات الحرب .
 أما أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس فقد تركت طيات رداؤها
 الفضفاض الناعم المطرز تتدلى على عتبات أبيها،
 ذلك الرداء الذى حاكته ببديها. وارتدت عباءة زيوس جامع السحب، ٧٣٥
 وحشدت الحشود ذات الدروع متأهبة لخوض معركة فتاكة
 وضعت على كتفها الدرع (أيجيس) ذا الذؤابات،
 إنه درع رهيب رسم عليه إله اللرب (قوبوس)
 وربة التفاق إريس، وإلهة القوة ألكى، وربة الهجوم بوكى ٧٤٠
 التى تجمد الدم فى العروق. وعليه رسم رأس
 الجورجونة(*) الرهيب معجزة زيوس حامل الدرع أيجيس.
 وضعت على رأسها الخوذة ذات القرنين، وبها
 أربع عقد من الذهب وعليها رجال مدججون بالسلاح

(*) الجورجونة (Gorgo(n):

ومعناها الحرق "الشجعة". وتحدث هيسودوس عن ثلاث جورجونات هن: يوريال (Euryale) وسينو (Stheno) وميدوسا (Medusa) والآخرى هى أشهرهن، وهى المقوسة على درع أثينة ، وكانت تحول من ينظر إليها إلى حجر.

- من مئة مدينة. ثم امتطت العربية النارية
 ٧٤٥ وأمسكت برمحتها الطويل القوى الضخم، الذى
 به تشتت صفوف المحاربين ممن
 تصب جام غضبها عليهم، فهي ابنة الإله الجبار.
 لمست هيرا الخيول بالسوط وصرخت فى حارسات
 بوابت السماء هوراي القائمات على حراسة مدخل
 ٧٥٠ اسماء الأوليمبوس، حيث يفتح السحب الكثيفة
 أو يغلقنها. وقادت هيرا وأثينة خيولهما المدفوعة بالمنخاس
 عبر البوابات التى تتحرك ذاتياً وتصدر صريراً. وجدت الإلهتان ابن
 كرونوس جالسا فى خلوة بعيداً عن سائر الآلهة على قمة جبل
 ٧٥٥ الأوليمبوس كثير القمم. فأوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض
 الخيول وسألت زيوس الأعلى ابن كرونوس قائلة :
 "أى زيوس الأب، ألا تغضب على آريس بسبب أفعاله
 العنيفة المشينة ؟ لقد حطم الكثيرين من الآخيين دون هوادة ودون توقف
 فبسبب الحزن الشديد لى. وفى نفس الوقت فإن كيبريس (القبرصية)
 ٧٦٠ وأبوللون ذا القوس القضى يجلسان فى هدوء ويمتعتان
 وقد تركا هذا المجنون يعيث قتلاً ونون مراعاة لأية أصول
 وقواعد. أى زيوس الأب، ألن تغضب منى إن طعنت آريس
 ضعة مؤلمة وأبعدته عن أرض المعركة ؟ "
 فرد زيوس جامع السحب قائلاً :
 ٧٦٥ "لا، بل ثورى عليه يا أثينة يا جالبة الأسلاب
 فأنت وحدك التى تنزلين به العقاب الموجه".
 هكذا قال ولم تتوان هيرا الإلهة ذات الذراع
 الأبيض فى الاتصياح لأمره. ولمست خيولها بالسوط؛ فطارت فيما بين
 الأرض والسماء ذات النجوم. وخيول الآلهة ذات الصهيل
 ٧٧٠ المدوى تتطلق إلى أبعد مما تراه عين إنسان يجلس على صخرة

- ويحملق في بحر لجى مظلم، هكذا طارت خيول
السماء رافعة رعوسها وراكضة بخطى واسعة.
فلما وصلت إلى أرض طروادة وحيث يلتقى النهران المتدفقان سيمونيس
وسكامندروس، أوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض خيولها
وفكتها من العربية بينما صنع سيمونيس الأميروسيا وألقاه
غذاء طيباً عند أقدامها، وألقت هيرا عليها ضباباً كثيفاً.
ثم تقدمت الإلهتان مثل حمامتين رعاشتين في لهفة لتقديم
العون للمحاربين الأرجيين. وعندما وصلتا
إلى حيث يلتف أقوى الرجال وأشجعهم حزل
ديوميديس العتيد مروض الخيول، كأنهم
أسود ضارية أو خنازير برية لا تضعف قوتها، وقفت هيرا الإلهة
ذات الذراع الأبيض وصاحت كأنها ستنتور
المغوار ذو الصوت النحاسي الذي يعلو صوته
على صوت خمسين رجلاً وقالت :
"العار عليكم أيها الأرجيون، فأنتم جديرون بالتوبيخ، إذ تبدون
الجمال في الظاهر فقط ! طالما كان أخيلئوس الإلهي يخوض الحرب
بشغف لم يتقدم الطرواديون إلى خارج البوابة الداردانية،
فهم يخشون رمحه الجبار؛ وأما الآن فهم يقاتلون بعيداً
عن المدينة، في السفن المجوفة نفسها".
هكذا قالت فقوت الروح داخل كل رجل.
وظهرت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
إلى جانب ابن تيديوس. حيث كان ذلك الملك بجانب
خيوله وعربته يضمم الجرح الذي أصابه به بانداروس
بسيهمه. وكان العرق يضايقه تحت حزام
درعه المستدير؛ تضايق من ذلك وشعر بالإرهاق في ذراعه،
لذا فقد كان يرفع الحزام ليمسح الدم الداكن. فشددت

الإلهة عنان جواديه وخاطبته قائلة:

- ٨٠٠ "حقاً لقد أنجب تيديوس ابناً قصير القامة مثله. كان تيديوس قصير القامة، لكنه كان محارباً عنيداً وحتى حين لم أمره أن يقاتل أو يتفوق على غيره، عندما أتى وحده دون أن يصحبه أى أخى إلى طيبة رسولا وسط حشود الكادميين - حيث أقمت له وليمة فى قاعاتهم ليتناول الطعام فى أمان - كان بروحه الوثابة يتحدى شباب الكادميين ويغلبهم فى كل شىء بسهولة؛ لذا كنت فى عونه دائماً. أما أنت فأبنى أفف بجانبك وأحميك وبكل قلبى أمرك بقتال الطرواديين، فإما أن تكون أوصالك قد أنهكت من الهجمات الكثيرة وإما أن يكون الرعب قد تملكك فأنت رعديد.
- ٨١٠ أنت لست من نسل تيديوس بن أوينيوس الصنديد".
رد ديوميديس قائلاً :
- "أنا أعرفك يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس؛ لذا فإننى سأكشف لك عن مكنون قلبى ولن أخفى عنك شيئاً. فلا الخوف يملككنى ولا التفاعس يقعدنى، ولازلت على المهمة التى عهدت بها إلى محافظاً. فما كنت لتسمحنى لى أن أقاتل وجهها لوجه
- ٨٢٠ الآلهة المباركين الآخرين. ولكن أفروديتى ابنة زيوس دخلت المعركة فكان على أن أصيبها بسيفى المسنون لذا فقد تراجعت الآن وأمرت بقتة الأرجيين بالتجمع هنا؛ حيث علمت أن آريس يسيطر على ساحة الوغى."
- ٨٢٥ ردت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء قائلة :
- "أى ديوميديس بن تيديوس، يا حبيب قلبى، لا تخش آريس ولا أحداً آخر من الخالدين، فما جنت إلا فى عونك

- انهض وقد خيولك ذات الحافر الواحد لتواجه آريس، التحم معه وأصبيه.
 ٨٣٠ لا تخف من آريس المجنون في غضبه مثير الرعب هنا،
 إنه حقاً مجنون وغير مأمون. إذ سبق أن تحدثت إليّ أنا وهيرا
 ووعد بأن يحارب الطرواديين وأن يؤيد الأرجيين،
 ٨٣٥ إلا أنه يتحالف مع الطرواديين مخلفاً وعده".
 هكذا قالت وجذبت بيديها سثينيلوس وأطاحت به من فوق العربة
 إلى الأرض، فزحف هارباً على وجه السرعة؛ وامتنطت العربة
 بجانب ديوميديس الإلهي؛ إلهة تتلطف إلى خوض القتال. وأحدث
 محور العربة المصنوع من خشب البلوط صريراً عالياً تحت وطأة
 ٨٤٠ هذا الثقل الإلهي، فقد كان يحمل إلهة رهيبة ومحارباً هو أفضل الرجال.
 وقبضت باللاس أثينة على السوط والعنان وقادت على وجه السرعة
 الخيول ذات الحافر الواحد صوب آريس.
 وكان آريس قد قتل بيريفاس الضخم ابن أوخيسيوس
 وقد كان أنبل أهل آيتوليا، كان آريس الفتاك ينزع عنه الأسلاب.
 ٨٤٥ وضعت أثينة على رأسها غطاء هاديس حتى لا يراها آريس شديد
 اليأس. وعندما أدرك آريس مهلك البشر القاتنين وجود
 ديوميديس الإلهي ترك بيريفاس الضخم يرقد حيث كان،
 قد قتله، وانتزع منه الروح، وتوجه إلى ديوميديس
 مروض الخيول. وعندما اقترب كل منهما من الآخر،
 ٨٥٠ كان آريس البادئ بمهاجمة نير الخيول وعنانها برمحه
 البرونزي ليقضى على حياة الآخر. بيد
 أن الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء أمسكت
 الرمح المقدوف بيدها، وألقت به من فوق العربة ليذهب بعيداً وسدى.
 ٨٥٥ ثم هجم ديوميديس البارح في صيحة الحرب على آريس برمحه
 البرونزي، وأمدته باللاس أثينة بالمزيد من السرعة في انطلاقه
 إلى أسفل بطنه المطوق بالأحزمة.

- فأصابه الريح وهتك جلده الجميل وغاص .
صرخ آريس الرهيب صرخة مدوية تعادل صرخة تسعة
آلاف أو عشرة آلاف محارب ملتحمين
في معركة إله الحرب الشرسة . حينئذ ارتعد
الآخيون والطرواديون على حد سواء
وتملكهم الخوف . هكذا صرخ آريس ، الذي لا يشبع أبدا
من خوض الحرب ، صراخاً مدوياً .
ومثلما يحدث عندما تبدو بقعة ظلام أسود بين السحب حيث
هبت ريح عاتية بعد شدة الحر ،
هكذا ظهر لديوميديس بن تيديوس ، أن آريس الرهيب
بين السحب نحو السماء العريضة . وسرعان ما بلغ
مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق ،
وجلس بجوار زيوس بن كرونوس حزينا وعرض عليه
الدم الإلهي النازف من جرحه ، وخاطبه باكيًا بكلمات مجنحة فقال :
"أى زيوس أبى ، ألا يثير حنقك أن ترى هذه الأفعال الشنيعة ؟
فنحن الآلهة نقاسى الويلات من تدبير بعضنا
ضد بعضنا الآخر فى حين نمضى للبشر كل معروف
نحن جميع الآلهة فى حرب عليك ، لأنك أنجبت هذه البنت المجنونة
الدمدمرة التى تفكر دومًا فى أفعال مخلة بالقانون .
نحن كل الآلهة الآخرين فوق الأوليمبوس نطيعك ونخضع لك ،
أما هى فلا تعترض عليها لا بالقول ولا بالفعل ؛
بل تشجعها لمجرد أن هذه الفتاة المدمرة هى ابنتك .
والآن ها هى قد أطلقت ديوميديس بن تيديوس الجسور
لكى يصب جام غضبه على الآلهة الخالدين . فأصاب
كبيريس (القبرصية) أولاً بطعنة فى يدها عند الرسغ فى
التحام مباشر . ثم هاجمنى أنا نفسى وكأنه إله

- ٨٨٥ ولولا أن قدمي السريعة حملتني بعيداً عنه
لطالت معاناتي وسط أكداس الموتى، أو
لُعشت للأبد جريحاً بسبب طعنات رماحه".
فألقي زيوس جامع السحب بنظرة غاضبة عليه قائلاً :
'لا تجلس إلى جوارى وتبكي أيها المارق.
٨٩٠ فأنا أمقتك أكثر من أي واحد من آلهة الأوليمبوس،
أنت تحب القتال والحروب والنزال أكثر من أي شيء آخر،
فلك روح أمك هيرا، المتسلطة والتي لا تحتل، فلا
أستطيع أن أكبح جماحها بكلامي إلا
٨٩٥ بالكاد. ويبدو لي أنك تعاني ما تعاني بسبب ما تشير هي به عليك
ومع ذلك فلن اسمح بعد الآن أن تتألم
فأنت ولدي، وحملت بك أمك من أجلى أنا،
ولو كنت ابن أي إله آخر وارثكيت ما ارتكبت من
أفعال مأكرة لطردتك إلى مكان آخر أدنى من مقر الآلهة"
٩٠٠ هكذا قال وأمر بايون بعلاج إصابته؛ فنثر بايون
عليها أعشاباً تقتل الألم وشفاه، فهو بحق من الخالدين . فشفي
أريس التأثير بسرعة كما تجعل عصارة التين اللبن
يزداد كثافة، وسرعان ما يتخثر
٩٠٥ بتقليبه. وقامت هيبى بغسل جسده وكسته بثياب
جميلة وأجلسته بجانب زيوس بن كرونوس
فرحا بمجده. ثم أسرع هيرا الأرجية
وأثينة الأكومينية إلى قصر زيوس العظيم
٩٠٩ بعد أن أوقتا أريس مهلك البشر الفانين عن قتل البشر

الكتاب السادس



ترجمة أحمد عثمان

- هكذا ترك الآلهة ساحة القتال الفتاك بين الطرواديين والآخيين،
وكثيراً ما مالت كفة المعركة على الوادى لهذا الجانب أو ذاك.
حيث صوب كل من الطرفين رماحه برونزية الأسنة إلى
الطرف الآخر، فيما بين النهرين سيمونيس وكسانثوس.
٥ وكان أياس بن تيلامون حصن الآخيين أول من اخترق
فرقة من الطرواديين، وأتى بنور الخلاص لرفاقه. فقد
أصاب أفضل رجل بين الطراقيين، أكاماس بن يوسوروس،
وهو رجل باسل طويل القامة. أصابه في قرن خوذته
١٠ ذات الذؤابة الخصلة من شعر الحصان، فاخترق الرمح جبينه
بل نفذ السن البرونزي مخترقاً العظام، وهبط الظلام على
نور عينيه. وقتل ديوميديس البارح في صيحة الحرب
أكسيلوس بن تيوتراس الساكن في أريسي المحكمة البناء،
وهو رجل ثرى يحبه كل الناس؛ فكان يسكن بيتاً على الطريق
١٥ وأظهر كرم الضيافة للجميع.
- لكن من هؤلاء لم يظهر أحد أمامه ليصد عنه العدو ويحميه
من الموت المفجع. فسلب ديوميديس حياة اثنين، حياة الرجل نفسه
وحياة تابعه كاليبسيوس قائد العربة، قطوت الأرض كليهما.
٢٠ ثم قتل يوربالوس دريسوس وأوفيلتيوس
وظل يلاحق آيسيبوس وبيداسوس اللذين حملت بهما
أبارباري عروس الماء من بوكوليون، الذى لا
قرين له. إذ إن بوكوليون هو الابن البكر للملك الجليل لأوميدون،
حيث حملت به أمه دون زواج. فبينما كان بوكوليون يرعى
٢٥ قطعانه فوق التلال طارح عروس الماء عذب الغرام، فحملت
وولدت التوأم (آيسيبوس وبيداسوس). وقام الآن ابن
ميكبستيس بإخضاع مفاصلهما القوية والمجيدة للموت

ونزع الدرع عن كتفیهما.

٣٠. وقتل بوليبيوتيس المحارب العتيد أستياؤوس .
وفى تلك الأثناء قتل أوديسيوس برمحہ
البرونزى بيدوتيس من برکوتى^(*). وقتل نيوكروس
أريتائون الإلهى. وقتل أنتيلوخوس بن نيسطور برمحہ اللامع
أبليروس. وأما ملك الرجال أجاممنون فقتل إلاتوس الساكن
فى بيداسوس المنحدرة على ضفاف سانتىؤيس جارف المجرى
٣٥. وقتل البطل ليثيتوس فيلاكوس وهو يولى الأدبار أمامه،
وقتل يوريبيلوس ميلانثيوس.

- أما أدرستوس فقد أسره حياً مينيلائوس البارع فى صيحة الحرب.
ذلك أن خيوله التى كانت تطير بوحشية فوق السهل
٤٠. تعثرت فى فروع شجرة الطرافاء، وتحطمت العربىة
المقوسمة عند طرف العمود، ثم مضت الخيول مسرعة فى
اتجاه المدينة كما كان يفعل الآخرون، وقد أصابهم جميعاً الهلع.
لكن صاحبها قذف به من العربىة، فانكفاً على وجهه فوق التراب
بجوار العجلة. فاقترب منه مينيلائوس بن أترىوس
٤٥. ووقف بجانبه شاهراً رمحہ طويل الظل. ثم احتضن
أدرستوس ركبتيه وتوسل إليه قائلاً :
"لتأسرنى حيا يا ابن أترىوس، ولتأخذ فدية ضخمة؛
ففى قصر أبى الثرى خزائن المال الوفير:
برونز وذهب وحديد مطروق فى عدة أشكال.
سيدفع لك أبى منها فدية لا تعد بمجرد أن يسمع بأنى
٥٠. لازالت على قيد الحياة فوق سفن الآخيين".

هكذا كانت توسلاته محاولاً أن يستدر العطف من قلب الآخر،

(*) مدينة على بحر مرمرية أى هيليسينطوس. (اغرور)

وأوشك بالفعل مينيلائوس أن يسلمه لتابعه ليسوقه إلى سفن الآخيين السريعة، لولا أن جاء أجاممنون يجرى وصرخ قائلاً :

- ٥٥ "أى مينيلائوس ذا القلب الرهيف، لم تعباً هكذا بأمر الرجال ؟
هل كان الطرواديون يتصرفون بنبل هكذا فى بيتك ؟
لا تدع أحداً منهم يفلت من الهلاك التام، ولا حتى الجنين
فى بطن أمه، لا تدعه يفلت من أيدينا الفتاكة. بل دعهم جميعاً
٦٠ أبناء إليوس يهلكون معاً، ويختفون للأبد دون عزاء أو رثاء."

- هكذا قال البطل فأقنع أخاه بالتخلّى عن عزمه،
فقد نصحه بالجزاء الوفاق، فدفع المحارب أدراسطوس بيده.
وعندئذ طعنه أجاممنون السيد فى جنبه فسقط أدراسطوس على ظهره،
٦٥ وداس ابن أتريوس يقدمه على صدره وسحب الرمح الرمادى.

- ثم أطلق نيسطور صيحة مدوية ونادى على الأرجبيين قائلاً :
"أحبائى المحاربين الدانائيين سدنة آريس، لا تدعوا أحداًكم
يتخلف إلى الوراء طمعاً فى الغنائم، لكى يعود إلى السفن
٧٠ حاملاً أنفُسها. لا، دعونا الآن نقتل الرجال؛ وبعد ذلك
ستجتمعون الأسلاب من الجثث الملقاة فوق الوادى."

- هكذا كان حديثه، فبث القوة فى روح كل رجل.
وكاد الطرواديون يدحرون مرة أخرى على يد الآخيين،
أحباء آريس، إلى إليوس، كادوا يهزمون بسبب ضعف إقدامهم،
٧٥ لولا أن جاء هيلينوس بن برياموس أفضل من يتكهّن
بالمستقبل إلى آينياس وهيكتور وقائلاً:

- "أى آينياس وهيكتور إن عبء هذه الحرب يقع على عاتقكما
أكثر من الطرواديين الآخرين والليكيين، فأنتما الأفضل
فى الحرب وفى الرأى. فتمسكاً بموقعكما وطوفا هنا وهناك
٨٠ بين الحشود، ثبّتا الصفوف أمام برابات المدينة، لكى لا يرتدى

- رجالنا في أحضان زوجاتهم ويصبحوا أضحوكة أمام أعدائهم.
 أما إذا غرستم الشجاعة في كل فرقنا، سنصمد
 ونقاتل الدانائيين، وإن أنهكنا القتال. فالضرورة
 تملئ علينا ذلك. أما أنت يا هيكتور فاذهب إلى المدينة
 ٨٥ وتحدث إلى أمك وأمي (هيكابي) واطلب منها أن تجمع
 الزوجات العجائز في معبد أثينة ذات العيون الزرقاء في
 داخل القلعة، وعندما تفتح أبواب المعبد المقدس، ستجد
 رداءً يبدو أنفـس وأجمل شيء في القاعة، فلتضعه على ركبة
 ٩٠ أثينة جميلة الشعر، وتتنذر نذراً بأن تذبح في معبدها اثني عشر
 عجلاً عمرها سنة واحدة، ولم يلمسها مهماز بعد، إذا أسفقت الإلهة
 على المدينة والطرواديات وأطفالهن الصغار. لتتوسل إليها
 ٩٥ أن تبعد ابن تيديوس الرهيب حامل الرمح الوحشي
 أعتى المحاربين الأخيين، ليباعد عن إليوس المقدسة.
 فحتى أخيلئوس مسيد الرجال الذي يقال إنه ابن إلهة لا نخشاه
 بالقدر نفسه، فهذا الرجل يعيث غضباً بما يفرق الحد، ولا
 ١٠٠ أحد يباريه في القوة".
- هكذا أنهى حديثه ولم يتوان هيكتور في الأخذ بنصائح أخيه.
 فعلى الفور قفز من عربته إلى الأرض بكامل عدته
 وشاهراً رمحيه المسننين، وطاف هنا وهناك في كل
 اتجاه عبر الحشود محرضاً على القتال؛
 ١٠٥ فزاد المعركة صخباً. نكتلوا واتخذوا مواقعهم وولوا
 وجوههم شطر الأخيين، فتقهقر الأرجيون وأمسكوا
 عن القتل؛ وقد ظنوا أن أحد الخالدين
 هبط من السماء ذات النجوم، ليقدّم
 ١١٠ للطرواديين المدد. لذا فقد اشتد هجومهم. وأطلق هيكتور صيحة
 مدوية وحث الطرواديين قائلاً :

- "أيها الطرواديون الأشاوس وأيها الحلفاء ذائعي الشهرة،
كونوا رجالاً يا أحبائي، وفكروا في عنفوان قوتكم الهادرة،
إنى ذاهب في التو إلى إليوس للقاء الكبار أصحاب المشورة،
وكذا زوجاتنا لكي يتضرعن للآلهة بتقديم نذور الأضحيات الفخمة". ١١٥
- هكذا تحدث، ومضى هيكثور ذو الخوذة اللامعة
فلامس درعه المصنوع من جلد الثور الأسود كاحله،
وكذا لامسته عند العنق الحافة المحيطة بالدرع.
- اشتبك جلاوكوس بن هيبولوخوس مع ابن تيديوس فيما ١٢٠
بين الجمعين، إذ كان كل منهما مثلهما على الفزال. وعندما تقدم
كل منهما من الآخر وتقاربا، كان ديوميديس البارع في
صيحة الحرب البادئ بالحديث صائحاً:
- "من أنت بين البشر الفائين أيها المحارب القوى ؟
فأنا لم أرك قبل اليوم قط في معركة، حيث يصيب ١٢٥
الرجال الشهرة، وأراك الآن وقد تفوقت على الجميع
جراً وإقداماً، فما أنت تصمد لرمحي طويل الظل. ويالهم
من تعساء أولئك الآباء الذين يواجه ابنائهم قوتى. أما
إذا كنت أحد الخالدين وهبطت علينا من السماء، فلا قبل
لـى بقتال آلهة السماء. حتى ليكورجوس بن درياس الجبار
لم يعيش طويلاً، إذ دخل في صراع مع آلهة السماء. حيث ١٣٠
طارد ذات مرة مرضعات ديونيسوس مجنوناً فوق تلال
جبل نيسا المقدس؛ فسقطت الأغصان - الصولجانات
المقدسة من أيديهن على الأرض، بعد أن أصابهن
ليكورجوس قاتل الرجال بمهماز الثور. بيد أن ديونيسوس ١٣٥
قد لاذ بالفرار وغاص تحت لجة البحر، فتلقفته ثيتيس
بالأحضان. كانت فرائصه ترتعد، حيث تملكه الهلع

- بفعل صيحات ليكورجوس. فغضبت الآلهة المقيمة دوماً
 في النعيم على ليكورجوس، وأصابه ابن كرونوس بالعمى.
 ١٤٠ ولم يعيش طويلاً حيث صار كريهاً لدى جميع الآلهة الخالدين.
 لذلك لا أدخل في صراع مع الآلهة المباركين. أما إذا كنت
 من البشر آكل ثمار الأرض فلتقترب، حتى تدخل على
 وجه السرعة سرايب الفناء"
 فرد عليه ابن هيبولوخوس المجيد قائلاً :
 ١٤٥ "يا ابن تيديوس ياسامى الروح، لم تسأل عن نسبي ؟
 فأجيال البشر مثل أجيال أوراق الشجر. تعصف الرياح ببعض
 الأوراق وتلقيها على الأرض، ولا تلبث الغابة أن تزهر
 وتبت غيرها بحلول موسم الربيع. كذلك البشر، يزدهر
 جيل ويتوارى جيل آخر. ومع ذلك فلتسمع إن شئت،
 ١٥٠ فلعلك تعرف شجرة نسبي حق المعرفة؛ وكثيرون يعرفونها.
 هناك مدينة إفيري في ركن من أرجوس، مرعى الخيول
 ومرتعها، وبها يسكن سيسيفوس أبرع الرجال، سيسيفوس
 بن أيولوس؛ وقد أنجب ولداً هو جلاوكوس؛ الذى بدوره
 أنجب بيلليروفونتييس وهو من لا تشوبه شائبة. وقد وهبته
 ١٥٥ الآلهة الحسن والرجولة المرغوبة؛ لكن برويتوس كان
 يضر له في قلبه شراً حيث اعتبر نفسه الأقوى منه
 بكثير، وطرده من أرض الأرجيين، لأن زيوس كان
 قد أخضعهم لسلطانه. وكان بيلليروفونتييس قد شغف أنتيا - زوجة
 ١٦٠ برويتوس رائعة الجمال - حباً إلى حد الجنون، واشتهت أن تقيم
 معه علاقة عشق سرية. لكنها لم تستطع أن تغوى بيلليروفونتييس،
 إذ كان قلبه مستقيماً. فحاكت مكيدة وقالت للملك برويتوس:
 "إما أن تموت أنت يا برويتوس أو تقتل بيلليروفونتييس، لأنه كان
 ١٦٥ يريد أن ينال منى غصباً".

- هكذا قالت فاستبد الغضب بالملك لسماعه
القصة، ولم يشأ قتل بيليروفونتيث، لأن قلبه لم يطارعه في ذلك.
ولكنه أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزاً محفورة على لوح
مطوى وأمره بعرضها على والد زوجته (أنثيا) لعله يهلك. شق طريقه ١٧٠
إلى ليكيا بصحبة الرعاية الإلهية التي لا نظير لها. فلما بلغ ليكيا
ونهر كسانثوس، أكرمه ملك ليكيا الشاسعة، واستضافه
بسبحاء لمدة تسعة أيام وذبح له تسعةثيران.
فلما طلع الفجر الوردى العاشر، سألته وطلب منه أن يريه ١٧٥
العلامة التي حملها معه من زوج ابنته أي برويتوس. وعندما
سلم منه العلامة الشريرة أمره أولاً بقتل خيمايرا التي
لا تفهر. وهى من سلالة إلهية لا بشرية، فالجزء الأمامى
منها على هيئة أسد والخلفى أفعى والأوسط عنزة أو ١٨٠
خيمايرا، تنتفس فيخرج زفيرها نيراناً مرعبة.
قتلها بيليروفونتيث بناءً على توجيهات الآلهة.
وبعد ذلك شن حرباً على السوليمين^(*) المتوحشين
فكانت - على حد قوله - أشرس معركة خاضها. أما
المغامرة الثالثة فهي أنه قتل الأمازونات، الشرسات أنداد ١٨٥
الرجال. وفي رحلة العودة من هذه المغامرات، دبر الملك
له خدعة أخرى مأكرة، فاختار من ليكيا الشاسعة أقوى
رجالها فنصبوا له كميناً. لكن هؤلاء لم يعودوا إلى ديارهم،
فقد قضى عليهم عن آخرهم بيليروفونتيث الذى لا ند له. ١٩٠
وعندما أدرك الملك أنه من نسل إلهى، حرص على أن
يستبقيه هناك ورهيه ابنته زوجاً، واقتسم معه مناصفة أبهة
الملك. وما كان من الليكيين إلا أن منحوه ملكية أرض

(*) السوليمين Solymoi يقال إنهم بجوار ليكيا وعند هيرودوتوس (173). يبدو أنهم من الأمم التي اختضت.

(الهرر)

- ١٩٥ شاسعة بها كروم وأرض محروثة تحمل ثمار الفاكهة.
وولدت الزوجة لبيليروفونتيس ثلاثة أطفال هم إيساندروس
وهيبولوخوس ولاؤداميا. وضاجع زيوس صاحب الرأي
السديد ابنته لاؤداميا، فأنجبت له ساربيدون شبيه الآلهة
المحارب لابس الدرع البرنزي. عندئذ صار لبيليروفونتيس
٢٠٠ موضع حسد جميع الآلهة، فهام على وجهه وحيداً شريداً
فى وديان أليا يلتهم روحه كمداً، مجتنباً طريق البشر.
وقتل ابن إيساندروس على يد آريس الذى لا يشبع
من القتال، إذ شن حرباً على السوليمين المتوحشين.
٢٠٥ وقتلت أرميس ذات الأعنة الذهبية ابنته لاؤداميا نعمة
عليه. وأنجبني هيبولوخوس، وإنى لأعلن أنى من صلبه؛
وهو الذى أرسلنى إلى طروادة وكلفنى أن أيز كافة
المحاربين الآخرين إستيمالاً وقاتلاً، وألا أجلب العار على سلالة
٢١٠ آبائى، وقد كانوا أفضل الرجال فى إفيرى وليكيا الشاسعة.
هذا هو التسلسل والدم الذى أعلن أنى أنحدر منهما".
هكذا قال وسر ديوميديس البارح فى صيحة الحرب.
فغرس رمحه فى الأرض الثرية بنباتاتها وبكلمات ودودة خاطب
راعى الشعوب قائلاً:
٢١٥ "حسناً فأنت كما أرى الآن صديق لبيت الآباء من قديم
الزمان. لقد أكرم أوينيوس الإلهى ذات مرة ببيليروفونتيس
الذى لا قرين له فى قاعاته واستبقاه عشرين يوماً.
كما تبادلنا هدايا الصداقة الجميلة، فقدم له أوينيوس حزاماً
٢٢٠ لامعاً باللون القرمزى، وأعطاه ببيليروفونتيس كأساً ذهبياً
ذا مقبضين، تركته فى قصرى عندما رحلت إلى هذا المكان.
ولكنى لا أتذكر تيديوس جيداً، فقد كنت مجرد طفل صغير
عندما رحل، حين هلك جيش الأخيين فى طيبة. لذا فلاكن

- مضيفاً وصديقاً ودوداً لك في قلب أرجوس، ولتكن أنت بالنسبة لي في ليكيّا كذلك في أي وقت قد أصل فيه ٢٢٥
- إلى أرض هؤلاء القوم. لذا دع كل منا يتجنب رمح الآخر حتى وسط هذا الجمع؛ فلدئى الكثيرون المرموقون من الطرواديين وحلفائهم لكى أقتلهم، إذا ما مكنتى الإله وقدمائى منهم. وهناك كثرة من الآخيين قد تقتلهم أنت بقدر ما تملك من قوة. دعنا نتبادل أسلحتنا حتى يعلم الناس جميعاً أننا أحيينا وأعلننا صداقتنا الموروثة منذ أيام الآباء".
- وما أن انتهيا من الحديث حتى نزلا من العربات وتصافحا وتعاهدا على الوفاء. وعلى هذا النحو يكون زيوس بن كرونوس قد حرم جلاوكوس حسن التقدير، لأنه تبادل الأسلحة ٢٣٥
- مع ديوميديس بن تيديوس، فأخذ البيرونز مقابل الذهب واستبدل ما يساوى تسعة ثيران بما يساوى مئة ثور.
- فلما وصل هيكتور إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط أقبلت عليه زوجات الطرواديين وبناتهن يسألن عن ابنائهن وإخوتهن وأحبائهن وأزواجهن، فأمرهن بالابتهاال ٢٤٠
- للآلهة كل بدورها. ولكن سحابة الحزن غطت كثرة منهن. فلما بلغ قصر برياموس الجميل بأبهائه ذات الأعمدة الصقيلة وبه خمسون حجرة بنيت بالحجر المصقول وكل حجرة بجوار الأخرى، حيث إعتاد أبناء برياموس أن يناموا بجوار زوجاتهم. وعلى الجانب الآخر كانت اثنتا عشر حجرة بنيت بالحجر المصقول كل حجرة بجوار الأخرى؛ حيث كان أزواج بنات برياموس ينامون مع زوجاتهم ذوات الحياء. أقبلت أمه وافرة العطاء لتقابلها وفي معيتها لاؤديكى ٢٥٠
- أجمل بناتها وأكثرهن بهاء؛ احتضنته بيدها وخاطبته بقولها:

- لم تركت المعركة حامية الوطيس يا ولدى وجئت إلى
هنا ؟ لا بد أن أبناء الأخيين - ملعونى الاسم - يضيّقون
٢٥٥ عليك الخناق إذ يشعلون الحرب حول مدينتنا، فحدثك قلبك
أن تأتى هنا لكى ترفع يد الضراعة لزيوس من فوق القلعة.
انتظر فسأحضر لك نبئاً معسولاً لكى تسكبه فى البداية
٢٦٠ قرباناً لزيوس الأب والخالدين، ثم إن النبئ سيكون مفيداً لك
إذا رشفت منه، إذ يستعيد للرجل قواه إذا ما أنهكه التعب.
فأنت مرهق، إذ تخوض غمار الحرب دفاعاً عن ذوك
فرد عليها هيكتور البطل العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:
٢٦٥ "لا... لا تحضرى النبئ المعسول يا أمى المبجلة، فقد
تجعلينى أقعد، فأتقاعد وأنسى قوتى وبأسى، ثم إننى أتورع
أن أسكب النبئ المتوهج قرباناً لزيوس بيدى غير المغسولة.
ولا يليق أن يبتهل المرء لابن كرونوس جامع السحب السوداء
٢٧٠ وقد دنسه الدم والقتل. فلتنهبي أنت بالقرايين إلى معبد
أثينة جالبة الغنائم، ولتأخذى معك الزوجات العجائز.
وضعى الرداء الذى ترين أنه الأجمل والأوسع فى القاعة
والأعز لديك، ضعيه على ركبة أثينة ذات خصلات
الشعر الكثيف والجميل. وانذرى لها أن تذبحى فى معبدها
٢٧٥ اثنى عشر عجلًا لم يلمسها مهماز بعد، إذا أشفقت على طروادة
وزوجات الطرواديين وأطفالهن الصغار، وأبعدت ابن تيديوس
ذلك المحارب الشرس عن إليوس. فاذهبى إلى معبد أثينة جالبة
الغنائم وسأذهب أنا بحثاً عن باريس لكى استدعيه، فلعله يسمع
٢٨٠ كلامى هذه المرة عن طيب خاطر. فلكم أتمنى أن تتشق الأرض
وتبتلعها ! فقد رباه سيد الأوليمبوس ليكون وبالاً على الطرواديين
وعلى برياموس سامى الروح وعلى أبناء برياموس.
وكم أتمنى أن أراه وهو يهبط إلى مقر هاديس

عندئذ قد أقول إن قلبي قد نسي أحزانه تماماً".

٢٨٥

هكذا كان حديثه، فذهبت هي إلى القاعة، وأمرت وصيفاتها
أن يجمعن الزوجات العجائز من أرجاء المدينة. أما الملكة نفسها
فقد نزلت إلى خزانة الكنوز ذات القباء حيث أودعت
ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقنت صنعها نساء صيدا

٢٩٠

اللاتي كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله قد جلبهن
من صيدا حين مخر عباب البحر الشاسع في رحلة عودته
(إلى طروادة) بهيليني رفيعة النسب. انتقت هيكابي واحداً
منها وقدمته قريباً لأثينة؛ كان هو الرداء الأجل في تطريزه

٢٩٥

والأوسع، كما كان يقع خلف كل الثياب. وكان يلمع كأنه
نجم في الظلماء. التقطته وانطلقت، وحشد الزوجات العجائز
في أعقابها. فلما بلغت معبد أثينة فوق القلعة، فتحت الأبواب
لهن ثيانو ذات الخدود الجميلة - ابنة كيسيوس

٣٠٠

وزوجة أنتينور مروض الخيول - وكان الطرواديون قد
انتقوها كاهنة لأثينة. رفعت كل النساء أيدي الضراعة
بالابتهالات لأثينة، وتناولت ثيانو ذات الخدود الجميلة
الرداء وبسطته على ركبتي أثينة ذات خصلات الشعر
الكثيف والجميل وابتهلته وقدمت النذور لابنة زيوس
ذی الجلال قائلة :

٣٠٥

"سيدتي يا صاحبة الجلالة أثينة، يا من تحرسين مدينتنا،
أيتها الإلهة المجلبة، اكسري سيف ديوميديس، دعيه

هو نفسه يسقط صريعاً عند بوابات سكاياي؛ لكي نتمكن
على الفور من تقديم قرباننا إليك في معبدك، اثني عشر
عجلاً لم يمسها مهماز بعد، إذا ما أشفقت على طروادة

٣١٠

وزوجات الطرواديين والأطفال الرضع".

هكذا كان ابتهالها، لكن باللاس أثينة لم تتقبل الابتهاال.

- بينما كانت النسوة يتضرعن لابنة زيوس المجيد
كان هيكتور قد ذهب إلى مقر ألكسندروس، ذلك
القصر الجميل الذي كان هو نفسه قد أقامه مع رجال
كانوا عندئذ أبرع البنائين في طروادة خصيبة التربة.
٣١٥ إذ شيدوا له حجرة وقاعة وفناء بجوار قصرى برياموس
وهيكتور فوق القلعة. دخل هيكتور حبيب زيوس،
ممتنقاً في يده رمحاً طوله أحد عشر ذراعاً،
ومن سنه البرونزى المسنون يمتد البريق، وتحيط به
حلقة من الذهب. فوجد باريس في حجرته حفيلاً
بأسلحته الجميلة ودرعه ودرع الصدر، قابضاً على قوسه
٣٢٠ المعقوف. وكانت هيليني الأرجية جالسة بين وصيفاتها
تحدد لهن أعمالهن اليدوية الرائعة. فلما رأى هيكتور أخاه
وبخه بكلمات مخجلة:
- ٣٢٥ "أيها التمس، لا يليق بك أن تكتم هذا الغضب في قلبك.
وأهالك يهلكون وهم يحاربون حول المدينة وأسوارها
المنحدرة، ويسببك اندلعت صيحة المعركة واشتعلت
الحرب حول هذه المدينة. وكان الأحرى بك أن تصب
٣٣٠ جام غضبك على أى محارب تراه يتقاعس عن الحرب
الكريهة. انهض الآن قبل أن تلتهم نيران الأعداء مدينتنا"
فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة بقوله:
- "هيكتور، حيث إنك تؤنبني بحق ولا تتعدى
إلى ما وراء الحق، فلك أشرح موقفى، عليك أن تصفى
وتتمن فيما أقول. فلم يكن سبب قعودى فى حجرتى
٣٣٥ الغضب والنقمة على الطرواديين، بل أسلمت نفسى للأسى.
وسعت زوجتى أن تغير موقفى بكلمات ودودة

وتحضننى على الحرب، وكنت أنا نفسى أظن ذلك أفضل؛
فالنصر دوار يتداوله الأبطال المحاربون، فهو مرة لهذا
وأخرى لذلك. والآن تعال وانتظرنى قليلاً حتى أرتدى
٣٤٠ عدة الحرب؛ وإلا فامض أنت فى سبيلك وسأنتبعك، وسألحق بك".
هكذا قال فلم يرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة،
بل خاطبته هيلينى بكلمات ودودة قائلة:

"واخجلاه ! فأنا مدبرة الشر جالبة الأذى. ياليتنى يوم
ولدتنى أُمى قد عصفت بى ريح هوجاء فقذفت بى إلى
٣٤٥ جبل أو إلى لجة البحر المتلاطم فجرفنى الموح بعيداً
قبل أن تقع هذه المصائب. لكن حيث إن الآلهة هى التى
شاعت هذه الشرور، فياليتنى كنت زوجة لرجل أفضل
من هذا، يشعر بنقمة الرفاق وتوبيخهم. ولكن قدرة زوجى هذا
٣٥٠ على الفهم لم تعد على ما يرام، ولن تكون كذلك من بعد أبداً. لذا فإنى
أرى أنه سيجنى مر الثمار حصيلة أفعاله. ولكن تعال الآن، ادخل
واتخذ لك مجلساً، فقد نال قلبك مانال من المتاعب أكثر من الآخرين.
٣٥٥ كل ذلك بسببى أنا التعيسة، وبسبب حمق ألكسندروس،
الذى أنزل به زيوس سوء المصير. فقد أصبح مع مرور الزمن
أمثولة ترددها الأجيال القادمة فى أغانيهم".

ورد هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:
"لا تطلبى منى الجلوس يا هيلينى، فلن تقنعينى برغم ترددك.
٣٦٠ فقلبى الآن متلهف على الوقوف إلى جانب الطرواديين
الذين يفتقدوننى فى غيابى. ولكن دعى زوجك ينهض
ويسرع ليلحق بى مامت داخل المدينة. فسوف أذهب
٣٦٥ إلى بيتى عسى أن أرى أهلى: زوجتى الحبيبة وطفلى
الرضيع؛ فلا أدري ما إذا كنت سأعود إلى بيتى لأراهم

مرة أخرى، أم ستقهرنى الآلهة على أيدي الآخرين".

هكذا قال وأسرع هيكتور ذو الخوذة اللامعة

إلى بيته المحكم البناء. فلم يجد أندروماخى ذات الذراع
الأبيض قى قاعاته؛ إذ كانت هى، مع طفلها ووصيفتها
ذات الرداء الجميل، قد ذهبت ووقفت تبكى فوق أحد
الأبراج. فلما لم يجد هيكتور زوجته التى لا مثيل لها
فى البيت، توقف عند العتبات وقال للخادومات :

"تعالين أينها الخادومات وأخبرننى بحقيقة الأمر، إلى أين
ذهبت أندروماخى ذات الذراع الأبيض بعد أن تركت
القاعة ؟ هل ذهبت إلى بيت أى من أخواتى أو زوجات
إخوتى ذوات الثياب الجميلة، أم تراها ذهبت إلى معبد
أثينة مع نساء طروادة ذوات الجداول الجميلة
ليستدررن عطف هذه الإلهة الرهيبة".

فقالن له خادمة منهمكة فى أعمال البيت:

"هيكتور، بما أنك تأمرنا بإصرار أن ننبئك بالحقيقة، فإنها لم
تذهب إلى بيت أى من أخواتك أو زوجات إخوتك ذوات
الثياب الجميلة، ولا إلى معبد أثينة حيث ذهبت نساء طروادة
ذوات الخصلات الجميلة لاستدرار عطف الإلهة الرهيبة. بل ذهبت
إلى برج إليوس الكبير، حيث كانت قد سمعت أن الطرواديين
يمرون بمأذق حرج حين ظهرت عليهم قوة الآخرين، عندئذ جن
جنونها وأسرعت إلى السور تصحبها المرضعة وهى تحمل صغيرها".

هكذا قالت الخادمة، فأسرع هيكتور من البيت وعاد أدراجه من

الطريق نفسه عبر الممرات المحكمة البناء. وبعد أن قطع المدينة
الكبيرة وبلغ بوابة سكاياى، حيث كان ينوى الخروج إلى ساحة
المعركة، أقبلت زوجته وافرة العطاء تجرى للقاءه،

أندروماخى ابنة إيثيتيون الباسل الساكن فى ثيبى
 (طبية) بجوار بلاكوس الكثيفة الأشجار. وكان سيدًا على
 شعب كيليكيا، إذ تزوج ابنته هيكتور ذو الدرع البرونزى.
 ٣٩٥ ها هى تلتقى به ومعها خادمة تحمل على صدرها الطفل
 الجميل ابن هيكتور اللطيف. فكان على صدرها كأنه نجم
 يتلألأ. وكان هيكتور يحب أن يسميه سكامانديروس،
 ٤٠٠ لكن الآخرين كانوا ينادونه أستياناكس، لأن هيكتور وحده
 كان حامى حمى إليوس. فابتسم هيكتور فى صمت
 ٤٠٥ عندما رأى طفله، لكن أندروماخى اقتربت منه وهى
 تنرف الدمع متعلقة بيديه ومخاطبة إياه:

"آه يا زوجى! قوتك هى التى ستقضى عليك، إذ لا ترحم
 طفلك الرضيع، ولا ترحمنى أنا، حيث عما قريب سأسمى
 ٤١٠ أرملة، بعد أن يجهز عليك الآخيون ويفتكوك بك. ومن
 الخير لى أن أهبط تحت الأرض قبل أن تضيع منى، فلا
 راحة لى بعدك إذا حان أجلك، ولن يبقى لى شىء سوى
 الآلام بعد أن فقدت أبى وأمى الملكة. أبى قتله أخيليوس
 الإلهى، بعد أن دمر مدينة كيليكيا المنيعه وثيبى
 ٤١٥ ذات البوابات الشاهقة. قتل إيثيتيون ولكنه لم يسلب أسلحته،
 إذ حالت الرهبة دون ذلك الفعل. ولكنه أحرقه مع أسلحته
 رائعة الزينة وكدس فوقه الركام؛ ومن حوله غرست عرائس
 الجبل بنات زيوس حامل الدرع أيجيس، أشجار الدردار.
 ٤٢٠ أما إخوتى السبعة الذين كانوا يعيشون فى قاعاتنا، فقد
 رحلوا جميعًا إلى مقر هاديس فى يوم واحد، قتلهم جميعًا
 أخيليوس الإلهى سريع القدمين، قتلهم وهم يمشون الهوينى
 يرعون أغنامهم ذات الصوف الأبيض. أما أمى التى كانت
 ٤٢٥ ملكة فى بلاكوس الكثيفة الأشجار فقد جاء بها (أخيليوس)

- إلى هنا مع بقية الغنائم، ولكنه بعد ذلك أطلق سراحها
 في مقابل فدية لا حصر لها، ثم قتلها أرتيميس ربة القوس
 في دار أبيها. فأنت لى يا هيكتور الأب والأم الرؤوم،
 أنت لى الأخ، وأنت الزوج الهمام. فلتكن عندك رحمة ٤٣٠
 بى، وابق هنا عند البرج، لى لا تحيل طفلك يتيما وتترك
 زوجتك أرملة. أما حشدك فليتحصن بجوار شجرة التين
 البرية، فهناك مكان لحماية المدينة، إنها أسهل نقطة
 للاختراق وانطلاق هجوم الأعداء. وسبق أن جاء إلى
 هذا الموقع الثنائى أياس وإيدومينيوس الأشهر ولدا ٤٣٥
 أتريوس وابن تيديوس الباسل ثلاث مرات، وحاولوا
 الاختراق، سواء بناءً على مشورة أحد العرافين البارعين
 أو كما دلتهم قلوبهم".
- فرد عليها هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة:
 " يا زوجتى، لقد فكرت مثلك فى كل ذلك، ولكنى استحيى من
 الطرواديين وزوجاتهم ذوات الثياب الطويلة، إذا تقاعست
 عن المعركة كالجناء. وقلبى لا يحتمل، لأنى تربيت على
 البسالة دائماً، وأن أقاتل فى مقدمة الطرواديين
 لأصون مجد أبى العظيم ومجدى. وأنا على يقين بقلبى ٤٤٥
 وعقلى أن إليوس المقدسة ستقع لا محالة، وسيقع برياموس
 وقوم برياموس للرمح الرماذى. ولكن لا مصائب الطرواديين،
 ولا فجيعة هيكابى، ولا أحزان الملك برياموس أو إخوتى
 الكثيرين النبلاء الذين سيمرغون فى التراب بأيدى أعدائهم،
 ليس كل هذا هو الذى يفرغنى، بل فجيعةك أنت إذا ما ساقك
 أحد الآخيين المسلحين بالبرونز بعيداً، وسلبك الحرية وأنت
 تولولين، ثم تعملين على النول فى أرجوس بأمر إحدى السيدات، ٤٥٥
 أو تحملين الماء كرهاً من نبع ميسيئيس أو هيبيريا، أو تنقل

- كاهلك ضرورة أو أخرى لا تحتمل. وقد يقول قائل وهو يراك
 ٤٦٠ تيكين : هذه زوجة هيكتور الذى بز فى القتال كل الطرواديين
 مروضى الخيول، يوم التقى الأبطال فى القتال حول
 إليوس. قد يقول قائلهم ذلك وتترداد فجيعتك، إذ تغتددين
 رجلاً مثلى يصد عنك غائلة يوم العبودية. فدعيني أموت، ودعى
 ٤٦٥ ركام التراب يغطيني، ولا أسمع صراخك وهم يسوقونك
 إلى ذل الأسر".

- هكذا قال هيكتور المجيد ثم مَدَّ كلنا يديه إلى ابنه، لكن الطفل
 صرخ وغاص فى صدر مرضعته ذات النطاق الجميل خوفاً من
 ٤٧٠ مظهر أبيه الحبيب ومن البرونز ومن ذؤابة خصلة شعر الحصان
 وقد رآها وهى تهتز بعنف مخيف على قمة الخوذة.
 فقهقه أبوه الحبيب وأمه الملكة. ونزع هيكتور الخوذة
 عن رأسه ووضعها ببريقها على الأرض، وقبل ولده
 ٤٧٥ المحبوب وهدده بين يديه وابتهل لزيوس والآلهة
 الآخرين قائلاً:

- "أى زيوس، ويا أيتها الآلهة، ليكن ابنى هذا مثلى مبرزاً
 بين الطرواديين، بأسلاً فى القتال، قوياً فى حكم إليوس.
 ٤٨٠ وليقل قائلهم يوماً ما أثناء عودته من ساحة الوغى: إنه أكثر
 بسالة من أبيه. ليكن من نصيبه أن يقتل أعداءه ويعود
 للوطن بالأسلاب المخضبة بالدماء ليسعد قلب أمه".

- هكذا قال ووضع طفله بين ذراعى زوجته الحبيبة،
 ٤٨٥ فضمته إلى صدرها الحنون وهى مبتسمة وباكية بالدموع؛
 وعندما رمقها زوجها أشفق عليها وداعبها بيديه
 وسماها باسمها قائلاً:

"رجائى ألا تسرفى فى الحزن داخل قلبك من أجلى

- يا زوجتي الحبيبة. فلن يبعث بي أحد إلى هاديس إن لم
يكن هذا هو قدرى، ولا أحد يتملص من قدره المحتوم،
٤٩٠ نبيلاً كان أم وضعياً، هو قدر مرسوم للمرء منذ ولادته.
عودى إلى بيتنا، واعتنى بشئونك من نول ومغزل،
ومرى وصيفاتك أن يقمن بواجباتهن، أما شئون الحرب
فللرجال، لكل الرجال، ومن شأنى أنا قبل جميع من يقيمون
٤٩٥ فى إليوس".
- هكذا قال هيكتور المجيد والتقط خوذته ذات الذؤابة من خصلة
شعر الحصان؛ وعادت زوجته إلى بيتها وبين الحين والحين كانت
تنظر خلفها، وظلت تنرف الدموع مداراً. فلما بلغت القصر
٥٠٠ متين البناء، قصر هيكتور قاتل الرجال، وجدت وصيفاتها الكثيرات
فأثارت بينهن الشجن والنحيب. فشرعن يولولن على هيكتور
فى قصره، مع أنه كان لا يزال على قيد الحياة، إذ كن يتوجسن
خيفة ألا يعود أبداً من المعركة، فلا هو بقادر على أن يتحاشى
القتال، ولا أن يفلت من أيدي الآخيين.
- ٥٠٥ ولم ينتظر باريس طويلاً فى قصره الشاهق، بل
أقبل فى درعه البرونزى الرائع وهول عبر المدينة وانقا
فى سرعة قدميه. كان مثل حصان أخذ كفايته من طعام مزوده،
وكسر قيوده، وركض عبر السهل، وقعقت حوافره، مدوية على
الأرض، وسعى حثيثاً إلى أن يرمى نفسه فى النهر سلس التدفق
٥١٠ منتشياً ورافعاً رأسه عالياً، ويتماوج شعر لبدته على كتفه،
يتبختر مزهواً بعظمته، تحمله ركبته إلى مرعى الفرسان.
هكذا كان باريس بن برياموس،
فقد هبط من قمة برجاموس الشاهقة بدرعه اللامع
كالشمس الساطعة، تضحك أسارير وجهه بالبهجة، وتطير
٥١٥ به قدماه السريعتان. وعلى الفور لحق بأخيه هيكتور

الإلهي، الذي كان للتو عائداً من حيث قابل زوجه.

وخاطبه ألكسندروس شبيه الإلهة قائلاً:

"لاشك يا أخي أنني بتلكؤي الطويل تسببت في تأخرك،

وربما لم أصل في الوقت الملائم كما أمرتني".

فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة:

"يا أخي الطيب، ما من رجل عاقل يستطيع أن يستخف

بما تقوم به في الحرب، فأنت باسل؛ ولكنك تتكاسل

بمزاك ولا تبالي. لذا فإن قلبي في داخلي يأسف عندما

أسمع كلمات مشينة عنك تتردد بين الطرواديين، الذين

من أجلك عاثوا الكثير من الأهوال. ولكن دعنا نواصل

مسيرتنا وسنعالج هذه الأمور مستقبلاً، إذا سمح لنا زيوس

أن نسكب من نخب الحرية في قصرنا قرباناً لآلهة السماء

الخالدين، بعد أن نطرد الآخيين المزودين بالدروع جيداً

من أرض طروادة".

الكتاب السابع



ترجمة منيرة كروان

هكذا قال هيكتور المجيد، واندفع خارجًا من البوابة

وخرج معه شقيقه ألكسندروس، وهما يتحرقان شوقًا
في قرارة نفسيهما للحرب والقتال.

وكما يرسل الإله ريحًا مواتية للبحارة الذين

طالت لهفتهم ونالهم التعب

٥

من التجديف في البحر بالمجاديف جيدة الصقل، وارتخت أطرافهم
من الإرهاق، هكذا ظهر هذان المحاربان للطرواديين المتحمسين.

وعندئذ قتل أحدهما ابن الملك أريثوؤس،

المسمى مينيسثيوس، والذي كان يسكن في أرني.

١٠

وكان أريثوؤس صاحب الصولجان قد أنجبه من جميلة العينين

فيلوميدوسا. وضرب هيكتور إيونيوس برمح حاد الطرف

في عنقه، أسفل خوذته المصنوعة من البرونز القوي، فقتله.

وضرب جلاوكوس، بن هيبولوخوس، قائد الليكيين

إفينوؤس، بن ديكسيوس، بالرمح، أثناء احتدام

١٥

القتال، بينما كان يسرع خلف جياده السريعة

فأصابه في كتفه وسقط من فوق الجياد على الأرض جثة هامدة.

ولكن الربة أثينة، زرقاء العينين، شعرت بهم

وهم يدمرون الأرحيين في قتال عنيف

فنزلت مسرعة من قمة الأوليمبوس

٢٠

واتجهت إلى مدينة إليون المقدسة. وأسرع أبوللون لملاقاتها

فقد كان ينظر لأسفل من برجاموس. وكان يرغب أن يكون

النصر من نصيب الطرواديين. وبجانب شجرة البلوط التقى كل

منهما بالآخر وبادرها الملك أبوللون، بن زيوس، بقوله :

"لماذا يا ابنة زيوس العظيم تسرعين في لهفة

٢٥

من الأوليمبوس، ولأى غرض عظيم أتيت ؟

- هل لكى تمنحى الدانائيين النصر الحاسم فى القتال
وتحققى لهم الفوز ؟ حيث أنك لا تشعرين بالشفقة على
الطرواديين الذين يهلكون. ولكن سوف يكون من الأفضل لو
استمعت لنصيحتى. دعينا الآن نوقف الحرب والصراع
اليوم، وفيما بعد سوف يستأنف القتال، حتى يتموا
القضاء على إليون. حيث إن قلوبكن أيتها الرباب
تجد متعة فى تدمير تلك المدينة والقضاء عليها".
- عندئذ أجابته الربة أثينة، زرقاء العينين، قائلة :
- " ليكن ما تريد، يا من تصيب من بعيد، فبهذه الفكرة نفسها
أتيت أنا أيضاً من الأوليمبوس إلى الطرواديين والآخيين.
ولكن كيف نوقف الحرب بين الرجال قل لى ؟".
- فأجابها الإله أبوللون، بن زيوس بدوره قائلاً :
- " دعينا نستحث حمية هيكتور، مروض الخيول،
حتى يتحدى واحداً من القادة الدانائيين للنزال فيتبارزا رجلاً لرجل
فى معركة فردية شرسة وسوف يتحمس الآخيون، المسلحون جيداً
بالدروع البرونزية، لمانازلة هيكتور، شبيه الآلهة".
- هكذا قال، ولم تخالفه الربة أثينة، زرقاء العينين
ولكن هيلينوس، الابن الحبيب لبرياموس، سمع الخطأ
الذى تدور فى عقليهما من خلال محاورتهما،
فذهب إلى شقيقه هيكتور، ووقف بجانبه ثم خاطبه قائلاً :
- " هيكتور، يا ابن برياموس، يا شبيه الآلهة فى النصح
هلا أصغيت إلىّ، فأنا شقيقك ؟ فلتدع الطرواديين الآخرين وجميع
الآخيين إلى الجلوس معاً، ولتتحد أنت واحداً من أفضل الآخيين

- لتنأزله فى معركة فردية شرسة
فلم يحن بعد قدرك وأجلك المحتوم.
هذا على وجه اليقين ما سمعت بنفسى من الآلهة الخالدين ".
هكذا قال، فغمر السرور قلب هيكتور لسماعه ذلك.
- ٥٥ وذهب إلى وسط فرق الطرواديين وكبح جماحها،
وأمسك برمحه من المنتصف، فجلسوا جميعاً.
وكذلك أمر أجاممنون الآخيين، لابسى الدروع، بالجلوس.
وجلس أبوللون، الإله ذو القوس الفضى، وكذلك أثينة
على هيئة طائرین جارحين
- ٦٠ فوق شجرة البلوط العالية، المقدسة للأب زيوس، لابس الدرع
أيجيس واستمتعا برؤية الرجال، الذين اصطفت صفوفهم
المتلاحمة مدججين بالدروع والخوذات والرماح.
ومثلما يثور سطح البحر بسبب هبوب الرياح
الغربية (زيفيروس)، ويسود موج البحر من تحتها.
- ٦٥ هكذا جلست صفوف الآخيين و الطرواديين
فى السهل، وخاطبهم هيكتور قائلاً :
- " أيها الطرواديون وأيها الآخيون لابسو الدروع
لتسمعونى حتى أقول لكم ما يأمرنى به قلبى الكائن فى صدرى.
إن زيوس ابن كرونوس رفيع العرش، لم يحقق وعوده
ولكنه ينوى الشر لكلا الجانبين.
- ٧٠ فإما أن تستولوا على طروادة، ذات الأبراج الحصينة
أو أن تهلكوا بجوار سفنكم ماخرة عباب البحار.
وبما أنه يوجد بينكم الآن أفضل قادة الآخيين كافة

فليتقدم من يأذن له قلبه بمنازلتى.

٧٥ وليأت هنا أفضلكم جميعًا لمنازلة هيكتور الإلهى.

وإننى أعلن أيضًا ما يلى، وليكن زيوس شاهدًا على،

إذا ما قتلنى ذلك المحارب بسلاحه البرونزى حاد النصل

فليجردنى من سلاحى وليحمله إلى سفنكم المجوفة.

ولكن يجب عليه أن يعيد جثتى إلى منزلى مرة أخرى، حتى

٨٠ يتمكن رفاقى من الطرواديين والطرواديات أيضًا أن يحرقوا

جثتى. أما إذا تمكنت من قتله، وليمنحنى أبوللون هذا المجد،

فسوف أجرده من سلاحه وأحمله غنيمة إلى إليون المقدسة.

وهناك سوف أعلقه على معبد أبوللون، رب القوس،

ولكننى سوف أعيد جثته إلى سفنكم، ذات المجاديف المتينة

٨٥ حتى يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، من دفنه

وبناء مقبرة له بجوار شاطئ الهليسيبونتوس.

فذاث يوم، رب قائل من الأجيال القادمة،

عندما يبحر بسفينته، كثيرة المجاديف فى البحر القاتم بلون الخمر

يقول : هذا قبر رجل قتل منذ زمن بعيد.

٩٠ إذ قتله، وهو فى عنفوان قوته، هيكتور المجيد .

هكذا ذات يوم قد يقول أحدهم فلا يخبو مجدى أبدًا .

هكذا قال، واستمع إليه الجميع فى صمت

فقد كانوا يخلجون من رفض تحديه، ولكنهم كانوا يخشون قبوله.

وبعد وقت طويل، قام مينيلائوس وخاطبهم

٩٥ وهو يئن ويتوجع من أعماق قلبه، وعنفهم بشدة وهو يزار قائلًا :

" أيها الجبناء يا من لا يملكون سوى الجعجة، أيتها الأخيات ولا

أقول الآخيين سوف يكون من العار، بل سوف يكون عارًا شنيعًا

إذا لم يقف أحد الدانائيين الآن ويقبل تحدى هيكتور

- للتحولوا جميعاً إلى ماء وطين،
 ١٠٠ إذ يجلس كل منكم هكذا مجللاً بالعار والجبن.
 حسناً، سوف أسلح أنا نفسي و أنازله. ومن عل،
 من لدن الآلهة الخالدين، سوف تأتي فرص النصر."
 وما أن قال ذلك، حتى وضع على جسده أسلحته الرائعة.
 وكان من الممكن أن تكون هذه نهاية حياتك يا مينيلأوس
 ١٠٥ على يد هيكتور، حيث إنه يفوقك قوة بمراحل،
 لو لم ينهض ملوك الأخيين بسرعة ويمسكون بك.
 فقد قام أجاممنون، بن أتريوس، واسع الملك،
 وأمسك بيدك اليمنى وخاطبك بقوله :
 " هل أصابك الجنون يا مينيلأوس، يا من رباك زيوس، إن مثل
 ١١٠ هذا التهور لا يليق بك، ويجب عليك أن تتراجع، رغم أن هذا
 يؤلمك ولا تفكر في منازلة رجل أقوى منك،
 هيكتور بن برياموس، الذى يخشاه الأبطال الآخرون.
 إن أخيليوس نفسه يخشى لقاءه فى المعركة
 التى تجلب المجد للرجال، رغم أن أخيليوس يفوقك كثيراً فى القوة.
 ١١٥ فلتنذهب وتتخذ لنفسك مجلساً الآن مع مجموعة رفاقك
 وسوف يقدم الأخيون محارباً آخر ينازله،
 وحتى لو كان (هذا المحارب) شجاعاً ولا يشبع من القتال
 فإننى أعتقد أنه سوف يجلس فى سعادة، إذا أمكنه،
 الإفلات من الحرب المدمرة والقتال البشع".
 ١٢٠ وعندما نطق البطل بهذه الكلمات، أقنع شقيقه
 فقد قدم نصيحته بحكمة، فأقنعه. عندئذ
 شعر أتباعه بالسعادة وهم ينزعون أسلحته من فوق أكتافه.
 وبعد ذلك وقف نيستور بين الأرجيين وخاطبهم قائلاً :

" آه ثم آه، لقد حل بأرض آخايا حزن عظيم.

١٢٥

وسوف يئن وينتحب الفارس الأشيب بيليوس

ذلك الخطيب البارع، ناصح الميرميديين الشجاع
الذى سألتنى ذات مرة وأجبتة فى منزله، وملأت نفسه بالسعادة
عندما عرف منى نسب جميع الأرجيين وأصلهم.

فإذا سمع الآن أنهم يرتعدون خوفاً ويهربون أمام هيكتور

١٣٠

فسوف يرفع يديه الغاليتين ويتضرع للخالدين

أن تنسل روحه من أعضائه وتذهب إلى مقر هاديس

ليبتى، يا أبانا زيوس ويا أثينة وأبوللون،

كنت شاباً مثلما كنت، عند نهر كيلادون سريع الجريان،

عندما احتشد البيليون والأركاديون المشهورون برماحهم، للقتال،

١٣٥

تحت أسوار فيا، بشأن مياه نهر ياردانوس.

عندما وقف إريوثاليون، بطلهم شبيه الآلهة

واضعاً حول كتفيه أسلحة الملك أريثوؤس،

أريثوؤس الشجاع، الذى كان يلقب بحامل الصولجان.

فقد اعتاد الرجال واعتادت النساء، ذوات الأحزمة الجميلة،

١٤٠

تسميته بذلك لأنه لم يكن يحارب بالقوس ولا بالرمح الطويل،

وإنما كان يشنت جموع المحاربين (المعادين) بصولجان حديدى،

وقد تمكن ليكورجوس من قتله بالمكر، وليس بالشجاعة،

فى ممر ضيق، ولم يكن معه صولجانه الحديدى

ليدفع الموت عن نفسه، فأسرع ليكورجوس

١٤٥

وضربه برمح فى وسطه، فسقط على ظهره أرضاً،

فجرده من أسلحته التى منحها له الإله آريس، ذو الدرع

البرونزى. ثم استخدم ليكورجوس نفسه هذا الصولجان بعد ذلك

- فى القتال. وعندما بلغ ليكورجوس المشيب فى قصره،
أعطاه لتابعه المفضل إريوثاليون، والذي
١٥٠ كان فى إمكانه تحدى أقوى الرجال عند استخدامه،
وأصبحوا يخافونه ويخشونه بشدة، ولم يجازف أحدهم بمنازلته
ورغم ذلك، فقد حثتتى روحى الثائرة على القتال
واستفزت شجاعتي. رغم أننى كنت أصغر الموجودين سناً
كنت أنا من تصدى له، ومنحتتى الربة أثينة المجد.
١٥٥ وكان أضخم وأقوى رجل قتلته فوقع على الأرض
فاقد الوعى تماماً منبطحاً كجذع شجرة ضخمة تمددت
ذات اليمين وذات اليسار. ليتتى أعود شاباً مرة أخرى، وليت قوتي
ظلت كما كانت، لكنى قد نازلت بسرعة هيكتور، ذا الخوذة
اللامعة، فمن بينكم، رغم أنكم أفضل الأخيين طراً،
١٦٠ لا يوجد من يتحمس للذهاب لمواجهة هيكتور."
هكذا وبخهم الشيخ المسن، فهب تسعة منهم
وكان أجاممنون، ملك الرجال أولهم جميعاً،
وتبعه ابن تيديوس الشجاع، ديوميديس.
وبعده قام الثنائى أياس، العنيدان
١٦٥ ثم تلاهما إيدومينيوس ورفيقه فى القتال
ميريونيس، نظير إينوالْيوس، قاتل الرجال.
ثم يوريبيلوس بن يوايمون العظيم.
وبعده قام ثواس بن أندرايمون، ثم أوديسيوس الإلهى.
هبوا جميعاً يريدون منازل هيكتور شبيه الآلهة.
١٧٠ فخطبهم نيستور الفارس الجيرينى، قائلاً:

"والآن لتجروا القرعة (*) بينكم لنحدد من سيقع عليه الاختيار

فإنه بحق سوف يفيد الأخيين، لابسى الدروع
كما أنه سوف يستفيد أيضاً، إذا ما تمكن من النجاة
من الحرب الشرسة والقتال الرهيب".

١٧٥

هكذا قال، فحمل كل منهم قرعته

وألقاها فى خوذة أجامنتون، بن أتريوس.

وشرع الجميع فى التضرع للآلهة وهم يرفعون أيديهم عاليًا
واتجه كل منهم ببصره للسماء العريضة قائلاً :

"يا أبانا زيوس، لتجعل القرعة من نصيب أياس

١٨٠

أو ابن تيديوس أو ملك موكيناي الغنية بالذهب".

هكذا تضرعوا، وقام نيستور، الفارس الجبريني

بهز الخوذة، فظهرت قرعة البطل الذى أرادوه :

أياس. فحملها أحد الرسل وطاف على الحشد

الذى يضم الأخيين جميعًا من اليسار إلى اليمين.

١٨٥

وعندما عرضها عليهم لم يتعرف واحد منهم عليها

ولكن عندما وصل، بعد أن حملها عبر الحشد كله، إلى

البطل الذى كتب العلامة ووضعها فى الخوذة، أياس المجيد،

مد يديه، ووضعها الرسول الواقف على مقربة منه، فى يده.

وعندما رأى أياس العلامة الموضوعة على القرعة تعرف عليها

١٩٠

وانشرح صدره، ثم ألقاها على الأرض وصاح قائلاً :

"أيها الأصدقاء هذه هى قرعتى، وقد سعدت بذلك

(*) القرعة κληρος كانت الطريقة المتبعة للاختيار فيما بين مجموعة من الرجال. ويحدد كل منهم علامة على شقافة أو قطعة من الحجر تدل عليه وتوضع العلامات جميعاً فى خوذة أو إناء ، ويتم السحب بطريقة عشوائية ، فيفوز من تخرج علامته أو قرعته أولاً . كانت هذه الطريقة تستخدم فى أثينا لاختيار من يتولى بعض المناصب.

- نفسى. فإننى أعتقد أننى سوف أهزم هيكتور شبيه الآلهة.
ولكن، بينما أضع أسلحتى على جسدى، هيا
لترفعوا الصلوات للملك زيوس، بن كرونوس
سرا فيما بينكم حتى لا يسمعكم الطرواديون.
١٩٥
أو حتى صلوا جهراً، فإننا لا نخشى أحداً على أية حال.
فإنه ما من شخص يستطيع أن يحملنى على الفرار رغماً عني
سواء بالقوة أو بالحيلة، حيث أعتقد أننى لست إنساناً بسيطاً
وقد ولدت فى سلاميس وترعرعت فيها".
- ٢٠٠
هكذا قال، فتضرعوا للملك زيوس، بن كرونوس.
وقال كل منهم وهو يتطلع للسماء الفسيحة الأرجاء :
" أبانا زيوس، يا من تحمى جبل إيدا، يا أعظم الآلهة وأكثرهم
مجداً مكن أياس من إحراز النصر ونيل الشرف والمجد.
أما إذا كنت تحب هيكتور وتهتم بأمره
فلمنحهما قوة ومجداً متساويين".
- ٢٠٥
هكذا قال كل منهم متضرعاً، بينما كان أياس يرتدى سلاحه
البرونزى البراق. وعندما انتهى من وضع جميع أسلحته على جسده
انطلق مسرعاً، مثل أريس الضخم،
إلى القتال، وسط الرجال الذين حشدتهم ابن كرونوس
ليشاركوا فى الحرب، التى تأكل القلوب غضباً.
- ٢١٠
هكذا اندفع أياس الضخم، حصن الأخيين،
وهو يضع ابتسامة خفيفة على وجهه المخيف، وأقدامه من تحته
تمشى بخطوات واسعة، وهو يلوح برمحه الطويل.
وصاح حشد الأرجيين فى سرور عند رؤيته،
بينما تملك الطرواديون خوف رهيب فكك أوصال كل منهم.
- ٢١٥

- وتسارعت دقات قلب هيكتور داخل صدره،
 فلم تعد هناك وسيلة للهرب أو التراجع
 أمام شعبه، فهو الذى دعا للنزال.
 واقترب أياض حاملاً درعه البرونزى
 الذى يشبه البرج والمصنوع من سبع طبقات من جلد الثور. ٢٢٠
 وقد صنعه له تيخيوس، أفضل صانعى الجلود فى هولى، بمهارة
 فائقة. لقد صنع الدرع البراق من سبع طبقات
 من جلد الثيران السمينة، وصنع الطبقة الثامنة من البرونز.
 حمل أياض التيلامونى درعه أمام صدره
 ووقف على مقربة من هيكتور وهدده قائلاً : ٢٢٥
 "هيكتور، سوف ترى الآن بوضوح، ونحن نقف رجلاً لرجل
 أى نوع من الرجال بقى بين قادة الدانائيين،
 حتى بعد غياب أخيلئوس، مشتت صفوف المحاربين، فى شجاعة
 قلب الأسد. حقاً إنه يرقد الآن فى سفنه المقوسة التى تمخر العباب
 إلى أبعد البحار بعد أن سيطر على نفسه غضب جامع ضد
 أجاممنون، راعى الشعوب. ولكن بقى بيننا كثيرون قادرون ٢٣٠
 على منازلتك. فليبدأ المعركة وليبدأ القتال."
 فأجابه هيكتور المجيد، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً :
 " أياض، ياسليل زئوس، أيها التيلامونى، يا قائد الشعوب،
 لا تتعامل معى وكأننى غلام ضعيف ٢٣٥
 أو امرأة لا تعرف فنون الحرب .
 فقد رأيت ما فيه الكفاية من الحروب وقتل الرجال
 وإننى لخبير فى التعامل بالدروع المصنوعة من جلد الثيران
 المجفف، فأنا أعرف كيف أديرها يميناً ويساراً، وأعرف كيف أشتبك فى

- ٢٤٠ حرب شرسة، كما أعرف كيف أندفع للقتال بخيولى السريعة،
وأعرف جيداً كيف أردد لأريس أنشودة الحرب الضروس.
ولكننى لا أقتل بطلاً مثلك، مترصداً له
سرّاً، ولكننى أنوى أن أطيح بك فى العلن".
هكذا قال، وسحب رمحه الطويل وقذف
به درع أياص الرهيب المكون من سبع طبقات
من الجلد وتعلوه طبقة ثامنة من البرونز،
فمرق السهم البرونزى الذى لا يقهر من خلال الطبقات السبع
ووصل إلى الطبقة الثامنة من الدرع. وعندئذ
استل أياص، سليل زيوس، رمحه الطويل
٢٥٠ وضرب به درع ابن برياموس متين التوازن،
فنفذ الرمح القوى من خلال الدرع اللامع
ومرق خلال درع الصدر المزخرف بسخاء
ومزق عباءته بجوار ضلوعه مباشرة.
لكن (هيكتور) مال فتجنب الموت الأسود.
وفى نفس اللحظة سحب كل منهما رمحه الطويل بيده
٢٥٥ وهجم كل منهما على الآخر، كما لو كانا أسدين ضاريين
أو خنزيرين بريين متوحشين لا تقهر قوتهما.
وبعد ذلك صوب ابن برياموس رمحه فى منتصف درع أياص
ولكن الرمح البرونزى لم ينفذ خلاله، فقد انثنى سنه.
٢٦٠ فوثب أياص وطعنه فى درعه ونفذ الرمح
خلال الدرع، فترنح المحارب القوى من جراء الهجوم
وشق الرمح طريقه إلى عنقه، فقطعه وتدفق الدم الأسود.
ولكن هيكتور ذو الخوذة اللامعة لم يتوقف عن القتال

- ولكنه سحب حجراً أسود، ضخماً وحاداً مدبباً، كان ملقى
 ٢٦٥ في السهل ورفع به بيده الضخمة.
- وضرب به درع أياس الرهيب، المكون من سبع طبقات
 فجاءت الضربة في منتصف الدرع، فدوى صوت البرونز.
 عندئذ رفع أياس بدوره حجراً كبيراً جداً
 وقذفه بسرعة واضعاً فيه كل قوته
- ٢٧٠ وضرب الدرع بالحجر الذى يشبه حجر الطاحونة فمزقه،
 ثم سقط الحجر على ركبتى هيكتور الغاليتين فأصابهما. فسقط
 ممدداً تحت درعه المحطم. ولكن أبوللون رفعه فى الحال.
 وكادا أن يلتحما فى قتال بالسيوف،
 لولا وصول الرسل، مبعوثى زيوس والبشر.
- ٢٧٥ وكان أحدهما موفداً من قبل الطرواديين والآخر من الآخيين،
 لابسى البرونز. تالشيبيوس و إيداىوس وكان كل منهما ذا عقل راجح
 ووقفا بين المتحاربين وهما يمسكان بصولجانيهما. وصاح
 إيداىوس صاحب النصح السديد قائلاً :
- " لتكفا يا ولدى الحبيبين عن الصراع والقتال
 ٢٨٠ فإن زيوس، جامع السحب، يحب كلا منكما
 وكل منكما يجيد استخدام الرمح كما نعرف جيداً.
 لقد أقبل الليل بالفعل ومن الخير أن تخضعا لحكمه ".
 فأجابه أياس التيلامونى بقوله :
- " إيداىوس، فلتأمر هيكتور بهذا القول
 فهو الذى كان قد دعى أفضل القادة جميعاً للنزال
 ٢٨٥ فليبدأ، وسوف أمتثل تماماً إذا ما فعل ".
 عندئذ أجابه هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً :

"أيأس، حيث إن الإله قد حباك بنعمة عظيمة سواء في القوة

أو في الحكمة، كما إنك أمهر الأخيين في استخدام الرمح

٢٩٠

فدعنا الآن نتوقف عن القتال

والنزال. على أن نستأنفه فيما بعد إلى أن يحكم الإله

فيما بيننا، ويمنح أحدا النصر.

لقد أقبل الليل بالفعل. ومن الخير لنا الخضوع لحكمه.

حتى تتمكن من إسعاد جميع الأخيين الموجودين في السفن

٢٩٥

وخاصة أقاربك ورفاقك الموجودين معك.

أما أنا فسوف أسعد قلب الطرواديين والطرواديات، ذوات الثياب

الطويلة، في أنحاء مدينة الملك برياموس العظيمة.

اللائى سوف يدخلن معابد الآلهة ويصلين من أجلى.

ولكن دعنا نتبادل الهدايا(*) القيمة، أحدا مع الآخر،

٣٠٠

حتى يقول قائل من الأخيين أو الطرواديين:

لقد تصارع الاثنان في قتال، يلتهم القلوب،

ولكنهما اتفقا بعد ذلك وافترقا صديقين ودودين".

هكذا قال، ثم أعطاه سيفه المرصع بالفضة،

ومعه غمده الذى يضعه فيه، وحمالاته الجلدية الجميلة.

٣٠٥

فأعطاه أيأس بدوره حزامًا براقًا قرمزي اللون(**)

وافترقا الاثنان. فذهب أحدهما إلى حشود الأخيين

(*) حول تبادل الهدايا بين الأعداء انظر "بنات تراخيس" و "أيأس" لسوفوكليس وراجع:

Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis, pp. 108, 112, 118 n.3, 128, 162, 165, 185 n.3 etc.

(المحرر)

(**) اللون القرمزي أو الأرجواني في اليونانية يشتق من اسم الفينيقيين Phoinikes لأن أقدم من اكتشف هذا اللون وأول من استخدمه هم الفينيقيون .

- بينما عاد الآخر إلى الطرواديين. فسعدوا
برؤيته وقد عاد إليهم حيًا وسالمًا مرة أخرى،
وبأنه قد أفلت من بأس أياس ويديه اللتين لا تقهران.
فقادوه إلى المدينة بعد أن كادوا يفقدون الأمل في نجاته.
بينما قاد الآخيون لابسو الدروع أياس
إلى الناحية الأخرى، إلى أجاممنون المجيد، مزهوًا بانتصاره.
وعندما وصلوا إلى خيام ابن أتريوس
ذبح أجاممنون، ملك الرجال، ثورًا لهم،
عمره خمس سنوات، قدمه قربانًا لابن كرونوس القوى
سلخوا جلده وأعدوه، وقطعوه إلى أجزاء
ووضعوا قطع اللحم في السفود بمهارة فائقة.
وقاموا بشوائها بعناية، ثم نزعوا السفود.
وعندما انتهوا من مهمتهم وأصبحت الوجبة جاهزة
أقاموا وليمتهم. فلا توجد نفس لا تهفو لوليمة جيدة.
وكرم البطل ابن أتريوس أجاممنون، واسع الملك،
أياس وأعطاه ظهر الثور كله.
وعندما نالوا كفايتهم من الطعام والشراب،
وقبل الجميع، قام الشيخ المسن نيسطور ليعلن نصيحته في حكمة،
فقد ظهر من قبل أن رأيه هو أفضل الآراء
وأنه يجيد الحكم على الأشياء، فخاطبهم قائلاً :
" يا ابن أتريوس، ويا زعماء الآخيين جميعًا
لقد لقي كثير من الآخيين ذوى الشعر الطويل حتفهم
لقد أسال أريس القاسى دمهم القانى حول
نهر سكماندروس سريع الجريان، ونزلت أرواحهم إلى هاديس.
لذا يجب عليك أن تمنع الآخيين من الحرب

٣١٠

٣١٥

٣٢٠

٣٢٥

٣٣٠

- ثم نتجمع لننقل جثث الموتى
بالعربات التي تجرها الثيران والبغال ثم نحرقها
على مقربة من السفن، حتى يتمكن
كل فرد من حمل جثث ذويه
إلى أولادهم، عندما نعود إلى أرض الوطن.
ولنقم قبرًا واحدًا حول المحرقة
يضم رفات الجميع في الوادي. ولنشيد بسرعة
الأبراج العالية لتكون حصنًا لنا ولسفننا،
ولنصنع فيها بوابات محكمة الغلق،
حتى تكون طريقًا تعبر من خلاله عرباتنا.
ومن الخارج، نحفر خندقًا عميقًا بالقرب منه
ليمنع عنا هجوم الجياد والفرسان،
حتى لا تتساقط علينا هجمات الطرواديين المتعاليين".
هكذا قال، ووافق جميع الملوك.
- بينما عقد الطرواديون في قمة مدينة إليون
اجتماعًا صاخبًا ورهيبًا، بجوار بوابات برياموس.
وكان أنتينور الحكيم أول من بدأ الحديث، وقال :
" اسمعوني أيها الطرواديون والداردانيون
وأيها الحلفاء، حتى أقول لكم ما يحدثني
به قلبي الكائن في صدري،
هيا بنا نعيد هيليني الأرجية وكل ممتلكاتها
إلى أبناء أتريوس. فإننا نقاتل الآن.
بعد أن ثبت حنثنا بعهودنا الموثقة، فلا مكسب

سوف يتحقق لنا، كما أتوقع، إذا لم نفعل ما أشير به "

وما إن قال هذه الكلمات حتى جلس. عندئذ وقف وسطهم

٣٥٥

ألكسندروس المبجل، زوج هيلينى جميلة الشعر.

فأجابه بكلمات مجنحة قائلاً :

" أنتينور إن ما نطقت به لا يعجبني مطلقاً.

فأنت تعرف كيف تتطرق بحديث أفضل من هذا.

ولكن إذا كنت جاداً بالفعل فيما تقول

٣٦٠

فلا بد أن الآلهة قد أنلفت عقلك.

والآن سوف أتحدث وسط الطرواديين، مروضى الخيول :

إننى أعلن بكل صراحة أنني لن أعيد زوجتى أبداً.

أما عن الممتلكات التى أحضرتها من أرجوس إلى منزلى،

فإننى أزمع ردها كلها وسوف أضيف إليها المزيد من ثروتى "

٣٦٥

وما إن قال هذا حتى جلس، ونهض من

وسطهم برياموس بن داردانوس، نظير الآلهة فى سداد الرأى

والنصح، وتحدث راجح العقل وخاطبهم قائلاً :

" لتسمعونى أيها الطرواديون والداردانيون ويا أيها الحلفاء،

حتى أقول لكم ما يحدثنى به قلبى الكائن فى صدرى.

٣٧٠

لنتناولوا الآن عشاءكم المعد فى أنحاء المدينة كسابق عهدكم،

وليتذكر كل منكم الحراسة، وليجلس منتبهاً.

وعند الفجر، ليذهب إيذايوس إلى السفن المجوفة

حاملاً لولدى أتريوس، مينيلأوس وأجاممنون،

حديث ألكسندروس، الذى تفجرت الحرب بسببه.

٣٧٥

وعليه أن يعلن هذه الكلمة الحكيمة: إذا ما أرادوا

لنوقف هذه الحرب الكريهة، حتى نتمكن من إحراق

الجثث. وبعد ذلك لنستأنف الحرب مرة ثانية، إلى أن
يمنح أحد الآلهة النصر لأحدنا".

هكذا تحدث واستمعوا إليه باهتمام، ثم أطاعوا قوله.

٣٨٠ فتناولوا العشاء على هيئة جماعات في جميع أنحاء الجيش .

وعند بزوغ الفجر شق إيداويوس طريقه إلى السفن

المجوفة ووجد الدانائيين، سدنة آريس، مجتمعين،

على مقربة من مقدمة سفينة الملك أجاممنون. فوقف

الرسول في وسطهم وصاح عاليًا مخاطبًا جمعهم :

٣٨٥ "يا ابن أتريوس، ويا كافة قادة الأخيين الآخرين،

لقد أمرني برياموس وباقي الطرواديين النبلاء

أن أعلن لكم عرض ألكسندروس، الذي قامت الحرب

بسببه، عله يجد منكم قبولاً ورضاً.

إن كل الممتلكات والثروات التي أحضرها في سفنه المجوفة

٣٩٠ إلى وطنه طروادة، وليته هلك قبل وصوله إليها،

فإنه يرغب في ردها كلها وسوف يضيف إليها من ممتلكاته

الخاصة، ولكنه لن يرد تلك المرأة التي كانت زوجة

لمينيلاؤس المبجل. رغم أن الطرواديين يحثونه على فعل ذلك.

كما أمروني أن أعلن لكم هذا الرأي أيضًا، فإذا ما رغبتُم

٣٩٥ فلنوقف هذه الحرب الكريهة حتى يتسنى لنا حرق

جثث الموتى. ولنستأنف الحرب فيما بعد حتى يحكم

أحد الآلهة بيننا، ويمنح النصر لأحدنا".

هكذا قال، واستمع إليه الجميع في صمت مطبق.

وبعد برهة، قال ديوميديس البارع في صيحة القتال :

٤٠٠ "لا تدعوا أحدًا منكم يقبل ثروة ألكسندروس،

ولا حتى عودة هيليني. فقد أصبح معروفاً، حتى لطفل لا يفهم،
أن مصير الخراب قد حل بالفعل على الطرواديين."

هكذا قال، فصاح أبناء الآخيين جميعاً

مستحسنين حديث ديوميديس، مروض الجياد.

عندئذ رد الملك أجاممنون على حديث إيداوس قائلاً :

٤٠٥

" لقد استمعت بنفسك يا إيداوس إلى حديث الآخيين

وهذا ردهم على ما عرضت. وهو رد يسعدني.

أما بالنسبة لجثث الموتى، فإنني لا أعترض على حرقهم

فقد ماتوا وأصبحوا مجرد جثث،

ويجب ألا نبخل عليهم بوضعهم في المحرقة على جناح السرعة.

٤١٠

وليشهد زيوس، ذو الرعود الصاعقة، زوج هيرا على عهودنا."

هكذا قال، ثم رفع صولجانه تحيةً لجميع الآلهة.

وانطلق إيداوس عائداً إلى إليون المقدسة.

وكان الطرواديين والداردانيون جميعاً يجلسون

مجتمعين في انتظار عودة الرسول

٤١٥

إيداوس. وعندما عاد وقف في وسطهم

وأعلن لهم الرد على رسالتهم. فاستعدوا بمنتهى السرعة.

وانطلق بعضهم لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر لإحضار

الأخشاب. وعلى الناحية المقابلة، انطلق بعض الأرجيين من

السفن ذات المقاعد المثينة لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر

٤٢٠

لإحضار الأخشاب. وعادت الشمس لتسطع من جديد على الحقول

بعد أن بزغت من مياه المحيط (الأوكيانوس) العميقة هادئة

الجريان وارتفعت في السماء. وهنا تقابل الفريقان.

وكان من الصعب التعرف على شخصية القتلى،

- ولكنهم غسلوا الجثث بالماء لإزالة الدم المتخثر،
 وذرّفوا الدموع الساخنة عليها، ثم حملوها فوق العربات
 ومنعهم برياموس المجيد أن يجهشوا بالبكاء بصوت عال. وفي
 صمت وضعوا الموتى في أكوام على المحرقة وقلوبهم مفعمة
 بالأسى. وبعد أن أشعلوا فيهم النيران عادوا إلى اليون المقدسة.
 ٤٢٥ ومن الناحية الأخرى، كان الآخيون لابسو الدروع
 يضعون جثث موتاهم فوق المحرقة وقلوبهم مفعمة بالحزن
 وبعد أن أضرموا فيهم النيران عادوا إلى سفنهم المجوفة.
 وبينما كان الفجر لم يبرز بعد، وفي ظلمة الليل،
 اجتمعت نخبة مختارة من الآخيين حول المحرقة
 ٤٣٠ وشرعوا في تشييد قبر واحد حولها
 يضم الجميع، بإحضار التراب من الوادى. وعلى مقربة منه أقاموا
 حائطاً زودوه بأبراج عالية، حماية لهم ولسفنهم.
 وبنوا في وسطه بوابات متينة
 تصلح أن تكون طريقاً تعبر من خلاله العربات.
 ٤٤٠ ومن الخارج حفروا خندقاً عميقاً
 كبير الحجم وعريضاً، وثبتوا فيه أوتاداً محكمة.
 هكذا كان الآخيون، ذوو الشعر الطويل، يعملون
 بينما جلس الآلهة حول زيوس، إله البرق، وهم ينظرون
 بإعجاب لهذا الجهد العظيم الذى يبذله الآخيون، لابسو البرونز.
 وبدأ بوسيدون، مزلزل الأرض، الحديث وخاطبهم قائلاً :
 ٤٤٥ "أبانا زيوس، هل يوجد واحد من البشر على الأرض التى
 لانهاية لها لا يزال يخبر الآلهة الخالدين عما يدور فى عقله، وعن نيته

- المبيّنة ؟ ألا ترى أن الآخيين ذوى الشعر الطويل قد أقاموا
مرة أخرى حائطاً من أجل حماية سفنهم، وحفروا
٤٥٠ حوله خندقاً، ولم يقدموا القرايين الفخمة للآلهة ؟
وسوف تمتد شهرة هذا الحائط إلى حيث يسطع ضوء النهار
وسوف يطوى النسيان ذلك الحائط الذى بنيناه أنا وأبوللون
فويبوس (الوضاء) للبطل لاؤميدون، وتكبدنا مشقة بنائه ".
فغضب زيوس جامع السحب، وأجابه قائلاً :
٤٥٥ " سحقاً لك يا مزلزل الأرض، ما هذا الذى تقوله أيها القوى ؟
قد يخشى إله آخر غيرك من هذا الشعور،
إله أقل منك، أضعف فى القدرة والقوة.
إن شهرتك تصل إلى كل مكان يشرق عليه ضوء النهار.
فاذهب وانظر، فإذا ذهب الآخيون، ذوى الشعر الطويل،
٤٦٠ ليعودوا بسفنهم ثانية إلى أرض وطنهم الحبيبة
فحطم الحائط وبعثره فى جميع أنحاء البحر،
ولتكسو الشاطئ الكبير بالرمال مرة أخرى،
بعد أن ترى أن حائط الآخيين الكبير قد تحطم ".
هكذا خاطب كل منهما الآخر
حتى غربت الشمس وأتم الآخيون عملهم،
٤٦٥ فذبحوا الثيران فى جميع أنحاء المعسكر وتناولوا عشاءهم.
وكانت السفن العديدة قد أحضرت الخمر
من ليمنوس. فقد أرسلها إيونيوس بن ياسون،
والذى أنجبته هيبسبيلى من ياسون راعى الشعوب.
٤٧٠ لقد أرسل ابن ياسون ألف مكيال من النبيذ
لولدى أترىوس، أجاممنون ومينىلاؤس، وخدمهما.

- واشتري الآخيون ذوو الشعر الطويل حاجتهم من الخمر،
 لقد اشتراه بعضهم بالبرونز، وبعضهم بالحديد اللامع
 وآخرون مقابل الدروع المصنوعة من جلد الثيران، والبعض
 الآخر بالثيران الحية، والبعض الآخر مقابل العبيد .
 ٤٧٥
 ثم أقاموا مأدبة فاخرة. واستمر الآخيون ذوو الشعر الطويل
 يحتفلون بالولائم طوال الليل، وكذلك فعل الطرواديون والحلفاء
 في طروادة. وظل زيوس ذو المكر يدبر لهم المكائد
 طوال الليل، ويرسل الرعد المخيف. فأصابهم الشحوب من شدة
 ٤٨٠
 الخوف، وسكبوا الخمر على الأرض من الكئوس. ولم يجرؤ
 واحد منهم. أن يشرب قبل أن يسكب الخمر تقريباً لابن كرونوس القوى.
 ٤٨٢
 ثم خلدوا بعد ذلك للنوم ليستمتعوا بهذه الهدية.

الكتاب الثامن



ترجمة منيرة كروان

- ونشرت إلهة الفجر، ذات الرداء الزعفراني، الضياء في أنحاء الأرض. أما زيوس، المتمتع بالصاغة، فقد عقد اجتماعاً للآلهة على أعلى قمة في الأوليمبوس، متعدد القمم. وبينما كان جميع الآلهة يرهفون السمع تحدث زيوس قائلاً:
- ٥ "أيها الآلهة وأيتها الإلهات لتسمعنني حتى أقول لكم ما يحدثني به قلبي الكائن في صدري. لا يحاول أحدكم أبداً، إلهاً كان أم إلهة، أن يعارض رأيي، ولتقوموا جميعاً بالموافقة عليه، حتى أستطيع تحقيق هذه المهام بسرعة.
- ١٠ فإن من أشعر أنه ينفرد دون الآلهة ويرغب في الذهاب لمساعدة الطروديين أو الداناتيين، فسوف يعود إلى الأوليمبوس وقد عاقبته بقسوة، أو سوف أمسك به وأقذفه إلى تارتاروس المظلمة أسفل سافلين، في أعماق الأرض،
- ١٥ حيث توجد البوابات الحديدية والطريق البرونزي. الهرة التي تتعد عن هاديس بمقدار بعد السماء عن الأرض. وسوف يعرف عندئذ أنني أقوى الإلهة أجمعين. فهيا حاولوا أيها الآلهة، وسوف تعرفون جميعاً أنكم لو ربطتم حبالاً متيناً من الذهب، وأنزلتموه من السماء العالية
- ٢٠ وأمسكتم به جميعاً، آلهة وإلهات، فلن تستطيعوا إنزال زيوس أحكم الحكماء، من السماء إلى الأرض، حتى لو بذلتم أقصى ما في وسعكم. ولكن إذا حاولت أنا أن أشده
- فسوف أجركم ومعكم الأرض نفسها والبحر.
- ٢٥ وإذا ما لففت الحبل حول إحدى قمم الأوليمبوس وربطته فيها، فسوف يظل الكون كله معلقاً.

- بهذا القدر أتفوق أنا على جميع الآلهة والبشر .
هكذا قال واستمع إليه الجميع في صمت
من فرط إعجابهم بحديثه، فقد كان يتحدث بثقة تامة.
وأخيراً تكلمت الربة أثينة، زرقاء العينين وقالت:
٣٠ " يا أبانا يا ابن كرونوس، يا أقوى الآلهة،
إننا نعرف تماماً أن قوتك لا تقهر .
ولكننا رغم ذلك نشعر بالحزن على الرماحين الدائنين
الذين قد يكون من نصيبهم أن يهلكوا بعد أن فاض بهم الكيل من
سوء المصير. وسوف ننسحب من هذه الحرب، كما أمرتنا ،
٣٥ ولكننا سوف نقدم للأرجيين نصيحة قد تفيدهم،
حتى لا يهلكوا جميعاً بسبب غضبك عليهم ."
فأجابها زيوس، جامع السحب، وهو يبتسم بقوله:
" لا تخافى ياطفتى الحبيبة أثينة تريتوجينيا(*)، فأنا لا أتكلم
٤٠ الآن بصرامة، وإننى لأرغب أن أكون رفيقاً بك ."
هكذا قال، ثم ربط إلى عربته خيوله سريعة الركض
ذات الحافر البرونزى والعرف الذهبى الطويل.
ووضع رداءه الذهبى على جسده، وأمسك بسوطه
الذهبى رائع الصنع، وأعتلى عربته
٤٥ وضرب الخيل بسوطه لتنتطق، فشرعت فى الركض
وانطلقت بين الأرض والسماء المزينة بالنجوم.
فوصلت إلى جبل إيدا، كثير ينبابيع، حاضن الوحوش،
إلى جارجاروس، حيث يوجد مذبحه المقدس الفواح بالعبير .

(*) يشير هومروس هنا لأثينة بأحد أسمائها وهو (Τριτογενεια) وقد اختلفت وجهات النظر فى تفسير معنى هذه الكلمة ، فالبعض ينسبها لبحيرة (Τριτωνίς) بليبيا والى ولدت الربة على مقربة منها، بينما ينسبها البعض الآخر للصفة (Τριτος) أى الثالث. فيقولون إنها ولدت فى ثالث يوم من الشهر أو إنها ولدت بعد أبوللون وأرتيميس فكانت الطفلة الثالثة.

- وهناك أوقف أبو البشر والآلهة جباهه
 وحل قيودها من العربة، ونشر حولها ضباباً كثيفاً. ٥٠
 وجلس فوق القمة، مزهواً بجلاله
 وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وسفن الأخيين.
 وتناول الآخيون ذرو الشعر الطويل عشاءهم
 في المعسكر على عجل، ثم وضعوا أسلحتهم على أجسادهم.
 وفي الجانب الآخر، كان الطرواديون يسلحون أنفسهم أيضاً في ٥٥
 أنحاء المدينة. كانوا أقل عدداً، بيد أنهم كانوا شديدي الحماس
 للقتال بسبب حاجتهم الملحة للدفاع عن أولادهم وزوجاتهم.
 وعندما فتحت البوابات كلها، اندفع شعب طروادة،
 مشاة وفرساناً، وارتفعت جلبة شديدة.
 وعندما جاء الجيشان والتقيا في مكان واحد ٦٠
 تصادمت الدروع والرماح مع بعضها البعض، وثار غضب
 المحاربين لابسى الدروع البرونزية. وكانت الدروع ذات الصرة
 في المنتصف تتصادم مع بعضها البعض فتثير الصخب
 والضجيج. واختلطت أصوات النحيب مع صيحات النصر،
 والقاتل بالقتيل، وتخضبت الأرض بالدماء. ٦٥
 وبعد للفجر ومع تقدم النهار المقدس ومرور الوقت
 ظلت الرماح تسقط بغزارة على الجانبين، وتوالى سقوط الرجال.
 وعندما صعدت الشمس إلى منتصف السماء،
 أمسك الأب (زيوس) بكفتي الميزان الذهبيتين
 ووضع فيهما مصريين من الموت الرهيب ٧٠
 واحداً للطرواديين مروضى الخيول، والآخر للأخيين لابسى
 البرونز. وأمسك الميزان من منتصفه ورفع. فسقط يوم موت
 الأخيين، لقد سقطت أقدار الأخيين إلى الأرض وافرة الثمرات،
 بينما ارتفعت أقدار الطرواديين إلى السماء الفسيحة.

- عندئذ أَرعد (زيوس) بقوة وأرسل البرق من أيّدا
 وأسقط نيرانه المشتعلة وسط الأخيين. فلما رأوا ذلك
 ذهلوا وأصابهم الخوف بالشحوب.
 عندئذ لم يجرؤ أيډومينيوس على البقاء، ولا أجاممنون
 ولا البطلان الثنائي أياس، خادما أريس.
 وبقي نيسطور الجبريني، حارس الأخيين وحيداً.
 ولم يبق نيسطور برغبته، ولكن جواده كان قد أصيب بجرح
 عندما ضربه ألكسندروس الثبيل، زوج هيليني جميلة الشعر،
 في مقدمة رأسه، حيث تنبت الشعيرات الأولى
 في أعلى جبهة الجواد، وهي المقتل.
 وقفز الجواد من الألم عندما دخل السهم في جبهته
 وأثار الارتباك وسط بقية الجياد وهو يتألم من طعنة السهم البرونزي.
 عندئذ ضرب الشيخ الطاعن في السن سيور الجواد الجلدية
 بسيفه فقطعها، ولكن خيول هيكتور السريعة
 جاءت وراءه حاملة قائدًا شجاعًا
 هو هيكتور نفسه. عندئذ كاد الشيخ المسن أن يفقد حياته
 لو لم ينتبه إليه بسرعة ديوميديس البارع في صيحة القتال.
 فقد صاح في أوديسيوس بصوت مرعب، واستحثه قائلاً:
 "أوديسيوس يا ابن لائيرتيس، ياسليل زيوس ويا واسع الحيلة
 إلى أين تهرب وسط الحشود مولياً الأديار كالجبان.
 انتبه حتى لا يرميك أحدهم بسهم في ظهرك أثناء هروبك ولتنتظر
 معي حتى ندفع عن الشيخ الطاعن في السن عدوه الشرس بعيداً".
 هكذا قال، ولكن أوديسيوس الإلهي، شديد الجلد لم
 يصغ إليه واندفع مسرعاً إلى سفن الأخيين المجوفة.
 ولكن ابن تيديوس اندفع إلى الصفوف الأولى، رغم أنه كان
 بمفرده ووقف أمام عربة ابن نيلئوس المسن

وصاح مخاطبًا إياه بكلمات مجنحة:

- "أيها الشيخ، لقد ضيق عليك المحاربون الشبان الخناق،
وقد ضعفت قوتك، وتَضَغَط عليك الشيخوخة
بشدة، كما أن تابعك ضعيف وجيادك بطيئة.
١٠٥ فلتركب في عربتي حتى تعرف
كيف تكون الجياد الطروادية التي تعرف كيف
تكر وتفر هنا وهناك بسرعة كبيرة في السهل.
فهي التي استوليت عليها ذات مرة من آينياس، الذي يبعث الخوف
في النفوس. إن تابعي سوف يعتنيان بجيادك، ولكن دعنا
١١٠ نطارد بعربتي الطرواديين، مروضي الخيول، حتى يعرف
هيكثور نفسه أن رمحي أيضًا قد يبلغ حد الجنون في غضبه."
هكذا قال، فأطاعه نيسثور الفارس الجيريني.
أما عن جياد نيسثور، فقد تولى أمرها خادماه
القويان، سثينيلوس ويوريميدون الشجاع
١١٥ بينما ركب البطلان في عربة ديوميديس
وأمسك نيسثور ببديه أعنة الجياد اللامعة
وضرب الجياد بسوطه، فاقتربت بسرعة من هيكتور،
واندفع ابن تيديوس تجاهه وكله حماس، وصوب سهمه
تجاهه ولكنه أخطأه، وأصاب تابعه الذي يقود عربته
١٢٠ إنيوبوس، بن ثيبايوس، المقدام
والذي كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه في صدره بجوار ثديه.
فسقط من العربة وانحرفت الجياد
سريعة الأقدام جانبًا، وفاضت روحه ومات في التو.
وأصاب قلب هيكتور حزن رهيب على سائق عربته،
١٢٥ ولكنه تركه راقداً، ورغم أن الألم كان يعتصر روحه
حزنًا على رفيقه، فقد أسرع ليبحث عن سائق آخر شجاع.

- ولم يطل انتظاره، فسرعان ما عثر لجياده على سائق. فقد وجد بسرعة
 أرخبينو ليموس، بن إفيثوس، الشجاع وجعله
 يمتطى ليقود جياده سريعة الأقدام، وأعطاه الأعنة فى يديه.
 عندئذ ساد الدمار وحدثت أحداث أليمة.
 وكادوا يحبسون فى إليون كالأغنام
 لو لم يرهم أبو الآلهة والبشر بسرعة.
 فقد أرعد بعنف وأنزل أسنة البرق،
 فسقطت على الأرض أمام جياد ديوميديس.
 واشتعلت أسنة اللهب التى بعث بها الإله بقوة
 فأصاب الرعب الجياد وانكشفت، وهى ترتعد تحت العربة.
 وأصاب الرعب نيمتور، فأفلتت أعنة الجياد اللامعة من يديه
 فأصاب الحزن قلبه، وصاح مخاطباً ديوميديس
 " تعال يا ابن تيديوس ولتستدر بجيادك الأصيلّة طلباً للهروب.
 ألا ترى أن زيوس لا يؤيدك بنصره، فإن زيوس بن كرونوس
 يهب اليوم مجده لهذا الرجل عدونا، وقد يمنحنا المجد فيما بعد
 إذا كانت هذه هى مشيئته. فلا يوجد بشر مهما بلغت
 قوته يمكنه أن يتحدى إرادة زيوس، فإنه أقوى الجميع ".
 فأجابه ديوميديس البارع فى صيحة القتال قائلاً:
 " سيدى إن كل ما تقوله صحيح تماماً.
 ولكن الحزن الرهيب يخيم على قلبى وروحى.
 لأن هيكتور سوف يقول ذات يوم وسط الطرواديين:
 لقد هرب ابن تيديوس، ذات يوم، إلى السفن خوفاً منى .
 هكذا سوف يتفاخر ذات يوم. فلنبتلعنى الأرض الواسعة قبل ذلك "
 عندئذ أجابه نيمتور الفارس الجيرينى قائلاً:
 " آه مما قلته يا ابن تيديوس الحكيم،

- فحتى إذا وصمك هيكتور بالجبن والضعف،
 فلن يصدق الطرواديون والداردانيون كلامه
 ١٥٥ ولا زوجات المحاربين الشجعان اللاتي
 مرغت في التراب أزواجهن، وهم في عنفوان شبابهن".
- هكذا قال، ثم أدار جياده القوية وحيدة الحافر، لكي يهرب
 من خضم الاقتتال، بينما واصل الطرواديون وهيكتور
 قذفه بوابل من السهام الموجهة، وهم يصيحون في جلبة شديدة.
 ١٦٠ وخاطبه هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً بصوت عال:
 "يا ابن تيديوس لقد كان الدانيون، ذوو الجياد السريعة،
 يكرمونك في مجالسهم، ويقدمون لك اللحوم والكنوس المترعة.
 أما الآن فإنهم سوف يحتقرونك. فإن شجاعتك لا تزيد عن
 شجاعة النساء. اذهب أيها الدمية القميئة (الفناء للثاقفة)، فلن
 ١٦٥ أستسلم ولن أدعك تعتنى أبراجنا، ولن تحمل تساعنا
 أبداً في سفنك، وسأرديك صريعاً في القريب العاجل".
- هكذا قال، فتردد ابن تيديوس بين أمرين:
 فإما أن يهرب بجياده أو يحاربه وجها لوجه.
 ثلاث مرات تردد عقله وترددت روحه،
 ١٧٠ ولكن زيوس المدير، أُرعد ثلاثاً من جبال ايذا. معطياً إشارة
 للطرواديين بأن مجرى الأمور في القتال يسير لصالحهم.
 فصاح هيكتور في الطرواديين واستحثهم بصوت عال قائلاً:
 "أيها الطرواديون والليكيون وأيها المقاتلون الداردانيون
 كونوا رجالاً يا أصدقائي، وتذكروا شجاعتكم الفائقة،
 ١٧٥ فإنني أشعر أن ابن كرونوس يومئ لي بنية طيبة
 وسوف يمنحني النصر والمجد العظيم، والدمار للدانيين.
 يا لهم من سذج، فقد شيدوا هذه الحوائط

- الضعيفة التي لا تستحق النظر إليها، والتي لن تصمد أمام قوتنا .
 إن خيولنا سوف تعبر بسهولة فوق خندقهم الذي حفروه.
 ولكن إذا ذهبنا إلى حيث توجد سفنهم المحوقة
 فلا تنسوا إحضار شعلات النار الحارقة
 حتى أضرم النيران في السفن، وأقتل هؤلاء
 الأرجبيين عندما يقفون مشدوهين بجانب سفنهم بسبب الدخان".
 هكذا قال، ثم صاح في جياده قائلاً:
 ١٨٥ " هيا يا كسانثوس ويا بودارجوس ويا أيتون ويا لامبوس القرى
 إنكم مدنيون لي على ما أوليته لكم من رعاية.
 فإن أندروماخي، ابنة إينيتيون الجسور،
 قدمت لكم بقلبها المعسول القمح اللذيذ، ووضعت أمامكم
 الخمر الممزوجة لتشربوا منها، كلما هفت نفوسكم للشراب.
 أو تضعها أمامي، أنا الذي أزهو بأننى زوجها الهمام،
 ١٩٠ فلتسرعوا فى مطاردة نيسطور، حتى يمكننا أن نستولى
 على درعه، ذلك الدرع الذى بلغ صيته السماء
 والمصنوع كله من الذهب، حتى قضبانه واقية الذراع.
 وحتى نخلع عن كتنى ديوميديس، مروض الجياد،
 ١٩٥ درع الصدر المزخرف الذى صنعه له هيفايستوس.
 فإذا ما أمكننا الاستيلاء عليه فسوف يراودنى الأمل
 فى أن الآخرين سوف يبحرون فى سفنهم السريعة هذه الليلة".
 هكذا قال بتفاخر، ولكن هيرا المبجلة كانت غاضبة،
 وكانت تهتز فى عرشها، فجعلت الأوليمبوس الشاهق يرتجف.
 ٢٠٠ ثم خاطبت الإله بوسيدون العظيم قائلة:
 " ويحى يا مزلزل الأرض يا واسع السلطان.
 ألا تتألم روحك داخل صدرك لمصير الدانائيين الذين يهلكون،

- رغم أنهم كانوا يحملون الهدايا إلى هيليكي وإيجاي^(*) من أجلك،
هدايا كثيرة وجميلة، ألا تريد لهم النصر ؟
- ٢٠٥ قلو أمكننا، نحن الذين نناصر الدانائيين،
أن نطرد الطرواديين ونعرقل خطط زيوس، واسع الأفق،
لجلوس وحيداً يبكي فوق جبل أيدا .
- فانزعج مزلزل الأرض القوى من كلماتها ورد قائلاً:
" هيرا، ما هذه الكلمات الجريئة التي تتقوهين بها !
- ٢١٠ إننى لا أربح مهما كان الأمر فى شئ حرب ضد زيوس، بن
كرونوس. سواء نحن بمفردين أو مع الآخرين، حيث إنه الأقوى ."
- هكذا خاطب كل منهما الآخر .
- وكانت كل المسافة بين السفن والخنق مكتظة
بالحديد والمحاربين على حد سواء
- ٢١٥ وقد حبسهم بداخلها شبيه الإله أريس،
هيكاتور بن برياموس الذى منحه زيوس المجد،
حتى كاد أن يضرم النيران الحارقة فى السفن، متينة الاتزان،
لو لم تلهم هيرا الميجلة عقل أجاممنون
أن ينهض ليحث الأخيين بسرعة .
- ٢٢٠ فذهب إلى حيث توجد خيام الأخيين وسفنهم
ويده القوية حمل عباءته الأرجوانية الفضفاضة،
ووقف بجوار سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة،
والتي تقف فى المنتصف، حتى يصل صوته إلى كلا الاتجاهين،
إلى خيام أياس للتيلامونى على هذا الجانب،
- ٢٢٥ وإلى خيام أخيلئوس على الجانب الآخر . فقد سحبوا سفنهم القوية
متينة الاتزان إلى أقصى الطرفين معتمدين على شجاعتهم

(*) هيليكي وإيجاي مدينتان فى آخايا. (المحرر)

وقوة أيديهما. وبصيحة شقت الفضاء صاح في الدانائين قائلاً:

يا للعار ! عليكم اللعنة أيها الأرجيون يامن لا تملكون سوى
المظهر الحسن. أين ذهب تفاخركم عندما كنتم تعلنون أننا الأشجع
مثلاً كنتم تتفاخرون بزهو في ليمنوس:

٢٣٠

وانتم تلتهمون الكثير من لحم الثيران صغيرة السن،
وتشربون الكنوس المترعة بالخمير حتى حافتها،
وتدعون أن كل واحد منكم يعادل في القتال مائة أو مائتين
من الطرواديين. بينما لا نعادل جميعاً الآن رجلاً واحداً

٢٣٥

هو هيكتور، الذي سرعان ما سيضرم النيران الحارقة في
سفنتنا. أيانا زيوس، هل يوجد أحد من الملوك العظام
أغرقتة في الحيرة وسلبته ملكة العظمى مثلى ؟
رغم أنني لم أمر مطلقاً بسفينتي ذات المقاعد الكثيرة
بأى من مذابحك الجميلة بأى مكان في الأرض

٢٤٠

إلا وأحرقت فيها من أفخاذ الثيران السمينة
متضرعاً أن تمكثنا من تدمير طروادة، منيعة الأسوار.
فلتحقق لى يا زيوس هذا الرجاء
ولتمكثنا أن نهرب وننجو بحياتنا.

ولا تسمح يا أبانا للطرواديين أن يقتلوا الآخيين بهذه الصورة ".

٢٤٥

هكذا قال، ف شعر الإله الأب بالشفقة عليه، وهو يذرف الدمع
الغزير، فأوماً بالموافقة على إنقاذ شعبه حتى لا يفنى.
وفى الحال، أرسل نسرًا، علامة زيوس المؤكدة بين الطيور،
يمسك بمخالبه ظلياً صغيراً، وليد غزالة سريعة،
وأسقط النسر الظلي على مذبح زيوس فائق الجمال،

٢٥٠

حيث كان الآخيون يقدمون القرابين لزيوس، سيد كل النيوءات.
وعندما تأكدوا أن الطائر مرسل من لدن زيوس
هجموا بسرعة على الطرواديين وعاودهم الحماس للقتال.

- عندئذ، لم يستطع واحد من قادة الدانائيين، رغم كثرة عددهم، أن يتفاخر بأنه سيق جباد ابن تيديوس السريعة
- ٢٥٥ في عبور الخندق وفي منازلة الأعداء وجهًا لوجه.
- وكان هو بالفعل أول من قتل أحد المحاربين الطرواديين، أجيلأوس بن فرادمون، الذي كان قد استدار بجياده طلبًا للفرار، ولكنه ما كاد يستدير حتى غرس ابن تيديوس الرمح في ظهره في منتصف المسافة بين كتفيه. فنفذ الرمح إلى صدره
- ٢٦٠ وسقط من فوق عربته، وسقطت أسلحته فوقه وهي نجلجل.
- وجاء بعده أجاممنون ومينيلأوس، ولدا أتريرس ثم جاء البطلان الثنائي أياش وهما يتدثران بشجاعتهما. وبعدهما إيدومينوس، ورفيقه في الحرب ميريونيس، نظير إنيالبيوس، قاتل الرجال.
- ٢٦٥ وجاء بعدهم يوريبيلوس، بن يوايمون الشجاع وكان تاسعهم تيوكروس الذي جاء رافعًا قوسه المعقوف، ووقف في حمى درع أياش التيلاموني.
- وكان أياش يرفع درعه للأمام عاليًا، بينما يقوم البطل باستطلاع الأمر ثم يصوب سهمه تجاه واحد
- ٢٧٠ من الأعداء فيسقط في الحال ويلفظ أنفاسه.
- ثم يذهب على الفور إلى أياش كطفل يرمى في صدر أمه، فيجميه بدرعه اللامع.
- فمن أولاً بين الطرواديين قتل تيوكروس النبيل ؟
- لقد سقط أورسيلوخوس أولاً، ومن بعده أورمينوس، ثم أوفيلستيس،
- ٢٧٥ ثم دايتر، وفروميوس، ثم ليكوفونتييس، شبيه الآلهة ، ثم أموباؤن بن بوليأيمون، ثم ميلانيبيوس.
- لقد جعلهم تيوكروس جميعًا يتمددون على الأرض، كثيرة الخيرات. ولقد انشرح صدر أجاممنون، ملك الرجال، وهو يراء

يشيع القوضى فى صفوف الطرواديين بقوسه العتيد.

فاقترب منه ووقف بجانبه وخاطبه قائلاً:

٢٨٠

"أيها الحبيب إلى قلبى، تيوكروس بن تيلامون، قائد الشعوب

واصل إطلاق سهامك هكذا، حتى يكون ثمة بارقة أمل للدانائيين

ولو ذلك تيلامون، الذى رباك وأنت طفل صغير

وكان بحملك، وقام بتسئتك فى منزله رغم أنك كنت ابناً غير شرعى.

فسوف تجلب له الشهرة رغم وجوده على مسافة بعيدة منك.

٢٨٥

إننى أعلن لك ما سوف يحدث،

فإذا ما مكنتى زيوس، حامل الدرع أيجيس، وأثينة

من تدمير مدينة إليون، متينة البنيان

فسوف أضع جائزة الشرف بين يديك،

التي قد تكون مقعداً ثلاثياً أو زوجاً من الجياد ومعهما عربية،

٢٩٠

أو امرأة تشاركك فراشك".

فرد عليه تيوكروس النبيل بقوله:

"يا ابن أتريوس صاحب الجلالة، لماذا تحتنى على ما أنا

متحمس له بالفعل؟ فإننى لن أراجع طالما بقيت قوتى

فلم أتوقف عن القتال، منذ دفعناهم إلى داخل إليون

٢٩٥

ولم أترك فرصة واحدة لقتل الرجال بسهامى.

فقد صوبت ثمانية سهام ذات رموس مدببة،

أصابت كلها أجساد محاربين أقوياء يتميزون بالسرعة فى

الحرب. ولكننى رغم ذلك، لا أستطيع إصابة ذلك الكلب الهائج."

٣٠٠

هكذا قال، ثم قذف سهماً آخر من جعبة سهامه

فى اتجاه هيكتور، وقلبه يهفو لإصابته.

ولكن السهم أخطأه وأصاب جورجيثيون الذى لا مثيل له،

ابن برياموس النبيل، واستقر السهم فى صدره.

- جورجيثيون الذى أنجبته أمه كاستيانيرا الجميلة، من مدينة
 ٣٠٥ أبسىمى والتي تشبه الرباط فى هيئتها بعد زواجها (من
 برياموس). وكما تضع زهرة الخشخاش، الموجودة فى الحديقة،
 رأسها على أحد الجانبين بسبب ثقل ما تحمله من ندى الربيع،
 هكذا مالّت رأسه جانبا بسبب ثقل خوذته.
 ومرة أخرى سدّد تيوكروس تجاه هيكتور
 ٣١٠ سهما من جعبة سهامه، فهكذا أمره قلبه.
 ولكنه أخطأ مرة أخرى. فقد جعل أبوللون السهم يحيد عن هدفه،
 فأصاب السهم أرخيتوليموس، سائق عربة هيكتور الشجاع،
 فى صدره بجانب ثديه، وهو يسرع وسط معمة القتال.
 فسقط من فوق العربة، وتراجعت الخيول
 ٣١٥ سريعة الأقدام. وفى الحال خارت قوته وقاضت روحه.
 وامتلا قلب هيكتور بحزن موجه على سائقه،
 ولكنه تركه مسجى هناك رغم شدة حزنه عليه.
 وأمر شقيقة كيبيريونيس، الذى كان موجودا على مقربة منه،
 أن يمسك بأعنة الجياد، فأطاعه فور سماع أمره.
 ٣٢٠ أما هو فقد قفز من عربته اللامعة إلى الأرض.
 وصاح صيحة مرعبة. ثم أخذ بيده حجرا
 واندفع تجاه تيوكروس يريد مهاجمته.
 ولكن تيوكروس جذب سهما حادا من جعبة سهامه
 ووضعها على وتر قوسه، وبينما هو يسحب السهم للخلف
 ٣٢٥ ضربه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، فى كتفه، حيث تفصل عظمة
 الترقوة عن العنق عن الصدر، وحيث المقتل.
 لقد ضربه، أثناء اندفاعه تجاهه، بحجر مدبب
 فقطع الوتر، وأصيب يده بالشلل من عند المعصم.
 فتوقف ثم سقط على ركبتيه، وسقط السهم من يده.

- ٣٣٠ ولم يكن أياش غافلاً عن سقوط أخيه،
فجرى وأحاطه بدرعه ليحميه
وقام اثنان من رفاقه المخلصين برفعه،
هما ميكيسيتيوس بن إخيوس وألاستور المجيد،
وحملاه إلى السفن المجوفة، وهو يئن ويتوجع.
- ٣٣٥ عندئذ بعث الأوليمبي (زيوس) الحماس في نفوس
الطرواديين مرة أخرى، فدفعوا الآخيين في الحال في اتجاه الخندق
العميق. ووقف هيكتور في مقدمة المحاربين وهو يثنيه زهوا
بقوته. ومثلما يطبق أحد الكلاب المريعة فكيه على خنزير برى
أو أسد ويغرس فيه أسنانه من الخلف، وهو يطارده بسرعة
٣٤٠ ويمسك به من ردفه أو فخذيه وهو يراقبه عن كثب أثناء دورانه.
هكذا كان هيكتور يتعقب الآخيين ذوى الشعر الطويل
ويقتل منهم من كان فى المؤخرة، فيفرون منه مذعورين.
وكانوا يعبرون التحصينات والخندق
أثناء هروبهم، فقتل كثير منهم بأيدي الطرواديين.
- ٣٤٥ وبعد تراجعهم، مكثوا بجوار سفنهم
يتنادى بعضهم البعض، ويصلى كل منهم
لجميع الآلهة رافعاً يديه فى ضراعة .
وكان هيكتور يجول هنا وهناك بجياده جميلة العرف
وهو ينظر بعيون أشبه بعيون الجورجونة. أو آريس مدمر
٣٥٠ البشر. وعندما نظرت إليهم الربة هيرا، بيضاء الذراعين، أشفقت
عليهم وعلى الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة قائلة:
" يا للعار، ألا يجب علينا، يا ابنة زيوس حامل الدرع أحييس،
أن نفكر، ولو للمرة الأخيرة، فى الدانائيين
الذين يعانون من القدر القاسى وقد يهلكون الآن
٣٥٥ بسبب هجوم رجل واحد، هو هيكتور بن برياموس

- الذى يثور الآن بطريقة لا يمكن احتمالها
والذى ارتكب الكثير من الشرور". فأجابتها الربة أثينة،
زرقاء العينين، بدورها قائلة:
"حقاً، كم تمنيت أن يفقد قوته وروحه
فى أرض وطنه أو يموت بيد أحد الأرجيين.
ولكن أبى غاضب ولا يضمّر (لاينوى) خيراً
فهو يخيب آمالى، كما أنه آثم وفاسى
ولا يتذكر أننى كثيراً ما أنقذت
أبنة (هرقل) من الأعمال القاسية
التي فرضها عليه يوريسثيوس. فكثيراً ما كان
ينتخب وهو ينظر للسماء، فكان زيوس
يرسلنى من السماء، لمساعدته،
"ولو كنت قد أدركت ذلك بعقلى الحكيم
عندما أرسله إلى مملكة هاديس،
كى يخرج (يقود) كلب هاديس الكريه حارس البوابات من
إريبوس(*)". ما كان ليستطيع الهروب من نهر ستيكس شديد
الانحدار. ولكنه يكرهنى الآن، ويستجيب لرغبات تيتيس.
التي قبلت ركبتيه وأمسكت ذقنه بيدها
وتوسلت إليه أن يمنح المجد لأخيلئوس، مدمر المدن.
و لكن سوف يأتى وقت ينادينى فيه مرة أخرى بحبيبتى زرقاء
العينين. والآن، فلتجهزى جياندا السريعة (ذات الحافر الواحد)
حتى أدخل أنا إلى قصر زيوس، حامل الدرع أيجيس
وأسلح بأسلحة الحرب، وسوف نرى عندئذ
إذا كان هيكتور، بن برياموس، ذو الخوذة اللامعة

(*) إريبوس Erebus: مكان يوجد فى ظلمة العلم السفلى . فرق هاديس يستخدم فى التشبيهات للدلالة على الإظلام الشديد.

- سوف يُمرّ يظهرنا عند خطوط القتال
 أم أن أحد الطرواديين سوف يملأ بطون الكلاب والطيور
 الجارحة باللحم والدهن، بعد أن يسقط صريعاً بجوار سفن الأخيين". ٣٨٠
 هكذا قالت، فأطاعتها الربّة هيرا، بيضاء الذراعين.
 وأسرعت الإلهة المبهجة هيرا ابنه كرونوس العظيم
 وأعدت الجياد ذات الجبهة الذهبية.
 بينما كانت أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس
 تدع طيات ثوبها الرقيق رائع الزينة تقع على عتبات والدها. ٣٨٥
 ثوبها الذى صنّعه وطرزته بيدها،
 ثم وضعت على جسدها عباءة زيوس جامع المسحب.
 وسلحت نفسها استعداداً للحرب، التى تدّرف فيها الدموع.
 ثم صعدت إلى العربة البراقة، وأمسكت برمحتها
 الثقيل، القوي والكبير، الذى قتل صفوفاً من الرجال ٣٩٠
 الصناديد، إذا ما غضبت عليهم ابنة الأب الجبار.
 وبسرعة ضربت هيرا الجياد بالسوط
 فاتفحت بوابات السماء من تلقاء نفسها البوابات التى كانت
 تحرسها الهوراي فقد عهد إليهن بحراسة السماء
 الفسيحة والأوليمبوس، وأن تفرق السحب الكثيفة، وأن تجمعها معاً. ٣٩٥
 وقادت الإلهتان خيولهما التى يحثها المهماز.
 ولكن الأب زيوس رآهما من فوق إيدا فتملكه غضب شديد،
 وأرسل إيريس، ذهبية الجناحين، لكى تبلغهما رسالته:
 " فلنذهبي، أيتها السريعة إيريس. ولتعديهما مرة أخرى
 ولا تجعليهما يأتیان لمقابلتي، فليس من المفيد أن نتعارك معاً. ٤٠٠
 ولتعلمى أن ما أقوله الآن سوف أجعله يتحقق.
 فسوف أعيق جيادهما السريعة عن التحرك بالعربة،
 وسوف أذف بهما من فوق مقعديهما إلى خارج العربة

- ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
 ٤٠٥ لشفاء الجروح التى سوف تسببها لهما الصواعق.
 حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع
 أبيها. أما هيرا، فإننى لا أغضب منها، ولا أحق عليها بالقدر نفسه،
 فقد اعتادت معارضتى دائماً وإحباط كل ما أنوى فعله".
 هكذا قال، فنهضت إيريس سريعة القدمين، حاملة رسالته
 ٤١٠ وذهبت منطلقة من إيدا إلى الأوليمبوس شاهق الارتفاع.
 وعند بوابات الأوليمبوس الأمامية، ذلك الجبل كثير الثنيات،
 التقت بهما فأوقفتهما، وأبلغتهما رسالة زيوس وقالت:
 "إلى أين تتدفعان؟ لماذا أصاب الجنون قلبكما داخل صدريكما؟
 إن ابن كرونوس لن يسمح بتقديم المساعدة للأرجيين.
 ٤١٥ لقد هدد ابن كرونوس بالأتى وسوف ينفذ وعيده،
 فسوف تعيق الهوراي جبالكما السريعة عن التحرك بالعربة
 ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
 لكى تشفى جروحكما التى سوف تسببها لكما صاعقته
 ٤٢٠ حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع
 أبيها. أما هيرا، فإنه لا يغضب منها، ولا يحق عليها بالقدر نفسه
 فقد اعتادت معارضته دائماً وإحباط كل ما ينوى فعله.
 وسوف تكونين بشعة للغاية، أيتها الكلية الوقحة، إذا ما
 تجرأت على رفع سهمك الضخم فى وجه زيوس".
 ٤٢٥ هكذا قالت إيريس سريعة القدمين ثم رحلت.
 فوجهت هيرا حديثها لأثينة قائلة:
 "ويحى يابنة زيوس، حامل الدرع أيجيس، فإننى لا أوافق
 مطلقاً على الدخول فى حرب ضد زيوس من أجل البشر.
 فليهلك هذا وليعيش ذاك،

- ٤٣٠ كل حسب حظه، وليحدد زيوس ما يشاء،
ما يقرره للطرواديين وللدانائيين، حسب ما يتلاءم معه".
هكذا قالت، ثم استدارت عائده بجيادها السريعة.
وفكت الهوراي لجام الجياد، جميلة العرف
وربطتها لتأكل من المعلق الملىء بالطعام الإلهي الأمبروسيا.
- ٤٣٥ وأسندت العربة على الجدار الداخلي اللامع.
بينما جلست الربتان على عرشيهما الذهبي
وسط الآلهة الآخرين، وقلباهما مفعمان بالأسى؟؟
ومن إيدا قاد الإله زيوس عربته متينة العجلات وجياده
إلى الأوليمبوس، وعندما وصل إليه اتخذ مجلسه بين الآلهة.
وقام مزلزل الأرض النبيل بفك الخيول من لجامها
- ٤٤٠ ووضع العربة في مربطها ونشر فوقها الغطاء الكتاني،
بينما جلس زيوس بعيد النظر فوق عرشه الذهبي،
ومن تحت قدميه، كان الأوليمبوس الضخم يهتز.
وجلست أثينة وهيرا بمفردهما بعيدا عن زيوس،
لم تتبادلا الحديث معه، ولم تسألاه عن شيء
- ٤٤٥ ولكنه كان يدرك ذلك في قرارة نفسه، فخاطبهما قائلاً:
"ماذا يحزنكما هكذا يا أثينة وهيرا؟
من المؤكد أنكما لم تتعبا من القتال الرهيب،
ومن قتل الطرواديين، إذ إنكما تحقدان عليهما حقاً رهيباً.
- ٤٥٠ وعلى أية حال فطالما أملك القوة، وطالما بداي لا تفهران
فلن يثنيني عن عزمي جميع الآلهة الموجودين فوق الأوليمبوس،
على كثرتهم. لقد استولى الرعب على أطرافكما اللامعة
حتى قبل أن تريا الحرب وأعمالها المروعة.
ولذلك فأبني أقول، وهو ما كنت سوف أنفذه،
إذا كانت الصاعقة قد أصابت عربتيكما
- ٤٥٥

لما أمكنكما العودة مرة أخرى إلى الأوليمبوس، مقر الآلهة".

هكذا قال، وتمتعت أثينة وهيرا،

اللتان كانتا تجلسان متجاورتين وهما تدبران المصائب

للطرواديين. وظلت أثينة صامتة ولم تنبس بكلمة

٤٦٠ رغم غضبها الشديد من أبيها زيوس.

أما هيرا فلم تشعر بمثل هذا الغضب في صدرها، فخاطبته قائلة:

"يا بن كرونوس، يا أكثر الآلهة مهابة، أى حديث هذا الذى تقوله

إننا نعرف جيداً أن قوتك لا تقهر.

ولكننا نشعر بالشفقة على الرماحين الدانائيين

٤٦٥ الذين يخرون صرعى ويلقون مصيراً سيئاً.

وسوف ننسحب من القتال، إذا كانت هذه هى أوامرك.

ولكننا سوف نمضى النصح للأرجيين، ربما يستفيد به أحدهم،

فلا يهلكون جميعاً بسبب غضبك".

فأجابها زيوس، جامع السحب بقوله:

٤٧٠ "فى الصباح، سوف تشاهدين ابن كرونوس أقوى الجميع

ياعزىرتى هيرا ذات العيون الواسعة (كعيون المها)، إذا ما

رغبت، وهو يفنى جيش المحاربين الأرجيين الكبير.

لن ينسحب هيكتور القوى من الحرب قبل

أن ينهض ابن بيليوس سريع القدمين بجانب السفن،

٤٧٥ وفى اليوم نفسه سوف يدخلن، بالقرب من مقدمة السفن،

فى صراع رهيب حول جسد باتروكلوس بعد موته.

فهكذا قدرت الآلهة، ولن يزعجنى غضبك

مطلقاً، حتى لو ذهبت إلى أقصى حدود الأرض،

سواء على البر أو فى البحر، حيث يقم يابيتوس وكرونوس

٤٨٠ حيث لا يستمتعون بفجر هيليوس هيبيريون

ولا بالهواء (بالرياح). حيث يلفهم ظلام تارتاروس السحيق.

فحتى لو ذهبت إلى هناك في تجوالك، فلن

أحفل بغضبك، فلا يوجد من هو أكثر خزيًا منك .

هكذا قال، ولم ترد عليه هيرا بيضاء الذراعين.

٤٨٥ وسقطت أشعة الشمس اللامعة في المحيط (الأوكيانوس)

الذي أسدل الليل الأسود فوق الحقول المثمرة.

فاختفى ضوء النهار على غير رغبة الطرواديين، ولكنه لقي

ترحيبًا من الأخيين، الذين صلوا ثلاث مرات لمجيء الليل المظلم.

وعقد هيكتور المجيد اجتماعا للطرواديين

٤٩٠ بعد أن قادهم من السفن بجوار البحر الهادر.

إلى ساحة رحبة، حيث لا تتكدس الجثث،

نزلوا من فوق خيولهم إلى الأرض واستمعوا إلى الحديث

الذي ألقاه هيكتور، حبيب زيوس. وفي يده

كان يمسك برمحه الذي يبلغ طوله أحد عشر ذراعًا، وأمامه

٤٩٥ كانت تلمع رأس الرمح البرونزي، الذي كانت تحيط به حلقة من

الذهب. وثبت هيكتور رمحه في الأرض وخاطب الطرواديين قائلاً:

"فلتسمعونى أيها الطرواديون والداردانيون والحلفاء،

لقد كنت أعتقد أننا سوف ندمر السفن وجميع الأخيين الآن

ونعود على الفور إلى اليون ذات الرياح العاصفة.

٥٠٠ ولكن ظلمة الليل هبطت، فأنقذت

الأرجبيين وسفنتهم للرأسية على شاطئ البحر.

فدعونا الآن نستسلم لليل المظلم

ولنجهز عشائنا. ولنحل قيود الجياد، جميلة العرف،

من العربات، ونضع أمامها الكثير من العلف.

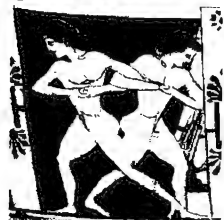
٥٠٥ ولتحصروا من المدينة الثيران والأغنام السمينة

- بسرعة، ولتجلبوا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلكم، ولتجمعوا الكثير من الخشب
حتى تشعل النيران الكثيرة طوال الليل
إلى أن يظهر الفجر، ابن الصباح، وليصل لهب النيران إلى السماء
حتى لا يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، أثناء الليل
من الهرب ويشرعون في الإبحار إلى عرض البحر.
فلا تدعهم يركبون سفنهم دونما قتال
ولكن يجب أن ينال كل منهم رمية رمح
فيذهب إلى وطنه مصابًا بضعنة من رأس رمح حاد،
وهو يقفز إلى سفينته، حتى يحجم أى شخص آخر
أن يشن الحرب المؤلمة على الطرواديين، مروضى الخيول.
وليعلم المنادون، أحباء زيوس، فى أنحاء المدينة
أن على الشباب والشيوخ
أن يتخذوا مواقعهم فى الأبراج التى بنتها الآلهة حول المدينة.
أما بالنسبة للأمهات المرضعات، فعلى كل واحدة منهن
أن تشعل نارًا عظيمة فى منزلها، ولتكن الحراسة نقطة
حتى لا يدخل كمين إلى المدينة فى غياب المحاربين.
ليكن الأمر كما قلت أيها الطرواديون الشجعان.
ولئننى أمل أن يكون حنيثى الذى قلته الآن صحيحًا.
وسوف أعلنه عند الفجر لبقية الطرواديين، مروضى الخيول.
والئننى أصلى متضرعًا لزيوس وللآلهة الآخرين
أن تطرد من أرضنا هؤلاء الكلاب
الذين سوف تحملهم أقدارهم فوق سفنهم السوداء
ومع ذلك سوف لا تغفل الحراسة طوال الليل
وعند الفجر فى الصباح سوف نسلح أنفسنا
ونشن حربًا شرسة بجوار السفن المجوفة.

- وسوف أرى ما إذا كان ديوميديس، بن تيديوس، القوى
سوف يدفعني إلى الحائط بعيداً عن السفن، أم أنني
سوف أمزقه بسلاحى البرونزى وأسلبه أسلحته المملوطة بالدماء.
- ٥٣٥ سوف يحدد الغد مدى شجاعته وما إذا كان فى إمكانه
الصمود أمام، هجمة رمحى، أم أنه سوف يرفد،
كما أمل. جريحاً فى الصفوف الأولى وحوله العديد من رفاقه.
وذلك عندما تشرق شمس الغد. فليتنى أتقن
من أنني سأكون خالداً ولن أعانى من الشيخوخة
٥٤٠ و أننى سوف أكون مبعلاً مثل أنثينة وأبوللون
مثلاً أنا متأكد الآن أن الغد سوف يحمل البلاء للأرجيين".
- هكذا قال هيكتور، وصاح الطرواديين عالياً،
ثم رفعوا النير عن الجياد المبللة بالعرق،
وربطوا كل واحد منها بسيور جلدية إلى عربته.
- ٥٤٥ ومن المدينة جلبوا النيران والأغنام السمينة
بسرعة، وأحضروا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلهم، كما جمعوا أخشاباً كثيرة.
ومن السهل رفعت الرياح رائحة شواء القرابين إلى السماء.
- ٥٥٠ وسهروا الليل بطوله، وهم يفكرون فى أمور عظيمة،
بجوار خنادق القتال، وأشعلوا الكثير من النيران أمامهم.
وكما تلمع النجوم المتألقة حول القمر
فى السماء، عندما يكون الهواء عليلاً
- ٥٥٥ فتظهر قمم الجبال كلها والأراضى المرتفعة
والوديان كثيفة الأشجار، ومن السماء ينساب الأثير الرائع
فيرى المرء النجوم جميعها، ويتهلل قلب الراعى،
٥٦٠ هكذا أشعل الطرواديين، فيما بين السفن وروافد نهر كسانثوس،
الكثير من النيران التى كانت تتألق أمام إليون .

لقد أشعلت آلاف النيران في السهل، وبجانب كل
 شعلة من النيران المتأججة، جلس خمسون رجلاً.
 وكانت الجياد تأكل الشعير الأبيض والحبوب وقد وقفت ساكنة
 بجوار العربات في انتظار ظهور ربة الفجر، ذات العرش والبهاء.

الكتاب التاسع



ترجمة منيرة كروان

- هكذا واصل الطرواديون الحراسة، ولكن الرعب
 الإلهي، رفيق الخوف الذي يجمد الأطراف، أصاب
 الأخيين، وتملك حزن يفوق الاحتمال جميع القادة.
 وكما تهب الرياح الشمالية (بورياس) والغربية (زيفيروس)،
 القادمة من طراقيا، على البحر المليء بالأسماك،
 فتهيج أمواجه وفي الوقت نفسه، تندفع موجة داكنة،
 على حين غرة وتجرف معها إلى الشاطئ الكثير
 من الأعشاب البحرية، هكذا هاجت روح الأخيين داخل
 صدورهم. وقد أصاب قلب ابن أثريوس ضيق عظيم،
 فكان يروح جنة وذهابا، وأمر المنادين نوى الصوت
 الواضح أن يدعوا كل فرد بالاسم لحضور الاجتماع،
 وألا يصيحوا بصوت عال. بينما تولى هو دعوة القادة.
 ويقلوب كسيرة جلسوا في الاجتماع، ونهض أجاممنون
 وهو يذرف الدمع الغزير مثل نافورة
 تصب مياهها قائمة اللون من فوق صخرة منحدره،
 وخاطب الأرجيين وهو يئن بشدة قائلاً:
 "أيها الأصدقاء، يا زعماء الأرجيين وقادتهم
 لقد أوقعني زيوس، بن كرونوس، ذلك القاسي، في حرج كبير
 فقد أعلن موافقته ووعدني بالأشق طريقى للوطن قبل تحطيم إليون
 الحصينة تماماً. أما الآن فقد خطط لخيانة مخجلة، إذ يأمرني
 أن أعود إلى أرجوس مجللاً بالعار، لأننى حطمت
 شعوباً عديدة. رغم أن زيوس، أقوى الآلهة، يجد
 متعة في ذلك، لقد حطم قلاع مدن عديدة من قبل،
 وسوف يحطم غيرها بالتأكيد، لأنه أقوى سلطة.

ولكن هيا بنا ولنحاول إقناع الجميع بما أقول،
فلنهرب بسفننا إلى أرض وطننا الحبيبة،
لأننا لن نستولى على طروادة، فسيحة الطرقات ، أبداً".
هكذا تحدث، واستمع إليه الآخرون فى صمت.

٣٠ وظل أبناء الآخيين فى صمتهم طويلاً بسبب حزنهم
الشديد. وبعد وقت طويل، تحدث ديوميديس، البارع فى
صيحة القتال، قائلاً:

" يا ابن أتريوس، سوف أجادلك أولاً فيما قلته من حماقة،
فلا تغضب يا سيدى، فتلك سنة مجلسنا،

فى البداية، لقد سبق وأنكرت شجاعتى وسط جموع
الدانيئين، وادعيت أننى ضعيف وغير كفء للحرب.
٣٥ إن الأرجبيين جميعاً، صغارهم وكبارهم، يعرفون تماماً
أن ابن كرونوس، ملتوى النصيحة، منحك إحدى الحسينين:
لقد منحك الصولجان لتكون مبعلاً بين الجميع،
ولكنه لم يمنحك الشجاعة، ولها السلطان الأكبر.

٤٠ سيدى المبعل، أعتقد حقاً أن الآخيين ضعفاء
وغير أكفاء للحرب كما سبق وأعلنت ؟
إذا كنت متلهفاً على العودة، فلتذهب أنت،

فالطريق أمامك والسفن تقف فى انتظارك بجانب
الشاطئ العديد من السفن، إنها تلك التى أفلتت من
موكيناي. أما الآخيون الآخرون ذوو الشعر الطويل
٤٥ فباقون إلى أن نتمكن من تدمير طروادة تماماً. وإذا أرادوا
حتى هؤلاء فليعودوا إلى أرض وطنهم الغالية،
أما نحن الاثنين، أنا وستينيلوس، فسنظل نحارب
حتى ندمر إليون، لقد جمعنا مشيئة الآلهة ".

- ٥٠ هكذا قال، وواصل كل أبناء الآخيين الصباح
مستحسنين حديث ديوميديس مروض الخيول.
عندئذ قام الفارس نيمستور وخاطبهم قائلاً:
" يا ابن تيديوس، إنك بارع في الحرب
كما أنك تبرز أقرانك المتساوين معك سداً في إسداء
النصيحة، وما من أحد بين الآخيين سوف يلومك على
٥٥ حديثك، وما من أحد سوف يعارضك. ولكن شيئاً ما لم
تقل بعد. إنك صغير جداً، أصغر من أن تكون
كأخـر ما جاءني من الولد. ولكنك تتطـق بالحكمة.
لقد حدثت للنبلاء الأرجيين بطريقة صائبة،
ولكن، لأنني أكبرك في السن
٦٠ فسوف أتـكلم وأحكي كل شيء. وما من أحد
سوف يستخف بحديثي، ولا حتى أجاممنون سيدنا:
إن الذي يحب إشعال نيران الحروب بين أهله
وعشيرته، نكرهه عشيرته وينبذه القانون ويلفظه وطنه.
والآن، وما دمنا قد انتهينا من متاعب النهار
٦٥ دعونا نهـز العشاء، ولـيمكث كل حارس
بجوار الخندق المحفور خارج المتاريس.
سوف أعلن هذه الأوامر للشباب. ولتتول أنت
بقية الأمور يا ابن أتريوس. ولأنك أكثر الملوك هـيبة،
فلنتقم مادية تليق بك لكبار السن. فهذا من مهام
٧٠ منصبك. فالخيام مليئة بقنان الخمر، التي تحضرها
سفن الآخيين يومياً من طراقيا، وهي تجوب أنحاء
البحر الفسيح. أما كرم الضيافة فمن شيمك. وأنت سيد
الجميع، فإذا ما اكتمل الجمع، أطيعوا من يقدم

- ٧٥ النصيحة الأكثر حكمة. فالآخيون جميعاً
في أمس الحاجة للنصيحة الطبية الحسنة. لقد أشعل
الأعداء حرائق كثيرة بالقرب من السفن. من الذي
يسعده ذلك ؟ سوف تشهد هذه الليلة تحطم أسطولنا أو إنقاذه".
- هكذا قال، وبعد أن استمعوا إليه في هدوء
- ٨٠ أطاعوا نصيحته، وأسرع الحراس كل إلى وظيفته بعد
أن نظموا أنفسهم وتجمعوا حول ثراسيميديس بن
نيسطور، حامى الشعوب، وحول أسكالافوس وبالمينوس،
ولدى آريس، وحول ميريونيس وأفاريوس ودايبيروس،
وحول ليكوميديس الإلهي بن كريون.
- ٨٥ سبعة قادة للحرس، ذهب مع كل منهم مائة من
الشباب، ساروا شاهرين رماحهم الطويلة في أيديهم،
واتخذوا مواقعهم في منتصف المسافة بين الخندق
والحائط هنالك أشعلوا النيران وأعدت كل فرقة
عشاءها. بينما جمع ابن أتريوس حشدًا من كبار
- ٩٠ أعضاء مجلس الأخيين في خيمته، وبسط أمامهم مائدة
حافلة (تليق به)، ومد للضيوف أيديهم إلى الطعام
الوفير المبسوط أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الطعام
والشراب بدأ نيسطور، قبل الجميع، بنسج خيوط
نصيحته، فقد كانت نصيحته دائماً الأكثر حكمة.
- ٩٥ لقد قام ذو العقل الراجح واستحثهم قائلاً:
- "أجاممنون، يا ابن أتريوس، يا ملك الرجال وصاحب
الجلال، باسمك سيداً هذا الحديث وبه سوف
ينتهى، فأنت ملك العديد من الشعوب. وقد وضع زيوس
بين يديك الصولجان والقوانين، حتى تقدم

- ١٠٠ النصيحة للشعوب. لذلك يجب عليك أن تتحدث قبل الجميع، وواجبنا أن نستمع حتى تحقق للآخرين ما تتمناه قلوبهم. تحدث إلى القادة، فإن تحقيق رغباتهم يتوقف عليك. أما أنا فسأعلن الرأي الذي أراه أكثر حكمة، وما من أحد سوف يجد فكرة أفضل منه. فقد واصلت التفكير فيه منذ زمن بعيد وحتى هذه اللحظة. منذ اندفعت أنت يا سليل زيوس إلى خيمة أخيليوس الغاضب، وأخذت فتاته بريسثيس رغم أننا لم نوافق قط. لقد حاولت إقناعك بالعدول، حاولت جاهدا دون جدوى. فلأسف، لقد جعلتك روحك المتجبرة تهين أشجع الرجال، الذي تحترمه الآلهة نفسها وتبجله. لقد أخذت جائزة تكريمه. والآن فلننشاور كيف نصالحه ونقتعه ونستميله بالهدايا، وكيف نخاطبه بالكلمات الرقيقة "
- ومرة أخرى رد عليه أجاممنون، ملك الرجال قائلا:
- ١١٥ "إنك لم تجاوز الحقيقة فيما قلت عن أخطائي، لقد تصرفت بحماقة. ولن أنكر ذلك أبدا. فمن يحبه زيوس من صميم قلبه يجعله يساوى عددا كبيرا من البشر، مثلما يكرم الآن هذا الرجل ويدمر شعب الأخيين. لقد كنت أعمى، عندما خضعت لحماقتي، ولكي أصلح ما فعلته فسأقدم له قدية
- ١٢٠ لا تعد ولا تحصى، وأعلن أمامكم هداياي: سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة تالقات(*)

(*) لم تكن العملة تالنت Talanton قد عرفت في عصر هومروس وربما تشير العبارة إلى مجرد أوزان من الذهب. (أطرو)

- من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع،
اثني عشر جواذاً من جياذ السياق القوية التي
١٢٥ تحصد الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيراً
أبداً من يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب
من يحصل على هذا الكنز، فقد أحرزت لى
جياذى الأصيله الكثير منه فى السياقات.
وسوف أمنحه سبع نساء ماهرات لا نظير
لهن جلبتهن من ليسبوس، جميلة الميانى،
١٣٠ عندما فتحها هو نفسه، وكنت قد اخترتهن
لجمالهن الفائق. سوف أقدمهن له،
بالإضافة إلى الفتاة التى أخذتها منه
ابنة بريسيسوس. وأقسم بأغلظ الأيمان
أننى لم أقفز إلى فراشها ولم أضمها فى أحضانى
ولم تربطنى بها قط العلاقة المعتادة بين الرجل والمرأة.
١٣٥ كل هذه الأشياء سوف تكون ملكاً له فى الحال. وإذا ما
قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة برياموس
العظيمة، فسوف نجعله يملأ سفينته بالذهب والبرونز،
فيل أن نقترح نحن الأخيين المدينة، ونبدأ فى توزيع
الغنائم. وسوف أدعه يختار لنفسه عشرين امرأة من
الطرواديات من بين أجمل النساء بعد هيلينى الأرجية.
١٤٠ وإذا ما وصلنا إلى أرجوس الأخية، أخصب
الأراضين، سوف أعامله كابنى. وسوف أحبه مثلما
أحب ابنى أوريسيتيس الذى ربيته فى رفاهية ونعيم لشدة
حبنى له، ومن بين بناتى الثلاث الموجودات فى قصرى

- ١٤٥ الحصين، خريستيميس ولاوديكي^(*) وإفياناسا
فليأخذ من تروق له إلى بيت بيليوس،
دون أن يقدم هدايا الزواج، بل سوف أعطيها
أنا هدايا كثيرة قيمة. لم يقدمها أحد لابنته
من قبل قط. سوف أمنحه سبع مدن عامرة بالسكان:
- ١٥٠ كاردامولي وإنوبي وهيري، كثيرة الأعشاب
وفيراي المقدسة، وأنثيا الغنية بالمروج
وآيبيا الجميلة، وأيضاً بيداسوس الغنية بجنات الأعناب.
وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلوس
كثيفة الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير
- ١٥٥ من الماشية والثيران، وسوف يبجلونه كما لو كان إلهاً
ويقدمون له الهدايا. وعندما يحكمهم
سوف يقدمون له فرائض الطاعة.
كل هذا سوف أقدمه له إذا ما تخلى عن غضبه
وأذن، فإن هاديس فقط هو الإله الذى يتصف بالعناد الشديد
لذلك فهو من بين جميع الآلهة الخالدين كرية لدى كافة البشر
- ١٦٠ الفانين فليذعن لى، فأنا أقوى منه سلطاناً، وأنا أتوسل إليه،
رغم أننى أكبر منه سناً".
- فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني، قائلاً:
"سيدي المجل أجاممنون بن أتريوس، يا ملك الرجال
لا عيب مطلقاً فى الهدايا التى تقدمها لأخيلئوس لتكسب
وده، ولكن لتعجل بإرسال من تختارهم ليذمبوا
بأقصى سرعة إلى خيمة أخيلئوس بن بيليوس.
لما الآن فليطع أوامرى من يقع عليه اختيارى

(*) يرجح أن تكون لاوديكي هى إلكترا. (الغور)

- سوف يتولى القيادة، قبل الجميع، فوينيكس،
 حبيب زيوس، ثم يليه أياص العظيم، ويليهِ أوديسيوس
 ١٧٠ شبيه الآلهة، وليذهب معهم أوديسوس ويوريپاتيس رسلاً.
 أما الآن، فلتحضر الماء لتغسل أيدينا، ولنلتزم الصمت
 المقدس ولننتصرع لزيوس بن كرونوس، كي يرحمنا".
 هكذا تحدث. وكان حديثه مصدر ارتياح للجميع.
 وفى الحال أحضر الرسل الماء وصبوه على أيدي
 ١٧٥ القادة. ثم ملأوا أباريق الخمر عن آخرها،
 وبعد أن وزعوها على الكنوس، سكبوا القرابين للآلهة.
 وبعد أن شرب كل منهم حتى ارتوى،
 اندفعوا خارجين من خيمة أجاممنون بن أتريوس،
 بعد أن أصدر إليهم نيسطور، الفارس الجيريني، العديد
 ١٨٠ من الأوامر وهو ينظر إلى كل منهم، وخاصة إلى
 أوديسيوس. وأوصاهم أن يحاولوا إقناع ابن بيليوس،
 البطل المغوار. وسار الرفيقان بمحاذاة شاطئ البحر
 الهادر وتضرعا كثيرا (ليوسيدون) مزلزل الأرض
 والمحيط بها، أن يساعدهما فى إقناع عقل سليل أياكوس
 ١٨٥ العنيد. وعندما وصلا إلى خيام الميرميدونيين
 وجدا أخيليوس يروح عن نفسه بالعزف على
 قيثارته الجميلة، التى تزينها الزخارف الدقيقة وكذا قضيب
 من الفضة. وكان قد أخذها ضمن الغنائم عندما اجتاح
 مدينة إيثيتيون وكان يطيب له التغنى بأمجاد الأبطال.
 ١٩٠ وكان باتروكلوس يجلس فى مواجهته صامتاً وحيداً،
 وكان يستمع إلى سليل أياكوس منتظراً أن ينتهى من
 غنائه. وعندما وصل الاثنان إليه، وكان أوديسيوس فى

- المقدمة، وفقاً في مواجهة أخيلئوس الذى ترك مكانه وهب واقفاً من الدهشة وهو ما يزال يمسك قيثارته. وبالمثل هب باتروكلوس واقفاً عندما رأى الرجلين ورحب أخيلئوس، سريع القدمين، بهما قائلاً:
- ١٩٥ "مرحباً بكما أيها الصديقان العزيزان. ما الأمر الملح الذى جاء بكما ؟ فرغم غضبى فأنتما أحب الناس إلى قلبى بين جميع الآخرين".
- ٢٠٠ هكذا قال أخيلئوس النبيل وهو يقودهما حيث أجلسهما على المقاعد والمفارش الأرجوانية. وتوجه بالحديث لباتروكلوس الذى كان يقف على مقربة منه قائلاً:
- "والآن يا ابن مينويئوس، لتحضرن لنا طائناً أكبر ولتمزج فيه الخمر الأقوى، ولتصب لهما الخمر فى الكؤوس، فهذان اللذان جاءا إلى خيمتى هما أعز الرجال لى".
- ٢٠٥ هكذا قال وأطاعه رفيقه الحبيب باتروكلوس ، الذى ألقى صحيفة ضخمة فى النيران المستعرة كان قد وضع فيها قطعة لحم من ظهر خروف سمين ، كما وضع بها قطعة من سلسلة ظهر خنزير سمين، غنى بالدهون. وكان أوتوميدون يمسك اللحم بينما كان أخيلئوس المبجل يقطعها. وبعد أن قطعها جيداً، ثبت قطع اللحم فى الأسياخ وأشعل ابن مينويئوس، شبيه الآلهة، ناراً ضخمة. وبعد أن هدأت النيران وسكن لهبها قام بتسوية الجمرات ووزع الأسياخ فوقها ونثر عليها الملح المقدس، ثم وضع قطع اللحم على النار. وعندما نضح الشواء تم وضعه على الموائد،
- ٢١٥

- ثم أخذ باتروكلوس الخبز ووزعه على الموائد،
بعد أن وضعه في سلال جميلة، بينما وزع أخيليوس
اللحم. ثم جلس في مواجهة أوديسيوس الإلهي
قريبًا من الحائط المقابل، وأمر رفيقة باتروكلوس
بتقديم القرايين للآلهة، فوضع نصيب الآلهة على
النيران. ومدوا جميعًا أيديهم إلى الأطباق المصفوفة
أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الأكل والشراب
أوماً أياس برأسه إلى فونيكس. والتقط أوديسيوس
المبجل الإشارة فملأ كأسه بالخمير وشرب نخب أخيليوس وهو يقول:
- ٢٢٠ "تسعد أخيليوس ! ونحن حقًا لم نتقصنا الولائم
سواء في خيمة أجاممنون بن أتريوس أو في هذه الوليمة
المصفوفة أمامنا فهي فاحشة الثراء.
ولكن الولائم المبهجة لم تعد تثيرنا
إذ يجتاح نفوسنا حزن عظيم، يا ربيب زيوس، عند
رؤية الكارثة. فنشعر جميعًا بالخوف، إذ نتوقف نجاتنا
أو هلاكنا على السفن ذات المقاعد القوية، إذا لم
نتزود بالشجاعة. لقد أقام الأعداء معسكرهم بالقرب من
السفن والحائط. لقد أشعل الطرواديون الأشاوس
وحلفاؤهم ذائع الصيت نيرانًا كثيرة في جميع أنحاء
المعسكر، يعتقدون أننا لن نستطيع الصمود وأننا
سوف نسقط هنا وسط السفن السوداء.
- ٢٢٥ كما أن زيوس بن كرونوس، يظهر لهم علامات فأله
الطيب ويرسل البرق، ويسطع نجم هيكتر مفعماً
بالقوة. لقد استبد به الغضب الشديد، ولأنه يعتمد على
تأييد زيوس، ولم يعد يحترم بشرًا ولا آلهة. لقد امتلأت

- ٢٤٠ نفسه بغضب مجنون، وهو يتضرع لربة الفجر (إيوس)
أن تسرع باليزوغ متوعدًا أن يمزق الشارات
فوق سفننا وأن يشعل فيها النيران المدمرة، وأن يقتل
الآخيين بجوار السفن بعد أن يجبرهم الدخان على
الخروج. يرتجف قلبي خوفًا من هذا كله، خشية أن
تحقق الآلهة هذه التهديدات، ويصبح مقدراً علينا
٢٤٥ أن نهلك هنا في طرودة، بعيداً عن أرجوس، حيث
توجد مراعى الخيول، إلا إذا كنت ترغب في إنقاذ
الآخيين الذين يعانون من صخب الطرواديين. ولو أنك
قد تأخرت كثيراً، وإلا فسوف يصيبك الحزن فيما بعد.
٢٥٠ ولن تجد علاجاً للمكارثة بعد أن تكون قد وقعت
بالفعل^(*). ففكر جيداً كيف تجنب الدائيتين مغية هذا
اليوم العصيب. صديقي العزيز، لقد أمرك أبوك
بيليوس نفسه يوم أرسلك من فثيا لمساعدة أجاممنون قائلاً:
"يا بني، إن أثينة وهيرا ستمنحك القوة
٢٥٥ إذا كانت هذه هي مشيئتهما، ولكن لتكبح جماح الغضب
داخل قلبك وإن كبر حجمه، فإن الحلم سيد الأخلاق.
واجتنب للشقاق جالب الفتنة بيجاك
الأرجيون جميعاً، صغارهم وكبارهم.
بهذا أمرك الشيخ المسن ولكنك أهملت نصيحته.
٢٦٠ والآن لتوقف عن غضبك الذي يضنى قلبك، ولسوف
يمنحك أجاممنون هدايا تليق بك إذا تخليت عن غضبك

(*) يرد عند بداروس (الأوليبيية الثانية بيت ٢٩ وما يليه مامعناه: "عندما يتم الفعل لا يستطيع الزمن نفسه،
الأب الكوني للأشياء، وليس بوسع، أن يغير نتائج ما تم فعله" وعن فكرة فوات الآران في الأدب الإغريقي
بصفة عامة راجع: أحمد عثمان، "الزمن المأساوي في الفكر الإغريقي". "الف، مجلة الملاحة المقارنة". عدد ٩
(الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٨٩) ص ١٧٣-١٨٨. (أغرر)

- تعال الآن هنا واستمع لى وأنا أعدد لك
الهدايا الموجودة فى خيامه والتي وعد أن يمنحك
إياها: (*) سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة
٢٦٥ تالينات من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع،
اثني عشر جواذاً من جياذ السباق القوية التي تحصد
الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيراً أبداً من
يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب من يحصل
على هذا الكنز، فقد أحرزت له جياذه الأصيله الكثير
٢٧٠ منه فى المسابقات. وسوف يمنحك سبع نساء ماهرات لا
نظير لهن، جليهن من ليسبوس، جميلة المباني، عندما
قمت أنت نفسك بفتحها، وكان قد اختارهن لجمالهن
الفاوق، سوف يقدمهن إليك، بالإضافة إلى الفتاة التي
أخذها منك، ابنة بريسيوس. وهو يقسم بأغلظ الإيمان
٢٧٥ أنه لم يقفز إلى فراشها ولم يضمها إلى أحضانه ولم
تربطه بها قط، أيها الملك، العلاقة المعتادة بين الرجل
والمرأة. كل هذه الأشياء سوف تكون ملكك فى الحال
وإذا ما قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة
برياموس العظيمة فسوف يدعك تدخل وتملأ سفينتك
٢٨٠ بالذهب والبرونز، قبل أن نفتحم نحن الآخيين المدينة
ونبدأ فى توزيع الغنائم. وسوف يدعك تختار لنفسك
عشرين امرأة من الطرواديات من بين أجمل
النساء بعد هيلينى الأرجية. وإذا ما وصلنا إلى أرجوس
الأخيه، أخصب البلاد فسوف يعاملك كابنه. سوف
٢٨٥ يحبك مثلما يحب ابنه أوريسيس الذى رباه فى رفاهية

(*) هذه الأبيات مكررة قارن أعلاه بيت ١٢٠ وما يليه. (اغرر)

- ونعيم لشدة حبه له. ومن بين بناته الثلاث الموجودات
 في قصره الحصين خريسوثيرميس ولاؤديكي وإفياناسا
 لتأخذ من تروق لك إلى بيت بيلوس. دون أن تقدم هدايا زواج،
 ٢٩٠ وسوف يعطيها هو هدايا كثيرة قيمة لم يقدمها أحد لابنته من قبل قط.
 وسوف يمنحك سبع مدن عامرة بالسكان:
 كاردامولي وانوبى وهيرى، كثيرة الأعشاب،
 وفيراي المقدسة، وأنتيا الغنية بالمروج
 وآيبيا الجميلة وكذلك بيداسوس الغنية بجنت الأعناب
 ٢٩٥ وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلوس، كثيفة
 الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير من المشاية
 والنيران، وسوف يجلونك كما لو كنت إلهاً وسيقدمون
 إليك الهدايا. وعندما تحكمهم سوف يقدمون لك فرائض
 الطاعة، كل هذا سوف يقدمه لك إذا ما تخليت عن
 ٣٠٠ غضبك، حتى لو كنت تكره ابن أتريوس من كل قلبك،
 وتكره هداياه، فلترحم كافة الآخرين
 الذين أصابهم الحزن فى جميع أنحاء الجيش، فسوف
 يجلونك كإله، وسوف تكون مكانتك رفيعة بينهم.
 والآن يجب عليك أن تقتل هيكتور، فقد يهاجمك
 ٣٠٥ فى نوبة جنون مدمرة، إذ يعتقد أنه يتفوق
 على جميع الدانائيين الذين أحضرتهم السفن إلى هنا".
 فرد عليه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:
 "أوديسيوس، يا كثير الحيل، يا ابن لائيرتيس. ياسليل
 زيوس هل يجب على أن أقول كلمتى دون تدبر
 ٣١٠ العواقب، ودون أن أمحص ما أفكر فيه وأرى كيف
 يتحقق، حتى لا تتكسوا من حولى بكلمات التملق.

- إبنى أكره الرجل الذى يخفى فى قلبه أمرًا
ويعلم أمرًا آخرًا^(*)، كراهيتى لبوابات هاديس.
ولكننى سوف أعلن ما يبدو أفضل الأشياء بالنسبة لى.
أعتقد أن أجاممنون، بن أتريوس، لن يستميلنى أبدًا،
ولا جميع الدانييين، فما من كلمة شكر قدمت لى،
عندما كنت أحارب الأعداء دون هوادة.
فمسير من يتكاسل ومن يحارب واحد
ويلقى الجبان والمقدام التقدير نفسه، فالذى
يكافح كثيرًا، والذى لا يكافح مطلقًا يموتان الميتة نفسها،
وما جنيت فائدة قط من الصعاب التى تكابدها روحى،
والتي تربط حياتى بالخطر وإشعال الحروب.
مثل الطائر الذى يحمل بمنقاره كسرات الطعام
لصغاره قليلة الخبرة ويطعمها إياها، رغم أنه فى شدة
الحاجة إليها. هكذا أنا، فكم من ليالٍ مديدة وأيام عديدة
قضيتها دون نوم، تغطى الدماء جسدى فى ساحة
الوعى، أحارب مع من يحاربون من أجل زوجاتهم.
لقد دمرت اثنتى عشر مدينة بمسفى، وإحدى
عشر مدينة سيرًا على قدمى عبر أراضى طروادة الخصيبة.
كثيرة هى وعظيمة تلك الكنوز التى غنمتها من هذه
المدن، والنتى كنت أحملها كلها إلى أجاممنون بن أتريوس،
وأعطيها له. بينما يبقى هو فى الخلف بجوار
السفن ليستقبل ما أعطيه له. فيوزع القليل ويحتفظ
لنفسه بأكثرها. وعندما كان يعطى مكافأة للملوك

(*) قارن ما يقوله هوميروس "Turpe est aliud loqui, aliud sentire" (Epist. 14) "من العار أن تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخر". (الغرر)

- ٣٣٥ والنبلاء كانت يده لا تمتد إليها ثانية. ولكنه أخذ
محظيتي أنا من بين جميع الأخيين، وهو ينعم بقربها
الآن. ولكن لماذا ينبغي أن يحارب الأرجيون
الطرواديين؟ لماذا أبحر أبنا أتريوس
وحشدوا الجيوش هنا؟ من أجل هيليني جميلة الشعر،
٣٤٠ أليس كذلك؟ أم أن أبنا أتريوس هما فقط من بين
البشر اللذان يحبان زوجتيهما؟ إن الرجل النبيل الفطن
يحب زوجته ويهتم بأمورها. وكذا أحببت أنا
أيضاً زوجتي، رغم أنني حصلت عليها بحد السيف.
فدعه لا يحاول الآن، وقد أخذ جائزتي وخذعني
٣٤٥ أن يستميلني ثانية، فأنا أعرفه جيداً، فلن أذعن له.
وليتشاور معك يا أوديسيوس ومع الملوك الآخرين
كيف يجنب السفن خطر نيران العدو، فقد قام بأعمال كثيرة بدوني،
فقد قام ببناء الحائط وأضاف إليه أيضاً خندقاً
٣٥٠ كبيراً وعميقاً وأحاطه جيداً بالسياج الخشبية.
فليبحث الآن كيف يصد هيكتور قاتل الرجال.
لم يجرؤ هيكتور أن يحارب بعيداً عن أسواره
طالما كنت أحارب أنا في صفوف الأخيين. ولم يذهب
مطلقاً لأبعد من بوابات سكاياي وشجرة البلوط،
٣٥٥ لقد قاومتني مرة واحدة وأفلت من هجومي بصعوبة.
والآن، حيث إنني لا أرغب في قتال هيكتور، شبيه
الآلهة، فسوف أقدم القرابين غداً لزيوس ولجميع الآلهة.
وبعد أن أملاً سفني بالعتاد الكافي سوف أبحر،
فإذا ما كانت لديكم الرغبة والاهتمام، سوف ترونني
٣٦٠ أبحر في الصباح الباكر إلى بحر هيليسبونطوس

- الملء بالأسماك، ومعى فى السفن رجالى الذين يجذفون
بحماس جارف. وإذا ما وفر لى بوسيدون المجيد،
مزلزل الأرض، رحلة طيبة فسوف أصل إلى فثيا الخصبة
فى اليوم الثالث. إننى أملك الكثير، وقد تركته خلفى
عندما أتيت إلى هنا للدمار. وسوف أحمل معى من هنا
الذهب والنحاس الأحمر والنساء اللاتى يتمنطقن جيداً
والحديد العتيق. وكانت كلها من نصيبى عند إجراء
القرعة. فهى غنيمتى التى أعطانى إياها الملك
أجاممنون بن أتريوس، ثم أهاننى وأخذها منى ثانية .
فلتعلنوا على الملأ ما أمركم به حتى لا يتذمر الآخيون
الآخرون، إذا ما فكر فى خداع أحد الرفاق من الدانائيين،
فهو يتصف بالوقاحة دوماً ، ولكنه لن يجرؤ
على النظر فى وجهى، رغم أنه لا يعرف
الخدل، ولن أتشاور معه فى أمر، ولن أشاركه العمل
لأنه خدعنى وأساء إلى. لذلك فمن الآن فصاعداً
لن يخدعنى بكلماته. يكفينى منه ذلك، وليذهب هو
للجحيم كما يشاء. لقد سلبه زيوس، واسع الحكمة،
عقله. إننى أكره هداياه، وهى لا تساوى عندى شيئاً ،
حتى لو أعطانى عشرة أضعاف أو حتى عشرين ضعفاً
من كل ما يملكه الآن، وكل ما قد يحصل عليه من مكان
آخر، ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة.
المصرية، حيث تمتلئ الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم طيبة،
ذات البوابات المائة التى ينطلق من كل
منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.
إن أجاممنون لن يسيطر على روحى،

- حتى لو أعطاني هدايا بعدد حبات الرمال،
بسبب ما لحقني منه من إهانة.
- ولن أتزوج ابنة أجاممنون بن أتريوس، أبداً حتى لو
كانت تبارى أفروديتي ذهبية الشعر، جمالاً،
٣٩٠ أو لو كانت تقوم بما تقوم به أثينة، زرقاء العينين، من
أعمال. لن أتزوجها أبداً. فليختر لها شخصاً آخر من
بين الآخرين، شخصاً يتناسب معه ويكون أكثر سلطاناً مني.
أما أنا، فإذا ما أنقذتني الآلهة وعدت إلي وطني سالماً
فإن بيليوس نفسه هو الذي سوف يختار لي زوجتي.
٣٩٥ ففي هيلاس وفي فثيا، توجد فتيات آخيات كثيرات
من بنات الملوك، الذين يحرصون على إنقاذ
المدن، ومن الأفضل أن أختار عروسي من بينهم.
إن روجي الأبية تدفعني دفعاً
إلى أن أتخذ لنفسى زوجة تتواءم معي، وأن أستمع
بما يملكه بيليوس الشيخ المسن من ثروة. فإني أعتقد
٤٠٠ أنه لا شيء يساوي روح الإنسان، ولا حتى الثروات
الضخمة التي يقال إن مدينة إليون العامرة كانت
تملكها وقت السلم، قبل مجيء الأخيين، ولا حتى
كل ما يوجد في معبد أبوللون الوضاء (فوبيوس)
الذي يسيطر على محب بيتو (دلفي) الصخري.
٤٠٥ فمن الممكن أن يأخذ المرء غنائم من الثيران والماشية
السمينة، ومن المقاعد الثلاثية، وكذلك من الجياد الشغراء،
ولكن روح الإنسان لا تعود إليه مرة أخرى
إذا ما أزهقت وخرجت من بين أسنانه.
- ٤١٠ لقد أخبرتني أمي ثيتيس، فضية القدمين أن مصيري

- الذى يحمل لى الموت فى النهاية مقسم بين أمرين:
 فإذا ما اخترت البقاء فى مدينة طروادة لأحارب
 فلن تتاح لى العودة، وإن كنت سأنال شهرة لا تزول.
 أما إذا عدت إلى أرض وطنى الحبيب
 ٤١٥ فسأفقد سمعتى الطيبة، وإن كانت حياتى ستمتد طويلا،
 إذ لن ألقى الموت سريعا. ومن ثم فإننى سوف أحت الآخرين كذلك
 على الإبحار للوطن، حيث أنكم لن تشهدوا
 سقوط إليون المنيع. لأن زيوس بعيد النظر،
 ٤٢٠ يحمى هذه المدينة ويؤيد أهلها.
 وحيث إنكم سوف تذهبون للقاء ملوك الأخيين
 فلتعلموا لهم رسالتى بصراحة، فتلك هى مهمة الشيوخ
 أن يعملوا عقولهم ويفكروا فى خطة أفضل تتقذ السفن
 وتقذ شعب الأخيين الموجود فى السفن المجوفة حيث أن الخطة
 ٤٢٥ التى أعلنوها وهم لا جدوى منه، فإن غضبى لم يهدأ بعد.
 أما فوينيكس، فلتتركوه لينام هنا فى خيامنا
 حتى يبحر معى فى السفن إلى وطننا الحبيب فى
 الصباح الباكر. إذا كانت هذه رغبته، فإننى لن أصحبه مكرها "
- ٤٣٠ هكذا تحدث واستمع إليه الآخرون فى صمت
 مطبق، وقد أخذتهم الرهبة من حديثه. فقد كان رفضه
 عنيفا للغاية. وبعد وقت طويل تحدث فوينيكس، الفارس الأشيب،
 ودموعه تنهمر مدرارا من شدة خوفه على سفن الأخيين وقال:
 "أخيلئوس أيها الأمجد، إذا كنت قد حسمت أمرك
 ٤٣٥ وقررت العودة، ولم تعد تهتم مطلقا بإبعاد خطر النار المدمرة
 عن السفن السريعة، حيث إن الغضب تمكن من
 روحك، فكيف أبقى أنا هنا بعيدا عنك، يا ولدى

- الحبيب، وأتركك وحيداً ؟ لقد أرسلنى إلى جانبك
 الفارس المسن بيليوس فى اليوم نفسه الذى أرسلك
 ٤٤٠ من فثيا لمساعدة أجاممنون وكنت آنذاك غراً صغيراً،
 لا تعرف فن القتال ولا مهارة الحديث، وهى المهارات
 التى تتضح الرجال. من أجل ذلك استدعانى والدك كى أعلمك
 كيف تكون ماهراً فى القول وفى الفعل.
 لذلك يا ولدى الحبيب، لن أوافق بعد الآن على أن
 ٤٤٥ ابتعد عنك، حتى لو وعدنى الإله نفسه بأن يخلصني
 من الشيوخوخة، وأعود إلى شرخ الشباب مثلما كنت
 عندما تركت هيلاس، بلاد النساء الجميلات، وهربت
 بعد أن تشاجرت مع أبى أمينتور، بن أورمينوس.
 فقد غضب منى غضباً شديداً بسبب محظيته جميلة الشعر.
 ٤٥٠ فقد شغل أبى بحبها، مهملاً زوجته، أمى،
 التى ركعت أمامى وتوسلت إلى أن أستبقه
 وأضاجع محظيته حتى تنفر من أبى المسن.
 فخضعت بالفعل لتوسلاتها. وفى الحال. شعر أبى بما حدث
 واستمطر اللعنات على، ونادى الإيرينيات^(*) البغيضات
 ٤٥٥ وتضرع إليهن ألا يجلس على قدميه ابن
 يخرج من صلبى. واستجابت الآلهة للعناته على.
 استجاب زيوس العالم الآخر (هاديس) وهرسيفونى الرهيبة.
 ٤٦٠ ولم يعد قلبى يحتمل أكثر من ذلك فى داخل صدرى ،
 ولم أعد أحتمل البقاء فى منزل أبى الغاضب .

(*) الإيرينيات (Eirynies) : الإيرينيات ربات يظهرن فى الأعمال الأدبية بدءاً من هوميروس كمنتهجات جارات عادلات ومنفذات للعنات التى يصيها المظلوم وخاصة على أولئك الذين يرتكبون جرائم تقطع صلة الرحم، ومن ثم كن يصفين إلى لعنات الأمهات والآباء على أولادهم العاقين . لذلك استجبن للعنات أمينتور على ولده فوبيكس كما طاردن أوريسيس ، بن أجائثون ، بعد أن قتل أمه كليتمسترا.

- وجاء العديد من رجال عشيرتى وابناء عمومتى
 ٤٦٥ وتضرعوا إلى محاولين إبقائى فى المنزل ،
 وظلوا يذبحون الكثير من الأغنام السمينه والثيران
 ذات القرون الملتوية والخنازير المليئة بالشحم والدهون،
 وقدموا الكثير منها قرابيناً على نيران الإله
 هيفايسترس. وشربوا حتى الثمالة من قوارير خمر
 ٤٧٠ أبى، وظلوا لمدة تسع ليال ينامون بالقرب منى،
 وتناوبوا الحراسة فيما بينهم، تسع ليال لم تنطفئ
 خلالها النيران فى فناء الدهليز المنيع
 ولا فى الفناء الآخر الموجود أمام مدخل الحجرة.
 ولكن عندما أرخت الليلة العاشرة أسدالها حولى
 ٤٧٥ نهضت وفتحت باب حجرتى الموصد
 ومرقت للخارج، وقفزت من فوق سور الفناء، وأقلت
 بسهولة من الحرس، ومن رجال المنزل ونسائه.
 ثم هربت بعد ذلك بعيداً إلى هيلاس الفسيحة ووصلت
 إلى فثيا الخصيبة، موطن قطعان الماشية، حيث
 ٤٨٠ ذهبت إلى الملك بيليوس الذى استقبلنى بحفاوة بالغة،
 وأحبنى كما يحب الأب ابنه
 الوحيد، الذى أنجبه والذى سيرث ثروته الضخمة.
 فأعقد على المال وجعلنى حاكماً على شعب كبير العدد.
 وعندما كنت أقيم فى أطراف فثيا، حكمت الدولوبيس.
 ٤٨٥ ولقد أحببتك يا أخيليوس، يا شبيه الآلهة،
 من كل قلبى، فقد كنت ترفض الذهب
 إلى المآذب مع أحد غيرى، وكنت ترفض الأكل
 فى المنزل، إلا إذا أجلسك على ركبتي. وكنت

- أطعمك من اللحم حتى تشبع، وأقدم لك الخمر لتشرب
 ٤٩٠ وكم من مرة لوئثت صدر عباأتي
 وسكبت عليها الخمر في مشاكسة طفولية
 لقد تعبت من أجلك كثيرًا وعانيت مصاعب جمة.
 وحيث إن الآلهة لم تمنحنى ولداً من صلبى،
 فقد اتخذتك أنت، يا أخيليوس يا شبيه الآلهة
 ٤٩٥ ولذا لى، حتى تدفع عنى الدمار المخيف. فلتنكظم
 يا ولدى أخيليوس غيظك الكبير، فلا يليق بك أن تملك
 هذا القلب، الذى لا يلين، فإن الآلهة ذاتها تلين، رغم
 أن فضيلتها ومكانتها وقوتها أكبر منا، فالبشر
 يجعلون الآلهة تلين، عندما يقدمون لها البخور والنذور،
 ٥٠٠ وعندما يحرقون لها الذبائح، ويسكبون قرايين الشراب
 ويتضرعون وبذلك يتخلصون من غضب الآلهة عليهم،
 إذا ما أخطأوا أو أصابهم الغرور. الليثاى^(٢) هن بنات زيوس
 العظيم بحق، وهن عرجاوات، مجمعات الوجوه،
 تنظر عيونهن بارتباب. تمشى الليثاى خلف الخطيئة وتتبعها.
 ٥٠٥ الخطيئة قوية ورشيقة القدمين، لذلك فإنها
 تسبق الجميع، وهى تصل إلى جميع أنحاء الأرض،
 وتسبب سقوط البشر، ثم تصلحهم مرة أخرى.
 أما الذى يبجل بنات زيوس، عندما يحضرن إليه،
 يساعده كثيرًا ويستجبن لتضرعاته.
 ٥١٠ ولكن من ينكرهن ويصرح بذلك جهراً
 يجعلهن يذهبن إلى زيوس بن كرونوس ويتضرعن إليه
 أن يجعل خطيئته تتبعه حتى يكفر عنها

(٢) الليثاى (Λιθαί): اللجأى هى تضرعات الاستغفار والتوبة وقد جسدق الأساطير وجمعين بنات زيوس.

- وللتأكد يا أخيلئوس، أن من يتبع طريق بنات زيوس
ينال التقدير، مثلما يميل القلب بفطرته للأشياء الطيبة.
- ٥١٥ ولكن لو لم يكن ابن أتريوس قد أحضر الهدايا ولم يسع
وراءك، بل استمر في غضبه العنيف وغيه،
ما كنت سأنصحك بالتخلي عن غضبك
حتى من أجل إنقاذ الأرجيين رغم حاجتهم للعون.
ولكنه يقدم لك الكثير الآن، ووعد بتقديم المزيد فيما بعد
- ٥٢٠ كما أرسل لك أفضل الرجال ليتوسلوا إليك،
واختار من بين الأخيين أكثر
المقربين إلى نفسك، فلا تحتقر حديثهم
ولا تستهن بسعيهم، رغم أنك محق في غضبك.
لقد سمعنا فيما مضى عن أبطال مشهورين،
- ٥٢٥ قد يملك الغضب الجامح نفس أحدهم، لكنه يقبل
الهدايا وتؤثر في نفسه الكلمات الطيبة. إننى شخصياً
أتذكر تلك القصة، وهى ليست قصة جديدة، ولكنها
ترجع إلى الأزمان السحيقة، وسوف أقصها على هؤلاء
الأصدقاء، اشتبك الكوريتيون في حرب مع الأيتولييين
- ٥٣٠ الأشداء حول مدينة كاليدون، واحتدم القتال بين
الطرفين، وبينما كان الأيتوليون يدافعون عن مدينة
كاليدون الجميلة، كان الكوريتيون يحاولون تدميرها
عن بكرة أبيها. وقد أنزلت ذهبية العرش أرتميس البلاء بهم.
- ٥٣٥ فقد استشاطت غضباً لأن أوينيوس لم يقدم على أعتاب معبدها قرابيناً
من بشائر المحصول، وقدم القرابين الضخمة للآلهة الآخرين.
لقد تجاهلها هى فقط، وهى ابنة زيوس العظيم،
سواء أكان ذلك نسياناً منه، أو لأنه لم يهتم بها. فاكْتَسَبَ بذلك إثمًا كبيراً

- مما أثار حفيظتها وغضبها. وسلطت رامية السهام
عليه مخلوقاً سماوياً، خنزيراً برياً ذا أنياب بيضاء،
فدمر حديقة أوبينوس تدميراً شاملاً.
٥٤٠
فقد اجتث الكثير من الأشجار الطويلة من جذورها
وطرحها أرضاً وسواها ببراعم أشجار التفاح.
ولكن ملياجروس، بن أوبينوس، تمكن أخيراً من قتله،
عندما جمع العديد من الصيادين والكلاب من مدن
كثيرة، لأن الوحش أيا كانت قوته لن يتغلب
٥٤٥
على عصبية كبيرة من البشر، رغم أنه أهلك كثيرين.
وأطلقت الربة الكثير من الصياح والعيول حوله
وعلى رأسه وجسده الملىء بالشعر. وأثارت
الصراع بين الكوريتيين والأيتوليين اليواصل وحتى ذلك
الوقت كان ملياجروس، حبيب آريس، يحارب
٥٥٠
الكوريتيين وينزل البلاء بهم، لذلك لم يستطيعوا
البقاء خارج السور رغم كثرتهم. ولكن عندما دخل
الغضب إلى نفس ملياجروس، وهو ما يحدث دائماً،
جعل قلبه يمتلئ بالغضب داخل صدره، بالرغم من
٥٥٥
رجاحة عقله، وقد رقد الآن بجانب زوجته الجميلة
كليوباترا، وقلبه ملىء بالغضب من أمه الحبيبة أثايا.
كليوباترا ابنة ماريمسا، جميلة الكعبيين، ابنة إيوني
وايداس الذى كان يعد من أقوى الرجال
على وجه الأرض، والذى صوب قوسه ضد أبوللون
٥٦٠
الوضاء (فوبوس) دفاعاً عن زوجته جميلة الكعبيين
والتي كان أبوها وأمها يدعوانها وهى فى
قصرهما ألكيونى، وإذ أطلقت أمها صرخة ألم عليها

- مثل نحيب طائر الرفراف^(*) عندما اختطفها
أبوللون الوضاء (فوبيوس) رامى السهام البعيدة.
٥٦٥ رقد ملياجروس بجانب كليوباترا حزين القلب مهموماً
غاضباً من لعنات أمه، فقد تضرعت للآلهة وصلت
لها كثيراً وهي في شدة الحزن لموت إخوتها^(**).
وبيديها لطمت الأرض كثيرة الخيرات وتضرعت إلى
هاديس وبرسيفوني (برسيفونيا) الرهيبة وهي راكعة
٥٧٠ على ركبتيها ودموعها الغزيرة تسيل أنهاراً على
صدرها متمنية الموت لابنها. وسمعتها الإيرينيات
اللاتى يسرن في الظلام في أعماق إريبيوس^(***) بقلوبهن
التي لا تعرف الرحمة. وفي الحال ارتفع ضجيج الأعداء وصياحهم
حول البوابات وبدأت الأبراج في السقوط. فتصرع له كبار السن
٥٧٥ من الأيتوليين وأرسلوا له أفضل الكهنة
حتى يأتي وينقذهم واعدن إياه بهدايا كثيرة، وتوسلوا
إليه أن يختار قطعة أرض شديدة الجمال يأخذها
لنفسه، حيث تكون التربة شديدة الخصوبة في وادي
كاليدون الجميل، خمسين فدانا نصفها مزروع بالكروم
٥٨٠ ونصفها الآخر أرض خالية في الوادي جاهزة للحريث.
وقد توسل إليه الفارس المسن أونيوس
وهو يقف على أعتاب حجرته ذات السقف العالي،
وظل يهز مقبض الباب الذي أغلقه بإحكام.

(*) طائر الرفراف Alkyon : طائر من فصيلة القريبات ، يصيد الأسماك من المياه العذبة : ويبني هذا الطائر عشه في أيام محددة أثناء فصل الشتاء - حيث استقرار الطقس وهدوء البحر ، لذلك تستخدم كلمة Alkyonides والتي تعني في الأصل الأربعة عشر يوماً التي يبني فيها الطائر عشه للتعبير عن أيام الصفاء والهدوء الذي لا يعكر صفوه شيء.

(**) يسمى باكهيلايدس (V, 129) أخويها إفيكلوس Iphiklos وأفاريس Aphares. (أغرر)
(***) إريبيوس Erebos: هي منطقة الظلام الغامض التي يعبرها الميت في طريقه إلى هاديس وقد جسدت الأساطير الإغريقية إريبيوس ابناً للفوضى Chaos وكشفت لي ليل Nyx.

- كما توسلت إليه أيضًا شقيقاته وأمه الميجلة، ولكنه
 ٥٨٥ أدار ظهره لتوسلاتهم، كما توسل إليه مرارًا أكثر
 من يثق فيهم من أصدقائه الذين يحبهم أكثر من الجميع،
 ولكنهم فشلوا جميعًا في استمالة قلبه الكائن في صدره.
 إلى أن وصل الهجوم الكاسح إلى حجرته. وصعد
 الكوريتيون إلى البرج، وأشعلوا النيران الضارية في
 ٥٩٠ المدينة، عندئذ تضرعت الزوجة ذات النطاق الجميل إلى
 ملياجروس، وقصت على مسامعه وهي تبكي
 كل الفظائع التي تنتظر شعب المدينة المهزومة. فبعد
 قتل جميع الرجال سوف تضرع النيران في أنحاء
 المدينة، وسوف تساق الزوجات والنساء ذوات النطاق المتين
 إلى ذل العبودية مع أطفالهن.
 ٥٩٥ وعندما سمع ملياجروس تلك الفظائع انتفضت روحه،
 وخرج للمعركة واضعًا أسلحته البراقة حول جسده.
 وهكذا جنب ملياجروس الأيتوليين مغبة يوم مفجع
 بعد أن خضع لنداء قلبه، ولكنهم لم يقدموا له بعد ذلك
 الهدايا الكثيرة والجميلة، بالرغم من أنه أنقذهم.
 ٦٠٠ فلا تكن يا أخيلئوس يا ولدى الحبيب عنيذا مثله، فإن
 الآلهة لا تؤيدك في ذلك. إن المهمة الصعبة هي إنقاذ
 السفن المحترقة، فلتذهب للحرب بعد قبول الهدايا
 فإن الآخرين سوف يجلونك كإله.
 أما إذا رفضت الهدايا، وواصلت الشقاق
 ٦٠٥ فلن تنال تقديرهم بعد ذلك أبدًا، إذ إنك اعتزلت الحرب".
 عندئذ أجابه أخيلئوس، سريع القدمين، قائلاً:
 "قوينيكنس، يا والدى الشيخ، يا من ربك زيوس. إننى

- لا أحتاج لتقديرهم، فأنا أعتقد أن زيوس منحني تقديرًا مماثلًا سوف يبقى معي، وأنا بجوار سفني معقوفة
- ٦١٠ المقدمة، طالما بقي نفس في صدري، وطالما كانت أطرافي قادرة على الحركة. إنني أقول لك شيئًا آخر فكر فيه جيدًا مع نفسك: لا تتعب روحي بنواحك وحزنك لمجرد إرضاء ابن أتريوس المغوار. إن صداقته لا تتواءم معك. وحتى لاتصبح عدوًا لي رغم حبي لك. والأفضل لك أن تشاركني عداوة الرجل الذي عاداني، لأنك ملك مثلي وتشاركني التقدير الذي أناله. هؤلاء الرجال سوف يعلنون له قراري، ولكن لتيق أنت هنا ولتسترح في فراش وثير. وعندما يشرق الصباح سوف نفكر ما إذا كنا سوف نبحر إلى وطننا أم سنبقى هنا".
- ٦٢٠ وفي صمت أومأ إلى باتروكلوس بحاجبيه ليقوم بإعداد فراش وثير لفوينيكس، وأن يغادر (الرسولان) الخيمة بأقصى سرعة، ولكن أياس بن تيلامون، شبيه الآلهة، خاطبهم قائلاً:
- "أوديسيوس يا ابن لاثيرتيس، يا كثير الحيل ويا سليل زيوس هيا بنا نرحل. يبدو لي أن هذه الرحلة لن تحقق شيئًا أبدًا. ويجب علينا أن نعلن ذلك للدانائيين على وجه السرعة، رغم أنه خير لا يسعد، ولن يأت خير من ورائه، فإنهم يجلسون الآن في انتظار الرد. ولكن صدر أخيلئوس ونفسه البطولية تجيشان بغضب وحشى فهو لا يلين أبدًا، ولا يهتم بحب زملائه. فمن بين كل الموجودين في السفن كان هو أكثر من أحببنا. يا لقسوة قلبه! إن المرء يقلل الفدية
- ٦٢٥
- ٦٣٠

من قاتل شقيقه، أو حتى من قاتل ولده
ويبقى القاتل في البلدة إذا نال العقوبة

٦٣٥ العادلة. وبعد أن يقبل الفدية

تهدا روحه الغضوب. أما أنت، فقد وضعت الآلهة في
قلبك غضبًا شريرًا لا يلين، وذلك من أجل فتاة واحدة
فقط، بينما نقدم لك الآن سبع فتيات فاضلات بالإضافة
إلى أشياء أخرى قيمة، فلتصن روحك الكريمة

٦٤٠ ولتحترم وجودنا في منزلك. فنحن ضيوفك وقد أرسلنا
إليك وفودًا كثيرة من الدانائين. ونحن نرغب أن تكون
أكثر من نهتم به من بين الجميع، وأكثر من ينال حينا
من بين جميع الآخرين، على كثرتهم".

عندئذ. أجابه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:

"أياس، يا سليل زيوس التيلاموني وحاكم الشعوب

٦٤٥ يبدو أنك تتطلق دائماً بما يدور في عقلي

ولكن قلبي مازال مفعماً بالغضب عندما أذكر

تلك الأفعال، وكيف أهانني ابن أتريوس بين الأرجيين
بوقاحة، كما لو كنت شخصاً منبوذاً عديم الكرامة.

فلتراجعوا ولتعلنوا للأرجيين قراري بوضوح: إنني لن

٦٥٠ أبالي بالحرب الملعونة التي تستنزف النماء، قبل أن

يأتى ابن برياموس ذو القلب الحكيم، هيكتور شبيه

الآلهة، إلى سفن الميرميدونيين وخيامهم،

فيفتل الأرجيين ويضرم النيران في سفنهم. ولكنني

أعتقد أنه مهما كانت رغبة هيكتور في القتال، لن يأت

٦٥٥ لمحاربتى هنا بجوار خيمتى وسفينتى الموداء".

هكذا تحدث. وأمسك كل منهم كأساً ضخماً، وقيل

- أن يشربوا سكبوا القرايين للآلهة، ثم أسرعوا إلى سفنهم
مرة أخرى. وقادهم أوديسيوس. فى حين أمر
باتروكلوس محظياته بإعداد فراش وثير لفونيكس على
وجه السرعة. وكما أمرهن، فمن بإعداد الفراش
بأجود أنواع الكتان وبأغطية من الفرو.
وتتدد العجوز فوقه منتظراً بزوغ رية الفجر (أيوس).
بينما نام أخيليوس فى نهاية الخيمة المتينة،
وإلى جانبه نامت امرأة: ديوميدي، ابنة فورباس،
جميلة الوجنتين، التى أحضرها من ليسبوس. أما
باتروكلوس فقد نام فى الجانب المقابل وبجانبه ليفيس
(ذات النطاق الجميل) التى منحها له أخيليوس المجل
عندما استولى على مدينة سكيروس، قلعة إنيوس الحصينة.
وعندما عاد الرسل، دخلوا خيمة ابن أتريوس،
فنهض جميع الآخيين وقدموا لهم الكئوس الذهبية،
وتجمعوا من كل صوب وحذب وتوجهوا إليهم
بالأسئلة، وكان أجاممنون، ملك الرجال، أول السائلين:
"فلتأت يا أوديسيوس، يا فخر الآخيين العظيم، يامن
يمدحونك كثيراً، ولتخبرنى ما إذا كان قد وافق على الدفاع
عن السفن وحمايتها من نيران العدو أم رفض.
وهل مازال الغضب يسيطر على روحه المتعالية؟".
وفى الحال أجابه أوديسيوس الإلهى، الذى عانى كثيراً، قائلاً:
"أجاممنون يا ابن أتريوس المجل، ياملك الرجال،
إنه يرفض أن يطفىء نار حنقه. ومازال الغضب
المجنون يسيطر على روحه أكثر مما مضى. ويحتقرك
أنت وهداياك. وهو يطلب منك أن تتشاور مع الأرجيين

- كيف ننفذ شعب الأخيين وسفنتهم .
وهو يهدد أنه، عندما يطلع الصباح سوف ينزل إلى
الماء سفنه ذات المجاديف القوية على كلا الجانبين.
كما قال إنه سوف يحث الآخرين على العودة معه
إلى الوطن، حيث إنكم لن تشهدوا نهاية إليون المنبعة،
٦٨٥ لأن زيوس، بعيد النظر يضع يده مع هذه المدينة
ويحميها، ويملاً شعبها بالثقة. هكذا قال، ويستطيع
من ذهبوا معي أن يؤكدوا ذلك، إنهم موجودون
هنا، أباس والرسولان الآخران، وهم جميعاً يتمتعون
٦٩٠ بالحكمة والحصافة. كما أمر الشيخ فوينيكس أن يبقى
معه حتى الصباح، فسوف يصحبه في سفينته
إلى وطنه الحبيب في اليوم التالي، إذا ما رغب في ذلك.
فهو لا يريد أن يصطحبه مكرهاً".
هكذا تحدث. واستمع الآخرون إليه في صمت
مطبق، من شدة دهشتهم بحديثه العنيف
ومن شدة حزنهم. ظل الأخيون صامتين فترة طويلة.
٦٩٥ وأخيراً تحدث ديوميديس، البارع في صيحة القتال، قائلاً:
"يا ملك الرجال، أجاممنون العظيم، يا ابن
أثريوس. يجب عليك ألا تتوسل لابن بيليوس الذي لا
نظير له، وألا تخطب وده بالهدايا الكثيرة، فهو
متعطرس على الدوام، وأنت الآن تنثر فيه روح
٧٠٠ الغطرسة أكثر. فيجب علينا أن نتركه الآن، سواء قرر
الرحيل أو البقاء، فسوف يحارب مرة أخرى عندما
يأمره قلبه داخل صدره بذلك، أو عندما يحثه أحد
الأكهبة. ولكن فلنحاول إقناع الآخرين.

- ٧٠٥ أما الآن. فلنذهب للنوم، سعداء القلب مسرورين،
بعد أن امتلأنا بالطعام والخمر. فذلك يمنحنا القوة
والشجاعة. وعندما تشرق ربة الفجر الجميلة ذات
الأصابع الوردية، سوف نأخذ الرجال والحياد بسرعة
من أمام السفن ونسرع للقتال. ولتحارب أنت في المقدمة".
- ٧١٠ هكذا تحدث ديوميديس، مروض الخيول.
وصاح الجميع مستحسنين حديثه.
وبعد أن سكبوا قرايين الشراب، ذهب كل منهم إلى
خيمته ليستريح ويستمتع بهدية النوم.
- ٧١٣

الكتاب العاشر



ترجمة منيرة كروان

- نام كافة ملوك الأخيين الآخرون بجانب السفن
طوال الليل بعد أن غلبهم النعاس الجميل.
فقط أجاممنون بن أتريوس، راعى الشعوب
لم يستطع النوم اللذيذ أن يتغلب عليه، لانشغال ذهنه بالتفكير.
وكما يرسل زيوس، زوج هيرا جميلة الشعر، البرق
ويصاحبه عاصفة مروعة من المطر أو البرد،
أو عاصفة تلجية تجعل الثلج يغطي الحقول،
أو عندما يجعل الحرب المدمرة تغمر فاهًا واسعًا،
هكذا كانت تأوهات أجاممنون تندفع بسرعة من صدره،
من أعماق قلبه، وكانت روحه ترتعد داخله.
وكثيرًا ما كان يحملق في السهل الطروادى متعجبًا
من كثرة النيران المستعرة أمام اليون.
بينما تصل إلى مسامعه أصوات النأى والمزممار وضجيج البشر.
وكاد يمزق شعر رأسه من جذوره،
عندما كان ينظر إلى سفن الأخيين وحشودهم
ويتضرع إلى زيوس فى عليائه، وقلبه الشجاع يئن ويتوجع.
ورأى فى قرارة نفسه أن أفضل الحلول
أن يذهب أولاً إلى نيسطور بن نيليوس، دون سواه
عله يستطيع أن يدبر معه خطة ماهرة وماهرة،
يمكن بها تجنب الكارثة التى تكاد تقع على جميع الدانائيين.
لذلك نهض، ثم لف عباءته حول جسده،
ووضع صندله الجميل فى قدميه اللامعتين
ولف جسده بجلد أسد متوحش
أصفر اللون، وطويل يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه.
وبالمثل، تملك الخوف مينيلائوس

- وهجر النوم جفونه، فقد كان يخشى
أن تنزل كارثة بالأرجيين، فمن أجله
عبروا البحر، وجاءوا إلى طروادة ساعين إلى حرب شجاعة.
لذلك، لف مينيلأوس كتفيه العريضتين بجلد نمر
ميرقش، ثم رفع خوذته البرونزية ووضعها
على رأسه، وأمسك رمحه بيده القوية.
ثم انطلق كي يوقظ أخاه، ملك
الأرجيين جميعاً، الذى كان الناس يبجلونه كإله.
فرجده فى مؤخرة سفينته، واضعاً سلاحه
الجميل حول كتفيه، ورحب به بسرور عند قدومه.
وبدا مينيلأوس النبيل الحديث بقوله:
- "لماذا تسلحت هكذا، يا أخى العزيز؟ ألا تبحث عن أحد
الرفاق ليقوم بالتجسس على الطرواديين؟ لشد ما أخشى
ألا يوافق أحد على القيام بهذه المهمة من أجلك،
وأن يقوم بالتجسس على الأعداء بمفرده،
أثناء الليل العاطر. إذ يتطلب الأمر شجاعة فائقة".
- ورد عليه أجاممنون المهيب قائلاً:
- "إننى فى أمس الحاجة للنصيحة، وكذلك أنت يامينيلأوس،
يامن رباه زيوس، نصيحة ذكية، تساعد الأرجيين
وتنقذ سفنهم، حيث إن زيوس قد تحول ضدنا
فمما لا شك فيه أن قلبه قد تحول بسبب القرابين التى يقدمها له هيكتور.
فلم أرى فى حياتى، ولم أسمع أن أحداً قال من قبل،
إن رجلاً واحداً يمكنه أن يحدث هذا القدر الهائل من الضرر يومياً
مثلما ينزل هيكتور، حبيب زيوس، بالآخيين من أضرار،

- ٥٠ رغم أنه ليس ابنا لأحد الآلهة أو إحدى الإلهات.
أعتقد أن تلك الأفعال الشريرة التي يخطط لها
ضد الأرجيين سوف تصيبهم بأضرار تستمر أمداً طويلاً.
ولكن، لنذهب الآن بسرعة تجاه السفن، ولتدعو
أياس وإيدومينيوس، وسوف أسرع أنا إلى نيسطور، شبيه الآلهة.
٥٥ فإذا كان راعياً في الحضور، سوف أحثه لكي يأتي الآن
ليرى الحراس البواسل وليوجه إليهم الأوامر.
فهو الوحيد الذي سوف يطيعون أوامره أكثر من أى شخص آخر،
لأن ابنه يتولى قيادة الحرس، فقد عهدنا إليه
بهذه المهمة، هو وميريونيس، رفيق إيدومينيوس فى القتال".
٦٠ عندئذ أجابه ميتيلاؤس، اللبارع فى صيحة القتال، قائلاً:
"حسناً، ولكن بماذا تأمرنى
أبقى هنا معهم فى انتظار عودتك
أم الحق بك بعد أن أصدر لهم الأوامر؟"
فأجابه أجاسمنون، ملك الرجال، مرة ثانية، بقوله:
٦٥ "لتبقى هنا، حتى لا يفقد أحدنا الآخر
فى الذهاب هنا وهناك، إذ توجد طرق عديدة تؤدي إلى المعسكر.
وأينما ذهبنا لتناد عليهم بصوت مرتفع حتى يستيقظوا،
ولتناد على كل منهم باسم أبيه
ولتُعظمهم جميعاً، ولا تتبالغ فى تكريم نفسك.
٧٠ فلنتعب نحن أنفسنا من أجلهم، نحن الذين رسم لنا
زيوس، منذ مولدنا، قدراً مليئاً بالمتاعب".
هكذا قال، ثم أرسل أخاه بتعليمات مشددة،
بينما ذهب هو باحثاً عن نيسطور، راعى الشعوب.

- ولقد وجده مستلقياً بجوار خيمته قريباً من سفينته السوداء
 ممدداً على فراش وثير وجوارء سلاحه المزركش: ٧٥
- ترس مستدير، ورمحان، وخوذة لامعة
 وعلى مقربة منه، الحزام البراق الذى اعتاد البطل الممس
 أن يتمنطق به، كلما بدأ الاستعداد لقيادة شعبه للحرب،
 قاتلة الرجال، غير عابئ بوهن الشيخوخة.
 وبعد أن ارتكز على مرفقيه، رفع رأسه ٨٠
 وخاطب ابن أتريوس ومأله قائلاً:
- "من هذا القادم بمفرده إلى السفن عبر المعسكر
 خلال الليل البهيم، بينما جميع البشر يغطون فى سبات عميق؟
 أتبحث عن بعض الحراس أم تبحث عن أحد رفاقك؟
 تحدث ولا تقترب فى صمت، ماذا جاء بك؟" ٨٥
- عندئذ أجابه أجاممنون، ملك الرجال، قائلاً:
- "اطمئن يا فخر الأخيين نيبستور، بن نيلئوس،
 فأنا أجاممنون بن أتريوس، الذى أوقعه زيوس،
 أكثر من جميع البشر الآخرين، فى متاعب تدوم طالما
 بقى نفس فى صدرى، وطالما استطاعت أطرافى الحركة. ٩٠
 وهكذا أهيم على وجهى، لأن النوم اللذيذ لم يزر جفونى،
 لقد أنقذتلى الحرب وأحزان الأخيين بالهموم.
 إننى أشعر بخوف عظيم على الدانائيين، ولا تستقر روحى
 فى هدوء، بل تعاني من هم ثقيل، ويكاد قلبى
 يقفز خارج صدرى، وترتعد فرائصى من الخوف، ٩٥
 ولكن، إذا كنت مهتماً ولم يتغلب عليك النوم،
 دعنا نذهب هناك لننتقد الحرس ونراقبهم

- حتى لا يغلبهم التعب والنحاس
 فيخروا نائمين وينموا واجيهم تمامًا.
- ١٠٠ فالعدو يربض على مقربة منا، ولا نعرف
 إذا كان يخطط للقتال أثناء الليل أم لا".
- عندئذ أجابه نيسطور، الفارس الجيريني، قائلاً:
 "أجاممنون، يا ابن أترئوس، يملك الرجال وأعظمهم
 إننى الآن أتمنى ألا يحقق زيوس الحكيم
 ١٠٥ خطط هيكتور، بل إننى أتوقع أنه
 سوف يصادف متاعب جمة، إذا ما تحول
 قلب أخيليوس الرقيق وتخلي عن غضبه العنيد.
 بكل تأكيد سوف أذهب معك لنقطة الآخرين،
 ابن تيديوس المشهور برمحه، أوديسيوس،
 ١١٠ وأياس سريع القدمين، وابن فيليوس الشجاع،
 وليذهب أحدهم ليستدعى هؤلاء الأبطال:
 أياس شبيه الآلهة، وإيدومينيوس المبجل.
 فإن سفنهم توجد على مسافة بعيدة، وليست على مقربة منا.
 وسوف أوجه اللوم لميثيلاؤس، رغم حبي الشديد له
 ١١٥ واحترامى لشخصه، ورغم أن ذلك قد يضايقك، فلن أخفيه.
 فهو يغط في سبات عميق ويترك هذا اللعب عليك وحدك،
 وكان أحرى به أن يكون هو الذى يسعى بين جميع القادة
 ويتضرع إليهم، فقد أصبح الموقف عصيبًا".
- عندئذ، أجابه أجاممنون، ملك الرجال، بقوله:
 ١٢٠ "أيها الشيخ، ربما أطلب منك فى وقت آخر أن تلومه
 فهو كسول ولا يحب أن يجهد نفسه،

- ولا يتخلى مطلقاً عن كسله وحماقته،
وينتظر دائماً أن أتولى أنا القيادة.
- لما هذه الليلة، فقد سبقني، استيقظ مبكراً وجاءني
ولكنني أرسلته ليستدعي بعض القادة الذين أمرت بحضورهم. ١٢٥
ولكن لنذهب الآن، فسوف التقى بهؤلاء القادة أمام البوابات،
فقد طلبت منهم أن نتجمع عند الحراس".
- فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني، قائلاً:
"هكذا لن يتضايق منه أحد من الأرجيين
إذا ما طلب منه شيئاً، ولن يعصاه إذا ما أصدر إليه أمراً". ١٣٠
هكذا قال ثم ضم رداءه على صدره،
ووضع صندله الجميل في قدميه اللامعين
ولف عباءته الأرجوانية الواسعة ذات الطيات،
كثيفة الوبر، حول جسده ثم أمسك رمحه القوي ذا الرأس
البرونزي الحاد. وذهب متجهاً ناحية سفن الأخيين لابساً البرونز. ١٣٥
وأيقظ نيسطور، الفارس الجيريني، أوديسيوس نظير زيوس في حكمته،
عندما صاح صيحة نفذت إلى عقله بسرعة،
فجاء من خيمته مسرعاً وخاطبهم بقوله: ١٤٠
"لماذا تتجولان هكذا بمفردكما بين المعسكر والسفن
أثناء الليل العاطر، ماهي الحاجة الملحة التي دفعتكما لذلك؟"
فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني بقوله:
"لا تتزعج يا أوديسيوس يا كثير الحيل، يامن وهبته
السماء للأنيرتس. لقد أطبق الحزن الشديد على الأخيين، ١٤٥
فلتلحق بنا حتى نوقظ بقية القادة، فيجب
أن نناقش معهم ما إذا كان من الأفضل أن ننسحب أو أن نحارب".

- هكذا قال، أما أوديسيوس كثير الحيل، فقد ذهب إلى خيمته
 ووضع درعه المزخرف على كتفيه، وذهب ليلحق بالآخرين.
 ١٥٠ وانطلقوا يبحثون عن ديوميديس بن تيديوس، ووجدوه،
 خارج خيمته ومعه سلاحه، وكان رفاقه نائمين حوله وقد
 وضعوا تروسهم تحت رؤوسهم. وعلى مقربة منهم كانت رماحهم
 مصفوفة ومسددة على مقابضها، بينما كانت رؤوسها البرونزية
 تلمع من بعيد وكأنها وميض البرق، الذي يرسله زيوس أبو الآلهة.
 ١٥٥ وكان البطل نائماً وقد بسط تحته جلد ثور من ثيران
 المراعي، ووضع تحت رأسه بساطاً رائعاً.
 ووقف نيسطور، الفارس الجيريني، بجانبه،
 وأيقظه بركلة من كعب حدائه، وانفجر في وجهه مؤنباً:
 "استيقظ يا ابن تيديوس، أترق في النعاس طوال الليل؟"
 ١٦٠ ألا ترى أن الطرواديين قد عسكروا على التل المرتفع
 بالقرب من السفن وأن المسافة التي تفصلهم عنا ضئيلة؟
 هكذا قال، فقفز الآخر من نومه مذعوراً
 ورفع صوته بهذه الكلمات المجنحة:
 "سبدي الشيخ، إنك عديم الرحمة، ولا تتوقف عن خلق المتاعب
 ١٦٥ أليس هناك من بين الأخيين من هو أصغر منك سناً
 فيكون بوسعه أن يذهب هنا وهناك ليوقظ الملوك
 كلاً حسب دوره؟ إنك عجيب أيها الأسيب".
 فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني، بدوره قائلاً:
 "بلى يا صديقي العزيز، لقد نطقت صدقاً.
 ١٧٠ فلدى أبناء شجعان، وهناك الكثير من
 الرجال، ويمكن لأحدهم أن يذهب ويتجول ليدعو القادة،

ولكن الضرورة القاسية تسحق الأخيين فمصيرهم الآن على شفا الهاوية،
فإما أن تقدر لنا النجاة أو الموت.

١٧٥ ولكن إذا كنت حقاً تشفق عليّ، فلتذهب لتوقظ
ابن فيليبوس وأياس، سريع القدمين، فأنت بالفعل أصغر سناً.

هكذا قال، ثم وضع حول كتفيه جلد

أسد متوحش أصفر اللون يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه
وشرع في الانصراف، فأيقظ الأبطال وسار أمامهم.

١٨٠ وعندما وصلوا إلى مكان الاجتماع وسط الحراس،
وجدوا أن قادة الحرس لم يناموا،

بل كانوا يقومون بالمراقبة ومعهم أسلحتهم، لقد كانوا جالسين،
مثل الكلاب التي تحرس الغنم بيقظة تامة في ساحة المنزل،
فعندما يشعرون باقتراب وحش مفترس قادم

١٨٥ عليهم من الغاية، يحيطونه بجلية شديدة،
جلبة من أصوات البشر والكلاب، ويهرب النوم من أعينهم.
هكذا هجر النوم اللذيذ جفوتهم

وسهروا طوال الليل في نوبات للحراسة. وحذقت

أبصارهم في اتجاه التل، عليهم يسمعون صوت قدوم الطروديين.
١٩٠ وقد سعد الشيخ المسن لرؤيتهم وشجعهم بحديثه

وخاطبهم بهذه الكلمات المجنحة:

"أبنائي الأعزاء، هكذا تكون الحراسة، لا تدعوا النوم
يتمكن من أحلكم، حتى لا نصبح مصدر سعادة لعدونا".

هكذا تكلم، ثم وثب ليعبر الخندق وتبعه الملوك

١٩٥ الأرجيون الكثيرون الذين تمت دعوتهم لهذا الاجتماع.
وقد جاء معهم ميريونيس وابن نيسطور المجيد،

- فقد دعا الملوك هذين الاثنين ليتشاوروا معهما.
وبعد أن عبروا الخندق المحفور، جلسوا
في مكان نظيف خال من الجثث
المبعثرة، بعد أن توقف هيكتور القوى ٢٠٠
عن قتل الأرجيين، عندما بدأ الليل يرخى سدوله.
وجلسوا هناك ليتبادلوا الحديث معاً.
وبدأ نيسطور، الفارس الجيريني، الحديث قائلاً:
"أيها الأصدقاء، ألا يتق أحدكم في شجاعته
ويجرو على الذهاب وسط الطرواديين للبواسل ٢٠٥
ويقوم بهذه المخاطرة، فربما يأسر بعض الأعداء المتخلفين،
أو قد يكشف شيئاً، أو قد يسمع حديث بعض الطرواديين
فنعرف منه ماذا يدبرون الآن،
وهل سيمكثون هنا قرب السفن بعيداً عن المدينة، أم
أنهم سوف ينسحبون إلى المدينة بعد أن قهروا الأخيين؟ ٢١٠
إن من يذهب ويكشف كل ذلك، ثم يعود إلينا
سالمًا، سوف تبلغ شهرته عنان السماء
ويصل صيته إلى جميع البشر، فهو شجاع للغاية.
وسوف يمنحه كل واحد من القادة الذين يتولون
أمر السفن، على كثرتهم، شاة ٢١٥
سوداء^(*) ومعها رضيعها، وبالحا من ملكية عظيمة.
وسوف يكون ضيفاً مكرماً على كل الولائم والمآدب".
هكذا تحدث، واستمع إليه الباقيون في صمت مطبق،
إلى أن تحدث ديوميديس، الباراع في صيحة القتال، قائلاً:

(*) يدور أن الشاة السوداء كانت الجائزة أو المكافأة التي تعطى للجاسوس العائد من مهمة الصعبة، وقد تكون لها دلالات رمزية. (المحرر)

- ٢٢٠ "نيسطور، إن قلبي وروحي الشجاعة يدفعاني للذهاب إلى معسكر أعدائنا الطرواديين الموجود على مقربة منا. ولكن شجاعتي وثقتي سيلقيان مزيداً من القوة إذا ما صحبني أحد الرفاق. فعندما يذهب اثنان معاً، فإن أحدهما يوضح للآخر كيف يحقق الفائدة، أما إذا كان فرداً واحداً فإن حيلته ضعيفة"
- ٢٢٥ هكذا قال، ورغب كثيرون في مرافقة ديوميديس. فقد رغب في ذلك المحاربان الثنائي أياس حبيب آريس. وكذلك ميريونيس، وكانت رغبة ابن نيسطور شديدة وكذلك مينيلأوس بن أتريوس، المشهور برمحه.
- ٢٣٠ كما رغب أوديسيوس شديد التحمل في الذهاب إلى معسكر الطرواديين، فإن حب المغامرة كامن في نفسه دائماً. لذلك صاح أجاممنون ملك الرجال قائلاً:
- "ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا أحب الناس إلى قلبي سوف تختار أنت من تريده ليكون رفيقاً لك. ومن ثم، فمن بين الكثيرين الراغبين، خذ الأفضل. ولا تأخذ شخصاً سيئاً ليكون رفيقك، وتترك الأفضل بسبب احترامك لشخص ما، أو لأنك تخشى أحدهم، حتى لو كان من أصل ملكي".
- ٢٤٠ هكذا تكلم، ولكنه كان قلقاً بشأن مينيلأوس، أشقر الشعر. ومرة أخرى تحدث ديوميديس، البارع في صيحة القتال، وقال:
- "إذا كنتم تطلبون مني أن أختار رفيقاً لي فكيف إذن أنسى أوديسيوس، شبيه الآلهة، فهو يملك قلباً مليئاً بالحماس وروحاً بطولية قادرة على مواجهة

- ٢٤٥ كل الصعاب، كما أن أثينة باللاس تحبه.
 فإذا صاحبنى وكان رفيقى فى مهمتى فسوف نعود معا
 من بين النيران المشتعلة، فهو يعرف كيف يتدبر الأمور ببراعة".
 عندئذ أجابه أوديسيوس، شبيه الآلهة، برياطة جاش قائلاً:
 "لست بحاجة لأن تمدحنى أو تمنى، يا ابن تيديوس،
 فأنت، كما ترى، تتحدث بين الأرجيين الذين يعرفوننى جيداً.
 ولكن هيا بنا نذهب، فالليل يمضى مسرعاً والصباح يقترب
 وارتحلت النجوم بعيداً فى السماء، لقد مضى معظم الليل،
 لقد انقضى ثلثاه وبقي ثلثه الأخير فقط".
 هكذا قال، ثم وضع الاثنان أسلحتهما الرهيبة على جسديهما،
 ٢٥٥ وأعطى ثراسيميديس، ثابت الجنان فى المعركة، ابن تيديوس
 سيفاً ذا حدين، لأنه ترك سلاحه فى السفينة
 كما أعطاه ترساً، ثم وضع على رأسه خوذة
 من جلد الكلب، ليس بها عرف ولا يزيناها الريش،
 إنها غطاء يحسى رأس المحارب قوى البنية.
 ٢٦٠ وأعطى ميريونيس أوديسيوس جعبة سهام وقوساً
 وسيفاً، وغطى رأسه بخوذة
 من الجلد ومزينة بشرائط عديدة ومبطنة من الداخل جيداً،
 أما من الخارج فقد كان بها نتوءات لامعة
 منتشرة هنا وهناك ومصنوعة من أسنان الخنزير.
 ٢٦٥ إنها خوذة جيدة الصنع، ومثبت بها فى منتصفها طبقة من اللباد.
 إنها خوذة أمينتور بن أورمينوس الذى أخذها ذات مرة
 أوتوليكوس عندما حل ضيفاً على صاحبها الجسور فى مدينة إيليون^(٤).

(٤) إيليون Eleon تقع فى بويوتيا أما أوتوليكوس فهو اللص الرئيسى فى الأساطير وهو جد أوديسيوس وكان قادراً على تغيير شكله ومن ثم لم يستطع أحد الإمساك به. (الغور)

- وقد أعطاهما إلى أمفيداماس، ملك كيثيرا، الذى أخذها إلى سكانديا
 وقدمها أمفيداماس إلى مولوس، هدية ضيافة.
- ٢٧٠ ثم أعطاهما مولوس إلى ابنه ميريونيس ليرتيديها.
 وهى تحيط الآن برأس أوديسيوس وتغطيها.
 هكذا، وبعد أن وضع هذان البطلان أسلحتهما الرهيبة
 شرعا على الفور فى الانصراف، وتركوا بقية القادة.
 فلما مضيا فى طريقهما أرسلت
 لهما أثينة باللاس طائر البلشون (مالك الحزين)
 ٢٧٥ على الجانب الأيمن من الطريق، ورغم أنهما لم يرياها بأعينهما
 بسبب ظلمة الليل الحالك، فقد سمعا صوت هتافه .
 وتفاعل أوديسيوس بهذا الطائر و تضرع إلى أثينة قائلاً:
 "اسمعينى يا ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس، يامن
 أجذك دائماً بجوارى فى كل الأزمات، فما من حركة من حركاتى
 ٢٨٠ تخفى عليك، كوني كريمة معى الآن أكثر من ذى قبل
 وامنحيننا عودة سالمة إلى سفننا، محاطين بالمجد،
 بعد أن نتم بنجاح مهمتنا التى مستجلب الحزن للطوراديين".
 ثم تبعه ديوميديس، البارع فى صيحة الحرب، قائلاً فى تضرع:
 "فلتستمعنى إلى أنا أيضاً يا ابنة زيوس الدؤوبة
 ٢٨٥ ولتتبعينى كما تبعت أبى تيديوس، شبيه الآلهة،
 إلى طيبة، عندما ذهب رسولاً من قبل الأخيين
 بعد أن ترك الأخيين لابسى البرونز عند نهر أسوبوس
 وحمل معه للكادميين حديثاً رقيقاً.
 ولكنه سبب لهم أهوالاً فظيعة عندما عاد إليهم مرة أخرى
 ٢٩٠ معك، أيتها الربة المشرقة، عندما وقفت بجانبه بمنتهى العطف.

والآن فلتقفى بجانبى بكل الرضا ولتساعدينى،
وسوف أقدم لك عجلًا عمره عام واحد، عريض الجبين
سوف أقدمه لك كاملاً، عجلًا لم يضعه بشر فى النير بعد،
بعد أن أزين قرونه بالذهب".

٢٩٥ هكذا تحدث البطلان فى ضراعة، واستمعت
إليهما أثينة باللاس. وبعد أن تضرعا إلى ابنة زيوس القوى
انطلقا كزوج من الأسود خلال الليل البهيم،
انطلقا إلى القتل والذبح وعبر الدم الأسود والسلاح
ولم يسمح هيكتور للأبطال الطرواديين بالنوم، ولكنه دعاهم
للاجتماع. لقد دعى للاجتماع جميع قادة الطرواديين ورؤساءهم
٣٠٠ وقدم للمجتمعين خطة مأكرة وهو يقول:

"من منكم يعدنى أن يقوم بهذا العمل
وسوف ينال هدية ضخمة؟ إن جائزته سوف تكون ضخمة،
فسوف أمنحه زوجًا من الخيول طويلة العنق،
٣٠٥ من أفضل الخيول الموجودة على سفن الأخيين السريعة وعربة.
فمن يخاطر ويقوم بهذا العمل سوف يحقق لنفسه شيئًا
إذا ذهب إلى سفن الأخيين السريعة واستطلع ما إذا كانت
توجد حراسة على هذه السفن السريعة، كما كان الحال
من قبل، أو أنهم بعد أن قهرتهم إيادينًا،

٣١٠ يتساورون فيما بينهم كى يهربوا، ولا يرغبون
فى تولى الحراسة طوال الليل بعد أن غلبهم التعب الرهيب".
هكذا قال، واستمع إليه الحاضرون فى صمت دون أن ينبسوا
بكلمة، وكان يوجد بين الطرواديين الحاضرين دولون، بن يوميديس،
٣١٥ الرسول الذى يشبه الآلهة، والذى كان يملك ثروة من الذهب والبرونز.

- ورغم قبح منظره، فقد كان دولون سريع القدمين،
 وكان الابن الوحيد لوالده بعد خمس بنات.
 خاطب دولون الطرواديين و هيكتور بهذه الكلمات:
 "هيكتور، إن قلبي وروحي الشجاعة يدفعاني
 ٣٢٠ إلى أن أذهب إلى السفن السريعة للتجسس.
 ولكن لتأت وترفع هذا الصولجان، وتقسم
 أنك سوف تعطيني الخيول والعربة المزينة بالبرونز
 التي كانت تحمل ابن بيليوس الذي لا نظير له،
 فإنني لن أخاطر دون مكسب. سوف تتحقق آمالك
 ٣٢٥ إذ سأذهب على الفور إلى حيث يعسكر الجيش حتى
 أصل إلى سفينة أجاممنون، حيث يعقد القادة اجتماعًا
 يتناقشون فيه ليقرروا ما سيفعلون، سيهربون أم سيحاربون".
 هكذا قال، ورفع هيكتور الصولجان بين يديه وأقسم قائلاً:
 "ليشهد زيوس، مرسل الرعد القوي، زوج هيرا
 ٣٣٠ إنه ما من رجل آخر من بين الطرواديين
 سوف يمتطي هذه الخيول، وإنني لأؤكد لك
 أنك سوف تسعد بهذه الخيول إلى الأبد".
 هكذا قال، وأقسم قسمًا غير مجد، لكنه أثار روح دولون
 فوضع أقواسه المعقوفة على كتفيه على الفور،
 ولف نفسه بحزام من جلد الذئب الرمادي،
 ٣٣٥ ووضع على رأسه غطاء من فرو الذئق
 الرمادي اللون، وأمسك برمحه الحاد.
 وأسرع بالخروج من المعسكر سائرًا في اتجاه السفن، عازمًا
 على ألا يعود مرة أخرى من السفن دون أن يحمل خبرًا لهيكتور،

- وترك خلفه حشدًا من الجياد والرجال
 واتجه في طريقه بحماس. ولكن أوديسيوس، سليل زيوس،
 لمحّه قادمًا، فقال مخاطبًا ديوميديس:
 "ديوميديس، إنني ألمح شخصًا قادمًا من المعسكر،
 ربما جاء ليتجسس على سفننا.
 أو ربما جاء ليسلب أسلحة إحدى الجيوش الملقاة،
 فلنجعله يمر بأمان على التل لبعض الوقت
 ثم ننقض عليه بعد ذلك ونمسك به
 بسرعة. فإذا ما أقلت منا، بسبب سرعة قدميه،
 فلتدفعه بعيدًا عن معسكره في اتجاه السفن،
 مستخدمًا الرمح، حتى لا يهرب إلى المدينة".
 وبعد أن قال ذلك، انبطح الاثنان أرضًا، بعيدًا
 عن الطريق، وفي غفلة تامة مر دولون بهما مسرعًا.
 وعندما ابتعد عنهما بمقدار المسافة التي تقطعها البغال
 بمحراث مزدوج في تربة سهلة.
 - والمعروف أن البغال تتفوق على الثيران في سرعة الحرث -
 عندئذ اندفع الاثنان في مولجهته، وتوقف دولون فور
 سماع صوتيهما، وقلبه ينبض بأمل أن يكونا رفيقين قادمين
 من عند الطرواديين كي يعودا به، حسب أوامر هيكتور.
 وعندما أصبح على بعد رمية رمح أو أقل منها
 عرف أنهما من الأعداء، فلاذت قدماه السريعتان
 بالفرار، وبدأ الاثنان مطاردته في الحال.
 ومثلما يطارد كلبان خبيران بفنون الصيد والقنص ولهما أسنان حادة
 غزالًا صغيرًا أو أرنبًا بريًا ويجريان وراءه بدون توقف

وسط الأشجار الكثيفة، وهو يجرى أمامهما صارخاً في هلع،
هكذا قام ابن تيديوس و أوديسيوس مدمر المدن،
بإبعاده عن أهله، وتعقباه دون توقف.

٣٦٥

وعندما كان على وشك الجرى وسط الحراس
والهرب في اتجاه السفن، وملأت الرية أثينة
نفس ديوميديس بالشجاعة مرة أخرى، وخشى أن يتأخر أحد
الآخيين لايسى البرونز أنه كان الأول وأن ديوميديس كان الثاني
فهاجمه ديوميديس برمحه قائلاً:

٣٧٠

"قف وإلا أصابك رمحي، إنني أحذرك بأنك لن تغلت
من الموت المؤلم على يدى لفترة طويلة".

هكذا قال، ثم قذف رمحه وتعمد ألا يصيبه
فمر طرف الرمح اللامع من فوق كتفه اليسرى
ثم انغرس في الأرض. فتوقف دولون مرتبكاً

٣٧٥

وكانت أسنانه تصطك ببعضها البعض من الخوف
وشحب لونه من الرعب، وعندما وصلا إليه وهما يلهتان
أمسكاه من كلتا يديه، فقال وهو يذرف الدمع:

"أبقيا على حياتي وسوف أدفع فديتي، ففي بيتي
الكثير من البرونز والذهب وكذلك الحديد المصنوع بفن ومهارة.

٣٨٠

إن أبى سوف يقدم لكما عن طيب خاطر فدية هائلة
إذا عرف أنى مازلت حياً فى سفن الآخيين".

عندئذ أجابه أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:

"لا تخف ولا تجعل فكرة الموت تسيطر عليك،
والآن لتصدقنى القول ولتحكى لى بالتفصيل

٣٨٥

لماذا أتيت بمفردك من معسكركم إلى سفننا

- أثناء الليل المظلم، بينما جميع الأحياء نيام؟
أجئت لتجرد الجثث من أسلحتها ؟
أم أرسلك هيكتور لتتجسس على ما جرى،
في السفن الضخمة ؟ أم جئت من تلقاء نفسك؟"
- ٣٩٠ عندئذ أجابه دولون، وأطرافه ترتعد من الخوف قائلاً:
"لقد قادني هيكتور لأخطاء كثيرة
عندما وعدني أن يعطيني خيول ابن بيليوس
الأشهر الأصيل، وعربته المزينة بالبرونز
وأمرني أن أذهب بسرعة في ظلمة الليل
إلى معسكر الأعداء، ربما أعرف
٣٩٥ ما إذا كانت هناك حراسة على السفن السريعة، كما كانت من قبل
أم أنكم، بعد أن هزمت على أدينا، تتشاورون
فيما بينكم بشأن الهرب، وتركت السفن
دون حراسة طوال الليل، بعد أن نال منكم التعب الفظيع".
- ٤٠٠ فأجابه أوديسيوس، كثير الحيل، وهو يبتسم بقوله:
"حقاً، إنها هدايا عظيمة تلك التي كانت روحك تتطلع إليها،
خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها خيول يصعب
على الرجال من البشر أن يتحكموا فيها ويروضوها،
بإستثناء أخيليوس، لأنه مولود لأم من غير البشر.
ولكن لتحك لى القصة، ولتلتزم الصدق في روايتها.
٤٠٥ أين تركت هيكتور، راعي الشعوب،
عندما حضرت إلى هنا؟ وأين يضع سلاحه؟ وأين توجد خيوله؟
كيف يتم تنظيم الحرس؟ وكيف ينام بقية الطرواديين؟
فيما يتناقشون الآن: هل يرغبون في

- ٤١٠ البقاء عند السفن، بعيداً عن المدينة، أم سوف
ينسحبون إلى الداخل، بعد أن قهروا الآخرين؟".
وأجاب دولون بن يوميديس، على أسئلة أوديسيوس بقوله:
"حسنًا، سأخبرك بكل هذه الأمور وسألتزم الصدق تمامًا.
يعقد هيكتور وجميع القادة الآخرين الذين يتشاور معهم
٤١٥ بالفعل اجتماعًا الآن بالقرب من قبر إلوس المقدس،
بعيدًا عن ضوضاء المعركة. أما الحراس الذين تسأل عنهم، أيها البطل،
فلا يوجد أحد منهم لينقذ المعسكر أو ليحرسه. يشعل
الطرواديون الكثير من المشاعل المضيئة، يقدر ما تقضى الحاجة،
لمن يسهر لتولى الحراسة، حيث ينادى كل منهم
٤٢٠ على الآخر (ليظل مستيقظًا). أما الحلفاء القادمون من بلاد مختلفة،
فقد خلدوا للنوم بعد أن اعتمدوا على الطرواديين في الحراسة،
حيث إن أطفالهم وزوجاتهم (ليسوا معهم بل) يعيشون في مكان بعيد".
حينئذ سأله أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:
"ولكن كيف ينامون؟ أينامون مختلطين بالطرواديين
٤٢٥ مروضي الخيول أم منفصلين عنهم؟ أخبرني حتى أعرف".
فأجابه دولون، بن يوميديس، قائلاً:
"حسنًا، سأخبرك بكل صراحة. ينام الكاريون
في مواجهه البحر، وكذلك البايونيون ذوو الأقواس المعقوفة،
وأيضاً الليليجيون والكاكونيون ومعهم البلاسجيون أشباه الآلهة.
٤٣٠ وفي مواجهة ثيمبرا عسكر الليكيون والميسيون الشجعان والفريجيون
الذين يحاربون من فوق العربات والمايونيون الفرسان
ولكن لماذا تكثر من السؤال عن هذه الأشياء ؟
فإذا كنتمما ترغبان حقاً في دخول معسكر الطرواديين ،

- فإن الطراقيين يعسكرون في مؤخرة خطوط الطرواديين حيث وصلوا
 ٤٣٥ لتوهم وهم الأقرب لكم ومعهم ملكهم ريسوس، بن أيونيوس،
 ومعه خيوله، وهي أجمل الخيول التي رأيتموها على الإطلاق وأكبرها
 حجمًا، وهي أكثر بياضًا من الجليد وتشبه الريح في سرعتها.
 وقد زينت عربته بالذهب والفضة، كما أحضر معه سلاحه الضخم
 المصنوع من الذهب، أعجوبة للناظرين.
- ٤٤٠ إن من يستطيع حمل هذا السلاح لا يعد من البشر بأي حال
 من الأحوال، ولكنه يعد من الآلهة الخالدين. فلتأخذاني الآن إلى
 السفن السريعة، أو لتتركاني هاهنا بعد أن تقيداني بقيد رقيق.
 ولتذهبا أنتما في طريقكما لتحاولا التحقق
 ٤٤٥ ما إذا كنت قد أخبرتكما بالحقيقة أم لا".
- فرماه ديوميديس الشجاع بنظرة قاسية وقال له:
 "لا تفكر الآن في الهرب يا دولون
 بعد أن وقعت في أيدينا، فرغم الأشياء الجيدة التي قُلتها،
 فإننا إذا أطلقنا سراحك الآن، أو منحناك حريتك مقابل الفدية،
 ٤٥٠ فقد تأتينا فيما بعد إلى سفن الأخيين السريعة
 لتتجسس علينا أو لتحارب ضدنا. ولكن إذا خضعت لأيدينا
 وأزهدنا روحك فلن تكون مصدر متاعب للأرجيين أبدًا".
- فأمسك دولون لحيته الكثيفة وهو يتضرع إليه،
 ولكن ديوميديس وثب عليه، وفي الحال ضرب عنقه بسيفه
 ٤٥٥ ضربة قطعت شرايينه، وتمرغت رأسه في التراب بينما كان.
 لا يزال يهدى عندئذ خلعًا عنه غطاء رأسه وهو من
 فرو الدلق الرمادي، وأخذًا رمحه الطويل وقوسه المعقوف
 ٤٦٠ ووجد الذئب وقدمًا ذلك كله قريبًا لأثينة، مانحة الغنائم فقد رفع

أوديسيوس، شبيه الآلهة هذه الأسلاب عاليًا بين يديه وقال متضرعًا:

"فلتسعدى أيتها الربية بهذه الأشياء، فإتنا نطلب عونك

أنت من بين جميع الآلهة التي تسكن الأوليمبوس.

فلتقودينا إلى حيث توجد خيام الطراقيين وخبولهم".

٤٦٥

هكذا قال، ثم رفع الغنائم عاليًا وعلقها في

شجرة الطرفاء، ووضع عليها علامة واضحة

وجمع فوقها أعواد الشجرة المزهرة وسبقانها

حتى لا يفقد مكانها، عندما يعود في ظلمة الليل.

ومضى الاثنان يخوضان وسط الأسلحة والدم الأسود،

٤٧٠

حتى وصلا بسرعة في النهاية إلى حيث يعسكر الطراقيون.

وكانوا يرقدون على الأرض نيامًا بعد أن أنهكهم التعب، وقد وضعوا

أسلحتهم الجميلة بجوارهم، إذ صفوها على هيئة ثلاثة صفوف

في نظام كامل، وكان يقف بجوار كل منهم زوج من الجياد.

وقد نام ربسوس في وسط الطراقيين وبجواره خيوله السريعة

٤٧٥

التي كانت مربوطة بإحكام في مقدمة عربته يسيور جلدية.

وكان أوديسيوس قد رآه أولاً، فأشار إلى ديوميديس عليه قائلاً:

"ها هو ذا يا ديوميديس، وهذه هي خيوله

التي وصفها لنا دولون، الذي قتلناه منذ لحظات.

ولكن هيا بنا، ولتتحل بكل قوتك، فلا يليق بك

٤٨٠

أن تقف عاطلاً وأنت كامل السلاح، ولتطلق سراح الخيول.

أو لنقتل أنت الرجال بينما أتولى أنا أمر الخيول"

هكذا قال، وملأت أثينة، زرقاء العينين، نفسه بالشجاعة

فصار يقتل الأعداء عن يمينه وشماله، وارتفع أنين مؤلم

من الرجال الذين أصابتهم السيوف. واصطبغت الأرض بالدماء

- ٤٨٥ الحمراء. ومثل أسد يهاجم قطيعاً من الغنم أو الماعز
ليس له راع، ويقفز عليه بغتةً وغيلةً،
هكذا هاجم ابن تيديوس الطراقيين،
حتى قتل منهم اثني عشر رجلاً، ولكن
أوديسيوس، كثير الحيل، كلما كان ابن تيديوس يضرب بالسيف عنق
رجل، يقترب منه أوديسيوس ويمسك الجثث من أقدامها ويجرها،
٤٩٠ لأنه كان يخطط أن تمر من بينها الخيول،
جميلة العرف، بسهولة، وحتى لا تصاب بالفزع
إذا ما داست فوق الجثث، فهي غير معتادة على الجثث .
وأخيراً، وصل ديوميديس، إلى الملك (ريسوس)
وكان الضحية الثالثة عشر، فسلبه الحياة
٤٩٥ وأخذ الملك نفسه الأخير بصعوبة. وفي تلك الليلة
كان ابن أوينيوس (ريسوس) يعاني من حلم فظيع أرسلته له أثينة.
وأثناء ذلك، كان أوديسيوس الشجاع قد أطلق سراح الخيول الأصيلة
وربطها مغاً بسيور من الجلد، وقادها بعيداً عن المعسكر
٥٠٠ وهو يضربها بقوسه، فقد نسى
أن يأخذ سوطه اللامع من العربية المزركشة.
ثم أطلق صفارة خافتة لكي ينبه ديوميديس الإلهي،
الذي كان يقف وهو يفكر في حيرة أيهما أكثر شجاعة:
أن يمسك العربية التي تحمل الأسلحة المطعمة بالنحاس
٥٠٥ ويسحبها من القضيبي ويرفعها ويحملها عاليًا،
أو أن يحصد المزيد من أرواح الطراقيين.
وبينما هو يقلب هذه الأفكار في ذهنه، ظهرت الإلهة أثينة
ووقفت بالقرب من ديوميديس الإلهي وخاطبته قائلة:
٥١٠ "يا ابن تيديوس عظيم الشجاعة، فكر في العودة

- إلى السفن السريعة، فربما يوقظ أحد الآلهة الآخرين
حشود الطرواديين قبل أن تتمكن من الهرب".
- هكذا قالت، وعندما عرف من هي التي تتحدث معه من صوتها
قفز بسرعة إلى العربية، بينما واصل أوديسيوس
ضرب الخيول بقوسه حتى وصلا إلى سفن الأخيين السريعة. ٥١٥
ولم يكن أبوللون، ذو القوس الفضى، غافلاً عن
مراقبة ما جرى، وعندما رأى أثينة تحث بن تيديوس وتشجعه
حنق عليها، ودخل وسط الطرواديين
وأيقظ أحد قادة الطراقيين، هيبوكوون
- ابن عم ريسوس نبيل المولد، فهب من نومه فجأة ٥٢٠
وعندما رأى المكان الذي كانت تقف فيه الخيول السريعة خالياً
ورأى الرجال مازالوا يصارعون ألام الموت الرهيبة
راح يئن وهو يصرخ باسم صديقه الحبيب.
وما هي إلا لحظات حتى ارتفعت صرخات الطرواديين الرهيبة عالياً.
- وفى الحال اندفعوا جميعاً، وجحظت عيونهم عندما رأوا الأفعال ٥٢٥
العديدة البشعة التي قام بها أولئك الذين عادوا إلى السفن السريعة.
وعندما وصل أوديسيوس وديميديس إلى المكان الذي قتل فيه جاسوس
هيكاتور قام أوديسيوس، حبيب زيوس، بإيقاف الخيول السريعة
وقفز ابن تيديوس إلى الأرض، وبعد أن وضع بين يدي أوديسيوس
تلك الأسلاب المخبضة بالدم، اعتلى ظهر خيوله مرة أخرى ٥٣٠
بعد أن دفعها بلمسات من سوطه، وذهبا في طريقهما
للسفن المجوفة، ونفوسهما تتلهف للوصول إليها.
وكان نيسثور أول من سمع جلجلة العربية، فصاح قائلاً:
"أصنقائي، يا زعماء الأرجيين وقادتهم"

- أوهم هذا أم صدق؟ إن الفرحة تملأ روحي
 ٥٣٥ إننى أسمع الآن وقع حوافر خيول سريعة.
 أيقود أوديسيوس، ومعه ديوميديس الشجاع،
 الآن بعض خيول الطرواديين الأصيلة؟
 فرغم أنهما أشجع قادة الأرجيين، فإننى أخشى من كل
 ٥٤٠ قلبى أن يكون قد أصابهما مكروه فى معركتهم مع الطرواديين".
 ولم يكن قد أتم قوله عندما وصل البطلان
 فترجلا بسرعة عن الخيول، ووقفا على الأرض وسط فرحة
 الأخيين الذين قابلوها بترحاب عظيم وبكلمات رقيقة،
 وكان نيسطور، الفارس الجيرينى، أول من سألهما قائلاً:
 ٥٤٥ "أوديسيوس، يامن يمدحك الجميع، يا فخر الأخيين
 لنقل لى كيف استرليتما على هذه الخيول بعد دخولكما
 معسكر الطرواديين، أم منحها لكما أحد الآلهة عندما تضرعتما إليه.
 إن هذه الخيول تشبه أشعة الشمس تماماً.
 لقد اشتبكت مع الطرواديين فى حروب كثيرة، ونظرًا لأننى
 محارب قديم، فقد ذهبت إلى مناطق كثيرة بعيدة عن السفن،
 ٥٥٠ ولكننى، مع ذلك، لم أر مثل هذه الخيول، ولم أتخيل مجرد وجودها.
 لذلك فإننى أعتقد أن أحد الآلهة قد منحها لكما عندما تضرعتما إليه
 فإن زيوس، جامع السحب، يحبكما معًا
 وكذلك زرقاء العينين، أثينة حاملة الدرع أيجيس، وابنة زيوس".
 فرد عليه أوديسيوس، كثير الحيل، بقوله:
 ٥٥٥ "نيسطور، يابن نيلوس، يا فخر الأخيين العظيم
 إذا شاء إله من الآلهة فسوف يقدم بسهولة خيولاً أفضل
 من هذه الخيول، فالآلهة أكثر قدرة من البشر.

- وهذه الخيول، التي وصلت نواً و تسأل عنها، أيها الشيخ الأشيب،
خيول طراقية. لقد قتل ديوميديس الشجاع الملك الذي كان يملكها،
كما قتل اثني عشر قائداً من خيرة رفاقه.
٥٦٠ وقُتل الثالث عشر، وكان جاسوساً، بعد أن أمسكنا به بالقرب من السفن،
لقد أرسله هيكتور وبقية القادة
الطرواديين لكي يتجسس على جيشنا".
- بعد أن قال ذلك، قفز بخيوله الأصبلة فوق الخندق
وهو يضحك بصوت عال، وعمت الفرحة بقية الأخيين.
٥٦٥ وعندما وصلوا إلى خيمة ابن تيديوس
هنالك ربطوا الخيول بأربطة قوية
في مقدمة العربة، حيث كانت تقف خيول
ديوميديس السريعة تأكل طعامها من الحبوب المعسولة.
٥٧٠ ووضع أوديسيوس أسلحة دولون الملطخة
بالدماء في مؤخرة سفينته حتى يقدمها قرباناً للربة أثينة.
وذهب أوديسيوس وديوميديس إلى البحر
ليزيل العرق الغزير عن جسدهما بماء البحر،
وغسلا أرجلهم وأعناقهم وأكتافهم، فانتعشت روحاهما بعد
أن غسل موج البحر العرق الغزير الذي علق بجدهما
٥٧٥ ثم ذهبا بعد ذلك إلى أحواض الاستحمام متبينة البناء ليستحما.
وبعد أن استحما، مسح جسديهما بالزيت،
وجلسا إلى مائدة العشاء، وسكبا القرايين
٥٧٩ للربة أثينة من إبريق مملوء بالنبيذ اللذيذ.

الكتاب العادي عشر



ترجمة منيرة كروان

- استيقظت ربة الفجر لتحمل الضياء للآلهة والبشر،
 ونهضت من مخدعها بجوار تيفونوس^(*) النيبيل.
 وأرسل زيوس إريس الشريرة إلى سفن الأخيين.
 المريعة، وكانت ترفع شارة الحرب بيدها.
 ووقفت على سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة،
 وقفت في منتصفها تماما، حتى يصل ما تعلقه إلى كلا الناحيتين،
 إلى حيث توجد خيام أياس التيلاموني،
 وإلى حيث توجد خيام أخيليوس، فقد سحبوا سفنهم
 إلى أبعد مسافة ممكنة معتمدين على شجاعتهم وقوة أيديهم.
 وعندما وقفت الربة هناك صاحت بأعلى
 صوتها، ووضعت في قلب كل واحد من
 الأخيين رغبة عارمة للحرب وللقتال الدائم.
 وفي الحال شعروا أن الحرب أكثر بهجة من أن يبحروا
 إلى أرض الوطن الحبيبة في سفنهم المجوفة.
 وصاح بن أتريوس عاليا وأمر الأرجيين
 أن يستعدوا للحرب. ثم لبس سلاحه البرونزي اللامع.
 ففي البداية وضع درع الساق حول ساقيه
 الجميلتين، وثبته بأربطة من الفضة.
 وبعد ذلك وضع حول صدره درع الصدر،
 الذي أعطاه له ذات مرة كينيراس، عندما نزل ضيفا عليه.
 فعندما وصلت إلى قبرص أنباء بأن الأخيين
 يستعدون للإبحار بسفنهم إلى مدينة طروادة،

(*) تيفونوس Tithonos: شقيق الملك برياموس، وزوج إيس (ربة الفجر)، ووالد همون. تقول الأساطير إن ربة الفجر طلبت من زيوس أن يمنح زوجها الخلود ولكنها نسيت أن تطلب منه أن يمنحه أيضا الشباب الدائم. ولذلك أصبح يضرب به الحبل على متاعب الشيخوخة والمزم.

- أعطى كينيراس الدرع للملك حتى يسعد باستخدامه.
 وكان الدرع مصنوعاً من عشر طبقات من الفولاذ الداكن،
 واثنى عشر طبقة من الذهب، وعشرين طبقة من القصدير. ٢٥
 وعلى كل جانب كانت تزيّنه ثلاثة أشكال فولاذية ثعبانية
 تتلوى صوب العنق تشبه قوس قزح الذى يرسله
 ابن كرونوس من بين السحب العالية نذيراً للبشر الفائقين .
 ثم وضع سيفه حول كتفيه، وكانت به مسامير
 من الذهب اليراق، بينما كان غمده ٣٠
 فضياً، وكانت الأربطة التى يثبت بها ذهبية.
 وأمسك درعه المزخرف الذى يستخدم فى الدفاع والهجوم،
 وكان درعاً جميل المنظر، تحيط به عشر دوائر من البرونز،
 وكان به عشرون نتوءاً بيضاء اللون
 مصنوعة من القصدير، أما النتوء الموجود فى الوسط فكان من ٣٥
 الفولاذ الأسود، وقد نقش عليه رسم لجورجونة قاسية النظرة
 بشعة الهيئة، يحيط بها كل من "الذعر" و"الخوف"
 ويتكلى منه حزام فضى، يلتف حوله
 تنين من الفولاذ له ثلاثة رعوس
 تدور فى جميع الاتجاهات، ولكنها تخرج جميعاً من عنق واحد. ٤٠
 ووضع على رأسه غطاء من الجلد به شارتان وأربع
 خصلات من شعر الجياد، ويحيط به العرف ويميل عليه بشكل مهيب
 وأمسك رمحين قويين، مطليين جيداً بالبرونز وحادين.
 و انبعث من هذين الرمحين البرونزيين بريق
 هائل وصل إلى عنان السماء، فأصدرت أثينة وهيراً صوتاً عالياً ٤٥
 لتحية ملك مركيناى الغنية بالذهب.
 ثم أمر كل قائد سائق عربته

- أن يقود الخيول بمهارة، حتى لا تتراجع عند الخندق.
واندفع الجنود المشاة بسرعة
- ٥٠ مدججين بالأسلحة. وارتفعت صيحة مدوية قبيل الفجر.
وتقدم المشاة حتى وصلوا إلى الخندق، متراصين في صفوف منظمة،
شد تبعهم الفرسان بعد قليل.
- وأثار ابن كرونوس جلبة شديدة بينهم، عندما أسقط عليهم
من السماء قطرات مطر ممزوجة بالدماء، دليلاً على
٥٥ أنه ينوى إرسال العديد من الأبطال الأقوياء إلى هاديس،
وعلى الجانب الآخر، كان الطرواديون يقفون على التل المرتفع
ملتفتين حول هيكتور العظيم ويوليداماس النبيل
ومعهم آينياس الذى يبجله الشعب الطروادى كما لو كان إلهاً.
وكان معهم ثلاثة من أبناء أنتينور، الأول بوليبيوس والثانى أجينور
٦٠ الإلهى والثالث أكاماس الابن (الصغير) شبيه الآلهة.
وكان هيكتور يقف فى المقدمة حاملاً درعه المستدير،
وكما يسطع نجم الكوارث ويتلأأ من بين
السحاب، ثم يختفى وسط السحب غير واضحة المعالم.
هكذا كن هيكتور يظهر فى لحظة فى (وسط) الصفوف الأولى،
٦٥ وفى اللحظة التالية يصدر أوامره وهو فى الصفوف الخلفية، وكان
درعه البرونزى يتلأأ مثل البرق، الذى يرسله أبو الآلهة زيوس،
لأبى الدرع أيجيس. ومثلما يحصد الفلاحون القمح أو الشعير
فى حقل ممالك ثرى، ويقفون فى صفوف، كل منهم
فى مواجهة الآخر، وتتساقط حزم المحصول أمامهم بغزارة،
٧٠ هكذا هاجم الطرواديون والآخيون كل منهما الآخر
وتبادلوا القتل، ولم يفكر أى منهم فى الهزيمة الأليمة.
وسيطر الحماس للقتال على رءوسهم بنفس القدر، فاندفعوا

- مثل الذئاب. ونظرت إريس، مسببة الأحزان، وهي سعيدة.
فقد كانت لها السيادة من بين جميع الآلهة الذين شاركوا في المعركة
٧٥ فإن أحداً من الآلهة الآخرين لم يكن حاضراً، ولكنهم
جلسوا جميعاً في قصورهم في راحة تامة، حيث جهز كل منهم
مسكنه الجميل، المشيد على جنبات الأوليمبوس.
وكانوا جميعاً يلومون اين كرونوس، الممتدثر بالسحب،
لأنه قد عقد العزم على منح المجد للطرواديين.
٨٠ ولكن الإله الأب لم يعرهم اهتماماً. فقد جلس
بعيداً عن الآخرين، متألقاً في عليائه،
وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وإلى سفن الآخيين
وإلى بريق السلاح وإلى القتل والقتلى.
والآن، ومع انبلاج الفجر (الصباح) وتقدم النهار
اندفعت السهام من كلا الجانبين وسقط البشر.
٨٥ وعندما حل الوقت الذي يقوم فيه الخطاب الذي يعيش فوق الجبل
بإعداد عشاءه، بعد أن تتعب يده من تقطيع
الأشجار العالية ويعود، قرير العين،
لكي يشبع رغبته في الطعام والحلوى،
٩٠ شق الداناتيون صفوف الأعداء بشجاعتهم
وهم يحثون رفاقهم من صف لآخر. وكان أجامنون
أول المهاجمين، فقام بقتل البطل بينور، حامى الشعوب،
ثم قتل رفيقه أوليوس الذي كان يقود العربية.
فعندما قفز من عربته كى يواجه خصمه،
٩٥ اندفع إليه أجامنون بحماس، وجعل رمحه الحاد ينفذ داخل
جبينه، ولم تنجح خوذته البرونزية الثقيلة في صد الرمح
ولكنه نفذ من خلالها إلى عظامه، وبعثر

- مخه كله داخل الخوذة، فسقط قتيلًا رغم شجاعته الفائقة.
وترك أجاممنون، ملك الرجال، الجثث مبعثرة هناك،
١٠٠ عارية الصدر مكتشوفة، بعد أن نزع عنهم ملابسهم.
ثم أسرع كي يستولى على أسلحة إيسوس وانتيفوس
ولدى برياموس، الشرعى وغير الشرعى، واللذان جاءا
معًا فى عربة واحدة. وكان الابن الشرعى يقود العربة
بينما أنتيفوس الشهير يقف بجانبه. وذات مرة
١٠٥ شد أخيلئوس وثاقهما بأغصان الصفصاف اللينة على ظهر جبل إيدا
حيث كانا يرعيان الأغنام، ولكنه أطلق سراحهما بعد أن حصل
على فدية. لقد صوب أجاممنون بن أتريوس واسع الملك
رمحه إلى صدر إيسوس فأصابه فوق ثديه تمامًا وأصاب أنتيفوس
بالقرب من أذنه بطعنة سيفه، ثم أطاح به من فوق العربة،
١١٠ وبحركة سريعة جردهما من أسلحتهما الرائعة
فقد كان يعرفها جيدًا، فقد سبق ورآها من قبل عند السفن
السريعة عندما أحضرهما أخيلئوس، سريع القدمين من إيدا.
وكما يهاجم أسد ما بسهولة صغار غزالة سريعة
ويقبض عليهم بأسنانه القوية ويعود بهم إلى عرينه فيزهق أرواحهم
١١٥ البرية، ورغم وجود الأم على مقربة منهم فإنها لا تستطيع
إنقاذهم لأن الخوف القاتل يملكها،
فتتطلق بسرعة خلال الغابة والأحراش الكثيفة
وتسرع بالفرار وهي خائفة من هجوم الوحش القوي.
١٢٠ هكذا، لم يستطع أحد الطرواديين أن ينفذ
هؤلاء من الموت، لأنهم كانوا خائفين من الأرجيين.
ثم هاجم أجاممنون بيساندروس و هيبولوخوس الشجاع
ولدى أنتيماخوس الحكيم، والذي كان أشد المعارضين

- لإعادة هيليني إلى زوجها مينيلأوس، ذهبى الشعر،
 متوقعا أن يقدم له ألكسندروس ذهبًا كثيرًا وهدايا رائعة. ١٢٥
- والآن يهاجم الملك أجاسمنون ولديه الاثنين،
 وكانا معًا في عربة واحدة تجرها الخيول السريعة.
 وعندما أفلت اللجام المصقول من أيديهما
 أصيبا بالدعر والهلع. عندئذ اندفع ابن أتريبوس
 كالأسد لمواجهتهما، فزلا من العربة وتضرعا إليه: ١٣٠
- "يا ابن أتريبوس، لتأخذنا أسرى حتى تحصل على
 فدية عظيمة، إذ توجد كنوز ضخمة في منزل أنتيماخوس،
 سواء من البرونز أو الذهب أو الحديد المصقول بمهارة.
 فإذا أبقيت علينا أحياء في سفن الأخيين،
 فسوف نقدم لك والدنا فدية لا حصر لها ولا عدد". ١٣٥
- بهذه الكلمات الرقيقة خاطبها الملك
 وهما يذرفان الدمع، ولكنهما سمعا ردًا قاسيًا:
 "إذا كنتما حقًا ولدي أنتيماخوس الحكيم،
 الذى أمر ذات مرة في مجلس الطرواديين بقتل مينيلأوس،
 عندما ذهب كرسول مع أوديسيوس شبيه الآلهة، ١٤٠
 حتى لا يعود مرة أخرى إلى رفاقه الأخيين،
 فسوف تدفعان الآن ثمن حماقة والدكما المشينة".
- هكذا قال، ثم دفع بيسانديروس من فوق العربة وطرحه أرضًا
 ثم غرس السيف في صدره، فرقد على ظهره بلا حراك.
 وعندما قفر هيبولوخوس، طرحة أرضًا وجرده من أسلحته، ١٤٥
 وقطع يديه بسيفه البتار، ثم فصل رأسه عن جسده
 وأسرع ينحرجه وسط الجموع الغفيرة وكأنه صخرة،

- ثم تركه حيث هو، واندفع إلى حيث تقاتل غالبية الجنود.
وانطلق معه باقى الأخيين، الذين كانوا يحمون أنفسهم جيداً بدروع
الساق، إلى حيث كان المشاة يقاتلون المشاة ويرغمونهم على الهرب. ١٥٠
كما كان الفرسان يقاتلون الفرسان. وارتفع الغبار عاليًا
فى الوادى، فقد أثارت حوافر الخيول التى تحدث دويًا هائلًا
أثناء القتال بالأسلحة البرونزية. وكان الملك أجاممنون
يحارب وهو يصدر أوامره للأرجيين
وكما كانت النيران المدمرة تهب على أشجار الغابة المتشابكة، ١٥٥
فتحملها الرياح إلى جميع الأنحاء، فتسقط
أشجار الغابة من جذورها بسبب شدة النيران
هكذا كانت رعوس الطرواديين تتساقط أمام
أجاممنون بن أتريوس أثناء هروبهم. وكانت الخيول، طويلة العنق،
تصدر صهيلًا مدويًا وهى تجر العربات الفارغة على خطوط القتال، ١٦٠
لقد خلت من فرسانها النبلاء بعد أن سقطوا قتلى
على الأرض، فأحببتهم الطيور الجارحة أكثر مما كانت زوجاتهم تحبهم.
وسحب زيوس هيكتر بعيدًا عن السهام والغبار
والقتل والدماء وضوضاء المعركة.
وكان بن أتريوس يصدر الأوامر للدانائيين وهو غاضب ١٦٥
خلف قبر إيلوس بن داردانائوس، القديم
فى وسط الوادى، بينما كان البعض يندفعون خلف شجرة التين الضخمة،
مشتاقين للعودة للمدينة، بينما كان ابن أتريوس يواصل
الصياح وقد تخضبت يده التى لا تقاوم بدماء ضحاياها،
وعندما وصل الطرواديون إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط ١٧٠
توقفوا عندها وانتظر أحدهم الآخر.
وكان بعضهم يقف فى منتصف الوادى، وهم يرتعدون من الخوف

- كقطيع من النيران يتوجس خيفة من قدوم أسد في ظلمة الليل،
ولكن جمعهم يتفرق عندما يكتشف أن كارثة خطيرة قد أصابت بالفعل
أحدهم. فقد أمسك به الأسد بأنيابه القوية من رقبتة فكسرها
١٧٥ أولاً، ثم قام بعد ذلك بالتهام أحشائه ودمه.
- هكذا كان الملك أجاممنون، بن أثريوس، يقوم بمطاردتهم
ويقتل من كان في المؤخرة منهم، فيتملك الخوف الآخرين.
وسقط كثير منهم من فوق الخيول، سواء على وجوههم أو على
١٨٠ ظهورهم ووقعوا في يد ابن أثريوس. فقد صال وجال بسيفه.
- بيد أنه عندما أوشك على الاقتراب من المدينة ومن السور
المتنيح، كان زيوس أبو البشر والآلهة
يتخذ مجلسه على قمة إيدا المليء بعيون الماء،
بعد أن نزل بعيداً عن السماء. وكان يمسك الصاعقة بيديه
١٨٥ فأسرع بإرسال إيريس، ذات الأجنحة الذهبية، برسالة قائلاً:
- "إيريس، أيتها السريعة، هيا بسرعة واعلني هذه الكلمة لهيكتور:
طالما يرى أجاممنون، راعي الشعوب،
يحارب في مقدمة الجيش، ويعيث قتلاً في صفوف المحاربين،
١٩٠ ليكف هو عن القتال، وليأمر الآخرين بقتال الأعداء قتالاً عنيفاً.
- ولكن عندما يصيب أجاممنون رمح أو يجرحه سهم،
فليسرع نحو خيوله، وسوف أضع في يديه قوة
تمكنه من القتال حتى يصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
إلى أن تغرب الشمس ويأتي الليل المقدس".
- ١٩٥ هكذا قال، ولم تعص إيريس، سريعة القدمين،
أمره بل أسرعت من إيدا إلى إليون المقدسة،
حيث وجدت هيكتور المجل شبيه الآلهة، بن برياموس الحكيم،

- واقفاً وسط خيوله وعربته المنيئة.
- ووقفت إيريس، سريعة القدمين، على مقربة منه وخاطبته قائلة:
- ٢٠٠ "هيكثور يا بن برياموس، يامن تماثل زيوس في الحكمة،
لقد أرسلني زيوس الأب كي أبلغك الرسالة التالية:
طالما ترى أجاممنون، راعي الشعوب،
يحارب في مقدمة الجيش، ويعيث قتلاً في صفوف المحاربين
فلتكف أنت عن القتال، ولتأمر الآخرين
٢٠٥ بقتال الأعداء قتالاً عنيفاً.
ولكن عندما يصيبه رمح أو يجرحه سهم
فلتسرع نحو خيولك وسوف يضع زيوس في يديك قوة
تمتلكك من القتال حتى تصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
إلى أن تغرب الشمس ويأتى الليل المقدس".
- ٢١٠ هكذا قالت إيريس، سريعة القدمين، ثم رحلت،
وقفز هيكثور من فوق عربته إلى الأرض ومعه سلاحه
وسار وهو يلوح بسيفه البتار ليحث المحاربين
في كل مكان على القتال، فأشعل فيهم شهوة القتال المخيفة
فنظموا صفوفهم ووقفوا في مواجهة الآخرين. وعلى الجانب الآخر،
٢١٥ دعم الأرجيون صفوفهم، وبعد أن استعدوا للمعركة،
وقفوا في مواجهة العدو. وكان أجاممنون أول من بدأ الهجوم،
فقد كان يرغب، أكثر من الجميع، في القتال في المقدمة.
والآن، يا ربات الفنون (الموساى) يامن تسكن
الأوليمبوس لتخبرنى من الذى جاء أولاً لمواجهة أجاممنون،
٢٢٠ هل كان واحداً من الطروديين أنفسهم أم من حلفائهم المشهورين.
لقد كان القوى الشجاع إفيداماس بن أنتينور

- الذى نشأ فى طراقيا أم قطعان الماشية.
 إذ تولى كيسيّس تربيته فى قصره طفلاً صغيراً.
 وكان كيسيّس جده لأمه ووالد ثيانو جميلة الخدين،
 ٢٢٥ وعندما بلغ إفيداماس مبلغ الرجال وأصبح شاباً يافعاً
 أراد كيسيّس أن يمنعه من العودة لوطنه، فمنحه ابنته
 زوجة له، ولكن عندما قدم ابتاء الأخيين غادر غرفة نومه
 وتبعته اثنتا عشر سفينة ذات مقدمة معقوفة،
 وهى السفن التى تركها بعد ذلك فى بركوتى
 ٢٣٠ فقد جاء إلى مدينة إليون سيراً على الأقدام.
 وهو المحارب الذى يواجه أجاممنون بن أتريوس الآن.
 وعندما وقف أحدهما فى مواجهة الآخر
 أخطأ ابن أتريوس الرمية ورمى الرمح بالقرب من خصمه،
 فأصاب إفيداماس فى أسفل درعه، الذى كان قد ثبته جيداً
 ٢٣٥ بيديه القويتين، ولكنه لم يصل إلى حزامه المزخرف،
 فقبل أن يصل إلى الجزء المصنوع من الفضة، انثنى كما لو كان
 مصنوعاً من الرصاص. فأمسك أجاممنون، واسع الملك، خصمه بيده،
 وسحب بقوة تجاهه بغضب شديد، ورفع، كالأسد،
 ٢٤٠ بين يديه بعنف وضرب عنقه بالسيف فأرداه قتيلًا.
 هكذا سقط، حيث نام نوماً أبدياً (حديدياً). ياله من مسكين،
 فقد كان عوناً لأبناء وطنه، ولعروسه التى زف إليها
 ولكنه لم يعرف المتعة معها، رغم أنه قدم لها هدايا كثيرة.
 فقد قدم فى البداية مائة ثور، ثم وعد بعد ذلك بتقديم ألف
 ٢٤٥ رأس من الأغنام والماعز، فهو يرى أعداداً غفيرة منها،
 واستولى أجاممنون بن أتريوس على عتاد خصمه
 وحمل أسلحته الرائعة وذهب إلى حشود الأخيين.

- وعندما رآه كوون، أكثر الرجال شهرة
 ٢٥٠ وأكبر أبناء أنتينور، اكتست عيناه بحزن شديد لمقتل شقيقه.
 فوقف جانباً بحيث لم يلحظه أجاممنون الإلهي،
 وقذفه برمح في منتصف ذراعه، أسفل الكوع
 فنفذت رأس الرمح اللامعة إلى مقدمة ذراعه
 فانقض أجاممنون، ملك الرجال، ولكنه
 ٢٥٥ رغم ذلك، لم ينسحب من المعركة ولا من القتال
 بل اندفع بعنف تجاه كوون حاملاً رمحه الصلب المتين.
 وكان كوون يجر إفيداماس، شقيقه من الأب نفسه،
 من قدميه بسرعة وهو ينادى على جميع الأبطال بصوت مرتفع.
 وبينما كان يسحبه وسط الزحام والصخب، محتمياً بدرعه
 ٢٦٠ ذى الحلى المعدنية أصابه سهم برونزى أطلقه أجاممنون،
 فأرداه قتيلًا، وحيث كان برقد إفيداماس، قطعت رأس شقيقه،
 وفي المكان نفسه نال ولدا أنتينور كفايتهما من الموت (القدر)
 على يد الملك أجاممنون، ودخلا معاً مقر هاديس.
 وواصل أجاممنون صولاته وجولاته بين صفوف المحاربين
 ٢٦٥ ممسكاً رمحه أو سيفه أو مستخدماً الأحجار الضخمة.
 وأثناء ذلك كله كان الدم الدافئ يسيل من جرحه،
 ولكن عندما جف الجرح وتوقف الدم،
 شعر ابن أتريوس بشدة آلامه وشعر بالوهن.
 لقد كان ألماً حاداً، مثل الذى يصيب المرأة أثناء الولادة
 ٢٧٠ ذلك الألم القاتل الذى ترسله الإليثويات اللاتى يساعدن النساء أثناء
 المخاض، بنات هيرا اللاتى يتحكمن فى آلام الولادة الموجهة.
 وبعد أن نال الألم الشديد من قوة ابن أتريوس قفز إلى العربة
 وأمر سائقه أن يسرع به إلى السفن المجوفة. فقد كان

- ٢٧٥ قلبه حزينا. وأطلق صيحة مدوية وخاطب الداناتيين قائلا:
 "أصدقائي، يا قادة الأرجين وحكامهم،
 يجب عليكم الآن أن تبعدوا صخب المعركة الأليمة
 عن سفننا جواربة البحار البعيدة، حيث إن زيوس إله التدبير
 لم يسمح لي أن أواصل قتال الطرواديين طوال اليوم".
- ٢٨٠ هكذا قال، ثم ضرب خيوله ذات العرف الجميل بالسوط
 لتذهب به إلى السفن المجوفة، فاندفعت طائفة.
 وانطلقت حاملة الملك المنهك بعيدًا عن المعركة
 وصدورها مملوءة بالزبد، وهي تنشر الغبار من تحتها.
 وعندما رأى هيكتور أجاسمنون يذهب بعيدًا
 حث الطرواديين والليكيين بصيحة تردد صداها بعيدًا، وقال:
 ٢٨٥ "أيها الأصدقاء من الطرواديين والليكيين والداردانيين
 إنكم أبطال بحق، فلتتذكروا شجاعتكم وإقدامكم،
 لقد ذهب أفضل رجالهم، ولقد منحني زيوس بن كرونوس
 مجداً عظيماً. فلتعودوا خيولكم الأصيلّة ضد
 ٢٩٠ الداناتيين الأقوياء، حتى تنالوا مجداً عظيماً أعلى من مجدي".
 هكذا قال، فاثار حديثه شعور كل واحد منهم وعقله،
 وكما يقوم أحد الصيادين بإطلاق كلابه
 ذات الأسنان البيضاء، أثناء رحلته لاصطياد خنزير برى أو أسد،
 ٢٩٥ هكذا حث هيكتور بن برياموس، شبيه آريس مدمر البشر،
 الطرواديين ذوى العقول الراجحة كي يحاربوا الآخرين.
 وانطلق هو، وقلبه ينبض بالشجاعة، إلى الصفوف الأولى
 وواصل القتال كالعاصفة المدمرة
 التي تقلب البحر رأساً على عقب، وترفع مياهه البنفسجية.

- ٣٠٠ فمن كان أول القتل ومن كان آخرهم،
عندما منح زيوس المجد لهيكتور بن برياموس؟
قتل أولاً أسايوس (أو أساياس) وأوتونوؤس وأوبيتيس
دولويس بن كليتيوس وأوفيلتيوس، ثم أجيلأوس
وأيسيمينوس وأوروس، ثم هيونوؤس الجسور في الحرب .
قتل هيكتور كل هؤلاء القادة الدانائيين، ثم واصل
التدمير بعد ذلك. ومثلما تهب الرياح الغربية (زيفيروس) العاصفة
٣٠٥ وتدفع سحب الجنوب الصافية أمامها وهي تضربها بهباتها
العنيفة فتترفع أمواج البحر، ويمتلئ بالزبد
الذي يقذفه الموج فتبعثره الرياح هنا وهناك،
هكذا تتأثرت رعوس الأعداء الكثيرة التي أسقطها هيكتور،
٣١٠ لقد كان دماراً عليهم وقام بأعمال لا تقارم.
- وكان الآخيون على وشك الإسراع ليهربوا إلى سفنهم
لولا أن أوديسيوس صاح في ديوميديس بن تيديوس بقوله:
"ماذا أصابك يا ابن تيديوس، أنسييت شجاعتك وإقدامك؟
تعال هنا، أيها الصديق، وقف بجاني، فسوف يكون
٣١٥ من للعار حقيقة أن يستولى هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، على السفن".
- فأجابه ديوميديس القوي بقوله:
"سوف أبقى معك فعلاً وسوف أصمد، ولكن مكسينا
سوف يكون تافهاً، فمن الواضح أن زيوس، جامع السحب،
يرغب في منح القوة للطرواديين، وليس لنا".
- ٣٢٠ قال ذلك، ثم طرح ثيمبراويوس أرضاً
وضربه بالرمح في الجانب الأيسر من صدره، بينما قتل
أوديسيوس موليون، شبيه الآلهة، الذي كان يرافق ذلك الملك.

- وبعد أن تركا الجثتين انسحبا من القتال،
وأقبل بقية الأبطال لمواصلة الهجوم. وكما يهجم خنزيران بريان
٣٢٥ على مجموعة من كلاب الصيد ويقاتلنها بشراسة وغضب،
هكذا واصل البطلان هجومهما على الطرواديين، بعد أن التقطاً
أنفاسهما. وتنفس الآخيون الصعداء وهم يهربون من هيكتور شبيه
الآلهة. واستولى البطلان على إحدى العربات، وهاجما اثنين من
خيرة الرجال إنهما ولدا ميرويس البركوتى^(١) الذي كان يبرز الجميع
٣٣٠ في مهارته في فن العرافة. لقد حاول أن يمنع ولديه
من الاشتراك في الحرب، مهلكة الرجال. ولكنه فشل
في إقناعهما. فقد كانت الأقدار تسوقهما للموت الأسود.
إذ حرصهما ديوميديس بن تيديوس، المشهور برمحه القوي،
من الحياة، واستولى على أسلحتهما ذائعة الصيت.
٣٣٥ بينما كانت أسلحة هيبوداموس وهيبيروخوس من نصيب أوديسيوس،
عندئذ نظر (زيوس) بن كرونوس من فوق جبل إيدا
وجعل كفتي المعركة متساويتين. وأثناء اقتتال الطرفين
ضرب ابن تيديوس البطل أجاستروفوس
بن بابون بالرمح في فخذه، ولم تكن خيوله
٣٤٠ قريبة منه حتى يتمكن من الهرب، وكانت إصابته شديدة.
لقد كان تابعه يقف بالعربة في مكان بعيد، بينما كان هو يحارب
وسط الجنود المشاة في طليعة الجيش. وهكذا فاضت روحه.
وكان هيكتور يراقب الموقف باهتمام من بين صفوف الجنود،
فاندفع وسطهم وهو يطلق صيحة مدوية. وفي الحال تبعته فيالق
٣٤٥ الطرواديين. ورأى ديوميديس، البارح في صيحة القتال،

(١) هاديوسوس Adrestos أي أدراسوس وأمفيري Amphiros. (الغمر)

ذلك فشعر بالرجفة، وبسرعة خاطب أوديسيوس الذي كان واقفاً على مقربة منه قائلاً:

"إن دائرة الدمار تضيق علينا بسبب شجاعة هيكتور فهيا بنا نتصدى له ولنصمد، ربما أمكننا أن نصد هجومه".

هكذا قال، ثم جذب رمحه طويل الظل، وقذفه

فأصاب هيكتور ولم يخطئه. فقد صوبه إلى رأسه فرشق الرمح البرونزي في قمة خوذته، فصدمته الخوذة للبرونزية بعيداً، ولم يصل الرمح إلى اللحم الأبيض، فقد كانت مقدمة خوذته مصنوعة من ثلاث طبقات، وكان أبوللون فوبيوس (الرضاء) قد أعطاها له. وبسرعة قفر هيكتور بعيداً وذاب وسط الزحام

حيث وقع على ركبتيه، واستند على يديه القويتين إلى الأرض، ثم غاب عن الوعي لحظات . وظل (ديوميديس) ابن تيديوس واقفاً في مقدمة الجيش يتابع اندفاع رمحه حتى سقط على الأرض.

وبعد أن استعاد هيكتور وعيه، اندفع إلى عربته مرة أخرى وانطلق بها وسط الجموع، وهكذا تجنب الموت الأسود. ولكن ديوميديس القوي اقترب منه ومعه رمحه وصاح قائلاً:

"لقد هربت من الموت مرة ثانية أيها الكلب، لقد اقترب منك الموت جداً، ولكن أبوللون فوبيوس أنقذك مرة أخرى، فلنرى من الذي سوف تتضرع إليه عندما يأتيك ضجيج رماحي فعندما ألنقى بك سوف أقتلك، إن عاجلاً أو آجلاً،

إذا ما ساعدني أحد الآلهة ووقف بجانبني أما الآن فسوف أهاجم غيرك إلى أن أجد هذا الإله".

هكذا قال، ثم قتل ابن بايون، المشهور بقوة رمحه،

- بينما كان ألكسندروس، زوج هيليني، ذات الشعر الجميل،
 ٣٧٠ يوجه سهمه تجاه ابن تيديوس، حامى الشعوب،
 وهو متكئ على قبر إيلوس بن داردانوس
 الذى أقامه له البشر، لأنه كان أحد الأبطال القدامى.
 وكان ديوميديس قد خلع درع أجاستروفوس الشجاع
 عن صدره، وخلع درعه المستدير اللامع من كتفيه،
 ٣٧٥ كما خلع خوذته الثقيلة. فسحب ألكسندروس قوسه
 ورماء بسهم لم ينطلق من يده دون طائل
 بل أصابه فى مقدمة قدمه اليمنى، ثم انغرس فى الأرض
 بعد أن حرق قدمه، فخرج (ألكسندروس) من مكمته
 وضحك ملء شقيقه وقال فى نشوة وسعادة:
- ٣٨٠ "لقد أصبتك، فسهى لم ينطلق دون طائل، ولكن لو لم أقذفه
 لأسفل لكان قد استقر فى معدتك وأخذ روحك وكان الطرواديين
 قادرين على التنفس بحرية بعيداً عن المتاعب بدلاً من وقوفهم
 الآن يرتعدون أمامك مثل الماعز التى تجهش باكية أمام الأسد".
 وأجابه ديوميديس القوى بشجاعة قائلاً:
- ٣٨٥ "يا رامى السهام، أيها الوغد المشهور بقوة رمحه، يا من تغرر
 بالعذارى، لو كنت قد حاولت مواجهة وجهي لوجه ومعك سلاحك
 ما كان لينفك رمحك ولا سهامك الثقيلة فى شيء.
 ليس هناك ما تتفاخر به لأنك قد خدشت سطح قدمي.
 إننى لا أبالي. كما لو كانت قد أصابتني امرأة أو صبي غر
 ٣٩٠ إنه سهم كليل قذفه رجل ضعيف لا قيمة له.
 فعندما ينطلق السهم الحاد من يدي ويلمس شخصاً لمساً خفيفاً
 فإنه يجعله يرقد بلا حراك فى الحال، وتلطم زوجته خديها

- وتمزقهما حزنا عليه ويتحول أطفاله إلى أيتام،
وترتوى الأرض من دمه القانى. وعندما يتعفن جسده تتجمع
٣٩٥ حوله الجوارح أكثر مما كانت النساء تتجمع حوله".
- هكذا قال له، ثم جاء إليه أوديسيوس المشهور بقوة
رمحه ووقف على مقربة منه. ثم جلس خلفه، وبدأ (ديوميديس) يسحب
الرمح من قدمه بسرعة، فسرت في جسده آلام رهيبة.
وبعد ذلك صعد إلى العربة وأمر السائق
٤٠٠ أن يذهب به إلى السفن السريعة. فقد كان قلبه مهموما.
أما أوديسيوس المشهور بقوة رمحه، فظل وحده، إذ لم يبق
معه أحد من الأرجيين، فقد سيطر الخوف عليهم جميعا.
وبقلب جريح ناجى روحه النبيلة قائلاً:
- "آه لى، ماذا أصابنى ؟ سوف تكون فضيحة كبرى إذا
٤٠٥ هربت خوفا من بعض الرعاع. ولكن لو هزمت وأنا وحيد
فسوف يكون الأمر أسوأ. لقد جعل ابن كرونوس الدانائيين الآخرين
يفرون، ولكن لماذا يحدثنى قلبى الحبيب بهذه الأشياء؟
إننى أعرف جيدا أن الجبناء فقط هم الذين يهربون من القتال،
ولكن المقاتل الشجاع هو الذى يصمد
٤١٠ فى الحرب بقوة سواء انتصر أو هزم".
- كان أوديسيوس يقلب هذه الأفكار فى عقله وقلبه
عندما هجمت عليه صفوف المقاتلين الطرواديين
وحاصرته من كل جانب، حاملة الدمار معها.
وكما تهجم مجموعة من الأثرياء الأقوياء ومعهم كلابهم
٤١٥ على خنزير برى، فيندفع تجاههم من الدغل الكثيف
شاهراً أسنانه البيضاء من بين أنيابه المعقوفة

- فيلقون حوله، وتعلو أصوات ارتطام أسنانه ببعضها،
فلا يتراجعون بل يصمدون أمامه رغم قوته.
هكذا حاصر الطرواديون أوديسيوس،
٤٢٠ حبيب زيوس، ولكنه قتل البطل ديوبيتيس
أولا بعد أن قفز فوقه وضربه بسيفه البتار،
ثم بعد ذلك قتل ثوون، وإثوموس،
ثم انقض على خيرسيداماس في عريته
وضربه بسيفه، فنفذ السيف داخل درعه ذى الحلى المعدنية
٤٢٥ وسقط على الأرض، وتشتت أظافره بالتراب.
وترك أوديسيوس هؤلاء القتلى، وهاجم خارويس بن هيباسوس،
شقيق سوكوس نبيل المحتد، وقتله بضربة من رمحه .
ذهب سوكوس، شبيه الآلهة، للدفاع عن شقيقه
فاقترب من أوديسيوس وخاطبه قائلاً:
٤٣٠ "أوديسيوس الأمجد، يا من تسعى دائماً وراء المزيد من
المتاعب والحيل، إما إنك سوف تقتخر اليوم بقتل
اثنين من أبناء هيباسوس، وسلب أسلحتهم،
وإما إنك سوف تسلم الروح بعد ضربة من سهمي".
٤٣٥ هكذا قال، ثم قذفه بسهم قوى رشق فى درعه المستدير ونفذ
من خلال الدرع، دقيق الصنع، فمزق لحم ضلوعه. ولكن الربة
أثينة باللاس ما كانت لتسمح بنفاذ السهم إلى أحشائه.
وانسحب أوديسيوس للخلف، وحتى يعرف سوكوس
٤٤٠ أنه لم يصب فى مقتل، خاطبه قائلاً
"أيها الجبان، لقد حل بك موت محقق،
لقد أمكنتك أن توقفنى عن قتال الطرواديين.

- والآن فأنتى أعلن لك أن الخراب والموت الأسود
سوف يحلان عليك اليوم، وبرمحي المهزوم سوف تمنحني
المجد، فسوف أبعث بروحك إلى هاديس، ذى الجياد الأصيلة". ٤٤٥
- هكذا قال، ولكن سوكوس تمكن من الهرب وانطلق
مولياً الأديار وبينما كان يدير ظهره، ضربه أوديسيوس بالرمح
فى ظهره فى منتصف المسافة بين كتفيه، فنفذ الرمح إلى صدره
وسقط مرتطماً بالأرض. فصاح أوديسيوس المجلج متبهاها بقوله:
"سوكوس يا ابن هيباسوس مروض الخيول الماهر، ٤٥٠
لقد هزمتك الموت الذى لا فرار منه، ولم تستطع الهرب
أيها البائس، ولن يخلق أبوك وأمك الممجلة
عينيك عند موتك، بل سوف ترفرف الطيور الجارحة الجائعة
بأجنحتها ذات الريش حولك وتمزق لحمك.
أما أنا، فعندما أموت سوف يدفنى الآخيون النبلاء بإجلال". ٤٥٥
- هكذا قال، ثم نزع رمح سوكوس الثقيل ذلك المحارب
القوى، نزع به نفسه من جسده فخرج من لحمه، ومن الدرع المزين
بحلابة ناتئة فى المنتصف وانبعث الدم بغزارة، وشعر بالآلم المبرح.
وعندما رأى الطرواديين، ذوو النقوس الأبية، دماء أوديسيوس
صاحوا فى جموع المحاربين حتى يذهبوا جميعاً ويهاجموه. ٤٦٠
ولكنه تراجع للخلف وأخذ ينادى على رفاقه.
أطلق ثلاث صيحات عاليات بقدر ما يستطيع فم محارب أن يصيح.
وسمعه مينيلائوس، حبيب آريس، وهو يصيح ثلاثاً،
وفى الحال خاطب أياص الذى كان على مقربة منه بقوله:
"أياص يا سليل زيوس، أيها التيلامونى يا قائد الشعوب، ٤٦٥
إن صبيحة أوديسيوس، ذى القلب الشجاع، تحيط بى و تصك أذنى

- وبخيل إلى أنه يصيح وهو فى مأزق وحيداً،
وأن الطرواديين الشرسين قد أبعدوه عن أصدقائه.
فلنذهب وسط الحشود. فمن الأفضل أن ننقذه.
- ٤٧٠ فإبنى أخشى أن يصيبه سوء وهو وحيد بين الطرواديين
رغم شجاعته العظيمة، فإن الدانائيين يحتاجون إليه بشدة".
هكذا قال، ثم انطلق وتبعه البطل شبيه الآلهة
حتى وجدا أوديسيوس، حبيب زيوس، وقد حاصره
الطرواديون مثلما تلتف مجموعة متوحشة من ابن آوى
٤٧٥ فى الجبال حول غزال ذى قرون، كان صياد قد أصابه
بسهم من جعبة سهامه، فأطلق ساقيه للريح
كى يهرب منهم، بينما دمه الدافىء ينساب ولا تقوى ساقاه على حمله
وفى للنهاية، عندما يقهره السهم السريع
تبدأ حشود ابن آوى المتوحشة فى التهامه على الجبال العالية
٤٨٠ وفى الغابة وارفة الظلال، إلى أن يرسل أحد الآلهة أسداً
كاسراً، فتتفرق حشود ابن آوى (عند رؤيته) ويلتهم هو الفريسة.
هكذا، تجمع هناك الكثير من الطرواديين الأقوياء
حول أوديسيوس الداهية كثير الحيل، ولكن البطل
استطاع أن يبعد يوم موته لأنه واصل قذفهم بالسهام،
٤٨٥ وجاء أياض حاملاً درعه، ووقف على مقربة منه
مثل البرج المنيع، فتفرق الطرواديون هنا وهناك.
وقاده مينيلائوس، المحب للقتال، بعيداً عن صخب المعركة
وهو يمسك بيده. وأمر تابعه بأن يقود الخيول بعيداً.
عندئذ هاجم أياض الطرواديين وقتل دوريكولوس
٤٩٠ ابن برياموس غير الشرعى، ثم قتل باندوكوس بعد ذلك
ثم ليساندروس وبيراسموس وبيلارتيس.

- ومثلما يفيض النهر ويندفع من فوق الجبال
إلى الوادى بعد أن يمتلئ من (ذوبان) جليد الشتاء وسقوط أمطار
زيوس، فيجرف الكثير من أشجار البلوط الجافة وأشجار الصنوبر
ويلقى بالكثير من الطمى فى البحر،
٤٩٥ هكذا واصل أياض العظمى الهجوم عليهم، وكان يشتت مجموعهم
فى الوادى وهو يقتل الرجال والجياد. ولم يعرف هيكاتور
ذلك، إذ إنه كان يحارب فى مكان بعيد على اليسار.
على ضفاف نهر سكاماندروس، حيث تطاير الكثير
من رءوس الرجال، وارتفعت صرخة لا تخدم
٥٠٠ حول نيسطور العظمى وإيدومينيوس، المولع بالقتال.
فقد اشتبك هيكاتور فى قتال معهما، وقام بأعمال مدمرة
متسلحا بسيفه وراكبا عربته. وعاث تحطما فى صفوف المحاربين.
وما كان الأخيون البواسل لينسحبوا من المعركة
٥٠٥ لو لم يصب ألكسندروس، زوج هيلينى جميلة الشعر،
ماخاؤن للشجاع، قائد الشعوب، الذى كان يفوق الجميع فى شجاعته.
فقد قذفه فى كتفه الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكلات.
ورغم شجاعته الفائقة، خشى الأخيون البواسل
أن يقع فى أيدى الطرواديين وهو جريح عندما تنتهى المعركة.
٥١٠ وفى الحال خاطب إيدومينيوس نيسطور، شبيه الآلهة، بقوله:
"نيسطور يا ابن نيلئوس، يا فخر الأخيين العظمى،
تعال واصعد إلى العربة ولتدع ماخاؤن
يصعد بجانبك، وسوف نقود الخيول الأصيلة بأقصى سرعة
إلى السفن. فإن طبيبا واحدا يساوى فى أهميته الكثير من الأبطال،
٥١٥ فلنذهب حتى ينزع السهم وينثر الأدوية المسكنة على الجرح".

- هكذا قال وأطاعه نيبستور، الفارس الجيريني، وصعد في الحال
إلى العربية وصعد معه ماخاؤون بن أسكليبيوس الطبيب الماهر
وضرب الخيول بالسوط، فطارت بحماس
في اتجاه السفن السريعة، وكانت روحه متشوقة للوصول. ٥٢٠
- وعندما لاحظ كبير يونيس تشتت الطرواديين
وقف بجانب هيكتور في عربته وخاطبه قائلاً:
- 'هيكتور، لقد وصلنا نحن الاثنين بمفردنا القتال ضد الدانائيين
حتى انتهت هذه المعركة الكريهة. بينما كان بقية الطرواديين
بتخطيطون في الفوضى هم وخيولهم.
- لقد أربكهم أياض بن تيلامون، إنني أعرفه جيداً ٥٢٥
- فهو يضع درعاً عربضاً حول كتفيه. لذلك دعنا
نتجه بالخيول والعربة إلى هناك، إلى حيث يحارب
الفرسان والمشاة ويقاتلون بشراسة. حيث يقتل بعضهم البعض الآخر،
وترتفع صيحة الحرب التي لا تخدم". ٥٣٠
- هكذا خاطب هيكتور، ثم ضرب الخيول ذات العرف الجميل
بالسوط ذي الصفير. وعندما سمعت الخيول صوت السوط
جرت العربية للسريعة وسارت وسط حشود الطرواديين والآخيين
وهي تدوس فوق الجثث والدروع. وكان الدم يلطخ
محور العجلة كله من أسفل، وكانت قطرات الدم ٥٣٥
- التي تنثرها حوافر الجياد تتساقط من حافة العربية المستديرة
ومن الإطارات. وكان هيكتور يتمنى أن
يدخل وسط زحام البشر ويقفز داخله ويخرقه. ولقد سبب
إزعاجاً كبيراً للدانائيين. وبعد وقت قصير نحى رمحه جانباً،
ولكنه واصل جولته بين صفوف رجاله الآخرين ٥٤٠

- ليزودهم بالسيف أو الرماح أو الصخور الضخمة.
ولكنه كان يحجم عن متازلة أياس بن تيلامون
ووضع الألب زيوس، رفيع العرش، الخوف في نفس أياس
فوقف مذهولا واضعا درعه المصنوع من سبع طبقات من جلد الثور ٥٤٥
خلفه، وكان يحمل في الجموع وهو خائف، وكأنه حيوان مفترس
يتجول خانقا هنا وهناك، يتقدم خطوة ثم لا يلبث أن يتراجع أخرى.
مثل أسد كاسر يحاول المزارعون، ومعهم كلابهم،
أن يبعده بعيدا عن حظيرة الثيران،
حتى لا تستح له الفرصة ويقتنص أسن الثيران . ٥٥٠
لذلك فإنهم يواصلون مراقبته طول الليل. وعندما تدفعه
شراسته إلى الدخول فإنه يفشل في تحقيق غايته
لأن الأبدى الشجاعة تطلق الكثير من السهام ضده.
كما أنه يخاف من المشاعل المضيئة ويخشأها رغم عنف رغبته.
إلى أن يشعر قلبه بالبأس عند الفجر فيرحل بعيدا. ٥٥٥
هكذا رحل أياس بعيدا عن الطرواديين وهو حزين القلب،
رغم كراهيته لذلك، لأنه كان يخاف على سفن الأخيين.
ومثلما يعبر حمار عنيد أحد الحقول، ويفشل الصبية في
إبعاده، رغم أنهم يضربونه بالكثير من العصي ويكسرونها عليه، ٥٦٠
فإنه يدخل حقل القمح الناضج ويدمره، رغم مواصلة الصبية
ضربه بالهراوات. ورغم أن قوة الصبية محدودة
فإنهم يطردونه بسهولة عندما ينال كفايته من الطعام.
هكذا واصل الطرواديون اليواصل وحلفاؤهم من مختلف البلاد
قذف أياس العظيم، ابن تيلامون،
بالرماح في منتصف درعه، وواصلوا تعقبه أينما ذهب. ٥٦٥
وعندما كان أياس يتذكر شجاعته الفائقة في الماضي

- كان يعود مرة أخرى ويواصل صد فرق
الطرواديين مروضى الخيول، ولا يفكر في الهرب.
وكان يمنعم جميعاً من الذهاب إلى السفن السريعة،
٥٧٠ فقد كان يحارب في المسافة التي تفصل بين الطرواديين والآخيين،
ونجح في الاحتفاظ بموقعه. وكانت السهام تتطلق
من الأيدي القوية فيصطدم بعضها بدرعه الكبير، ورغم قوة اندفاعها
كان الكثير منها يسقط في منتصف المسافة ويرشق في الأرض
قبل أن يلمس لحمه الأبيض، رغم تعطشه الشديد له.
٥٧٥ وعندما لاحظ يوريبيلوس بن يوايمون الشهير كيف
يعانى أياس من السهام التي تتساقط حوله
ذهب إليه ووقف بالقرب منه، وصوب سهمه اللامع
فأصاب أبيساؤن بن فاوسياس راعي الشعوب
في كبده أسفل قلبه، فأرداه قتيلاً في الحال.
٥٨٠ وهب يوريبيلوس إليه كي ينزع السلاح من كنفه.
وعندما رآه ألكسندروس. شبيه الآلهة،
يجرد أبيساؤن من سلاحه، وفي الحال صوب سهماً
تجاه يوريبيلوس، فأصاب السهم فخذه
الأيمن. وانكسر رأس السهم في فخذه وآلمه.
٥٨٥ فنتهقر عائداً إلى رفاقه حتى يتجنب الموت
وصرخ صرخة مدوية وخاطب الدانييين قائلاً:
"أصدقائي قادة الأرجيين وملوكهم
تعالوا وتجمعوا حتى نجنب أياس هذا
اليوم العصيب، فإن السهام تحاصره. وأعتقد
أنه لن يستطيع الهرب من هذه المعركة الكريهة. فلتتجمعوا ولتقفوا
٥٩٠ بقوة بجانب أياس العظيم بن تيلامون".

- هكذا قال يوريبيلوس الجريح. فوقفوا
بجانبه، مثبّتين دروعهم على أكتافهم
وممسكين بحرابهم. فلمستدار أيلس
وجاء إليهم، وعندما وصل إلى رفاقه وقف،
وحاربوا معا وكأنهم نيران مستعرة.
وحملت خيول نيلّيوس وماخاؤن قائد الشعوب
لكي يعودا من المعركة، وهي تتصّيب عرفاً
ورأى أخيليوس الإلهي، سريع القدمين، نيسطور وعرفه في الحال،
فقد كان واقفاً في مؤخرة سفينته الضخمة
يراقب اندلاع المعركة الصاخبة المليئة بالدموع.
وفي الحال صاح، وهو يقف على سفينته، منادياً
رفيقه باتروكلوس، وعندما سمعه باتروكلوس، شبيه آريس،
وكان داخل خيمته، خرج إليه. وكان ذلك بداية الكارثة
وخاطبه باتروكلوس بن مينوييتيوس الشجاع أولاً بقوله:
"لماذا تتأدّيني يا أخيليوس، في أي شيء نحتاجني؟".
فأجابه أخيليوس، سريع القدمين، بقوله:
"يا بن مينوييتيوس الإلهي، أيها العزيز على قلبي،
أعتقد أن الآخرين سوف يحتشدون سريعاً حول قدمي،
لكي يتضرعوا لي. فما سوف يأتي يصعب احتماله.
فلتذهب الآن يا باتروكلوس، يا حبيب زيوس، ولتسأل من
الجريح الذي أحضره نيسطور من الحرب،
فهو من الخلف يشبه ماخاؤن
بن أسكليبيوس، ولكنني لم أتمكن من رؤية وجهه،
فقد مرقت الخيول أمامي بسرعة"

- هكذا قال، وأطاع باتروكلوس، رفيقه العزيز
 وذهب مسرعاً إلى حيث توجد خيام الأخيين وسفنتهم.
 وعندما وصلت العربة إلى خيمة نيسطور بن نيلبوس
 نزلوا منها جميعاً إلى الأرض، وفيرة الخيرات.
 ٦٢٠ وفك يوريميدون، تابع نيسطور، الخيول من
 عربة الشيخ المسن. ووقف اليطلان في مواجهة النسيم
 القادم من شاطئ البحر ليحفظا العرق في ملابسهما.
 ثم دخلا الخيمة حيث اتخذاً مجلسهما.
 وأعدت الشراب لهما هيكاميدى، جميلة الشعر،
 ٦٢٥ التي كان قد أحضرها الشيخ المسن من تينيدوس، عندما دمر
 أخيلبوس المدينة. وهى ابنة أرسينوؤس الشجاع. وقد اختارها
 الأخيون له، لأنها كانت تفوق الجميع فى حكمتها.
 وفى البداية، مدت لهما هيكاميدى مائدة
 جميلة، ذات أرجل فولاذية جيدة الصقل، ووضعت عليها
 ٦٣٠ سلة من البرونز وبعض البصل لإعطاء نكهة للحم،
 وعسلأ مصفى وطبقاً من القمح المقدس
 بالإضافة إلى كأس فائق الجمال، أحضره الشيخ المسن من منزله،
 كأس مرصع بحليات ذهبية نائنة، وله أربعة من
 الأيدى حول كل يد تحت من الذهب، يمثل زوجاً من
 ٦٣٥ الحمام وهو يلتقط الحب. وكان للكأس قاعدة مزدوجة.
 وكان من العسير على أى شخص أن يرفعه
 عن المائدة، ولكن نيسطور الشيخ المسن كان يرفعه بسهولة.
 ومزجت فيه الفتاة التى تشبه الإلهات
 نبيلأ براميدأ، ثم بشرت جينا من لبن الماعز
 ٦٤٠ بمباشرة من البرونز، ثم نثرت بعضاً من الشعير الأبيض.

- وبعد أن أعدت لهما الشراب طلبت منهما أن يشربا.
وبعد أن شربا وأطفأ نيران الضمأ الشديد
بدأ متعة تبادل أطراف الأحاديث فيما بينهما.
وقف باتروكلوس، البطل الذى يشبه الآلهة. على الباب
وعندما رآه الشيخ الممن نزل عن عرشه الذهبى
وأخذه من يده وطلب منه أن يتخذ لنفسه مجلسا.
ولكن باتروكلوس رفض الجلوس قائلاً:
"سيدى المبجل، يا من رباه زيوس، لا تحاول إقناعى بالجلوس.
لقد أرسلنى السيد النبيل المهيب حتى أُمال وأعرف
من هو الجريح الذى أحضرته. إننى أعرفه .
فقد رأيته، إنه ماخاؤن، قائد الشعوب والآن، ولأننى رسول
أخيليوس، يجب أن أعود بالخبر إليه. سيدى المبجل،
يا من رباه زيوس، أنت تعرف جيداً ذلك البطل الرهيب،
الذى قد يبادر بلوم حتى ذلك الإنسان الذى لا تثريب عليه".
عندئذ أجابه نيسطور، الفارس الجيرينى، قائلاً:
"ولكن لماذا يبكى أخيليوس هكذا على الآخرين
الذين جرحتهم السهام ؟ إنه بالقطع يجهل
مدى الحزن الذى ساد الجيش. فأفضل أبطالنا
يرقدون فى السفن جرحى ومصابين.
فقد أصيب ديوميديس القوى، ابن تيديوس.
وكذلك أوديسيوس ذو الدرع الشهير، وكذلك أجاممتون.
أما يوريبيلوس فقد أصيب برمح فى فخذه،
وهناك شاب آخر أحضرته من المعركة
وقد أصابه سهم أطلقه أحدهم من جعبة سهامه. ولكن أخيليوس

- ٦٦٥ الشجاع لا يهتّم بالدانائيين ولا يشفق عليهم
هل ينتظر حتى تحترق سفننا السريعة
الراسية على شاطئ البحر، وتأتى عليها نيران العدو نكابة في
الأرجيين، أم ينتظر حتى يتم قتلنا واحدا تلو الآخر؟ إن أطرافى
الواهنة لم يعد بها قوة مثلما كان الحال فى الماضى.
- ٦٧٠ أه لو كنت فى ميعة الصبا والشباب وفى عنفوان قوتى
مثلما كنت، عندما حدث بيننا وبين الإيليين صراع
بشأن نفل الإبل. فقد قتلت آنذاك إيتيمونيوس
بن هيبيروخوس الشجاع، الذى كان يسكن فى إيليس.
وذلك عندما كنت أسوق قطعانه غنائم لى. لقد حاول الدفاع عن ثيراته
فأصيب، وهو وسط حرسه، بسهم انطلق من يدى رغما عنى،
وسقط على الأرض. ووقف الناس حوله وهم يرتعدون من الخوف،
فأخذنا غنائم كثيرة وسقناها بعيدا عن الوادى:
خمسین قطيعا من الثيران، العديد من الأغنام
والكثير من الخنازير ومن قطعان الماعز،
٦٨٠ بالإضافة إلى مائة وخمسين من الخيول الشقراء،
كانت كلها من الإناث فتبع العديد منها صغارها.
وبعد أن سرنا طوال الليل، وصلنا بها
إلى مدينة بيلوس مدينة نيلوس، وابتهج قلب نيلوس،
لأننى حققت كل هذا النجاح عندما ذهبت للقتال وأنا شاب صغير.
- ٦٨٥ وفى الصباح، صاح المنادون بصوت عال ودعوا السكان
للذهاب حتى يأخذوا ديونهم التى كانت لهم فى إيليس الإلهية.
وعندما تجمعوا جميعا، قام قادة مدينة بيلوس
بتوزيع الغنائم، فقد كان الإيبيون مدينين لكثيرين منا.
فظنرا لقلة عددنا، فقد كنا نلقى معاملة سيئة فى بيلوس.

- ٦٩٠ لقد نزلت علينا قوة هيراكليس (هرقل) وقهرتنا
وقُتل خيرة رجالنا في السنوات الماضية.
وكنا نحن أبناء نيلئوس النبيل اثني عشر ابنا
لم يبق منهم أحد غيري، فقد هلك الباقون جميعا.
ولقد عاملنا الإيبويون، لابسو البرونز، بكبرياء وصلف
وواصلوا إهانتنا وسببوا لنا الكثير من الأذى. ٦٩٥
واختار الشيخ نفسه قطيعا من الثيران وقطيعا
كبيرا من الأغنام، بالإضافة إلى ثلاثمائة رأس ومعها رعاتها.
فقد كان له دين كبير في إيليس الإلهية
فقد أرسل أربعة خيول من التي تفوز في المسابقات ومعها العربات
لنتشارك في المسابقات وتجرى من أجل الفوز ٧٠٠
بالمقعد ذي القوائم الثلاث. ولكن أوجياس (*) ملك الرجال
استولى عليها وطرد السائق الذي عاد حزينا على خيوله
وبطبيعة الحال غضب للشيخ المسن من هذه الأفعال والأقوال.
لذلك اختار الكثير من الغنائم وأعطى الباقي للشعب
كى يوزعه فيما بينه حتى لا يحرم أحد من نصيب عادل. ٧٠٥
وبعد أن ناقشنا كافة الأمور - ذهبنا القرايين
فى أنحاء المدينة. وفى اليوم الثالث جاء سكان المدينة
بأعداد غفيرة، جاءوا معهم خيولهم الأصيلة
كى يتعقبونا. وقد جاء معهم ولدا مولوس التروأم
رغم أنهما كانا مجرد صبيين لا يعرفان فنون القتال. ٧١٠

(*) تقول الأساطير الإغريقية إن أوجياس Augias كان ملكا على مدينة إيليس. وكانت حظائره تضم عددا هائلا من البقر (٣٠٠٠). ولكن هذه الحظائر لم تُنظف لمدة ٣٠ سنة. فكان من ضمن الأعمال المخارقة الإللى عشر التى أسد هيراكليس القيام بها تنظيف الحظائر الأوجية. ولقد أمكنه القيام بهذه المهمة فى يوم واحد عندما حول مجرى نهري الفيرس وبيتيوس ليحرا داخل الحظائر فأزال فى ساعات كل ما كان قد تجمع فيها من الروث على مدى السنوات الثلاثين.

- وكانت توجد مدينة تسمى ثريزيسا تقع على تل مرتفع
على نهر الفايوس، بعيداً جداً عن مدينة بيلوس الرملية.
فحاصروا هذه المدينة وكلهم رغبة في إبادتها
وعندما احتلوا السهل بأكمله، جاءت إلينا الربة أثينة.
فقد ظلت تجرى طوال الليل من الأوليمبوس حتى وصلت إلينا ٧١٥
برسالة تحثنا فيها أن نتسلح، ليس لأنها تكره شعب بيلوس
ولكن لرغبتها الشديدة في الحرب. ولم يسمح لى نيلبوس
آنذاك بحمل السلاح. لذلك أخفى خيولى.
قائلاً إننى لم أعرف فنون الحرب بعد.
ورغم أننى كنت أحارب على الأقدام فقد كنت ٧٢٠
مميزاً بين صفوف الفرسان، إذ كانت أثينة هى التى توجهنى.
وعند النهر المسمى مينيويس الذى يصب فى البحر
بالقرب من أرينى انتظرنا نحن فرسان بيلوس
بزوغ ربة الفجر المقدس. وتوافد إلى هناك الفرسان
بسرعة مسلحين بالدروع وكافة أسلحتهم. ٧٢٥
وعند منتصف النهار وصلنا إلى نهر ألفيوس المقدس،
وهناك قدمنا لزبوس الكثير من القرابين العظيمة،
كما قدمنا لنهر ألفيوس ثورا، ولبوسيدون ثورا آخر.
واخترنا ثورا سمينا لأثينة زرقاء العينين ،
ثم تناولنا العشاء فى (وسط) حشود الجيش ٧٣٠
وذهبنا للنوم حول ضفتى النهر،
وكل واحد منا بكامل سلاحه. وكان الإيبويون الشجعان
يقفون أمام المدينة متلهفين على تدميرها،
ولكنهم سرعان ما شاهدوا بطولة رائعة من بطولات
الحرب (آريس). فعندما أشرقت الشمس على ٧٣٥

- تجمعنا استعدادا للقتال، ونحن نبتهل لزيوس وأثينة.
وعندما بدأ القتال بين أهل بيلوس والإيبين
كنت أنا أول من قتل واحدا من الأعداء، وغنمت خيوله الأصيلة.
إذ قتلت مولوس، رامى السهام، وصهر الملك أوجياس
فقد تزوج كبرى بناته، أجاميدى الشقراء،
التي كانت تعرف جميع الأعشاب المداوية التي تنبتها الأرض
الشاسعة، فبينما كان يهم بالهجوم على قذفته برمح برونزى
فسقط على الأرض. وقفرت إلى العربة
وحاربت في طليعة الصفوف. وعندما رأى
الإيبين اليواسل قائد الفرسان وقد سقط صريحا
أصابهم الرعب وهربوا هنا وهناك. فقد كان أفضل مقاتليهم
واندفعت أهاجمهم مثل عاصفة سوداء،
واستوليت على خمسين عربية، وعض اثنان من أبطالهم
الأرض بأسنانهم وهم في سكرة الموت بعد أن قهرهما رمحي.
وكنت على وشك قتل ولدى موليون المنسوبين إلى أكتور،
ولكن أبوهما الحقيقي (بوسيدون)، مزلزل الأرض، أنقذهما
من الموت (القتل)، فقد أخفاهما بين طيات الضباب الكثيف.
ووضع زيوس فى أيدينا نحن أبناء بيلوس قوة عظيمة،
فشنتنا فلول العدو فى أنحاء الوادى الفسيح
وأشبعناهم قتلا، واستولينا على أسلحتهم الرائعة.
وقدنا خيولنا حتى بوبراسيون، الغنية بالغلل.
ووقفت الربة أثينة على صخرة أولينيا التي توجد
فى تل اليسيون، أو هكذا يُسمى، وردتهم على أعقابهم.
وهناك قتلت آخر قتلاى وتركته. وقاد الآخيون
خيولهم السريعة من بوبراسيون عائدين إلى بيلوس.

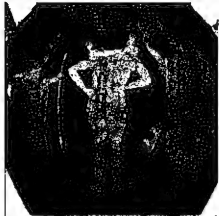
- وتوجه الجميع بالشكر لزيوس من بين الآلهة، ولتستور من بين البشر .
هكذا كنت، وهكذا كانت مكانتي ذات يوم بين الرجال. أما أخيليوس
فإن يفيد من بسالته سوى هو نفسه. وأعتقد أنه
سوف يندم كثيرا. حيث لا ينفع الندم. إذا ما دُمر هذا الشعب.
٧٦٥ يا ولدي الحبيب، لقد أمرك مينويتيوس بذلك
في اليوم الذي أرسلك فيه من قثيا إلى أجاممنون.
لقد كنت أنا وأوديسيوس الإلهي في المنزل،
وسمعنا كل أوامره وهو يلقيها عليك.
فما أن وصلنا إلى قصر بيليوس الفخم
٧٧٠ حتى حشد شعب آخايا، كثرة الخيرات،
ووجدنا البطل مينويتيوس بالداخل،
كما وجدناك أنت وأخيليوس. وكان الفارس الأشيب بيليوس
يحرق قطعة سميثة من فخذ ثور قربانا لزيوس، مرسل الصواعق،
وذلك في الفناء. ثم رفع كأسا ذهبيا
٧٧٥ وصب منه خمرا متلألئة فوق القرابين المشتعلة.
وكنتما منهماكين في إعداد لحم الثور عندما وقفنا
نحن الاثنين أمام الباب. فنهض أخيليوس وقد تملكته الدهشة لرؤيتنا
وقادنا من أيدينا. ودعانا للجلوس
وأحسن ضيافتنا. كما جرى العرف دائما مع الضيوف.
٧٨٠ وعندما أشبعنا رغبتنا من الطعام والشراب،
بدأت أنا الحديث، وطلبت منك أن تكون التالي.
وكنتما شديدي الحماس للذهاب. وأصدر كل منهما الكثير من
الأوامر لكما. فقد أمر بيليوس الشيخ ولده أخيليوس
أن يكون الأفضل دائما، وأن يتفوق على الآخرين.
٧٨٥ كما أمرك مينويتيوس، بن أكتور، أن تكون كذلك (مثله)

- يا بني، قد يباهى أخيلئوس بأنه أفضل منك نسباً،
أما أنت فأكبر منه سناً. كما أنه يتفوق عليك من حيث القوة،
ولكن من المفيد أن تتصحه نصيحة عاقلة،
وأن توضح له ما يجب عليه فعله، فإن من مصلحته أن يطيعنا
هكذا أمرك الشيخ المسن، ولكنك نسيت. ويجب
عليك أن تقول هذه الأشياء لأخيلئوس المحارب الجامح.
من يدرى ! ربما يسمع كلامك، إذا عاونك أحد الآلهة، فعليك أن ترفع
روحه بكلماتك المقنعة. فمن الخير إقناع الصديق.
فإذا كان يخشى إحدى النبوءات، التي كشفها له زيوس
أو كشفتها له أمه المبهلة (المقدسة)
فليسلك أنت، وليجعل بقية الميرميدونيين
يتبعونك في الحال. فقد تأتى بنور الخلاص للدانائيين.
وليعطك أسلحته الرائعة لترتديها في الحرب،
ربما ينسحب الطرواديون من الحرب،
إذا ما اعتقدوا أنك هو. وعندئذ سوف يتنفس المحاربون الآخيون
الصعداء. إن فترات الراحة شحيحة أثناء الحرب
وقد يُتاح لكم، لأنكم غير متعبين، أن تطردوا الأعداء،
الذين أرهقتهم الحرب، إلى داخل المدينة بعيداً عن السفن والخيام".
هكذا قال، فأهاج قلب باتروكلوس داخل صدره،
فشرع يجرى بمحاذاة السفن، ليذهب إلى أخيلئوس، سليل أياكوس
وبعد جريه وصل إلى سفينة
أوديسيوس (الإلهي) حيث كان مجلسهم واجتماعهم منعقدين
وحيث شيدوا المذابح للآلهة.
هنالك قابل يوريبيلوس بن بوليمون،
سليل زيوس، مصاباً بسهم في فخذه،

- مما جعله ينسحب من القتال. وكان العرق الغزير
يتساقط من كتفيه ورأسه، وكان الدم الأسود
يتدفق من جرحه المولم. ولكنه كان رابط الجأش.
وعندما رآه ابن ميثويينوس القوي شعر بالشفقة عليه
وخاطبه بكلمات مجنحة وهو يتأوه من الحزن:
٨١٥ "أيها البؤساء، يا قادة الدانائين وملوكهم،
هذا قدركم، أن تشبع الكلاب المتسارعة
من لحكم الأبيض، هنا في طروادة، بعيدا عن أحبائكم وعن أرض
الوطن. ولكن لنقل لى أيها البطل يوريبيلوس، يا سليل زيوس.
٨٢٠ هل سيتمكن الآخيون من قهر بطل مثل هيكتور
أم سيتمكن هو منهم ويقهرهم بسيفهم؟"
فأجابه يوريبيلوس الجريح قائلاً:
"باتروكلوس، ياسليل زيوس، لم يعد للآخيين
أية قدرة على الدفاع وسوف يسقطون بجوار السفن السوداء.
٨٢٥ فرغم أنهم كانوا الأفضل فيما مضى،
فإنهم يرقدون مصابين وجرحى فى السفن،
ويقعون فى أيدي الطرواديين الذين تزداد قوتهم على الدوام.
والآن، ليتك تأخذنى إلى مكان آمن فى السفينة السوداء
لتنزع الرمح من فخذى، وتغسل الدم الأسود
٨٣٠ بالماء الدافئ، وأنتثر عليه بعض الدواء الملائم المسكن للألم
إنهم يقولون، إنك تعلمت ذلك من أخيلئوس
الذى تعلمه على يد خيرون، أعظم الكنتوروى.
فالطبيبان بوداليريوس و ماخاؤن
حسب ما أظن، يرقد أحدهما فى الخيمة جريحا

- ٨٣٥ في أمس الحاجة هو نفسه لرعاية أحد الأطباء، بينما بقي
الآخر في السهل متحملاً هجوم الطرواديين الضارى".
- فأجابه (باتروكلويس) بن مينوتايوس الشجاع بدوره قائلاً:
"ما هذا المأزق؟ وماذا نفعل إزاءه أيها البطل يوريبيلوس؟
إننى ذاهب إلى أخيليوس الحكيم، لأنقل إليه الحديث
كما أمرنى بذلك نيسطور الجيريتى، حامى الأخيين،
ولكننى لن أتركك وأنت تعاني فى وقت للشدة".
- هكذا قال، ثم أمسك قائد الشعوب من صدره
وقاده إلى خيمته. وعندما وجد فراشا من جلد النور
جعله يتمدد فوقه، وأخرج الرمح الحاد المؤلم
من فخذه بسكين، وغسل جرحه من الدم الأسود
٨٤٥ بالماء الدافى، ونثر فوقه نبات مر الطعم
بعد أن فركه بين يديه، فسكنت
٨٤٨ جميع آلامه وجف الجرح، وتوقف تدفق الدم.

الكتاب الثاني عشر



ترجمة منيرة كروان

- هكذا اعتنى (باتروكلوس) ابن مينوييتيوس القوى الشجاع داخل
 الخيمة ببيريثيوس الجريح، بينما كانت حشود الأرجيين
 والطرواديين تواصل القتال. ولم يكن مقدراً
 أن يصمد خندق الدانائيين طويلاً ولا الحائط العريض
 الذى بنوه فوقه حتى يحيط بالخندق،
 ولكى يحمى هذا الحائط سفنهم السريعة
 ويحفظ غنائمهم الكثيرة آمنة. وذلك لأنهم أغفلوا تقديم قرابين ذات
 قيمة للآلهة. لقد بنى هذا الحائط ضد إرادة
 الآلهة الخالدين. لذا لم يكن مقدراً أن يبقى طويلاً.
 وطالما ظل هيكتور على قيد الحياة، وظل أخيلئوس غاضباً
 بقيت مدينة الملك برياموس صامدة،
 وظل حائط الآخيين القوى قائماً.
 ولكن عندما مات العديد من أفضل قادة الطرواديين،
 وقُتل كثير من الأرجيين. بينما بقى البعض الآخر،
 وتُمرت مدينة الملك برياموس فى العام التاسع.
 عندما أبحر الأرجيون فى السفن إلى وطنهم الحبيب،
 عندئذ تحاور بوسيدون وأبوللون
 فى أمر تدمير الحائط، واستعانوا بقوة الأتهار.
 تلك الأنهار العديدة التى تتبع من جبال إيدا وتصب فى البحر:
 نهر ريسوس وهيبتابوروس وكاريسوس وروديوس
 وجرينيكوس وأيسبيوس وسكاماندروس المقدس وميمونيس.
 حيث يوجد الكثير من الدروع المصنوعة من جلد الثيران والخوذات
 ملفاة فى الثرى، وبجوارها جيل من أنصاف الآلهة من البشر.
 لقد جمع أبوللون فوبيوس (الوضاء) كل ذلك فى مجرى واحد
 وأرسله لمدة تسعة أيام فى فيضان تجاه الحائط، كما أرسل

- زيوس مطراً متواصلًا حتى يجعل الماء يغطى الحائط بسرعة أكبر.
 وكان (بوسيدون) يتولى القيادة بنفسه،
 وشوكته الثلاثية فى يده. وكان يرسل مع الأمواج جميع الأساسات.
 سواء عوارض السفن أو الأحجار، تلك التى صنعها الأخيون بمشقة،
 فسواها مع سطح مياه الهيليسيونطوس، سريعة الجريان. ٣٠
- وبعد أن غطت أكوام الرمال الشاطئ الفسيح
 وبعد تحطيم الحائط، حول بوسيدون الأنهار لتعود
 إلى مجراها، إلى حيث تصب مياهها لطيفة الانسياب مرة أخرى.
 هكذا كان بوسيدون وأبوللون يخططان للتدمير
 فيما بعد. ولكن الحرب وصخب القتال أشعلا النار ٣٥
- حول الحائط المئين، وتردد صوت القتال
 بين جنبات الأبراج، وقهر سلطان زيوس الأرجيين،
 فتوقفوا عن القتال وعادوا أدراجهم إلى السفن المجوفة
 خائفين من هيكتور جالب الخوف الشديد.
- فقد كان يحارب، كعهده دائماً، مثل عاصفة هوجاء، مثل أسد ٤٠
 أو خنزير برى يقف مدافعاً عن نفسه، وروحه مفعمة بالقوة،
 أمام مجموعة من الرجال والكلاب الذين يحاولون صيده.
 وتكالبوا عليه وهاجموه بثبات كالبرج الحصين
 ووقفوا له بالمرصاد وانطلقت من أيديهم رماح
 وحراب لا حصر لها. ورغم ذلك لم يهتز قلبه الشجاع، ٤٥
- ولم يشعر بالخوف، فقضت شجاعته عليه.
 هكذا كان هيكتور يمتحن شجاعة الرجال أينما ذهب،
 وحيثما كان يشن هجومه تنسحب حشود الأعداء.
 وطوال القتال كان يجمع الرجال
 ويستحثهم على عبور الخندق. ولكن الخيول ٥٠
- رغم سرعتها. فعندما كانت تصل إلى حافة الخندق

- كانت تتوقف وتسهل بصوت عال، فقد كان الخندق
العريض يخفيها. ولم يكن من السهل القفز عن قرب،
وكان عبور الخندق عسيرًا. إذ انتشرت التحصينات
العالية على جانبيه وقد ثبت عليها حاجز
من الأعمدة المدمية، أقامه الآخيون
بشكل قوى ومتمين، ليحميهم من هجوم الأعداء
وكان من المستحيل أن يعبره حصان بعربة، حتى لو كان سريعًا.
واشتدت رغبة المحاربين لإتمام هذه المهمة.
عندئذ وقف بوليداماس بجانب هيكتور الشجاع وخاطبه قائلاً:
"هيكتور، ويا قومي من الطرواديين ويا قادة الحلفاء،
من الغباء أن نحاول عبور الخندق بخيولنا السريعة
فمحاولة عبوره خطيرة للغاية. وقد ثبتت عليه
أعمدة حادة، وهو قريب من الحائط الذي بناه الآخيون
فكيف يمكن أن ينزل عليه الفرسان أو أن يحاربوا.
فهو ضيق للغاية وأعتقد أننا سوف نعانى هناك.
ولكن إذا دبر زيوس، مرسل الرعد من عل، لتدميرهم
فإن ذلك سوف يكون لصالح الطرواديين.
لكم أتمنى أنا نفسي أن يموت جميع الآخيين في الحال،
هنا بعيدا عن أرجوس، مجهولين بلا ذكرى.
ولكن إذا هاجمنا الخندق المحفور عندما يرجعون من السفن
بعد أن يستردوا قوتهم ويتجمعوا مرة أخرى،
أعتقد أنه لن يذهب رسول للمدينة
ويعود مرة أخرى من عند الآخيين.
والآن أقول لكم لنوافق جميعًا على
أن يبقى الأتباع عند الخندق ومعهم الخيول.
بينما نذهب نحن مترجلين

- مدججين بالسلاح لنتبّع هيكْتور. فإذا كان
مقدراً للأخيين الهلاك قلن يصمدوا طويلاً.
- ٨٠ هكذا تحدث بوليداماس. وأسعد حديثه هيكْتور،
ففقّر في الحال من عربته إلى الأرض ومعه سلاحه.
ولم يبق الطرواديون الآخرون في عرباتهم.
ولكنهم قفزوا جميعاً، عندما رأوا هيكْتور الإلهي يقفز
وعهد كل منهم بخيوله لسائقه،
٨٥ وأمره أن يبقى بجانب الخندق في نظام وترتيب.
وانتشر الطرواديون بعد أن قسموا أنفسهم
إلى خمس مجموعات منظمة، وساروا خلف قادتهم.
وهكذا ذهب أفضل الرجال وأشجعهم
خلف هيكْتور وبوليداماس النبيل، وكانوا متحمسين
٩٠ لاختراق الحائط، وللسير للقتال عند السفن السريعة.
وكان رفيقهم الثالث هو كيبيريونيس، حيث عهد هيكْتور
بخيوله لشخص آخر أقل شجاعة من كيبيريونيس.
وتولى باريس قيادة القسم الثاني ومعه ألكانوؤس وأجينور
أما هيلينوس وديفويوس، شبيهي الآلهة، فتوليا قيادة القسم الثالث.
٩٥ وهما ولدا الملك برياموس. وكان رفيقهم الثالث
أسيوس بن هيرتاكوس. الذي حملته خيوله الضخمة
النشيطة من أريسبي على ضفاف نهر سيللثيس.
وقاد المجموعة الرابعة الشجاع آينياس
بن أنخيسيس. وكذلك أرخيلوخوس و أكاماس
١٠٠ ولدا أنتينور، اللذان كانا يتقنان فنون القتال.
وقاد ساريبدون الحلفاء الأماجد
واختار معه جلاوكوس وأستيروبايوس المحب للقتال.

- فقد كانوا، على ما يبدو، أفضل كثيرًا من الآخرين.
 وكان (ساربيدون) أفضل الجميع. وبعد أن ثبتوا
 ١٠٥ دروعهم المصنوعة بإتقان من جلد الثور ذهبوا في الحال،
 وكلهم حماس، لملاقاة للدانائين، وهم يعتقدون أنهم لن يصمدوا
 طويلاً، وأنهم سرعان ما سيسقطون وسط سفنهم السوداء.
 وأطاع بقية الطرواديين وحلفائهم الأماجد
 نصيحة بوليداماس النبيل.
 ١١٠ ولكن أسبيوس بن هيرتاكوس، قائد الرجال، لم يرغب
 في ترك خيوله وعريته التي يقودها تابعه.
 لذلك أخذها واقترب من السفن السريعة.
 ياله من ساذج !! فلا يمكنه تجنب سوء حظه
 والعودة سالماً مرة أخرى من السفن، ومعه خيوله وعريته،
 ١١٥ إلى مدينة إليون التي تعصف بها الرياح
 فقدره المصير يكمن له (*) تحت سيف إيدومينيوس بن ديوكاليون النبيل.
 واتجه إلى السفن من جهة اليسار، من حيث اعتاد الآخيون
 الدخول بعد عودتهم من السهل ومعهم خيولهم وعرباتهم.
 ١٢٠ لقد سار بخيوله وعريته، ولكنه لم يجد
 أبواب المدينة مغلقة، ولم يجد الأكواح الخشبية الطويلة التي تغلقها.
 وكان الرجال قد فتحوها على مصاريحها انتظاراً لأن
 يفر أحد الرفاق من الحرب ويعود سالمًا إلى السفن.
 وعلى الفور قاد خيوله بلا تردد وتبعه رفاقه
 ١٢٥ وهم يصيحون عاليًا. لقد ظنوا أن الآخيين
 لن يصمدوا طويلاً وأنهم سرعان ما سيسقطون بجوار سفنهم السوداء.
 يالهم من حمقى ! فقد وجدوا عند البوابة رجلين من أفضل
 الرجال بين اللايثاي الجسورين، وأمهر رماة السهام.

(*) راجع وصف موته في الكتاب الثالث عشر بيت ٣٨٤ وما يليه. (اغور)

- الأول هو بوليبيوتيس بن بيريثوؤس القوي،
 ١٣٠ والثاني ليونتيوس شبيه آريس قاتل الرجال.
 وجد أسبوس هذين البطلين واقفين أمام البوابات العالية
 مثل شجرتي بلوط في أعالي الجبال،
 تقفان شامختين بثبات في مواجهة الرياح والأمطار الغزيرة،
 بينما تتغلغل في الأرض جذورهما اللقوية فتزيدهما صلابة وقوة،
 ١٣٥ هكذا وقف الاثنان ولم يخفيا أسبوس العظيم، بل هاجماه
 معتمدين على قوة أيديهما وشجاعتهما.
 وفي الحال، جاء رفاقهم واتجهوا نحو الحائط المتين حاملين دروعهم
 المصنوعة من جلد الثور وهم يصيحون عاليًا.
 والتقوا حول الملك أسبوس ويامينوس و أوريستيس
 ١٤٠ وكذلك حول أداماس بن أسبوس، وحول ثوون وأوينوماؤس.
 وواصل البطلان تشجيع الآخرين لابسى الدروع
 على القتال دفاعا عن سفنهم .
 ولكن عندما لاحظا اندفاع الطروانيين نحو الحائط
 والذعر الذى ساد بين الدانائيين وصراخهم
 ١٤٥ اندفعا من البوابة وانخرطا في القتال.
 ومثلما تتوقع مجموعة من الخنازير البرية التى تعيش
 فى الجبال وتخشى هجوم حشد من الرجال ومعهم كلابهم لصيدها
 فتسلك طريقا جانبيًا وتدوس على أحراش الغابة المنتشرة حولها
 وتقتلع الأشجار من جذورها ويعلو صوت صرير أسنانها
 ١٥٠ ويتزايد، إلى أن يصوب أحدهم سهامه تجاهها فيسلبها الحياة.
 هكذا كان البرونز اللامع يحدث صريرًا فوق صدور المحاربين
 عندما توجه إليهم الضربات. لقد كانوا يحاربون بشجاعة متناهية
 واثقين من قوتهم وقوة جنودهم،
 الذين كانوا يواصلون قذف الحجارة من الأبراج

- ١٥٥ الحصينة، دفاعاً عن حياتهم وحيامهم
وسفنهم السريعة، وكانت الحجارة تسقط على الأرض مثل ننف
الجليد التي تنفذ بها الرياح العاصفة، التي ترج السحب الداكنة
فتنفذ ننف الجليد الكثيفة على الأرض كثيرة العطاء.
هكذا كانت الحجارة تسقط من أيدي الأخيين والطرواديين
١٦٠ على حد سواء. وعندما كانت الحجارة تسقط على الخوذات
والدروع ذات الحلى المعدنية كانت تحدث دويًا خشناً
وحادًا مثل جعجة الطواحين. وعندما أصيب أسبوس بن هيرتاكروس
فى فخذه صرخ بصوت عالٍ وصاح فى غضب قائلاً:
"زيوس، أيها الإله الأب، حتى أنت تلفق
١٦٥ الأكاذيب الكثيرة!! إننى لم أتصور أن يتمكن أبطال الأخيين
من مقاومة بأسنا والتصدى لأيدينا التي لا تقهر.
لقد صمد هذان البطلان ثابتين ولم يرغباً
فى التوقف قبل أن يقتلا أو يُقتلا،
مثل مجموعة من النحل أو الزنابير، التي لها لمعة فى منتصفها،
١٧٠ وبنيت لنفسها وكرًا فى طريق وعر
فإنها لا تترك وكرها الذى حفرته فى الأعماق، ولكنها
تبقى وتقاوم الصيادين لتدافع عن صغارها".
هكذا قال، ولكن حديثه لم يؤثر فى زيوس،
فقد عقد العزم على أن يمنح هيكتور المجد.
١٧٥ كان هناك من يحاربون بجانب البوابة والبعض الآخر يحاربون
على البوابة الأخرى ولذلك فمن الصعب أن أحكى كل ما حدث،
حتى لو كنت إلهاً. واشتعلت النيران، فى كل الحائط الحجري،
ببحريض من أحد الآلهة. ورغم الحزن الذى أصاب الأرجيين، فقد
دافعوا عن السفن ببسالة. وأصاب الحزن كل الآلهة،

- ١٨٠ التي كانت تقف بجانب الداناتين في المعركة.
وهكذا استبكت اللابثاي في الحرب، وشاركوا في المعركة،
وعندئذ قذف بوليبيوتيس القوي، بن بيريثووس،
داماسوس برمح نفذ من خلال خوذته البرونزية.
ولم تفلح الخوذة، رغم أنها مصنوعة من البرونز، في حمايته،
١٨٥ فنفذ السهم الحديدي إلى عظامه، وفنت مخه
تماماً، فأرداه قتيلاً، رغم حماسه الشديد.
ثم قتل بيلون بعد ذلك، ثم أورمينوس، واستولى على أسلحتهم.
وصوب ليونتيوس بن آريس رمحه
تجاه هيبوماخوس بن أنتيماخوس فأصابه في بطنه.
١٩٠ وفجأة سحب سيفه البتار من غمده
واندفع وسط المقاتلين، وفي البداية قتل أنتيفاتيس
بعد أن التحم في قتال لصيق، فطرحه أرضاً،
وبعد ذلك قتل مينون وبامينوس و أوريستيس،
فجعلهم جميعاً يتمددون على الأرض، وفيرة الخيرات،
١٩٥ الواحد تلو الآخر. وقام بعض المحاربين بالاستيلاء على أسلحة القتلى
البراقة، بينما هبّ كثير من الشباب الذين تشتعل نفوسهم بالحماس
والرغبة في تحطيم الحائط وإشعال النيران في السفن،
للسير وراء بوليداماس وهكتور.
وأثناء وقوفهم القلق بجوار الخندق، يفكرون
٢٠٠ في كيفية عبوره، اقترب منهم طائر،
نسر يطلق عالياً، ومر على يسار المحاربين
حاملاً بين مخالبه ثعباناً ضخماً أحمر قاني.
وكان الثعبان حياً رغم ضعفه، ولأنه لم ينس لذة القتال
انحنى للخلف وهاجم أسره فجرحه في صدره
٢٠٥ بالقرب من رقبته. وعندما شعر النسر بالأكم

- أسرع بالهبوط به إلى الأرض، وألقاه وسط حشود المحاربين
ثم عاد يطير عاليًا وهو يصرخ وسط الرياح العاصفة (*).
وشعر الطرواديون بالرعب عندما رأوا الثعبان البراق
يرقد وسطهم، نذير شؤم (**). من زيوس حامل الدرع أيجيس.
عندئذ ذهب بوليداماس إلى هيكتور الشجاع وخاطبه قائلاً:
٢١٠ "هيكتور، إنك تنتصر على دائمًا في مناقشات المجلس
رغم أنني أجيد الحديث، ولم يحدث مطلقاً
أن عارضتك الشعب، سواء في مناقشات المجلس
أو في أمور الحرب. إذ تزداد قوتك على الدوام،
ولكنني سأعلن ما أحسب أنه الأفضل:
٢١٥ يجب علينا ألا تدخل في حرب الآن مع الدانائيين
بالقرب من سفنهم، لأنني أعتقد أنه إذا كان صحيحاً
أن طائراً جاء للطرواديين وهم يخططون لعبور الخندق،
ذلك النسر الذي يحلق عاليًا، و مر بهم من جهة اليسار
حاملًا بين مخالبه ثعبانًا ضخماً أحمر اللون
٢٢٠ وهو مازال حيًا، ولكنه ألقاه فجأة قبل أن يصل لعشه
وفشل في مواصلة حمله ليعطيه لصغاره.
هكذا سيكون حالنا. فإذا ما حططنا بوابات الآخيين وسفنهم

(*) ناقش أوريجين Origen. هذه الفقرة في "دفاع ضد كيلسوس ٩١ و IV) وصور هذا المشهد على عملة عثر عليها في إيليس وتعود للقرن الرابع الميلادي.

British Museum. Coins of Peloponnesos, p. 62: 34.

وفي الكتاب الحادي عشر من "الإلياذة" (آيات ٧٥١ ومايليها) يقلد فرجيليوس هذه الفقرة. حيث يقول:
"مثل نسر أغفر عندما يحمل حية، خطفها وطار بها عاليًا وقد شبك قدميه، وقبض عليها بمخالبه، بينما تنق الحية
الجريحة طباتها الملتوية وتصلب بجراحها المنفخة بفمها، وهي تنهض منتصبة. وليس النسر بأقل منها، فهو
يصارعها بمقداره المعقوف، وهي تقاومه، بينما يرفرف النسر بأجنحته في الهواء". كما أشار شيللي إلى المعركة
بين النسر والثعبان في أغنية "لازون وكيتنا Laon and Cythna". (انحصر)

(**) سادت في العالم القديم كله تقريباً ظاهرة الشاؤم والفاؤل واستطلاع الغيب لمعرفة المستقبل. وكان
القدماء، وخاصة الإغريق، يعتمدون في شاؤمهم وتفاؤمهم على نوعين من الظواهر: الأول: الظواهر الطبيعية
مثل تعيق الغرابان واليوم ونباح الكلاب... إلخ، وكانت تفسر في بعض الأحيان على أنها نذير خير وفي أحيان
أخرى على أنها نذير. أما النوع الثاني فهي الظواهر غير الطبيعية مثل اتجاه الطيور المقدسة في طيرانها جهة اليمين
أو اليسار وكسوف الشمس وسقوط المذنبات وما إلى ذلك. وكانوا يعتقدون أن هذه الظواهر تدل على ظهور
الآلهة بشكل غير مباشر للإنسان لتحذره من فعل شيء أو لتشجعه عليه.

- وأخضعنا الآخرين بالقوة الغاشمة.
فسوف نعود من السفن في فوضى من نفس الطرق
٢٢٥ تاركين وراءنا الكثير من الطروديين، وسوف يقتلهم
الآخيون بأسلحتهم البرونزية دفاعاً عن سفنهم.
ويستطيع أى عراف يفهم جيداً مغزى الإشارات
ويثق فيه الشعب أن يفسر ذلك".
- ٢٣٠ فنظر إليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، متجهماً وخاطبه قائلاً:
"إن ما تقوله يا بوليداماس لا يصادف هوى فى نفسى،
فأنت بالتأكيد تعرف كيف تفكر بشكل أفضل من هذا.
ولكن يبدو أنك تقول هذا بسبب تهورك،
وإلا فمن المؤكد أن الآلهة قد سلبت عقلك
٢٣٥ فأنت تطلب منا أن ننسى زيوس، مرسل الرعد،
وننسى كل ما وعدنا به، عندما أوما برأسه موافقاً.
وتأمرنا أن نطيع الطيور، ذات الأجنحة الطويلة.
فلن أنظر إليها ولن أهتم بها، سواء اتجهت ناحية اليمين،
٢٤٠ إلى الفجر والشمس أو إلى اليسار، إلى عتمة الليل والظلام.
فلنثق فى نصيحة زيوس القوى فهو سيد الجميع، بشراً وآلهة.
ثم إن ظهور طائر واحد فال ممتاز لكى ندافع عن وطننا،
ولكن قل لى لماذا تخشى الحرب والموت؟
٢٤٥ فحتى لو قُتلنا جميعاً عند سفن
الأرجيين، فلا خوف عليك من الموت.
فلا أنت شجاع القلب، ولا أنت محب للقتال.
ولكن إذا امتنعت عن القتال، أو حرضت أحداً
آخر على الانسحاب من الحرب بكلماتك
٢٥٠ فسوف أضربك برمحي وأقتلك فى الحال".

- هكذا قال، ثم شق طريقه وتبعه الآخرون
 وهم يصبحون صيحة مدوية. ولكن زيوس، صاحب الصاعقة
 أثار من جبال إيدا رياحا عاصفة
 أهالت الغبار على السفن مباشرة. قشوش
 عقل الآخيين ومنح المجد لهيكتور و للطرزاديين. ٢٥٥
 فقد اعتمدوا على قوتهم وعلى علامات الفأل
 فى محاولتهم تحظيم حائط الآخيين الكبير.
 فهدموا أسوار البرج وأسقطوا التحصينات
 وحاولوا رفع الدعامات والأساسات التى وضعها الآخيون
 فى الأرض فى البداية لتكون أساسا للبرج. ٢٦٠
 لقد سحبوها بعيدًا على أمل أن يحطموا
 حائط الآخيين. ولم ينسحب الدانييون من الممر،
 ولكنهم تحصنوا بالدروع المصنوعة من جلد الثور،
 واستمروا ينفقون أعداءهم من الأبراج إذا ما اقتربوا من الحائط.
 وكان اللثنائى أياس يصدران الأوامر من البرج ٢٦٥
 ويتجولان هنا وهناك. ويثيران حماس الآخيين،
 فتارة يحثان أحدهم بكلماتهما اللريقة، وعندما
 يجدون أحدهم ينسحب من المعركة يعنفانه بكلمات خشنه قائلين:
 "أيها الأصدقاء إن الرجال جميعا لا يتساوون
 فى الحرب. وبين الأرجيين يوجد المحارب الفذ والمتوسط القدرة ٢٧٠
 والميئى، وقد جاء الآن دور الجميع كى يبنلوا الجهد،
 وأنتم تعرفون ذلك. فلا تسمحوا لأحد
 أن ينسحب الآن إلى السفن، لمجرد أنه سمع من يدعو للانسحاب.
 ولكن لتتقدموا للأمام ولتحثوا بعضكم البعض على التقدم .
 فقد يمكننا زيوس الأولمبي، سيد البرق، ٢٧٥

- أن تصد الأعداء ونطردهم بعيداً عن المدينة".
هكذا كانا يصيحان عالياً ويشجعان الآخرين،
ومتلماً تسقط نتف الثلج بكثافة
في أيام الشتاء، هكذا أسقط زيوس،
صاحب التدبير، الثلج بغزارة، معلناً معجزاته للبشر. ٢٨٠
- ولقد استمر سقوط الثلج حتى بعد أن هدأت الرياح، حتى غطى
أعلى الجبال وقممها، واللسان الممتد في البحر والسهول المليئة
بنبات اللوتس^(*)، والأراضي الخصبة التي حرثها الرجال.
كما غطى الموانئ، والشواطئ على طول البحر الرمادي
وكان الموج يزيله عندما يقترب من الشاطئ. ولكنه كان ٢٨٥
يغطي كل شيء. ومثل المطر الغزير الذي تسقطه عاصفة زيوس
تساقطت الحجارة الكثيفة على الجانبين.
سقط بعضها على الطرواديين وسقط بعضها الآخر على الآخرين
من أيدي الطرواديين. وارتفعت الجلبة على طول الحائط.
وحتى ذلك الحين ما كان للطرواديين ولا لهيكتور العظيم ٢٩٠
أن يحطموا بوابات الحائط ولا العارضة الطويلة
إذا لم يستحث زيوس ذو التدبير ابنه ساربيدون
ويثيره ضد الأرجيين. ومثل أسد يهاجم مجموعة من الثيران القوية
اندفع في الحال، وأمامه درعه المستدير
المصنوع من الحديد المطروق بمهارة وفن، لقد صنعه حداد ٢٩٥
ماهر ووضع داخله المزيد من جلد الثور،
وخاطله بخيوط ذهبية حول الحلقة التي تحيط به.

(*) هناك عدة أنواع من اللوتس، اللوتس الإغريقي: عبارة عن نبات يشبه الرسم تغذى عليه الحيوانات .
اللوتس القوريني: عبارة عن شجرة إفريقية ذات سيقان متعددة، كانت بعض القبائل الإفريقية التي تقطن
الساحل تغذى على ثمارها، ولذلك سموا "آكلي اللوتس" Lotophagi وقد جاء ذكرهم في "الأوديسة"
لأن أتباع أوديسيوس عندما أكلوا من اللوتس نسوا الوطن كما أشار إليهم هيرودوتوس. وهناك اللوتس
المصري أو زهر النيل وهناك أيضاً لوتس شمال إفريقيا وكانت سيقانه السوداء القوية تستخدم لصنع آلة
الفلوت ، ومن ثم استخدم الشعراء تعبير "اللوتس الليبي" للدلالة على هذه الآلة.

- حمل ساربيدون درعه أمامه، وهو يلوح بالثنين من الرماح.
وأسرع في طريقه كأسد تربي في الجبال
٣٠٠ وطال شوقه لأكل اللحم. فأغراه قلبه الشجاع
أن يدخل بيتاً حصيناً ويحاول أن يهاجم الأغنام.
فلما وجد هناك رعاة شجعاناً
معهم كلابهم ورماحهم يحرسون الأغنام
لم يفكر في الهرب قبل أن يفوز بصيده،
٣٠٥ فأبى أن يفقر مختطفاً فريسته من الأغنام، وإما أن يصاب
عندما تقذف يد سريعة سهماً من الصفوف الأولى.
هكذا كان قلب ساربيدون شبيه الآلهة في
شوق للدفاع نحو الحائط وتحطيم التحصينات.
وفي الحال خاطب جلاوكوس بن هيبولوخوس قائلاً:
٣١٠ "جلاوكوس، لماذا نال نحن الاثنين النكرام في
ليكيّا، ونمنح مقاعد الشرف وتقدم لنا اللحوم والكؤوس
المتربة ؟ إن الجميع ينظرون إلينا باحترام كما لو كنا آلهة،
وقد خصصت لنا قطعة أرض كبيرة على ضفاف نهر كسانثوس
بها مزارع كروم جيدة وحقول مزروعة بالقمح.
٣١٥ لذا يجب علينا الآن أن نقف في طليعة المقاتلين
الليكيين، وأن نواجه القتال الضاري
حتى يقول عنا دائماً الليكيون حاملو الدروع:
إن ملوكنا الذين يحكمون في ليكيّا
ليسوا وضيعين، إنهم يهتمون الأغنام السمينّة
٣٢٠ ويشربون خمراً قوية في حلاوة العسل ،
لأنهم يحاربون دائماً في مقدمة الليكيين.
يا صديقي العزيز، لو كان الهروب من هذه
الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين،

- ما كنت لأحارب فى طليعة الصفوف،
 ٣٢٥ وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التى تجلب المجد للأبطال
 أما الآن، فأبنتى أرى ما لا حصر له من حالات الموت
 تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
 لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد".
 هكذا قال، وأصاخ جلاوكروس السمع ولم يقاطعه.
 ٣٣٠ وذهب مباشرة ليقودا شعب الليكيين العظيم.
 وارتجف مينيسثيوس بن بيبثيوس عندما وقع بصره عليهما
 فقد جاء إلى البرج حاملين الدمار.
 وحقق طويلاً فى برج الأخيين، فقد يرى واحداً
 من القادة يستطيع أن يمنع الكارثة ويدافع عن رفاقه.
 ٣٣٥ ووقع بصره على الثنائى أياس، اللذان لا يشبعان من القتال،
 واقفين على مقربة من تيوكروس الذى كان قد وصل
 لثوّه من خيمته، وماكان الصباح ليصل إليهما
 فقد كان الصخب شديداً، وكان الصراخ يصل إلى عنان السماء،
 صخب ارتطام الدروع والخوذات المزينة بشعر الخيل،
 ٣٤٠ وصخب الاصطدام بالبوابات، لقد كانت كلها مغلقة ولكن
 الطرواديين كانوا يحاولون فتحها والدخول عنوة.
 وفى الحال، أرسل مينيسثيوس الرسول ثوؤتيس إلى أياس قائلاً:
 "ثوؤتيس يا شبیه الآلهة، لنذهب ولتستدع واحداً من الثنائى أياس
 أو لتستدعهما هما الاثنین معا، فذلك أفضل،
 ٣٤٥ فسرعان ما سيحل علينا دمار كبير،
 لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتبهروا
 منذ القدم بعنف هجومهم وضرارته.
 ولكن إذا كان الوضع قد تأزم هناك بسبب القتال

- فليات فقط أياس التيلاموني القوي
 ٣٥٠ وليحضر معه تيوكروس، الخبير بالسهام".
 هكذا قال واستمع إليه الرسول وأطاع أوامره،
 فجري بسرعة حتى وصل إلى حائط الأخيين لايسى البرونز
 ووقف بالقرب من الثنائي أياس وخطبهما قائلاً:
 "أيها الثنائي أياس، يا قائد الأرجيين لايسى البرونز
 ٣٥٥ لقد أمرني ابن بيتيوس الحبيب، الذي رباه زيوس
 أن أحضر لأستدعكما لتشارك في القتال في الحال.
 ومن الأفضل أن تحضرا معا فهذا أفضل
 لأن الدمار الكبير سرعان ما سيحل علينا،
 لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتهروا
 ٣٦٠ منذ القدم بعنف هجومهم وضراروتهم.
 ولكن إذا كان الوضع هنا قد تآزم بسبب القتال،
 فليات أياس التيلاموني القوي
 وليحضر معه تيوكروس، الخبير بالسهام".
 هكذا قال. وأطاعه أياس التيلاموني العظيم.
 ٣٦٥ وفي الحال خاطب ابن أويليوس بكلمات مجنحة:
 "لتمكث هنا يا أياس ومعك ليكوميديس (= ديوميديس) القوي
 لتشجعا الدانائيين على أن يحاربوا ببسالة.
 أما أنا فسأسرع بالذهاب لأشارك في القتال
 وسوف أعود بسرعة مرة أخرى بعد أن أقدم لهم المساعدة".
 ٣٧٠ هكذا قال أياس التيلاموني ومضى في طريقه
 ومعه شقيقه من نفس الأب. كما سار معهما بانديون حاملاً سهام
 تيوكروس المقوسة. وعندما وصلوا إلى البرج حيث يوجد مينيسثيوس،
 سامى الروح، عبروا الحائط. ووجدوا محاربيهم في مأزق

- ٣٧٥ فقد كان الأعداء يتسلقون التحصينات مثل عاصفة سوداء.
وانخرط قادة الليكيين وحكامهم البواسل
والأشداء في القتال. وارتفعت صيحة الحرب عاليًا.
وكان أياص التيلاموني أول من قتل واحدًا من الأعداء
فقد قتل إبيكليس، سامي الروح، رفيق ساريبيدون،
٣٨٠ وذلك عندما قذفه بحجر مدبب ضخم
كان في داخل الحائط أعلى الحاجز. حجر لا يستطيع
رجل من رجال الجيل الراهن^(٤) أن يرفعه بسهولة بكلتا يديه
وإن كان في شرخ الشباب. ولكن أياص رفعه عاليًا وقذفه به
فحطم الخوذة ذات الحليات الأربع، وتحطمت في الوقت نفسه
٣٨٥ جميع عظام رأسه. لقد سقط الحجر مثل غواص
يسقط من قمة البرج، ففارقت الحياة جسده.
عندئذ قذف تيوكروس جلاوكوس بن هيبولوخوس القوى
بسهم، بينما كان يواصل تقدمه نحو الحائط المرتفع
وذلك عندما رأى ذراعه مكشوفة، فتوقف عن القتال
٣٩٠ في الحال، وقفز في الخفاء من فوق الحائط حتى
لا يلحظ أحد الأخيين أنه جريح ويتباهى بذلك.
وعندما شعر ساريبيدون برحيل جلاوكوس
شعر بالألم، ولكنه لم يترك القتال. فقد صوب رمحه تجاه
٣٩٥ الكماون بن ثيستور فأصابه وسقط على مقربة منه. سقط الكماون،
متنبهًا اندفاع السهم، على وجهه وأسلحته البرونزية المزخرفة
تجلجل حوله. وأمسك ساريبيدون الحائط بيديه القويتين
وجذبه بقوة. فسقط كله تبعًا. وهكذا صار الحائط
بلا دفاع. وأصبح الطريق مفتوحًا أمام الجميع.

(٤) هنا يشير هومروس إلى فكرة تدهور الأجيال وهي الفكرة التي تصح محورية في أشعار هيسودوس الذي ربط
المصور والأجيال بالمعادن. (الغرر)

- ٤٠٠ وهاجم أياص وتيوكروس ساربيدون. فصبوب أحدهما
رمحه إلى الرباط اللامع الملتف حول صدره
والذى يحمل الدرع الذى يغطى جسده كله. ولكن زيوس أبعد
الموت عن ولده حتى لا يُقتل فى مؤخرة السفن.
ثم وثب أياص وصبوب سهما إلى درع ساربيدون. ولكن السهم
٤٠٥ لم ينفذ من خلاله، وإن جعل ساربيدون يترنح أثناء الهجوم عليه.
فتراجع قليلاً عن الحاجز ولكنه لم ينسحب
تماماً، فقد كان عقله ما يزال يطمع فى أن ينال المجد.
واستدار ساربيدون تجاه الليكيين أشباه الآلهة وهو يصيح قائلاً:
"أيها الليكيون، لماذا تتخلون عن شجاعتكم وإقدامكم؟
٤١٠ فمن العسير علىّ، رغم قوتى أن أذهب
وحدى وأحطم الحائط لأشق طريقاً للسفن
فلتتبعوني، فكلما كثر العدد كان ذلك أفضل".
هكذا قال. والتف الليكيون حول ملكهم
أكثر من ذى قبل بسبب تأنيبه لهم، والتزموا بنصيحته.
٤١٥ وكان الأرجيون على الجانب الآخر يدعمون صفوفهم
داخل الحائط، وباله من عمل ضخم
ولم يستطع الليكيون رغم قوتهم أن يحطموا
حائط الدانائيين وأن يشقوا طريقاً إلى السفن.
كما لم يستطع رماة الرماح الدانائيون أن يبعدوا
٤٢٠ الليكيين عن الحائط عندما اقتربت منه طلائع قواتهم.
وكما يتنافس رجلان على الحدود
فى حقل على المشاع، وهما يحملان فى أيديهما عصى القياس،
ويتعاركان فى مساحة ضئيلة من أجل الحصول على نصيب متساوٍ.
هكذا كانوا يتنافسون على تقسيم الحائط، بينما كان الأعداء

- ٤٢٥ فوقه يتعاركون ويمزق كل منهم دروع الآخر المستديرة المصنوعة
من جلد الثور، والتي كانوا يضعونها حول صدورهم وكذلك الصدريات
الخفيفة، وجرحت الأسلحة الحديدية التي لا ترحم أجساد كثيرين.
وأثناء المعركة، عندما كان يصبح ظهر
أحدهم مكتشفاً، كان يتلقى العديد من الجروح من خلال درعه.
٤٣٠ وفي كل مكان لطخت دماء الرجال الأبراج
والأسوار. نساء الطرواديين والآخيين على السواء..
ولكن الآخيين لم يخافوا ولم يتشتتوا.
ومثلما تمسك امرأة أمينة كفتى الميزان وهي تقوم بالغزل
وتضع الصوف في كفة والمكايل في الكفة الأخرى
٤٣٥ حتى تتعادل الكفتان، وذلك حتى تكسب قوت أولادها.
هكذا كانت المعركة تسير بالتساوى بين الطرفين
إلى أن منح زيوس مجداً عظيماً لهيكتور،
بن برياموس، الذى اندفع أولاً تجاه حائط الآخيين
وصاح في الطرواديين بصوت مدوّ قائلاً:
٤٤٠ "أيها الطرواديين، يا مروضى الخيول، انهضوا
وحطموا حائط الأرجيين أشعلوا النيران المستعرة في سفنهم".
هكذا قال ليحرضهم. وبعد أن استمعوا له جميعاً
اندفعوا تجاه الحائط. ثم أمسكوا رماحهم الحادة وهاجموا،
٤٤٥ وأمسك هيكتور بحجر كان يوجد
أمام البوابة ورفعته. حجر ضخّم عند قاعدته ومدبب
وحاد عند قمته، حجر لا يستطيع اثنان من أفضل رجال
العصر الحالى أن يرفعاه بسهولة من الأرض كي يضعاه
في العربة. ولكن هيكتور رفعه وحده بسهولة
٤٥٠ فقد جعله زيوس بن كرونوس، ملئوى النصيحة، خفيفاً بالنسبة له.

- ومتلما يرفع الراعى فروة كبش بسهولة
ويمسك بها فى يد واحدة، ويكون الحمل خفيفاً عليه،
هكذا رفع هيكتور الحجر ووضعه فوق الألواح الخشبية
التي كانت تحمي البوابة كلها والتي تربطها بقوة
٤٥٥ بطيقتين من الألواح الخشبية الطويلة ويعارضتتين كانتا
تحيطان بالبوابة من الداخل وتمسكاتها. وكان يضمهما معاً مزلاج واحد.
ووقف هيكتور على مقربة، ثم اندفع إلى المنتصف
بعد أن أعد نفسه جيداً للهجوم حتى يكتسب قوة أكبر
ثم دفع ضفتي البوابة فحطمهما. وبسبب ثقل الحجر
٤٦٠ سقط إلى أسفل. وتأوهت البوابة على كلا الجانبين. ولم تصمد
العوارض الخشبية أكثر من ذلك، فتحطمت وتناثرت أجزاؤها
من ثقل الحجر. وقفز هيكتور الشجاع
ووجهه يشبه الليل المفاجئ وسلاحه الرهيب
الذى ارتداه حول جسده يتألاً. وأمسك فى يديه
٤٦٥ اثنتان من الحراب. وما كان فى استطاعة أحد،
سوى إله من الآلهة، أن يوقفه إذا ما قابله. فقد اندفع نحو البوابة
وعيناه تشعان ناراً، واستدار وصاح فى الطرواديين
يحثهم لعبور الحائط، فاستجابوا لندائه.
وعبر بعضهم الحائط على الفور، بينما اندفع
٤٧٠ البعض الآخر عبر البوابة. وأصاب دعر شديد الدانانيين
٤٧١ فهربوا إلى سفنهم السريعة، وعمت الفوضى العارمة.

الكتاب الثالث عشر



ترجمة أحمد عثمان

وبعد أن سمح زيوس لهيكتور والطروديين بالوصول إلى السفن،
ترك المتحاربين هناك يكابدون الوليل بلا نهاية، أما هو فأدار عينيه
البراققتين، ونظر إلى الآفاق البعيدة،
إلى أرض الفرسان الطراقيين والميسيين، الذين
يشتبكون في التحام مباشر. وأرض الهيبيمولجيين السادة
الذين يشربون من لبن الفرسات، وأرض الآبيين أكثر الناس عدلاً.
ولم يعد يولى عينيه البراققتين شطر طروادة على نحو أو آخر،
لأنه لم يكن يعتقد في قلبه أن أيًا من الخالدين سيتوجه إلى
هناك، ليمد يد العون إلى الطرواديين أو الدانائيين.
أما للسيد، مزلزل الأرض، فلم يغفل عن المراقبة الدقيقة،
لقد جلس يشاهد الحرب والمعارك على قمة جبل ساموطراقيا
الشاهقة، وكثيفة الغابات، فمن هناك كان من السهل عليه أن يرى
أرجاء إيدا. وظهرت أمامه مدينة برياموس جليلة المعالم، وسفن الآبيين.
قفر من لجة البحر ليجلس هناك مشفقاً على الآبيين المدحورين
أمام الطرواديين، واستشاط غضباً من زيوس. بعدئذ هبط من
قمة الجبل الوعر بخطى واسعة رشيفة، ارتعدت الجبال
والغابات تحت قدمي بوسيدون الإلهيتين، حيث خطا خطوات
ثلاث، وفي الخطوة الرابعة بلغ غايته أيجاي (*) حيث أقام
قصره المعروف في أعماق اليم، وهو قصر ذهبي يتألق ولا يبدي
أبد الدهر. وبعد أن وصل بوسيدون إلى هناك أعد عربته وشد إليها
جواده الرشيقين ذوى الحافر البرونزي والعرف الذهبي، وتزيا
بالذهب وتزود بالسوط الذهبي، وامتنطى عربته وطار بها
فوق لجة البحر. ومن تحته كانت وحوش البحر تنب على الجانبين

(*) كانت أيجاي Aigai في جزيرة بويويا ترتبط بعلاقة خاصة مع أسطورة بوسيدون وعبادته. قارن Anth. Pal

- منطلقة من الأعماق، وقد عرفت سيدها، وانتشق البحر عن
طيب خاطر أمامه، فاندفع الموكب في سرعة هائلة.
- ٣٠ ولم يبتل محور العربة تحت قدميه، وحمل الجوادان
الرشيقان سيدهما إلى سفن الأخيين.
- هناك كهف سحيق في أعماق البحر العميق،
في منتصف المسافة بين تينيدوس وإمبروس الوعرة،
وفي هذا المكان توقف بوسيدون مزلزل الأرض،
٣٥ فحل الخيول من العربة، ووضع أمامها
شيئاً من طعام الخلود (الأمبروسيا) لتتغذى عليه، وحول
أرجلها وضع أصفاداً ذهبية
- لا تكسر ولا يمكن فكها، فلا مفر من البقاء حيث تركها
وحتى يعود سيدها. ثم ذهب هو نفسه إلى جيش الأخيين.
- ٤٠ وكان الطرواديون جميعاً يسيرون وراء هيكتور بن برياموس
متوهجين كاللهب المتأجج، ويطلقون صيحات مدوية.
- كانوا يشعرون أنهم على وشك الاستيلاء على سفن الأخيين،
والفتك بأبسل المحاربين جميعاً. إلا أن بوسيدون، طاوى الأرض
ومزلزلها، شرع يحث الأخيين بعد أن خرج من أعماق البحر
٤٥ في هيئة كالخاس وبصوته الذي لا يكل.
- وبدأ بمخاطبة الثنائي أياص فقد كانا يتأججان حماساً:
- "أيها الثنائي أياص، أنتما اللذان ستتقدان جيش الأخيين، إذا
وبقتما في قوتكما، ولم تفكرا في الفرار المخزى.
- ٥٠ أنا لا أخشى الطرواديين وأيديهم التي لا تقهر،
فهم بحشدهم الغفير قد تسلقوا الحائط العظيم، فالأخيون
لابسو الدروع المنيئة سيصدونهم جميعاً، بل أخشى ما أخشاه
هنا أن يصيبنا الشر، لأن هيكتور ذا الغضب الجنوني يندلع
٥٥ كأنه لهب النار مزهواً بأنه ابن زيوس الجبار. وأتمنى أن يبث

- إله ما في قلبكما الثبات فتعرضان الآخرين على الصمود،
وقد تصدانه عن السفن المريعة مهما كان اندفاعه،
حتى وإن كان (زيوس) الأوليمبي نفسه هو الذى يحقره".
- ٦٠ ثم لمس طاوى الأرض ومزلزله البطلين بعصاه،
فنفخ كامل القوة، وعنفوان النشاط فيهما، فى أوصالهما
وأيديهما وأقدامهما. وطار هو نفسه كالصقر حين يخلق
فى أجواز الفضاء فوق ربوة عالية مطارداً صيده، طائراً
آخر، هكذا طار بوسيدون مزلزل الأرض بعيداً عنهما.
- ٦٥ وكان أياس بن أوبليوس أول من أدرك أنه الإله،
فصاح مخاطباً أياس بن تيلامون:
- "أياس ! إنه إله من آلهة الأوليمبوس جاء يستحثنا
على القتال دفاعاً عن السفن - إنه ليس كالحاس
العراف المفسر، فبسهولة عرفت على علامات قدميه ورجليه
حين انطلق بعيداً عنا، والآلهة يعرفون بسهولة - وإن قلبى
داخل صدرى يكاد يقفز لهفة على القتال، وتشتعل جذوة النشاط
فى قدمى من تحتى، وفى يدى من فوقى".
- ٧٥ فرد عليه أياس التيلاموني:
- "أنا أيضاً تدب شعلة النشاط فى يدى اللتان لاتهزمان، لكى
أشهر رمحى، واستغرت كل قوتى، وقدمائى تتحركان
من تحتى برشاقة. إذ أتلطف على مواجهة هيكتور بن برياموس
- الذى لا تتوقف سورة غضبه - فى معركة فردية"
- ٨٠ هكذا تحدث كل منهما إلى الآخر
فرحين بما بث الإله فى قلوبهما من جنون الحرب.
وفى الوقت نفسه استنفر طاوى الأرض بقية الأخيين، الذين
كانوا بجوار السفن السريعة. لكى يهبوا للقتال .
- ٨٥

- كانت أوصالهم قد تسببت وأنهكت بفعل الإرهاق والأسى ،
الذى حط على قلوبهم، وهم يرون حشود الطرواديين يتسلقون
الحائط العظيم. كانوا يشاهدون ذلك بعيون غارقة في الدموع
حتى الحواجب. إذ كانوا يظنون ألا أمل في الخلاص
من الهلاك. ولكن عندما مر زلزال الأرض، تسلل بينهم،
وأخذ يشعل جذوة الحماس في فرقهم القوية. ٩٠
- في البداية اقترب من تيوكروس ولينيتوس ليصدر لهما الأوامر،
ثم أقبل على المحارب بينيليوس وثواس ودليبيروس وميريونيس
وأنتيلوخوس، سادة صيحات الحرب، مستفزًا همته بكلمات مجنحة:
- "عار عليكم أيها الأرجيون، يا لكم من صبيبة صغار ! ٩٥
- كنت أثق في قدرتك على القتال لإنقاذ سفننا. أما إذا
كنتم ستقاعسون عن الحرب المؤلمة، فهذا معناه أنه جاء اليوم
الذى يقينًا سننحدر فيه أمام الطرواديين. يا لهول ما أراه بعيني!
شيء فظيع! لم أظن قط أنه يمكن أن يقع: الطرواديون يبلغون سفننا! ١٠٠
- كانوا من قبل كالآيلة المذعورة التي وقعت فريسة للشعالب
والنمور والذئاب في وسط الغابة، بينما كانت تهيم على وجهها
بلا هدف وفي جبن، دون أن يكون لديها أية فكرة عن الحرب.
لم يكن الطرواديون من قبل يجروون على مواجهة قوة الآخرين ١٠٥
- وأيديهم، ولو للحظة واحدة.
- أما الآن فهم بعيدون عن مدينتهم، بل بجوار سفننا المجوفة يحاربوننا
بمسبب غلظة قائدنا وتقاعس حشودنا، التي بسبب الغضب
لا تملك الدفاع عن سفننا السريعة، بل سيصل الأمر ١١٠
- إلى حد أن ينجحوا فيها. وإذا كان المحارب بحق أجاممنون
بن أتريوس واسع الملك هو السبب في كل هذا، بما جلبه
من شعور بالخزي والعار في قلب ابن بيليوس سريع القدمين،
يجب ألا نتقاعس عن القتال. ولنتكفر عن الخطأ بسرعة، ١١٥

- فقلوب الأخيار تقبل الاعتذار. لا يليق أن تتخلفوا في البسالة،
فأنتم خيرة الرجال في الجيش. أنا لا أتنازع مع من يتقاعسون
عن القتال منكم، فهم ليسوا سوى جبناء. ولكن جام غضبي
١٢٠ ينصب عليكم. أنتم مستكينون، وسرعان ما ستجلبون شروراً أكبر
بتقاعسكم هذا. فليضع كل منكم العار والخزي أمام ناظريه؛
انظروا فوهج المعركة يندلع من جديد. وهيكتور البارغ في
صيحة القتال يقاتل فوق السفن شامخاً في قوته،
وقد حطم الأبواب والحائط الطويل".
- ١٢٥ وهكذا أفلح طاووى الأرض في استثارة همة الأخيين بكلماته،
واتخذت الفرق مواقعها حول الثنائي أياس. كانوا من القوة بحيث
لا يستطيع حتى آريس نفسه أن يخترق صفوفهم ويضعفهم،
ولا أثينة محرصة الرجال على القتال تستطيع ذلك.
فقد كانوا خيرة الأبطال الذين صمدوا أمام هجمة الطرواديين،
١٣٠ وهيكتور الإلهي. كان المتحاربون يتبارزون الرمح بالرمح
والدرع المتين بالدرع، والترس بالترس، والخوذة بالخوذة
والرجل بالرجل. وكل خصلة من شعر الخيل تلامس نظيراتها فوق
الخوذات اللامعة، كلما هز الرجال رؤوسهم. وكانوا يحاربون في
صفوف متراسة، كل محارب كان لصيقاً بالآخر، شاهرين جميعاً
١٣٥ الرماح المتلامسة، ملوحين مهددين بعضهم بعضاً.
ولم تكن أذهانهم شاردة ولا قلوبهم شتى،
بل كانوا جميعاً يتلهفون على النزال. ثم تقدم الطرواديين
في التحام مباشر بقيادة هيكتور، الذي كان يتقدم مهاجماً مثل
١٤٠ جلود صخر يتدحرج من فوق ربوة شاهقة، حطه من على
نهر فاضت به أمطار الشتاء. فيقفز عالياً ويتطاير وتهتز الغابات
من تحته، وتزداد سرعة تدحرجه، ولا يتوقف إلا حين

- يبلغ أرض السهل المستوية^(*)، فيتوقف عن التدرج
على الرغم من كل ما اكتسبه من قوة اندفاع. وتمثل
الخطر الداهم في أن يثني هيكتور طريقه إلى البحر
عبر خيام الأخيين وسفنتهم مواصلاً القتل في طريقه.
ولكنه اصطدم بالفرق المتلاحمة عند تقدمه فتوقف. وواجهه
ابناء الأخيين يسوفهم ورماحهم ذات الحدين، وصدوه فتراجع
وتقهقر، ثم أطلق صيحة مدوية يخاطب الطرواديين قائلاً:
- ١٤٥
- أيها الطرواديون، والليكيون والداردانيون، يا من تقاتلون في
التحام مباشر، اصمدوا، لن يفلح الآخيون في صد
لمسافة طويلة، مع أنهم اصطفوا جميعاً كأنهم حائط. بل سيتراجعون
أمام رمحي إذا أيدني أكبر الآلهة زوج هيرا ذو الرعد المدوي^١.
- ١٥٠
- فلما قال ذلك استثار القوة والروح في نفس كل محارب،
وسار بينهم ديفوبوس بن برياموس بروح عالية، ورفع درعه
المتوازن في كل اتجاه أمامه، وأخذ يتقدم برشاقة على قدميه
محتمياً في درعه. وصوب ميريونيس عليه برمحه اللامع
وأطلق رمحاً لم يخطيء هدفه بل أصاب الدرع المبطن بجلد
الثور، والمتوازن في كل اتجاه، ولكنه لم يخترقه،
بل انكسر سن الرمح الطويل في التجويف. وحافظ ديفوبوس
على الدرع المبطن بجلد الثور، واستولى الخوف على قلبه من
رمح ميريونيس الحصيف. عندئذ تراجع هذا المحارب إلى
حشد رفاقه أمام هذه الهجمة الشرسة، وقد استشاط غضباً بسبب
فقدان النصر وانكسار الرمح. وانطلق نحو خيام الأخيين
١٦٥ وسفنتهم طلباً لرمح طويل لنفسه، كان قد تركه في خيمته.

(*) نذكر المرء هنا قول امرئ القيس

مكر مفر مقل مدير معاً كجل مرد صخر حطه السيل من عل

- وواصل الآخرون القتال ودوت صيحة لا حدود لها، وبدأ
- ١٧٠ تيوكروس بن تيلامون بقتل أحد المحاربين، إنه
الرماح إميريوس بن مينتور ذو الثروة الهائلة من الخيول.
وكان يسكن في بيدايون قبل أن يأتي ابناء
الآخيين، وتزوج ابنة برياموس ميدسيكاستي
١٧٥ التي ولدت له من قصة حب. ولكنه بمجيء سفن الدانائيين
المقوسة، عاد إلى إليوس واكتسب مكانة مرموقة بين
الطرواديين، وسكن في بيت برياموس، الذي كرمه كأنه واحد
من ابنائه. الآن أصابه ابن تيلامون تحت أذنه بطعنة من
رمحه الطويل، ثم سحب الرمح من جسده فسقط. كان مثل شجرة
الدردار على قمة جبل ترى من مسافات بعيدة من كل اتجاه،
١٨٠ اجثت بالبرونز الحاد، فتناثرت أوراقها
على الأرض. هكذا سقط وفوقه أسلحته البرونزية المزركشة.
وهرع تيوكروس في لهفة لتجريده من أسلحته، لكن هيكتور
صوب إليه رمحه البراق. بيد أن تيوكروس لمح الرمح
البرونزي وتغاداه بمسافة صغيرة جداً. فأصاب هيكتور
١٨٥ أمفيماخوس بن كتياتوس بن أكتور في صدره برمحه،
بينما كان يتأهب لدخول النزال، فسقط وهو بصرخ صرخة
مكتومة، وأرطم بالأرض وتكوم سلاحه فوقه. واندفع هيكتور بسرعة
لينزع عن رأس أمفيماخوس الباسل خوذته المثبتة عند وجنتيه،
١٩٠ لكن أياس صوب رمحه البراق إلى هيكتور المندفع،
فلم يصل الرمح إلى لحمه، إذ كان محمياً تماماً بالبرونز
الرهيب؛ ولكنه أصاب صرة درعه فدفعه بشدة إلى الوراء
١٩٥ وأبعده عن الجنتين، وعندئذ سحبهما الآخيون. وحمل
ستيخيوس ومينيسيوس الإلهي قائدا الأثينيين أمفيماخوس
إلى الآخيين، وحمل الثنائي أياس الملهوفان على خوض

- المعركة الفتاكة، جثة إمبريوس بعيدًا، وكاننا مثل أسدين
اختطفنا عنزة من أفواه كلاب صيد حادة الأنياب، فحملناها
٢٠٠ عبر أحرش الغابة الكثيفة، فرعناها في فكيهما بعيدًا عن
الأرض. هكذا حمل الثنائي أياض الباسلان إمبريوس عاليًا
وجرداه من سلاحه، وقام ابن أوليوس بفصل رأسه عن عنقه
انتقامًا غاضبًا لمقتل أمفيماخوس، وقذف بها لتندرج وسط
الحشود كأنها كرة، واستقرت في التراب تحت قدمي هيكتور.
٢٠٥
شعر بوسيدون بالغضب الشديد في قلبه، عندما سقط
ابن ابنه في خضم الصراع الرهيب، فذهب بين خيام الأخيين
وسفهمهم ليستنقروا الداناتيين للقتال. أما بالنسبة للطوراديين
فكان يثير الرعب. وهناك قابل إيدومينيوس المعروف برمحه
٢١٠ أثناء عودته من المعركة مع أحد رفاقه المصاب في ركبته
بالرمح البرونزي الحاد. حمله رفاقه، وكان إيدومينيوس قد
أصدر أوامره إلى الأطباء وذهب هو إلى خيمته، فقد كان
توافقًا إلى المعركة. وخاطبه الإله مزلزل الأرض بصوت
٢١٥ يتقمص صوت ثواس بن أندرايمون، الذي كان سيدًا على
الآيتوليين في كل أنحاء بليورون وكاليدون، وكان موضع
تجليل الناس كأنه إله، وقال:
٢٢٠ "أي إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، أين ذهبت
التهديدات التي وجهها أبناء الأخيين للطوراديين؟"
فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
"يا ثواس، لا تثريب على أحد الآن، فكلنا بارعون في الحرب.
وما من رجل ولى الأديار من المعركة مستكينًا أو مستسلمًا للجبن،
٢٢٥ وما انسحب أحد من الحرب اللعينة، بيد أن
ابن كرونوس الأعلى في جبروته يسره أن يهلك الأخيون هنا
بعيدًا عن وطنهم أرجوس، فلا يبقى لهم ذكر. لكن يا ثواس،

٢٣٠ بما أنك كنت درمًا صامدًا في ساحة الدغى وتحرض الآخرين
حين ترى أحدهم يتقاعس عن القتال، فلا تتوان، بل
أطلق صيحاتك واستنفر كل الرجال".

فرد عليه بوسيدون مزلزل الأرض قائلاً:
"أى إيدومينيوس، ليت هذا الرجل لا يعود إلى وطنه من أرض
طروادة، بل يترك هنا طعامًا للكلاب، ذلك الذى تقاعس اليوم عمداً
٢٣٥ عن القتال. فانهض وتسلح واتبعنى،
فلعلنا معاً ننجز هذه المهمة على وجه السرعة. ورغم أننا اثنان
فقط، فالأمل معقود علينا، والتعاون والتعااض يزيدان قوة الأقوياء
حتى لو كانوا محاربين فى مأزق، بيد أننا نحن الآخيين نعرف
جيداً كيف ندير القتال ضد عدونا الشرس".

هكذا قال الإله، ثم انخرط مرة أخرى فى زمرة المتقاتلين.
٢٤٠ وما أن بلغ إيدومينيوس خيمته المحكمة البناء، حتى سلح
نفسه تسليحاً جيداً واختار رمحين وانطلق. كان مثل الصاعقة
التي يمسك بها ابن كرونوس فى يده ويلوح بها من فوق
الأوليمبيوس، آية للبشر الفانين، تومض الأشعة منه على المدى،
٢٤٥ هكذا تآلق البرونز على صدره وهو يهرول. وقابله تابعه الهمام
ميريونيس وقد كان لا يزال على مقربة من الخيمة،
وكان قد ذهب ليحضر رمحاً برونزياً، وناداه
إيدومينيوس الجبار قائلاً:

"أى ميريونيس، يا ابن مولوس، يا سريع القدمين، أنت أعز رفاقى
٢٥٠ إلى، لماذا أتيت تاركاً القتال والمعركة؟ هل أصيبت
وهل يؤلمك سن رمح؟ أم هل أتيت إلى برسالة ما؟
أما أنا فلا يسرنى البقاء هنا فى الخيام، بل يسرنى الالتحام فى القتال".
فرد عليه ميريونيس الحصيف:

- ٢٥٥ "أى إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، لابسى الدروع البرونزية، أنا فى طريقى لأحضر رمحاً، لعلك تكون قد تركت واحداً فى الخيام؛ فالرمح الذى أحمله منذ مدة تحطم حين أطلقته على درع ديفوبوس المتجبر".
- فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً :
- ٢٦٠ "إن أردت رمحاً فستجدها، سواء أردت واحداً أو عشرين، ستجدها فى الخيمة تقف مستندة على حائط المدخل اللامع، رمحاً طروادية، فمن عادتى أن أسليها من قتلاهم. وأنا لا أميل إلى قتال الأعداء من مسافة بعيدة، لذا فإن لدى رمحاً ودروعاً ذات صرر وخوذات وأحزمة تلمع".
- ٢٦٥ فرد عليه ميريونيس الحصيف:
- "وفى خيمتى أنا أيضاً وفى سفينتى السوداء الكثير من غنائم الطرواديين، ولكنها الآن ليست فى متناول يدى. ولم أنس البسالة، بل أحب مكانى فى طليعة المقاتلين؛ حيث يحرز الأبطال المجد، وحيث ترتفع صيحات القتال. وقد لا يعلم بعض الأخيين لابسى الدروع البرونزية قدرتى فى القتال، ولكنك أنت تعرفها تماماً".
- ٢٧٠ فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
- "أنا أعرف أى نوع من الرجال أنت، وأى بأس لديك فى القتال. فما الداعى لنقول ما هو معروف ؟ إذا كان أفضل ما لدينا قد قيل بجوار السفن وفيما يتعلق بالكمين، فإن بسالة الرجال تختبر وتتجلى ويتبين الجبان من الشجاع، إذ يتبدل الجبان
- ٢٨٠ من لون إلى لون آخر، وروحه لا تظل فى صدره، فلا يثبت على حال، فيغير ركبة مكان الأخرى، ويرتكز على

- قدم بعد الآخر، ويخفق قلبه بدقات مرتفعة الصوت، ويتوقع الموت في كل لحظة، وتصطك أسنانه في فمه. أما لون الشجاع فلا يتغير ولا يتبدل، وهو لا يخاف حين يتخذ موقعه في كمين المحاربين، بل يبتهل أن يخوض قتالاً رهيباً -
- ٢٨٥ وحتى في مثل هذه الحالة لا يقلل أحد من بسائك وقوة يدك. وإذا كنت قد أصبت بسن رمح أو بطعنة في لهيب القتال، فالرمية لا تأتيك من الخلف في الرقبة أو الظهر، بل على صدرك أو بطنك حيث كنت تهاجم في مقدمة صفوف المقاتلين.
- ٢٩٠ فتعال ولنتوقف عن التلكن هنا، حتى لا نثرثر كالأطفال، فقد يثور غضب أحدنا إلى ما وراء الحد، فاذهب إلى الخيمة واتخذ لنفسك رمحاً ستيماً".
- ٢٩٥ هكذا قال، وأخذ ميريونيس، قرين أريس في سرعته، رمحاً برونزياً وتبع إيدومينيوس متطلعاً بلهفة للقتال. فهو يخوض الحرب مثل أريس الفتاك بالبشر الفانين، ويتبعه ابنه فوبوس (الخوف) المقدام، الذي لا يهاب والذي يرعب أي محارب إن لم يكن ثابت القدمين. كلاهما تسليح وقدم من طراقياً^(*) للانضمام إلى الإفيريين أو الفليجيين الأشاوس، ولكنهما لا يصغيان لأي من الجانبين، بل يهبان المجد لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى. هكذا يخوض ميريونيس وإيدومينيوس قائدا الأبطال القتال لابسين الدروع البرونزية اللامعة، وقال ميريونيس لإيدومينيوس:
- ٣٠٠ "يا ابن ديوكاليون، أين ترغب أن تنضم إلى زمرة المقاتلين، هل في الجانب الأيمن للحشد، أم في القلب، أم إلى اليسار؟ وطني أن الأخيين ذوي الشعر الطويل يفلحون

(*) ثقل طراقيا Thrake أو Threke في العموم على أنها موطن إله الحرب (اغرون).

٣١٠ في القتال في أى موضع".

فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:

"فى وسط السفن هناك من يدافعون عنها، وهما الثنائى أياس

وتيوكروس أبرع الآخين فى رمى القوس وفى الالتحام

القتالى المباشر. وهؤلاء سينهكون هيكتور بن برياموس

ويصدونه بعيداً عن القتال رغم شراسة هذا البطل وقوة عزمه.

٣١٥

ومهما كان متلهفا على القتال سيكون من العمير عليه

أن يقهر عنفوانهم وأيديهم القوية، وأن يضرهم شعلة النار

فى السفن، ما لم يشعل ابن كرونوس نفسه اللهب المندلع فى

٣٢٠

السفن السريعة. أما أياس التيلامونى الجبار، فلا يستسلم لأحد

من البشر القاتين من أكلى حبوب ديميتز، الذين يضربون

بالبرونز أو يسحقون بالأحجار الضخمة. ولا يخضع حتى

لأخيلويوس مشئت صفوف الرجال، الفتاك فى الالتحام القتالى

٣٢٥

المباشر، فلا أحد ينازع أخيلويوس فى سرعة القدمين.

أما بالنسبة لكلينا، فلنقف فى ميسرة الجيش كما قلنا،

حتى تعلم ما إذا كنا سنهيب المجد لغيرنا، أم غيرنا هو

الذى سيهيب المجد لنا".

هكذا كان حديث ميريونيس، الذى ينازع آريس فى سرعة

٣٣٠

الهرولة، ثم قاد الطريق حتى بلغا الحشد، حيث أمره إيدومينيوس

بأن يمضى. وما أن رأى الطرواديون منظر إيدومينيوس بقوته وكأنه

شعلة لهب ومعه تابعه المسلح تسليحاً جيداً بالغ الإتقان،

نادى كل فرد من أفراد الحشد على الآخر ليبدأنا

بالهجوم، فهاجموه. وعند مؤخرات السفن التحم المتحاربون

جميعاً فى قتال مباشر فى حشد متكدس. واشتدت العواصف

٣٣٥

وهبت الريح فى يوم تراكم التراب فيه سميكاً على الطرقات.

فأثارت الريح سحابة كثيفة من الغبار. بيد أن المعركة بينهم

- لم تنقطع، وكان كل طرف منهما يتلهف على قتل الآخر بالبرونز اللبّار. واندلع الصراع فتكاً بالفانين، الذين سقطوا ضحايا الرماح الطويلة ممزقة لحم الأجساد. وكادت الأبصار تزوغ ببريق البرونز في الخوذات اللامعة والأحزمة المصقولة والدروع البراقة، حيث كانوا يلتحمون التحاماً كاملاً. قوى العزيمة فقط هو من جرو قلبه وأنشرح صدره لرؤية هذا القتال المفجع دون أن ينقبض فؤاده.
- ٣٤٠ كان ابنا كرونوس^(*) الجباران موجودين، وكان لكل منهما أهدافه المختلفة عن أهداف الآخر، ولكنهما معاً دبرا آلاماً قاسية للمتحاربين الفانين. كان زيوس يود النصر للطرواديين ولهيكتر، وبذلك يوفر المجد لأخيليوس سريع القدمين.
- ٣٤٥ مع ذلك لم يشأ القضاء على حشد الأخيين قضاءً مبرماً أمام إليوس، وكل ما أراد هو أن يوفر التكريم لثيتيس والمجد لابنها المغوار.
- أما بوسيدون فقد ذهب إلى وسط الأرجيين، وأخذ يقوى عزمهم بعد أن انسل سراً من البحر المضطرب، إذ كان قد ضايقه كثيراً أن الطرواديين دحروهم، وكان حائفاً على زيوس.
- ٣٥٥ ومع أنهما من سلالة واحدة ومن الوالدين نفسيهما، بيد أن زيوس كان هو الأكبر والأكثر فطنة بمراحل. ولذا كان بوسيدون يتجنب إظهار مساعدته المباشرة، وسعى سرا لاستنفار الأرجيين وحشدهم متخذاً هيئة بشرية. وهكذا عقد كلاهما طرفي حبل الصراع الفتاك والحرب اللعينة، وأخذاً بتجاذبانه بعنف فوق الجيشين، ولا يستطيع أي رجل قوى أن يحل عقدة هذا الصراع، وإن استطاع أن
- ٣٦٠

(*) زيوس وبوسيدون. (الآخر)

يحل ركب العديد من الرجال.

ونادى إيدومينيوس، مع أن اللون الأبيض بدأ يخالط شعر رأسه، على الدانائيين، وقفز وسط الطرواديين فولوا الأدبار.

فقتل أوثريونيوس القدام من كابيسوس والمقيم ضيقاً في

طروادة، فقد جاء حديثاً بعد أن سمع نبأ الحرب؛ وطلب يد ٣٦٥

كاساندرأ أجمل بنات برياموس. ولم يقدم الهدايا ليخطب ودها،

بل وعد بإتجاز بطولي، وهو أن يطرد أبناء الأخيين من أرض

طروادة. ووعد الشيخ برياموس بأن يعطيها له فاقوماً برأسه،

وانخرط (أوثرينيوس) في القتال وانقأ في وعد الملك.

بيد أن إيدومينيوس صوب إليه رمحه البراق وأصابه بينما ٣٧٠

كان يتختر في خيلاء، ولم يحمه الدرع البرونزي الذي

يحمي به، بل اخترق الرمح بطنه، فسقط مرتطمًا بالأرض،

وفوق جثته وقف إيدومينيوس متباهياً وقائلاً:

"يا أوثرينيوس ! إنى أعدك حقاً الأسعد بين كل البشر ٣٧٥

الفانين، فسوف تنجز وعدك لبرياموس الدارداني، وقد وعدك

بأبنته. ونحن أيضاً نعدك وسننجز ما وعدنا، وستزوجك أجمل

بنات أثريوس، وسنحضرها إليك من أرجوس لتتزوجها هنا؛

إذا ناصرتنا في حصار إليوس المأهولة. فاتبعنا فقد نعقد عقد ٣٨٠

الزواج في السفن جوابة البحار، وثق تماماً أننا لا نغالي في

طلب هدايا الزواج".

هكذا كان حديثه، وسحب المحارب إيدومينيوس الجثة من

القدمين عبر ساحة القتال. وجاء أسبيوس لينقذ الميت سيرا ٣٨٥

على قدميه أمام جواده، اللذين ساقهما تابعه وقائد عربته،

واقتربا حتى صارت أنفاسهما فوق كنفى أسبيوس. وكان الأخير

يتلهف على إصابة إيدومينيوس؛ إلا أن هذا البطل كان أسرع

منه، فأطلق عليه رمحا أصابه في عنقه تحت ذقنه، ٣٩٠

واخترق للبرونز لحمه. فسقط كما تسقط شجرة البلوط أو
شجرة الجوز أو شجرة الصنوبر الباسفة، التي أسقطها
وسط الجبال قاطعو أخشاب السفن ببلطاتهم الحادة. هكذا
تمدد أسبيوس أمام جواده وعربته يئن بصوت عال قابضاً
على التراب المختلط بالدم.

أما سائق عربته الذي أصيب بالهلع، فتخلى عن تماسكه
الذى تحلى به، ولم يجزؤ على العودة بالخيول والفرار من
أيدي الأعداء. فرماه أنتيلوخوس البارع في القتال
وأصابه برمح، فلم يحمه الدرع البرونزي، الذى كان يرتديه
بل استقر الرمح فى بطنه تماماً، فسقط من العربة الممتلئة
البناء. وساق أنتيلوخوس بن نيسطور الباسل الحصانين من
معسكر الطرواديين إلى حيث حشد الآخيين.

حزن ديفوبوس حزناً بالغاً على أسبيوس، فاقترب من إيدومينيوس
وصوب إليه رمحه اللامع. بيد أن إيدومينيوس الذى كان يحملق فيه
مباشرة تفادى الرمح البرونزي، إذ احتفى بغطاء درعه الذى
اعتاد ارتداه والمتوازن من كل جانب والمصنوع من جلد الثور
والبرونز اللامع بانقان شديد وعليه حلقتان. تقلص تحت
هذا الدرع فطار الرمح البرونزي من فوقه مرتطمًا بدرعه
بشدة. وما كان ديفوبوس ليدع الرمح يطير من يده الثقيلة سدى،
بل أصاب هيبسينور بن هيباسوس راعى شعبه فى كبده تحت
حجابيه الحاجز، ففك مفاصل ركبتيه. ووقف ديفوبوس فوق
جثته منتشياً بالنصر وصائحاً بأعلى صوته:

"لم يمت أسبيوس دون انتقام؛ بل سيسر - فيما أظن - فى
رحلته إلى مقر هاديس، الحارس شديد البأس، فقد منحته
مرافقاً فى رحلته".

- هكذا كان تفاخره، وتألم الأرجيون لتبججه.
- أثار بالدرجة الأولى حنق أنتيلوخوس الحصيف، الذي رغم
حزنه لم ينس رفيقه الحبيب^(*)، بل جرى نحوه ووقف فوق
جثمانه وحماه بدرعه. وانحنى اثنان من الأتياع الموثوق بهما،
وهما ميكستينوس بن إخيوس والامستور الطيب، وحملا هيبسينور
وهما يجهشان بالبكاء إلى السفن المجوفة. ولم يتكأ إيدومينيوس
في عنفوان غضبه، بل تلهف على أن يدفن أحد الطرواديين.
في ظلمة الليل الأسود، أو أن يسقط هو نفسه دفاعاً عن الأخيين.
فقتل الوحش المحارب ألكاثوؤس الابن الحبيب لأيسينيتيس ريب
زيوس، إنه زوج بنت أنخيسيس، حيث كان قد تزوج
كبرى بناته، هيبوداميا التي أحبها أبوها وأمها وربياها في بيتهما،
فيزت كل الفتيات من سنّها في جمالها وكمالها وأشغالها اليدوية
وحكمتها. وتزوجها أفضل رجال طروادة الشاسعة، إنه ذلك
الذي أخضعه بوسيدون برمح إيدومينيوس، فألقى غشاوة على
عينيه البرأقتين، وفك أوصاله الممتنة حتى لا يفر أو يتفادى
الرمح. وفي ثباته كان كمثل دعامة أو شجرة باسقة تطاول
السماء، أصابه إيدومينيوس المعوار بطعنة من رمحه في صدره
فاخترقت درع صدره البرونزي، والذي طالما صد عنه طعنات
الموت. أما الآن فقد اخترق الرمح هذا الدرع، فأحدث دويًا
هائلاً وسقط مرتبطماً بالأرض في خضم دمايته، وغاص الرمح
في قلبه فارتج ظهره. ووقف أريس الجبار على مبعده يكظم غيظه^(**).
ووقف إيدومينيوس فوق الجثة منتشياً بانتصاره
ومباهياً وصاح عاليًا:
- أى ديفوبوس، هل لنا الآن أن نحسبها تسوية مرضية - ثلاثة

(*) هيبسينور. (الغور)

(**) تحذف بعض الطبعات اليين ٤٤٣ - ٤٤٤ باعتبارهما متحليين. (الغور)

- قتلى في مقابل رجل واحد ؟ تراك تفخر بهذا ؟
 أيها السيد الطيب، بل قف بنفسك وواجهني ! لتعلم من هو
 ٤٥٠ ابن زيوس الذى جاء هنا. فى البداية أنجب زيوس مينوس
 حارسًا على كريت، ثم أنجب مينوس ابنا هو ديوكاليون
 الذى لا قرين له، وأنجبني ديوكاليون سيدًا على الكثير من
 رجال كريت الشاسعة. الآن حملتني السفن إلى هنا
 ٤٥٥ وبالأعلى عليك وعلى أبنيك وعلى كافة الطرواديين".
- هكذا قال، ودبت الحيرة فى قلب ديفوبوس، تراه يتراجع ويتخذ
 رفيقًا من الطرواديين البواسل، أم يعتمد على نفسه ويتقدم
 بمفرده ويجري، وظن أنه من الأفضل أن يذهب إلى آينياس.
 فوجده واقفًا فى نهاية الحشد، وكان آينياس ناقما على
 ٤٦٠ برياموس الإلهي. فعلى الرغم من بسالته المميزة بين المحاربين
 لم يكرمه برياموس بشيء. فاقترب ديفوبوس منه وخاطبه
 بكلمات مجنحة :
- "أى آينياس يا صاحب الرأي بين الطرواديين، عليك الآن أن
 تقدم العون لزوج أختك، إذا كان حقًا يؤلمك ما ألم بقريب
 ٤٦٥ لك. أقبل وقدم العون لألكاثوؤس، فقد كان على أية حال زوج
 أختك وهو الذى رباك فى بيته طفلاً صغيرًا. لقد قتله
 إيدومينيوس الشهير برمحه".
- هكذا قال فاستثار همة آينياس فى صدره، فراح يبحث عن
 ٤٧٠ إيدومينيوس توافًا لمنازلته. لكن لم يكن الخوف يعرف
 طريقه إلى قلب إيدومينيوس، كما لو كان مثل طفل مدلل. كان فى
 هجومه مثل خنزير برى يسكن الجبال يثق تمامًا فى قواه
 فيصمد أمام هجوم حشد غفير من الرجال فى مكان منعزل، تنتصب
 ٤٧٥ عضلات ظهره وتتقد عيناه بالشرر، ويكشر عن أنيابه استعدادًا لصد

الكلاب والرجال. هكذا كان إيدومينيوس الشهير برمحه،
حيث تصدى لهجمة آينياس الذي لبي نداء العون، ولم يتراجع،
بل نادى على رفاقه وبحث عن أسكالا قوس وأقاريوس ودابييروس
وميريونيس وأنتيلوخوس سادة صيحة الحرب. فحرضهم
على القتال بكلمات مجنحة:

٤٨٠ "هلموا يا أصدقاء وقدموا العون لى، فأنا بمفردى وأخشى
بشدة مجيء آينياس سريع القدمين، فهو يتقدم ليهاجمنى.
قله من القوة ما يمكنه من الفتك بالرجال فى المعارك، وهو
فى زهرة شبابه وكامل قوته. آه لو كنا فى السن نفسها وبالحالة نفسها،
٤٨٥ كما هو الآن، عندئذ كان أحدنا سينال نصراً عظيماً أنا أو هو".

هكذا قال فتحدثت أفندتهم فى صدورهم، وصمدوا فى مواقعهم،
ووقفوا متراصمين محتمين بدروعهم. وفى مواجهتهم نادى
٤٩٠ آينياس على رفاقه وبحث عن ديفوبوس وباريس وأجنيور
الإلهى، وهم من قادة الطرواديين. وتبعهم الحشد كما تتبع
قطعان الأغنام الكباش إلى الماء من المرعى، فيفرح
الراعى فى قلبه. هكذا امتلأ قلب آينياس بالفرح حين
٤٩٥ رأى احتشاد الجيش الزاحف من خلفه. والتحموا
فى قتال لصيق برماحهم الطويلة بعد أن قفزوا فوق جثة
ألكاثوؤس، وكان البرونز على صدورهم وهم يصوبون
كل إلى الآخر فى الهجوم. وفى طلعة الحشود كان هناك
رجلان مقدامان هما آينياس وإيدومينيوس اللذان كانا يضارعان
٥٠٠ آريس. كان كل منهما يتلهف على تمزيق لحم الآخر بالبرونز
الذى لا يرحم. كان آينياس البادى بإطلاق رمحه على
إيدومينيوس، ولكنه كان يحدق فيه بثبات واستطاع أن يتجنب
الرمح البرونزى، فانغرس رمح آينياس فى باطن الأرض،
٥٠٥ فقد انطلق سدى من يده القوية. ورمى إيدومينيوس وأصاب

- أوينوماوس فوق البطن وحطم الحلقة المعدنية على درعه،
وأخرج البرونز أمعاه، فسقط في التراب قابضاً على الأرض
براحة يده. وسحب إيدوميتيوس الرمح طويل الظل من
الجثمان، ولكنه لم يستطع أن ينزع بقية الدرع الجميل عن
الكتفين؛ فقد كان غائراً بالقذائف، ذلك أن مفاصل قدميه
٥١٠ فقدت رسوخها، الذي كان لها من قبل ومكنته من الإسراع
في كره أو فره، هجوماً على عدوه أو تفادياً لضرباتِهِ. ومن ثم
اكتفى في الالتحام المباشر بالدفاع عن نفسه انقواء يوم
المصير الذي لا يرحم، ولم تعد قدماه قادرتين على أن تحملاه
للهرب بسلام من المعركة. وبينما كان يتراجع إلى الوراء
٥١٥ خطوة بخطوة، رماه ديفوبوس برمحه اللامع، ذلك أنه
كان لا يزال يحمل داخل نفسه حقداً دفيناً. ومع ذلك فقد أخطاه
هذه المرة أيضاً، وأصاب رمحه أسكالاφος بن إنيالْيوس وغاص
الرمح البتار في كتفه، فسقط في التراب قابضاً على الأرض
٥٢٠ براحة يديه. ولم يحزن آريس الرهيب ذو الصيحة المدوية لموت
ابنه صريع القتال الفتاك؛ بل جلس فوق أعلى قمم الأوليمبوس
تحت المسحب الذهبية، تشكمه إرادة زيوس، حيث كان الآلهة
٥٢٥ الخالدون الآخرون قد حجبوا عن ميدان الحرب.
ثم اشتبكوا حول أسكالاφος في التحام مباشر، وسلب ديفوبوس
خوذة أسكالاφος اللامعة، لكن ميريونيس قرين آريس
السريع انقض على ديفوبوس وأصاب ذراعه برمحه، فطار
الخوذة من يده على الأرض، وكان ارتطامها مدوياً. ووثب
٥٣٠ ميريونيس مرة أخرى كأنه نسر، وسحب الرمح الجبار من أعلى
ذراع ديفوبوس، واندس مرة أخرى وسط رفاقه. لكن بوليتيس
شقيق ديفوبوس أحاط خصره بذراعيه وسحبه بعيداً عن
٥٣٥ ساحة المعركة الرهيبة إلى أن بلغ الجوادين السريعين،

الذين كانا يقفان في انتظاره خلف ساحة المعركة بعريتهما
فاخرة الزخرف وسائقيهما. وحمله إلى المدينة وهو يئن
ويتألم بشدة، وينزف دمًا غزيرًا من ذراعه المصاب حديثًا.

٥٤٠

وواصل الآخرون الالتحام، وانطلقت صيحة مدوية.

ثم انقضّ آيتياس على أفاريوس بن كاليتور، الذي كان قد
استدار نحوه. ضرب عنقه يرمحه المسنون، فمالت رأسه جانبًا
وسقط الدرع عنه ومعه الخوذة، وغمره الموت الذي يفتك

٥٤٥

بالأرواح. ثم وثب أنتيلوخوس على ثوون وهو يولى الأدبار
وطعنه في الوريد الذي يجرى من أول الظهر إلى العنق
فمزقه شر ممزق، فسقط ثوون على ظهره في التراب ماذا
يديه لرفاقه الأعزاء. بيد أن أنتيلوخوس انقضّ عليه ونزع

٥٥٠

درعه عن كتفيه، وهو يتلفت من حوله في فزع.

فقد حاصره الطرواديون من كل جانب، وشرعوا بضربون درعه
اللامع العريض في كل ناحية منه؛ ولكنهم لم يتمكنوا من خرقه
والنفاذ إلى لحم أنتيلوخوس الطرى بالبرونز

٥٥٥

القاطع. فقد كان بوسيدون مزلزل الأرض يحرس

ابن نيسطور، حتى في وسط الرماح العديدة. ولم يكن

أنتيلوخوس بعيدًا عن الأعداء، بل كان يصول ويجول

بينهم دون أن يركن رمحہ للراحة، بل كان مشهورًا متحركًا

٥٦٠

على الدوام. وكان قلبه تواقًا للهجوم على العدو أو

الاشتباك في الالتحام مباشرة.

وبينما كان يصوب سهمه وسط المحاربين، لمحه

أداماس بن أميوس، الذي بعد أن التصق به ضربه فوق الدرع

بطعنات البرونز المسنون. بيد أن بوسيدون، الإله ذا الشعر

الأزرق الداكن، أحبط سن الرمح وجعل طعناته هباءً، وتشبث

ب حياة أنتيلوخوس وبقي جزء من الرمح مغروسًا كالعصا في

- ٥٦٥ درع أنتيلوخوس، ونصفه الآخر ملقى على الأرض. واندس
أداماس مرة أخرى وسط رفاقه متجنباً مصيره المحتوم. بيد
أن ميريونيس لاحقاً، وأطلق عليه رمحه فأصابه فيما بين أعلى
الفخذين والصرة، حيث يقسو آريس (الحرب) على الفانين
الطاشنين. وغرس ميريونيس رمحه، وارتكز الآخر على الرمح
٥٧٠ الذى غاص فى لحمه، وأخذ يتلوى كالثور الذى قيده الرعاة وسط
الجبال وحاولوا جره بالقوة. هكذا كان أداماس حين أصيب،
تلوى قليلاً إلى أن اقترب المغوار ميريونيس وسحب الرمح من
لحمه، وطوت الظلمة نور عينيه. وفى التحام مباشر، أصاب هيلينوس
٥٧٥ دايبيروس فى صدغه بسيف طراقى ضخف فحطم خوذته، حيث سقطت
على الأرض فالتقطها أحد الأخيين وهى تتدحرج وسط أقدام المقاتلين.
وعلى نور عيني دايبيروس حط ظلام الليل وطواه.
- ٥٨٠ عندئذ خيم الحزن على قلب ابن أتريوس مينىلاؤس البارح فى
صيحة الحرب، وشرع يتهدد الأمير المحارب هيلينوس ملوحاً
برمحه المسنون، بينما جنب الآخر الجزء الأوسط من قوسه تأهباً.
وبلغ الاثنان لحظة الإطلاق معاً فى آن واحد، أحدهما برمحه
٥٨٥ المسنون، والآخر بسهم من القوس. فأصاب ابن برياموس
بسهمه اللوحة المعدنية فوق درع مينىلاؤس على صدره،
فارتد السهم المرير، وطار جانباً كما تطير حبات الغلال
على أرض الحصاد الشاسعة بفعل هبة الريح وقوة المذراة.
- ٥٩٠ هكذا ارتد من فوق درع مينىلاؤس المجيد السهم المرير وطار
بعيداً. بيد أن مينىلاؤس المحارب المقدام، ابن أتريوس البارح فى
صيحة الحرب، أطلق رمحه وأصاب هيلينوس فى يده القابضة على
٥٩٥ قوسه الصقيل، فمزق الرمح البرونزى الكوع. واندس مرة أخرى
وسط رفاقه متجنباً قدره المحتوم، تاركاً يده مرتخية إلى جانبه،
والرمح الزمادى يتدلى خلفه. ثم سحب أجينور المغوار الرمح

من يده، وربط اليد الجريحة بقطعة من صوف الغنم قدمها له
تابعه بوصفه راعى شعبه.

- ٦٠٠ هجم بيسانديروس على مينيلائوس المجيد، بيد أن قدره اللعين
كان يقوده إلى نهايته، إلى أن تقتله يا مينيلائوس فى الالتحام
المرعب. وبعد أن تقدم كل منهما إلى الآخر، لم يصبه ابن
أثريوس وانحرف رمح جانبا، فى حين أصاب بيسانديروس
٦٠٥ درع مينيلائوس المجيد، ولكن لم يخترق البرونز لحمه إذ أوقفه
الدرع كثيف السمك، فتحطم سن الرمح فى التثنية، ولكنه فرح فى
قلبه وتمنى النصر. وهنا شعر ابن أثريوس سيفه المرصع بالفضة
٦١٠ وهاجم بيسانديروس، ثم سحب من تحت درعه بلطة من البرونز
المتين، لها مقبض خشبى من شجر الزيتون طويل ومصقول، وفى
اللحظة نفسها صوب كل على الآخر. فأصاب بيسانديروس مينيلائوس
فى قرن خوذته ذات الذؤابة من شعر الحصان.
٦١٥ أما مينيلائوس فأصابه بينما كان يتقدم نحوه، طعنه فى جبهته فوق
قاعدة الأنف. فتهشم العظام وسقطت مقلته فى بركة من الدماء
تحت قدميه فى التراب، فترنح ثم سقط. ووضع مينيلائوس قدمه
فوق صدره، وجرده من أسلحته، ووقف مباهاة بانتصاره فقال:
"على هذا النحو فقد يتأكد أنكم ستتركون سفن الدانائيين ذوى
٦٢٠ الخيول السريعة، أيها الطرواديون المتعجرفون يا من لا تشبع
شهيتكم من هول القتال. فلم تتورعوا عن الإهانة المخزية،
لقد أهتتموني أيها الكلاب المسعورة، ولم تخش قلوبكم يوما
٦٢٥ غضب زيوس المدمر، الإله الذى يكرم الضيف ويرسل
الرد، هو الذى سيسوى بالأرض مدينتكم العالية. فقد خطفتكم
زوجتى الشرعية ومعها كنوز كثيرة عبرتم بها البحر،
خطفتموها بخسة، وهى تقوم بواجب الضيافة لكم !
والآن مرة أخرى تطمعون فى إضرار النار المدمرة فى السفن

- ٦٣٠ جوابة البحار، وفي قتل الأبطال الأخيين. لكن سنمنعكم
عن القتال مهما كان اندفاعكم. أي زيوس الأب ! يقولون إنك
تفوق الجميع حكمة، بشرًا كانوا أم آلهة، ولكن كل هذه المصائب
جاءت من لدنك أنت، فلقد آزرت مرتكبي العنف الطروديين
٦٣٥ المفعمة قلوبهم بالفجور، ولا يشبعون من شرور الحرب للعبة.
فللمرء أن يأخذ كفايته من النوم والحب والأغاني العذبة
والرقص الجميل، حقًا من الخير للمرء أن يشبع من هذه الأشياء
لا من الحرب، بيد أن نهم الطروديين للحرب لا يشبع أبدًا.
٦٤٠ ثم جرد مينيلأوس الذي لا نظير له الميت من أسلحته المملوطة
بالدماء وأعطاهما لرفاقه وعاد هو لينخرط بين مقاتلي الصفوف الأولى.
وهنا وثب أمامه هارباليون ابن الملك بيلامينيس، الذي جاء مع
أبيه العزيز إلى طروادة حيث القتال، ولكنه لم يعد قط إلى
٦٤٥ وطنه الحبيب. لقد اقترب بشدة من ابن أترئوس وأصابه
في قلب الدرع، ولكنه لم يتمكن من غرز البرونز في لحمه،
فعاد واندس وسط رفاقه تجنبًا لمصيره المحتوم، مثلقتنا في
كل اتجاه خشية أن يصيب أحد لحمه بالبرونز. فهاجمه
٦٥٠ ميرونييس أثناء انسحابه بسهم ذي سن برونزي فأصابه
في أعلى فخذه الأيمن، وغاص السهم في جسده حتى المئانة
تحت عظمة الحوض. فجثم في مكانه ولفظ أنفاسه الأخيرة
بين أذرع رفاقه الأحياء، وتمدد كالدودة على الأرض.
وانهمر منه الدم الأسود ليبلل الأرض، وتولى البافلاجونيون
٦٥٥ البواسل أمره، فحملوه في عربة إلى إليوس المقدسة
وقد غلبهم الحزن. ويصحبهم أبوه (*) يذرف الدموع، وهو

(*) هو بيلامينيس الذي على النقيض من ذلك ورد في الكتاب الخامس (البيت ٥٧٦) أن ميلازيس قله. وقد حاول نقاد كثيرون إيجاد الحلول لهذا التناقض ولكن هوراثيوس تقدم بحل أفضل حيث قال: "بين الحين والحين ينام هوميروس الطيب". *quandoque bonus dormitat Homerus*. (اخرى)

الذى لم يتلق أية دية فى مقابل موت ابنه.

- ٦٦٠ تملك الغضب الشديد باريس لمقتله، فمن بين البافلاجونيين
الكثيرين كان هاربايون مضيقه ذات مرة. أطلق سهمًا ذا سن برونزى
لكى ينتقم له. وكان هناك من يدعى يوخينور بن بوليئيدوس العراف،
٦٦٥ وهو رجل ثرى وخير، وكان يقيم فى كورنثة. جاء بسفينته
وقد عرف مسبقًا بسوء مصيره المحتوم، فكثيرًا ما أنبأه به
أبوه الشيخ الطبيب بوليئيدوس، وفحواه أنه سيموت إما
بمرض عضال فى عقر داره أو يقتل وسط سفن الأخيين
على يد الطرواديين. لذا فقد تخلص من دفع الغرامة
٦٧٠ الباهظة للأخيين^(*)، ومن المرض البغيض حتى لا يصيب الغم
قلبه. إذ على الفور ضربه باريس تحت فكه وأسفل أذنه،
فرحلت الروح عن أوصاله وحطت عليه الظلمة الكريهة.
- اندلع القتال بين الطرفين كأنه نار موقدة، بيد أن هيكتور
حبيب زيوس لم يكن يعرف أن جنوده دحروا تمامًا
٦٧٥ عند يسار السفن على يد الأرجيين، ومن ثم سيكون النصر
حليف الأخيين، لأن طاموى الأرض ومزلزلها
هو الذى استثار الأرجيين وأمدهم بقوته. فاندفع هيكتور
حيث كان قد قفز فى المقدمة إلى داخل البوابة والحائط،
٦٨٠ ولجتاح الصفوف الدائنية المتراسة من لابسى الدروع،
حيث كانت سفن آياس (الثيلامونى) وبروتيسيلازس على
شاطئ البحر الرمادى ومن خلفها شيد الحائط منخفضا،
وهناك اشتعل الرجال والجياذ قتالا.
- ٦٨٥ ولم يستطع البويوتيون والأيونيون ذوو
السترات الطويلة واللوكريون والفتيون والإبييون ذوو

(*) كانت تدفع هذه الغرامة - كما يفهم من النص - عوضًا عن الخدمة العسكرية فى الحرب. (الغور)

- الأسلحة اللامعة، لم يستطيعوا صد هجمة هيكتور الإلهي
المندفع كاللهب صوب السفن، ولم يوقفوه. حتى صفوة
الأثينيين؛ وكان فانداهم مينيسثيوس بن بتيوس، وتبعه
فیداس وستيخيوس وبياس المقدام، بينما كان الإيبيون
٦٩٠ بقيادة مجيبس بن فيليوس وأمفيون ودراكيوس. وكان في
طلیعة الفثيين ميدون وبوداركيس البارعان في القتال.
وكان الأول (ميدون) ابنا غير شرعى لأوبيلوس شبيه الآلهة
أخا لأياس، ولكنه كان يقيم في فيلاكي بعيدا
٦٩٥ عن مسقط رأسه، لأنه كان قد قتل رجلا من أقرباء
إريوبيس زوجة أبيه أوبيلوس. وكان الآخر بوداركيس ابنا
لايفيكلوس بن فيلاكوس. وكانا قد ارتديا دروع الحرب في
٧٠٠ طلیعة الفثيين اليواسل دفاعا عن السفن مع البويوتيين.
- وما كان لأياس بن أوبيلوس السريع لبيتعد عن أياس بن
تيلامون ولو للحظة واحدة. لقد كانا مثل ثورين بلون النبيذ ربطا
في محراث واحد يحرث أرضا مراحة. يتصبب العرق غزيرا
عند قرونها، ولا يفصل بينهما سوى النير الصقيل.
وهما يجران معًا المحراث حتى يصل سهمه إلى حافة الحقل.
٧٠٥ هكذا يقف المحاربان جنبًا إلى جنب في ثبات، وجاء مع ابن
تيلامون العديد من الجنود اليواسل رفاقًا وأتباعًا،
كانوا يأخذون منه الدرع حين ينهك العرق والتعب أوصاله.
٧١٠ أما اللوكريون فلم يتبعوا ابن أوبيلوس الباسل، لأنهم
لم يقدرُوا على الصمود في الالتحام القتالي المباشر، إذ لم تكن
لديهم خوذات برونزية ذات ذؤابة سمیكة من شعر الحصان،
ولم تكن لديهم دروع مستديرة ولا رماح رمادية، بل تبعوه إلى إليون
٧١٥ معتمدين على الأقواس ذوات الأوتار من صوف الغنم.
وكان بعضهم يرمون قذائفهم بقوة وسرعة، وحاولوا اختراق

- صفوف الطرواديين. فخاض محاربو المقدمة
 ٧٢٠ لابسو الدروع دقيقة الصنع القتال ضد الطرواديين وهيكتور ذى الدرع
 البرونزى. أما الآخرون من ورائهم فكانوا يطلقون قذائفهم
 دون أن يراهم أحد. وظن الطرواديون أنهم تركوا
 المعركة فأريكتهم قذائف الأقواس.
 كاد الطرواديون يتراجعون ثار كين السفن والخيام إلى إيون
 ٧٢٥ عاصفة الريح، لولا أن اقترب بوليداماس من هيكتور المقدام وقال :
 "أى هيكتور، كم هو عسير التعامل معك، فأنت لا تقبل
 كلمات الإقناع، وقد أنعم الإله عليك بما لم ينعم به على أحد آخر فى
 فنون القتال، وفى رأى تتمتع بحصافة تفوق الجميع.
 ٧٣٠ بيد أنه من المحال أن تهيمن على كل شىء بمفردك.
 فالإله ينعم على هذا بالتفوق فى فنون الحرب، ويهب
 ذلك الرقص، ويمنح آخر الشعر والأغاني، وفى صدر
 آخر يودع زيوس - بعيد الإدراك - عقلاً راجحاً ليكون
 هادياً للناس، ويحرم آخر من هذه النعمة. فاسمع لما أرى
 ٧٣٥ أنه الحق: انظر حولك تجد دائرة القتال مستعرة وهاهم الطرواديون
 البواسل وقد عبروا فوق الحائط ووقف بعضهم بأسلحتهم على
 مبعده، وبعضهم الآخر لازال يقاتل، قلة تواجه كثرة، ميعثرين
 بين السفن. فلتعد للوراء ولتتأذى كل البواسل، وبعد ذلك
 ٧٤٠ نتدبر كل رأى. فيما أن نهاجم السفن ذات المقاعد العديدة
 إن شاء الإله أن يهبنا النصر هكذا، أو أن نتخلى عن السفن.
 وبالنسبة لى فإلحقيقة أئى أخشى أن يكون الدور على الأخيين
 ٧٤٥ اليوم لتسديد دين الأمس. فهناك فى السفن أرى رجلاً(*)
 لا يشبع نهمه للحرب، ولا أظن أنه سيظل هكذا عزوفاً عن القتال".

(*) (يعنى اخيليس. «أخرو»)

- هكذا قال بوليداماس، وكان لرأيه حسن القبول لدى هيكتور،
فقفز بدرعه من عربته إلى الأرض، وخاطبه بكلمات مجنحة:
- ٧٥٠ "أى بوليداماس، احتفظ أنت هنا بكل الرجال، أما أنا فسألتحم
فى القتال، وسأعود سريعا بعد أن أكون قد أرهقتهم تماما".
- هكذا كان رده، واندفع كأنه جبل تلجى^(*)، وأسرع مطلقا
- ٧٥٥ صيحات مدوية لاستتغار الطرواديين وحلفائهم. فهرعوا
دفعه واحدة إلى بوليداماس ذى القلب الطيب ابن بانثوؤس
بمجرد أن سمعوا صيحة هيكتور. ولكنه صال وجال
وسط مقاتلى الصفوف الأولى بحثا عن
ديفوبوس والأمير القوى هيلينوس وأداماس
- ٧٦٠ بن أسفيوس وأسيوس بن هيرتاكوس، إن
صادقهم. فلم يعثر لهم على أثر بين الأحياء، بل
كان بعضهم مطروحا على الأرض فى مؤخرة
سفن الأخيين وبعد أن قضى عليهم الأرجيون،
بينما كان بعضهم الآخر خلف الحائط وقد أصابتهم
- ٧٦٥ طعنات المسهام والرماح. وأخيرا عثر على أحدهم على
يسار ساحة المعركة، وهو ألكسندروس الإلهى زوج
هيلينى ذات الخصال الجميلة، وكان لا يزال يحرض
رفاقه على القتال، فاقترب منه ووجه إليه كلمات مخزية:
- "أى ياريمس التمس! أيها الجميل شكلاً فقط! مجنون النساء،
أيها العابت! أرجوك أين ديفوبوس والأمير القوى هيلينوس
- ٧٧٠ وأين أداماس بن أسفيوس وأسيوس بن هيرتاكوس؟ وأين
أوثريونيوس؟ أنبئنى . فلقد أتى الدمار تماما على أكثرهم،

(*) أرىك هذا التشبيه الكثير من القاد وإن كان فرجيليوس قد قلده "الإلياذة" (الكتاب الثانى عشر ٦٩٩ وما يليه). فما وجه التشابه بين محارب يشعل لهفة على القتال وجبل تلجى؟ راجع للمقدمة. (المحرر)

ومن المؤكد أنه لا يأتي منك سوى الهلاك المطيق".

فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة:

- ٧٧٥ "أى هيكتور أراك تكيل اللوم على من لا يستحق أى لوم
فهل انسحبت من الحرب ولو مرة واحدة ؟ فأمرى لم تلدنى جبناً
متخاذلاً. ومنذ أن اندلعت المعركة بجوار السفن ونحن مع رفاقك
صامدون هنا، نقاتل الدانائيين بلا هوادة. لكن رفاقنا الذين
٧٨٠ تسأل عنهم لقوا حتفهم. ولم يترك المعركة سوى ديفوبوس
والأمير القوي هيلينوس، كل منهما مصاب فى يده برمح
طويل، لكن ابن كرونوس صد عنهما خطر الموت.
فانطلق أنت حيثما يملئ عليك قلبك، فسنبتوك بكل همة، فنحن
٧٨٥ لا نتقصنا البسالة والإقدام مادامت لنا بقية قوة.
ولكن ليس بوسع أحد فقد القوة أن يقاتل مهما كان حماسه".
هكذا قال المحارب فأقنع أخاه، واندفعا إلى حيث توهجت
نيران القتال حول كيريونيس وبوليداماس الذى لا نظير له،
٧٩٠ وفالكيس وأورثايوس وبوليفيتيس شبيه الآلهة، وبالميس
وأسكانيوس وموريس بن هيبوتيون، وقد جاعوا من
أسكانيا عميقة التربة صباح الأس فقط ليحلوا محل
رفاقهم، لقد زج بهم زيوس الآن إلى المعركة. فكانوا
٧٩٥ مثل الرياح العاتية هبت عاصفة بالأرض من تحتهم، بينما رعد
زيوس الأب من فوقهم تدوى وقد خالطت أمواج البحر التى
تعقبها أمواج أخرى ترعى بزبدتها الأبيض. هكذا كان
الطرواديون بصفوفهم المتراسة يهرولون كأعواج تعقبها
٨٠٠ أمواج، مندفعين وراء قادتهم، وبريق البرونز يلمع من حولهم جميعاً.
كان يقودهم هيكتور بن برياموس قرين أريس، مهلك الفانين.
يضع أمامه درعه المتين المتوازن من كل جانب والمبطن
بجلد الثور وقد التصق به كثير من البرونز، وعلى وجنتيه

- ٨٠٥ تتماوج حلقات خوذته اللامعة. وراح يصول ويجول هنا وهناك مستعرضاً الفرق، وهم يفسحون له الطريق أثناء تقدمه خطوة خطوة محتمياً بدرعه. وما كان له بذلك كله أن يخمد حماس الأخيين. إذ جرى أياضاً بخطوات سريعة نحوه، وكان أول من تحداه قائلاً :
- ٨١٠ "اقترُب أيها السيد الهمام، لماذا تطمع هكذا في أن تخيف الأرجيين؟ اعلم أننا لا نجهل فن القتال، ولكننا نحن الأخيين رضخنا لحكم زيوس الرهيب. يَتمنى قلبك أن تسلب السفن، ولكن تَيقن أن لنا أيّ قدرة على الدفاع عنها، ومقدر على مدينتكم الآلهة أن تدمرها أيدينا، وتستولى عليها. وبالنسبة لك أنتَ فسيأتى قريباً اليوم الذى تتوسل لزيوس الأب وغيره من الخالدين أن تكون خيولك ذات اللبدة الجميلة أكثر سرعة من الصقور فى المعركة، حتى تلوذ بك إلى المدينة مثيرة الغبار فوق السهل".
- ٨٢٠ وبينما كان يتحدث حلق طائر على يمينه، نسر يطير فى أجواز الفضاء، فصاح جيش الأخيين صيحة مدوية متهللين بهذا الغال الطيب للأخيين، بيد أن هيكتور المجيد رد عليه بقوله:
- ٨٢٥ "أى أياض! يا من تنقصك الفصاحة ! ماهذا التبحر فيما زعمت؟ أنا أفخر دوماً بأنى ابن زيوس حامل الدرع أليجيس، وأمى هيرا هى ملكة السماء، فلى من الشرف ما لأثينة وأبوللون. سيأتى حقاً ذلك اليوم بالوبال على الأرجيين كافة؛ وستقتل أنت نفسك معهم، إذا استبسلت وصمدت لرمحى الطويل الذى سيمزق جلدك الناعم. وسيكون شحمك ولحمك طعاماً سائعاً لكلاب الطرواديين وطيورهم، عندما تسقط
- ٨٣٠

وسط سفن الأخيين".

هكذا قال واندفع في طريقه، وتبعه الأتباع

في ضجة وجلبة، وبدأ الجنود من ورائهم يطلقون الصيحات

٨٣٥

المدوية. ورد عليهم الأرجيون بصيحات

مماثلة ولم يتخلوا عن شيء من بسالتهم، بل صمدوا أمام

جحافل الطرواديين. وملأ صخب الحبشيين الآفاق

٨٣٧

فبلغ أنثر زيوس العلوى وأشعته البازغة.

الكتاب الرابع عشر



ترجمة السيد محمد السلام الجبوري

- لم تفت صيحات المعركة أبداً نيسطور،
إذ خاطب ابن أسكليبيوس بكلمات مجنحة قائلاً:
'أي ماخاؤون، يا شبيهي الآلهة، فكر كيف تكون نهاية هذا الموقف،
صرخات المحاربين اليواصل تدوى عاليًا عند السفن.
٥ لنبق أنت هنا، وارثف أنت من كنوس الخمر المتألقة ولتعد لك
هيكاميدى مجدولة الضفائر حمامًا دافئًا، واغسل عنك بقع الدم.
بينما سامضى أنا، توًا، إلى مكان المراقبة؛ لأستطلع الأمر
١٠ قال ذلك وأخذ درع ابنه الصفيلى
ثراسيميديس مروض الجياد، ذلك (الدرع) الملقى بالخيال
يتلألًا عليه البرونز. وكان الابن قد أخذ درع أبيه،
فأمسك (نيسطور) الرمح البرونزى الحاد المصقول
ووقف خارج الخيام، فرأى أمامه مشهدًا مشينًا. فهؤلاء (الآخيون)
يطردون ويتفرقون قلولا، وأولئك الطرواديون متحجرو
١٥ القلوب يطاردونهم، حتى تهدم حصن الآخيين.
ومتلما يتمخض البحر الهائل متورمًا بموجة هائلة،
منذرًا مجاريه السريعة (بقنوم) رياح عاصفة
متصاعدًا لا يزال، فلا هو يهرول إلى الأمام، ولا إلى الخلف،
حتى تهب عاصفة مرسله من زيوس فتقرر الاتجاه.
٢٠ هكذا، تحير الشيخ، وكان مشتبك الفكر
قثمة أمران: أن يهرع إلى حشد الدانائيين سريعى الخيول،
أو أن يقصد أجاممنون بن أتريوس راعى الشعب.
وبينما كان يتفكر، بدا له أنه من الأفضل فى هذا (الموقف)
أن يذهب إلى ابن أتريوس، بينما الآخرون يقاتلون بعضهم البعض،
٢٥ ويتر البرونز الذى لا يكل حول أجسامهم
بينما كان يعصف كل بالآخر بالسيوف والحراب مزدوجة الرؤس.

- وهناك، التقى نيسْتور بالملوك، من سلالة زيوس،
وكانوا قد أصيبوا بالأسلحة البرونزية، أثناء عودتهم من السفن،
ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أثريوس.
فكانوا قد سحبوا كل السفن
٣٠ إلى الشاطئ، وبنوا سوراً على البر ليحميها
ومع أن الشاطئ كان واسعاً إلا أنه لم يسع كل السفن،
وتكدس المحاربون في مكان ضيق. سحبوا السفن
صفاً وراء صف حتى ملأوا فم الشاطئ العريض بأكملها،
٣٥ والذي تحوطه نثوءات اليايسة.
واندفع (الملوك) جميعهم كجسد واحد متكئين على
رماحهم متلفين على الحرب والنزال، وقلوبهم تن في صدورهم.
وقابلهم نيسْتور الشيخ قادمين على هذا النحر،
فأشاع في قلوب الآخيين رعباً.
٤٠ رفع الملك أجاممنون صوته قائلاً:
"أى نيسْتور، يا ابن نيلْيوس، يا مجد الآخيين العظيم،
لماذا جئت هاهنا تاركاً المعركة الفتاكة؟
أخشى أن يفى هيكتور الهمام بتهديداته
التي توعدنا بها سلفاً، إذ كان قد خطب في الطرواديين ذات مرة
٤٥ مهدداً بأنه لن يرحل إلى إليون من السفن،
قبل أن يحرق السفن بالنار ويقتل من بها^(١).
هذا ما تفوه به، وهذا كله ما سيتحقق.
ويحى! إن سائر الآخيين المزودين بالدروع جيداً
يحملون المقت لى، مثلما يحمل أخيليوس،
٥٠ وليسوا راغبين أن يخوضوا المعركة عند مؤخرات السفن"

(١) راجع الكتاب الثامن بيت ١٨١. (المحرر)

فأجابه نيسُتور الفارس الجيرينى:

"حقاً فكل هذه التهديدات قد تحققت وبيّنت واقعاً،

ولا يستطيع مساعدتنا حتى زيوس نفسه، الذى برعد فى عليائه

٥٥ واأسفاه! الحائط تحطم، ذلك ما كنا نثق به
ونعده حصناً منيعاً لنا وللسفن.

الحق أن هؤلاء (الأعداء) يشنون عند السفن حرباً

لا هودة فيها، فلا تستطيع أن تعرف، ولو شاهدت

عن قرب، من أى ناحية يتفهم الآخيون فى فوضى،

٦٠ يتهاوون قتلى، وصيحات الحرب تبلى عنان السماء.

أما عنا، فدعنا نتفكر فيما تعنيه هذه الأمور

لو كان التعقل يجدى نفعاً، فنصيحتي ألا ندخل الحرب.

إذ ينبغى، على الجريح ألا يحارب بأية حال"

وأجابه بدوره أجاسمنون ملك الرجال:

٦٥ "أى نيسُتور، طالما أن (الطرواديين) يقاتلون وراء السفن

ولا يحمينا الخندق أو الحائط،

فإن العبء على الدانيين ثَقِيل، فقد كان الأمل براودهم

أن يحميهم الحائط المنيع ويحمى سفنهم، ومن ثم،

فظننى أنها مشيئة زيوس الباطش،

٧٠ أن يهلك الآخيون هنا بعيداً عن أرجوس.

أدركت ذلك عندما كان يساعد الدانيين بكل جبروته

وعرفت ذلك، الآن، وهو يمنح أعدائنا للمجد دوننا،

وكأنهم من الآلهة المباركة، بينما يغل قوتنا وأيدينا.

إذن تعالوا، وكما أمركم، فليطع الجميع أمرى

٧٥ لنمخر بالسفن التى سُحبت فى المقدمة بالقرب من البحر،

وندفعها جميعاً تجاه البحر الإلهى، نربطها هناك،

فى مرسى عائم، إلى أن تحل ليلة مباركة قد يكف فيها الطرواديون،

- عن القتال، وحينئذ، يمكن دفع السفن كلها (إلى البحر)
 ٨٠ فليس في تجنب الخراب عار
 فالفرار من الهلاك أفضل من الوقوع في الأسر"
 رماه أوديسيوس واسع الحيلة بنظرة ثاقبة مستنكراً وقال:
 "يا ابن أتريوس، ما ذلك الكلام الذي انفلت من بين أطراف أسنانك؟
 نبأ لك من رجلٍ، ليتك كنت تفود جيشاً ما آخر مغموراً،
 ٨٥ ولم تكن ملكاً علينا نحن، فزيوس قدّر لنا، ومنذ نعمة أظافرنا
 إلى كهولتنا، أن نخوض غمار الحرب الضروس طيلة حياتنا،
 وحتى الموت. أهكذا أنت مشتاق إلى أن تترك وراءك مدينة
 الطرواديين واسعة الشعاب، والتي من أجلها عاثينا شروراً لا تُعد؟
 ٩٠ الزم الصمت خشية أن يسمع أخيتي آخر
 هذا الكلام، فلن يجرؤ أحدُ التفوه بمثله مطلقاً.
 جديرٌ بك أن تحرص، ومن قلبك، على التحدث بالحقائق.
 فأنت ملكٌ ذو سلطان، يأتمر له جيش عريض
 من الأرجيين الذين تحكم فيهم.
 ٩٥ كم أحقر أفكارك تلك التي نطقت بها!
 فأنت تأمرنا، ونحن في ذروة القتال وصيحة الحرب،
 أن نسحب السفن متينة المقاعد إلى البحر، حتى
 يحقق الطرواديون أملهم، أكثر من ذي قبل. فهم الآن منتصرون
 وربما يحرق بنا الهلاك، فلن يستمر الآخيون في القتال،
 ١٠٠ بمجرد أن تتزلق السفن إلى البحر، بل سيتلفتون هنا وهناك
 وينسحبون من المعركة، إذن ستهلكنا خطئك، يا قائد الجيوش"
 فأجابه أجاممنون ملك الرجال:
 "الحق أنك، بئانيبك الموجه، لمست قلبي يا أوديسيوس
 ١٠٥ وأؤكد أنني لن أمر الآخيين ضد رغبتهم
 أن يرسلوا سفنهم متينة المقاعد إلى البحر

- ولو أن فيكم، صغيراً كان أو كبيراً،
من هو بمقدوره أن يسدى النصيحة السديدة فسأقبلها"
وخطب فيهم، كذلك، ديوميديس الباراع فى صيحة الحرب قائلاً:
١١٠ "إنه رجل بالقرب منا، ولن نبحث عنه لوقت طويل،
إذا وافقتم أن تصغوا لى، ولم يعرض أحدكم عنى
أو يغضب منى، إذ إننى الأصغر سنًا بينكم.
بيد إننى، أفخر بأننى من نسل والد نبيل
هو تيديوس الذى دفن تحت الثرى فى طيبة،
١١٥ حيث كان قد أنجب بورثيوس ثلاثة أولاد ليس كمثلهم أحدٌ
كانوا يقطنون بليورون وكاليدون المرتفعة
وهم أجريوس وميلاس وثالثهم الفارس أونيوس
جذى لأبى، الذى يفوقهم بمسالة.
فيقى (أونيوس) هناك، واستقر والذى فى أرجوس
١٢٠ التى ذهب إليها، وكانت تلك إرادة زيوس وباقى الآلهة
وتزوج إحدى بنات أدراستوس(*) وسكن فى قصر
غنى بثرواته، وحقوله غنية بالقمح
حوله بساتين كثيرة من أشجار الفاكهة
وأغنام كثيرة، وكان متفوقاً على كل الآخيين برمحه.
١٢٥ ولابد أنكم سمعتم بذلك وتعرفون أن ما أقوله الحق
أستحلفكم ألا تتحدثوا عنى وكأنى وضيع المولد أو قليل الشأن،
ولا تسفهوا ما سأسديه من رأى، فإنى أصدقكم القول:
هلموا إلى القتال، حتى وإن كنا مجروحين، كما تملى الضرورة
وبعد حين علينا أن ننأى بأنفسنا بعيداً عن الحرب فيما وراء
١٣٠ مرمى القذائف، خشية أن يضاف جرحٌ إلى جراحنا
ونسارع بإرسال آخرين إلى الحرب، هؤلاء الذين

(*) يرد هذا الاسم عند هومروس هكذا أدريستوس Adrestos، أما ابنته لهى ديپولى Deipule. (الخرر)

فرحوا بكونهم بعيداً، في معزل عن القتال"

هكذا تكلم، وكانوا صاغرين ينصتون باهتمام

وانطلقوا راحلين، يقودهم أجاممنون ملك الرجال

ولم يكن مزلزل الأرض المجيد (بوسيدون) يراقب الأحداث بلا وعي ١٣٥

بل كان يتتبع خطاهم عن قرب في صورة رجل كهل.

وقبض على يد أجاممنون بن أثريوس اليمنى

رافعاً صوته وخاطبه بكلمات مجنحة:

"يا ابن أثريوس، أرى، فيما أرى، قلب أخيليوس القاسي

بداخل صدره فرحاً، لرؤية هلاك الأخيين ومرارهم، ١٤٠

ولم يعد لديه ولو قدر ضئيل من العقل.

ليتة يهلك! ليت الإله يخسف به إلى أسفل سافلين!

لكن الآلهة المباركة ليست غاضبة منك البتة،

وبعد قليل سيملأ قادة الطرواديين ورؤسائهم

الوادي الفسيح بالغبار، وتراهم بنفسك ١٤٥

هاربين من السفن والخيام، ناحية مدينتهم"

قال ذلك وهرع فوق السهل وصاح بقوة،

وكان صياحه مدوياً، كصياح تسعة آلاف رجل أو ربما عشرة آلاف

عندما اشتبكوا في معركة إله الحرب (أريس) الضارية.

كانت صيحة الإله مزلزل الأرض تخرج من صدره مروعة، ١٥٠

حتى بث قوة هائلة في قلب كل رجل من الأخيين ليحارب

ويقاتل بمثابة كانت هيرا ذهبية العرش واقفة فوق قمة

الأوليمبوس تنظر إليه، وعرفته عندما كان منطلقاً

ومنهمكاً، هنا وهناك، في المعركة جالبة المجد للرجال، ١٥٥

فهو أخوها وصهرها أيضاً^(*). وكانت سعيدة من قلبها

(*) في الأساطير تزوجت هيرا من أخيها زيوس آخر برسيدون. (اغور)

- كما رأيت زيوس جالساً على أعلى قمة إيدا كثير النبايع
 وكان بغيضاً إلى قلبها، حينئذٍ فكرت هيرا الملكية
 ذات العيون الواسعة كعيون المها، كيف يمكنها خداع عقل زيوس
 ١٦٠ حامل الدرع أيجيس، فبدت هذه الخطة لديها هي الأفضل.
 وهى أن تتزين وتتجمل، وتذهب إلى إيدا، لربما يرغب أن
 يرفد إلى جانبها ويحتضن جسدها شهوة،
 وربما تستطيع أن تغدق نوماً عميقاً لذيداً على جفنيه وعقله البارع. ١٦٥
 وتوجهت إلى حجرتها التى بناها لها ابنها العزيز
 هيفايستوس، وثبت أبواباً توصل بمزاليق
 خفية على دعائم حتى لا يفتحها أى إله آخر.
 دخلت إليها وغلقت الأبواب الناصعة،
 وبدأت بأن غسلت، بعطر إلهى (أميروسيا) ١٧٠
 كل ما يشوب جمال جسدها البديع، وبغزارة دهنته بزيوت
 إلهى ناعم فواح شذاه، فاح فعلاً فى أرجاء قصر زيوس برونزى
 العتبات وانداحت الرائحة تجوب جنبات الأرض والسماء.
 ١٧٥ ملست بالعطر على جسدها الجميل، ومشطت
 شعرها وضفرت بيديها ضفائرها المتألقة
 الربانية الجميلة التى تنساب من رأسها الخالد.
 والبيست نفسها ثوباً ريانياً غزلته
 لها أثينة بمهارة فائقة، ووضعت عليه زخرفاً متأنقاً
 ١٨٠ وثبتت على صدرها مشابك ذهبية،
 وطوقت نفسها بحزام تكسوه مائة شراية.
 ثم وضعت الأقراط فى أذنيها المثقوبتين،
 لآلىء ثلاث يشع منها جمال فائق،
 وغطت الربة المتألقة نفسها بشبكة على شعرها،
 ١٨٥ وعباءة جميلة تضيء مثل أشعة الشمس،

وارتدت صندلها الجميل فى قدميها البراقنتين.

وما أن انتهت من زينة جسدها،

حتى خرجت من حجرتها، وتوًّا نادى أفروديتى

بعيذاً عن باقى الآلهة وتحدثت إليها قائلة:

١٩٠

"أى بنيتى العزيزة، ألا تستجيبين إلى ما أمالك إياه؟

أم أنك سترفضين لغضب كامن فى صدرك

بذ أقدم أنا العون للدانائين، بينما أنت تقدميه للطرواديين؟"

فأجابتها أفروديتى ابنة زيوس:

"أى هيرا، أيتها الربة الملكية، يا ابنة كرونوس العظيم

١٩٥

هات ما لديك، إن قلبى ليأمرنى أن أستجيب له

طالما أستطعت ومادام الأمر مما يمكن تحقيقه"

فقالَت المعبودة هيرا ذات المكر:

"امنحنى، الآن، الحب والرغبة اللذين بهما تقهرين كل الآلهة

٢٠٠

والبشر الفانين. وإنى ذاهبة لأزور الأرض السخية مترامية الأطراف

وأوكيانوس الذى من نسله جاء كل الآلهة^(٢)، وتيثيس

الأم فهما من ربيانى فى قصرهما بحب وإعزاز

عندما أخذانى من رياء، حيث دفع زيوس -

بعيد النظر - كرونوس ليقطن تحت الأرض والبحر الهائج.

٢٠٥

إننى ذاهبة لأزورهما ولأهدىء نزاعهما الدائم.

فقد ابتعد كل عن الآخر منذ وقت بعيد وحتى الآن

عن فراش الزوجية وعن الغرام، فإلى قلبيهما وصل الغضب.

وإذا استطعت أن أقنع قلبيهما بكلماتى،

(٢) ورد فى محاوراة لأفلاطون (Kratylos 402) ما نقل عن أورفيوس أن أوكيانوس كان أدل من تزوج، حيث

زف إلى أخته تيثيس. وهذه الفكرة عن الأوكيانوس (المحيط) النهر الذى يحيط بالأرض بوصفها أسطورة الخلق

genesis ربما تعود لأصول شرقية أو بصفة خاصة مصرية قديمة. (المحرر)

- وأعيدهما إلى قراش الحب متعانقين سيدعواننى
 ٢١٠ صديقةً أبديةً جديرةً بكونها معبودةً
 فأجابتها أفروديتى الضحوك:
 "أليق أن أقول لك لا، أوصح ذلك؟!"
 أنت يا مَنْ تَمامين بين ذراعى زيوس القدير"
 وحلت حزام السحر^(*) من صدرها، وكان سخي التطريز
 ٢١٥ مزركشاً، بكل ألوان الفتنة صنّع
 وعليه للرغبة ولذيق الكلام والإغواء،
 الذى يسلب حتى لب أحكم الحكماء،
 ووضعت بين يديها وتحدثت إليها قائلة:
 "خذى هذا الحزام المزركش الآن، وضعيه حول
 ٢٢٠ صدرك، فعليه نُفَسُ كُلِّ شَيْءٍ، وأعدك
 أنك لن تعودى بغير بغيتك مهما كانت"
 وابتسمت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها لقول (أفروديتى)
 ووضعت الحزام الجميل حول صدرها،
 ثم ذهبت أفروديتى ابنة زيوس إلى مقرها،
 ٢٢٥ بينما وثبت هيرا فى عجلة تغادر قمة الأوليمبوس
 ومرت فوق أرض بيريا وفوق إماثيا الجميلة،
 وأسرعت فوق جبال الفرسان الطراقيين الجليدية
 من أعلى قممها ولم تطأ قدمهاها الأرض،
 وسارت من أثوس، بعيداً، فوق البحر المتلاطم
 ٢٣٠ فوصلت إلى ليمنوس، مدينة ثواس الربانى،

(*) هذا الحزام الساحر الذى ترتديه أفروديتى (فينوس) ذاع فى الشعر اللاتيني يقول مارتياليس (VI, 13) مخاطباً يوليا بنت عم الإمبراطور "إذا أحب مارس أو مرسل الرعد يوبيتر من جديد، سألتك زوجاتكم الإلهات حزام الجاذبية". (المحرر)

فقابلت (إله) النوم (هينوس) هناك، شقيق (إله) الموت (ثاناتوس)
فأمسكته من يده، وخاطبته قائلة:

"أى (إله) النوم (هينوس)، يا ملك الآلهة والبشر جميعاً،
لظالما أصغيت فيما مضى إلى كلامي، فأطعنى الآن أيضاً
وسأدين لك بالعرفان طوال أيامي كلها.

٢٣٥

من أجلي هدهد عيني زيوس اليراقطين تحت جفنيه حتى ينام،
بمجرد أن اضطجع إلى جانبه عثفاً.

وسأعقد عليك الهدايا - عرشاً جميلاً لا يفنى
مصنوعاً من الذهب، سيصنعه لك بمهارة هيفايستوس ابني

٢٤٠

الذى يعرج بساقيه، وسيضع لك مسنداً للقديمين
من تحته حيث تريح قدميك اللامعتين عليه عند الطعام"

وسرعان ما رد (إله) النوم (هينوس) اللذيذ على الربة:
"أى هيرا، أيتها الربة الملكية، يا ابنة كرونوس العظيم!

إننى أستطيع ببساطة أن أهدهد

٢٤٥

للنوم أى إله آخر من الخالدين، ولو كانت

جداول نهر أوكيانوس ذاتها، تلك التي انحدرت منها الأشياء كلها.

إلا إننى لا أستطيع، بأى حال أن أدنو من زيوس بن كرونوس،
ولا أن أهدهد عينيه إلى النعاس، إلا إذا أمرنى هو نفسه بذلك.

فقد تلقنت منك، فيما مضى، درساً

٢٥٠

فى ذلك اليوم، حين أبحر الباسل المجيد

ابن زيوس (هرقل)، من إليون، بعدما دمر مدينة الطرواديين

حينئذٍ، هدهدت لك عقل زيوس حامل الدرع أيجيس للنوم

ونثرت حوله غلالة العذوبة، بينما أوغرت أنتِ شراً فى قلبك

تجاه ابنه وهيجت عواصف من الرياح القاسية على سطح البحر

٢٥٥

وألقيت (بهرقل) بعيداً عن كوؤس (كوس) الأهلة بالسكان

بعيداً عن أحبائه جميعاً، وما أن استيقظ زيوس حتى غضب

- وأخذ يدفع الآلهة، حول قصره، هنا وهناك مستهدفًا إياي
 فى المقام الأول، وكاد يلقي بى من السماء لأتوارى فى المياه
 لولا (إلهة) الليل (نوكس) التى تهدد الآلهة والرجال
 ٢٦٠ فلجأت إليها هاربًا وأنقذتنى، وكفَّ زيوس عن ملاحقتى رغم غضبه
 الشديد فكان يحترم إلهة الليل (نوكس) السريعة، ولم يكن
 ليمسها بسوء. وها أنت الآن تعيدى الكرة وتأمرينى بفعل المحال^١
 فقالت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها:
 "يا إله النوم (هيبينوس)، لم تشغل روحك بمثل هذه الأفكار؟
 ٢٦٥ هل ترى أن زيوس بعيد النظر، سيساعد
 الطرواديين بسبب غضبه من أجل هيراكليس (هرقل) ابنه؟
 تعال، سأزوجه إحدى عرائس الحسن (خاريتيس)
 وستدعى زوجتك إلى الأبد
 بأسيتيا التى تتوق إليها أنت نفوسك دومًا"^(٢).
- ٢٧٠ تهلل إله النوم (هيبينوس)، إذ سمع ذلك، وأجابها قائلاً:
 "أحفاً ستفعلين هذا؟!، تعال إذن واقسمى بمياه ستيكس الطاهرة
 وضعى إحدى يديك على الأرض، الأم السخية،
 والمسى البحر البهى بالأخرى، ليشهد كلاهما علينا
 وكذلك الآلهة كلها التى تسكن الكون مع كرونوس.
 ٢٧٥ أيمكن حقاً أن تعطينى إحدى عرائس الحسن (الخاريتيس)
 وأن تكون هى بأسيتيا التى، على مر الزمان، أتحرق لها شوقاً"
 قال ذلك، فلم تتوان هيرا الربة ذات الذراع الأبيض،
 فى أن تطيع وتقسم كما طلب منها، وأشهدت الآلهة جميعاً
 ممن يقيمون أسفل تارتاروس ويدعون باسم الجبابرة تيتانيس.
 ٢٨٠ أدت هيرا لإله النوم هيبينوس للقسم

(٢) تحذف بعض الطبعات هذا البيت رقم ٢٦٩ وفارن بيت ٢٧٦. (أغور)

- ثم رحل الاثنان عن ليمنوس وإمبروس
ومضيا متدثرين بالضباب مسرعين فى طريقهما.
وسرعان ما وصلا إلى إيذا كثير الينابيع ومرتع الوحوش
وإلى ليكتوس؛ حيث غادرا البحر أولاً وسارا الاثنان فوق
الأرض الجافة حيث اهترت قمة الغابة تحت أقدامهما.
هناك، توقف النوم إله هيبينوس لكيلا تلمحه عينا زيوس،
وتسلق فوق شجرة صنوبر شاهقة، وهى أعلى شجرة
نمت، حينئذٍ، على جبل إيذا، وكانت تتجه صوب السماء تناطح السحاب
هناك، جلس فى الظلام مستترًا بغصون الصنوبر.
واتخذ هيئة طائر عالى الصوت من طيور الجبال،
يعرفه الآلهة بخالكيس (برونزى اللون)، ويعرفه البشر بكيمينديس
(اليومة الصغيرة)^(*). وجاءت هيرا مسرعةً قرب قمة جارجاروس
حافة (جبل) إيذا الشاهق، فرآها زيوس جامع السحب
ملاً منها ناظره، وما أن وقع بصره عليها
حتى دهم العشق قلبه الحكيم وكأنما هى المرة الأولى التى انسلأ فيها
معاً إلى الفراش، وطارحها الغرام الدافئ، على غير علم والديهما^(**)
فتسمرَّ قبالئها وهمس إليها:
- "أى هيرا، ما الذى أتى بك إلى هنا من الأوليمبوس؟
ماذا تيغين؟ إن خيولك ليست معك، ولا حتى عربتك التى تعتلئها"
فأجابته المعبودة هيرا بدهاء الأنثى:
- "أتيت لأزور أقصى أطراف الأرض المثمرة
وأوكيانوس منجب الآلهة، وتيثيس أمهم،
فهما اللذان ربياني فى قصرهما بحب وإعزاز
أتيت لأزورهما، ولأهدىء نزاعهما الدائم.

(*) الاسم العلمى لهذا الطائر وهو من أكبر وأشهر الطيور الجارحة *bubo maximus*. (الحرر)

(**) يعلق أفلاطون (الجمهورية ٢٩١) على هذه الفقرة. (الحرر)

- ٣٠٥ فقد تباعدا منذ وقت بعيد، وحتى الآن،
عن فراش الزوجية وعن الغرام، فألى قلبيهما وصل الغضب.
خيولى تقف عند سفح إيذا كثير الينابيع،
لتحملني فوق اليابسة وفوق مياه البحر.
فما جئت هاهنا من الأوليمبوس إلا من أجلك،
خشية أن تغضب مني، فيما بعد، إن ذهبت دون
٣١٠ إذن منك إلى بيت أوكيانوس عميق الانسياب^{*}
فأجابها زيوس جامع السحب قائلاً:
"أى هيرا، تستطيعين أن تذهبي إلى هناك فيما بعد.
أما الآن، فتعال، حتى نسعد ونضطجع معاً عشقاً.
٣١٥ فلم يوانتى الشوق إلى ربة أو حتى إلى امرأة
بمثل ما غمر قلبي ويدفعني لإشباعه الآن.
بل إننى لم أئيم عشقاً، ولا حتى بعروس إكسيون^(*).
التي أنجبت لى بيريثوؤس، صنو الآلهة فى المشورة.
ولا شغفتنى حتى داناي، جميلة الكعبين، ابنة أكريسبيوس،
التي أنجبت لى بيرسيوس ذائع الصيت بين الرجال أجمعين.
٣٢٠ وما همت بابنة فوينيكس (يوروبا) العذراء الشهيرة
التي أنجبت لى مينوس ورادامانثيس الربانى.
ولم أئيم بسيميلى، ولا بالكمينى فى طيبة
تلك التي أنجبت لى هيراكليس الابن الشجاع للقلب.
٣٢٥ وسيميلى التي أنجبت لى ديونيسوس بهجة البشر،
ولا بالملكة ديميتير جميلة الضفائر.
ولم أشغف بليتو المجيدة، بل ولا بك أنت نفسك
بمثل ما أئيم بك الآن وتتملكنى الرغبة اللذيذة والشهوة الطاغية"

(*) هى ديا Dia وهناك أسطورة على النقيض من ذلك ترى أن إكسيون وقع فى غرام هيرا. (الغور)

- فَقَالَتِ الْمَعْبُودَةُ هِيرَا بِمَكْرٍ :
- ٣٣٠ "يَا أَكْثَرَ نَسْلِ كَرُونُوسِ هَوْلًا، مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُهُ؟!"
 إِذَا كُنْتُ حَقًّا تَهْفُو الْآنَ لِمُضَاجَعَتِي
 هُنَا، فَوْقَ قِمَّةِ إِيدَا ؛ فَإِنْ كُلُّ شَيْءٍ هُنَا مَكْشُوفٌ لِلْعِيَانِ .
 مَاذَا لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْآلِهَةِ الْخَالِدَةِ
 رَأَانَا نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ مُضْطَجِعَيْنِ، وَذَهَبَ وَفَضَحَ الْأَمْرَ لِلْآلِهَةِ جَمِيعًا .
- ٣٣٥ حِينَنَذَا لَنْ أَعُودَ إِلَى مَقْرِكِ ثَانِيَةً،
 فَبَعْدَ النَّهْوِضِ مِنْ مُضْجَعِي سَيَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ .
 نَكُنْ إِذَا كَانَتْ بِكَ رَغْبَةٌ وَيَسْعِدُ قَلْبُكَ أَنْ تُشْبِعَهَا،
 فَثَمَّةُ غُرْفَةٍ بِنَاهَا لَكَ ابْنُكَ الْعَزِيزُ
 هَيْفَايَسْتُوسُ، وَقَدْ ثَبَّتَ أَبْوَابًا مُنِيعَةً عَلَى قَوَائِمِهَا .
- ٣٤٠ فَهِيَآ نَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ، وَنَتَحَابُّ، طَالَمَا أَنَّ الْعَشْقَ يَغِيْثُكَ"
 وَأَجَابَهَا زِيُوسُ جَامِعَ السَّحْبِ قَائِلًا:
 "أَيُّ هِيرَا، لَا تَخْشَى رُؤْيَةَ إِلَهٍ أَوْ إِنْسَانٍ،
 فَسَوْفَ نَتَدَثَّرُ بِمِثْلِ تِلْكَ السَّحَابَةِ
 الذَّهَبِيَّةِ، الَّتِي رُبَّمَا مِنْ خِلَالِهَا لَنْ يَكْشِفَ أَمْرُنَا أَحَدٌ
 حَتَّى هَيْلِيُوسُ، مَعَ أَنَّ أَشْعَثَهُ هِيَ الْأَكْثَرُ نَفَازًا وَإِصَارًا"
- ٣٤٥ وَاحْتَضَنَ ابْنُ كَرُونُوسِ زَوْجَتَهُ بِذِرَاعِيهِ،
 وَأُنِيتَتِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ مِنْ تَحْتِهِمَا
 بِرَاعِمِ عَشْبٍ تَتَمَوُّ، وَرَفَعَهُمَا اللَّوْتُسُ النَّدَى وَالزَّعْفَرَانُ وَالزَّنْبَقُ
 عَنِ الْأَرْضِ، وَهَنَّاكَ اضْطَجَعَ الْاِثْنَانِ مَتَدَثَّرَيْنِ
 بِسَحَابَةٍ جَمِيلَةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَتَسَاقَطُ مِنْهَا قَطْرَاتٌ مِنَ النَّدَى الْمُتَكَلِّئِ .
- ٣٥٠ هَكَذَا، نَامَ الْأَبُ فِي هَدَوًى عَلَى قِمَّةِ جَارْجَارُوسِ،
 وَغَلِبَهُ النَّوْمُ وَالْعَشْقُ مُحْتَضِنًا زَوْجَتَهُ بَيْنَ ذِرَاعِيهِ .
 وَشَرَعَ إِلَهُ النَّوْمِ هَيْبَنُوسُ اللَّذِيذُ يَعْذُو تَجَاهَ سَفَنِ الْآخِيَيْنِ

- ٣٥٥ حاملاً رسالةً إلى (بوسيدون) طاوى الأرض ومزلزلها.
ووصل إليه وخاطبه بكلمات مجنحة:
- "أى بوسيدون، قدّم العون بقلب مطمئن للدانائيين الآن،
وامنحهم المجد، مع أنه لا يبقى طويلاً، حيث إن زيوس نائم الآن
فقد أسدلت عليه غلالة النوم المعسول
كما أغوته هيرا حتى يضاجعها عشقاً"
- ٣٦٠ قال (النوم) ذلك وارتحل إلى قبائل الرجال المجيدة
بعدما ألح في تشجيع (بوسيدون) على أن يسدّى العون للدانائيين،
وتفاضل بين صفوف المقدمة وصاح عاليًا:
- "أيها الأرجيون، هل نتخلى عن النصر هكذا مرة أخرى
لهيكتور بن برياموس، حتى يأخذ السفن ويفوز بالمجد؟
لا، وإن قال ذلك وتبجح بأنه الواقع مادام
أخيليس يركن إلى السفن المجوفة وقلبه ملىء بالغضب.
فأبداً، لن يكون افتقادنا له وبالأحرى،
إذا تشجعنا نحن الباقين ومددنا يد العون لبعضنا البعض.
تعالوا أطيعوا الأمر جميعاً
هيا نسلح أنفسنا بأفضل ما فى الجيش من دروع مثينة،
ونغطي رءوسنا بخوذات زاهية
ونقبض بأيدينا على أطول الرماح،
ونمضى إلى هدفنا، وسوف نكون قائدكم على هذه الطريق
لا أحسب أن هيكتور بن برياموس سيبقى طويلاً، مهما تكن لهفته.
- ٣٧٠ دع الظامىء للحرب ولديه درع صغير على كتفه
يعطيه للأكل منه إقداماً، وليسلح نفسه بدرع أكبر"
هكذا تكلم، فأصاخوا السمع إليه وأطاعوه
ونظّم الملوك أنفسهم، رغم أنهم كانوا مجروحين،

- ٣٨٠ في صفوف: ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أثريوس
وتخللوا الجيش كله واستبدلوا أسلحة القتال
وارتدى المحارب القوي أسلحة قوية، وأعطوا الأقل
إقداماً الأقل مثانة. وما أن كسوا أجسامهم بأسلحة براقة،
حتى تقدموا يقودهم بوسيدون مزلزل الأرض
٣٨٥ ممسكاً بيده القوية سيفاً طويلاً حاداً
يشبه البرق، لا يسمح لأحد أن
يواجهه في نزال فتاك، بل يولى الرجال الأكابر رعباً منه.
ونظم هيكتور المجيد للطرواديين صفوفاً على خط المواجهة.
والحق، أن بوسيدون ذا الشعر الأزرق الداكن وهيكتور المجيد
٣٩٠ كانا يشدان حبل الصراع الفتاك
أحدهما يقود الطرواديين والآخر الأرجيين.
وفاض البحر نحو خيام الأرجيين وسفنتهم،
واشتبك الطرفان وعلا الصخب الممدوى،
حيث لم تهج بمثله أمواج البحر المتلاطمة
٣٩٥ على الشاطئ، تدفعها رياح الشمال بورياس الجارفة.
ولم يزار، أيضاً، زفير النار المستعرة عند شعاب الجبل بمثله،
عندما تتدلع (السنة الذهب) لتحرق الغابة.
ولم تزعق الرياح بين أغصان الصفصاف العالية بمثله،
تلك الرياح التي تزار في غضبها أيما زئير.
٤٠٠ هكذا كان صياح الطرواديين والآخيين
بمثل هذا الفرع منقضين، كل فريق على الآخر.
فطعن هيكتور المجيد أياص في البداية برمح
مجرد أن استدار نحوه، ولم يخطئه
لكنه أصابه عند الحماطين؛ (حمالة) درعه و(حمالة) سيفه
٤٠٥ المزدانين بالفضة، الممتدتين عبر صدره

- فصدت (الحمالتان) الطعنة عن جلده الرقيق، فاستشاط
هيكتر غضباً لأن رمحه السريع طار من بين يديه هباءً.
عاد لينس بين رفاقه متجنباً مصيره
وبينما هو عائذ، قذفه أياس التيلاموني الباسل
٤١٠ بحجر، حيث كانت هناك أحجار كثيرة، تتدحرج بين
أقدامهم وهم يتقاتلون وبها يسندون مراسى السفن عند الشاطئ،
فرفع حجراً منهم عالياً ورمى (هيكتر) في صدره أعلى طرف ترسه
على مقربة من عنقه، فجعله، من شدة الضربة، يلف ويدور حول نفسه
كدوامة. وكما تسقط شجرة بلوط اقتلعتها صاعقة من الأب زيوس،
٤١٥ فيصعد منها دخانٌ كبير يتيّ بشع.
والحق أن الشجاعة حينئذٍ لا تعود بنفع لمن ينظر (للدخان)
ويقف منه عن قرب، فكم هي بشعة صاعقة زيوس الأعظم!
هكذا سقط هيكتر القوى منبطحاً للأمام على الأرض في التراب،
وسقط من يده الرمح، أما الترس فتخبط فوقه
٤٢٠ ومعه الخوذة، ومن حوله صلصلت أسلحته البرونزية.
وأسرع إليه أبناء الأخيين بصياح مدوى
أملأ في أن يسحبوه بعيداً، وأن يمطروه بالرماح.
لكن هيهات أن يجرح أحد راعي الجيش
بطعنة أو برمية؛ فقبل حدوث ذلك، وقف شجعان (الطرواديين) لحمايته
٤٢٥ بوليداماس وآينياس وأجيتور الربانى
وساريدون قائد اللوكيين وجلاوكوس الذى لا نظير له.
ولم يهمله أحدٌ من الباقين، بل رفعوا دونه
دروعهم المستديرة، وحمله رفاقه على أذرعهم
وأبعدوه عن ساحة الوغى، حتى وصل إلى الخيول سريعة العدو
٤٣٠ التى كانت تقف فى انتظاره خلف (ساحة) المعركة والصراع
بسائقها وعجلاتها الحربية رائعة الزخرف.

- ثم حملوه إلى المدينة وهو يئن بمرارة
ولما وصلوا إلى مخاضة النهر جميل الانسياب
كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد
٤٣٥ حملوه هناك من العجلة الحربية إلى الأرض،
وسكبوا فوقه ماءً فعاد إلى وعيه، ونظر بعينه لأعلى
وتقياً دماً قاتماً، مركزاً على عقيقه،
ثم ارتمى على الأرض وغشى ليلٌ حالكة
عينيه، فالضربة كانت لا تزال تجثم على روحه.
٤٤٠ وعندما رأى الأرجيون هيكتور محمولاً بعيداً عن المعركة.
ازدادوا هجوماً على الطرواديين واستعادوا متعة القتال.
فى البدء، هجم أياص السريع بن أوليوس
على ساتنيوس وجرحه بطعنة من رمحه الحاد،
حتى إن ابن إينوس (ساتنيوس) الذى أنجبته إحدى العرائس الفريدة
٤٤٥ لإينوس، بينما كان يرعى قطعانه بجوار ضفتى (نهر) ساتنيوس.
دنا منه ابن أوليوس (أياص) الشهير برمحه
فطعنه فى خاصرته، فسقط للخلف ومن حوله
اشتبك الطرواديون والدانييون فى صراع دام.
فأتى إليه بوليداماس بن بانثوس البارع فى رمى الرمح ؛ ليدافع عنه
٤٥٠ ففقد (الرمح) وأصاب كتف
بروثينور بن أريليكوس اليمنى وغاص الرمح القوى
فى كتفه، وسقط على التراب كابشاً براحتة الأرض.
فتهلل بوليداماس وصاح بتججع عالياً:
"يبدو أن الرمح لم ينطلق مرة أخرى هباءً من يد
٤٥٥ ابن بانثوس (بوليداماس) القوية، شديدة البأس،
بل تلقاها أحد الأرجيين فى لحمه، وأحسبه
سيتركىء عليه كعصا وهو ذاهب إلى مقر هاديس"

- وما أن تكلم (بوليداماس) حتى حل الحزن بالأرجيين
بسبب تبجحه وأثار على نحو خاص حفيظة الباراع أياس
٤٦٠ بن تيلامون، فذلك الذي هوى كان منه قريباً.
فأسرع وقذف الآخر (بوليداماس) برمحه البراق بينما كان يتراجع
وقد أفلت بوليداماس نفسه من المصير الأسود
بأن قفز جانباً، إلا أن أرخيلوخوس
بن أفتينور تلقى الرمح، وقد قدر الإله الموت له.
٤٦٥ فأصابه الرمح عند ملتقى الرأس بالعنق،
عند أعلى فقرة من العمود الفقاري، فهتك العصبين كليهما
فوقع في الحال، وارتطم بالأرض رأسه وفمه
 وأنفه، قبلما تصل ساقاه وركبته.
نادى أياس عاليًا على بوليداماس الذي لا مثيل له:
٤٧٠ "أي بوليداماس، فكر، وقل لي صراحةً
ألا يستحق هذا الرجل أن يُقتل انتقاماً
لبروثوثينور؟ فهو لا يبدو لي حقير الشأن ولا وضيع
المولد، لكنه أخ أو ابن لأنتينور مروض الخيول
فهو أكثر شبهاً به في البنية"
٤٧٥ هكذا قال، وكان يعرف (الحقيقة) كلها تمامًا،
فتملك الأسى قلوب الطروديين، وما كان من أكاماس، إذ كان
يقف فوق جثة أخيه (أرخيلوخوس) إلا أن ضرب بروماخوس
البويوتي، برمية من رمحه، إذ نوى أن يجر الجثة من القدم، وتهلل
أكاماس بفظاظة وصاح عاليًا ومتباهيًا:
"أيها الأرجيون، يا محبو القوس، يامن لا تشبعون تهديدًا ووعيدًا
٤٨٠ انظروا، لن يكون الأسى والحزن من نصيبنا وحدنا،
بل إنكم أيضًا ستعانون القتل بالمثل.

- انظروا كيف يرقد بروماخوس مقهوراً برمحى،
حتى لا يبقى طويلاً دم أخى المسفوك بلا انتقام
ولهذا، إنما يتمنى الرجل
٤٨٥ أن يخلفه أحد أقاربه فى بيته ليصد عنه الأذى
وما أن تكلم حتى لحق بالأرجيين الحزن لتلهله وزهوه
فأثار على نحو خاص روح بينيليوس الحكيم
فاندفع نحو أكاماس الذى لم يصمد أمام هجوم الأمير بينيليوس.
ولكن الرمح أصاب إليونيوس
٤٩٠ بن فورباس الغنى بالقطعان، والذى أحبه هرميس
من بين الطرواديين أجمعين، ومنحه الثروة
وأنجبت الأم له طفلاً وحيداً (من هرميس) هو إليونيوس.
طعنه بينيليوس أسفل جبينه، عند قاع العين
٤٩٥ فاقتلع مقلته، ونفذ الرمح خلال الحدة حتى قفاه، انطرح باسطاً
يديه كليهما، ومحبب بينيليوس سيفه الحاد وضربه
بقوة على عنقه، فأسقط رأسه على الأرض بالخوذة
وبات الرمح النافذ منتصباً فى عينيه.
ورفعه (بينيليوس) لأعلى كزهرة خشخاش على ساقها
٥٠٠ وعرضه على الطرواديين وتهلل بزهو قائلاً:
"أيها الطرواديون، أرجو أن تبلغوا العزيز والد إليونيوس
المبجل ووالدته أن ينتحبا فى بيتهما،
فلن تسعد زوجة بروماخوس بن أليجينور بمجىء
زوجها العزيز، بينما نعود نحن شباب
٥٠٥ الأخيين بسفنتنا من أرض طروادة"
- قال ذلك، فتملك الارتجاف أطرافهم جميعاً
وأخذ كل رجل يحملق ليرى كيف يمكنه أن يهرب من الهلاك المؤكد

- خبرتنى، الآن، ياربات الفنون (الموساى)، يا مَنْ نُقطن
الأوليمبوس مَنْ كان أول الآخيين الذى يملب غنائم المحاربين الملطخة
بالدم إذ بدّل مزلزل الأرض الشهير، وفجأة، (مجرى) القتال؟ ٥١٠
الحق أن أياس بن تيلامون كان الأول، فقد ضرب هيرتيوس
بن جيرتيوس قائد الميسيين شجعان القلوب.
وجرد أنتيلوخوس كلاً من فالكيس وميرميروس (من أسلحتهم).
أما ميريونيس فقتل موريس و هيبوتيون.
كذلك تيوكروس فذهب بروثوون وبيريفيتيس. ٥١٥
وضرب ابن أترىوس بعد ذلك هيبيرينور راعى الشعب برمية
فى جنبه، حتى غاص البرونز فى أحشائه عندما اخترقها
وتصاعدت روحه لاهثة من خلال الجرح الغائر، وطوى الظلام عينيه
لكن أياس السريع ابن أويليوس قتل أكثر (من سواه)، ٥٢٠
فلم يكن له مثيل فى النضال، فى سرعة قدمه
وسط حشد الرجال، عندما نشر زيوس الرعب بينهم. ٥٢٢



الكتاب الخامس عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

- وعندما مرَّ الطرواديون بالتحصينات وبالخندق هاربين،
وسقط العديد تحت أيدي الدانيين،
حينئذٍ، ترققوا إلى جانب عجلاتهم الحربية وقد شحبت لونها
خوفاً ورعباً. نهض زيوس
فوق قمة إيدا من مرقدته إلى جوار هيرا ذهبية العرش،
نهض واقفاً، فرأى الطرواديين والآخيين.
وكان (الطرواديون) في فوضى يدفعهم الأرجيون
من خلفهم، وبينهم يقف الإله بوسيدون.
كما رأى هيكتور ملقى على السهل، ويجلس أصدقاؤه
حوله، يلثث بأنفاس متألّمة ومشتت الذهن
ينقياً دماً، فلم يكن الذى ضربه هو أضعف الآخيين.
وعندما رآه، أبو الآلهة وأشفق عليه
وتحدث إلى هيرا وهو يرمقها بنظرة عابسة من أسفل حاجبيه:
"أى هيرا، أيتها العنيدة، ياله من خداع بارع شرير،
أفعدت به هيكتور الربانى عن القتال ودحرت جيشه.
ولكن قد تكونين أنت أول من يجنى ثمار
خداعك الآثم، سوف أجلك بالسوط.
هل تتذكرين يوم أن علقك من علٍ،
وفى قدميك ربطت حجرين، وحول معصميك سبكت
سلسلة من الذهب لا تنكسر؟ تدليت فى الهواء بين السحب
واشدت سخط الآلهة، فى أرجاء الأوليمبوس الشاهق،
ولكنهم لم يستطيعوا أن يدنوا (منك) ويفكوا وثاقك، ومنْ أمسكته منهم
ألقيت به من حدود (مملكتي) ليرتطم
بالأرض بلا حول ولا طول. ولم يكفى ذلك، ولم يخفف آلام القلب
الدائمة، على ما أصاب هرقل الإلهى

- الذى، عندما تحالفت مع رياح الشمال بورياس وأقنعتها بالهيبوب،
 دفعت به إلى البحر الهائج بتدبيرك الشرير،
 وقذفت به بعيداً إلى كوس الأهلة بالسكان.
 ومن ذلك المكان أنقذته أنا وجئت به إلى أرجوس
 ٣٠ مرعى الجياد، بعدما قاسى أهوالاً كثيرة^(١). إننى أذكرك، ثانيةً،
 بهذه الأشياء لربما تكفى عن المكر، وسترين، تَوّاً، ما إذا كانت
 مداعباتك
 الغرامية ستفيدك عندما جئت إلى ومارسنا الحب، بعيداً عن الآلهة،
 لقد كان كل ذلك خداعاً منك"
 قال ذلك، فارتجفت المليكة هيرا واسعة العينين كالهما
 ٣٥ وتحدثت إليه بصوت مرتعد:
 "الآن، لشهد الأرض (جايا)، وكذلك السماء (أورانوس) الرحبة
 ومياه ستيكس المتدفقة،
 فهذا هو القسم الأعظم قداسة لدى الآلهة المباركة،
 أقسم برأسك المقدسة، ومضجعنا نحن الاثنين،
 ٤٠ الذى لا أستخف بالقسم به ،
 أن بوسيدون مزلزل الأرض لم يدحر الطرواديين،
 ولم يؤذ هيكتور، ولم يساعد أعداءهم بإيعاز منى.
 كلاً، أحسب أنها روحه التى ألحت عليه وأمرته بذلك.
 فهو قد رأى الآخرين مهزومين بخزي إلى جوار سفنهم وأخذته بهم
 ٤٥ الشفقة. بل إننى أخبرك بأننى نصحته بأن يسير فى هذا الدرب
 الذى تشير عليه أنت، يا ملك السحاب"
 فتيسم أبو الآلهة والبشر عندما سمع ذلك
 وأجاب بكلمات مجنحة قائلاً:

(١) إشارة ضمنية للأعمال الاثني عشر التى قام بها هرقل. (الغور)

- ٥٠ "لو صدقت حقاً نيتك يا هيرا، يا مليكتي واسعة العينين كالمها،
بما يتفق مع نيتي، عندما تجلسين بين الآلهة الخالدين،
سيغير بوسيدون رأيه سريعاً ليتبع ما فى قلبك
وقلبي، مهما تعارضت رغبته معنا.
وإذا كنت حقاً صادقة فى قولك
فلتذهبي، الآن، إلى جماعات الآلهة، واطلبي
إيريس أن تأتى إلى هنا، وكذلك أبوللون الشهير بقوسه
٥٥ ذلك لكى تجوس إيريس بين جيوش الأخيين
لابسى الأسلحة البرونزية، وتأمر الإله بوسيدون
أن يكف عن القتال، وتأخذه إلى بيته.
أما فوبيوس أبوللون، فليبحث هيكتور على القتال
٦٠ وليبث فيه القوة من جديد، وينسيه آلام قلبه
الموجعة، حتى يقهر الأخيين مرة أخرى،
بأن يثير فيهم الرعب والجبن،
حتى يهربوا مدحورين بين سفن أخيليوس بن بيليوس
ذات المقاعد الكثيرة. وبدوره سيرسل صديقه
٦٥ باتروكلوس الذى سيفتله هيكتور المجيد
برمح أمام إليون، بعدما يكون هو نفسه قد قتل
محاربين صناديد كثيرين، من بينهم ابنى سارييدون الإلهي.
وسوف يقتل أخيليوس الإلهي هيكتور، غضباً لمقتل
صديقه باتروكلوس. ومن الآن فصاعداً، سأجعل الطرواديين
٧٠ يتقهقرون بعيداً عن السفن، حتى يفتح الأخيون
إليون الشاهقة عملاً بنصائح أثينة.
وحتى ذلك الحين، لن أكبح جماح بطشى، ولن أسمح بأن يقدم
أى (إله) آخر من الخالدين، العون للدانائيين

- إلى أن تتحقق رغبة ابن بيليوس (أخيلئوس)،
 ٧٥ كما وعدت في البداية وأومأت كذلك برأسى،
 يوم أمسكت الإلهة ثيتيس ركبتي متوسلة
 أن أمجد أخيلئوس مدمر المدن"
- تابعت هيرا بيضاء الذراعين بانتباه شديد كلمات (زيوس)
 وانصاعت لها، وأسرعت من جبال أيدا وحتى الأوليمبوس الشاهق
 ٨٠ منطلقة كما تتطلق أفكار عقل رجل رحل
 إلى أراض بعيدة، يتفكر بقلب حكيم
 "ليتني أكون هنا أو هناك"، وكثيرة كانت الأمنى التي راودته.
 هكذا، انطلقت المعبودة هيرا فى لهفة
 ووصلت إلى الأوليمبوس الشاهق، فألقت الآلهة الخالدين
 ٨٥ مجتمعين فى بلاط زيوس، وعندما رأوها
 قاموا وحيوها بكنوس الترحاب.
 ومن جانبها، أهملت الآخرين، وتناولت الكأس
 من ثيميس جميلة الوجنات، فهي أول من هممت
 لاستقبالها، وحادثتها بكلمات مجنحة:
 ٩٠ "لماذا جئت يا هيرا كالمذهولة؟
 لابد أن ابن كرونوس زوجك قد أفزعك"
 فأجابتها المعبودة هيرا بيضاء الذراعين:
 "لا تسألينى، أيتها الإلهة ثيميس، عن هذه الأشياء، فأنت
 نفسك تعرفين طبيعة مزاجه، فكم هو متعطر متعجرف!
 ٩٥ لكن ابدئى المأدبة المقدمة للآلهة فى القصر،
 وستسمعين هذه الأشياء وسط الخالدين أجمعين،
 ستمسمعين أى أعمال سيئة يعلنها زيوس، أحسب

أنها لا تسر قلب أى فرد من البشر أو الآلهة،
حتى لو كان هناك مَنْ هو سعيد الآن"

١٠٠

وما أن قالت المعبودة هيرا ذلك حتى جلست
واستشاط الآلهة غضبًا فى منزل زيوس، لكن (هيرا) تَبَسُّمت
بشفتيها، ومن فوق حاجبيها الداكنين لم يتراخ جبينها المقطب
وتحدّثت بينهم جميعًا فى قنوط:

١٠٥

"يا لنا من حمقى، حتى فى حمقنا نغضب من زيوس،
لكننا دائمًا ما نشّاق إلى أن نتقرب منه، ونعوق إرادته
إما بالقول أو بالجبروت، بينما هو يجلس بعيدًا لا يبالي
ولا يهتم، فهو يعلن أنه بين الآلهة الخالدة
هو الأكثر قوةً وقدرةً بلا منازع.

١١٠

وبناءً عليه، فأنتم أنفسكم قانعون بالشر الذى يلقي به أيًا منكم
وأحسبه، الآن، يضمّر شرًا لأريس.
هلك ابنه فى المعركة، وهو أعز الرجال
إسكالافوس الذى زعم أريس بقوة أنه ابنه"
براحتى يديه لطم أريس على فخذه، إذ سمع ذلك،
وتكلم منتحبًا :

١١٥

"لا تلومونى، الآن، يا من تسكنون الأوليمبوس،
إذا ذهبت إلى سفن الأخيين وانتقمتم لمقتل ابنى،
حتى وإن كان قدرى أن أضرب بصاعقة من زيوس
وأرقد هناك فى الدم والتراب بين الجثث"

١٢٠

وما أن قال ذلك، أمر (إله) الرعب (ديموس) و(إله) الخوف
(فوبوس) أن يسرجا خيوله، أما هو فقد لبس أسلحته البرّاقة
حيثنّز كاد ينشب نزاع أعظم وغضب لم يسبق له مثيل

- ما بين زيوس وباقي الخالدين، إن لم تسرع أثينة
عبر البوابة، يتركها الخوف على الآلهة
أجمعين، إذ كانت قد غادرت العرش الجالسة عليه
١٢٥ وأخذت الخوذة من فوق رأس آريس وكذلك الدرع من
كتفيه، كما أخذت الحربة البرونزية من يديه اللويتين
ووضعتها جانباً، ثم وبخت آريس الغاضب بالكلمات:
"أيها المجنون مختل العقل، أودى بك الغضب
حقاً فلك أذن لا تسمعان شيئاً، ولا إدراك لديك ولا حياة
١٣٠ ألم تسمع ما قالته الربة هيرا بيضاء الذراعين
بعد أن عادت من حضرة زيوس الأولمبي منذ هنيهة؟
هل ترمع أن تكمل الوليات الكثيرة
وأن تعود بالخزي مكرهاً إلى الأوليمبوس، وأن تجلب
علينا جميعاً الشر الأعظم؟
١٣٥ إنه سيترك لتوه الطرواديين شديدي الهمة، والآخين
ويسرع إلى الأوليمبوس لكي يقهرنا نحن هنا أجمعين،
سيطش بنا جميعاً، المذنب وغير المذنب، على حد سواء
لذا، أنصحك بالتخلص من غضبتك من أجل ابنك الآن.
فكثيرون ممن يفوقونه بأساً وقوة قد قُتلوا
١٤٠ من قبل، أو سيقتلون يوماً ما، ومن العسير
أن تصون البشر ونسلهم جميعاً"
قالت ذلك وأجلست آريس الجامع على العرش
حينئذٍ دعت هيرا، أبوللون إلى خارج القصر،
وكذلك إيريس رسول الآلهة الخالدة
١٤٥ وتحدثت إليها بكلمات مجنحة قائلة:
"يامر زيوس كليكما أن تذهبا إلى إيذا بأقصى سرعة

- وما أن تصلا إلى هناك، وتريا وجه زيوس
امتثلا، حينئذ، إلى ما يحكم به و بأمر"
وعندما قالت المليكة هيرا ذلك، عادت ثانية
ونزبت على عرشها، وانطلق كلاهما مسرعين
١٥٠ حتى بلغا إيذا كثيرة الينابيع وأم الوحوش.
فألفيا ابن كرونوس بعيد النظر جالسا على قمة جارجاروس،
تحوم حوله سحابة فواحة من شذى البخور.
دنا الاثنان من حضرة زيوس جامع السحاب
١٥٥ وإذ رآهما، لم يتقد قلبه غضبا
لأنهما اتبعا على الفور أوامر زوجته العزيزة.
فى البداية خاطب إيريس بكلمات مجنحة:
"أى إيريس السريعة، انهضى واذهبى إلى الملك بوسيدون،
خبريه بكل هذه الأشياء، واحذرى أن تكون رسالتك كاذبة.
١٦٠ مريه أن يكف عن القتال ويتوقف عن الحرب،
وأن يذهب ليلحق بجماعة الأرباب أو ينزل إلى البحر الإلهى.
وإن أغفل أوامرى ولم يمتثل لها،
حينئذ، فدعيه يفكر بعقله و قلبه،
فهو لا يملك من الشجاعة، مهما يكن قويا، ما يواجه به
١٦٥ هجمتى، وأعلن أننى أفوقه قوة،
وأنى أكبر منه سنا، إلا أن الكبرياء تركب قلبه العزيز
فيعد نفسه مساويا لى، و(أنا) الذى يهابه الآلهة الآخرون"
وما أن قال ذلك، حتى انصاعت للأوامر وانطلقت إيريس السريعة
ممتطية الريح، أن تنصاع فهبطت من تلال إيذا إلى إليون المقدسة.
١٧٠ وكما تتطاير نفق الثلج، أو وابل الصفيح من السحاب
مدفوعة بزوبعة من الرياح الشمالية (بورياس) التى تهب عبر أثير

شفيف، هكذا انطلقت بمنال هذه الهممة إپريس السريعة، متلهفة
ودنت مخاطبة مزلزل الأرض الشهير:

- "أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، لقد جئت
إليك ها هنا برسالة حاملة إياها من زيوس حامل الدرع أيجيس. ١٧٥
إنه يأمر أن تكف عن الحرب والقتال،
وأن تذهب لتتحق بجماعة الأرباب أو تنزل إلى البحر الإلهي.
أما إذا عصيت أوامره، ولم تطعها
فإنه يهدد بأنه سيأتى إلى هنا بنفسه ويضع قوته
ضدك فى المعركة، ويأمر أن تنأى بنفسك بعيداً عن ١٨٠
يديه، فهو يعلن أنه يفوقك قوة بكثير،
وهو الأسبق مولداً، ومع ذلك فإن قلبك العزيز لا يتورع
عن الإعلان بأنك تضارعه، وهو من تهابه الآلهة الآخرون"
استشاط مزلزل الأرض الشهير غضباً وتحدث إليها قائلاً:
"تباً، فرغم أنه قوى حقاً، فهو يتحدث بصلف، ١٨٥
وكأنه يستطيع أن يقهر بالقوة من يعادله جلالته.
فنحن إخوة ثلاثة، أنجبنا كرونوس وريا:
زيوس، ثم أنا، وثالثا هاديس، وهو ملك الأموات من تحتنا.
قسمت بيننا نحن الثلاثة كافة الأشياء، وتعين لكل منا نصيبه.
وعندما ضربت القرعة، كان البحر الرمادى نصيبى ١٩٠
ليصير مسكنى إلى الأبد. وفاز هاديس بالظلام الدامس،
بينما كانت السماء الشاسعة وسط الأثير والسحاب لزيوس.
وبقت الأرض والأوليموس الشاهق مشاعاً لنا جميعاً.
وبالطبع لن أذعن لزيوس مهما يكن قوياً
دعيه يقيم فى سكنة فى نصيبه الخاص به، ١٩٥
ولا يحاول أن يرهنى ببطش يده، كما لو كنت جبناً.

- فالأفضل له أن يوجه تهديداته إلى أبنائه و بناته،
 فهم الذين أنجيهم هو نفسه
 وينصاعون إلى كل ما يأمر به مكرهين"
- ٢٠٠ فأجابته إيريس السريعة، ممتطية الريح:
 "أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، أوجب حقاً
 أن أحمل إلى زيوس هذه الرسالة الخشنة والعنيدة؟
 ألم تتغير بعد؟ فقلوب الأخيار تلين
 وإنك لتعلم كم تنساق الإبرنيات لصالح الأكبر"
- ٢٠٥ فأجابها مزلزل الأرض بوسيدون:
 "أيتها الإلهة إيريس، لقد قلت شيئاً طيباً وبحكمة.
 هذا شيء رائع حقاً، أن يكون للرسول قلب واع،
 إذ يزعم زيوس أن يوبخنى بكلمات قاسية،
 بيد أن المأ ثقبلاً حط على قلبى وعقلى
- ٢١٠ أنا الذى نلت نصيباً معادلاً لنصيبه فى التكريم وفى القسمة.
 وسأخضع هذه المرة، رغم حنقى عليه،
 وسأخبرك بشيء آخر، إذ سأعلن الوعيد الذى بقلبى
 فإذا كان سيدافع عن إليون الشاهقة ويحول دون تدميرها -
 رغماً عنى، وعن أثينة حاصدة الغنائم،
 وعن هيرا، وعن هرميس، وعن الملك هيفايستوس،
 وإذا كان لن يمنح الأرجيين قوة عظيمة
 فليعلم أنه سينشب بيننا غضب لن يهدأ"
- وما أن قال مزلزل الأرض ذلك تاركاً حشد الآخرين
 حتى أسرع نحو البحر، وقفز فيه فاقتدته الأبطال الآخيون.
- ٢٢٠ ثم خاطب زيوس جامع السحب أبوللون هكذا:

- "أيها العزيز فويبوس، اذهب، الآن، إلى هيكتور ذى الخوذة
البرونزية فقد ذهب، الآن، طائى الأرض ومزلزلها
إلى البحر الإلهى متحاشياً غضبنا الشديد
وإلا لسمع الآخرون ضوضاء نزعنا
حتى آلهة العالم السفلى مع كرونوس.
ولكن كان ذلك هو الأفضل لكلينا، لى وله،
حيث رضح لقوة يدى، رغم غضبه
وإلا لما انتهى الأمر دون تعب.
لكن، أمسك الدرع المصقول (أيجيس) فى يدك،
ارفعه عاليًا وهزه بعنف لترهب به الأبطال الآخرين.
أما أنت يا بعيد القذائف، ليكن هيكتور المجيد
تحت رعايتك، وفى أثناء ذلك أبعث فيه قوته الهائلة
حتى يفر الآخيون إلى سفنهم وإلى الهيليسبونطوس.
وبعد ذلك سأندبر الأمر وماذا أفعل وماذا أقول
لأرفع عن الآخرين العناء ".
وما أن قال ذلك، لم يتوان أبوللون فى طاعة والده
بل هبط فوراً من فوق تلال إيدا كالصقر السريع
قاتل اليمام، وأسرع للكائنات المجنحة.
فوجد هيكتور الإلهى بن برياموس حكيم القلب
جالسًا، فلم يعد راقدًا بعد، وقد استرد وعيه،
وتعرف على رفيقه من حوله، وقد توقف لهائته وعرقه،
إذ أحيطه إرادة زيوس حامل الدرع أيجيس.
فدنا منه أبوللون، بعيد القذائف، وخاطبه:
"أى هيكتور، يا ابن برياموس، لماذا أنت قابض هنا
بعيدًا عن الباقين وقد خارت قواك؟ قل لى هل أصابك مكروه؟"

فأجابه هيكتور ذو الخوذة اللامعة بإعياء:

"مَنْ من الآلهة أنت، أيها النبيل يامن تسألنى وجهاً لوجه؟

ألا تعرف أنه بينما كنت أفنك بالمحاربين،

عند مؤخرات سفن الأخيين ضربنى أياس

٢٥٠ البارع فى صيحة الحرب، فى صدرى بحجر فقضى على قوتى؟

نعم، عندما كدت ألفظ روحى العزيزة

اعتقدت أننى فى ذلك اليوم سأرى الموتى ومقر هاديس"

فتحدث إليه الملك أبوللون، بعيد القذائف، مرة أخرى:

"تشجع الآن، إنه لقوى ذلك المعين الذى أرسله ابن كرونوس

٢٥٥ من أيدا، ليقف إلى جانبك ويحميك،

إنه فويبوس أبوللون ذهبى السيف، الذى

طالما حماك من قبل، وحمى القلعة الشاهقة أيضاً.

فلتأت، الآن، ولتأمر سائقى العجلات الحربية الكثيرين

أن يقدوا خيولهم السريعة نحو السفن المجوفة

٢٦٠ وسأقدمهم أنا نفسى، وسأشهد الممرات للخيول

كلها وسأجبر الأبطال الأخيين على الفرار"

ولم يكذبته حديثه حتى نفث قوة هائلة فى راعى الشعب

ومثل جواد مربوط فى معلفه^(*)، تغذى جيداً

وفك قيده، يجرى منطلقاً فى السهل مثلها على الاغتسال

٢٦٥ فى النهر رائع الاتسياب، صاهلاً ورافعاً رأسه عالياً،

تميل خصلات لبدته على كتفيه وتحمله مفاصله برشاقة

مزهواً بطلعته البهية، يجرى نحو مأوى الخيول ومراعيا

هكذا كان هيكتور بمثل هذه الرشاقة، يحرك قدميه وركبتيه،

(*) هذا التشبيه مكرر، إذ سبق أن ورد فى الكتاب السادس أبيات ٥٠٦ وما يليه. (الحرر)

- ٢٧٠ مشجعاً سائقى عجلاته الحربية، عندما سمع صوت الإله.
وكما يحدث عندما يلاحق الريفيون و الكلاب
أيلًا ذا قرون، أو عنزة برية، فتتقذه
منهم صخرة متحدرة، أو أيكّة ظليلة
فلم يُقدّر لهم أن يصلوا إلى صيدهم، حينئذٍ يظهر
٢٧٥ على صياحهم فى الطريق أسدٌ أشعث فيجبرهم، جميعًا،
على الفرار عائدين، رغم لهفتهم على صيدهم.
هكذا كان الدانائيون يهاجمون محشّدين
ويضربون بسيفهم وزمّاحهم ذات الحدين،
لكن ما أن رأوا هيكتور يهاجم صفوف رجالهم الأمامية
٢٨٠ حتى أصابهم الذعر وخرّت قلوب كل الرجال فى أقدامهم.
عندئذٍ خطب فيهم ثواس بن أندرايمون خير الفرسان الأيتوليين،
الماهر جدًا فى إطلاق الرمح وكان أيضًا بأسلاً فى الاشتباك،
وفى الحديث أمام الجمع فى ساحة الاجتماعات وربما لا يفوقه
إلا أقل القليل من الآخرين، عندما يجتهد الشباب فى المناظرة.
٢٨٥ وبنيّة طيبة تكلم إلى جموعهم قائلاً:
"انظروا الآن، الحق أن ما تراه عيناي هو العجب العجاب!
فكيف قام هيكتور الآن من جديد وتجنب القدر،
بعد أن تمنى قلب كل منا موته على يد أياش بن تيلامون.
٢٩٠ لكن أحد الآلهة نجّى هيكتور وأنقذه مرة أخرى،
ذلك الذى حلّ ركب الكثيرين من الدانائيين.
وأحسب أنه سيعيد الكرة مرة أخرى على الفور، فدونها
مشيئة زيوس ذى الرعد المدوى، ما كان (لهيكتور) أن يقف هكذا بطلاً
فى الصف الأول. تعالوا إذن وليطع الجميع ما أمر به
٢٩٥ لنجعل الحشود، الآن، تعود إلى السفن مرة أخرى

- أما نحن، من نزعم أننا الأقوى والأشجع
لنفق ولنكن أول من يصده ويرده
برماحنا المشهورة، فإنه سيهاب من أعماق
قلبه، رغم لهفته، أن يحل وسط حشد الدانائيين"
- ٣٠٠ هكذا، تكلم، وأصغوا هم إليه تمامًا وأطاعوه،
فيؤلاء الذين كانوا في صحبة الثنائي ألياس والأمير إيدومينيوس
وتيكروس وميريونيس وميجيس صنو إيريس
نادوا على القادة وصفوا صفوف المعركة
في مواجهة كل من هيكتور والطروانيين، لكن الحشود
من ورائهم ترجعت إلى سفن الآخيين.
- ٣٠٥ حينئذ، هاجم الطرواديون في حشود متلاصقة يقودهم هيكتور
متقدمًا بخطى واسعة، وذهب أمامه فويبوس أبوللون
تطوق كتفيه سحابة، يحمل الدرع الرهيب (أيجيس)
وضاء البريق، المطوق بأهداب شعناء، وهو الدرع الذي أعطاه إله
الحدادة هيفايستوس إلى زيوس ليستخدم في بث الرعب
- ٣١٠ بين الرجال، فحملة (أبوللون) في يديه، بينما كان يقود الجيوش.
وكان الأرجيون في حشود متلاحمة منتظرين قدومهم،
وقد علت صيحات القتال مدوية من كلا الجانبين، ومن أوتار
الأكواس انطلق وابل الرماح وقد أطلقتها أيد قوية،
- ٣١٥ فغاص بعضها في لحم المقاتلين البواسل، والكثير منها لم يصل
إلى اللحم الأبيض، بل طاش ووقع في منتصف الطريق وانغرس
منتصبًا في الأرض وسط الطريق، وكلها عطشى للارتواء من الدماء.
ومادام فويبوس أبوللون قد أمسك الدرع أيجيس بيديه دونما حركة،
باتت قذائف الجانبين تصل إلى أهدافها، وتساقطت الحشود.
- ٣٢٠ وما أن حثق (أبوللون) في وجه الدانائيين سريعي الخيول،

- وهزّ الدرع، وصاح هو نفسه بقوة، حينئذٍ
وهنت القلوب فى صدورهم، وتلاشت قوتهم الشديدة.
ومثلما يحدث لقطيع هائل من قطعان الثيران أو الأغنام
إذ يهاجمه وحشان ويطردانه فى فوضى، فى ظلمة
حلكة، وقد باعته، فى غفلة من الراعى،
هكذا كان الآخيون، إذ أصابهم ذعرٌ لا مُعين عليه.
حيث أحلّ أبوللون بهم الرعب، ومنح المجد للطرواديين ولهيكتور.
عندئذٍ اندلع القتال، وتبارز الرجال
فقتل هيكتور مستيخيوس و أركيسيلائوس.
فكان أولهما قائداً لليوونيين، أما الآخر
كان رفيقاً وفياً لمينيسثيوس شديد البأس.
وقتل آينياس ميدون وياسوس،
وكان ميدون ابناً غير شرعى لأويليوس الإلهى
فهو أخو أياس، لكنه أقام فى فيلاكى
بعيداً عن وطنه، ذلك لأنه قتل أحد أقارب
إريوبيس زوجة أبيه، والتي تزوجها أويليوس.
أما ياسوس، فكان قائداً للأثينيين
إلا أنه كان يدعى ابن سفيوس بن بوكولوس.
وقتل بوليداماس ميكيسثيوس، أما بوليتيس فقتل إخيوس
فى الجبهة الأمامية للقتال. أما أجينور الإلهى فقتل كلونيوس.
لكن باريس ضرب ديوخوس من الخلف، وهو يهرب فى مقعدة صفوف
المحاربين، ضربه عند أسفل كتفه، وغرس الرمح (فى لحمه). كان
(الطرواديون) على وشك أن يسلبوا الأسلحة عن هؤلاء، فى الوقت الذى
كان فيه الآخيون يتدفعون إلى الخندق المحفور المحاط بالتحصينات
فارين مشتتين هنا وهناك، وأرغموا على الاختباء وراء التحصينات.

- صاح هيكتور عاليًا ونادى على الطرواديين:
 "هلموا إلى السفن، وأتركوا الغنائم المملوطة بالدماء،
 ومن سأراه مُحجماً عن السفن
 سأدبر موته فوراً وفي ذات مكانه، ولن يقدم له
 ٣٥٠ أقاربه أو قريباته حقه الواجب من النار للدفن بعد موته
 بل ستنهشه الكلاب أمام مدينتنا"
- قال ذلك، وهوى بالسوط على خيوله بضربة قوية ونادى على
 الطرواديين عاليًا عبر الصفوف، فاستجابوا له جميعًا بصيحات مدوية.
 ومعه ساقوا الخيول التي تجر عرباتهم الحربية
 ٣٥٥ بصخب لا يمكن وصفه، وأمامهم فوبوس أبوللون
 يحطم بقدميه في يسر حافتي الخندق العميق
 ويلقي بهما في وسطه، فأقام هكذا جسرًا
 طويلًا وعريضًا بطول مرمى رمح، يقذف به محارب مجربًا قواه.
 ٣٦٠ فتدفقوا عبره فرقًا فرقًا يتقدمهم أبوللون
 حاملًا الدرع أيجيس النفيس، وقد حطم حائط الأخيين
 بسهولة، مثلما يبعثر صبي الرمال بجوار البحر لاعباً
 مثل طفل، يكوم للرمل أكواماً
 ثم يبعثرها ثانية بيديه وقدميه وهو يلهو.
 ٣٦٥ بهذه البساطة بعثرت يا فوبوس، يا رامي السهام، أعمال
 الأرجيين وجهدهم، وألقيت الرعب في نفوسهم.
 وعندما مكث (الأرجيون) بجانب سفنهم
 وباتوا ينادون الواحد على الآخر رافعين أيديهم،
 يبتهل كل منهم بحماس إلى الآلهة أجمعين،
 ٣٧٠ وبخاصة نيسطور الجيريني حارس الأخيين

الذى تضرع رافعاً يديه إلى السماء المزدانة بالنجوم قائلاً:

"أبتاه زيوس، إذا كان أى رجل منا، حتى ونحن لا نزال فى

أرجوس الغنية بالقمح، قد قدم لك السمين من فخذ ثور أو كبش قرباناً،

ضارعاً أن يعود، ووعدت أنت حينئذٍ وأومات برأسك

فلتتذكر الآن هذه الأشياء، وقنا، ياسيد الأوليمبوس، من يوم ٣٧٥

لايرحم، ولا تدع الآخرين ينهزمون هكذا أمام الطرواديين"

هذا ما قاله ضارعاً، فأرعد زيوس ذو النصح السديد بشدة

عندما سمع تضرع الشيخ الممس ابن نيلبوس.

ولما سمع الطرواديون رعد زيوس لابس الدرع أيجيس

اشتد هجومهم على الأرجيين واسترجعوا روح البسالة فى القتال. ٣٨٠

ومثلما تعصف موجة شديدة من بحر مديد،

بجانبي سفينة، دفعتها قوة الرياح فتزداد الأمواج ارتفاعاً،

هكذا اندفع الطرواديون فوق الحائط بزئير مدو

يسوقون خيولهم داخله، ويحاربون عند مؤخرات السفن ٣٨٥

من فوق الخيول برماح ذات حدين فى قتال مضطرم.

وحارب (الآخيون) من فوق متون سفنهم السوداء التى تسلقوها،

حاربوا برماح طويلة من تلك التى كانت ملقاة بجوار السفن لأجل

المعركة البحرية، وكانت (رماح) مقواة مصقولة أطرافها بالببرونز^(*).

وبينما كان الآخيون والطرواديون. ٣٩٠

يقفائلون، كان باتروكلوس - حول الحائط بعيداً عن السفن -

جالساً فى خيمة يوريبيلوس المحارب طيب القلب

يؤنسه بحديثه ويضمّد جرحه المؤلم بدواء، ليلطّف من آلامه الرهيبة.

وما أن رأى الطرواديين متدفعين تجاه الحائط، ٣٩٥

(*) كانت هذه الرماح تستخدم لمح الأعداء من ركوب السفن وكذا للدفاع عن السفن الراسية كما هو الحال

الآن. (أخرون)

ورأى الدانائيين يتراجعون فلو لا تولول بصرخات مدوية
تأوه وضرب فخذه براحتي
يديه وصرخ في فزع قائلاً:

"أي يوريبيلوس، إنني لا أطيق أن أبقى هنا معك،

رغم شدة حاجتك، فالحق أن قتالاً شديداً احترم. دع الخادم يعتني بك،
أما أنا سأسارع إلى أخيلئوس لأحثة على أن يستأنف القتال.
فمن يعلم، إذ إنني، بمعونة الإله، قد أستطيع أن أحت روحه
بكلمات مقنعة؟ فشيء طيب إقناع الصديق"

قال ذلك، ثم حملته قدماه إلى حيث شاء. وواجه الأخيون

بنبات هجوم الطرواديين، إلا أنهم لم يتمكنوا من

صدهم عن السفن رغم قتلهم

ولم يفر الطرواديون، أيضاً، على أن يخترقوا صفوف الدانائيين
ويشقوا طريقهم وسط الخيام والسفن.

ومثلما ينجح النجار الماهر في جعل ألواح السفينة مستقيمة،
وذلك في يد صانع حاذق له معرفة ناضجة بكل أسرار حرفته
وبفضل رعاية أثينة، هكذا تواصل القتال بينهما متساوياً.
قاتل بعضهم بعضاً عند هذه السفن أو تلك.

واتجه هيكتور نحو أياس المجيد

وباتا كلاهما يتقاتلان في كدح حول سفينة (واحدة)،

ولم يفلح أولهما أن يطرد الآخر ويحرق بالنار السفينة،

كما أن الآخر لم يدفعه، إذ كانت تلك مشيئة الإله التي جعلته يقترب.

فاطلق أياس المجيد رمحه، وضرب صدر كاليبتر

بن كليتيوس وهو يحمل النيران إلى السفينة،

فسقط في صخب وأفلت المشعل من يده.

وما أن رأى هيكتور ابن عمه يهوى

- فى التراب على الأرض أمام السفينة السوداء،
نادى على الطرواديين واللوكيين بصيحة عالية قائلاً :
- ٤٢٥ "أيها الطرواديين واللوكيون والداردانيون المهرة فى الاشتباك
فى المعركة، إياكم أن تنقثروا فى هذا المأزق،
بل انقذوا ابن كليتيوس، حتى لا يجرده الآخيون
من أسلحته، فقد سقط بين حشد المفن"
- وإذ قال ذلك قذف أياس برمحه البراق
فأخطأه، لكن ليكوفرون بن ماستور - حامل دروع
٤٣٠ أياس وهو من كثير، و يقطن معه
لأنه كان قد قتل رجلاً فى كثير المقدسة - ضربه (هيكتور)
على رأسه، فأصاب أعلى أذنه بالبرونز الحاد
حين كان واقفاً بالقرب من أياس، فانطرح أرضاً فى التراب،
وقد هوى من مؤخرة السفينة، وقد تراخت أوصاله واستسلمت للموت. ٤٣٥
فارتجف أياس ونادى أخاه قائلاً:
- "أى تيوكروس الطيب، ألا ترى أن خير رفيق لنا قد قُتل،
إنه ابن ماستور، ظل إلى جوارنا وأقام معنا
عندما جاء من كثير، كرمناه فى سكننا كما نكرم آبائنا،
٤٤٠ قتله هيكتور شديد اللباس، فأين سهامك الآن
سريعة الفتك، والقوس الذى أعطاك إياه فوبيوس أبوللون؟"
وإذ قال ذلك، سمعه (تيوكروس) فأسرع ووقف قريباً من
(أياس) وقبض بيده على قوسه المقوس للخلف، ومعه جعبة
ملينة بالسهم، وأطلق سريعاً رماحه على الطرواديين.
فأصاب كليتيوس، ابن المجيد لبيسينور رفيق بوليداماس ابن الياسل
٤٤٥ لباتشوس، بينما كان ممسكاً بيديه الأعنة، ومنشغلاً بخيوله.

- إذ ساقها إلى هناك، حيث تحتمل المعركة وتلتقى فرق المحاربين فى
اضطراب لكى يرضى هيكتور والطروايين. وفى التو جاءه
٤٥٠ شرّ مستطير لا يمكن لأى إنسان مهما أوتى من قوة ومهما كانت
أمانيه أن يصدّه، فالسهم القاسى انغرس خلف عنقه
فسقط عن عجلته الحربية، وانحرفت خيوله جانباً،
وقععت عجلاته الفارغة، وسرعان ما رمقها الأمير
بوليداماس، فكان أول من أسرع تجاه الخيول
٤٥٥ فسلمها لأستينوؤس بن بروتياؤن
وأصدر إليه أمراً صارماً بأن يراقب نتيجة المعركة ويجعل الخيول
على مقربة منه، بينما عاد هو نفسه واختلط بصفوف المقدمة.
ثم صوّب تيوكروس سهماً آخر على هيكتور ذى الخوذة البيرونية
وكاد يقعه عن الحرب عند سفن الأخيين،
٤٦٠ ويسلب حياته لو أصابه وهو يستعرض بسالته.
لكنه لم يرغب عن عقل زيوس المحيط بكل شىء الذى حمى
هيكتور، وسلب المجد من تيوكروس بن تيلامون.
إذ شد تيوكروس الوتر المجدول بحذق على القوس الممتين،
وبالفعل صوبه ضد (هيكتور)، وانحنى سهمه المصقول
٤٦٥ بالبرونز، وانطلق القوس من يده.
إلا أن تيوكروس ارتجف، وخاطب أخاه:
"ويحى، لقد حسم الإله، هكذا، خطط معركتنا، فأحبطها
إذ أوقع القوس من يدي وقطع الوتر المجدول بإحكام متقن هذا الصباح
٤٧٠ ليقدر على حمل السهم التى ستطلق كثيفة منه وسريعة"
فأجابه أياس العظيم ابن تيلامون:
"أى صديقى، اترك قوسك، وسهامك الكثيرة
كما هى، طالما عطلها إله من الآلهة، حقداً على الدانائيين.

- وخذ رمحاً طويلاً في يدك، وترسماً فوق كتفك
 ١٧٥ وحارب الطرواديين، ولتذهب باقي الجيش حماسةً.
 فرغم تفوقهم حقاً علينا، فلن يستولوا على سفننا
 مئينة المقاعد، دونما قتال، دعنا نسترجع متعة البسالة في الحرب!"
 وإذا قال ذلك، ترك تيوكروس القوس في الخيام،
 ووضع فوق كتفيه ترساً رباعياً،
 ١٨٠ وفوق رأسه القوية خوذة مئينة المعدن،
 ذات عرف من شعر حصان، يشيع اهتزاز الريشة من فوقها رعباً
 وأخذ رمحاً قوياً ذا نصل برونزي حاد
 وسار مسرعاً ووقف إلى جانب أيلس.
 وما أن رأى هيكتر سهام تيوكروس وقد خابت،
 ١٨٥ نادى على الطرواديين واللوكيين بصوت جهورى:
 "أيها الطرواديين واللوكيون والداردانيون المهرة في الاشتباك،
 كونوا رجالاً يا أصدقائي، وتفكروا في بسالتكم وإقدامكم
 وسط السفن المجوفة، لقد رأيت بعيني حقاً وصدقاً
 كيف خابت، سهام قائد شجاع يتدبير زيوس.
 ١٩٠ فمن السهل إدراك قدر العون الذي يقدمه زيوس للرجال،
 يدرك ذلك من يهيبهم مجد النصر،
 أو من يسليهم إياه، إذ لا يرغب في مساعدتهم،
 كما هو الآن يضعف قوة الأرجيين، ويمتدح العون لنا.
 فحاربوا، أنتم، متحدين في حشود، عند السفن، ومن
 ٢٩٥ تدركه قذيفة أو طعنة سيف، ويلقى المصير المحتوم
 ليرقد في سلام، إذ لا يعيبه ذلك الموت من أجل الوطن.
 ولتأمن زوجة (من يموت)، وأطفاله من بعده
 والأمان لمسكنه ولنصيبه من الأرض، فلن يلحقه أذى

- إذا عاد الأخيون بسفنهم إلى وطنهم الحبيب"
- ٥٠٠ ألهب، بقوله حماسة الرجال وأرواحهم بالقوة
ثم عاد أياص وصاح في رفاقه:
- "أيها الأرجيون، يا له من عار، من المؤكد أننا إما
هالكون جميعًا، أو سنجد الخلاص بأن ندفع الخطر عن السفن
فما بالكم لو استولى هيكتور ذو الخوذة اللامعة على السفن،
٥٠٥ فهل يعود كل منكم إلى الوطن على قدميه؟
ألم تسمعوا هيكتور، يحدث جيشه بكامل حشوده،
وهو يتلطف لحرق السفن.
فالحق أنه لم يأمرهم بأن يأتوا إلى هنا للرقص، بل للقتال.
بالنسبة لنا فليس ثمة خطة أو نصيحة، سوى أن نتحد أيدينا
٥١٠ ضدهم في معركة ضروس وقاصلة. فخير لنا جميعًا،
إما أن نموت ونختفى للأبد، أو أن نكسب الحياة الكريمة،
فهذا خير من أن نحاصر طويلاً بجوار السفن في صراع رهيب بلا
طائل على أيدي رجال أقل منّا شأنًا"
وما أن قال ذلك حتى ألهب قوة كل رجل وروحه،
٥١٥ وقتل هيكتور، بعدها، سخيديوس بن بيريميديس
قائد الفوكيين، وقتل أياص لاوداماس
قائد المحاربين على أقدامهم، البن المجيد لأنتينور.
أما بوليداماس فصرع أوتوس من كيليني
رفيق ابن فيليوس، قائد الإيبين قوى العزم.
٥٢٠ وشاهده مجيبس، فانقض عليه، لكن بوليداماس
تملص من تحته، فأخطأه مجيبس - لأن أبولون لم يسمح
بأن يقهر ابن بانثوس وسط محاربي المقدمة -

- لكنه أصاب كرويسموس برمية من رمحه
وقعت على صدره فسقط مرتطمًا، وبادر الآخر ينزع أسلحته من
كتفيه، فانقض عليه دولويس الرماح الماهر ٥٢٥
ابن لامبوس فهو الذى أنجبه لامبوس بن لاؤميدون، إنه
أشجع أبنائه والأكثر مهارة فى القتال الضارى،
فهو الذى قذف برمحه، آنذاك، درع ابن فيليبوس
مقتربًا منه، لكن درع صدره المحبوك بمهارة والذى
كان يرتديه حماء، فهو مقوى بألواح معدنية. ٥٣٠
وكان فيليبوس قد أحضر هذا (الدرع) من خارج إفيوى، من نهر
سيلثيس، حيث أهداه إليه صديقه الضيف يوفيتيس ملك الرجال
ليرتديه فى المعركة وبقية شر العدو،
والآن، حال الدرع دون إصابة جسد ابنه بالموت.
ثم قذف ميجيس برمحه الحاد أعلى تجويف الخوذة البرونزية ٥٣٥
ذات العرف من شعر الحصان، التى كان يرتديها دولويس
فجزء (الرمح) منها العرف، وسقط العرف كله، على التراب،
وكان يتألق فى صبغته الأرجوانية الجديدة.
بينما ظل (ميجيس) يحارب (دولويس) وكله أمل فى النصر.
ولاسيما عندما جاء مينيلائوس محب الحرب ليماعده. ٥٤٠
إذ جاء إلى جانبه حاملاً رمحه دون أن يراه (دولويس)،
وقذفه، فأصابه خلف كتفه، وغاص الرمح لضرواته
ووصل إلى صدره، فاندفع إلى الأمام، وانكفأ على وجهه.
فأسرع نحوه الاثنان ينزعان الأسلحة البرونزية عن كتفيه.
لكن هيكتور نادى أقاربه جميعهم، ٥٤٥
وكان ميلانبيوس القوى بن هيكتائون^(*) أول من وبخه،

(*) هيكتائون هو أخو برياموس. (المحرر)

- إذ كان، حتى ذلك الوقت، يطعم قطعانه بطينة الحركة
 فى بركونى، عندما كان الأعداء لا يزالون بعيدًا.
 وما أن جاءت سفن الدانائيين المقوسة
 عاد إلى إليون، وكان مرموقًا بين الطرواديين ٥٥٠
 فأقام عند برياموس الذى رعاه باحترام كأحد أبنائه.
 عنقه هيكتور وخاطبه قائلاً:
 "أى ميلانيبيوس، كيف لنا أن نتهاون هكذا؟
 ألم ينتبه قلبك العزيز لموت قريبك؟
 ألم تر كيف يعيثون بأسلحة دولويس؟ ٥٥٥
 لكن، تعال، فلم يعد يجرى أن تحارب الأرجيين
 من بعيد، فإما أن تنقض عليهم أو يستولون هم على إليون،
 من قمتها وحتى قاعها، ويقتلون شعبها"
 قال ذلك ومضى يتبعه الرجل شبيه الآلهة (ميلانيبيوس).
 وحث أياس العظيم بن تيلامون الأرجيين قائلاً: ٥٦٠
 "أى أصدقائى، كونوا رجالاً، وأشعروا بالحياة فى قلوبكم
 وليخجل كل من الآخر فى خضم هذا الصراع العنيف.
 فإذا شاع بينكم الحياة أنقذ منكم أكثر مما قتل.
 أما الفارون، فلن يلحقهم مجدٌ أو نفع"
 وما أن قال ذلك، حتى تحمس جميعهم للدفاع ٥٦٥
 واختزنوا فى قلوبهم كلمته، وطوقوا السفن
 بسياج من البرونز، بينما كان زيوس يحرض الطرواديين ضدهم.
 وحث، مينيلائوس، البارع فى صيحة الحرب، أنتيلوخوس:
 "أى أنتيلوخوس، ليس من بين الأخيين من هو أكثر شبانًا
 وعنفاً منك، ولا من هو أسرع من قدميك، ولا من هو أبسل منك ٥٧٠

فى الحرب. فماذا لو تهاجم على واحد من الطرواديين وتقتله؟

وعاود الإسراع، بعد أن قال ذلك، بعدما أشعل حماسة

(أنتيلوخوس) الذى وثب بين محاربى المقدمة، وتلفت حوله،

بنظرات خاطفة حذرة فصوب برمحه البراق، فتراجع

الطرواديون مسرعين بعيدًا عن الرجل، فهو لم يطلق ٥٧٥

قدائفه هباءً، بل أصاب ميلانيبيوس بن هيكتاؤون، قوى الهممة

وهو قادم إلى المعركة، أصابه فى حمة ثديه

فسقط مغشيًا عليه، وغامت عيناه فى الظلمة.

فهاجم عليه أنتيلوخوس، كما يهجم الكلب

على ظبى صغير أصابه القناص بجرح ٥٨٠

وهو يثب من جحره، وأرعى أطرافه.

هكذا، يا ميلانيبيوس، هجم عليك أنتيلوخوس العتيد

لينزع عنك أسلحتك، بيد أنه لن يخفى عن هيكتور

الإلهى، الذى هرع من وسط صفوف القتال للقائه.

ولم يبق أنتيلوخوس فى مكانه، رغم أنه محاربٌ ماهرٌ ٥٨٥

بل فر كوحش ارتكب سوءًا، بأن قتل كلبًا أو راعيًا بجوار قطعانه

ثم هرب قبل أن تدركه جموع الرجال المطاردين له

هكذا هرب ابن نيسطور، بينما الطرواديون وهيكتور

يمطرونه بقذائف قاسية يصاحبها صياح عجيب. ٥٩٠

غير أنه عاد إلى جموع رفاقه

و وقف، ثم هجم الطرواديون على السفن، وكأنهم

أسود ضارية، ينفذون ما قدره زيوس

الذى طالما بث فيهم عزيمة ثائرة، وأخمد الحماس فى قلوب

الأرجيين، وسلبهم المجد، وشجّع الآخرين. ٥٩٥

فقد عزم قلبه على أن يمنح المجد لهيكتور

- بن برياموس، حتى يستطيع أن يلقى على السفن المقوسة
 ناراً متوهجة، لا تخبو، ويحقق لثيتيس بذلك وحتى النهاية
 دعاءها المسرف، وبات زيوس ذو النصح السديد ينتظر ذلك
 ٦١٠ علّ عينيه ترمقان وهج سفينة مشتعلة
 ومن الآن فصاعداً، شرع يرتب انسحاب
 الطرواديين من السفن، ويمنح الدانائيين المجد.
 وذلك ما فكّر فيه عندما حرّض هيكتور
 بن برياموس ضد السفن المجوفة، والذي كان هو نفسه أشد لهفةً
 ٦١٥ وثورة، مثل آريس الرّماح، أو كنار ضارية
 تستعر وسط الجبال في أعماق غابة كثيفة
 غطى الزبد شفتيه، وعيناه شاخصتان تبرقان
 أسفل حاجبين رهيبين. واهتزت خوذة هيكتور
 حول وجنتيه بصخب، بينما كان يحارب
 ٦١٠ ويحميه زيوس بنفسه من السماء، ويمنحه
 الشرف والمجد، دون غيره من بين المحاربين.
 حيث كان مقدراً أن يكون أجله قصيراً.
 وكانت باللاس أثينة، من الآن تُعجل
 بيوم هلاكه على يد ابن بيليوس وقوته الفتاكة.
 ٦١٥ كان (هيكتور) تواقاً لاقتحام صفوف الرجال
 فحاول ذلك أينما رأى تكتلاً كبيراً وأسلحة عظيمة.
 بيد أنه، رغم لهفته، لم يقو على الاقتحام
 وظلوا صامدين، كما لو أنهم قلعة، تشبه صخرة ناتئة
 شديدة الانحدار، هائلة وصلبة، بجوار بحر رمادي،
 ٦٢٠ تتجلى في مهب ريح عاصفة عاتية،
 حيث الأمواج العالية أمامها.

- يمثل تلك الصلابة قاوم الدنائيون الطروايين، ولم يترجعوا،
إلا أن (هيكتر) وثب وسط الجموع، متوهجا كاللهب.
نزل في وسطهم، كما تسقط تحت السحب موجة مجنونة
٦٢٥ دفعتها الريح على سفينة مسرعة، فغمرتها
عن آخرها بالزبد، وجأرت في حبال الصاري عاصفة
الرياح الهوجاء، فارتجفت قلوب البحارة
رعبا، وقد رأوا أنهم على وشك الهلاك.
هكذا كانت قلوب الآخيين في صدورهم ممزقة،
٦٣٠ إذ انقض عليهم (هيكتر) بشهوة جموح للاقتراس، كأسد
نزل على قطيع لا يحصى، يرعى في أرض منخفضة
في مستنقع رطب، فيه راع غير متمرس في
قتال مثل هذا الوحش الذي صرع عجلأ ملتوى للقرنين،
وإلى جانب اللقطيع يمشى الراعي تارة في المقدمة
٦٣٥ وأخرى في المؤخرة، فينقض الأسد على الوسط
ليلتهم عجلأ، ويفر باقي القطيع مذعورا.
هكذا، فزع الآخيون جميعا بشدة من هيكتر وزيوس الأب.
قتل هيكتر رجلا واحدا: بيريفيتيس من موكناي
البن العزيز لكبيريس (القبرصية)، الذي حمل رسائل
٦٤٠ الملك يوريسثيوس إلى هرقل الجبار.
ورغم أن الأب كان أقل شأنا (من ابنه) بكثير، إلا أنه
أنجب ولدا يزه في الفضائل جميعا، سرعة القدمين
والقتال، والفطنة. كان أول الموكينيين
الذي قدم مجد النصر لهيكتر
٦٤٥ حيث تعثر، وقد استدار للخلف في حافة للترس
الذي كان يرتديه وقد وصل إلى قدميه، ليحميه

- من الرماح، تعرَّضَ به، فوقع وعندما سقط صلصلت الخوذة
بصخب حول وجنتيه. وسرعان ما لمح هيكْتور، فجرى نحوه
٦٥٠ وغرس رمحه فى صدره، وقتله أمام رفاقه
الأعزاء الذين لم يَمَكَّنوا من نجدة، رغم تألمهم
لصديقهم، ففز عهم الرهيب من هيكْتور الإلهى كان يغلبهم.
كادوا يصلون إلى وسط السفن، تحيطهم السفن من الأطراف
تلك التى سحبوها إلى الصف الأول، لكن باغتهم (الطرواديين)
٦٥٥ وتقهقر الأرجيون من السفن الأمامية
مرغمين، ومكثوا إلى جوار خيامهم
مكتئبين، ولم ينتشروا عبر المعسكر، حيث تملكهم خزي
وخوف، وطفق كل منهم يستحث الآخر دون توقف
لاسيما نيسْتور الجيرينى، حارس الأخيين
٦٦٠ (الذى) توسل إلى كل رجل وهو يقسم بأبائه:
"أيها الأصدقاء، كونوا رجالاً، وأشعروا بالحياة فى قلوبكم
كغيركم من الرجال الآخرين، وليتذكر كل منكم
صغاره وزوجته وممتلكاته ووالديه
٦٦٥ أحياء كانوا أو أمواتاً. إننى أتوسل إليكم، من أجل
العائنين عنا، أن تقاوموا بصلابة ولا تتقهقروا مذعورين"
قال ذلك فألهب قوة كل رجل وروحه وأزاحت أثينة سحابة
ضباب عن أعينهم، وبزغ النور ساطعاً عليهم من كلا الجانبين
٦٧٠ من ناحية السفن، ومن ناحية الحرب المتكاثفة،
فتبينوا هيكْتور القوى فى صيحة الحرب ورفاقه
أولئك الذين وقفوا جميعاً فى المؤخرة ولم يحاربوا،
وكذلك جميع من شنوا الحرب الشعواء عند السفن السريعة.
ولم يعد يشفى غليل روح أياس شديد العزم

- ٦٧٥ أن يقف، حيث يقف الآخرون من أبناء الآخيين، فى منأى عن القتال.
بل أخذ يسير بخطو واسع فوق ظهر السفن
ممسكاً برمح طويل فى يديه
موصول بأبازيم ويبلغ من الطول اثنتين وعشرين ذراعاً.
ومتلماً يسرح فارس فائق البراعة
٦٨٠ أربعة خيول اختارها من بين أسراب (الجياذ)،
فيسوقها فى طريق سريع من سهل إلى مدينة عظيمة
عبر طريق عام، فيعجب به الكثيرون
رجالاً ونساءً، وبخطوة وثقة
يثب من (حصان) إلى آخر، وهى مسرعة كأنها تطير.
٦٨٥ هكذا كان أياض يقفز بخطو واسع فوق
ظهر السفن السريعة، حتى بلغ صوته عنان السماء
وهو ينادى على الداناتيين، بصيحات رهيبة
ليدافعوا عن سفنهم وخيامهم. غير أن هيكتور لم
يمكث ساكناً وسط جموع الطرواديين المسلحين،
٦٩٠ لكنه كصقرٍ أسمر مائل للاصفرار انقض على سرب
من طيور مجنحة تأكل على ضفة نهر
- سرب من الأوز البرى أو الغرائيق أو البجع طويل الأعناق -
هكذا، انقض هيكتور على سفينة مقدمتها قائمة.
مندفعاً تجاهها مباشرة، وقد دفعه زيوس بيدٍ بالغة القوة
من الخلف، فألهب حماس الحشد معه فى آن واحد.
٦٩٥ وبإلها من معركة وحشية، تلك التى عاودت الاندلاع عند السفن،
فلك أن تقول إنهم واجهوا بعضهم البعض
دونما كلل أو هوادة فى المعركة، كانوا يقاتلون فى ضراوة.
ولكن كان كل فريق يحمل فى قلبه أفكاراً مختلفة: فقد كان الآخيون

- ٧٠٠ يقولون إنهم لن يقتلوا من السوء، وسيهلكون لا محالة.
أما الطرواديين، فتمنى قلب كل واحد منهم فى صدره
أن يحرق السفن، ويقتل أبطال الآخيين
تلك كانت أمانيتهم؛ عندما صمد كل جيش فى مواجهة الآخر.
غير أن هيكتور أمسك مؤخرة سفينة ماخرة عباب البحار
متألقة تسرع فوق المياه، هى التى حملت بروتيسيلأوس
٧٠٥ إلى طروادة، إلا أنها لم تعد به ثانية إلى أرض الوطن.
وحول سفينته كان الآخيون والطرواديون يفتك
كل منهم بالآخر فى التحام مباشر،
دون انتظار لإطلاق السهام والرماح،
٧١٠ بل وقف كل فريق لصيقاً بالآخر
وبعقل واحد وبقلب واحد حاربوا ببلىطات حربية حادة وبلىطات
وسيوف هائلة، ورماح ذات حدين.
وتساقطت على الأرض سيوف كثيرة رائعة محاطة مقابضها بسيور
بعضها (سقط) من أيادى الرجال وهم يحاربون
وبعضها من فوق أكتافهم، وقد فاضت الأرض السوداء بالدماء.
٧١٥ وما أن أمسك هيكتور بمؤخرة السفينة، حتى أحكم قبضته
ولم يدع ذيل السفينة يقلت من يده، وحث الطرواديين صائحاً:
"أحضروا النيران، وألهبوا بها صيحات القتال، كلكم
بصوت واحد، فقد منحنا زيوس، يوماً جليلاً من بين كل (الأيام)
حتى نستولى على السفن التى جاءت إلى هنا دون إرادة الآلهة،
٧٢٠ وأنت علينا بويلات عديدة بسبب تقاعس الشيوخ
الذين باتوا ينعوننى، وأنا متلهف لأن أحارب
عند مؤخرات السفن، وعاقوا الجيش
وإذا كان زيوس، بعيد النظر، قد عطل خططنا من قبل

- ٧٢٥ فإنه الآن هو نفسه يحرّضنا ويأمرنا"
 وإذا قال ذلك، ازداد هجومهم على الأرجيين
 ولم يصمد أياص طويلاً، فكان محاصراً بالرماح
 وتراجع قليلاً، ظناً منه أنه هالك تاركاً متن السفينة متينة الاتزان،
 إلى ممر خشبي مؤقت طوله سبعة أقدام.
 ٧٣٠ ووقف مراقباً وظل يصدُّ برمحه
 كل من يفكر من الطرواديين أن يحضر ناراً مستعرة إلى السفن،
 وراح يستحث الدانائيين بصيحات مرعبة:
 "أى أصدقائي، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع آريس
 كونوا رجالاً، أيها الأصحاب، واستنفروا قوتكم للباطشة
 ٧٣٥ ماذا إذن! أنظن أن ثمة مساعدين خلفنا،
 أو أن هناك حصناً منيعاً يصد الهلاك عن الرجال؟
 إنه لا توجد على مقربة منّا مدينةً حصينة بأبراج
 نلجأ إليها، أو بها من الجيوش ما يمكنها من تحويل دفة القتال،
 لكننا متمركزون في سهل الطرواديين المسلحين،
 ٧٤٠ دونما شيء يحمي ظهرنا سوى البحر، بعيداً عن أرض الوطن.
 ولذا فإن نور الخلاص يكمن في قوة أيدينا وليس في التقاعس
 عن الحرب".
 قال ذلك، وراح يطير برمحه الحاد ثائراً
 ومن يقترب من الطرواديين من السفن المجوفة
 بنيران مشتعلة، مندفعاً بفضل صيحات هيكتور
 ينتظره أياص، وبرمية من رمحه الطويل، يصيبه بالجروح،
 ٧٤٦ فأصاب اثني عشر رجلاً، في اشتباك أمام السفن.

الكتاب السادس عشر



ترجمة السيد عبد السلام الهراوي

- حول السفن ذات المقاعد المتيّنة، كانوا يحاربون،
واقترّب باتروكلوس من أخيليوس راعى الشعب،
يذرف دمعاً ساخناً كنافورة ماء قائم
تدفع بتيارها العكر إلى هوة منحدر صخرى.
فلما رآه أخيليوس الإلهى سريع القدم
خاطبه بكلمات مجنحة قائلاً:
- ٥ لماذا، إذن، تذرف دمعاً، يا باتروكلوس، كطفلة صغيرة
تلاحق أمها لتتوسل أن تحملها،
تتعلق بردائها وتعرقل خطوها السريع،
وترنو إليها مستعطفة بالدموع لعلها تقبل حملها؟
- ١٠ هكذا أنت تبدو، يا باتروكلوس، ينهمر منك الدمع رقيقاً.
ألايك شئ تقول للميرميدونيين، أو (تقوله) لى؟
أم أن ثمة رسالة من فثيا، أنت وحدك، من سمعها؟
يقولون إن مينويثيوس، ابن أكتور، لم يزل حياً،
وإن بيليوس ابن أياكوس حى أيضاً، بين الميرميدونيين.
- ١٥ فموت هذين الاثنين بالذات هو الذى يمكن أن يستدر بحق دموعنا.
أم أنك تنتحب على الأرجبين الذين، هكذا، يهلكون
فى سفنهم المجوفة، بسبب تخطيهم الحدود؟
لا نكتم ما بقلبك، قلها علانية، ولنعلمها معاً
- ٢٠ أجبته، أيها الفارس باتروكلوس، وأنت تتن بمرارة:
"أى أخيليوس، يابن بيليوس، يا أعظم الأخيين قوة
لا تغذى غضبك، فالحزن المرير يعصف بالأخيين.
كانوا الأفضل والأقوى، فى ذات يوم مضى
والآن، يرقدون جرحى، تحصدهم القذائف عند السفن.

- ٢٥ هذا حال ديوميديس بن تيديوس القوى
وكذا أوديسيوس الشهير برمحه وقد جرح، وأجاممنون
ويوريبيولوس وقد قذف بسهم فى فخذه.
إن الأطباء، ذوى الخبرة فى المداواة، يرعونهم،
يداوون الجروح، وأنت، يا أخيلئوس، لم تزل بلا حيلة.
٣٠ ليتنى أنا الذى أختزن ما تحتفظ به من غضبك،
يا لها من قوة ملعونة ! لكن أى جيل تال سيفيد منك ومن قوتك
إن لم تدفع عن الأرجيين هذا الدمار المخزى؟
يا لقسوتك، لا يمكن حقاً أن يكون والدك هو الفارس بيليوس!
وأن تكون أمك هى ثيتيس، أنت أنجبك البحر الرمادى
٣٥ والصخور قاسية الانحدار، لذا قرأسك صلبة.
لكن إذا كان عقلك يهرب من تحذير إلهى ما،
ربما أسره إليك زيوس عن طريق أمك الإلهة،
فلا أقل من أن ترسلنى أنا على الفور على أن يتبعنى باقى جيش
الميرميدونيين، فربما أ جلب نوراً للدانائيين.
٤٠ فاعطنى أسلحتك واسمح لى أن أحملها على كتفى،
فربما يخطيء الطرواديون لو رأوها عن بعد ويظنوننى أنت،
فيكفوا عن القتال، وعندئذٍ يستطيع المحاربون المتعبون أبناء الأخيين
أن يلتقطوا أنفاسهم، فكم يتضاؤل زمن التنفس فى المعارك!
وقتها، ربما أمكننا نحن - غير المتعبين - أن نطرد إلى المدينة
٤٥ هؤلاء المحاربين المتعبين، بعيداً عن السفن والتكنات"
تكلم فى ضراعة، وما أحمقه،
فالموت ومصيره القاسى ينتظرانه، وهذا هو حقاً حصاد ما نضرع به.
فرد عليه أخيلئوس سريع القدم قائلاً فى انزعاج:
"ما هذا الذى تفوهت إلیّ به، يا باتروكلوس، يا سليل زيوس؟

- ٥٠ فأتنا بالنبوءات، أيًا تكون، لا أبالي
ومن زيوس، لم يأتنى شيءٌ عبر المليكَة أُمى،
لكنَّ الحزنَ يسممُ قلبي وروحي.
فَعندما يستبدُّ الرجلُ الحاكمُ فى حرمانِ قرينه المساوى له من نصيبه،
يعميه سلطانه فيسلبُ قرينه مكافأته.
- ٥٥ كم عانت روى من مرارة تجلب أَلماً حزيناً!
فحتى السبية مكافأتى التى منحها لى أبناء الأخيين
جزاء ما حصده رمحى من المدينة الحصينة^(٩).
سلبها من بين يدى الملك أجاممنون
بن أترىوس، كما لو كنت غريباً أو عابر سبيل لست له كرامة.
- ٦٠ ومع ذل فلندع الماضى يمر، فلا يلىق
بإنسان أن يحبس نفسه فى الغضب للأبد، بيد أنه فيما
أظن من غير الممكن أن أتخلّى عن غضبى، حتى يحين الوقت
وتأتى صبيحة المعركة، ويشتعل القتال عند سفنى.
ومع ذلك ضع أسلحتى المجيدة على كتفك
- ٦٥ وقد الميرميدونيين محبى الحروب إلى القتال.
فغمام الطرواديين المعتم متكئ يحاصر
السفن فى قوة، بينما دفع حشد الأرجيين قريباً من شاطئ البحر،
ولم يتبق لهم سوى قطعة منحسرة من اليابسة.
- ٧٠ خرجت مدينة الطرواديين كلها ضدهم
وقد امتلأوا نقة، لأنهم لم يلمحوا ذواية خوذتى
تتألاً عن قرب، وإلا فكانوا، فيما أظن، سيهرعون فراراً
وكانت ستمتلىء مجارى المياه بجثثهم لو أن الملك أجاممنون، فقط،
عاملنى بلطف. إلا أنهم، الآن، يحاصرون جموعنا من كل اتجاه،

(٩) هى ليرنيسوس Lyrnessos التى ورد ذكرها فى الكتاب الثانى بيت ٦٩٠. (الغور)

- ولم يعد الرمح يثور في جموح بيد ديوميديس بن تيديوس
 لكى يدفع الموت والهلاك عن الدانائيين. ٧٥
- حتى الآن، لم أسمع صباح ابن أتريوس
 يعلو من فمه للكرية، (لكنى أسمع) صوت هيكتور قاتل الرجال
 يجلجل حولي، أمراً الطرواديين، الذين يملأون السهل
 بصيحات النصر، إنهم الآن يهزمون الأخيين في المعركة.
 رغم هذا، يا باتروكلوس، لتدفع الدمار عن السفن ٨٠
 أهاجم عليهم بقوة خشية أن يدمروها بنيرانهم
 ويحرموننا من عودتنا المنشودة للوطن.
 الآن، فلتتصت، لأسكب النصائح في نيار عقلك.
 لعلك تجلب لى - على يد كل الدانائيين - تكريماً
 ومجداً أبديين، فيردون إلى الفتاة الحسنة ٨٥
 كما يغدقون لى الهدايا الرائعة.
 اطرء الأعداء من السفن وعد ثانية، لكن إذا منحك،
 زوج هيرا، ذو الرعد المدوى، مجداً تطرب له نفسك
 فلا تطمع في أن تخوض المعركة دوني
 ضد الطرواديين محبى النزال، فأنت حينئذ تنقص من قدر مكافأتي. ٩٠
 لا تدع نشوة الفخر، لضراوة النزال
 وقتل الطرواديين تصيبك، ولا تقد (الحشد) إلى إليون
 خشية أن يهبط إله خالد من الأوليمبوس
 ضدك فأبوللون - بعيد القذائف يحبهم ويؤازرهم
 وبمجرد أن تجلب نور الخلاص للدانائيين عند السفن ٩٥
 ارجع واترك للباقيين المعركة في السهل.
 أيها الأب زيوس، ويا أثينة، ويا أبوللون،
 ليت لا ينجو من الموت أحد من الطرواديين، أيما كان عددهم

- ولا من الأرجيين أيضاً، ابعدوا عنا - نحن الاثنين فقط - الهلاك
 حتى نمزق - نحن الاثنين فقط -، تاج طروادة المقدس" ١٠٠
- وبينما كان الحديث يدور بينهما
 لم يعد أياس يصمد حيث حاصرته القذائف.
 أخضعته مشيئة زيوس وكبرياء الطرواديين وبراعتهم،
 وظلت خوذته المصقولة حول خديه تجلجل
 بقوة، كلما أصابتها القذائف المنهالة ١٠٥
- على المعدن المتين الواقع لخديه. أما كتفه
 اليسرى فقد أنهكها التعب، تحت وطأة درعه البراق. ومع ذلك لم
 يستطيع الأعداء رغم قذائفهم العاتية، أن يميظوا الدرع من فوقه.
 كانت أنفاسه تتحسّر ج بصعوبة، وتصيب العرق من أطرافه
 ليغمر جسده، و لم يتوقف لحظة ١١٠
- ليلتقط أنفاسه، كانت المصائب حوله تتراكم على المصائب.
 أخبرني، الآن، ياربات الفنون (الموساي)، يا من تقطن
 الأوليمبوس كيف، ومنذ البداية، أتت النيران على سفن الأخيين؟
- تقدم هيكتور وضرب بسيفه العظيم رمح
 أياس الرمادى، عند طرفه، فى أسفل سنه الحاد
 فشقّه تماماً. أما أياس التيلامونى العظيم ١١٥
- فكان يلوح عبثاً، وفى يده رمح مكسور لا رأس له،
 حيث سقط نصل للرمح النحاسى على الأرض يدوى بعيداً عنه.
 حينئذ، ارتجف أياس، وبقلبه الجسور أدرك
 أفعال الآلهة، التى أقسدت كل خططه فى المعركة. ١٢٠
- فزيوس ذو الرعد المدوى يرغب فى النصر المؤثر للطرواديين.
 واشتعلوا نيراناً لا يحمد أوارها فى السفينة السريعة.

- وعلى الفور ودون توقف انتشر اللهب في كل مكان.
اندلعت النيران بمؤخرة السفينة، إلا أن أخيليوس
١٢٥ وهو يضرب فخذيه وخاطب باتروكلوس قائلاً:
"انهض يا باتروكلوس يا سليل زيوس، أيها الفارس البارح
انظر، لهب النيران يلتهم السفن، أخشى أن
يستولوا على السفن، فلا يبقى لنا طريق للهرب.
أسرع وتسلح بسلاحى، بينما سامضى لإستثارة همة الجيش"
١٣٠ هكذا تكلم (أخيليوس)، وشرع باتروكلوس يلبس
أسلحته المصقولة، شد أولاً دروع الساق برشاقة حول ساقيه،
وثبتها بأبازيم قضية عند كاحليه، أحاط كامل صدره بدرع
سليل أياكوس سريع القدم، وكان زاهياً مرصعاً بنجوم زاهرة.
١٣٥ وضع على كتفيه، سيفاً مرصعاً بالفضة،
كان السيف برونزياً مصقولاً بمهارة،
وضع خوذته الصلبة على رأسه القوية
مزينة بعرف من شعر الجياد، الذى يتدلى فيثير الرهبة.
وأمسك، أخيراً، برمحين عظيمين يلائمان قبضتيه
لكنه لم يأخذ رمح سليل أياكوس الذى لا نظير له
١٤٠ ذلك الرمح الثقيل العاد، حيث لا يمكن لأحد غيره من الآخرين
السيطرة عليه، فأخيليوس، دون غيره، هو من يستطيع ترويضه.
صنع الرمح من شجرة دردار فوق جبل بيليون، منحه خيرون لوالده
الحبيب، فهو رمح انحدر إذن من قمة جبل بيليون؛ هلاكاً للأبطال.
١٤٥ على الفور أمر أوتوميدون أن يضع النير على أعناق الخيول
(أوتوميدون) الذى كان (باتروكلوس) يبجله
كثيراً جداً على نحو يلى أخيليوس مشتت صفوف المحاربين

- وكان فى نظره الأكثر إخلاصاً من غيره فى الصمود فى خضم
صخب القتال. وبأمره قاد أوتوميدون الجياد تحت النير بسرعة:
كسانثوس وباليوس السريعين اللذين يطيران مثل الريح.
١٥٠ وهما اللذان أنجبتهما بودارجى إحدى الهاربيات لريح الغرب
زيفيروس. إذ كانت ترعى فى مرج بجانب مجرى الأوكيانوس.
وكذلك بيداسوس، شده (أوتوميدون) إلى العنان
ذلك (الجواد) الذى لا يبارى أتى به أخيليوس عندما نهب مدينة إيثييون
ورغم كونه فانياً، فقد كان يشارك الخيول الخالدة.
١٥٥ فى نفس الوقت كان أخيليوس يتجول هنا وهناك
بين الخيام أمراً رجاله الميرميدونيين جميعاً بالتسلح وارتداء الدروع.
وكانوا كالذئاب المفترسة تعمل فى صدورهم قوة لا توصف.
قتلت (تلك الذئاب) أيلأ برياً ترعرع قرنه فى الجبال،
نهشته حتى تخضبت أفواهها بالدماء،
١٦٠ ثم ذهب معاً إلى ينبوع دى مياه قائمة،
ارتشفت بألسنتها النحيلة ماءً عكراً،
وتساقط نقاط الدم من فكها، وكانت قلوبها
مفعمة بالتحفز، ويطونها منتفخة،
احتشد القادة وأصحاب الراى الميرميدونيون
١٦٥ التفوا، جميعاً، حول الرفيق الوفى لسليل أياكوس، سريع القدم
يقف أخيليوس الشجاع، بالطبع، بينهم
محرضاً الجياد والرجال لأبسى الدروع، (على القتال)
كانت خمسون سفينة سريعة تحت قيادة أخيليوس
جيب زبوس، وقد أبحر إلى طروادة
١٧٠ فى كل منها جلس خمسون رجلاً من أتباعه عند مساند المجاديف
عين لهم قادة خمسة محل ثقته، يعطون

- إشارات يرسلها إليهم، فهو ملك قوى له القيادة العليا.
 كان مينيسثيوس ذو درع الصدر اللامع قائد المجموعة الأولى
 (مينيسثيوس) بن سيرخيوس، ذلك النهر المتدفق من زيوس (السماء)
 ١٧٥ و (أمه) بوليدورى الجميلة ابنة بيليوس.
 أنجبته لسبرخيوس الذى لا يكل، امرأة سلمت نفسها لإله.
 ومع ذلك عرف على أنه ابن بوروس بن بيريريس
 الذى زف إليها علناً وقد قدم هدايا ثمينة.
 وقاد المجموعة الثانية يودوروس الشجاع
 ١٨٠ ابن بوليميلى الجميلة البارعة فى الرقص، تلك العذراء
 ابنة فيلاس التى شغفت صياد أرجوس القوى حباً،
 عندما تملأ منها بعينيه وهى تغنى وسط العذارى
 فى رقصة تحفى بأرتميس ذات السهام الذهبية.
 انسل، بعد ذلك مباشرة، إلى حجرتها وشاركها الفراش سرّاً
 ١٨٥ الإله هرميس جالب الخير، فوضعت له ولداً
 هو يودوروس المجيد، سريع القدمين قوى العراك.
 بعد ألام المخاض أتت به إيليثيا إلهة المهد
 إلى النور، حيث طالع نيع الشمس، وقاد إخيكليس
 بن أكتور شديد البأس (بوليميلى) إلى منزله
 ١٩٠ وأغدق عليها من هدايا الزواج مالا يحصى
 وبات أبوها المسن فيلاس يربى (يودوروس) ويحسن
 رعايته شاملاً إياه بالحب تماماً كما لو كان ابنه.
 وكان بيماندروس قائد المجموعة الثالثة، إنه
 القائد الشجاع ابن مايمالوس الذى يفوق الميرميدونيين جميعهم
 ١٩٥ فى القتال بالرمح بعد (باتروكلوس) رفيق ابن بيليوس.
 وكان قوينيكس، الفارس الأسن (قائداً) للمجموعة الرابعة

- وكان الكيبيدون؛ الذي لا نظير له ابن لائيركيس، (قائد) المجموعة الخامسة وما أن صفهم أخيليوس جميعاً مع قادتهم ألقى فيهم كلمة صارمة قائلاً:
- ٢٠٠ "أيها الميرميدونيون، لا تدعوا أحداً منكم ينسى التهديدات التي هددتم بها الطرواديين بجوار السفن السريعة. إبان فترة غضبي، ولقد أنبئني كل فرد منكم قائلاً: أى ابن بيليوس العنيد، لقد أرضعتك أمك الضعيفة يا عديم الرحمة، يا من تحتجز رفاقك مكرهين عند السفن،
- ٢٠٥ ليتنا على الأقل نعود، إلى ديارنا يسفننا عابرة البحار فقد غمر قلبك الغضب المهلك.
- بمثل هذه الكلمات فى مجموعات هاجمتموني، وما هى الآن حرب عظيمة تنتظركم ولطالما تمنيتموها فيما سبق. فليحارب كل منكم الطرواديين بقلب شجاع"
- ٢١٠ خرجت منه الكلمات تستدر القوة وتستفز شجاعة كل رجل اصطفت الصفوف متلاصقة عندما سمعوا مليكهم. ومثلما يرص رجل حجارة ليشيد حائطاً لبيت شاهق يتقى به عنف الرياح.
- وهكذا كانت الخوذات والدروع ذات الحلى المعدنية درعاً تلو درع، وخوذة تلو خوذة، ورجلاً تلو رجل.
- ٢١٥ تعلقو قمم الخوذات، ذؤابات من شعر الخيل تضوى إذ يومئون، وتتلامس فى الزحام المتراص^(*). وفى مقدمتهم جميعاً يتأهب المحاربون للقتال إذ كان باتروكلوس وأوتوميدون قد عزموا معاً

(*) هذه الأبيات شبه مكررة من الكتاب الثالث عشر، آيات ١٢١ وما يليه. (الغور)

- ٢٢٠ على الحرب في مقدمة صفوف الميرميدونيين، وسرعان ما
هرع أخيليوس إلى خيمته وفتح غطاء الصندوق
الجميل ذا الزخارف الفارحة، الذي أعطته إياه ثيتيس
فضية القدمين، ليأخذه في سفينته، وقد ملأته بملابس
وعباة ثقي من الرياح، وأعطية صوفية ناعمة
٢٢٥ وكأس مصنوع ببراءة، لا أحد
من البشر شرب من هذا النبيذ المتأليء سوى أخيليوس.
لم يسكب منه قطرة قرباناً لإله إلا لزيوس الأب
أخذ الكأس من الصندوق ونظفه بالكبريت
ثم غسله بعناية من ماء جار،
٢٣٠ وغسل يديه كذلك، ثم صب النبيذ المتأليء في الكأس
وقف وسكب منه قطرات وسط الساحة
وهو يرنو إلى السماء ليراه زيوس ذو الرعد، وقال:
"أى زيوس، يا ملك الدودونيين، أيها اليلاسجي^(*)، يا من تسكن
بعيداً وتحكم بستان دودوني المطير وحولك السيللوي (= الهيللوي)^(**)."
٢٣٥ حيث يقطن مفسرو نبؤاتك لا يغسلون أقدامهم ،
الذين يرقنون في اللراء، سمعت ندائى، ذات مرة، عندما تضرعت
إليك، وكرمتمنى بينما أخزيت جيش الآخرين.
ها أنا ذا أتوسل، مرة أخرى، كي تحقق أمنية قلبي.
إذ سأبقى، أنا نفسى هنا عند حشد السفن
بينما بعثت رفيقى، بحشودى الميرميدونية، إلى المعركة ،
٢٤٠ لتمكنه المجد، أى زيوس، ياذا الرعد المدوى،

(*) اليلاسجي أى اليلاسي. (اخرى)

(**) سيللون أو هيللوي Helloi اسم قبيلة قديمة كانت تسكن دودوني موطن نبوة زيوس. وربما كان
الهدف من ترك أقدام هؤلاء الكهنة دون غسل هو تسهيل اتصالهم بالعالم السفلى إذ كانت النبوة في
الأصل تأتي من الموتى عبر إحدى الأشجار. (اخرى)

- ولتهب قلب المقاتل قوة، علَّ هيكتور يدرك
 ما إذا كان رقيقى يحسن إدارة المعركة
 أم يحارب وحيداً، أم أن يديه القويتين لا تتوران،
 ٢٤٥ إلا عندما أذهب أنا إلى ساحة القتال.
 لقد أخذ القتال بعيداً عن السفن
 إننى لأصلى كي يعود سالماً إلى السفن السريعة،
 ولتعد معه كل القوات من رفاقي المحاربين، ومعه أسلحتى"
 هكذا تكلم فى ضراعة، وسمعه زيوس صاحب التدبير
 ٢٥٠ فرضى الأب على جزء من صلاته، ورفض الجزء الآخر.
 وافق على أن يستدرك باتروكلوس القتال بعيداً عن السفن،
 إلا أنه أبى عودته سالماً من المعركة.
 وعليه أقيمت القرايين مع الصلوات للأب زيوس.
 عاد (أخيليوس)، إلى خيمته وأعاد الكأس إلى الصندوق،
 ٢٥٥ وخرج مرة أخرى ووقف أمام الخيمة، لأن روحه
 تأقت أن ترى صدام الأخيين والطرواديين الرهيب.
 وتقدمت صفوف المحاربين، ومعهم قائدهم باتروكلوس جسور
 القلب، واثقين فى قوتهم، حتى هجموا مندفعين على الطرواديين.
 هبوا دفعة واحدة مثل الزنابير تندفع من جنب الطريق،
 ٢٦٠ حيث أوكارها، إذا استتارها صبية صغار يلهون كعادتهم
 فجلبوا ضرراً عاماً للكثيرين. فحتى عابر السبيل
 دون أن يعي يقع عرضة لهجوم الزنابير الشرس
 التى تطير فى كل مكان دفاعاً عن سلاتها
 ٢٦٥ ومن أجل البقاء. بمثل هذه القلوب والأرواح
 انطلقت القوات الميرميدونية فى هجومها.
 انطلقوا من السفن بصيحاتهم المدوية.

وبصيحة هائلة نادى باتروكلوس رفاقه:

- "أيها الميرميدونيون، يا رفاق أخيليوس بن بيليوس
كونوا رجالاً، أصدقائي، ولتوقظوا روح النضال فيكم
٢٧٠ من أجل تكريم ابن بيليوس، إنه أفضل قادة أرجوس قاطبةً
ذلك الذي يقاتل، مع رفاقه، في صفوف متغاربة بجوار السفن.
أجل، لعل أجاسمنون بن أتريبوس نفسه واسع الملك، يدرك ذلك
لكن العمى دفعه لازدراء أمجد الأخيين"
٢٧٥ وما أن تفوه بذلك، حتى ألهب كل فرد قوةً وشجاعةً.
وبضربة رجل واحد انقضوا جميعاً على الطرواديين، وبينما كان
يصيح الآخيون، كانت السفن من حولهم ترعد بشكل مفزع
وما أن أدرك الطرواديون أن ابن مينوتيوس الباسل
بنفسه وتابعه المتألقين في وسط بريق الأسلحة،
٢٨٠ حتى ارتجت قلوبهم، وارتعدت صفوف الفرق المحاربة.
حسبوا أن ابن بيليوس سريع القدم عند السفن، بعد أن قرر
أن يكظم الغيظ ويتركه إلى جوار السفن مفضلاً التصالح.
فصار كل رجل يتلفت بحثاً عن طريق الهروب من الهلاك المطبق.
كان باتروكلوس هو أول من قذف رمحه البراق مباشرةً
٢٨٥ وسط الحشد، حيث الاحتشاد الكثيف.
هناك، عند مؤخرة سفينة بروتيسيلأوس ذي الروح الجليظة
جرح بيرايخميس، الذي كان يقود فرسان البايونيين
بعيداً عن أميدون، أتياً من نهر أكسيوس وافر الفيض.
ضربه بشدة في كتفه الأيمن، فانقلب للخلف
٢٩٠ على التراب، يتألم، حتى أن رفاقه البايونيين من حوله
فروا في دعر أشاعه بيتهم جميعاً باتروكلوس

- حين صاح قائدهم وأفضلهم قتالاً فى المعركة،
وطردهم بعيداً عن السفن، وأخذ النيران المضرمة.
وهناك، ظلت السفينة نصف مشتعلة، وارتعد الطرواديون،
٢٩٥ وفروا هاربين، محدثين ضجيجاً هائلاً، وقد انقض عليهم الدانييون
وسط السفن المجوفة، والصخب يضطرم دونما انقطاع.
وعصف زيوس المهيّب مرسل البرق،
فقتع الغمام القاتم، من قمة جبل شاهق
ولمعت فجأة كل الصخور والفتوات
والوديان الصغيرة، أو من السماء انفرج الأثير العلوى بالضياء.
٣٠٠ فى تلك الأثناء، وبعد أن أبعدوا عدوهم عن سفنهم ،
وجد الدانييون متسعاً لالتقاط الأنفاس، لكنهم لم يستريحوا طويلاً
من القتال. فالطرواديون، لم يكونوا قد طردوا، بعد على يد الآخيين
أحياء أريس، فى جماعات مهولين من السفن السوداء ،
٣٠٥ بل ظلوا صامدين فى عناد، لكنهم تقهقروا بعيداً عن السفن مرغمين.
ثم سقطوا رجالاً تلو الآخر،
ثم اندلع القتال بين القادة، ضربَ ابن مينويتوس المغوار أولاً
بحربه الحادة أريليكوس (أو أريلوخوس) فى فخذه.
ما إن استدار (ليهرب) حتى غرس (باتروكلوس) سيفه البرونزى فى
ساقه فكسر السيف العظيمة، وسقط (الطروادى) على الأرض
٣١٠ منطرحاً. أما مينىلاؤس الشجاع فجرح ثواس^(*).
فى صدره بطرف الرمح عند الجزء الذى لا يغطيه الدرع، فارتخت
أطرافه كلها، بينما كان ابن فيليوس^(**) يراقب أمفيكلوس

(*) ثواس Thoas قائد طروادى وهو غير ثواس ملك ليموس المذكور فى الكتاب الرابع عشر، بيت ٢٣٠.

(المحرر)

(**) هو ميجيس Megeis. (المحرر)

- الذى كان مندفعاً تجاهه، وأثبت أنه أسرع من غريمه إذ استبقه
 ٣١٥ وضربه عند أعلى ساقه، حيث العضلة الأكثر سمكاً، فمزقت الحربة
 ذات الرأس الحاد تلك الأعصاب، وغطى سواد عميق جفنيه.
 طعن أنتيلوخوس بن نيسطور بحربته الحادة
 أتيمنيوس - فوخذه بسيفه البرونزى فى جنبه
 فهوى مباشرة للأمام على وجهه. لكن ماريش، والسهم فى يده
 ٣٢٠ قفز، فى الحال، على أنتيلوخوس، يملؤه الغضب لموت أخيه.
 وقف دون جسمائه، لكن ثراسيميديس (أخو أنتيلوخوس) - شبيه الآلهة
 قذفه مستبقاً ضربته فأصاب بقوة هدفه.
 فمزق سن الحرية كتفه أعلى ذراعه
 والعضلات كلها، كما تهشمت العظمة تماماً
 ارتطم بالأرض والظلام يطمس جفنيه.
 ٣٢٥ ذهب الشقيقتان التوأم إلى عالم الأشباح على يد شقيقتين توأم،
 ذهب كلاهما إلى إرييوس رفيقى سارييدون البطلين،
 من رماة الحراب، ولدى أميسوداروس، الذى كانت من قبل
 قد ربته خيمايرا، تلك المتوحشة الكاسرة، هلاكاً للكثير من الرجال.
 ٣٣٠ هجم أيلاس بن أوليليوس على كليوبولوس
 قبض عليه حياً، إذ ارتبك وسط الزحام، فسلبه
 على الفور قوته، ضارباً عنقه بسيفه الفتاك
 ومن أثر الدماء، بات السيف دافئاً، وحل الظلام
 الدامس والقدر القاسى على عينيه.
 ٣٣٥ ثم التحم بينيليوس وليكون، واشتكا مندفعين
 برماحهما، ودنما جدوى إذ أخطأ كلاهما الآخر،
 فلم يصب رمح أحدهما الآخر. فأنهالا ضرباً بالسيفوف.
 وعلى الفور، ضرب ليكون شارة الخوذة عند تجويفها

- فتحطم السيف تماماً من مقبضه. ثم ضربه بينيليوس
 ٣٤٠ تحت أذنه، فخاص السيف كله، وما بقى سوى المقبض
 فقط، وتدلّت الرأس جانباً، وارثخت الأطراف.
 وأدرك ميريونيس، بخطواته الواسعة أكاماس،
 وهو يمتطى عربته، وضربه بقوة فى كتفه فهوى من عربته،
 وخيمت غمامة على عينيه. ثم ضرب إيدومينيوس
 ٣٤٥ بقوة إريماس على فمه بسلاح لا يرحم
 فانغرس برونز الحرب، إثر الطعنة البارعة،
 من أعلى المخ وحتى أسفله، وانشطر العظم الأبيض
 ونفرت أسنانه خارج فمه، وقد امتلأت عيناه
 بالدماء، التازقة من فمه ومنخاره
 ٣٥٠ حيث فغر الفاه وطوته سحابة الموت السوداء.
 هكذا كان كل واحد من قادة الدانائيين يصرع غريمه من الأعداء
 مثلما تنقض الذئاب المفترسة على الحملان الصغيرة
 يتخبرونها من بين القطيع، عندما تنتشر مبعثرة فوق الجبال، فى غفلة
 من الراعى، فما أن تلمحها الذئاب، حتى تتربص بها
 ٣٥٥ وسرعان ما تمزقها إرباً إرباً، فهي ضحايا ضعيفة القلب جبانة.
 هكذا انقض الدانائيون على الطرواديين، الذين لم يفكروا
 إلا فى الفرار والصراخ، وقد باتت بسالتهم مجرد ذكرى.
 لكن أياس العظيم، طالما استهدف هيكتور المسلح بالبرونز
 متلهفاً أن يرميه برمحه، إلا أن هيكتور الماهر فى شئون الحرب
 ٣٦٠ غطى عرض كتفيه بدرع من جلد الثور،
 ويات يراقب طنين السهام وعويل الرماح.
 ومع أنه أدرك حقيقة تبدل كفتى ميزان القتال،
 إلا أنه صمد وتغافى فى إنقاذ رفاقه المخلصين.

- ومثلما يحدث عندما تغيم سحابة من الأوليمبوس، عبر الأثير العلوى
 (سحابة) من العباب المقتمس، عندما يرسل زيوس عاصفة عاتية. ٣٦٥
 هكذا انطلق الدانائيون من السفن فى صخب
 عبروا (الخنق) فى غير نظام. لكن الخيول الراكضة كانت
 تحمل هيكتور، ومعه أسلحته تطير به بعيداً حيث ترك جحافل
 الطرواديين الذين كانوا جميعاً مكبوحين كرهاً، بخنق عميق،
 وهلك كثيرٌ من الخيول السريعة التى تجر العربات، عند الخنق ٣٧٠
 العميق وتحطمت عرائشها وتخلت عن عربات أصحابها.
 واصل باتروكلوس الهجوم، صائحاً بالدانائيين
 عاقداً العزم على دحر الطرواديين، الذين تخبطوا فى كل الطرق
 يفرون ويصرخون مهزومين مشتتين، وهبت فوقهم زوبعة
 بلغ غبارها السحاب، وكانت الخيول ذات الحافر الواحد ٣٧٥
 تركض من السفن والخيام صوب المدينة. توجه باتروكلوس
 إلى حيث لمح الحشود الكثيفة المنحدرة وأطلق صيحة الحرب،
 بينما يتساقط الرجال تحت عجلاته،
 كما تهاوت العربات محدثةً ضجيجاً.
 وطارت الخيول الخالدة فوق الخنق ٣٨٠
 تلك الخيول التى منحها الآلهة لبيليوس هبة إلهية مجيدة
 كان باتروكلوس يهفو إلى ملاقاته هيكتور، فقلبه
 يتوق إلى الفتك به، لكن خيوله كانت تطير به بعيداً.
 وكما تعتم الأرض السوداء تحت زوبعة هوجاء
 فى خريف ماء، إذ يرسل زيوس الأمطار العاصفة ٣٨٥
 ساخطاً على هؤلاء البشر، الذين يثيرون حفيظته
 بما ينطقون به، فى ساحة الاجتماع من أحكامٍ مُخلّةٍ دون مراعاة
 للحق والعدل ويقظة السماء وانتقامها.

- عندئذ تقيض الأنهار على ضفافها
 ٣٩٠ وتتدفق إلى منحدرات التلال في سيول جارفة.
 تتدفق من الجبال في صخب نحو البحر الأرجواني الثائر.
 تنهمر السيول مدوية، ومدمرة حقول البشر، ومزروعاتها
 هكذا كانت تعدو خيول الطرواديين، وهكذا كان أنينها.
 شتت باتروكلوس صفوف الطرواديين الأمامية
 ٣٩٥ وقذف بهم إلى وراء، ناحية السفن، ولم يُمكنهم
 رغم لهفتهم، من أن تطلأ أقدامهم المدينة.
 إذ ما بين السفن والنهر والصور مرتفع البناء
 حاصرهم وانتقم منهم للكثيرين.
 كان برونوؤس أول من ضربه بحربته المتلألئة
 ٤٠٠ في صدره المكشوف، فأرعى أطرافه
 وارتطم بالأرض. وكان ثيستور بن إينوبس الثاني
 حيث كان يجلس فوق عجلته الحربية المصقولة
 مشننًا فكره من الذعر، فأفلتت
 الأعنة من بين أصابعه، عندئذ اقترب (باتروكلوس)
 ٤٠٥ ووقف إلى جواره، وغرس حربته بين أسنانه فهشم فكه الأيمن.
 ثم التقط (باتروكلوس) حربته وسحبه إلى حافة عجلته كمن يسحب
 من البحر، وهو جالس على نتوء صخري، سمكة مقدسة^(*)،
 بخيط ستارة برونزي متألي. هكذا كان (باتروكلوس)
 يسحب (ثيستور) بحربته المتلألئة من عجلته الحربية،
 ٤١٠ ألقى به على وجهه فهوى على الأرض وفارقت الحياة.

(*) أو سمكة "ضخمة" ورد عند هومروس ثلاثة تشبيهات بالاسماك. فبالإضافة إلى هذه الفقرة راجع الكتاب ٢٤
 بيت ٨١، و"الأوديسية" الكتاب ١٢ بيت ٢٥١-٢٥٦ حيث التشبيه ل هذه الفقرة الأخيرة يقترب من هذه
 الفقرة التي بين أيدينا. (المحرر)

أسرع إريلاؤس ليعتني به، إلا أن (باتروكلوس) ضربه بقوة
بجلمود صخر على رأسه، فتشمت كلها
بداخل الخوذة الثقيلة، وسقط على الأرض منبطحاً
يرف حوله الموت سائب الأرواح.

٤١٥ هجم، بعد ذلك، على إريماس، ثم على أمفوتيروس
وإيالتيس وتليبوليموس، بن داماستور، وكذلك إخيوس
وبيريس، وإفيوس أيضاً، ويوايبيوس، ويوليميلوس بن أرجياس.
لقد طرحهم جميعاً على الأرض الحاضنة، واحداً تلو الآخر.
وما إن رأى ساربيدون رفاقه بأردية منزوعة الأحزمة
وقد ضربوا على أيدي باتروكلوس بن مينيوتيس
٤٢٠ حتى صرخ موبخاً الليكيين أشباه الآلهة:

"يا للعار، أيها الليكيون، إلى أين تفرون؟ هلموا، أسرعوا!
حيث إنني سأجابه هذا للرجل حتى أعرف
من ذا الذي يسيطر، هكذا، علينا؟ ذلك الذي أنزل بالطرواديين
شروراً دامية، ويشيع الرعب بقلوب رجال بواسل"

٤٢٥ تكلم، ثم قفز من فوق عجلته الحربية إلى الأرض في كامل عدته
متأهباً. أبصره باتروكلوس قفز، هو أيضاً، من فوق عجلته الحربية
في مواجهته كانا مثل نسرين بمخالب ملتوية بمناقير خطافية
يطلقان الصرخات، على قمة منحدر شاهق، تأهباً للقتال
هكذا أطلقا الصرخات، واندفع كل منهما إلى الآخر.

٤٣٠ رآهما، حينئذ، ابن كرونوس ذو المكر الملتوي
فأشفق عليهما، فتحدث إلى زوجته وشقيقته هيرا:
"أه، يا ويلاه، مقدرٌ على ساربيدون، أعز البشر لدى
أن يموت بأيدي باتروكلوس بن مينيوتيس.

- ٤٣٥ حقيقة، انشطر قلبي بصدري شطرين
أفكر فى أمرين: إما أن أنتشلته حيًّا بعيدًا عن المعركة المبكية،
وأعيده إلى منزله بأرض ليكيا الخصبة،
أو أن أدعه يهزم على أيدي ابن مينوييتيوس"
وأجابته بدورها المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها:
- ٤٤٠ "يا أكثر أبناء كرونوس بشاعة، ما هذا الذى قلته؟
أتريد أن تخلص من برائن الموت إنسانًا فانيًا مقدر له أن يموت؟
افعلها، لكننا، معشر الآلهة، لن نبارك ذلك. أقول لك، ولتصت جيدًا،
٤٤٥ لو أنك أرسلت ساربيدون النبيل، الآن، إلى بيته حيًّا،
تأكد أن أى إله آخر قد يرغب
فى إقصاء ابن عزيز لديه عن ساحة القتال،
فأبناء الخالدين الذين يحاربون مدينة برياموس العظيمة كثيرون،
وستترع بين الآلهة بذور الغضب والغيرة.
- ٤٥٠ إذا كان (ساربيدون) عزيز لديك، ينفطر له قلبك حزنًا،
دعه يلج غمار الحرب، دعه يُهزَم على أيدي باتروكلوس
بن مينوييتيوس. فإذا غادرت الروح جسده،
فابعث (إله) النوم الهادئ و(إله) الموت ليحملانه سريعًا
٤٥٥ إلى مثواه بأرض ليكيا الشاسعة.
- هناك، يواريه أقاربه وأصدقائه التراب فى مراسم دفن مشرفة،
ويشيدون له ضريحًا يليق بميت مثله"
أنصت إليها أبو البشر والآلهة عندما كانت تتكلم،
وصب، على الأرض وابلًا من أمطار غزيرة فى لون الدم،
٤٦٠ تكرمًا لابنه العزيز، الذى قُدرَ أن يقتله، فى الحال، باتروكلوس
على أرض طروادة للخصبة، بعيدًا عن وطنه.
وبينما هما يدنوان مندفعين كل نحو الآخر،

- على الفور، ضرب باتروكلوس برمح نراسيميلوس الشهير،
حامل الدروع الوفى لعاهل (ليكيا) ساربيدون،
وأصابه أسفل أكتافيه، حتى خلع أطرافه. ٤٦٥
هجم عليه ساربيدون برمح البراق
فأخطأه وأصاب جواده الفانى بيداسوس،
طعنه برمح فى كتفه الأيمن، فسهل الجواد مسلماً الروح،
وانطرح يئن وفارقته الحياة بينما جنح الجوادان الآخران
الخالدان حتى تصدع فوقهما نير العجلة الحربية. ٤٧٠
سقط الجوادان متشابكين وتجرجرت الأعنة متشابكة فوق التراب.
عرف أوتوميدون الشهير كيف يتصرف برمح
وجاءه الحل، فاستل سيفه الهائل من غمده بجانب فخذة اليمين
ولم يتردد، فقفز ليقطع رباط الجواد (الفانى).
انفجرت (سيفان) الجوادين الخالدين وشدًا إلى الأعنة. ٤٧٥
ومرة أخرى التقى المحاربان فى صراع مميت.
أخطأ رمح ساربيدون البراق الاتجاه، مرة أخرى
مرقت رأس الرمح تهتز فوق كتف باتروكلوس اليسرى
ولم تصبه. فصوب بدوره باتروكلوس
بدقة قذيفته البرونزية، ولم تكن لتتطلق عبثاً هذه القذيفة من بين يديه ٤٨٠
فأصاب (غريمه) حيث يحيط الحجاب الحاجز القلب النابض.
ومتلماً تسقط شجرة البلوط أو الصفصاف، أو كشجرة صنوبر
باسقة قطعها صناع السفن فوق الجبال بفئوس حادة من أجل
أخشاب السفن. هكذا سقط ساربيدون بصرخة مكتومة،
سقط مفترشاً الأرض، أمام خيوله وعربته الحربية. ٤٨٥
كان يئن بمرارة قابضاً براحتيه التراب المخبض بالدماء.
كان الأمر كما لو انقض أسد على قطيع مارق، حيث افترس

- شوراً ضحكاً أسمر يميل للأصفرار، من تلك الثيران ثقيلة الخطا
فيسقط متأوهاً تحت مخالب الأسد وفكيه.
- ٤٩٠ هكذا كان سقوط قائد الدروع الليكى (ساربيدون) أمام باتروكلوس،
ومع أنه كان مجروحاً على حافة الموت، نادى رفيقه العزيز
"أى جلاوكوس، أيها الرفيق العزيز، أيها المحارب بين الأبطال
ينبغي أن تثبت أنك رماح ومحارب شجاع.
ولكن، لعنة الحرب بغية قلبك، إن كنت بأسلاً
٤٩٥ سر هنا وهناك، وفى كل مكان، واستنهض قوة الأبطال
قادة الليكيين إلى القتال من أجل ساربيدون،
قاتل بأسلحتك البرونزية دفاعاً عنى،
فأنا، بعد كل شيء، عارك وخزيك
طيلة أيامك وللأبد، لو سلب الآخيون أسلحتى.
٥٠٠ ها أنا ذا أرقد بين حشود السفن
لتنهض، بكل قوتك، ولتشعل حماسة الجيش كله"
ما أن انتهى كلام البطل، حتى دأبته سكرة الموت
حطت كسحابة على منخاريه وعينه. أما باتروكلوس فيقدمه
دلس صدره، ونزع الرمح من جسده، فانبثق الحجاب الحاجز
٥٠٥ وكأنما قد انتزع، مع رأس الحربة، روح (ساربيدون).
حينئذ، أمسك الميرميدونيون خيول (ساربيدون) اللامثة
تلهفاً للفرار، بعدما تخلت عن عجلات أصحابها الحربية.
تناهى صوت ساربيدون إلى جلاوكوس فامتلاً حزناً موجفاً،
لأن قوته لم تجد شيئاً، فطوى الحزن قلبه.
٥١٠ أمسك ذراعه وضغطها بشدة، فالجرح يؤلم
ذلك الجرح الذى أحدثه تيوكروس برمحه، عندما كان يدفع
الهلاك المحيق برفاقه، ويقفز فوق السور العالى.

تحدث مبتهلاً إلى أبوللون بعيد السهام:

"لنسمعني أيها الملك، يا من تطأ الآن مكاناً ما بأرض ليكيا

الخصبة، أو قد تكون هنا بأرض طروادة، فأنت حيثما تكون، ٥١٥

قادر على أن تسمع نداء البشر، المنكوبين مثلي، من ألم

جرح غائر أصابني، وساعدني مهترئ في كل موضع

بوخزات ألم حادة، ولم يتوقف قط نزيف الدم

والم الجرح رهيب، يعوق كفتي فلا أستطيع أن أمسك رمحي جيداً، ٥٢٠

ولا أن أواصل قتال الأعداء، وقد سقط رجل من أشجع الرجال.

إنه ساريبيدون بن زيوس الإله، الذي لم يساعد ولده.

أيها الملك، امنحني الشفاء من هذا الجرح الأليم

لنسكن وخزات الألم الحادة، وامنحني قوة لأشد من أزر رفاقي

أبناء عشيرتي الليكية، وأحثهم على القتال. ٥٢٥

أجل، امنحني القدرة على أن أقاتل دفاعاً عن جثة بطل هوى"

ابتهل، وسمعه فوبيوس أبوللون،

وعلى الفور سكن الإله آلامه، كما أوقف نزيف الدم الأسود

المتدفق من جرحه الأليم، ومنح روحه قوة.

شعر جلاوكوس بما يحل في روحه، وكان فرحاً ٥٣٠

إذ أدرك أن الإله التقدير استجاب لدعائه في الحال.

في البدء، سارع نحو الأبطال، قادة الليكيين

وحثهم جميعاً على القتال من أجل ساريبيدون.

ثم ذهب بخطى واسعة وسط الطرواديين

إلى بوليداماس بن بانثوؤس، و أجينور العظيم. ٥٣٥

كما ذهب إلى آينياس وهيكتور ذى الخوذة البرونزية،

دنا (منهم) ثم توقف، وتحدث بكلمات مجنحة:

- "أى هيكتور، يبدو أنك نسيت تمامًا حلفاءك،
وهم الذين من أجلك - بعيدًا عن وطنهم وأصدقائهم -
قدموا حياتهم طوعًا، وأنت لا تكثرث بأن ندافع عنهم. ٥٤٠
ها هنا يرقد ساربيدون، قائد الليكيين المسلحين بالدروع، قتيلاً
ذلك الذي أقام حكمه في ليكيا على العدل والقوة.
قد قتلته آريس البرونزي بالرمح على يد باتروكلوس.
فتعالوا أيها الأصدقاء، وقفوا إلى جانبيه، واملأوا صدوركم بالهمة
خشية أن يجرده هؤلاء الميرميدونيون من أسلحتهم، ٥٤٥
ويمثلوا بجثته انتقامًا للقتلى الكثيرين من الدانيين
وقد قتلناهم برماحنا عند السفن السريعة"
- عبأت كلمات (جلاوكوس) الطرواديين بشعور طاغ
من الخزي والحزن، فساربيدون كان غريبًا عن سلاكتهم،
ودائمًا ما كان حصنًا لهم ولمدينتهم، تبعت (جلاوكوس) ٥٥٠
حشود الجيش الغفيرة، وكان أسلهم في القتال.
تقدموا بلهفة نحو الدانيين يقودهم هيكتور غاضبًا من أجل ساربيدون.
لكن باتروكلوس بن مينوييتوس قاسى القلب حرض الآخرين.
فتحدث أولاً إلى الثنائي أياس، حيث كانا متلهفين (على القتال) ٥٥٥
"أيها الثنائي أياس، ليكن لكما أن تتمتعنا بهزيمة الأعداء
ومثلما كنتمنا عليه من شجاعة بين الرجال من قبل، لتكونا أكثر شجاعة
الآن حيث يرقد صريعًا، ذلك الذي كان أول القافزين فوق الحائط(*)
الآخى، إنه ساربيدون، فهلموا نمثل بجثته
وننزع عن كتفه أسلحته. أما عن رفاقه الكثيرين ٥٦٠

(*) ورد في الكتاب الثاني عشر بيت ٣٩٧ وما يليه أن هيكتور هو الذى قفز أولاً ومع ذلك ليس في هذا الاختلاف ما يدعوا للشك في صحة هذه الفقرة أو تلك. (المحرر)

- فلنقطع دابرهم بالبرونز الفتاك جزاء ما فعلوا للدفاع عنه'
 ذلك ما تفوه به، وكان كلاهما يثلهقان على هزيمة الأعداء.
 احتشد المحاربون على كلا الجانبين، هنا الطرواديون والليكيون،
 ٥٦٥ وهناك الآخيون والميرميدونيون. خاضا معركة من أجل جثمان
 ساربيدون، كان الصباح مخيفاً وصليل أسلحة المحاربين مرعداً ،
 أنزل زيوس على الليل، ظلاماً دامساً، فغطى ساحة المعركة،
 لكى يرفع ويلات الحرب من حول ابنه العزيز.
 كان الطرواديون أول من طردوا الآخيين ذوى العيون البراقة،
 ٥٧٠ فقتل من بين الميرميدونيين رجل لم يكن أقل الميرميدونيين شأناً
 على الإطلاق. إنه أبيجيوس العظيم بن أجاكليس قوى الهممة،
 كان ملك بوديون، المدينة العتيقة المنيعه
 فيما مضى، يبدو أنه قتل أحد أقاربه النبلاء
 ثم جاء ضارعاً إلى بيلوس وإلى ثيتيس فضية القدمين،
 ٥٧٥ فأرسله ليلحق بأخيلئوس قاتل الأبطال،
 فجاء إلى إليون أرض الجياد الرائعة، ليحارب الطرواديين.
 وبينما كان متشبهاً بجثمان ساربيدون، ضربه هيكتور المجيد
 بحجر على رأسه، حتى تهشمت
 داخل خوذته الثقيلة، وهوى على جثمان (ساربيدون) منكفئاً على وجهه
 ٥٨٠ وخيم الموت، سالب الأرواح، حوله من كل ناحية.
 وشمل حزن مجنون باتروكلوس، لمقتل رفيقه المقتول
 فانقض (باتروكلوس) كالصقر على صفوف المحاربين الأولى.
 ومثل الصقر بأجنحته السريعة يشتت الغربان والزرأير
 هكذا انقضضت يا باتروكلوس يا قائد الفرسان على الليكيين
 ٥٨٥ وعلى الطرواديين، وقلبك ملئ بالغضب من أجل رفيقك.
 فضرب سثينلاؤس الحبيب بن إيتايمينيس

- بحجر هنك أعصاب عنقه. تَهْفَر محاربو المقدمة، وكذا هيكتور المجيد
بعيداً عن المدى الذى يمكن أن تصل إليه الحربة الخفيفة التى
يلقيها رجلٌ يجرب قوته فى القتال. ٥٩٠
- من أجل مكافأة، أو فى معركة ضد عدو كريبه،
إلى هذا المدى تَهْفَر الطرواديون ودفعهم الأخيون بعيداً.
كان جلاوكوس قائد التليكيين أول المسلحين بالدروع
من استدار وقتل باثوكليس شديد اليأس
الابن الحبيب لخالكون، الذى يقطن قصرًا منيفًا بهيلاس. ٥٩٥
- كان يفوق رفاقه الميرميدونيين مالاً وجاهًا،
ضربه جلاوكوس فى صدره بزمحه.
استدار (جلاوكوس) إليه فجأة، وقد أوشك (باتوكليس)
أن يهزمه، فسقط (باتوكليس) محدثاً ضجة، فتملك حزن شديد الآخيين
لأن رجلاً شجاعاً قد سقط، بينما غمرت الطرواديين سعادة تفوق الحد
فالتفروا من حوله فى حشد دائرى. لكن الآخيين
لم ينسوا بسالتهم أبداً، فانقضوا عليهم بكل قوة.
قتل ميريونيس أحد الرجال الطرواديين المسلحين بالخوذات
العزیز لأوجونوس بن أونيتور، الذى كان قد عُين
كاهناً لزيوس المعبود على جبل إيدا، وكان الناس يبجلونه كإله. ٦٠٥
- ضربه (ميريونيس) أسفل فكه وأذنه، فزهق على الفور روحه
من بين أطرافه، ونزلت عليه عتمة كريمة.
دفع آينياس نحو ميريونيس رمحه البرونزى
على أمل أن يقتله، حين رآه يتقدم حامياً نفسه بالترس.
ولكنه راوغ الرمح البرونزى، ٦١٠
- انحنى للأمام، فمَرَق الرمح الطويل وسقط خلفه
وانغرس رأسه فى الأرض، وظل طرفه منتصباً يهتز.

- بيد أن آريس القوى هدأ ضراوته في الحال.
 اهتز طرف رمح آينياس هادئاً في الأرض ،
 ٦١٥ لقد انطلق من يده القوية عبثاً
 تملك الغضب قلب آينياس وصاح عاليًا:
 "يا لك من راقص حقاً يا ميريونيس،
 لو أصبتك، لكاد رمحي يوقفك للكبد (عن الرقص)"
 فأجابه ميريونيس الشهير برمحه:
 ٦٢٠ "مهما كنت شجاعاً، صعب عليك الأمر، آينياس
 ترد أن تحطم قوة كل الرجال، الذين يواجهونك في القتال
 أنت بشر، فيما أظن ، ولو قذفتك بالبرونز الفتاك وأصبت خصرك
 ساعتها، ورغم شجاعتك وثقتك في يديك، عليك أن تمنحني
 ٦٢٥ المجد ، فلنسلم روحك إلى هاديس الشهير بالجياد"
 وما أن قال ذلك حتى عنفه ابن مينوبتيوس القوى:
 "أصدر عنك كلام كهذا، ميريونيس، رغم شجاعتك!!
 أى صديقي الطيب، ليس بمجرد التأنيب
 سيسحب الطرواديون عن الجثة قبل أن تلتهم الأرض الكثيرين.
 ٦٣٠ فمسألة الحرب بين أيدينا، أما الحوار فسيأتي دوره لاحقاً في ساحة
 الاجتماع فلا مجال الآن لأن نكثر من الكلام وهيا إلى القتال"
 ذلك ما قاله شبيه الآلهة، ثم مضى إلى القتال يتبعه الآخرون
 وكما يعلو ضجيج فنوس الحطابين عاليًا
 عند وديان جبل، فتسمع عن بعد أصداؤها.
 ٦٣٥ هكذا كان تصاعد ضجيج المحاربين، على الأرض واسعة الشعاب
 يتناهى رنين البرونز والتروس، التي تشكلت ببراعة من جلد الثور،
 ومن فوقهم ضربات السيوف والرماح مزدوجة الرعوس.

- لم يتمكن أحد من رؤية ساربيدون الإلهي، حتى ولو كان يعرفه جيدًا
كان مغطى تمامًا بالقدائف والتراب وأشلاء المعركة،
٦٤٠ مغطى من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ،
واحتشدوا حول جثمانه، كأسراب الذباب تنز في مزرعة،
على سطح جرار حليب ممتلئة وطافحة ،
حيث يملأ الحليب الصافي الجرار في فصل الربيع.
هكذا احتشد (المحاربون) حول الجثمان، لكن زيوس
٦٤٥ لم يحول عينيه البراقنتين عن الصراع المميت،
حملك فيهم بثبات، وبات يتدبر الأمر في عقله.
ولمدة طويلة فكر في قتل باتروكلوس الشجاع.
أوجب على هيكتور المجيد، أن يسارع في هذا العراك المهلك
بقتل (باتروكلوس)، هناك، عند جثة ساربيدون
٦٥٠ شبيهه الآلهة؟ يصرعه بالبرونز، ويجرد كتفيه من الأسلحة أو أن
يعفيه من الموت ويتيح له فرصة المزيد من القتل وويلات الحرب؟
بدأ له، بينما يتفكر، أن أفضل ما يكون
هو أن يدفع حامل الدروع الوفي لأخيلئوس
ليطيح بكل من الطرواديين وهيكتور صاحب الخوذة البرونزية.
٦٥٥ وهكذا يعودون، إلى مدينتهم، بعد إزهاق أرواح الكثيرين
وبدا بأن الحق للوهن بقلب هيكتور، الذي وثب فوق عجلته الحربية
وأدار خيوله للفرار ونادى الباقين من الطرواديين لينجوا بأنفسهم،
إذ كان قد رأى أن كفتى ميزان زيوس المقدس يتبدلان.
لم يصمد الليكيون البواسل، بعدها، إذ حل الفرع فيهم جميعاً،
٦٦٠ عندما رأوا مليكهم (ساربيدون) مصاباً في قلبه
مسحى مثقل جسده تراكم فوقه جثث القتلى،
عندما أشعل ابن كرونوس نار القتال.

- وانتزع (الميرميدون) أسلحة الحرب البرونزية عن كتف ساربيدون وأرسلها ابن مينيوتيس الشجاع إلى رفاقه،
 ٦٦٥ كى يحملوها إلى سفنهم المجوفة
 حينئذ قال زيوس جامع السحاب متحدّثاً إلى أبوللون:
 "تعال الآن، أيها الحبيب فوبيوس، اذهب وخذ من بين ساحة
 الرماح ساربيدون الميت، وطهره من الدماء القاتمة، ثم احمله
 بعيداً عن المعركة، واغسله عند جداول النهر، عطره بعطر إلهى -
 ٦٧٠ أمبروسيا - وألبسه أرديةً ربانية وسلمه إلى الحمّالين السريعين
 إلى التوأم: (إله) النوم هينوس و(إله) الموت ثاناتوس، اللذين
 يرسلانه على عجل إلى أرض ليكيا الخصبة الواسعة.
 هناك، يقيم له أقاربه وأصدقائه جنازة تكريمية
 ٦٧٥ سيقمون له شاهداً وضريحاً، بما يليق بميت مثله"
 ذلك ما تكلم به، وكان أبوللون مصغياً لكلمات والده
 فنزل من جبال إيدا تجاه ساحة الحرب
 وسرعان ما انتشل ساربيدون الرباني من وسط وأبل النيران.
 حمّله بعيداً عن ساحة القتال، وغسله في جداول النهر
 ومسحه بعطر إلهى - أمبروسيا - وألبسه أردية ربانية
 ٦٨٠ ثم أرسله مع حمّالين ذوى سرعة شديدة ليحملاه إلى التوأم -
 إله النوم هينوس وإله الموت ثاناتوس - اللذان على الفور حملاه
 إلى وطنه ليكيا ليستقر في رحابها الخصيبة.
 ولكن باتروكلوس صاح عاليًا في خيوله، وفي أوتوميدون
 ٦٨٥ ومازال يهاجم الطرواديين والليكيين وقد غمره العمى تاملًا.
 ياله من أحمق! لم ينتبه لكلمة ابن بيليوس، ولو فعل
 لنجا بالفعل من الموت الأسود، ذلك القدر المشئوم.
 إلا أن تدبير زيوس غالبًا ما يفوق إدراك البشر،

- فحتى الشجاع يخور أمامه ويُسلب
 ٦٩٠ النصر ببساطة، ثم يحرّضه ثانية على القتال.
 هو الذى أثار الطيش فى صدر باتروكلوس
 فمن، إذن، كان أول من قتلت، ومن كان الأخير
 يا باتروكلوس، عندما كانت الآلهة تتاديك إلى الموت؟
 فأولهم كان أدرستوس، ثم أوتونووس وإيخيكوس
 ٦٩٥ وبيريموس بن ميجاس وإيستور وميلانيوس،
 وبعدهم إلانوس وموليوس بيلارتيس.
 قتلت هؤلاء، أما الباقون فلاذوا بالفرار.
 أوشك، حينها، أن يسيطر أبناء الأخيين على طروادة عالية الأبواب
 بأيدي باتروكلوس، فرمحه هاج وماج فى كل الاتجاهات.
 ٧٠٠ بيد أن فويوس أبوللون وقف فوق أعلى برج حصين
 يمد يده للطرواديين و يدبر لهلاكه (باتروكلوس).
 وكاد باتروكلوس أن يثب من فوق ركن من الحصن المنيع ثلاثاً،
 بيد أن الإله القوى أبوللون دفعه للوراء ثلاثاً
 ضارباً درعه اللامع بيديه الخالدين.
 ٧٠٥ وفى المرة الرابعة، هجم عليه وهو على هيئة الإله
 زعق بصوت مخيف وبكلمات مجنحة قال :
 "استسلم يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، لقد قُدِّرَ
 ألا تسقط مدينة الأكابر الطرواديين برمحك
 أو برمح أخيليوس، الذى يفوقك مهارة"
 ٧١٠ تراجع باتروكلوس بعيداً عن الحصن بمجرد سماع هذه الكلمات،
 حتى يتجنب غضب أبوللون بعيد الرمي بالسهم،
 كان هيكتور، وقتها، يقيد خيوله ذات الحافر الواحد
 عند بوابات سكاياى متردداً فى أن يتقدم، إلى المعترك من جديد

- أو أن يحشد الجيوش عند الحصن. وبينما هو كذلك،
 ٧١٥ تجلى له فوبيوس أبوللون فى صورة بطل مغوار
 هو أسبوس خال هيكتور مروض الخيول،
 شقيق هيكابى أمه، وابن ديماس والدها
 الذى كان يسكن فريجيا بالقرب من نهر سانجارىوس.
 ٧٢٠ اتخذ أبوللون بن زيوس صورته، ثم خاطبه:
 "أى هيكتور، لأى سبب توقفت عن المعركة؟
 لا يليق ذلك بك، ليتنى، الآن، أقوى منك بقدر ما أنا بالفعل الآن
 أضعف منك. ما أشد الأسف لتتحيك، هكذا، عن القتال
 فلتأت، الآن، ولتوجه خيولك قوية الحوافر نحو باتروكلوس
 ٧٢٥ فلو تقتله بمنحك أبوللون المجد"
 وما أن قال الإله ذلك حتى انخرط، فى حشد الرجال.
 وأمر هيكتور المجيد كيبيرونيس حكيم القلب أن ينحس
 خيوله ويعود للقتال. عندئذ ذهب أبوللون
 وشق طريقه بين جموع المحاربين، وأشاع فى صفوف الأرجيين
 ٧٣٠ ارتباكاً مغزاً، ليهيىء المجد لهيكتور والطرواديين.
 أما بقية الدانائين، فتركهم هيكتور ولم يحاول قتلهم
 لكنه وجه خيوله صلبة الحوافر مباشرة إلى باتروكلوس.
 وثب باتروكلوس من عربته، إلى الأرض، بجوار (هيكتور)
 مستهدفاً إياه ممسكاً رمحه بيساره، ويمينه حجر
 ٧٣٥ براق خشن، غطته تماماً قبضته العريضة.
 ثبت قدميه بقوة، وقذفه دونما رهبة من العدو،
 ولم يخفق الحجر، بل أصاب سائق هيكتور
 كيبيرونيس، الابن غير الشرعى لبرياموس المجيد.
 كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه الحجر المدبب

- ٧٤٠ في جبهته، وسحق كلا حاجبيه، فلم تتماسك
العظمة، وسقطت عيناه في التراب
عند قدميه، وسقط، على الفور كيبيرونيس كغواص
من فوق عربته المزركشة جيداً، ومات
وسخرت منه، أيها الفارس باتروكلوس قائلاً:
- ٧٤٥ "يا إلهي، يا له من رجل رشيق، عرف كيف ينقلب بخفة رائعة،
فلو كان (بسطاد) في بحر عميق عامر بالأسماك
لأشبع الرجل، فيما أظن، الكثيرين بالمحار،
لأسيما أنه، برغم اللجو العاصف، قفز من سفينته
وغطس بخفة من فوق عربته الحربية على السهل !
حقاً يبدو أنه يوجد غواصون بين الطرواديين"
- ٧٥٠ تكلم باتروكلوس، ثم تقدم نحو البطل كيبيرونيس
وثب كأسد يشنت قطعان الحظيرة،
فجرحه إثر ضربة رمح في صدره، فخارت قواه، وهلك.
هجمت على كيبيرونيس يا باتروكلوس بضرارة،
وإلى جانبك وثب هيكتور من فوق عربته إلى الأرض.
- ٧٥٥ وتصارع الاثنان، من أجل كيبيرونيس، كاسدين
يقتتلان، أو قد استبد بهما الجوع على قمم الجبال
يتجاذبان بضرارة أيلة مقتولة.
- هكذا، من أجل كيبيرونيس، كانت فرصة القتال بين البطلين
باتروكلوس بن منوييتيوس وهيكتور المجيد.
- ٧٦٠ يتحفز كلاهما لنهش لحم الآخر بأسلحة من البرونز الفتاك.
قبض هيكتور على رأس الميت ولم يتركها
ثم أمسك باتروكلوس، بدوره، القدم. وأما باقى
الطرواديين والدانائيين فالتحما في صراع دام

- ٧٦٥ ومثلما تتنافس رياح الشرق يوروس ورياح الجنوب نوتوس
عند أودية الجبل، على العصف بأشجار الغابة
من الزان والدردار، وأشجار القرانيا ناعمة اللحاء،
فتتلاطم في جلبة تلك الأشجار، واحدة مع الأخرى، بفروعها للعجيبة
وتتصادم أطرافها الممتدة، فتتصدع وتتكسر.
- ٧٧٠ هكذا، هجم الأخيون والطرواديين، كلّ يحاول قتل الآخر،
ولم يفكر كلا الطرفين في الفرار المخزى.
عوت رياحٌ عاتيةٌ حول الميت ،
وتراشقت من بين أوتار الأقواس سهام مجنحة،
قصفت وابل الأحجار الضخمة تروس الأبطال،
- ٧٧٥ كان (الرجال) يتحاربون حول (جثة كيريونيس) وهو مسجى في خضم
العاصفة للترابية، حيث سقط جباراً عاتياً، وقد نسيت أعماله الفروسية.
وطالما دامت الشمس ساطعة في كيد السماء
بانت الفدائف تتساقط بقوة من كلا الجانبين، وتصيب أهدافها.
وحين مالت الشمس قرب موعد رفع النير عن الثيران
تفوق الأخيون بما يتعدى أى توقع.
- ٧٨٠ سحبوا، حينئذ، جسد البطل كيريونيس من بين الفدائف
بعيداً عن صياح الطرواديين، ونزعوا عن كتفيه الأسلحة.
هجم باتروكلوس على الطرواديين بعزم شديد،
انقض عليهم ثلاثاً، كأريس السريع
صائحاً صيحته المفزعة، وقتل في كل مرة تسعة أبطال.
- ٧٨٥ وفي الرابعة، انقض عليهم مثل إله.
تبدت لك يا باتروكلوس نهاية الحياة
حين واجهت فويبوس في نزال دام.
كم هو إله مروع! دخل المعركة

- ٧٩٠ وكان يغلفه ضبابٌ كثيف، ولم يميزه باتروكلوس.
 ثبت خلف (باتروكلوس) وضرب بيده على ظهره
 وكنتفيه العريضين بقوة، ودارت عينا الإله في غضب.
 أسقط فوبيوس أبوللون خوذته عن رأسه
 تدرجت مقعقة تحت حوافر الخيول
 كانت ذات تجويف عمودي، فتطخ ريشها المصنوع من شعر الجياد،
 ٧٩٥ تمرغت في الدماء والتراب، ولم يكن مقدراً لها قبل الآن
 أن تتطخ، هكذا، في التراب، ولاسيما أنها مكسوة بذيل حصان
 كانت تحمي رأس البطل الإلهي أخيليوس وطلعته البهية.
 منحها، أخيراً، زيوس إلى هيكتور
 ليضعها بز هو على رأسه، مع أن نهايته قد اقتربت.
 ٨٠٠ وتحطم في يد باتروكلوس الرمح مديد الظل،
 الثقيل الهائل القوى ذو النصل البرونزي الحاد،
 وسقط للدرع على الأرض يصلصل منفصلاً
 عن كتفيه لقد فك الملك أبوللون بن زيوس درعه،
 ٨٠٥ وحل العمى على قلب (باتروكلوس) وارتخت أطرافه المجيدة.
 وقف، هناك في هذيان ووثب على مسافة منه رجل دارداني
 وضربه على ظهره ما بين كتفيه برمح بئار
 إنه يوفوربوس بن بانثوؤس، الذي يفوق كل رفاقه
 في إطلاق الرماح وركوب الخيل والعدو.
 ٨١٠ أجل، لقد ألقى بعشرين رجل من فوق عجلاتهم الحربية،
 عندما دخل بعربته من أجل التدريب للمرة الأولى على القتال.
 فهو أول من وصل إليك برمحه، أيها الفارس باتروكلوس.
 مع ذلك لم يقهرك، وعاد ليندس وسط الحشد
 بعدما سحب حربته الرمادية من جسدك.

- ٨١٥ لم يصمد أمامك رغم كونك منزوع السلاح
هَزِمْتَ يا باتروكلوس بضربة الإله وبالرمح
ونجوت من الموت إذ تراجعت إلى صفوف رفاقك.
رأى هيكتور أن باتروكلوس شديد البأس
أصابه رمح برونزى بالتر وتراجع عن مقدمة المعركة.
- ٨٢٠ اخترق الصفوف واقترب منه وضربه برمحه، أسفل بطنه مباشرة
فاخترق السلاح جسده. سقط مجلجلاً، فألم الحزن العميق بالآخيين.
ومتلماً يفترس أسدٌ خنزيراً لا يكلُ في معركة،
إذ يتناحران بحماس شديد عند قمة جبل
- ٨٢٥ لكيلاً يفتسما الشرب من نبع صغير.
ينفث الخنزير لكن الأسد يقهره بقوته.
هكذا كان الإين الباسل لمينوبيتوس، بعد أن قتل
الكثيرين، سلبه هيكتور بن برياموس حياته برمية رمح صائبة
وخاطبه في زهو، بكلمات مجنحة:
- ٨٣٠ "باتروكلوس، حقاً، كنت تفكر في نهب مدينتنا
وتسلب النسوة الطرواديات حريتهن، وتسوقهن معك أسيرات
إلى السفن نحو وطنك الحبيب.
يا لك من أحمق، لأن خيول هيكتور السريعة أمامهن
متلهفة كلها للحرب، أما أنا، فواحد من الطرواديين
- ٨٣٥ محبى الحرب، هذا رمحي، الذى يصدُّ
عنهم يوم الهلاك. أما أنت، فلسوف تتهشك النصور هنا.
يا لك من تعيس، فحتى أخيلئوس بكل شجاعته لن يجديك نفعاً
فيما أظن، ورغم بقائه هناك، أمرك وأنت قادم إلى هنا بقوله:
إنى أمرك ألا تعود ثانية يا باتروكلوس يا سيد الفرسان
إلى السفن المجوفة، قبل أن تكون قد شققت
- ٨٤٠

- عباءة هيكتور، قاتل الأبطال، الأرجوانية من على صدره.
هذا ما أظن أنه تكلم به إليك وتلفاه عقلك الأحمق.
وأجبتة، أيها الفارس باتروكلوس بأنفاسك الواهنة قائلاً:
"لنتفخر، كيفما شئت، بقوتك يا هيكتور،
٨٤٥ فزيوس بن كرونوس وأبوللون قد منحاك النصر وأخضعاني
ببساطة، وهما اللذان جرّدا كفتي من أسلحتي.
ولو أن عشرين رجلاً من البشر أمثالك واجهوني
لقهرتهم برمحي ولهلكوا جميعاً.
القدر العنيد، وابن ليتو (أبوللون)، فقط، هما اللذان قتلتاني
٨٥٠ أما من البشر، فهو يوفوريوس، ولم تكن أنت إلا ثالث من طعنوني
سأقول لك شيئاً، ضعه في قرارة نفسك:
أنت نفسك لن تحظى بحياة مديدة، فالموت ويد القدر ثقيلان،
يحومان بالقرب منك. ستموت (يا هيكتور) على أيدي أخيليوس
سليل أياكوس، الذي لا نظير له"
٨٥٥ تلك كانت كلماته قبل أن يغمره خلاص الموت
رحلت روحه إلى مقر هاديس متطايّرة من بين أطرافه
وهي تتدب مصيرها، تاركّة ريعان الشباب وعنفوانه.
ورغم موته، إلا أن هيكتور المجيد تحدث إليه:
"لَمْ يا باتروكلوس تتنبأ لي بدمار وشيك؟
٨٦٠ فمن يدرى؟ لربما أفتّر أخيليوس بن نيتيس جميلة الشعر
برمحي، وأكون أنا من يباغته ويسلبه حياته"
قال ذلك وسحب الحربة البيرونزية الحادة من الجرح،
وثبت باطن قدمه على الجسد ليدفعه بعيداً عن الحربة.
وعلى الفور، انقضّ شاهراً رمحه على أوتوميدون

- ٨٦٥ شبيهه الآلهة، وحامل درع سليل أياكوس سريع القدم كان متلهفًا لأن
يضر به، لكن حملته الخيول السريعة إلى الأمام، فكانت (هذه الخيول)
٨٦٧ الهدية الخالدة المجيدة، التى وهبتها الآلهة، من قبل، إلى بيليوس.

الكتاب السابع عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

لم يرغب عن فطنة مينيلائوس بن أثريوس، حبيب أريس
إدراك أن باتروكلوس قد قُتِلَ في المعركة بيد الطرواديين.
ذهب إلى المقدمة بأسلحته البرونزية المصقولة، وحام حول
جسده، كما تحوم بقرة صغيرة لم تعان من قبل آلام الأمومة تطلق
صرخات الفزع فوق وليدها البكر.

هكذا حام مينيلائوس ذهبي الشعر حول جسد باتروكلوس
شاهراً رمح ودرعه المصقولين تماماً،
يتلهف لقتل من يغامر، محاولاً سلب الجثمان.
ولم يكن ابن بانثوؤس^(*) ذو الرمح الدرداري غافلاً
عن مقتل باتروكلوس الذي لا نظير له، دنا منه
مخاطباً مينيلائوس، حبيب أريس،

"أى مينيلائوس، يا ابن أثريوس، يا سليل زيوس،
يا قائد الجيوش، لتستسلم وتترك الجثة، ودع لي الغنائم المملوطة بالدم
القاني. فلن يوجد - من بين الحلفاء المشهورين ولا بين الطرواديين -
واحد قد سبقني في النيل من باتروكلوس بالرمح في المعركة المحتدمة.
فاسمح لي، من بين الطرواديين، أن أغتني ذلك المجد المنشود.
وإلا ضربتك قاضياً على عذوبة روحك"

فأجابه مينيلائوس ذهبي الشعر في غضب شديد:
"أى زيوس الأب، إن التباهي المفرط ليس حسناً، فليست روح
النمر أو الأسد أو الخنزير البري المتوحش - تلك التي هي أعنف
وأشجع - كل المخلوقات، عندما ينفخ الواحد منها صدره عابساً -
ليست أكثر جسارة من روح أبناء بانثوؤس في زهوهم، برماهم
الدردارية. حتى هيبيرينور، ذلك القوى مروّض الخيول
لم يسعد قط بشبابه، عندما تجاسر وواجهني بالإهانة، دونما تقدير

(*) يوفوربوس. (المحرر)

- ٢٥ معتقداً، بأننى أضعف محاربى الدانائيين
وأقلهم (جلداً)، بيد أن قدميه فيما أظن، لم تحمله إلى
وطنه، ليسعد زوجته الحبيبة وأبويه العزيزين.
هكذا، أيضاً، يبدو أننى سأسلبك قوتك إن جرؤت
على مواجهتى، فالأحرى بك أن تعود إلى جموع المحاربين.
٣٠ إننى آمرك بذلك، وألا تغامر بمواجهتى، حتى لا تقاسى
من الشر الأهوال، فسفيه من يعى الكلام بعد فوات الآوان"
هكذا كانت كلماته، لكن الآخر لم يقتنع، فأجابه بقوله:
"حسنٌ يا سليل زيوس، يا مينيلأوس، الحق أنك ستدفع الآن
٣٥ (ثمن) أخى الذى قتلته(*)، وتفاخرت (بقتله)
وجعلت من زوجته أرملة منعزلة فى حجرة عرسها الجديدة،
وألحقت بأبويننا كرباً وحزناً لا يوصفان.
سأكون لهما سلواناً فى حزنهما، ولبسماً
لدموعهما إن عدت حاملاً رأسك وأسلحتك،
ووضعتها بين أيادى بانثوؤس وفرونيتس المبجلة.
٤٠ على كل، لن يتأخر القتال طويلاً دون
الخوض فيه، سواء انتهى إلى الهزيمة أو إلى النصر"
هكذا نطق لسانه، ثم ضرب فوق درع (مينيلأوس) جيد الصقل،
لكن لم ينفرس البرونز فيه، إذ انثنى سن الرمح
٤٥ بسبب صلابة الدرع القوى، فما لبث مينيلأوس بن أتريوس
أن طعنه برمحه ذى السن البرونزى، مبتهلاً إلى زيوس أبى الجميع.
طعنه فى قاع حلقه من أسفله، فهوى على ظهره،
ولاحقه بيده العتية، وبثقل جسده،
دفع سن الرمح ليغوص فى رقبتة الواهنة

(*)) يعنى هيرينور Hyperenor سالف الذكر والمشار إليه أيضاً فى الكتاب الخامس عشر بيت ٣٥٠. (اغور)

- ٥٠ فارتطم بالأرض، وتكومت فوقه أسلحته فى صخب
وتبللت بالدماء خصلاته، الشبيهة بخصلات إلهات الحسن خاريتيس
المجدولة ضفائرها والمزينة بشرائط من الفضة والذهب.
كان كمن غرس شجيرة أبيّة، مثل زيتونة،
فى مكان منعزل تتدفق فيه المياه، فبزغت
٥٥ كبرعم جميل يافع، تداعبه النسائم كلها من
حوله، فيتمایل، ويزهر زهوراً بيضاء،
وفجأة باغتته هبات الزوابع، الريح العاصفة
فاجتثته من جذوره، وطرحته أرضاً فتمدد هزياً.
هكذا كان (مينيلاؤس) بن أترىوس، عندما قتل يوفوريوس بن بانثوؤس
٦٠ ذا الرمح الدردارى العتى، وجرده من أسلحته.
كان كأسد جبلي خطف، بكل شجاعة
أسمن البقرات بقطيع يرعى،
قبض بأسنانه القوية على رقبتها وكسرها
ثم مزقها وارثشف (بنهم) دماءها، وكذلك كل أحشائها،
٦٥ وتظل الكلاب (تنبح) من حوله، والرعاة (تصيح)
بصخب، عن بعد، بينما لا يجرؤ أحدهم بالمخاطرة
بمعركة خاسرة، حيث يوهنهم الرعب.
هكذا، لم تجش شجاعة واحد من الطرواديين فى صدره،
حتى يغامر بخوض معركة ضد مينيلاؤس ذائع الصيت.
٧٠ وكاد ابن أترىوس بسهولة أن يحمل أسلحة ابن بانثوؤس
المجيدة بعيداً، لو لم يحسده فوبيوس أبوللون عليها.
فأشار حفيظة هيكتور السريع شبيه أريس
متخذاً هيئة مننيس، ذلك الرجل قائد الكيكونيين،
إذ رفع صوته بكلمات مجنحة، وخاطبه:
- ٧٥ "أى هيكتور، أنت تجرى الآن وراء أشياء ربما لا

- تحققها ؛ وراء خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها لأبية تلك
الخيول على أن تسوسها، ولصعب على الرجال جميعاً
أن يسوسوها، إلا أخيليوس وهو ابن إحدى الخالدات.
وكما ترى، فى إثر ذلك، مينىلاؤس الشجاع ابن أتريوس
الذى يقف فوق جثة باتروكلوس، وقتل خير الطرواديين
يوفوربوس بن بانثوؤس، وقضى على شجاعته الطائشة"
هكذا، تكلم الإله، واختلط مرة ثانية فى جلبه الرجال،
وغمر روح هيكتور حزن أليم، واغتم.
وبينما كان يجول بين الصفوف هنا وهناك مستكشفاً، لمح
بسرعة ذلك الرجل الذى سلب الأسلحة المجيدة، وذلك الآخر
الذى افترش الأرض، والدم ينز ما يزال من جرحه الغائر.
فتقدم خلال الصفوف، وكان برونز أسلحته وضاءً،
صاح صيحته المفزعة التى تشبه وهج هيفايستوس
الذى لا يقمع، إلا أن ابن أتريوس لم يكن غير مبال بهذه الصيحة.
فاضطرب قوى القلب (مينىلاؤس) وتحدث إلى روحه المعطاءة:
"ويلي إذا تخليت عن الأسلحة المجيدة، وكذلك باتروكلوس
الذى يرقد هنا قتيلاً، وقد قتلتَه (يونوربوس) دفاعاً عن كرامتى.
أخشى أن يلومنى بعض من يرانى من الدانائيين.
لكننى لو حاربت وحيداً ضد الطرواديين وهيكتور
دفعاً للإهانة، أخشى وأنا وحيداً، أن يحاصرونى وهم كثر.
فهيكتر ذو الخوذة اللامعة يقود الطرواديين جميعاً إلى هنا.
ولكن لم تجادلينى على هذا النحو، أى روحى العزيزة؟
فمن يحارب ضد رغبات الآلهة رجلاً آخر
ممن تمجده الآلهة، سيلطمه الكرب كالموج.
لذا لن يلومنى واحداً، ممن سيرونى من الدانائيين
على هزيمتى أمام هيكتور، إذ يحارب باسم الآلهة.

- ليتنى أجد أياس البارع فى صيحة الحرب، هنا أو هناك.
فكلانا سيسعى مشحوناً بنشوة الحرب،
وسوف نسحب الرجل الميت، حتى ولو نازعتنا السماء،
لكى نسلمه إلى أخيليوس بن بيليوس، وتلك تكون أخف الشرور" ١٠٥
- وبينما كان ابن أترىوس يقلب الأمر، فى قلبه وروحه،
حلت صفوف الطرواديين يقودهم هيكتور.
فتراجع مينىلاؤس تاركاً جسد الميت. كان يتلفت حوله، كأسد أشعث
تطارده الرجال والكلاب والصراخ والرماح، ١١٠
بارح إحدى الحظائر، ورغم قوته تجمد قلبه بداخله
من الفزع، وغادر الحظيرة مرغماً.
هكذا رحل مينىلاؤس ذهبى الشعر عن باتروكلوس الصريع،
ثم عاد أدراجه إلى الوراء، وتوقف عند لحاقه بالرفاق
باحثاً فى لهفة هنا وهناك عن أياس العظيم ابن تيلامون. ١١٥
وسرعان ما لمح فى ميسرة المعركة يحث رفاقه على القتال.
هؤلاء الرفاق الذين أصابهم فويبوس أبوللون برعب من السماء.
هرع إليهم، ثم توقف عن قرب منهم، وقال:
"أى أياس، أيها الصديق الحبيب، هلم بنا ندافع عن ١٢٠
باتروكلوس الصريع، علنا نستطيع حمله إلى أخيليوس حتى ولو
كان مجرداً من أسلحته، التى سلبه إياها هيكتور ذو الخوذة اللامعة"
وما أن قال ذلك حتى أثار روح أياس حكيم القلب،
فسرعان ما تخلل (صفوف) المقدمة، معه مينىلاؤس ذهبى الشعر
فى اللحظة التى ينزع فيها هيكتور الأسلحة المجيدة عن باتروكلوس. ١٢٥
كان يسحب الجسد بعيداً بنية أن يقطع العنق بالبرونز الفتاك
ويرميه إلى كلاب الطرواديين. فدنا أياس حاملاً درعه الشبيه بالبرج
فتراجع هيكتور برشاقة على الفور متجهاً إلى رفاقه،

- ١٣٠ إذ قفز إلى عجلته الحربية وعهد بالأسلحة المجيدة
إلى الطرواديين، يحملونها إلى المدينة لتكون مجده الأعظم.
وبينما كان أياس واقفاً يحمى ابن مينوييتيوس بدرعه العريض
ثابتاً كلبوءة تدافع عن أشبالها
عندما تقودهم إلى غابة كثيفة وتواجه
- ١٣٥ القناصين فتستجمع كل قواها في صدرها
وتكشر عابسة، وتقطب الحاجبين إلى أن تختفى عيناها.
هكذا، كان يرى أياس واقفاً دفاعاً عن البطل باتروكلوس،
ووقف مينيلائوس بن أتريوس بجواره صلباً، يطحن قلبه حزن عميق.
- ١٤٠ لكن جلاوكوس بن هيبولوخوس قائد رجال الليكيين
رمق هيكتور عابساً، ورماه بكلمات قاسية:
"أى هيكتور، تبدو أفضل الشجعان، لكن يعوزك في شئون
الحرب الكثير، فالمجد العظيم يغمرك هباءً، بينما أنت جبان رعديد.
عليك، الآن، أن تفكر في طريقة تحمى بها مدينتك ووطنك
بنفسك، مع الشعب الذى يتخذ من إليون وطناً.
- ١٤٥ فلا أحد من الليكيين سيحارب الدانائيين من أجل المدينة، وقد رأوا
أنهم لا يلقون الشكر على أداء واجبهم
بخوض غمار القتال في قلب حشود الأعداء.
فكيف لك أن تنقذ من هم أقل جدارة بين ذويك في الحرب،
وقد تركت، يا قاسى القلب، سارييدون ضيفك ورفيقك
- ١٥٠ ليكون فريسةً للأرجيين وغنيمة،
وهو الذى كثيراً ما كان عوناً لك، أنت نفسك، ولمدينتك
طيلة حياته، وأنت الآن لا تجرؤ أن تحميه من الكلاب.
لو يسمعنى الآن أحد الليكيين
لذهبنا إلى بيوتنا، وأحاق بطروادة دماراً وشيكاً.
- ١٥٥ فإذا غمرت الطرواديين روحٌ جريئةٌ وشجاعةٌ،

- مثل تلك التى تملأ قلوب الرجال وهم
 يخوضون غمار القتال العنيف ضد الأعداء من أجل بلدهم،
 لاستطعنا أن نسحب جسد باتروكلوس سريعاً إلى اليون.
 ١٦٠ أجل، وإذا جاء هذا الميت إلى مدينة برياموس العظيمة
 وإذا تمكنّا أن نبعده عن المعركة لتتنازل الأرجيون سريعاً عن أسلحة
 ساربيدون العظيمة، واستطعنا أن نعيد (الجسد) إلى اليون^(*).
 فالقتيل باتروكلوس هو حامل الدروع، وهو أفضل
 ١٦٥ الأرجيين المحاربين بجوار السفن، هو وأتباعه المحاربون الآخرون.
 أنت لا تملك شجاعة تؤهلك لمقاومة أياس قوى القلب، ولا تستطيع
 الصمود أمامه أو أن تجابهه وجهاً لوجه وسط صيحات المحاربين،
 أنت لا تستطيع تحدى مَنْ هو أفضل منك"
 فقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة عابساً:
 ١٧٠ "أى جلاوكوس، لماذا - وأنت من أنت - تتكلم بطريقة
 غير لائقة؟ تبّاً، ظننت أنك تفوق غيرك حكمةً،
 أكثر من هؤلاء الكثيرين الذين يقطنون ليكيّا ذات التربة الخصبة.
 ولكن الآن، ما أحملك!
 تقول إننى لا أجرؤ على ملاقات عملاق مثل أياس،
 ١٧٥ إننى لا أهاب الحرب ولا جلبة الجياد،
 لكن تدبير وتقدير زيوس، لابس الدرع أيجيس، هما الأقوى دائماً،
 فهو الذى يفزع الشجاع ويسلبه النصر
 ببساطة، ثم يعود ليحرّضه على الحرب مرة أخرى.
 لكن تعال هنا، أيها الرفيق، قف إلى جوارى وانظر
 ١٨٠ ما أفعله، لتعرف ما إذا كنت اليوم ألعب دور الجبان، كما تدعى
 أم أن أيّا من الداناتيين، وأيّا تكون لهفته للقتال

(*) يبدو هنا أن جلاوكوس لا يعرف شيئاً عن حقيقة أن جسد ساربيدون قد نقله إله النوم وإله الموت من ساحة القتال إلى ليكيّا. راجع الكتاب السادس عشر، بيت ٦٨٩. (الحرر)

سأكبح شجاعته وأحرمه من أن يقاتل دفاعاً عن باتروكلوس الصريع"

قال ذلك، وصاح بالطرواديين عاليًا:

"أيها الطرواديون و الليكيون الداردانيون المقبلون على القتال

كونوا رجالاً، أيها الأصدقاء، واستثيروا شجاعتكم الجامعة، ١٨٥

بينما أتقلد أنا الأسلحة الباترة لأخيليوس العظيم،

تلك الأسلحة المجيدة، التى نزعته عن باتروكلوس عندما قتلته"

قال ذلك هيكتور ذو الخوذة اللامعة، ثم

ابتعد عن ساحة الوغى، ليلحق بأتباعه،

وسرعان ما لحق بهم مهرولاً لأنهم لم يكونوا على مسافة كبيرة منه. ١٩٠

كانوا يحملون أسلحة ابن بيليوس الشهيرة إلى المدينة.

توقف متجنباً جانب القتال العنيف وبذل أسلحته

فأعطاهما للطرواديين محبى الحرب لكى يحملوها

إلى إليون المقدسة، بينما تقلد هو الأسلحة الخالدة

التى كان أخيليوس بن بيليوس يرتديها، تلك الهدية التى صنعها ١٩٥

ساكنو السماء وقدموها إلى والده الحبيب، والتى عندما تقدم به السن

منحها لابنه، الذى لم يبلغ الشيخوخة بعد وهو يضع على كتفه

هذه الأسلحة. وعندما لمح زيرس، جامع السحاب، عن بعد

وهو متسلح بأسلحة ابن بيليوس شبيه الآلهة

حينئذ، هز الإله رأسه وخاطب نفسه: ٢٠٠

"ويحك، يا لك من تعس، إذ لا تفكر فى الموت الذى سيحيق بك

رغم أنه وشيك، أنت ترتدى الأسلحة الخالدة

لأفضل الرجال، الذى يرتجف أمامه كل من سواه.

أنت الذى قتلت رفيقه الشهم القوى

وأخذت الأسلحة من رأس صديقه وكتفيه ٢٠٥

على نحو لا يليق، رغم ذلك، سأمنحك قوة هائلة فى الوقت الراهن

مقابل ألا تعود أبداً من الحرب إلى أندروماخى،
تَسْلُم من يديك أسلحة ابن بيليوس المجيدة"

هكذا تكلم ابن كرونوس وأوماً بحواجه الداكنة،
٢١٠ وثبت الأسلحة على جسم هيكتور، بل وألبسه روح آريس
الرهيب، حينئذ، شحنت أطرافه قوةً وشجاعةً،
انطلق تجاه حلفائه الأماجد

وصاح (بصوت عالٍ) ولاح أمام كل الجموع متلألئاً
فى الأسلحة البراقة لابن بيليوس شديد البأس.
وما أن وصل إليهم حتى ألهمهم بكلمات حماسية.
٢١٥ حث على الحرب كلاً من ميستليس وجلاوكوس وميدون
وثيرسيلوخوس وأستىروبايوس وديسينور وهيبوثوؤس
وفوركيس وخروميوس وإينوموس العراف.
حثهم جميعاً على القتال، بكلمات مجنحة:

٢٢٠ "اصغوا إلىّ يا قبائل الحلفاء الغفيرة، يا من تقطنون
حولنا، ليس لأنى أسعى أو أنشد فيكم الكثرة التى لا تحصى،
فما احتشدتم هنا بعيداً عن بيوتكم
إلا لتدافعوا، بكل ما أوتيتم من قوة، عن زوجات الطرواديين
وأطفالهم الأبرياء ضد الأخيين محبى القتال.

٢٢٥ لهذه الغاية أسعى وأكلف قومى بإمدادكم
بالهدايا والطعام، لتلتهب قوتكم وشجاعتكم،
ليسع كل فرد منكم إلى القتال، يعيش أو يموت، فتلك هى نشوة الحرب.
ومنّ يسحب باتروكلوس الميت إلى الطرواديين

٢٣٠ مروضى الخيول، ويقهر أياس شديد البأس، ويخضعه
فنصف الغنائم له، والنصف الآخر لى، ومجده هو مجدى"

سمعوا ذلك، فانقضوا جميعاً على الدانائيين بكل قوتهم

شاهرين الرماح عاليًا، تخفق قلوبهم أملًا
 ٢٣٥ فى جذب الجثة من تحت أياس بن تيلامون.
 حمقى! كم من أرواح زهقت فوق هذه الجثة!
 تحدث أياس إلى مينىلاؤس الشجاع صائحًا:

"أى مينىلاؤس، يا صديقى الشجاع، يا سليل زيوس
 لم يعد لدى أمل فى عودة كلينا من المعركة، سالمين إلى الوطن.
 ٢٤٠ إننى لا أخشى على جسد باتروكلوس،
 فكلاب وطيور الطرواديين، فيما أظن، لن تتال منه.
 لكنى أرتجف (خوفًا) على نفسى وعليك خشية أن يصبنا
 أذى، فسحابة حرب عاصفة تحوم فوق رعوسنا فى ظلام مخيف.
 إنها هيكتور نفسه، إنها الدمار الوشيك الذى يحدق بنا.
 ٢٤٥ هلم، إذن، نادى على أبطال الدانائيين، وليسمعوك"

أطاعه مينىلاؤس الشجاع وصاح صيحة الحرب
 صارخًا فى محاربى الدانائيين بصيحات مدوية:

"أى أصدقائى، يا قادة الأرجيين وناصحيهم،
 يا من تجلسون مع أجاممنون بن أتريوس ومينىلاؤس
 ٢٥٠ على الموائد، تشربون على نفقة المال العام، ويمتثل الناس لأمركم،
 وسيلازمكم مجدّ وشرف من زيوس.
 إنه لمن العسير على أن أُميّز من بين الجموع الحاشدة،
 أيًا منكم أيها الزعماء، فالنزال مضطرم فى المعركة.
 ليتقدم كل منكم من تلقاء نفسه ناظمًا فى قلبه،
 ٢٥٥ يأبى فى غضب أن يصبح باتروكلوس ألعوبةً لكلاب الطرواديين"

وحين قال ذلك، سمعه أياس السريع ابن أويليوس،
 كان أول من أسرع خلال الجموع لمقابلته
 ولحق به تابعه القوى إيدومينيوس،

- وكذلك تابعه ميريونيس نظير إنيايوس، قاتل الأبطال.
 لكن، من ذا الذى يستطيع بمفرده (دونه عون ربات الفنون)
 ٢٦٠ ذكر الآخرين وحصر أسمائهم جميعًا، هؤلاء الذين اندفعوا
 وراء قادتهم وأشعلوا جذوة القتال فى صفوف الآخيين؟
 هبت جموع الطرواديين فى هجوم يقوده هيكتور،
 مثلما يحدث عند مصب نهر سماوى المنيع،
 حيث تزار موجة هائلة فى المجرى،
 ٢٦٥ وتضرب أمواج البحر الشاطيء فتغمر الشاطيء بالأصداء محدثة دويًا،
 هكذا كان صياحهم، عندما هجم الطرواديون، بينما الآخيون
 يلتفون واقفين حول ابن مينوييتيوس وقفه رجل واحد.
 التفتوا جميعًا حوله بدروع من البرونز، ومن فوقهم
 وفوق خوذاتهم الناصعة صبَّ ابن كرونوس الظلام دامسًا.
 ٢٧٠ فزيوس لم يكن يكره ابن مينوييتيوس من قبل،
 عندما كان على قيد الحياة يخدم سليل أياكوس.
 بل إن (زيوس) تبرم لوقوع (باتروكلوس) فريسة
 لأعدائه كلاب الطرواديين، لذا حث رفاقه ليدافعوا عنه.
 فى البدء، صدَّ الطرواديون الآخيين ذوى الأعين البرّاقة،
 ٢٧٥ فانسحبوا تاركين الجسد، لكن الطرواديين المغرورين
 لم يقتلوا واحدًا برماحهم، رغم رغبتهم الجامحة.
 فقط، كادوا أن يسحبوا الجسد بعيدًا،
 وما كاد الآخيون أن يبتعدوا عن الجسد قليلًا، حتى لحقهم
 أياس الذى يفوق الدانائيين جميعًا - فيما عدا
 ٢٨٠ ابن بيليوس - فى الجمال وأعمال القتال.
 هبَّ من خلال صفوف المحاربين الأولى ببسالة،
 كخنزير نزل من الجبال يشتم الكلاب والقناصين
 الشباب والشجعان بسهولة، ويتحرش بهم فى الوديان.

- هكذا، شنت أياس المجيد ابن تيلامون أبى الروح
 ٢٨٥ صفوف الطرواديين بسهولة، إذ هجم عليهم
 وهم يتحلقون حول جسد باتروكلوس يزعمون
 أن يسحبوه إلى المدينة، فيحظون بمجد أبدى.
 تقدم هيبوثوؤس المجيد بن ليثوس البلاسجى
 وسط الطعان الرهيب ليسحب الجسد،
 ٢٩٠ بعد أن ربط القدمين من الكعب إلى الساق،
 ليهجم بذلك هيكتور والطرواديين.
 لكن سرعان ما جاءه ويل لا يمكن لأحد، أيًا كان، أن يدفعه.
 ابن تيلامون، الذى اندفع من بين الجموع
 وضربه، عن قرب، على خوذته البرونزية
 فاهترت الخوذة المزينة بخصلات من شعر الجياد تحت رأس الحربة،
 ٢٩٥ فتحطمت بضربة سيف قوية من (أياس)،
 وتفجر المخ عبر الجرح على طوق رأس الحربة
 حيث لطحها بالدم، وانهارت قواه تمامًا فتركت يداه
 قدم باتروكلوس قوى الهمة تفلت من قبضتيها، وعلى الأرض
 ٣٠٠ أسقطها، بينما هو نفسه هوى فوق الجسد.
 هناك بعيدًا عن لاريسا عميقة التربة، لم يرد جميل والديه
 العزيزين عن رعايته، فأجله كان قصيرًا،
 حيث سقط برمح أياس عتى القلب.
 وبدوره قذف هيكتور رمحه اللامع صوب أياس
 ٣٠٥ وعندما لمح (أياس) الرمح ذا الرأس الحادة قادمًا
 راوغه بالكاد، إلا أن رمح (هيكتور) أصاب سخيديوس بن إفيتوس
 الذى يفوق الفوكيين جميعًا، القاطن
 بانوبيوس الشهيرة، وكان ملكًا على شعب غفير.
 فضربه هيكتور عند أسفل عظمة عنقه

٣١٠ ضربة غائرة، ونفذ الرمح البروتزى مدبب الرأس أسفل كتفيه
فسقط بصخب، وطننت أسلحته وهى تسقط فوقه.
ثم ضرب أياس فوركيس حكيم القلب ابن فاينوبس
فى محيط بطنه، عندما كان يقف فوق هيبوثوؤس،
فكسر صفيحة درعه ومزق السلاح أحشاءه،
٣١٥ وسقط على التراب وتشبثت بالأرض يداه.

تقهقر، محاربو المقدمة، وكذلك هيكتور الأمجد،
بينما صاح الأرجيون بقوة وسحبوا جثتى
فوركيس وهيبوثوؤس ونزعوا الأسلحة عن أكتافهم.
حينئذ تقهقر الطرواديون، يطاردهم جنبهم،
عادوا إلى إليون أمام الآخيين محبى أريس.
٣٢٠ وعلى الرغم من وعود زيوس، كاد الأرجيون يفوزون بالمجد
بسبب قوتهم وشجاعتهم، لولا أن أبوللون نفسه
حثّ آينياس، منتحلاً هيئة الرسول بيريفاس بن إيبيتوس،
الذى شاخ فى خدمة والد (آينياس) وكان طيب القلب.
٣٢٥ انتحل أبوللون بن زيوس صورته مخاطباً (آينياس):

"أى آينياس، كيف تستطيعون، ضد إرادة الإله،
أن تحموا إليون عالية الأسوار؟ حقاً إننى رأيت رجالاً آخرين غيركم،
لديهم الثقة فى قوتهم وقدرتهم وبسالتهم
وفى جيوشهم، قد حافظوا على شعبهم حتى ضد إرادة زيوس.
٣٣٠ بل يرغب زيوس فى أن يكون النصر لنا
أكثر من أن يكون للدانائيين بيد إنكم ترتعدون خوفاً، ولن تحاربوا"
شعر آينياس بأبوللون رامى السهام البعيدة
عندما طالع وجهه، وصاح عالياً بهيكتور:

٣٣٥ "أى هيكتور، ويا أيها الآخرون، يا قادة الحلفاء والطرواديين

- إنه لمن العار، أمام الآخيين أحبباء أريس
أن نعود إلى إليون مهزومين لجبن فينا.
إن وحيًا بالقرب منى يعلن:
- أن زيوس ذا الإرادة العليا لمعين لنا فى المعركة.
فهيأ بنا، إذن، نواصل (التقدم) نحو الدانائيين، فربما نحول
بينهم وأن يحملوا باتروكلوس الصريع إلى سفنهم" ٣٤٠
- قال ذلك، وقفز للأمام فى مقدمة الجيش.
حينئذ، احتشدوا وقاوموا الآخيين مرة أخرى،
وبرمحه طعن آينياس ليوكريتوس
- بن أريسباس، الرفيق النبيل لليكوميديس الشجاع ٣٤٥
فجرحه، وأشفق عليه ليكوميديس حبيب أريس، عندما هوى،
فتقدم وأخذ موقعًا قريبًا منه وأطلق
رمحه البراق، فأصاب أبيساؤن بن هيباسوس راعى الشعب
فى عمق كبده، حتى اهترت من تحته ركبته.
- وكان (أبيساؤن) قد أتى، من بايونيا عميقة ٣٥٠
الترية، كما كان أفضل الرجال فى الحرب بعد أستيروبايوس.
فأشفق عليه أستيروبايوس الشجاع لما هوى،
وانقض على الدانائيين متلهفًا على قتالهم.
لكنه أخفق، حيث تسجوا من كل ناحية بالتروس،
- ووقفوا فوق باتروكلوس شاهرين رماحهم. ٣٥٥
فأياس العملاق كان يجول ويصول هنا وهناك وكان يحضهم
ويأمرهم بشجاعة ألا يتراجع فرد منهم عن جسد (باتروكلوس)،
وألا يتقدم أحدهم ويحارب فى طليعة بقية الآخيين
بل ليصمد الجميع يداً بيد، فى موضع الجثمان.
- بهذا أمرهم أياس القوى، فتضمخت الأرض ٣٦٠
بالدماء المسفوكة، وتساقط القتلى

بغزارة هادرة، من الطرواديين و حلفائهم الشجعان
ومن الدانائيين أيضاً، الذين يسقط منهم قتلى،
ولكن عدد من سقط منهم أقل بكثير من قتلى أعدائهم ؛ لحرصهم
- أثناء المعركة - أن يصدوا الموت عنهم.

٣٦٥

حاربوا كنار مستعرة، وما كان لأحد أن يتيقن
وقتها، أن الشمس أو القمر لا يزال فى الأفق،
إذ خيم الضباب الكثيف ولاسيما على أشجع المحاربين
الملتفين حول جسد ابن مينوبتيوس. (بينما فى مكان آخر)
كان الباقون من الطرواديين والآخيين المسلحين جيداً بالدروع
يحاربون غير مكترئين تحت السماء الصافية، وضوء الشمس المشرق
يسطع فوقهم، ولم تظهر هناك حتى سحابة فى السماء
لا فوق سهل أو (فوق) تل. فكانوا يستريحون من القتال
بين الحين والآخر، وقد أفلت البعض من الرماح المحملة بالأنين،
بأن انتحوا جانباً، بينما آخرون ممن، كانوا فى الوسط يتحملون
قسوة المعركة والظلام. كما أرهقت وطأة الأسلحة
عديمة الرحمة كل القادة. إلا أن رجلين

٣٧٥

- رغم أنهما محاربان شهيران: ثراسيميديس وأنثيلوخوس -
لم يعلما بموت باتروكلوس الذى لا نظير له،
وكانا يعتقدان أنه لم يزل على قيد الحياة

٣٨٠

يحارب بقوة، وسط طلائع الجيش ضد الطرواديين.
توقع هذان البطلان أن يكون رفاقهما قد ماتوا أو هزموا،
وباتا يحاربان بمعزل عن الباقيين، لأن نيسطور أمرهما بذلك،
عندما كانا عند السفن السوداء، وحرصهما على القتال.
واستمر قتالهما العنيف طوال اليوم.

٣٨٥

وازدادت ضراوته، وغرق كل محارب
فى العرق والكبح، وقد توحلت سيقانهم وأقدامهم

- وأذرعهم، وتبللت أعينهم. إذ يتعارك الفريقان
حول جسد التابع المغوار لسليل أياكوس سريع القدم.
وكما يعطى رجلٌ جلد ثور ضخم إلى شعبه
لكى يشدوه بإحكام، بعد نقهه فى الدهن،
فعندما يأخذونه ويقفون متباعدين فى دائرة، ويشدونه
بالتواء، فتخرج الرطوبة، بينما تدخل الدهون
بسبب شد الكثيرين، ويتمدد الجلد كله فى كل اتجاه.
هكذا، من كلا الجانبين، كانوا هنا وهناك، يتجاذبون
جسد باتروكلوس فى محيط ضيق بقلوب مفعمة بالأمل.
(فأمل) الطرواديين أن يسحبوا (الجسد) إلى طروادة، أما الآخيون
فأملهم أن يعودوا بها إلى السفن المجوفة. واستعر حول الجسد
نزاع مهول لم تستطع أثينة أن تخففه عندما رآته،
ولا آريس، مستتفر الجيوش، رغم أن غضبهما كان عنيفاً.
- ذلك هو الكدح المرهق للأبطال والجياد الذى فرضه زيوس
اليوم حول جسد باتروكلوس. بيد أن أخيليوس
شبيه الآلهة لم يكن يعرف بعد أن باتروكلوس قد هوى.
لأنهم كانوا يحاربون بعيداً عن السفن السريعة
تحت حصن الطرواديين، لذلك لم يتصور أبداً
أنه قد مات، بل إنه حى ينتظر عودته سالماً
بعد أن اقترب من البوابات. كان يتوقع
دوماً أنه لن يحاصر المدينة ويسلبها بدونه،
فربما أسرت له والدته بذلك فى حديث خاص.
إذ كانت تواتيه بأنباء عن نوايا زيوس الجبار،
لكن حتى ذلك الحين، لم تكن والدته قد أخبرته بشيء
عن ذلك الحزن الثقيل المقدر، فأعز صديق له قد مات.
والباقون ما زالوا يجاهدون عند جثته بسهامهم الباترة،

وصارع بعضهم بعضاً فى قتال متواصل.

كان الواحد من أبناء الآخيين المسلحين بالبرونز يقول للآخر:

٤١٥

"أيها الأصدقاء، حقاً إنه عار علينا أن ننسحب
إلى السفن المجوفة، الأجدر أن تتشق الأرض السوداء
وتبتلعنا جميعاً. الأفضل أن يحدث ذلك،
ولا نترك للطرواديين مروضى الخيول
يحرزون المجد ويسحبون الجسد بعيداً إلى مدينتهم".

٤٢٠

وبالمثل كان أحد الطرواديين شديداً العزم يقول:
"أيها الأصدقاء، لو قدّر لنا جميعاً أن نهلك
فوق هذا الرجل، فليكن ولا يفر أحدكم من المعركة"
كانوا كلهم يلهبون حماسهم وبأسهم،

فاشتد التناحر وامتد حتى الدياجير،

٤٢٥

وصليل الحديد يطول عنان السماء المذهبة.
وقفت خيول سليل أياكوس بعيداً عن المعركة
تبكى، منذ أن عرفت أن قائدها قد سقط
فى التراب، بيد هيكتور قاتل الرجال.

وعبثاً حاول أوتوميدون الشجاع بن ديوريس

٤٣٠

أن يحمسها مرة بضربات من سوطه السريع،
وأخرى بنبرات رفيقة معسولة، وأحياناً أخرى باللعنات القاسية.

ولم ترغب الخيول فى الذهاب إلى السفن بجوار بحر الهيليسبونطوس
الشاسع، ولا أن تلتحق للمشاركة مع الآخيين فى الحرب.

٤٣٥

وكما يقف العمود ثابتاً بلا حراك، قائماً على قبر رجل أو امرأة،
هكذا وقفت الخيول فى سكون مربوطة إلى العجلة الحربية الباهية،
وقد نكست رعوسها حتى تكاد تلامس الأرض
وكانت الدموع تنهمر من أعينها على التراب

حزناً على موت سائقها، وقد لطخ التراب أعرافها المنسابة
مسترسلة إلى أسفل على الجانبين من تحت سنادة النير. ٤٤٠
وعندما رأى ابن كرونوس حزنها أشفق عليها
فهز رأسه وقال محدثاً نفسه:

"أيتها الخيول التعسة، لماذا أعطيناكم إلى بيليوس الملك
الفانى، بينما أنتم جيول إلهية خالدة لا تموت؟
٤٤٥ أكون ذلك مشاركة للبشر التعساء فى محنتهم؟
حيث لا يوجد، فى تصورى، من يستحق الشفقة بين الكائنات
التي تتنفس على وجه الأرض وتتحرك أكثر من الإنسان^(*).

والحق أن هيكتور بن برياموس لن يمتطى صهوتكم ولن يمتطى عربتكم
الحربية البهية. ألن يكفيه أن يرتدى الأسلحة التى يزهو بها متبختراً؟ ٤٥٠
لكنى سأضع فى أرجلكم وروحكم قوة
حتى تحملوا أوتوميدون سالماً بعيداً عن المعركة
إلى السفن المجوفة، حيث سأمح مزيداً من النصر (للطرواديين)
ليواصلوا القتال حتى يصلوا إلى السفن متينة المقاعد،
وتغرب الشمس ويحل بهم ظلام إلهى" ٤٥٥

وما أن قال ذلك حتى نفث فى الخيول قوة هائلة،
فنفضت الخيول الغبار عن أعناقها إلى الأرض
وبرشاقة جرت العجلة الحربية السريعة وسط الطرواديين والآخيين.
وكان أوتوميدون من خلفها يحارب الطرواديين وكله حزن على رفيقه
(باتروكلوس)، وانقض بعجلته الحربية كما ينقض النسر على الأوز. ٤٦٠

كاد يفر بخفة من بين حشود الطرواديين
ولاحق جموعهم الغفيرة ملاحقة حثيثة لكنه لم يقتل أحداً،
فلم يكن بإمكانه، فى كل الأحوال، وهو وحيد على عجلته الحربية

(*) ذاع هذان البيتان فى الأدب القديم والحديث باعتبارهما دليلاً على تشاؤم هوميروس ورؤيته للإنسان على أنه
أبأس المخلوقات. قارن الأوديسية، الكتاب الثامن عشر بيت ١٣٠. (المحرر)

٤٦٥ المقدسة أن يهاجم برمحه، و يقود الخيول السريعة فى الوقت نفسه.
وأخيراً، لمحّه أحد الرفاق، ألكيميدون بن لائيركيس بن هايمون،
فوقف فوق عربته من الخلف، وتحدث إلى أوتوميدون:

"أى أوتوميدون، مَنْ من الآلهة قد غرس

٤٧٠ فى صدرك نصيحة غير ذات نفع، وسلب الفهم من عقلك؟
تقاتل، هكذا، فى مقدمة الصفوف ضد الطرواديين بمفردك،
قُتِل رفيقك، وأسلحتّه يرتديها هيكتور على كتفيه
إنها أسلحة سليل أياكوس المجيدة"

وأجابه أوتوميدون بن ديوريس:

٤٧٥ "أى ألكيميدون، مَنْ غيرك من أبطال الآخيين بوسعه
أن يشكم ويقود خيولاً خالدة
باستثناء باتروكلوس وحده، صنو الآلهة فى المشورة
عندما كان حيّاً؟، أما الآن وقد أدركه الموت والهلاك
فلتأخذ أنت السوط والأعنة البراقة،
٤٨٠ وسأنزل أنا للأرض حتى أقاتل"

قال ذلك، فوثب ألكيميدون فوق العجلة الحربية المسرعة
وبخفة قبض بيديه على السوط والأعنة.

وكان أوتوميدون قد نزل من فوق عجلته الحربية. وعندما شاهدها
هيكتور المجيد، نادى مباشرة على آينياس الذى كان على مقربة منه:

٤٨٥ "أى آينياس، يا قائد الطرواديين المسلحين بالبرونز،

هناك، ألمح جوادى سليل أياكوس سريع القدم

قادمين نحو المعركة ظاهرين للعيان يقودهما رجال ضعاف.

كلّى أمل أن أسرهما، فإذا كنت حقاً ترغب فى ذلك

من قلبك، فلن يصمدا أمام هجومنا نحن الاثنين

٤٩٠ ولن يغامرا بالوقوف والنضال أمامنا فى المعركة"

هكذا قال، وأطاعه ابن أنخيسيس الشنجاع،

وتقدم كلاهما وفوق كتفى كل منهما

درع من جلد ثور مقوى ومجفف وملحوم به برونز سميكة.

وكان خروميوس معهما، وكذلك أريتوس شبيه الآلهة

وكانت قلوبهم قد امتلأت فى داخلهم ٤٩٥

بالأمل فى قتل الرجلين، وأن يستوليا على الخيول قوية الأعناق.

ويا لهما من أحمقين! حيث إنه دونما إراقة دماء

لن يستطيعا سلبهما من أوتوميدون الذى تضرع إلى زيوس الأب

ممثلاً قلبه العتيد بالبسالة والقوة.

وسرعان ما خاطب ألكيميديون رفيقه المخلص قائلاً: ٥٠٠

"أى ألكيميديون لا تمسك الخيول على مبعدة منى، بل دع

أنفاسها تضرب فى ظهري، فالحق أننى لا أعتقد

أن هيكتور بن برياموس سيرجع عنا،

حتى يقتلنا نحن الاثنين ويمتطى خيول

أخيليوس جميلة العُرف، فينشر الذعر بين صفوف ٥٠٥

الأرجيين، أو يُقتل هو نفسه فى صفوف المقدمة"

وما أن قال ذلك حتى نادى الثنائى أياس كليهما ومينيلاؤس:

"أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا مينيلاؤس

ويحكم! سلموا جسد الميت لمن هم أجدر

بحمايته وصد صفوف الرجال (الأعداء) عنه. ٥١٠

تعالوا، الآن، لتصدوا عنا نحن الاثنين الأحياء (*) يوماً قاسياً.

فهنا فى خضم الحرب الأليمة يهاجم بعنف

هيكتور وآينياس اللذان هما أفضل الطرواديين.

(*) هذا معناه أن الحى أفضل من الميت وأولى بالرعاية، ولقد ورد فى الكتابات المسيحية الأولى

(Ecclesiastes, ix 4) قول فحواه أن كلاً حياً أفضل من أسد ميت. (المحرر)

- حقاً إن كل شيء يقع على ركبتي الآلهة
ولذا سأقذف (هذا الرمح) وأترك الباقي لزيوس" ٥١٥
- قال ذلك، ووازن رمحه بعيد الظل وقذفه
فأصاب مباشرة درع أرييتوس المصقول باستدارة جيدة،
ولم يقو الدرع على صد (الرمح)، فنفذ البرونز بقوة خلاله
إلى العمق، متجاوزاً حزام البطن. ومثلما يضرب رجلٌ عتى القبضة،
بفأس ذي حافة حادة خلف قرون ثور أليف، ٥٢٠
فتتهتك أعصابه كليةً، ويقفز الثور للأمام ويتهاوى.
هكذا وثب أرييتوس للأمام وسقط على ظهره، فالرمح
بالغ الحدة الذي ثبت مهتزاً في أحشائه، قد أرخى أطرافه.
لكن هيكتور برمحه اللامع، قذف أوتوميدون، ٥٢٥
فما كان من (أوتوميدون) الذي كان ينظر إليه بثبات، إلا أن راوغ
الرمح البرونزي بأن مال للأمام بسرعة، فانطلق الرمح الطويل
وانغرس في الأرض خلفه، وانتصب الرمح واقفاً،
وعلى وجه السرعة أحبط آريس ضراوته.
حينئذ، أوشكا أن يشتبك بسيفهما ملتحمين، ٥٣٠
لو لم يكن الثنائي أياس قد حالاً بينهما.
فعندما جاء (الثنائي أياس) في حشد، تلبية لنداء رفيقهما
وعلى إثر هجومهما، حل الرعب مرة أخرى
بهيكتور وأينياس وخروميوس شبيه الآلهة
فتقهقروا وتركوا أرييتوس، مطعوناً ومُسجىً. فسلب منه أوتوميدون، ٥٣٥
صنو آريس السريع، أسلحته غنيمة، وتفاخر ساخرًا:
"الحق إنني أرحت قلبي قليلاً من حزنه على موت ابن
مينوييتيوس، مع أن الرجل الذي قتلته أقل من (ابن مينوييتيوس) شأنًا"
قال ذلك، ثم حمل الغنائم الملطخة بالدماء ووضعها ٥٤٠

فوق عجلته الحربية التى امتطأها، وكانت قدماء ويده
تتضح بالدماء، وكأنه أسدٌ قد التهم عجلًا.

عادت المعركة الوحشية تستعر من جديد فوق
جسد باتروكلوس أضرمت أثينة نيران القتال المفجع،
هبطت من السماء، رسالة من قبل زيوس بعيد النظر
تحت الدنائيين (على القتال). (فزيوس) قد غير نواياه.
وكما يقذف زيوس قوس قزح يومض للبشر

من أعلى قمم السماء نذيرًا بالحرب
أو بعاصفة مطيرة، قارسة البرودة، تجبر
البشر على التوقف عن أعمالهم فى الأرض، وتوهن الدواب.
هكذا، لفتت (أثينة) نفسها بسحابة من الوميض وان্দست بين حشود
الآخيين، وأشعلت حماس كل المحاربين واحدًا بعد الآخر.
فى البدء، بادرت بالحديث إلى مينيلأوس الشجاع بن أترىوس
لتشعل حماسه، حيث كان قريبًا منها.

بعدما تجسدت فى هيئة فوينيكس وصوته الذى لا يكل فقالت:
"ويحك مينيلأوس، ستطير رأسك ويلحقك العار حقًا،
إذا مزقت الكلاب اللاهثة تحت سور الطرواديين
جسد الصديق الصدوق لصاحب العزة أخيلئوس.
لذا، تماسك، ولتشعل حماسة جيشك، ولتكن شجاعًا"

حينئذٍ، أجابها مينيلأوس البارع فى صيحة الحرب:
"أى فوينيكس، أيها الشيخ العزيز علينا منذ الأيام الخوالى!
ليت أثينة تمنحنى القوة وتدفع عني ضربات السهام،
حينئذٍ، سأقف سعيدًا إلى جانب باتروكلوس وأدافع عنه.
فموته مسّ قلبى فى أعماقه بالأسى،

لكن هيكتور مرعب كنار مستعرة ولم يكف عن

نشر الدمار بسيفه، حيث وهبه زيوس المجد"

وعندما قال ذلك فرحت الإلهة أثينة زرقاء العينين،

فهي، من بين الآلهة أجمعين، أول من تضرع إليها.

فغرست القوة في كتفيه وركبتيه،

٥٧٠

كما طبعت في نفسه الإصرار، ومثل ذبابة

دائمًا ما تطرد من فوق جلد البشر،

إلا أنها تصر دومًا على اللدغ، للذة دماء بنى الإنسان. بمثل هذه

الجساسة (التي لا تكل ولا تمل) ملأت (أثينة) قلبه الأسود بداخله.

فوقف (مينيلاؤس) فوق جسد باتروكلوس وانطلق برمحه المتلألئ.

٥٧٥

حينئذ، كان بوديس بن إيثيتيون بين صفوف الطرواديين،

ذلك الرجل الثرى ذو القوة. وكان هيكتور يميّزه عن سائر

الشعب، كما كان رفيقه وجليسه المفضل في الاحتفال.

فضربه مينيلاؤس ذهبى الشعر على حزامه برمية من رمحه

بينما كان يستعد للفرار، وغرس فيه السلاح البرونزى

٥٨٠

فسقط وارتطم مجلجلاً، وما كان من مينيلاؤس بن أتريوس

إلا أن سحب جسد الميت (باتروكلوس) بعيدًا، من وسط الطرواديين،

إلى جموع رفاقه.

حينئذ، اقترب أبوللون من هيكتور وحثه على الاستمرار

وقد اتخذ أبوللون هيئة فاينوبس بن آسيوس

الأعز لديه من بين الضيوف جميعًا، وكان يتخذ أبيدوس وطنًا.

٥٨٥

وخاطبه أبوللون بعيد القذائف متمثلًا في هيئة فاينوبس:

"أى هيكتور، مَنْ من الآخيين سيهايك بعد الآن؟

كيف جينت أمام مينيلاؤس، الذى كان يُعدُّ

فيما مضى محاربًا ضعيفًا؟ رغم ذلك سحب الجسد

بمفرده، من بين الطرواديين، دونما مساعدة من أحد، وقتل

- ٥٩٠ رفيقك الوفى الشجاع، بوديس بن إيثيتيون، فى صفوف المقدمة"
- وما أن قال ذلك حتى غمرت سحابة قاتمة من الحزن (هيكاتور)،
فوقف بين صفوف المقدمة، وكان برونز أسلحته وضاءً.
وسرعان ما أمسك ابن كرونوس درعه أيجيس المتلألئ بالحلوى
المعدنية وساطع الضياء، وغطى قمة إيدا بساتر من السحاب،
أبرق وأرعد بقوة، ولوّح بسيفه
- ٥٩٥ مانحاً النصر للطوراديين. ورمى الآخيين بالفرع.
وأول من بدأ الفرار كان بينيليوس البويوتى،
فبينما كان لا يزال يواجه العدو، أصيب برمح فى كتفه
بضربة سطحية، لكن رأس حربة بوليداماس
قد غارت حتى العظام، حيث قذفها عن قرب.
- ٦٠٠ كان هيكاتور قريباً، فضرب ليثيتوس بن ألكثريون قوى الهمة،
فأصاب رسغه وأقعده عن القتال.
ثم نظر حوله وانسحب، فلم يعد يأمل فى قرارة نفسه
أن يحمل الرمح بيده ليحارب الطوراديين مرة أخرى.
- ٦٠٥ وبينما كان هيكاتور يتعقب ليثيتوس، ضربه إيدومينيوس
على الفور على الحزام الواقى لصدره بالقرب من حمة ثديه،
لكن الرمح الطويل انثنى عند حلقة الحزام.
وصاح الطوراديون عالياً، حين قذف هيكاتور إيدومينيوس
بن ديوكاليون، إذ كان واقفاً فوق عجلته الحربية، لكن الرمح
انحرف عنه قليلاً، فأصاب كويرانوس رفيق ميريونيس وسائقه
والذى تبعه من (مدينة) ليكتوس الحصينة،
حيث جاء (إيدومينيوس) على قدميه فى البداية من السفن المقوّسة.
وكاد يقدم للطوراديين مجداً عظيماً(*)،

(*) أى لو قتلوه. (الغرر)

- لو لم يكن كويرانوس قد سارع، بخيوله سريعة الركض،
لكى يخلصه، وجعله يتفادى لحظة الهلاك.
- ٦١٥ إلا أنه (كويرانوس) لقي حتفه على يد هيكتور، قاتل الرجال
الذى ضربه تحت فكه وأذنيه، فهشمت رأس الرمح
أسنانه من جذورها، كما شطرت لسانه من النصف.
فألقي الأعنة على الأرض وسقط من فوق عجلته الحربية.
- ٦٢٠ فما كان من ميريونيس إلا أن أمسك بيديه
الأعنة الملقاة على الأرض وتحدث إلى إيدومينيوس:
- "اضرب، بالسوط، حتى تصل إلى السفن سريعة الإبحار،
حينئذٍ، ستعرف من تلقاء نفسك أن النصر لم يعد فى صف الآخيين"
- وما أن، قال (ميريونيس) ذلك، حتى ضرب إيدومينيوس
٦٢٥ بالسوط خيوله جميلة العُرف عائداً إلى السفن المجوفة يغمر الفرع
روحه. لكن أياس شديد البأس و مينىلاؤس لم يكونا بغافلين
بأن زيوس كان يرجح كفة الطرواديين.
كان أياس التيلامونى العظيم أول من تكلم منهما:
- "ويحى، إن أى رجل، مهما يكن من الحمق، سيعرف
أن زيوس الأب نفسه يساعد الطرواديين.
- ٦٣٠ حيث إن قذائفهم كلها تصيب، أيّا كان راميها
شجاعاً أم جبائناً، فزيوس، فى كل الأحوال، يوجهها إلى الهدف.
بينما تطيش رماحنا هباءً على الأرض. فلنفكر، إذن، ولنحكم خطتنا،
حتى نتمكن من إنقاذ الجسد والعود إلى الوطن
٦٣٥ وندخل السرور على (نفوس) رفاقنا الأحباء،
الذين، فيما أظن، ينتابهم الحزن إذ ينظرون إلينا
ويرون أن هيكتور قاتل الرجال يعربد فى غضبه، ولن تتوقف يده
التي لا تقاوم، بل يتوقعون أن تقع على السفن السوداء.

- ٦٤٠ ألا يوجد من الرفاق من يحمل رسالة عاجلة جدًا
لابن بيليوس، إذ لم يعلم بعدُ بالأنباء الفظيعة
حسبما أرى، أى أن صديقه الحبيب قد مات.
فإننى لم أر، مثل هذا الرجل بين الأخيين
فهم جميعًا وخيولهم فى الظلام يعمهون.
- ٦٤٥ أى زيوس الأب، لترفع الظلمة عن أبناء الأخيين
امنحهم سماءً صافية، وامنحنا (بصرًا) لنرى
بأعيننا، ولا تميّتنا، إن كان فى ذلك سعادتك، إلا فى النور"
أشفق الأب (زيوس) عليه عندما رآه يبكى،
فسرعان ما بدد الضباب وشتت الظلمة،
- ٦٥٠ وسطعت الشمس من فوقهم، وبانت تفاصيل المعركة.
حينئذٍ تحدث أياض إلى مينىلاؤس البارع فى صيحة الحرب:
"انظر الآن يا مينىلاؤس، يا سليل زيوس، عليك تستطيع أن ترى
أنتيلوخوس بن نيسطور قوى القلب، وما إذا كان على قيد الحياة لا يزال،
فتحتّه على أن يذهب ويخبر أخيلئوس حكيم القلب
بأن رفيقه الأعز قد هلك"
- ٦٥٥ قال ذلك، فلم يستطع مينىلاؤس البارع فى صيحة الحرب
أن يرفض، بل أقدم كأسد ينطلق من مزرعة
عندما يتعب من مطاردة الكلاب والرجال والحراس
الذين صدوه عن نهش أسمن
- ٦٦٠ ثور فى القطيع ؛ لأنهم كانوا يحرسون (الحظيرة) طوال الليل.
لكن (الأسد) من شدة لهفته على اللحم، قد هجم، لكنه فشل
حيث أمطرته أيادى باسلة من سكان البلد بقذائف كثيفة
ومتقدة باللهب، فارتدع رغم لهفته.
حتى أتى الفجر، فرحل بقلب كسير.

٦٦٥ هكذا، رحل مينىلاؤس البارع فى صيحة الحرب، عن باتروكلوس
على غير إرادته، حيث خشى أن يتركه الآخيون
فريسة للأعداء، وقد أعجزهم خوف شامل.

ثم وجه عدة أوامر مباشرة إلى ميريونيس وإلى الثنائى أياس:

"أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا ميريونيس

٦٧٠ حان الوقت، الآن، أن نتذكر طيبة باتروكلوس التعس،
كان دومًا رقيقًا مع الجميع فى حياته.
لكنه، الآن، بات فريسة الموت والقدر"

عندما قال ذلك، مضى ذهبى الشعر مينىلاؤس

محملًا فى كل اتجاه حوله كالنسر الذى يُقال إنه

٦٧٥ من الطيور التى تطير عاليًا تحت (قبة) السماء
حاد البصر، فلا يستطيع الأرنب سريع العدو أن يراوغه رغم
أنه يحلق عاليًا، فيما يقبع الأرنب تحت شجيرات كثيفة الورق،
فينقض النسر ويمسك فريسته ويسلبها الحياة.

هكذا، يا مينىلاؤس، يا سليل زيوس، جُلّت وصُلّت

٦٨٠ فى كل الأنحاء، بأعين متقدة، بين صفوف رفاقك الكثيرين
علَّك تستطيع أن ترى ما إذا كان ابن نيسطور لا يزال على قيد الحياة.
وعلى الفور رآه (مينىلاؤس) بعيدًا على ميسرة المعركة
يشجع رفاقه ويحثهم على القتال.

فدنا منه مينىلاؤس ذهبى الشعر وخاطبه:

٦٨٥ "تعال هنا يا أنتيلوخوس، يا سليل زيوس

لتسمع أخبارًا مفاجئة، ما كنت أتمنى حدوثها.

أظن أنك تعرفها الآن، فأنت رأيت بعينيك

كيف أن الإله ينزل مصيبة بالدانائيين، وأنه يشاء

النصر للطرواديين، وكيف قُتلَ خيرة (رجال) الدانائيين

٦٩٠ باتروكلوس، وكيف يقاسى الدانائيون خسارة فادحة.
لكن، فلتنطلق مسرعًا إلى سفن الآخيين وخبر أخيلوس
علّه يستطيع أن يحمل الجثة العارية إلى بر الأمان، ويأتى
بها إلى سفينته. فهيكثور ذو الخوذة اللامعة جرده من أسلحته"

غمر أنتيلوخوس الفرع لسماعه ذلك النبأ،
٦٩٥ فوقف لفترة طويلة دون أن ينبس بكلمة، تفيض عيناه بالدموع،
واختنق صوته. ولكنه رغم ذلك لم يغفل ما أمر به مينيلأوس،
فانطلق يعدو، وكان قد أعطى أسلحته لرفيقه الذى لا نظير له
لاودوكوس، الذى كان على مقربة منه يسوق خيوله ذات الحافر الواحد.

٧٠٠ وكان يبكى وهو يجر قدميه بعيدًا عن ساحة الوعى،
حاملًا نبأ حزينًا لأخيلوس بن بيليوس.
ألا ترغب يا مينيلأوس، يا سليل زيوس،
أن تساعد رفاقك وهم فى محنة شديدة، بعد أن تركهم
أنتيلوخوس، على الرغم من أن أبناء بيلوس كانوا فى أمس الحاجة إليه.
٧٠٥ إلا أن (مينيلأوس) أرسل ثراسيميديس شبيه الآلهة.
ليساعدهم، وبينما هو نفسه قد أسرع، ثانية، ليحمى البطل باتروكلوس.
فجرى واتخذ مكانه بجوار الثنائى أياس وخاطبهما:

"لقد أرسلت (أنتيلوخوس) إلى السفن سريعة الإبحار
وأمرته أن يسرع إلى أخيلوس سريع القدم، فلا أظن
٧١٠ أنه (أخيلوس) سيأتى فورًا، رغم غضبه من هيكثور الإلهي
إذ كيف يتسنى له أن يحارب الطرواديين بدون سلاحه.

دعونا، الآن، نفكر فى خطة بارعة
لا لكى ننقذ الجسد فقط، بل لننأى أيضًا
بأنفسنا عن الموت وعن الهلاك وسط صخب المعركة ضد الطرواديين"
٧١٥ أجابه، عندئذٍ، أياس التيلامونى العظيم:

- "إن كل ما قلته حق، يا مينيلاؤس المجيد
 إذن، فلنتحن أنت وميريونيس، على وجه السرعة، تحت جسد الميت
 وترفعاه على كتفيكما، بعيدًا عن ساحة الوغى، ومن خلفكما
 سنحارب نحن الاثنين الطرواديين وهيكتور الإلهي
 ٧٢٠ إذ لنا قلب واحد واسم واحد، فطالما تقنا
 من قبل، إلى مواجهة آريس جنبًا إلى جنب"
 قال ذلك، ورفع الآخران الجسد بقوة بالغة
 من فوق الأرض بسواعدهما، وحينئذٍ، ومن خلفهما
 صاح جيش الطرواديين عاليًا عندما شاهدوا الآخيين يرفعون الجسد.
 ٧٢٥ فهاجموهم كما تهاجم الكلاب خنزيرًا جريحا
 أمام قناصين فتيان يلاحقونه بجرأة،
 وبينما يطاردونه، وكل منهم متلهف لأن يمزقه
 ما أن يستدير نحوهم فى ثقة
 حتى يفروا أمامه مهرولين، هنا وهناك، من (شدة) الفزع.
 ٧٣٠ هكذا، ظل الطرواديون يلاحقونهم أسرابًا، لوقت طويل.
 ويضربون برماحهم وسيوفهم الحادة
 وما فتىء الثنائى أياس أن استدارا نحوهم، فأوقفوهم
 فامتقع لونهم، ولم يجرؤ أحد منهم أن يتقدم ليحارب من أجل الجسد.
 ٧٣٥ كان الاثنان يحملان الجسد ويسرعان به من ساحة
 القتال إلى السفن المجوفة، فاشتدت عليهما وطأة القتال
 واستعرت ناراها، كمثل (النار) عندما تلتفح مدينة أهلة بالسكان
 فتندلع بلهيب مباغت، وتتهار المنازل، ويأتى عليها،
 وهج اللهب الذى تزيده الرياح زئيرًا.
 ٧٤٠ هكذا، كان ضجيج الخيول وعجلات الرماحين متواصلًا
 فى تعقبهم لهم، بينما هم يحملون جسد (باتروكلوس) ويسرعون
 كالبيغال تبذل أقصى ما لديها من قوة

- وهى تجر كتلة خشبية هائلة أو جزءاً ضخماً من سفينة من
فوق الجبل أو على طريق فرعى وعري،
فتنهك أرواحها داخلها من الكد والإرهاق وينهمر العرق. ٧٤٥
- هكذا كافح (مينيلاؤس وميريونيس) فى حمل الجسد وخلفهما
الثنائى أياس يكبحان العدو، وكأنهما مرتفع صخرى كثيف الشجر
وقف عبر السهل بكل قوته فى وجه الفيضان المدمر،
يصد سيول الأنهار القوية،
ويبعد تيارات هذه المياه كلها حتى تتجرف ٧٥٠
- إلى السهل، فلا تقوى السيول على تدميره مهما تكن قوتها.
بمثل هذه الطريقة واجه الثنائى أياس معركة الطرواديين،
لكن (الطرواديين) باتوا يلاحقونهما عن قرب، وكان بينهم
آينياس بن أنخيسيس فى صفوف المقدمة مع هيكتور المجيد.
ومثلما يطير سرب من الزرازير أو الغربان ٧٥٥
- ويصرخ بصوت فزع عند رؤية الصقر القادم
حاملاً الهلاك إلى الطيور الصغيرة.
هكذا بهذه الطريقة، هرع شباب الآخيين أمام
آينياس وهيكتور يصرون صيحات الهلاك، متناسين متعة القتال
وتساقطت الأسلحة الناصعة أكواماً حول الخندق ٧٦٠
- عند هروب الدانائيين، لكنهم لم يكفوا عن القتال. ٧٦١

الكتاب الثامن عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

قاتل المحاربون مثل نار متأججة،
وجاء أنتيلوخوس سريع الخطو إلى أخيليوس
فوجده أمام السفن المقوسة مثل القرون،
تتوجس نفسه (أخيليوس) بالشئ الرهيب الذى قد حدث
وتحدث مهموماً إلى روحه الباسلة:

٥

"ويحى كيف يطرد، مرة أخرى، هكذا، أبناء الآخيين
طويلو الشعر مشنتين عبر السهل المؤدى للسفن؟
ليت الآلهة لا تحقق الأحزان الثقيلة فى نفسى
والتي أخبرتني بها، ذات مرة، والدتي عندما قالت لى
إن واحداً من خيرة الميرميدونيين، فى أثناء حياتى
سيترك نور الشمس على أيدي الطروانيين.
من المؤكد أنه ابن مينوبوتيس الشجاع، لقد مات!
إنه حقاً لمتهور؛ لأننى أمرته أن يخدم نار (الأعداء)
المستعرة، ثم يعود إلى السفن ولا يحارب هيكتور"

١٠

١٥

كان أخيليوس شاردًا يحدثه عقله وقلبه بتلك الأمور،
فدنا منه ابن نيسطور المجيد
سافكاً دموغاً ساخنة، وأخبره النبأ الحزين:

"ويحى، يا ابن بيليوس حكيم القلب، إنه جد مفجع
ذلك الخبر الذى ستسمعه، وكم كنت أتمنى ألا يحدث.

٢٠

إن باتروكلوس يرقد ميتاً بينما تتصارع الجحافل حول جثته العارية،
بعد أن سلبه هيكتور ذو الخوذة اللامعة الأسلحة"

سمع أخيليوس ذلك فغمرته غمامة حالكة من
الحزن، وقبض بكلتا يديه على رماد أسود أهاله على
رأسه حتى تشوه وجهه الوسيم.

- ٢٥ وتساقط الرماد الأسود على رداءه العبق
وتمرغ، بكل كيانه الضخم، فى التراب يشد شعره ويمزقه.
و الإماء اللائى سباهن أخيلئوس وباتروكلوس
كن ينوحن بصوت أليم مندفعات إلى العراء حول
٣٠ أخيلئوس حكيم القلب، وكن جميعهن يضربن صدورهن
بأيديهن، وقد ارتخت مفاصل كل واحدة منهن.
كان أنتيلوخوس ينتحب سافكاً الدموع
وممسكاً بأيدى أخيلئوس الذى كان يئن بشدة من قلبه المجيد،
خشية أن يقطع رقبتة إرباً بسكين^(*).
٣٥ تأوه (أخيلئوس) بشدة، فسمعتة أمه الجليلة
حيث كانت تجلس فى أعماق البحر إلى جوار أبيها المسن
وعندما صرخت، التفت من حولها عرائس البحر^(**).
جميعهن، بنات نيريوس، الساكنات فى أعماق البحر.
كانت هناك، جلاوكى وثاليا وكيمودوكى
٤٠ ونيسايا وسبيو وثوى وهاليى، ذات العيون الواسعة كالمها،
وكيموثوى وأكتايا وليمنوريا
وميليتى ويارا (إييرا) وأمفيثوى وأجاوى
ودوتو وبروتو وفيروسا ودينامينى
ودكسامينى وأمفينومى وكاليانيرا
٤٥ ودوريس وبانوبى وجالاتيا الشهيرة
ونيمرتيس وأبسيوديس وكالياناسا.
وكانت هناك كليمينى ويانيرا وياناسا
ومايرا وأوريثيا وأماتيا جميلة الصفائر،
وأخريات من بنات نيريوس اللائى كن فى عمق البحر

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة للتحار فى "الإلياذة"، مما دفع بعض المحققين لحذف هذا البيت. (الحرر)

(**) فى الأبيات ٣٩-٤٩ يورد هوميروس قائمة بأسماء عرائس البحر ويميل بعض المحققين لحذف هذه الأبيات. وجدير بالذكر أنه ورد عند هيسودوس خمسون اسماً لعرائس البحر. (الحرر)

- ٥٠ فامتلاً الكهف البللورى بهن، وما لبثن جميعهن أن
ضربن صدورهن، وبدأت ثيتيس فى النواح:
"أى بنات نيريوس، اسمعننى يا أخواتى،
لتعرف كل منكن كم هو أليم ذلك الحزن الذى أصاب قلبى.
ويحى، ما أشقانى، لقد أنجبت أفضل ولد فأشقانى!
- ٥٥ إذ بعد أن أنجبت ابناً فريداً قوياً،
متفوقاً على ماعداه من الأبطال، وشبَّ كنبئة بازغة،
ربيته كشجرة فوق تل خصيب،
وأرسلته فى السفن المقوَّسة إلى إليون،
ليحارب الطرواديين، لكننى لن أستقبله
عائداً، مرة أخرى إلى وطنه، إلى بيت بيليوس.
- ٦٠ حتى فى أثناء حياته وهو لا يزال يرى نور الشمس
أصابه الحزن وما كان بوسعى أن أساعده بالذهاب إليه.
إلا أننى الآن ذاهبة إليه، كى أرى ابنى العزيز
لأسمع أى حزن قد ألم به رغم بقائه بعيداً عن الحرب"
- ٦٥ قالت ذلك، وغادرت الكهف، وذهبت فى معيتها
عرائس البحر باكيات، وكانت أمواج البحر تتلاطم من حولهن.
وما أن وصلن إلى أرض طروادة عميقة التربة
حتى خرجن، جميعاً، واحدة تلو الأخرى، نحو الشاطئ
حيث تقف سفن الميرميدونيين فى صفوف متقاربة حول أخيليوس
السريع الذى كان يئن بشدة. فدنّت أمه الجلييلة منه
- ٧٠ وعانقت رأس ولدها وانفجرت فى النواح
بصوت عالٍ، وبصرخة يرثى لها، خاطبته بكلمات مجنحة:
"أى بنى، لماذا تبكى؟ أى حزن حل بروحك؟
أفصح عنه، ولا تخفيه، لقد استجاب
زيوس لدعائك، عندما تضرعت رافعاً يدك من قبل
- ٧٥

طالبًا، حينئذ، أن يحتشد أبناء الأخيين كلهم عند مؤخرات السفن،
وهم يعانون مر الهزيمة وبسبب احتياجهم المؤلم لوجودك"

فتأوه أخيليوس سريع القدم بشدة وأجابها:

"أى أماء، لقد حقق لى الأوليمبى دعواتى حقًا،

لكن، أية فرحة لى فى ذلك؟ وقد قتل صديقى العزيز

باتروكلوس الذى أبجله من بين رفاقى جميعًا

مثل نفسى تمامًا. لقد فقدته، قتله هيكتور، سلبه أسلحته الرهيبة المهيبة

التي وهبتها الآلهة هدية ماجدة إلى بيليوس،

فى اليوم الذى زفوك فيه إلى فراش بشرى.

ليتاك بقيت حيثما كنت وسط عرائس البحر الخالدات

وكان بيليوس قد تزوج امرأة بشرية!

والآن، سيلتهم قلبك حزن لا يحتمل،

من أجل موت ابنك الذى لن ترحبى به ثانية،

حين يعود إلى أرض الوطن. فقلبى لن يسمح لى

بأن أعيش أو أقيم بين البشر، إلا إذا فقد

هيكتور حياته أولاً بضربة من سيفى،

حتى يدفع ثمن قتل باتروكلوس بن مينويتيوس"

ثم خاطبته ثيتيس بدورها والدموع تنهمر من عينيها:

"إذن يا بنى، قدر عليك الموت الوشيك، طالما

تتكلم هكذا، فموتك آت مباشرة بعد موت هيكتور"

تأثر بشدة سريع القدم أخيليوس وتحدث إلى أمه:

"فلأمت، إذن، فى الحال، إذا لم أتمكن من مساعدة

صديقى (*) عند مصرعه، وقد هلك بعيدًا عن وطنه،

(*) هذه مقولة هومرية مشهورة، إذ لها دلالة واضحة عن مفهوم الصداقة فى العالم البطولى الملحمى وسنجد لها

أصداء كثيرة فى كافة فنون الأدب الإغريقى واللاتينى. (المحرر)

- ١٠٠ وكان في حاجة إلى لأصد عنه الكرب
وطالما أننى لن أعود إلى وطنى الحبيب،
ولن أتى بنور (الخلاص) إلى باتروكلوس، ولا إلى
الرفاق الآخرين والكثيرين الذين هزموا على يد هيكتور الإلهى.
وقد جلست (هاهنا) بجوار السفن، كعبء لا طائل منه على الأرض،
١٠٥ وأنا الذى ليس لى نظير فى الحرب، من بين الأخيين لابسى البرونز.
لكن هناك مَنْ يفوقنى مشورةً،
لذا، ليت الصراع بين الآلهة أو بين البشر ينتهى
كذلك الغضب الذى يشجع حتى لحليم على جنون العنف،
حيث يتزايد (الغضب) داخل روح الرجال كدخان يتصاعد
ويكون مذاقه أحلى من قطرات العسل.
١١٠ فهكذا، دفعنى أجاممنون ملك الرجال إلى الغضب.
لكن فلندع الآن هذه الأمور ما دامت قد مضت وانتهت،
وإن كانت مؤلمة، يتحتم أن تكظمها القلوب فى الصدور.
ذاهب أنا الآن لأقتفى أثر ذلك الذى اغتال من
١١٥ أحببته، هيكتور فأهلاً بالمصير المحتوم،
تلك هى إرادة زيوس وباقي الآلهة الخالدين.
فالموت لن يتفاداه أحدٌ وإن كان هرقل القوى
رغم أنه كان الأحب لدى زيوس بن كرونوس،
لكن هزمه القدر وغضب هيرا القاسى.
١٢٠ إننى مثله، إذا كان القدر هكذا قد رُسم لى
سأرقد عندما أموت، حينئذ ربما أفوز بمجد خالد. إذ ربما واحدة
من النساء الطرواديات أو الداردانيات ذوات الثياب الطويلة
تمسح دموعها المنهمرة على وجنتيها الرقيقتين
بيديها، وهى تتنهد بمرارة الحزن.

- ١٢٥ بذلك ربما يعلمون أننى توقفت عن الحرب وقتاً طويلاً^(*)
إذن، وحبك، لا تمسكىنى عن الحرب، فأنت لن تقنعينى
أجابته الآلهة ثيتيس ذات الأقدام الفضية:
"أى بنى، إن ما قلته هو عين الصواب، فليس شراً
أن تصد الدمار الوشيك عن الصديق فى وقت الضيق
لكن أسلحتك المهيبة التى تلمع بالبرونز سلبها الطرواديون.
١٣٠ فهيكثور، ذو الخوذة اللامعة،
يحملها الآن على كتفيه، متفاخراً بها. وإنى لأعتقد
أن تفاخره لن يطول؛ لأن الموت يقترب منه هو أيضاً.
مع ذلك لا تقحم (نفسك) فى جلبه آريس
١٣٥ قبل أن ترانى بعينيك عائدة مرة أخرى إلى هنا.
وإننى سأعود غداً مع شروق الشمس
حاملة أسلحة مهيبة من هيفايستوس الملك"
قالت ذلك وتركت ابنها،
واستدارت لتخاطب أخواتها عرائس البحر:
١٤٠ "لتغوصن الآن، يا أخواتى فى أعماق البحر الرحب
لزيرة مسكن والدنا شيخ البحر المسن
(نيربوس) تخبرنه بالقصة كلها، أما أنا فسأذهب إلى الأوليمبوس
الشاهق، إلى بيت هيفايستوس إله الحدادة الأشهر
لكى يمد ابنى بأسلحة جديدة براقعة"
١٤٥ سمعن كلامها، وغصن مسرعاتٍ طى أمواج البحر،
بينما صعدت ثيتيس الإلهة فضية القدمين إلى الأوليمبوس،
لكى تحضر أسلحة جديدة مجيدة لابنها العزيز.
عندئذٍ رفعتها قدماها إلى الأوليمبوس. كان الآخيون -

(*) خمسة عشر يوماً بالحسابات التى يمكن استنباطها من معطيات "الإلياذة". (اخرى)

- هرباً من هيكتور قاتل الرجال - يهرولون فى صراخ مروع
 ١٥٠ حتى وصلوا إلى السفن والهيليسبونطوس.
 ولم يستطع الآخيون المسلحون بدروع متينة
 أن يسحبوا باتروكلوس تابع أخيلئوس بعيداً عن
 مرمى القذائف، حيث أدركته مرة أخرى حشود وخيول طروادة
 التى يقودها هيكتور بن برياموس فى بسالة كالذهب.
 ١٥٥ فأمسكه هيكتور المجيد ثلاثاً من خلف قدميه
 متلهفاً إلى أن يسحبه بعيداً، ونادى على الطرواديين بصوت عالٍ.
 أما الثنائى أياس كلاهما، فدفعاه إلى الخلف
 ثلاث مرات بقوة بالغة. لكن أياس كان شديد الثقة بقوته،
 اندفع وسط الجموع تارة، ووقف
 ١٦٠ وصاح بصوت مدوٍ تارة أخرى، ولم يتراجع قيد أنملة.
 ومثل الرعاة العاجزين، عن طرد أسد أشعث
 بعيداً عن جثة فى حقل، لفرط جوعه.
 هكذا لم يستطع الثنائى أياس المحاربان العتيدان
 أن يردعا هيكتور بن برياموس (ويقصياه) بعيداً عن الجثة.
 ١٦٥ وكاد هيكتور أن يخطف الجثة وينال المجد الأعظم،
 لولا أن إيريس سريعة القدمين جاءت مثل ريح مرسلّة
 برسالة إلى ابن بيليوس من الأوليمبوس لتحثه على الحرب
 على غير علم من زيوس وباقى الآلهة، حيث أرسلتها هيرا
 فدنت منه ووقفت وخاطبته بكلمات مجنحة:
 ١٧٠ "لتنهض يا ابن بيليوس، يا أقوى
 الرجال طراً، ولتساعد باتروكلوس الذى من أجله يحتدم الآن صراع
 رهيب أمام السفن، ويتناحر (الرجال).
 هؤلاء يدافعون عن جسده المسجى،
 بينما يستमित الطرواديون ليسحبوه

١٧٥ من ذلك المكان إلى إليون ذات الريح العاصفة. وبخاصة هيكتور المجيد
يتلهف أن يسحبه، إذ يمنية قلبه أن يفصل رأسه عن عنقه
الواهن، ويعلقه فوق أعمدة سور طروادة.
فلتنهض إذن، ولا تمكث هنا، وليدخل قلبك الفرع من أن يبيت
باتروكلوس، بأى حال، لعبة لكلا الطرواديين.
١٨٠ وليحل بك عار لو لحق الدنس بجسده"

أجابها أخيليوس الإلهى سريع القدم:
أيتها الإلهة إيريس، أى من الآلهة بعثك إلى بهذه الرسالة؟
فأجابته إيريس السريعة منتعلة الرياح:
"لقد أرسلتني هيرا، زوجة زيوس المجيدة،
١٨٥ ولم يعلم بذلك ابن كرونوس فى علاه،
ولا أحد غيره من الخالدين قاطنى الأوليمبوس الثلجى"

فقال أخيليوس سريع القدم:
"كيف يتسنى لى أن أقاتل، وقد سلب أولئك الطرواديون أسلحتى؟
ووالدتى العزيزة منعتنى من التسلح للقتال
حتى يحين الوقت، وتراها عيناى عائدة إلى هنا مرة أخرى.
١٩٠ تعهدت لى بإحضار أسلحة رائعة من هيفايستوس:
كما أننى لا أعرف (إنساناً) آخر جديرًا بأن أتقلد أسلحته المجيدة
سوى درع أياس بن تيلامون
هو نفسه، فيما أظن، يشارك فى طليعة الحشد
١٩٥ ناشراً الهلاك بسيفه ليحمى باتروكلوس الميت"

فقالت إيريس منتعلة الرياح:
"إننا نعلم تمامًا أن أسلحتك المجيدة قد سلبت،
لكن، اذهب، كما أنت هكذا، إلى الخندق واطهر نفسك للطرواديين.
فإن تملك الطرواديين رعباً منك، وتوقفوا عن القتال

- ٢٠٠ حينئذٍ، تسنح الفرصة لكى يلتقط أبناء الآخيين الشجعان أنفاسهم من بعد التعب، فكم هو قصيرٌ وقت الراحة فى الحرب!"
- قالت ذلك إيريس سريعة الخطو، ورحلت.
- لكن أخيليوس، حبيب زيوس، نهض وقد ألقت أثينة على كتفيه القويين الدرع أيجيس ذا الأهداب.
- ٢٠٥ ثم توجت الإلهة المقدسة رأسه بسحابة ذهبية كثيفة، وقد فجرت منها ناراً متوهجة.
- ومتلماً يتصاعد دخان فوق مدينة ويتجاوز عنان السماء، من جزيرة يحاصرها الأعداء،
- بينما يناضل سكانها طوال النهار فى معركة بغیضة من فوق أسوار مدينتهم، وعند غروب
- ٢١٠ الشمس تستعر انفجارات اللهب واحدة تلو الأخرى، ينطلق (اللهب) عاليًا حتى يراه سكان الجوار، وربما يأتون على متن سفنهم لكى يخلصوهم من الدمار.
- هكذا، انفجر اللهب من فوق رأس أخيليوس عاليًا إلى السماء، فقفز من فوق السور نحو الخندق، وهناك اتخذ
- ٢١٥ لنفسه موقعاً، إلا أنه لم يختلط بحشد الآخيين، حيث تذكر نصيحة أمه الحكيمة، فوقف هناك وصاح ورددت الصياح أثينة باللاس من بعيد، فحل ارتباك لا يوصف وسط الطرواديين.
- كانت صيحته مدوية كصوت البوق المنطلق عاليًا
- ٢٢٠ وسط حشد أعداء عابثين يحاصرون مدينة.
- هكذا كانت صيحة سليل أياكوس.
- وبمجرد أن سمعوا صوت سليل أياكوس البرونزى
- ملاً الرعب قلوبهم جميعاً، وبدأت الخيول جميلة العرف تتراجع عن العجلات، حيث تملك نذر الشؤم قلوبها.
- ٢٢٥ وتخبط سائقوها رعباً عندما رمقوا النار

- المستعرة تتأجج بشكل مفزع، متصاعدة من فوق رأس البطل
ابن بيليوس حيث ألهبتها الإلهة أثينة براقعة العينين^(*).
وصاح أخيليوس الإلهى القوى فوق الخندق ثلاثاً.
وقد ارتبك في كل مرة الطرواديون وحلفاؤهم أصحاب الشهرة
حيث قُتل في التو وفي نفس المكان، اثنا عشر رجلاً من خيرتهم
وسط عجلاتهم الحربية و(بين) رماحهم. لكن الآخيين
سحبوا (جثة) بانثروكلوس بسرور بعيداً عن مرمى القذائف
حيث وضعوه على نعش، واحتشد رفاقه الأعزاء حوله
يكون، و بينهم أخيليوس سريع القدم،
الذى عندما رأى رفيقه المخلص مسجى على النعش
مطعوناً برمح برونزى حاد ذرف دمعاً ساخناً.
إذ كان هو الذى قد أرسله بالخيول والعربة
إلى الحرب، و لن يرحب بعودته مرة أخرى. أرسلت هيرا الإلهة
الجليلة ذات العيون الواسعة كالمها، الشمس التى
لا تكل — مرغمة^(**) — إلى جداول أوكيانوس، فغربت الشمس.
وتوقف الآخيون شبيهو الآلهة عن القتال الرهيب والحرب الضروس.
وتقهقر الطرواديون أمامهم فى القتال المحتدم،
وفكوا الخيول السريعة عن العربات الحربية التى كانت تحملهم،
واحتشدوا فى اجتماع ولم ينشغلوا بعشائهم.
وظلوا واقفين ولم يجرؤ أحد على الجلوس أثناء انعقاد الاجتماع،
فلم يكن لأحد رغبة فى الجلوس؛ حيث تملكهم الفزع عندما
رأوا أخيليوس قادماً بعدما كان قد نأى بنفسه طويلاً عن القتال الفتاك.
كان بوليديماس بن بانثوؤس الحصيف القصيح أول من خاطبهم
فهو الوحيد الذى بمقدوره رؤية ما فات وما هو آت

(*) ترجم الصفة *glaukopis* — وهى لقب من ألقاب أثينة — إما بـ "زرقاء العينين" أو "براقعة العينين". ونرى العبارة الأخيرة أليق بالسياق هنا. (الخر)

(**) أى أرغمت هيرا الشمس على الغروب قبل الآوان. (الخر)

فى آن واحد، كما كان رفيقاً لهيكتور، فقد ولد كلاهما فى ليلة واحدة.
لكنه يفوقه فى الفصاحة، بينما هيكتور يفوقه فى رمى الرمح،
وبالرأى السديد خاطب جمعهم قائلاً:

- "أصدقائى، وازنوا بين كفتى الأمر، فمن ناحيتى
الآن، آمركم أن تعودوا إلى المدينة، ولا تنتظروا مطلع الصباح
الإلهى فى السهل عند السفن، إننا بعيدون عن الأسوار.
إذ طالما استمر ذلك الرجل فى غضبته من أجامنون الإلهى
كان من الأسهل علينا أن نقاتل الآخيين
بل، وكنت أنا أيضاً سعيداً، إذ قضيت ليلة
فوق السفن السريعة المقوسة على أمل أن نستولى عليها.
أما الآن فإننى أخاف ابن بيليوس سريع القدم
فهو رهيب ذو روح مستبدة، ولن يبق
هنا فى السهل، حيث يقتسم الطرواديون والآخيون
غضب آريس بينهما سواءً بسواء.
إنما سينقل القتال إلى داخل مدينتنا وضد نساءنا.
هلموا إلى المدينة، فالأمر على هذا النحو سيسير.
الآن سيوقف الليل الخالد ابن بيليوس سريع القدم
وإذا هجم علينا فى الصباح فى عدته الحربية
ونحن لم نزل هنا، حينئذ، سيعرف كل منا جيداً أى محارب هو،
وسيكون سعيداً من يلوذ بالفرار إلى إليون المقدسة.
ستلتهم الكلاب والنسور الكثيرين من
الطرواديين، وليبتعد هذا الشؤم عن أسماعى!
والحق، إن استمعتم إلى كلماتى، رغم أنها مؤلمة للجميع،
لنحشد كل قوتنا الليلة فى مكان التجمع،
سنحتفى بالأبراج والبوابات العالية،
حيث الأبواب الشاهقة اللامعة والثابتة هناك محكمة الغلق.

وفى الصباح الباكر عند الفجر، يقف الواحد منا مزوداً
بأسلحته على الأبراج، وقتها سيحل (بأخيلئوس) شر مستطير،
إذا جرؤ أن يغادر السفن ليحاربنا للاستيلاء على أسوارنا.
٢٨٠ سرعان ما سيعود أدراجه إلى السفن، عندما تكون خيوله
مشرتبة الأعناق، أنهكها فرط العدو هنا وهناك تحت (أسوار) المدينة
فلن يجرؤ على شق طريقه إلى داخل (المدينة) وبهذا لن يقتحمها
قبلما تلتهمه الكلاب اللاهثة"

وقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة وهو ينظر إليه شزراً:
٢٨٥ "أى بوليداماس، إن ما تقوله بغیض،
فأنت تأمرنا بأن نتقهقر ونحبس أنفسنا فى المدينة،
ألم يكفكم بعد أنكم حوصرتم طويلاً داخل الأسوار؟
كم كان الناس جميعاً منذ القدم يتحدثون عن مدينة برياموس
وكم كانت غنية بكنوز الذهب والبرونز!
٢٩٠ أما الآن فقد ضاعت خيراتها الطيبة من بيوتها،
وبيع الكثير مما تملك إلى فريجيا ومايونيا الجميلة،
حيث أظهر زيوس القدير غضبه علينا.

ولكن الآن، وبعد أن ضمن لى ابن كرونوس ذو التدبير الملتوى
الفوز بمجد عند السفن، وأن أحبس الآخيين
٢٩٥ بجوار البحر، فليس لك أيها الأحمق، أن تقدم مثل هذه النصيحة
لدى الشعب، فلن يبالى أى من الطرواديين بك، ولن أسمح بذلك.
هلموا إذن وأطيعوا جميعاً أوامرى!

تناولوا عشاءكم الآن بين الحشود فى جماعات،
واهتموا بالحراسة، وليكن كل فرد متيقظاً،
٣٠٠ ومن هو مشغول من الطرواديين بثرواته،
فليجمعها ويقدمها للشعب للاستخدام العام،
فالأفضل أن يفيد منها الشعب خير من (أن يتمتع بها) الآخيون.

- وفى الصباح الباكر عند الفجر، نكون متسلحين بأسلحتنا، نثير آريس
العنيف بالقرب من السفن المجوفة. وإذا كان حقيقياً أن أخيليوس
الإلهى قد نهض بالفعل عند السفن، سيقع به شر مستطير، إن كان
٣٠٥ كذلك فلا محالة، لن أهرب منه بعيداً عن صخب المعركة الدامية
بل سأواجهه، وجهاً لوجه، وإذا فاز هو بالنصر أو فزت أنا فالله الحرب
إنيايليوس(*) نزيه لا يحفل بالأشخاص، ومن قتل يقتل فى الغالب".
- ٣١٠ هكذا خاطب هيكتور الحشود وصاح، حينئذ، الطرواديون عالياً
فما كان أحمقهم! حيث سلبتهم باللاس أثينة الحكمة
لأنهم استحسنوا نصيحة هيكتور الشريرة،
ولم يمدح أحد بوليداماس، رغم ما قدمه من نصيح طيب.
ثم تناولوا جميعاً العشاء هنا وهناك، فى حين بات
الآخيون يولولون طوال الليل بأنين عالٍ على باتروكلوس.
٣١٥ ومن بينهم ابن بيليوس أول من بدأ النواح الأليم
باسطاً يديه، قاتلتى الرجال، على صدر رفيقه،
متأوهاً بمرارة شديدة، تماماً مثل لبوة ذات لبدة،
سلب قناص أشبالها بعيداً عن الغابة الكثيفة،
فحزنت وشرعت تئن أسفة على تأخرها فى الوصول.
٣٢٠ فهى تتجول فى كثير من الوديان الصغيرة مقتفية أثر القناص
عساها تجده، فالغضب الحاد يحركها.

- هكذا، وبأنين مرير، تكلم (أخيليوس) بين الميرميدونيين:
"ويحى، إن الكلمة التى قلتها من قبل ضاعت هباءً،
٣٢٥ إذ شجعت البطل مينيوتيس، هناك، فى قاعاتنا،
وقلت إننى، بعدما أكون قد سلبت إليون سأعيده إلى أوبويس(**)
مع ابنه المجيد بنصيبه من الغنائم الذى يقدر له.

(*) إنيايليوس Enyalios إما اسم آخر لآريس أو صفة له. (المحرر)

(**) أوبويس Opoeis أو أوبوس Opus مدينة فى لوكريس ببلاد الإغريق. (المحرر)

- لكن زيوس لا يحقق كل مايشتهى البشر،
فقد قَدَّرَ القدر لكلينا أن نروى الأرض نفسها بدمائنا،
هنا فى تربة طروادة؛ حيث لن أعود ليستقبلنى الشيخ الفارس بيليوس ٣٣٠
فى منزله، لا هو ولا أمى ثيتيس. إنما ستضمنى هذه التربة هنا
ولأننى يا باتروكلوس أرتحل وراءك تحت الثرى
فلن أقيم جنازتك حتى أتى إلى هنا بأسلحة
هيكْتور قاتلك شديد البأس، وبرأسه كذلك. ٣٣٥
حينئذٍ، سأمزق اثنتى عشرة رقبة من رقاب خيرة شباب
طروادة المجيدة على المحرقة قرباناً للقتيل. لترقد حيث أنت،
يا باتروكلوس، بجوار السفن المقوسة، حتى يجىء الآوان،
ومن حولك الطرواديات والداردانيات بثيابهن ذات الطيات العميقة
تنتحبن وتزفرن الدمع ليل نهار. ٣٤٠
فهن اللاتى جننا بهن نحن الاثنين، بكدنا ورماحنا الطويلة
وقد سلبنا مدن البشر الفانيين الغنية"
قال أخيليوس الإلهى ذلك ثم أمر رفاقه
أن يضعوا وعاءً ثلاثى الأقدام ضخماً فوق النار
لكى يغسلوا الدم المتخثر من جسد باتروكلوس. ٣٤٥
لذا وضعوا الوعاء فوق النار المشتعلة للغسل،
وصبوا الماء فيها، وأضرموا النار فى قطع الحطب التى وضعوها تحته
فتشابكت النيران حول بطن الوعاء، وسخنَّ اللهب الماء
بسرعة، ولما غلى الماء فى الإناء البرونزى المصقول
غسلوا الجسد ودهنوه بالزيت^(*). ٣٥٠
ملأوا الجروح بمرهم (معتق) لسبع سنين،
وعلى نعش مددوا (الجسد) مكفناً بالكتان
من الرأس وحتى القدمين، ووضعوا عليه وشاحاً أبيض.

(*) قارن فرجيليوس "الإنيادة" الكتاب السادس بيت ٢١٨ وما يليه. (المحرر)

هكذا، وطول الليل، ومن حول أخيليوس سريع القدم
 ٣٥٥ كان يثن الميرميدونيون فى عويل على باتروكلوس.
 تحدث عندئذ زيوس إلى هيرا، زوجته وأخته:

"حسن يا هيرا، يا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها،
 أخيراً نفذت خطتك، وأثرت أخيليوس سريع القدم،
 لا بد أن أبناء الآخيين طويلي الشعر أتوا من نسلك"

٣٦٠ فأجابته هيرا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها:
 "يا أكثر سلالة كرونوس بشاعة، كيف تقول هذا الكلام؟
 يبذل الإنسان ما بوسعه من أجل غيره،
 ورغم كونه بشراً لا يملك من الحكمة ما نملك نحن الآلهة.

فكيف لى أنا وهم يعرفون أنى مليكة السماء
 ٣٦٥ أولاً بحكم السلالة وثانياً لأننى أدعى زوجتك
 يا من لك حكم الخالدين جميعاً،
 فكيف لا أدبر الويل للطرواديين وبى غضب عليهم؟"

هكذا كان حديثهما. ووصلت ثيتيس فضية القدمين إلى بيت
 ٣٧٠ هيفايستوس الخالد المزدان بالنجوم، والجليل بين منازل الخالدين.
 ذلك البيت المصنوع من البرونز الذى بناه بنفسه الإله الأعرج.
 فوجدته غارقاً فى عرق الكدح وهو يتجول حول الكير
 بلهفة؛ حيث كان يصنع عشرين

مرجلاً ثلاثى الأقدام لتقف جميعها حول حائط قصره السماوى
 ٣٧٥ متين البناء. فكان قد ثبت تحت قوائم كل منها عجلات ذهبية،
 تتحرك ذاتياً إلى حيث اجتماع الآلهة وتعود
 إلى داره ثانية، أعجوبة للناظرين! لم يكن يبقى للانتهاء
 منها سوى اللمسات الأخيرة، فلم يكن قد ثبت فيها المقابض
 المصنوعة بمهارة؛ حيث كان لا يزال يدقها بالمسامير.

٣٨٠ وبينما كان يعمل هناك بمهارة فائقة
اقتربت آنذاك ثيتيس الإلهة فضية القدمين،
رأتها وتقدمت منها خاريس^(*) ذات الإكليل الزاهي
الجميلة التي تزوجها الإله المعروف بقوة ساعديه،
فأمسكتها بيدها وخاطبتها قائلة:

٣٨٥ "ما الذى جاء بك إذن يا ثيتيس يا ذات الرداء الطويل المتجرجر
لتزورى مسكننا؟ أيتها الضيفة العزيزة، فأنت نادرًا ما تجيئين.
وعلى كل، اتبعينى إلى الداخل، كى أجلسك مجلس الضيوف"
قالت ذلك الإلهة الجميلة (خاريس)، وقادت ضيفتها إلى الداخل
وأجلستها على مقعد رائع مرصع بالفضة،
دقيق الصنع، أسفله مسند للأقدام.

٣٩٠ ونادت خاريس على هيفايستوس الصانع الشهير وخاطبته:
"تعال هنا يا هيفايستوس، ها هي ثيتيس تحتاج إليك"
حينئذ، أجابها (هيفايستوس) الشهير الذى يعرج بقدميه:
"حقًا، أفى بيتى إلهة مهيبة موقرة!

٣٩٥ ألقذنتى ذات مرة، عندما ألم بى ألم، حين وقعت
(فى خطر) بسبب فعله والدتى المخزية، حين أرادت أن تخفينى
بعيدًا، لمجرد أننى أعرج^(**)، وكادت روحى تذوق الويل
لو لم تأخذنى يورينومى و ثيتيس إلى صدريهما.
يورينومى ابنة أوكيانوس المنحسر.

٤٠٠ لتسع سنوات، مكثت معهما، أصنع نفائس
كثيرة رائعة، ودبابيس زينة وأساور لولبية وعقودًا
وكثيرًا من الحلقان، فى كهف سحيق، وكان أوكيانوس، من حولى

(*) تظهر خاريس Charis هنا على أنها تجسيد وتشخيص للجمال الذى يصنعه هيفايستوس نفسه فخطوط شخصيتها وملاحظاتها غير واضحة وتقع فى المنطقة الوسطى بين الفكرة والشخصية. (الخرور)
(**) يقدم هيفايستوس هنا على أنه أعرج بالمولد ولكنه فى الكتاب الأول بيت ٥٩٠ وما يليه يحكى أن زيوس رماه من السماء بسبب غضبه، لأنه أخذ جانب أمه هيرا ضد أبيه زيوس. (الخرور)

- يتدفق بزبدته، محدثاً زئيراً متواصلًا، ولم يكن يوجد
أحد آخر، يعرف عنه (شيئاً)، لا من الآلهة، ولا من البشر الفانين
سوى يورينومى وثيتيس اللتين أنقذتاني. ٤٠٥
- وهاهى، الآن، (ثيتيس) جميلة الضفائر تأتي إلى بيتنا، فيتحتم
أن أكافئها، وبكل ما أستطيع؛ لانتشالي من الموت
و الآن (يا خاريس)، لتقدمي إليها ضيافة لائقة،
وسأترك الكير وأدواتي كلها"
- ٤١٠ قال ذلك، وقام من متكنه بهيكله
الضخم لاهتًا، وكان الإله يعرج عندما تحركت ساقاه
الهزيلتان من تحته بخفة، وأبعد الكير عن النار، وجمع
الأدوات التي كان يعمل بها جميعًا في صندوق من الفضة.
ثم مسح وجهه وكلتا يديه بإسفنجة،
و(نظف) عنقه القوى وصدره الأشعث، ٤١٥
وارتدى رداءً وأمسك بعصا متينة ومضى يعرج،
وعلى وجه السرعة همت خادמות مصنوعات من الذهب
ينفذن أوامر مليكهن. كأنهن نساء يتمتعن بالحياة حقًا
وفي قلوبهن الوعي، ولهن صوتٌ وقوةٌ، ويمارسن
العمل اليدوي، إنهن هبةٌ من صنع الآلهة الخالدة. ٤٢٠
- تحركن بهمةٍ لمساندة مليكهن، وهو
يعرج قريبًا من ثيتيس، وأجلسنه في مقعد
ناصع، فقبض على مسنده وتكلم مخاطبًا إياها:
"أى ثيتيس، يا ذات الرداء الطويل المتجرجر
لم جئت البيت زائرة، أيتها الضيفة العزيزة؟ ٤٢٥
فقلما حضرت فيما مضى، أفصحى عما بذهنك، إن قلبي ليأمرني
أن أحققه طالما أستطيع ذلك"

أجابته ثيتيس وهى تذرف الدمع:

"حقاً، يا هيفايستوس، أوجد من بين الإلهات

٤٣٠ قاطنات الأوليمبوس كلهن، واحدة أحست الحزن الثقيل بقلبها
بقدر ما أصابنى به زيوس بن كرونوس من ويلات؟ أنا من دونهن
ومن بين عرائس البحر، قد اختارنى، أنا فقط، وأخضعنى لبشرى،
لبيليوس بن أياكوس؛ إذ تحملت فراش بشرى^(*)، فيا له من
ألم لأقيته رغماً عنى. يرقد الآن فى بيته

٤٣٥ وقد أصابه وهن الشيخوخة وتعددت الأحزان .
فعندما رزقنى (زيوس) بابن لأرعاه وأربيه،
لا نظير له بين المحاربين، نمتى برعماً
وربيته كشجرة فوق مرتفع صخرى مثمر،

حتى أرسلته فى السفن المقوسة إلى إليون ليحارب
٤٤٠ الطرواديين، ولن أستقبله عائداً مرة أخرى إلى
وطنه، إلى بيت بيليوس. وطالما عاش ويرى نور الشمس
سيدوم حزنه وليس بوسعى إنقاذه

رغم ذهابى إليه، حين أخذ الملك أجاممنون من بين يديه فتاته التى
٤٤٥ حددها له أبناء الآخيين مكافأة،
فأكل الحزن قلبه حزناً عليها.

كان الطرواديون يحاصرون الآخيين عند سفنهم،
ولم يسمحوا لهم بالتقدم، وتوسل إليه شيوخ الأرجيين
واعدين إياه بهدايا كثيرة مجيدة، بيد أن ابنى نفسه رفض
٤٥٠ أن يدفع عنهم الهلاك.

واكتفى بأن ألبس باتروكلوس أسلحته وأرسله إلى الحرب،
ومعه فى الوقت نفسه أرسل حشداً كبيراً.

(*) حاولت ثيتيس عدة مرات الإفلات من بيليوس المشغوف بها حباً عند طلبها للزواج، فحولت إلى عدة أشكال
كما يظهر فى رسوم الآوان وكما جاء فى محاوراة "الجمهورية" لأفلاطون (381 D)، وكما جاء فى النيمية الرابعة
(بيت ٦) لبنداروس. (المحور)

- حاربوا النهار بطوله أمام بوابات سكاياى
وكادوا أن يدمروا المدينة فى ذاك اليوم، لولا أن أبوللون
٤٥٥ قدر موت الياسل ابن مينويثيوس وسط الصفوف
الأولى بعد أن قام بتدمير الكثير، وبذا منح هيكتور المجد.
وذلك هو السبب الذى له جنوت إلى ركبتيك (متوسلة) علَّك تستطيع
أن تمنح ابنى - الذى حُكِمَ عليه بالموت المبكر - درعًا
وخوذة ودرع ساقٍ جميلٍ بأبازيم عند الرسغ.
٤٦٠ فقد صديقه المخلص كل ذلك عندما قتل على يد
الطرواديين، ويرقد (ابنى) على الأرض كسير القلب
أجابهها الإله الأشهر وهو يعرج على قدميه:
"تشجعى، ولا تدعى هذه الأمور توجع قلبك،
ليتنى حقيقة أستطيع أن أخفيه بعيدًا عن الموت القاسى،
٤٦٥ عندما يأتيه المصير المروع. يقينًا
ستكون له أسلحة منيعة، ومثل هذه الأسلحة
التي أبهرت كل من رآها من جموع الشعب"
قال ذلك وتركها متوجهًا إلى الكير.
أدار الكير نحو النار وأمره أن يعمل،
٤٧٠ فهبَّت منافخ الكير العشرون، فى بوتقات الانصهار
وانبعثت منها تيارات مختلفة قوتها، حتى تسعفه وقت الحاجة،
ووفق ما يحتاجه العمل، وحسبما يشاء هيفايستوس.
٤٧٥ وضع نحاسًا صلبًا وقصديرًا وذهبًا ثمينًا وفضةً
على النار، ثم وضع سندانًا ضخماً على قالب السندان،
وأمسك مطرقة كبيرة بإحدى يديه، وأمسك بالأخرى ملاقط النار.
وفى البدء شكّل درعًا عملاقًا قويًا،
وزيّنه فى أطرافه، وطوقه بإطار ثلاثى لامع،
٤٨٠ يرتكز على حمالة من الفضة.

- فأصبحت طبقات الدرع خمساً، وصنع
على شاكلته، بمهارة نادرة، أشكالاً مختلفة وغريبة.
ونقش عليها الأرض والسموات والبحر
والشمس التى لا تكل، والبدر المستدير
٤٨٥ وكل النجوم المترامية التى تتوج السماء^(*) :
بلياديس وهياديس، وكذلك أوريون القوى،
وأركتوس الدبة التى يسمونها أماكسا (العربة)،
التي تدور دومًا فى مكانها وتراقب أوريون،
وهى الوحيدة التى ليس لها مكان فى حمامات أوكيانوس.
٤٩٠ ونقش أيضًا على (الدرع) مدينتين جميلتين لبشر فائين.
- كان فى إحدهما عرس وولائم زواج:
وكانوا يزفون العرائس على أضواء المشاعل المنيرة -
من حجراتهن عبر المدينة وقد صدحت أغانى الزفاف عاليًا
وكان الشباب يدور راقصًا وترنم صوت
٤٩٥ القيثارة بينهم، وتناغم المزممار مع غنائهم.
ووقفت النساء فى الأروقة والمداخل يحملن فى عجب.
وتجمع الناس فى الساحة العامة لإقامة مسابقة:
يتنازع رجلان على دية قتيل، يدعى أحدهما أنه دفعها كاملة للآخر
٥٠٠ ويبرهن ذلك للناس، وينكر الآخر أخذها
وكلاهما يرغب فى الفوز بحكم لصالحه.
يصفق الجمهور مساندين هذا الجانب مرة أو ذاك مرة أخرى،
وينشغل المنادون بصد الناس، ويجلس الشيوخ
على مقاعد نظيفة وسط دائرة مقدسة،
٥٠٥ يمسكون بصولجانات أخذوها من المنادين مرتفعى الأصوات

(*) تلقى هذه الفقرة الضوء على ما قيل من إن الفلاسفة الإغريق وجدوا فى هوميروس مصدرًا لفلسفتهم الكونية وعلى ما قيل كذلك من أن الشراح المسيحيين الأوائل وجدوا فى هوميروس ما يعينهم على شرح اللاهوت المسيحى. فهنا نلاحظ تصوير دقة النظام الكونى، وهى الفكرة التى ربما استقاها هوميروس من التراث المصرى القديم. (المحرر)

نهضوا متكئين عليها، كل بدوره ينطق بالحكم.

كان بالمنتصف تالنتان ذهبيان^(*)

مكافأة لمن يفصل في القضية بينهما بالحق،

واصطف جيشان من المحاربين في معسكر - حول المدينة

٥١٠

الثانية - بأسلحة برّاقة وخطتين ثنائيتين مقبولتين:

وهما إما أن ينهبوا المدينة أو أن يقسموا بينهما

الثروة التى تحتوى عليها المدينة الجميلة كلها.

ولم يرضخ المحاصرون، بل تسلحوا من أجل أن

يواجهوا العدو فى كمين، ووقفت زوجاتهم العزيزات وأطفالهم الصغار

٥١٥

يحرصون السور، كما وقف معهم رجال أثقلتهم الشيخوخة .

وذهب الآخرون بقيادة أريس وباللاس أثينة

متدثرين بالذهب، وكان الذهب يكسو ملابسهما الإلهية

كانا فارعى الطول رائعى الأسلحة، بما يليق بآلهة

يبرزان بوضوح بين الباقين، بينما الشعب تحت أقدامهما مثل الأقزام.

٥٢٠

وما أن وصلا إلى المكان المعتقد أنه ملائم لنصب كمين

فى بطن جدول؛ حيث يوجد مَسْقَى لكل أنواع القطيع،

أجلساهم هناك متقلدين أسلحة من البرونز اللامع

وأرسلا حارسين، بعيدًا عن الجيش، ليتربقا حتى

يريا القطعان والماشية ملتوية القرون.

٥٢٥

وعلى الفور جاءت (القطعان) يتبعها اثنان من الرعاة

يعزقان المزامير، ولم يكن يخطر ببالهما الغدر.

وما أن أدرك المتربصون قدومهما حتى انقضوا عليهما

وسرعان ما مزقوا قطعان الماشية والأغنام الجميلة ذات الفرو الأبيض

وذبحوا راعى الأغنام.

(*) لم يظهر سك العملة فى عصر هوميروس، بيد أنه هنا يبدو أن المتخاصمين فى المحاكم البدائية كانا يدفعان أجرًا.
(الحرر)

- ٥٣٠ كان المحاصرون يجلسون أمام أماكن التجمع^(*)، فسمعوا
صخبًا عاليًا بين القطيع، فامتطوا خيولهم سريعة الركض
منطلقين نحوهم، وسرعان ما أدركوها.
نظموا صفوفهم، وقاتلوا عند ضفتي النهر،
وبات يطعن كل منهم الآخر بحراب برونزية النصل،
وفى المعركة امتزج الآلهة. واشتبك فى هذه المعركة
- ٥٣٥ إلهة النزاع إريس وإله الدمار كيدويموس، وإلهة المصير القاتل كير
التي أمسكت رجلًا حيًا جرح لتوه، وآخر غير مجروح،
وسحبت رجلًا آخر ميتًا من قدميه فى وسط المعركة.
وصبغت العباءة - التي كانت تضعها على كتفيها - بدم الرجال القانى.
واشتبك (الآلهة) فى النزاع وحاربوا مثل البشر الأحياء
وكل فريق يسحب من الآخر جثة.
- ٥٤٠ ونقش (هيفايستوس) أيضًا حقلًا من الأرض الناعمة الغنية.
أرضًا محروثة ثلاث مرات، شاسعة سمراء ضاربة إلى الصفرة.
ودفع حارثون كثيرون الأنيار أمامهم يسوقونها
هنا وهناك، وكلما عادوا بعد أن يبلغوا حدود الأرض المحروثة
يأتى رجل ويضع فى يد كل منهم كأسًا من النبيذ اللذيذ كالعسل.
- ٥٤٥ لذا كان الحارثون يعودون مسرورين
فى لهفة، عندما يصلون إلى حدود الأرض عميقة الحرث.
وكان الحقل من خلفهم قاتمًا بعد أن قلبت التربة،
فتبدو كأنها مذهبة، وتلك آية من عجائب الصنع!
- ٥٥٠ ونقش (هيفايستوس) ضيعة ملكية يحصد العمال فيها،
حاملين مناجل حادة فى أياديهم، تتساقط فى صفوف متراسة
بعض سيقان (القمح) على الأرض بطول الجزء المحصود

(*) لم ترد الكلمة eiraon إلا هنا فقط (بيت ٥٣١) وترجمها البعض "أماكن التجمع" وترجمها آخرون "أماكن الخطابة" أى بما يوازي كلمة agora. (الخرر)

- ويربط الحزّامون (القمح) فى حزمات بأربطة من القش المجدول،
 حزّامون ثلاثة وراء الحصادين، يجمع خلفهم
 ٥٥٥ الغلمان سيقان القمح ملء أذرعهم ويحملونها ويعطونها
 للحزّامين. فى الوسط يقف الملك يمسك صولجانه صامتاً،
 منشرح الصدر، عند خط المحراث.
 ويعد الأتباع وليمة بعيداً تحت شجرة بلوط
 فكانوا يهيئون ثوراً ضخماً ذبحوه قرباناً.
 ٥٦٠ ونثرت النسوة شعيراً أبيض بكثرة على جلده لغذاء العمال
 ونقش (هيفايستوس) كرمة ذهبية جميلة، حملها ثقيل
 من العناقيد، عناقيد سوداء من أعناب
 تصطف من أول الكرمة إلى آخرها أعراش فضية تحمل العناقيد.
 ونقش حولها خندقاً طلى بالأزرق القاتم حوله سياج
 ٥٦٥ من القصدير، يؤدى إليه ممر واحد يسلكه
 قاطفو الأعناب عندما يتجمعون فى الكرمة.
 وقف الفتية والغلمان منشرحين فى مرح،
 حاملين فاكهة ناضجة أحلى من العسل، فى سلال من الصفصاف.
 وفى وسطهم غلام يحمل قيثاراً جلية النغمات
 يعزف عليها، ويتغنى مع الألحان
 ٥٧٠ بأغنية (خفيفة) (*) وبصوت رقيق، ويدق الباقون
 الأرض فى تتاعم، ثم يتفافزون فى رقص وصياح.
 ونقش (هيفايستوس) قطيعاً من الماشية مستقيمة قرونها،
 محلاة بالذهب والقصدير،
 ٥٧٥ خافضة (رعوسها)، مسرعة من الحظيرة، لترعى

(*) فى بعض الطبعات يبدأ اسم الأغنية بحرف كبير على أنه اسم علم Linos ويقال إنها أغنية حزينة النغمة تلقى احتفاءً بفراق الصيف. وقيل إنها من أصل فينيقي (ai le nu) التى فهمت على أنها تعنى "ياويلتنا" التى ربما كانت اللازمة فى هذه الأغنية. اعتبر الإغريق أن لينوس هو شاب صغير مات فى سن مبكرة على أيدى أبوللون. وقالوا كذلك إنه مخترع هذه "المروثة" التى حملت اسمه. (الخر)

بالقرب من نهر يعلو فيه خرير المياه، وتتمايل على ضفتيه العيدان.
يمشى بجانب الماشية أربعة رعاة من الذهب،
تلهث وراءهم تسعة كلاب. قفز وسط مقدمة الماشية أسدان مهولان،
وأمسكا بثور شرع يجار بالخوار المدوى،

٥٨٠

لأنهما يبتعدان به، ويسرع وراءه الكلاب
والآيل، فيمزق الأسدان جلد الثور وينهشان
أحشاءه ودماءه السوداء، ولم يفعل الرعاة شيئاً
بسبب الخوف، فحرضوا الكلاب التى لم تجرؤ

٥٨٥

على ملاحقة الأسدین، فما كان منها
إلا أن وقفت تتبح، وابتعدت بنفسها جانباً، وتقهقرت.
ونقش (هيفايستوس) الذى يعرج بكلتا ساقيه، مرعىً
شاسعاً فى وادٍ خصيب، به أغنام بيض
وحظائر وأكواخ مسقوفة وزرائب.

٥٩٠

وأكثر من ذلك نقش الإله المعروف بقوة ساعديه
قاعة رقص، (صنعها) بمهارة فائقة، كتلك التى
بناها دايدالوس فى كنوسوس الشاسعة من
أجل أريادنى مجدولة الضفائر. فيها شباب يرقص ويتودد للفتيات
بالهدايا، ويمسك كلٌ منهم بمعصم الآخر.

٥٩٥

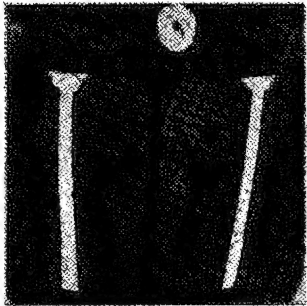
ترتدى الفتيات ثياباً من الكتان الناعم، ويرتدى الشباب
سترات مغزولة بمهارة تتلألأ من أثر الزيت.
ووضعت الفتيات أكاليل جميلة، بينما وضع الشباب
خناجر من الذهب تتدلى من حمالات فضية.
كانوا (جميعاً) يثبون فى دائرة بأقدام مدربة،

٦٠٠

يتقدمون بخفة مثل الخراف الذى يجلس إلى جانب
عجلته ويضبطها بين يديه ليحرب ما إن كانت تدور جيداً.
وأحياناً أخرى يدورون فى صفوف تواجه بعضها بعضاً.

- وتجتمع هناك عدد غفير حول الرقص المبهج
فرحين، وعزف بينهم منشد دينى على قيثارة.
٦٠٥ يدور فى وسطهم بهلوانان
يغنى المغنى، وهما يدوران على موسيقاه.
هناك أبدع (هيفايستوس)، أيضاً، قوة النهر أوكيانوس الرهيبة،
يظوق أطراف الدرع بديع الصنع.
وما أن أتم الإله صنع الدرع العملاق القوى، حتى صنع له
٦١٠ درع صدر أكثر لمعاناً من وميض النار.
ثم صنع خوذة ثقيلة تتلاءم مع صدغيه، خوذة جميلة
دقيقة الصنع، ووضع عليها ريشة ذهبية.
كما صنع له دروع ساق من القصدير اللدن.
ولما انتهى الإله الذى يعرج بكلتا ساقيه، من الدرع
٦١٥ تماماً، أخذه ووضعها أمام أم أخيليوس،
فوثبت من قمم الأوليمبوس الثلجية كصقر
٦١٧ حاملة الأسلحة المصقولة من هيفايستوس.

الكتاب التاسع عشر



ترجمة أحمد عثمان

كانت إلهة الفجر إيوس بردائها الزعفراني تبرزغ من أمواج المحيط الأوكيانوس، حاملة النور للآلهة الخالدين والبشر الفانين. وجاءت ثيتيس إلى السفن تحمل هبات الإله. ووجدت ابنها الحبيب متعلقاً بجسد باتروكلوس يجesh بالبكاء، ومن حوله حشد غفير من رفاقه يننون.

٥

وقفت الإلهة المتألئة بجواره وسط الرفاق، ممسكة يده بيدها ونادته باسمه قائلة:

"أى بنى، علينا أن ندع هذا الرجل، مع أسفنا الشديد، يرقد هنا كما هو، لأنه قد قتل بإرادة الآلهة، ولتقبل

أنت من هيفايستوس الدرع الشهير رائع الجمال، الذى لم يحمل مثله من قبل على كتفيه إنسان قط".

١٠

هكذا كان حديث الإلهة، ووضعت السلاح المجيد أمام أخيلئوس، فأحدث السلاح المتألىء رنيناً مدوياً. فاستولت الرهبة على قلوب الميرميدونيين جميعاً، ولم يجرؤ أحد منهم أن يحملق فيه، فاستداروا وابتعدوا. فلما نظر أخيلئوس إلى السلاح ازداد غضبه توهجاً، ولمعت عيناها ببريق مخيف، كما لو اشتعلت تحت جفنيه نيران مندلعة. غمرته السعادة وهو يلمس بيديه هدايا الإله المجيدة، ولكن ما أن ارتوت روحه بالتحديق فى هذا السلاح المتألىء، حتى خاطب أمه بكلمات مجنحة:

١٥

٢٠

"أماه، هذا السلاح قد صنعه الإله كما ينبغى أن تكون القدرة الإلهية، فلا طاقة لبشر فان أن يصنع مثله أبداً. الآن سأرتدى هذا الدرع، وإن كنت فى الوقت نفسه شديد الخوف أن يجد الذباب طريقه إلى داخل جثة ابن مينويتيوس الصنديد عبر الجروح التى أحدثتها طعنات البرونز، فتتغذى عليها الديدان مسيئة للميت، فليس فى جثته حياة، ولذا سوف يتعفن لحمه".

٢٥

فردت عليه ثيتيس، الإلهة ذات القدمين الفضييتين، قائلة:
 "بنى، لا تدع هذه الأفكار تتعب قلبك، فسوف أصد عنه
 القبائل المتوحشة، أسراب الذباب التى تتغذى على قتلى
 المعارك، حتى لو ظل جسده فى مكانه عامًا كاملاً
 فسيبقى لحمه سليماً على الدوام. وربما أفضل مما هو
 عليه الآن. لتتحدى المحاربين الآخرين إلى الاجتماع فى
 الساحة، وتخل عن غضبك على أجاممنون، راعى الشعب،
 وتسלح بسلاح القتال فوراً، وتدثر برداء البأس".

وبعد أن قالت ذلك ملأت صدره بالقوة والثقة، ونثرت
 على باتروكلوس الأمبروسيا، وسكبت النيكتار الأحمر فى
 ثقب الأنف، حتى يظل لحمه سليماً دائماً^(*).

سار أخيليوس الإلهى على شاطئ البحر مطلقاً صيحته
 المدوية مستغفراً المحاربين الآخرين، الذين كانوا من قبل
 حول السفن، والذين كانوا يقومون على قيادة السفن وإدارة
 الدفة، والذين قاموا بالخدمة وتقديم الطعام. فحتى هؤلاء
 جاءوا إلى ساحة الاجتماع، لأن أخيليوس الإلهى حضر بعد
 طول انقطاع عن الحرب المفجعة. وجاء اثان من سدنة آريس
 يعرجان، وهما ابن تيديوس المحارب العتيد وأوديسيوس شبيه
 الآلهة، كل يستند على رمحه لأن جراحهما كانت لا تزال تؤلمهما،
 وجلسا فى مقدمة المجتمعين. وأخيراً جاء ملك الرجال
 أجاممنون مثقلاً بجرحه، لأن كوؤن بن أنتينور أصابه برمحه
 ذى السن البرونزى فى أثناء القتال الضارى. فلما تجمع
 كل الآخرين وقف أخيليوس سريع القدمين وسطهم يخطب
 فيهم قائلاً:

(*) هنا يذكر المرء فن التحيط المصرى الذى تحدث عنه هيرودوتوس فى الكتاب الثانى من تواريخه. وهنا يستخدم
 الأمبروسيا والنيكتار، طعام وشراب الآلهة، وكأهما عطر وعقار. (الخرر)

- "يا ابن أتريوس، هل كان هذا أفضل لى ولك، أن انفجرنا أنا وأنت فى غضب، وانزلقنا إلى خصومة فتاة تستنزف الروح، وكل ذلك من أجل فتاة ؟ ليت أرتemis قتلتها بسهما عند السفن فى اليوم الذى فزت بها سبية ومكافأة، عندما دمرت ليرنيسوس ! عندئذ كان عدد أقل من الأخيين سيعضون تراب الأرض مدحورين على أيدي أعدائهم بسبب غضبى الجامح. كان كل ذلك لصالح هيكتور والطرواديين. ولكن الأخيين فيما أعتقد سيذكرون لأمد طويل الخصومة بينى وبينك. على أى حال ما فات قد فات، فلا بد أن نكبح جماح الكبرياء فى صدورنا، لأن الضرورة تلزمنا بذلك. الآن سوف أكظم غيظى، وعليك ألا تحتفظ بغضبك للأبد، بل عليك أن تستثير حماس الأخيين ذوى الشعر الطويل للقتال، لكى أستأنف أنا قتال الطرواديين من جديد، وإن جاءوا إلى السفن. أعتقد أن الكثيرين منهم سوف يفضل الراحة بثنى الركبة والقعود هرباً من هول المعركة ومن سهامى".

- هكذا كان حديث أخيليوس، فتهلل الأخيون المسلحون بالدروع جيذاً، لأن ابن بيليوس ذا الحماس الهائل قد تخلى عن غضبه الجامح. ثم تكلم أجاممنون ملك الرجال، إذ لم ينهض ليقف وسطهم بل تحدث من مكانه قائلاً:

- "أيها الأصدقاء، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع أريس، من اللائق أن ينصت الناس إلى من يقف ليخطب فيهم، ولا يليق أن يقاطعه أحد. فمن العسير على المرء أن يصرخ بالخطاب حتى ولو كان بارعاً، لكن كيف ينصت المرء أو يتحدث جيذاً فى حشد صاخب من الناس ؟ فحتى الخطيب المفوه يعوقه هذا الصخب. سوف أفتح قلبى لابن بيليوس، لكن على

- الباقين من الأرجبيين أن يسمعوا ويعوا كلماتي. لقد حدثني
 ٨٥ كثير من الآخيين وعاتبوني، ولكنني لم أكن السبب،
 بل كان السبب هو زيوس وإلهة القدر (مويرا) وإيرينيس، التي
 تتحرك في الظلام. لقد أصابوا نفسي بالجنون الأعمى في
 يوم الاجتماع الذي حرمت فيه أخيليوس من مكافأته المستحقة
 ٩٠ له. ماذا كان بوسعى أن أفعل ؟ إنها القوة الإلهية التي تفعل
 كل شيء، إنها آتى كبرى بنات زيوس التي تصيب الجميع
 بالعمى، عليها اللعنة ! لها قدمان رقيقتان، لا تسير بهما على
 ٩٥ الأرض بل على رعوس البشر، فتقودهم إلى الأذى وتوقع
 هذا أو ذاك في شراكها. حتى زيوس نفسه أصابه العمى ذات مرة،
 نعم زيوس الذى يقولون عنه إنه أعظم الآلهة والبشر أجمعين،
 حتى هو خدعته هيرا ذات الدهاء فى اليوم الذى كان مقررًا فيه
 أن تضع ألكمينى فى طيبة ذات العرش المكين هيراكليس (هرقل)
 ١٠٠ القوى. إذ تباهى زيوس بين الآلهة جميعًا وصرح قائلاً:
 أنصتوا لى جميعًا أيها الآلهة وأيتها الإلهات. إذ سأكشف لكم
 عما يقوله قلبى فى داخل صدرى: هذا اليوم إيليثويا، إلهة
 الولادة، ستخرج إلى النور طفلاً سيكون سيدًا على كل من
 حوله من الشعوب المجاورة، فهو من سلالة تنتمى إلى.
 فخاطبته الملكة هيرا بدهاء وقالت:
 ١٠٥ سوف تخلف وعدك ولن توفى بعهدك. تعال الآن أيها الأوليمبي
 وأقسم لى قسمًا مؤكدًا أن هذا الإنسان الذى ينزل اليوم من بين
 رجلى امرأة سيكون سيدًا على كل من حوله، الرجل الذى يولد
 لأناس من نسله.
 ١١٠ هكذا قالت، ولم يدرك زيوس المكر فى
 حديثها وفكرها، بل أقسم قسمًا مغلفًا ووقع فى الشرك. لأن

- هيرا هبطت مسرعة من قمة الأوليمبوس إلى أرجوس الآخية .
 وكانت تعرف أن هناك زوجة سثينيلوس بن بيرسيوس
 الجميلة، وأنها حامل في شهرها السابع. فأخرجت هيرا هذا
 ١١٥ الطفل إلى النور قبل آوان الولادة، لكنها عطلت ولادة ألكميني
 ومنعت إيليثويا من أداء عملها. ثم حملت النبا بنفسها إلى
 ابن كرونوس قائلة:
- أى زيوس الأب ياذا البرق اللامع، سأقص عليك النبا الحق.
 ولد اليوم إنسان شجاع ليكون ملكاً على الأرجيين.
 إنه يوريسثيوس بن سثينيلوس بن بيرسيوس، فهو من نسلك،
 وليس من غير اللائق أن يصبح ملكاً على الأرجيين.
- ١٢٠ قالت هذا فأصاب الألم المرير زيوس فى أعماق القلب،
 وقبض من فوره على خصلات شعر أتى الناعم فى سورة
 غضبه، وأقسم قسمًا مغلظاً ألا تصعد مرة أخرى أبداً إلى
 الأوليمبوس، ولا إلى السماء ذات النجوم، أتى مضلة الجميع.
- ١٢٥ قال هذا وزجها بيده مطوحاً بها من السماء ذات النجوم،
 فهبطت على الفور إلى الحقول التى يزرعها البشر. ومنذ
 ذلك الحين يشتد حنقه عليها كلما وقع نظره على ابنه الحبيب
 (هيراكليس) وهو يقوم بعمل شاق غير لائق طاعة لأوامر
 يوريسثيوس^(*). وهكذا، فى الوقت الذى كان فيه هيكتور
 ذو الخوذة اللامعة يعيثُ قتلاً فى الأرجيين عند مؤخرة سفننا،
 لم أكن قادراً على نسيان أتى التى أصابتنى بالعمى منذ البداية.
- ١٣٥ ولكن لأننى كنت كالأعمى فى ضلال، وحرمنى زيوس القدرة على
 التمييز ومعرفة الصواب، فلم تجد أية محاولة للإصلاح أو دفع

(*) إشارة للأعمال الاثني عشر التى قام بها هرقل راجع: "بنات تراخيس" لسوفوكليس، (ترجمة وتقديم أحمد عثمان ومقدمة مع معجم أسطورى)، سلسلة من المسرح العالمى الكويتية، عدد ٢٤٩، يونيو ١٩٩٠.
 و"هرقل فوق جبل أويتا" لسينيكا - (ترجمة وتقديم أحمد عثمان مع معجم أسطورى). سلسلة من المسرح العالمى الكويتية - مارس ١٩٨١.

تعويض لا نهاية له. المهم أن تنهضوا الآن إلى المعركة، وأن تستنفروا بقية الشعب، وأنا على استعداد لتقديم الهدايا التي سبق أن وعد بها أوديسيوس الإلهي في الخيام ذات مساء. فإذا شئتم انتظروا هنا قليلاً، مع أنكم مثلهفون على القتال، وسيحمل رجالى الهدايا من سفينتى إليكم، لتروا بأنفسكم أنني سأقدم كل الهدايا التي تروق لكم."

١٤٥ فرد عليه أخيلئوس سريع القدمين:
"يا أمد أبناء أترئوس ! أى أجاممنون ملك الرجال، الأمر لك فى أن تعطى الهدايا كما يليق بك، أو أن تمنعها. لكن علينا أن نفكر فى متعة القتال على وجه السرعة، ولا نضيع الوقت فى تبادل الكلمات الجميلة(*)، فهناك عمل ضخم لم ينجز بعد.
١٥٠ وسيرون أخيلئوس من جديد فى مقدمة الصفوف يدمر برمحه البرونزى جموع الطرواديين. ففكروا الآن فى المعركة، وليقاتل كل منكم عدوه".

عندئذ رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة، وقال:
١٥٥ "أى أخيلئوس يا شبيه الآلهة ! رغم كل قوتك لا تحرض أبناء الآخيين ضد إليون، ليقاتلوا صائمين الطرواديين، فلن تكون المعركة قصيرة، عندما تتلاقى صفوف الرجال وينفث الإله من قوته فى صدور الفريقين. فالأفضل أن تطلب من الآخيين أن يتناولوا الطعام والنبئذ فى السفن المجوفة، فهما أساس القوة والإقدام. فالذى يصوم عن الطعام لا يستطيع محاربة عدوه طيلة النهار حتى غروب الشمس، حتى لو كانت روحه مثلهفة على القتال.
١٦٠ إذ تتأقل أطرافه دون أن يبرى، وسوف يقعه الظمأ والجوع، وتتعثر ركبته أثناء السير. لكن الرجل الذى يأخذ كفايته من

(*) هذه الكلمة باليونانية klotopeuein لم ترد سوى فى هذا المكان، ولم ترد عند مؤلف إغريقى آخر (hapax legomenon) مما يجعلنا غير متأكدين من المعنى. (المحرر)

- الطعام والشراب يحارب طوال النهار ضد الأعداء، ينبض قلبه بالقوة في داخله، ولا ترهق أطرافه حتى يعود الجميع من ساحة القتال. فتعال وأصرف الحشد لكى يتناول كل منهم طعامه، ودع أجاممنون ملك الرجال يحضر هداياه إلى وسط ساحة الاجتماع، لكى يراها جميع الأخيين بأعينهم، ويطمئن قلبك أنت. ودعه يقسم لك، وهو يقف وسط الأرجيين، أنه لم يذهب إلى فراش الفتاة ولم يضاجعها كما هي العادة. يا ملك الرجال والنساء، هدىء من روعك وافتح قلبك فى صدرك للتهدة. ثم دعه يقيم مأدبة فخمة لمصالحتك فى خيمته، وبذلك لا ينقص من حقك شيئاً. أما أنت يا ابن أتريوس لا بد أن تكون من الآن فصاعداً أكثر عدلاً مع الآخرين، ولا يعيب الملك أن يسرع بإصلاح أخطائه إذا كان هو البادىء بالعنف".
- ثم رد عليه أجاممنون ملك الرجال قائلاً:
- "يا ابن لائيرتيس، أسعدنى ما سمعت من حديثك. حيث قطعت بكل ما هو حسن وملائم، وأنا بكل سرور سأقسم القسم الذى طلبت، فقلبى يدفعنى إلى ذلك، ولن أحنث فى قسمى أمام القوة الإلهية. دع أخيليوس ينتظر قليلاً مع أنه متلهف على القتال، وامكثوا أنتم جميعاً حتى تأتى الهدايا من خيمتى، ونوثق قسمنا وثقتنا بالقرابين. ولكننى أكلفك وأطلب منك أنت يا أوديسيوس أن تختار زهرة شباب الأبطال الأخيين ليحضروا الهدايا من سفينتى مع كل ما وعدت أخيليوس مساء الأمس، وأن يحضروا كذلك النساء. ودع تالتيبوس يبحث لى بسرعة عن خنزير برى فى كافة أنحاء جيش الأخيين العريض، ويجهزه لى كى أقدمه قرباناً لزيوس وهيليوس".

فرد عليه أخيليوس سريع القدمين مرة أخرى قائلاً:

- "يا أمجد أبناء أترىوس، أجاممنون ملك الرجال ! قد تفعل ذلك
 ٢٠٠ وبإقدام أكبر في وقت آخر حين تتوقف الحرب قليلاً، وعندما يهدأ
 الغضب المتقد في قلبي. لكن الآن يرقد ضحايا هيكتور بن برياموس
 قتلى بعد أن فتك بهم هيكتور، حيث منحه زيوس المجد، والآن
 ٢٠٥ تدعو الرجال إلى الوليمة ! من جانبي كنت أود أن يدخل أبناء الآخيين
 المعركة صائمين دون طعام، وعند غروب الشمس يعدون وليمة
 كبيرة، بعد أن نكون قد انتقمنا لإحساسنا بالعار. فحتى ذلك الحين لن
 ينزل من حلقى إلى جوفى طعام أو شراب، فرفيقي قد قتل ويرقد في
 ٢١٠ خيمتي مطعوناً برمح حاد نافذ وقدمه عند المدخل(*)، ومن حوله
 يلتف رفاقي باكين. ولهذا فليس في قلبي شيء، وليس في عقلي
 تفكير إلا في القتل والدماء والعيول الحزين على الميت".

ثم رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة:

- "أى أخيلئوس، يا ابن بيليوس، يا أنبل الآخيين طرّاً ! إنك أقوى
 ٢١٥ منى وتفوقنى بمراحل في استخدام الرمح، لكننى أفوقك في الرأى
 بما ليس قليلاً، لأننى ولدت قبلك وأعرف أكثر منك، وعلى هذا فليحتمل
 ٢٢٠ قلبك الإنصات لحديثى، إذ لكم أفرط الناس في الحروب،
 التى فيها لا يضيف السيف البتار سوى قشة في كوم على الأرض،
 فالمحصول هو أقل القليل، عندما يرجح زيوس، موزع نتائج
 الحروب بين البشر، إحدى كفتى الميزان. ليست المسألة إذن أن
 ٢٢٥ يسرع الآخيون بالبكاء على قتلاهم صائمين، حيث يسقط منهم الكثيرون
 يوماً بعد يوم ويموتون واحداً بعد الآخر. فمنذا الذى يمكنه أن يستريح
 من هذا العناء ؟ لكن من اللائق أن ندفن موتانا ونبكي عليهم يوماً، ثم
 ٢٣٠ نقوى قلوبنا بعد ذلك. لكن دعنا نحن الناجين من الحرب الكريهة ندبر
 أمر الطعام والشراب، لكى نواصل القتال ضد الأعداء بعد ذلك دون

(*) ربما يكون المقصود من هذا الوضع للميت كما كانوا يعتقدون هو أن يصير من الصعب على شبح الميت أن يعود. (المحرر)

- توقف، بعد أن نغطي أجسادنا بالدروع البرونزية الصلبة. لذا لا تدع
أحدًا من حشدنا ينتظر استدعاءً آخر، فهذا هو الاستدعاء. وسوف
تسوء عاقبة من يتخلف عند سفن الأرجبين. علينا جميعًا أن
نهب هبة رجل واحد في مواجهة الطرواديين
٢٣٥ مروضي الخيول، ونشتبك معهم في معركة فاصلة".
- هكذا كان حديث أوديسيوس، واصطحب أبناء نيسطور المجيد
وميجيس بن فيليوس وثوأس وميريونيس وليكوميديس بن
كريون وميلانيوس، وساروا في طريقهم إلى خيمة أجاممنون
٢٤٠ بن أتريوس. وفي لحظة واحدة قيلت الكلمة وتم الفعل (*).
- حملوا معهم من الخيمة سبعة من الأوعية ثلاثية القوائم،
كان قد وعد بها أجاممنون، وعشرين مرجلاً لامعاً، واثني
عشرة جوادًا. وأخذوا معهم كذلك النساء البارعات في الأعمال
اليدوية، وكن سبعة تأمنتهم جميلة الخدين بريسنيس. وبعد
٢٤٥ ذلك وزن أوديسيوس عشرة تالنتات من الذهب، ثم قاد جماعة
شباب الآخيين محملين بهدايا أجاممنون حيث وضعوها
وسط مكان الاجتماع. ثم نهض أجاممنون راعى الشعب
ووقف إلى جواره تالسيبيوس الذي كان صوته كصوت إله،
٢٥٠ وأمسك بيديه خنزيرًا بريًا. واستل ابن أتريوس سكينًا
كان يتدلى دائمًا بجوار غمد سيفه الضخم، فقص نتفة من
شعر الضحية، ورفع يديه ضارعًا لزيوس. ووقف الأرجيون
جميعًا صامتين منصتين في خشوع لما يقول الملك، وكان
٢٥٥ يحملق في السماء الواسعة وبيتهل قائلاً:
- "كن يازيوس شاهدًا علىّ، أنت يا أعلى وأعظم الآلهة،
ولتشهد الأرض (جى) والشمس (هيلوس) والإيرينيات
٢٦٠ يامن تقمن تحت الأرض وتنتقم من الحائثين بقسمهم.

(*) قارن ترنيوس "المعذب نفسه" الفصل الخامس مشهد (١) بيت ٣١ "dictum, factum" بمجرد أن قال فعل". (المحرر)

اشهدوا جميعاً على قسمي بأنني لم أضع يدي على الفتاة
بريسئيس، لا لكى أضاجعها ولا لأى شئ من هذا القبيل،
بل أقامت فى خيامي عذراء لم يمسه أحد. أما إذا كنت
٢٦٥ كاذباً فى قسمي فلتصب الآلهة على المصائب كلها التى تنزلها.

الآلهة على من يكذب فى قسمه".

هكذا كان ابتهاج (أجاممنون)، ثم قطع رقبة الخنزير البرى بسكين
لا ترحم. وحمل تالتيبيوس جسده وأداره فى الهواء ثم ألقى به إلى
لجة البحر الهائج فى الخليج، كى يكون طعاماً سائغاً للأسماك.
ولكن أخيليوس وقف وتحدث مخاطباً الأرجيين محبى القتال قائلاً:
٢٧٠ "أى زيوس الأب ! يا من تصيب بنى البشر يفقدان البصيرة

المهلك، لم تكن كلمات ابن أتريوس لتثير غضبي، وما كان هو لينترع
منى، وقد أصاب قلبه الضلال، فتأتى رغباً عن أنفى، لولا أن زيوس
كان قد راق له أن يهلك الكثيرون من الآخيين. على أية حال اذهبوا
٢٧٥ الآن لتناول طعامكم، على أن نسرع بعد ذلك لدخول المعركة".

هكذا قال (أخيليوس) وبسرعة صرف المجتمعين، وذهب كل إلى
سفينته، لكن الميرميدونيين البواسل حملوا الهدايا إلى سفينة
٢٨٠ أخيليوس شبيه الآلهة، ووضعوها فى الخيمة وتركوا النساء هناك
أيضاً، وقاد الأتباع البواسل الخيول إلى سائر القطيع.

لكن بريسئيس شبيهة أفروديتى الذهبية، عندما رأت باتروكلوس
صريعاً مطعوناً بالبرونز القاطع، ألقت نفسها على جسده وبكت
٢٨٥ بمرارة، وصرخت بعويل مدوٍ، ومزقت صدرها ورقبتها البضة
ووجهها الجميل بيديها^(*). ثم تفوهت من بين دموعها، تلك

(*) يقول بروبرتيوس محاكاة لهذه الفقرة، حيث تبكى بريسئيس موت أخيليوس وتقول (11,9,9):

'Necnon exanimem amplectens Briseïs Achillem

Candida vesana verberat ora manu,...

Foedavitque comas.'

"ألم تحتضن بريسئيس أخيليوس الميت
ويدها ومجنون لطمت خدودها ناصعة البياض
ومرغت (فى التراب) خصلات شعرها". (المحرر)

المرأة شبيهة الإلهات وقالت:

- "أى باتروكلوس، يا أعز الناس إلى قلبي التعس، لقد تركتك حيًا
عندما غادرت الخيمة، لكنى الآن، يا قائد الحشود، عدت لأجذك ميتًا. ٢٩٠
وهكذا نصيبى أن تتراكم على المصيبة فوق المصيبة. إن من متحنى له
أبى وأمى الملكة لأكون زوجة، رأيته أمام مدينتنا وقد نفذ فيه سلاح
برونزى حاد، وأخوتى الثلاثة الأحبة الذين حملتهم بطن أمى
لقوا حتفهم كذلك. لكنك عندما قتل أخيليوس زوجى ودمر مدينة
مينيس شبيهة الآلهة، لم تدعنى أبكى، وقلت لى إنك سوف ٢٩٥
تزوجنى من أخيليوس شبيه الآلهة، وإنه سيأخذنى فى سفينة إلى
فثيا ويقيم لى حفل زفاف بين الميرميدونيين. لذا فإننى أبكىك
فى موتك ولن أتوقف عن البكاء، إذ كنت على دوماً عطوفاً." ٣٠٠

هكذا كان حديثها وهى تبكى، فناحت معها النساء الأخريات جميعًا
على باتروكلوس، الذى كان مدعاة لكل منهن فى الحقيقة لأن تبكى على
مصائبها هى. وحول أخيليوس تجمع شيوخ الآخيين، وتوسلوا إليه أن
يأكل، لكنه رفض وقال وهو يئن:

- "أرجوكم، إذا كان أى منكم أيها الرفاق الأعزاء يسمع كلامى،
دعه لا يسألنى أن أشبع جوعى من اللحم، ولا أن أروى
ظمأى من الشراب، وهو يرى أن حزنًا بالغًا قد أصابنى،
سأبقى هكذا حتى تغرب الشمس، وسوف أتحمل." ٣٠٥

هكذا تحدث، فصرف كل القادة الآخرين، ولكن بقى ابنا أتريوس

- وأوديسيوس الإلهى ونيسطور وإيدومينيوس وفوينيكس الفارس ٣١٠
المسن، ساعين إلى تخفيف ما يشعر به من أسى وحزن. لكنه لم
يسمح لحزنه أن يهدأ، قبل أن يدخل بين فكى الحرب الدموية.
فلما خطر باتروكلوس بباله تنهد بعمق وصرخ:

"يا أعز صديق، يا تعيس الحظ، كم من مرة كنت أنت نفسك تضع

- ٣١٥ بحماس أمامي في خيمتي مأدبة حافلة بما لذ وطاب، عندما يسارع
الآخيون لشن الحرب مذرقة الدمع الغزير على الطرواديين
مروضي الخيول. لكنك الآن ترقد مضرجاً في الدماء ومطعوناً
هنا وهناك في جسدك. وقلبي لا يقبل لحمًا ولا شرابًا، لأنه يتوق إليك
أنت. ليس هناك أسوأ من هذا الشر الذي أعاني، حتى لو
٣٢٠ جاءني خبر وفاة أبي، الذي أحسب أنه يذرف الدمع الغزير هناك
في فثيا وقد حرم ابنه القوى، أنا الذي أحارب الطرواديين في
أرض غريبة من أجل هيليني المشنومة. لن يكون أسوأ أن
أسمع خبر وفاة ابني حبيبي، الذي يقوم على تربيته إنسان
آخر غيري في سكيروس - إذا كان نيوبتوليموس^(*) شبيه الآلهة
لا يزال حيًا - لقد راودني الأمل أنني وحدي حتما سأهلك هنا بعيدًا
عن أرجوس - مربية الخيول -، هنا في أرض طروادة، وأنت أنت يا
٣٢٥ باتروكلوس سوف تعود إلى فثيا، وتحمل ابني في سفينتك السوداء
السريعة من سكيروس، وتطلعه على كل شيء، كافة ممتلكاتي
وكل خدمي وقصري المنيف ذا السقف العالي. ذلك أن بيليوس فيما
أحسب قد قضى نحبه، أو أنه يعاني كبر السن في أرذل العمر،
٣٣٠ في انتظار الأنباء المفجعة عني وعن موتي".
- ٣٣٥ هكذا كان حديثه الباكي، وأجهش الكبار بالبكاء معه، وتذكر
كل منهم ما تركه خلفه في البيت. وعندما رآهم ابن كرونوس يكون
أشفق عليهم، وفورًا خاطب أثينة بكلمات مجنحة قائلاً:
٣٤٠ "يا ابنتي لقد تخليت تمامًا عن الرجل الذي تحبينه. ألا تفكرين البتة
في أخيليوس؟ هاهو يجلس أمام السفن ذات المقدمات المنقرية
المقوسة يبكي صديقه الحبيب. بينما ذهب الآخرون لتناول طعامهم،

(*) ولد نيوبتوليموس في سكيروس وبقي هناك تحت رعاية جده ليكوميديس إلى أن ذهب إلى طروادة. وبعد مولده مباشرة عاد أخيليوس إلى فثيا. وبعد ذلك بنحو ثمان سنوات ذهب أخيليوس مباشرة إلى طروادة دون أن يرى ابنه. وهناك روايات أخرى، المهم أن نيوبتوليموس ظهر في ملاحم تالية مثل: "القبرصية" و "الإلياذة الصغيرة". كما ظهر في مسرحية فيلوكتيتيس لسوفوكليس. (آخر)

- ٣٤٥ لا يزال هو صائماً جائعاً. اذهبى واسكبي فى صدره النيكتر
والأمبروسيا الشهية حتى لا يهلك الجوع قواه".
بهذا القول حفز أثينة، حيث كانت هى نفسها على أهبة الاستعداد،
فحلقت فى أجواز الفضاء كالصقر ذى الجناحين العريضين
والصوت الحاد، ثم نزلت من السماء إلى الطبقات العليا من
الأثير. وبينما كان الآخيون يتسلحون فى المعسكر صبت فى
صدر أخيليوس النيكتر والأمبروسيا الشهية حتى لا يهد الجوع
المر قواه، ثم عادت إلى مقر أبيها الجبار ذى البنيان المتين.
ثم اندفع الآخيون من السفن السريعة. وكما تتساقط نتف الثلج
فى زخات كثيفة وسريعة من لدن زيوس، تحت هبات ريح الشمال
بورياس المولودة فى الأثير الناصع. هكذا انطلقت من السفن الدروع
اللامعة والخوذات البراقة القوية، ودروع الصدر ودروع الساق
المصفحة والرماح الرمادية. فلما صعد هذا البريق إلى السماء، ضحكت
الأرض كلها^(*) من حولهم بتألق البرونز ولمعانه. من تحت أقدام
الرجال صعد صوت دقات الكعوب الرنانة، وفى قلب الحشد كان
أخيليوس الإلهى يضع أسلحته على جسده. اصطكت أسنانه بعضها
ببعض، ولمعت عيناه ببريق ساطع، كما لو كانتا لهباً متوهجاً، لأن قلبه
كان مفعماً بألم لا نهاية له، وفى قمة غضبه على الطرواديين شرع
يرتدى هدايا الإله، التى أنقن هيفايستوس صنعها. فلف على ساقيه
دروع الساق وثبتها بمسامير فضية، ثم وضع درع الصدر على
صدره، ثم علق السيف البرونزى المرصع بالفضة على كتفه.
ثم أخذ درعاً ضخماً وقوياً يرسل بريقاً لامعاً كأنه القمر. ومثلما يظهر
بريق نار مشتعلة للبحارة فى عرض البحر، إذ تندلع النار على
قمة جبل شاهق فى مكان مقفر، بينما تجرف الرياح هؤلاء البحارة

(*) ضحكت الأرض عند الشاعرين الرومانيين لوكريتيوس (الكتاب الثانى ٣٢٥) وفرجيليوس. "الزراعات"
الكتاب الثانى (٢٨١) وقارن قصيدة البحري:
أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

- ٣٧٥ مرغمين إلى أعالي البحر، حيث مرتع الأسماك، بعيداً عن يحبون.
هكذا تصاعد البريق من درع أخيليوس إلى عنان السماء.
- ٣٨٠ ثم رفع الخوذة القوية ووضعها فوق رأسه، فلمعت كما تلمع
النجوم، وكانت تعلوها خصلة شعر حصان وحولها ريشات
ذهبية كثيرة وضعها هيفايستوس على جانبي العرف. ثم تأكد
أخيليوس الإلهي من أن السلاح يتواءم معه، وأن أوصاله المجيدة
تتحرك بحرية. وأنها أصبحت كما لو كانت أجنحة تحمله
بوصفه راعياً للشعب. ثم سحب من الغمد رمح أبيه، وكان
رمحاً ثقيلاً ضخماً وقوياً، لا يستطيع أحد من الأخيين سوى
أخيليوس أن يحسن استخدامه، ذلك الرمح من شجر الدردار
فوق بيليون. أعطاه خيرون لأبيه العزيز، فهكذا سقط من قمة بيليون
٣٩٠ ليكون وبالاً على المحاربين.
- وذهب أوتوميدون والكيμος(*) كى يشدان الخيول للعربة، فوضعا
٣٩٥ سيوراً تحمى صدرها، وشكائم حديدية بين الفكين، ومدا الأعنة إلى
العربة المنتينة. ثم أخذ أوتوميدون السوط اللامع وقبض عليه بقوة
وقفز وراء الخيول. ثم قفز أخيليوس ليجلس خلفه مستعداً للقتال،
يلمع سلاحه كالشمس الساطعة هيبيريون، ثم هتف مخاطباً جوادى أبيه:
٤٠٠ "أى كسانثوس وباليوس، يا ولدا بودارجى المشهورين، أعيدا
من يمتطيكما سالماً إلى حشد الدانائيين، بعد أن تضع الحرب
أوزارها، ولا تتركاه كما تركتما باتروكلوس قتيلاً".
عندئذ من تحت النير رد عليه الحصان كسانثوس لامع الرجلين.
إذ فجأة أحنى رأسه، فتدلت كل خصلات شعر العنق من على
٤٠٥ جانبي النير حتى لامست الأرض، وهبته الإلهة هيرا القدرة
على الكلام(**) فقال:

(*) يسمى أحياناً الكيميدون Alkimedon. (الخرر)
(**) تحدثت الحيوانات في الأساطير البابلية وتحدث ثور في تواريخ ليفيوس، ثم قارن خرافات أيسوبوس وحواديت
فابدروس. (الخرر)

"أى أخيليوس الجبار! حقاً سنحميك اليوم، ولكن يوم القدر المحتوم قريب منك، ولن نكون نحن السبب، بل سيأتى به إله قوى وقدر (مويرا) غلاب. فلم يسلب الطرواديون سلاح باتروكلوس من ٤١٠ كتفيه بسبب كسلنا أو تقاعسنا، لكن أقوى الآلهة، من ولدته ليتو ذات الشعر الجميل، هو الذى قتله فى مقدمة الصفوف ومنح هيكتور المجد. حتى مع الرياح الغربية زيفيروس، أسرع الرياح ٤١٥ كما يقولون، سوف نعدو بقوة، إلا إذا كان مقدوراً عليك الهلاك فى المعركة على يد إله أو إنسان ما".

وبعد أن نطق بذلك أحرصته الإيرينيات، ورد عليه أخيليوس سريع القدمين وقد تملك فزع شديد قلبه، قال:

٤٢٠ "أى كسانثوس، لماذا تنتبأ بموتى؟ لا يلزمك هذا! أنا نفسى أعرف حق المعرفة أنه مقدر لى الموت هنا، بعيداً عن أبى الحبيب وأمى. ومع ذلك فلن أتوقف حتى أتخم الطرواديين قتالاً".

قال (أخيليوس) هذا وصاح صيحة مدوية فى المقدمة، قابضاً ٤٢٤ على عنان خيوله ذات الحافر الواحد.

٦

الكتاب العشرون



ترجمة أحمد عثمان

هكذا يا ابن بيليوس، كان الأخيون الذى لم يشبعوا قتالاً
يتسلحون بجوار سفنهم المقوسة ملتفين حولك، بينما يقف
الطرواديون فى مواجهتهم فوق مرتفع ناتئ فى السهل.
لكن زيوس أمر ثيميس أن تدعو الآلهة من فوق قمم
الأوليمبوس متعدد الجنبات للاجتماع. فذهبت إليهم هنا
وهناك ودعتهم للاجتماع فى مقر زيوس. حضرت كل
(آلهة) الأنهار ما عدا المحيط أوكيانوس، وكل العرائس
اللأى تتجولن فى الغابات الكثيفة وينابيع الأنهار والمروج
الخضراء. حضروا جميعاً إلى منزل زيوس جامع السحب،
فأجلسهم فى بهو الاعمدة المصقولة، التى أبدعها هيفايستوس
بمهارة من أجل زيوس الأب.

هكذا اجتمع كل الآلهة فى مقر زيوس، حتى مزلزل الأرض
(بوسيدون) لم يستخف بنداء الإلهة، وجاء من أعماق البحر
ليلحق بهم، وجلس فى وسطهم، ثم سأل زيوس عن الهدف
من وراء الاجتماع:

"لماذا، يا سيد الصاعقة الصاعقة استدعيت الآلهة للاجتماع مرة
أخرى، أهو أمر تفكر فيه ويتعلق بالطرواديين والآخيين؟ فلقد
اشتعلت الحرب واندلع القتال بينهما".

فرد عليه زيوس جامع السحب قائلاً:

"يا مزلزل الأرض، أنت تدرى بما يدور فى صدرى، ولماذا
استدعيتكم للاجتماع هنا، فأنا أهتم بهم مع أنهم هالكون.
أما فيما يتعلق بى، فسأبقى هنا جالساً على إحدى جنبات
الأوليمبوس مرتاحاً ومكتفياً بالمراقبة، أما أنتم فلكم أن تذهبوا
إلى الطرواديين أو الآخيين، وتمدوا العون لهذا الطرف

أو ذاك وفق ميول كل منكم. فلو أن أخيليوس وحده قاتل
الطرواديين، ما استطاعوا أن يقفوا أمام ابن بيليوس سريع
القدمين. لقد أصابتهم الرجفة بمجرد أن وقعت أنظارهم عليه.
أما الآن وقد استشاط قلبه غضباً من الحزن على صديقه،
أخشى أن يتخطى الحدود المرسومة له. ويحطم الأسوار".

٣٠

٣٥

٤٠

هكذا قال ابن كرونوس فأشعل حرباً دون هوادة. فإلى هذا
الجانب أو ذاك تدخلت الآلهة في القتال، وقد تفرقت بهم الميول.
فإلى جانب حشد السفن انضمت هيرا وباللاس أثينة وبوسيدون
مزلزل الأرض وهرميس جالب الحظ وسريع البديهة كما
اشتهر. ومع هؤلاء ذهب أيضاً هيفايستوس المتباهى بجبروته
سائراً بخفة على ساقيه المنكمشين. وإلى جانب الطرواديين انضم
أريس ذو الخوذة البراقة، وفوبيوس بخصلات شعره المسترسل،
وأرتميس رامية السهام، وليتو وكسانثوس، وأفروديتي الضحوك.

٤٥

٥٠

مادام الآلهة بعيدين عن البشر الفانين، ظل الآخيون يحرزون
النصر والمجد، ولا سيما بعد أن انضم إليهم أخيليوس منهياً
اعتكافه عن القتال. أما الطرواديون فقد أصابت الرجفة أوصالهم،
بمجرد أن وقعت أبصارهم على ابن بيليوس ذي الأسلحة
البراقة، قرين أريس في الفتك بالرجال. ولكن ما أن جاء
الأوليمبيون واختلطوا بحشود البشر ثارت ثائرة إلهة النزاع
القوية إريس، التي تحرك الأمم، وأطلقت أثينة صيحاتها المدوية
سواء وهي تقف إلى جوار الخندق العميق خارج الحائط، أو
وهي تقف على الشواطئ المرددة لأصداء صيحاتها. وجاوبها
أريس على الطرف الآخر بصيحة رهيبة كأنها عاصفة سوداء،
مستنفراً بصرخات حادة الطرواديين من أعلى قلعة المدينة

- أو عندما ناداهم على ضفاف سيموئيس على منحدر كالليكولوني^(*).
- هكذا استنار الآلهة المباركة الجانبين إلى القتال، وفيما بينهم
 ٥٥ فجروا صراعًا فظيعًا. فمن فوقهم أرعد أبو البشر والآلهة على
 نحو رهيب، ومن تحتهم زلزل بوسيدون الأرض غير المحدودة
 وقمم المرتفعات الشاهقة. ثم ارتجت كل سفوح جبل إيذا ذى
 الينابيع العديدة وكل ذواباته، واهتزت مدينة الطرواديين وسفن
 ٦٠ الآخيين. وفي العالم السفلى ارتعد أيونيوس سيد الأشباح
 ومن شدة فزعه أطلق صرخة مدوية وهو يقفز من فوق
 عرشه، خشية أن يشق بوسيدون مزلزل الأرض باطن
 ٦٥ الأرض فيكشف أعماقها - وهى المخيفة حتى بالنسبة للآلهة -
 للبشر الفانين، فيرون أشباحها وأوحالها. فقد وقف فويبوس
 (الوضاء) أبوللون بسهامه المجنحة فى مواجهة بوسيدون الملك،
 ووقفت أثينة زرقاء العيون ضد إنيليوس، أما أرتميس
 رامية السهام وأخت رامى السهام بعيدًا (أبوللون) إلهة
 الصيد ذات السهام الذهبية والصوت الحاد فقد واجهت هيرا.
 ٧٠ ووقف هرميس القوى جالب الحظ ضد ليتو، وفى مواجهة
 هيفايستوس وقف النهر العظيم ذو الدوامات العميقة والذى
 تدعوه الآلهة كسانثوس ويسميه البشر سكماندروس.
- ٧٥ هكذا تقدم الآلهة ليواجه بعضهم بعضًا. فى حين كان أخيليوس
 تواقًا لملاقاة هيكتور بن برياموس من بين رجال الحشد
 جميعًا، إذ تدفعه روحه دفعًا للارتواء من دمه دون الآخرين،
 إشباعًا لآريس ذلك المحارب ذى الدرع المتين من جلد الثور. لكن
 أبوللون مثير الأمم شجع آينياس على أن يذهب لمواجهة ابن

(*) يعنى هذا الاسم "تل الجمال"، وربما كان هذا هو المكان الذى كان الناس يعتقدون أن مسابقة الجمال بين أثينة وهيرا وأفروديتى، حيث حكم فيها باريس لصالح أفروديتى، قد جرت هنا. (المحرر)

٨٠ بيليوس، وبث في روحه البسالة وقال له أبوللون بن زيوس
متخذاً صوت ليكاون بن برياموس وهيئته:

"أى آينياس يا ناصح الطرواديين، أين تهديداتك التي كنت
تتوعد بها متباهياً أمام أمراء طروادة، وأنت تحتسى الخمر.

٨٥ وكنت تقول إنك ستخوض غمار القتال متحدياً أخيليوس بن بيليوس".
فرد عليه آينياس قائلاً:

"يا ابن برياموس، لماذا تحرضنى على الوقوف أمام ابن بيليوس
العتيد، ضد إرادتى؟ فليست هذه هي المرة الأولى التي ألقى

٩٠ فيها أخيليوس سريع القدمين، إذ سبق أن هاجمنى ذات مرة
برمحه وطرمنى من إيدا، حين انقضض على قطعاننا ودمر

ليرنيسوس وبيداسوس. ولم ينقذنى من بين يديه سوى

زيوس، الذى أمدنى بقوة فى قدمي، فأفلت مسرعاً فراراً منه،

٩٥ وإلا لكنت قد قتلت على يدى أخيليوس. وأثينة هي التي كانت
تسير أمامه وتنقذه وتأمره أن يفتك بأهل ليرنيسوس

الليليجيين وكذا الطرواديين برمحه البرونزى. من المحال أن

يقف رجل أمام أخيليوس فى القتال، لأنه على الدوام هناك

إله ما يقف إلى جانبه ويمنع عنه الأذى. وفى كل حال تطير

رميته مباشرة إلى هدفها فتصيبه، فلا تتوقف قبل أن تنفذ

١٠٠ فى لحم إنسان. لكن إذا ماهياً إله ما الفرصة متكافئة فى

القتال، فإنه لن يستطيع التغلب على بسهولة مهما تباهى

بأنه مخلوق برونزى لا يجرح".

ورد عليه الملك أبوللون بن زيوس قائلاً:

"نعم أيها المحارب، فلتذهب وتتضرع أنت أيضاً للآلهة

١٠٥ الخالدة، فأنت أيضاً كما يقول الناس ابن أفروديتى ابنة زيوس،

أما هو فأمه إلهة أقل شأنًا. لأن أمك ابنة زيوس، أما أمه فهي

مجرد ابنة إله البحر الشيخ المسن. هيا احمل رمحك البرونزى العنيد وتقدم لمواجهته، ولا تدعه يصدك للخلف بكلمات الاستعلاء أو التهديدات".

١١٠

قال ذلك ونفت شجاعة جسورة فى روح راعى الشعب، ثم اندفع إلى الصفوف الأولى متسلحاً بالبرونز المتوهج. ولكن لم يغب عن هيرا ذات الذراع الأبيض أن تلمح ابن أنخيسيس وهو يشق طريقه بين المحاربين مستهدفاً مواجهة ابن بيليوس، فجمعت الآلهة حولها وحدثتهم قائلة:

١١٥

"فلتدبر كل منكما أى بوسيدون وأنت يا أثينة ما يجرى، وليقل رأيته. فها هو آينياس يتسلح بالبرونز المتوهج ويتقدم لمواجهة ابن بيليوس، فويبوس أبوللون هو الذى حرصه.

١٢٠

هيا بنا إذن، لنعيده للخلف، أو ليذهب أحداً ويقف إلى جوار أخيلوس، ويبت فيه قوة جبارة لكى لا يلين عزمه، وليعلم أن من يحبونه هم أفضل الآلهة الخالدين، وأن الآلهة الآخرين الذين وقفوا من قبل أثناء القتال إلى جانب الطرواديين كانوا لاشيء، وكأنهم قبض الريح. أما نحن فقد نزلنا اليوم من

١٢٥

الأوليمبوس لكى نشارك فى هذا القتال، حتى لا يصيب الطرواديين أخيلوس بأى أذى. وبعد ذلك سوف يلقى ما خطته إلهة القدر آيسا على مغزلها منذ البداية ساعة ولادته حين وضعته أمه. فإذا لم ينبىء أحداً أخيلوس بهذا فسوف تغلبه الرهبة حينما يواجهه إله ما فى المعركة، فكم هو رهيب ظهور الآلهة للبشر!".

١٣٠

عندئذ رد عليها بوسيدون مزلزل الأرض، قائلاً:

"هيرا، لا تدعى غضبك يتخطى حدود حكمتك. لا حاجة

١٣٥

لذلك. بالنسبة لى فلن يطيب لى أن أكون سبب النزاع فيما بين

الآلهة. فلنترك هذا الطريق، ودعونا نبتعد إلى مرتفع ما
نتخذ لنا منه مجلساً، ونراقب ما يدور، ونترك الحرب للبشر.
أما إذا بدأ آريس أو فويبوس أبوللون القتال، وعطلاً أو منعاً
أخيليوس عن النزال، فلنا عندئذ أن نطلق صيحة الحرب،
وسيعودون في الحال إلى اجتماع الآلهة فوق الأوليمبوس
مهزومين على أيدينا".

هكذا قال الإله ذو الشعر الأزرق الداكن، وقاد الطريق إلى
هضبة هيراكليس (هرقل) سليل الآلهة، وهو متراس بناه له
الطرواديون وباللاس أثينة، حتى يلجأ إليه اتقاءً لشر الوحش
البحري^(*). فيكون في مأمن منه كلما طارده من الشاطئ
إلى السهل. هناك جلس بوسيدون ومعه فريق من الآلهة
الآخرين، تلف أكتافهم سحابة لا يمكن اختراقها. وعلى الجانب
الآخر فريق الآلهة الآخرين على مرتفعات كالليكولوني حولك يا
فويبوس أنت وآريس مدمر المدن. هكذا جلس كل فريق إلهي في
ناحية يتبادلون الرأي فيما بينهم، وكل فريق منهما يكره
أن يبدأ الحرب المفجعة، بينما ظل زيوس على عرشه
الرفيع سامياً فوق الجميع.

حينئذ كان السهل قد اكتظ بالرجال والخيول واكتسى بوهج
البرونز، وقعقت الأرض تحت أقدام الرجال المندفعين نحو
المعركة. وتقدم رجالان هما أفضل المحاربين طراً، ليواجه أحدهما
الآخر فيما بين الحشدين. إنهما آينياس بن أنخيسيس
وأخيليوس الإلهي. في البداية تقدم آينياس ونظرة التحدي
تتألق في عينيه، وقد أوماً بخوذته الثقيلة، وأمسك بدرعه

(*) هذا الوحش البحري أرسله بوسيدون ليتلع هيسيون بنت لاؤميدون، لأن الأخير خدع إله البحر ولم يعطه مكافأته المفق عليها في مقابل بناء طروادة. خلص هرقل هيسيون من هذا الوحش، وبني له هذا المتراس ليلجأ إليه عندما يهاجمه الوحش أثناء الصراع. (الخور)

القوى أمام صدره، ولوح برمحه البرونزى. وعلى الجانب الآخر
تقدم ابن بيليوس لملاقاته وكأنه الأسد الهائج، الذى احتشد لقتله
١٦٥ كل رجال القرية. فهو بداية يمضى فى طريقه غير مبال
بمن هم حوله، ولكن ما أن يرميه أحد الشباب برمح حتى يفغر
فاه، ويطفح الزبد من بين أنيابه، ويئن قلبه القوى، وبذيله
يضرب جنبه يساراً ويميناً مستجمعاً كل قواه للمعركة، تتقد
مقلته، ويهجم بجنون عسى أن يقتل أحدهم أو يلقي حتفه فى
مقدمة الصفوف. تلك كانت حالة أخيلئوس مدفوعاً بقوته
١٧٥ وروحه العالية حين تقدم لملاقاة آينياس المقدام، وحين تقابلا
وجها لوجه، بدأ أخيلئوس الإلهى سريع القدمين بمخاطبة
آينياس قائلاً:

"أى آينياس، لماذا قفزت خارجاً من هذا الحشد لملاقائى: هل
حدثتك نفسك بأن تواجهنى فى المعركة طمعاً فى الحصول
على الزعامة فى مملكة برياموس، والسيادة على الطرواديين
١٨٠ مروضى الخيول؟ كلا، فحتى لو قتلتنى، فلن يضع برياموس
الملك فى يديك، لأن لبرياموس ذرية تخلفه ولديه الحكمة
والعقل. أم أن الطرواديين قد اقتطعوا لك قطعة ممتازة من
الأرض، غنية بحدائقها وحقولها، لتمتلكها لو قتلتنى؟ مع أننى
١٨٥ أعتقد أنه ليس من اليسير عليك أن تنجز هذه المهمة. فإننى
أفخر أننى ذات مرة أجبرتكَ على الفرار أمام رمحى. هل نسيت
ذلك اليوم، حين كنت بمفردك، فلما طاردتك وليت أنت الأذبار
مسرعاً عبر منحدرات إيذا الوعة؟ لم تنظر يوماً مرة أخرى
خلفك أثناء فرارك. هربت أنت إلى ليرنيسوس، فدمرت أنا
١٩٠ هذه المدينة عن آخرها بعون من أثينة وزيوس الأب، سبيت
نساءها وحرمتهن من حريتهن. بيد أن زيوس والآلهة الآخرين
أطلقوا سراحك. لكنهم الآن كما أعتقد لن يحموك كما تأمل فى

- ١٩٥ قلبك، فإننى أمرك بالعودة إلى الحشد، وعدم الوقوف فى وجهى
قبل أن يصيبك الأذى. فغبى من لا يفهم قبل فوات الآوان".
فرد عليه آينياس مرة أخرى، قائلاً:
- ٢٠٠ "يا بن بيليوس، لا تظن أنك بالكلمات سترهبنى، وكأئنى
طفل، فأنا أيضاً أعرف جيداً كيف أقول كلمات مهينة وأخرى
لائقة. كل منا يعرف سلالة الآخر ووالديه، ولقد سمعنا
الحكايات ذائعة الرواية عن البشر الفانين، ولكنك لم تر
آبائى بعينيك، ولا أنا رأيت آباءك. يقول الناس إنك ابن
٢٠٥ بيليوس الذى لا نظير له، وابن ثيتيس مليكة البحر ذات
الخصلات الجميلة. أما أبى الذى أتباهى به فهو أنخيسيس
نبيل القلب، وأمى هى أفروديتى. اليوم سينعى والدا أحدنا
ابنهما العزيز، فمن المؤكد أن لقاعنا لن ينتهى بكلمات
٢١٠ صبيانية، ولن نترك ساحة القتال سالمين. وعلى أية حال عليك
إذا أردت أن تعرف سلالتنا - والكثيرون يعرفونها - إذ كان
زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا
وبانى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد فى
٢١٥ الوادى على أنها مدينة البشر الفانين، إذ كانوا لايزالون
يسكنون منحدرات إيذا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب
داردانوس ولداً هو الملك إريخثونيوس الذى أصبح أغنى
البشر الفانين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرساً ترعى فى المروج
وتتعم بصغارها. وبينما هى ترعى شغف بها بورياس حباً
وفى هيئة حصان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى
٢٢٠ عشر مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد
ذوابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرها ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فإنها تقشد ذوابة
الموج الهائج. ثم أنجب إريخثونيوس طروس كى يكون
- ٢٢٥

- ٢٣٠ ملكاً على الطرواديين، وأنجب طروس ثلاثة أبناء لا مثيل لهم هم إيلوس وأساراكوس وجانيميديس شبيهه الآلهة، أجمل أبناء البشر طراً، فقد اختطفه الآلهة لكي يصبح ساقى الخمر لزيوس، وذلك بسبب جماله، ولكي يقيم مع الخالدين. ثم أنجب إيلوس ولداً هو لاؤميدون الذي لا نظير له، وقد أنجب بدوره تيثنوس وبرياموس ولامبوس وكليتيوس وهيكتاؤن سليل آريس. وأنجب أساراكوس كابيس الذي أنجب بدوره أنخيسيس، وقد أنجبني أنخيسيس. أما برياموس فقد أنجب هيكتور الإلهي.
- ٢٣٥ إننى أتباهى بهذه السلالة وبهذا الدم، ذلك أن زيوس هو الذى يهب التفوق للبشر، أو يحرمهم منه. فهو الأعلى فوق الجميع. هلم بنا إلى قلب النزال، دون أن نعود مرة أخرى للخوض فى هذا الكلام مثل الأطفال، فما أكثر الإهانات التى يمكن أن ينطق بها كل منا، والتى يمكن أن تغرق سفينة بها مائة صف من المقاعد. فألسنة البشر مزلق، وهناك كلمات كثيرة ومتباينة، وحقل الكلمات فسيح بلا حدود، وكل ما يمكن أن نقوله، يمكن أن يرد به عليك فى مسامعك، وبهذا سوف نتعاضد ونتعارك
- ٢٤٠ كالنساء اللائى عندما يركبهن الغضب يخرجن إلى عرض الطريق ويتشاجرن ويتراشقن بالكلمات النابية المبنية على حقائق أو أكاذيب، لأن الغضب هو الذى يقف وراء الكلام.
- ٢٤٥ وعلى أية حال فإنك لن تثبط عزيمتى بالكلمات، وحتى نتلاقى رجلاً لرجل بالبرونز، هلم يجرب كل منا الآخر بالرمح ذات السن البرونزى".

- قال هذا، ثم رمى رمحه الضخم فى اتجاه الدرع الرهيب والعجيب. فأحدث الدرع دويًا تحت وطأة سن الرمح. ولكن ابن بيليوس أمسك درعه بيديه القويتين فى خوف. لأنه خشى أن يخترقه رمح آينياس المغوار. ياله من أحمق! فهو لم
- ٢٦٠

- يدرك أن هدايا السماء المجيدة لا يمكن أن تهزم بسهولة
على يد أمجد الفانين، ولا يمكن أن تستسلم لهم. ولهذا لم يخترق
٢٦٥ رمح آينياس المغوار - وهو رمح عتيد - الدرع، لأن الذهب،
وهو هدية إلهية، حال دون ذلك. لقد تمكن رمح آينياس من
اختراق طبقتين اثنتين، وبقي ثلاث. لأن الإله الأعرج كان قد
٢٧٠ صنع الدرع من خمس طبقات، اثنتين من البرونز، واثنين
من القصدير، وخامسة من الذهب. وهى التى عندها وقف
الرمح الدردارى (*).
- وبدوره رمى أخيليوس رمحه طويل الظل فى اتجاه درع
٢٧٥ آينياس متين الاتزان، أسفل طرف الحاشية حيث يخف
البرونز، وحيث تكون بطانة جلد الثور نحيلة. ولذلك نفذ
الرمح المصنوع من شجر الدردار فوق بيليون، وتكسر الدرع
تحتة محدثاً دويًا هائلًا، تراجع آينياس وهو يمسك بالدرع
محاولاً إبعاده فى خوف، ومر الرمح فوق ظهره ثم وقع على
الأرض، بعد أن مزق طبقتى الدرع الضخم. وبعد أن تجنب
٢٨٠ آينياس الرمح الطويل نهض، ولكن أسى بلا حدود غطى عينيه
وارتعد بشدة، حيث كان الرمح يقف منتصبًا بالقرب منه.
وعلى الفور وبصيحة مرعبة اندفع أخيليوس فى سرعة
خاطفة شاهرًا سيفه، وأمسك آينياس بحجر صخرى ضخم فى
٢٨٥ يديه، لا يستطيع رجالان من رجال اليوم رفعه، أما هو فقد
رفعه بسهولة ودون عون. وكاد آينياس أن يقذف بهذا الحجر
أخيليوس وقد هجم عليه، كاد يقذفه فى الخوذة أو فى الدرع
الذى أنقذه فى الواقع من موت محقق ومريع. وكاد ابن
٢٩٠ بيليوس أن يقتل آينياس بالسيف، لولا أن بوسيدون مزلزل

(*) جدير بالذكر أن الأبيات ٢٦٩-٢٧٢ رفضها عالم الإسكندرية الفقيه أريستارخوس على أساس أنها تخالف ما جاء عن وصف درع أخيليوس فى الكتاب الثامن عشر وكما رأينا. (المحرر)

الأرض لاحظ ذلك، وبسرعة خاطب الآلهة الخالدين قائلاً:

"واحسرتاه، وبالأسفى على آينياس ذى القلب النبيل، الذى سيرحل سريعاً إلى هاديس، بعد أن يقتله ابن بيليوس.

٢٩٥

وذلك لأنه بحمق يثق فى كلمات أبوللون رامى السهام من بعيد. بيد أن هذا الإله لن يمنع عنه بأية حال موتاً مروعاً. لكن واحسرتاه! لماذا عبثاً يعانى هذا الإنسان بلا ذنب ويلات ما ارتكبه الآخرون وهو الذى يقدم القرابين بسخاء للآلهة -

٣٠٠

التي تسكن السماء الفسيحة؟ دعنا ننقذه على الأقل من الموت، خشية أن يغضب ابن كرونوس إذا قتله أخيليوس.

فمن المقدر أن ينجو من الموت، حتى لا يفنى نسل داردانوس دون بذرة أو أثر، ذلك أن ابن كرونوس قد أحب

٣٠٥

داردانوس أكثر من كل أبنائه الذين ولدوا له من بنات البشر. ولأن زيوس كان يكره نسل برياموس، فهكذا كان مقدرًا أن يكون آينياس ملكًا على الطرواديين، وأن يخلفه أبناؤه وأحفاده الذين سوف يولدون فى المستقبل".

فردت عليه هيرا، تلك الملكة ذات العيون الواسعة مثل المها:

"يا مزلزل الأرض تدبر أنت الأمر بنفسك، واعمل ما

٣١٠

يمليه عليك فؤادك، سواء أنقذت آينياس أو تركته وحيداً ليقته أخيليوس بن بيليوس، برغم بسالته وقوته. لقد أقسمنا، باللاس أثينة وأنا، فى حضرة شهود كثيرين وأمام كل الخالدين، ألا

٣١٥

ندفع عن الطرواديين يوم عثرتهم، ولو احترقت طروادة كلها فى اللهب المنذلع، وكان الذين يشعلون فيها النيران هم أبناء الآخيين المحاربين".

وما أن سمع بوسيدون، مزلزل الأرض، هذه الكلمات حتى شق طريقه وسط صفوف المتحاربين وقذائف الرماح المتبادلة،

- ٣٢٠ فوصل إلى حيث كان آينياس وأخيليوس ذائع الصيت.
وعلى الفور نشر ضباباً فوق عيني أخيليوس ابن بيليوس،
وسحب الرمح الدردارى ذا الرأس البرونزية من درع آينياس
٣٢٥ ذى القلب النبيل، ووضعته أمام قدمي أخيليوس. ثم رفع آينياس
عالياً وقذفه بعيداً. فلما انفلت آينياس من يد الإله طار فوق
عدة صفوف من المحاربين وعدة خطوط من العربات
الحربية، حتى وصل إلى الطرف الأقصى من المعركة
المحتدمة، حيث كان السكاوكونيون يسلحون أنفسهم للقتال.
٣٣٠ ثم جاء بوسيدون، مزلزل الأرض، إلى جواره وسماه باسمه
وحدثه بكلمات مجنحة:

"يا آينياس، أى إله هذا الذى أمرك - وقد فقدت صوابك - أن
تدخل فى قتال مع ابن بيليوس، وهو رجل أفضل وأعز منك لدى
٣٣٥ الخالدين؟ تراجع للخلف كلما صادفته، خشية أن ترحل إلى
مقر هاديس، وهو ما يتعدى قدرك. ولكن ما أن يلقى أخيليوس
حତفه وقدره، عندئذ يجب عليك أن تكون مقدماً فتحارب فى
الصفوف الأولى، لأنه فى هذا الحالة لن يقتلك أحد آخر من بين
الآخيين".

- ٣٤٠ قال هذا ثم تركه هناك بعد أن كان قد شرح له كل شىء،
وبسرعة قشع الضباب السحري عن عيني أخيليوس، ففتح عينيه
محملقاً بشدة ومتأثراً بالغ التأثير ومحدثاً نفسه الأبية:
٣٤٥ "كم هو غريب! حقاً إن ما أرى أعجوبة! فرمحي يرقد هنا
على الأرض، كما أنى لا أرى الرجل الذى رميته به ساعياً
لقتله. وهذا يعنى أن آينياس حقاً عزيز لدى الآلهة الخالدة، مع
أننى قد اعتقدت أن تفاخره بذلك كان فارغاً، دعه يمضى!
٣٥٠ فهذا الذى أفلت من الموت بأعجوبة لن يعود ليتحدثنى مرة أخرى.

ولكن هلم الآن! دعنى أستنفر الدانائيين البواسل،
ولأتحدى الطرواديين الآخرين".

قال هذا ثم قفز إلى الصفوف، فصاح محرضاً كل الرجال:
"لا تقفوا أيها الآخيون الإلهيون على مبعدة من الطرواديين،

٣٥٥

بل ليواجه كل رجل نظيره من الأعداء وقلبه مفعم بالرغبة
فى القتال. فمن العسير علىّ - رغم قوتى - أن أواجه
هذا الحشد الضخم وأن أحارب الجميع، فلا أريس نفسه على
الرغم من أنه إله خالد، ولا أثينة نفسها، يستطيع أن يخوض
غمار مثل هذا القتال وينتصر. ومع ذلك فسأبذل كل ما بوسعى،
بيدى وقدمى وكل قوتى العجيبة، ولن أتوانى ولو قليلاً. بل
سأشقى طريقى عبر منتصف خطوطهم، ولا أعتقد أن أيًا من
الطرواديين سوف يكون سعيداً إذا ما اقترب منه رمحى".

٣٦٠

قال هذا مشجعاً لهم، ومن ناحية أخرى صاح هيكتور المجيد
فى الطرواديين بصوت عال معلناً أنه سيتقدم للقاء أخيليوس:

٣٦٥

"أيها الطرواديون شجعان القلوب! لا ترهبوا ابن بيليوس.
فمن السهل علىّ أنا أيضاً أن أحارب بالكلمات حتى الخالدين،
ولكن من العسير أن يكون هذا بالرمح، لأنهم الأقوى كثيراً.
وأخيليوس نفسه لن يستطيع أن يحقق كل كلماته، ولكن قد ينجز البعض،
وسوف يترك البعض الآخر لمن سيخلفه فى منتصف الطريق.
إنى ذاهب للقاءه، حتى لو كانت يده كالنار - نعم كالنار -
وغضبه مثل الحديد المتوهج".

٣٧٠

هكذا تحدث مشجعاً إياهم، فشهّر الطرواديون رماحهم
وتقدموا للقتال، واختلطت قوة المحاربين من الطرفين،
وتعالت صيحات الحرب مدوية. ثم وقف فوبيوس أبوللون
إلى جانب هيكتور وخاطبه قائلاً:

٣٧٥

"أى هيكتور لا تواجه أخيلئوس مرة أخرى، ولكن انتظره
فى الحشد وفى قلب المعركة، خشية أن يرمىك برمحه، أو
أن يلتحم معك فيطعنك بسيفه."

هكذا قال، فترجع هيكتور إلى الحشد المتدفق، وقد انتابه

- ٣٨٠ الخوف حين سمع صوت إله. ولكن أخيلئوس قفز بين
الطرواديين وقد تدثر قلبه بالقوة، وارتفع صوته بالصيحة
الرهيبية. وبدأ بقتل إفيتيون بن أوترينتئوس الشجاع، وهو القائد
لعدة شعوب، والمولود من عرائس البحيرات والأنهار
٣٨٥ لأوترينتئوس مدمر المدن تحت سفح تمولوس الثلجى فى مملكة
هيدى ثرية الحقول. فى أثناء تقدمه ضربه أخيلئوس الإلهى
برمحه فى منتصف الجبهة، فشطر الرأس تمامًا، وسقط وأحدث
ارتطامه بالأرض ضجيجًا. ومن فوق جثته وقف أخيلئوس
مختلاً وقال:

"الآن هنا ترقد يا ابن أوترينتئوس، ياناشر الرعب بين الرجال،

- ٣٩٠ هنا موتك، فقد كان مولدك فى بحيرة جيجايا حيث توجد التركة
التي ورثتها عن الآباء، على ضفاف ييلوس الغنية بالأسماك
وهيرموس ذى الدوامات."

هكذا تحدث متباهيًا، وغطت الظلمة عيني إفيتيون، ومزقت

- جسده إربًا إربًا إطارات عربات الأخيين الحربية فى مقدمة
الصفوف. وأضاف إليه أخيلئوس ديموليون بن أنتينور
٣٩٥ المحارب الباسل، طعنه فى صدغه، حيث نفذ الرمح فى الجزء
البرونزى الذى يغطى الصدغ من الخوذة. لم تحمه هذه الخوذة
البرونزية من طعنة الرمح الطائر، الذى كسر العظم فانفجر المخ
٤٠٠ مبعثرًا هنا وهناك. لقد تغلب عليه برغم شجاعته وإقدامه. ثم
أصاب أخيلئوس هيبوداماس فى ظهره برمحه، بعد أن نزل

من العربية وبدأ الفرار من أمامه. ولفظ أنفاسه الأخيرة بخوار
عال كخوار الثور، الذى يجره الشبان إلى مذبح إله هيليكي
(بوسيدون) مزلزل الأرض، الذى يسره مثل هذا القربان.
وهكذا كان خوار هييوداماس، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،
ورحلت عنه روحه المتعالية.

بعد ذلك تحرك أخيليوس إلى بوليدوروس الإلهى ابن برياموس،
ذلك الذى منعه أبوه دومًا من الحرب، لأنه كان أصغر أبنائه
وأحبهم، لا أحد يباريه فى سرعة القدم. فى طيش صبياني
استعرض سرعة قدميه فى مقدمة الصفوف الأولى، ففقد حياته.
ولقد ضربه الإلهى أخيليوس السريع برمح فى منتصف ظهره
أثناء انطلاقه السريع من أمامه. جاءت الطعنة فى المنطقة
التي تلتقى فيها أربطة الحزام الذهبية، وتتداخل أطراف الدرع
بعضها فوق بعض، ونفذ سن الرمح إلى جنب السرة.
وبصرخة مدوية انكفأ على ركبتيه، وغطته تمامًا سحابة سوداء،
وهوى قابضًا على أحشائه.

فلما رأى هيكتور أخاه بوليدوروس قابضًا على أحشائه بيديه
وقد هوى على الأرض، وغطى الظلام عينيه، لم يعد يطيق
أن يظل بعيدًا، فتقدم لملاقاة أخيليوس مثل قطعة من اللهب
ملوحًا برمحه الحاد. وحين رآه أخيليوس قفز للأمام متأهبًا
لللقاء وصاح متباهيًا:

"ها هو بالقرب منى الرجل الذى قبل أى شخص آخر أصابنى
فى صميم قلبى، فقد قتل الصديق الذى أكرمه. وأظن أن
تحصينات الحرب لن تحجب أحدا عن الآخر بعد الآن."
قال هذا ثم رمى هيكتور الإلهى بنظرة الغضب وخاطبه قائلاً:
"اقترب منى لكى تصل إلى نهايتك بأقصى سرعة".

٤٣٠ فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة برباطة جأش:
 "يا ابن بيليوس، لا تظن أنك ترهبنى بكلماتك، وكأنتى طفل،
 فأنا أيضاً أعرف جيداً كيف أقول كلمات مهينة وأخرى لائقة.
 وأعرف أنك ذو بأس، وأنتى أضعف منك. ولكن الأمر بيد
 الآلهة جميعاً، ومع أنتى الأضعف قد أفتلك برمى رمحى.
 فسلاحى هذا قد أثبت أنه باتر حتى الآن."

٤٣٥ قال هذا ورمى الرمح، ولكن أثينة بنفخة أبعدته وأرجعته
 للوراء بعيداً عن أخيلئوس المجيد الذى تنفس بهدوء. وأعادته
 نحو هيكتور الإلهى فسقط أمام قدميه. عندئذ انقض أخيلئوس
 ٤٤٠ بجنون عاقد العزم على قتله، مطلقاً صيحته الرهيبة. ولكن
 أبوللون رفع هيكتور على نحو رفيق يليق بإله وخباه فى
 ضباب كثيف. وثلاث مرات انقض الإلهى أخيلئوس سريع
 القدمين برمحه البرونزى، وثلاثاً رمى الرمح البرونزى، ولكنه
 ٤٤٥ لم يصب إلا عمق الريح. ولكنه فى المرة الرابعة هجم عليه
 وكأنه إله، مطلقاً صيحته الرهيبة وخاطبه بكلمات مجنحة:

"أيها الكلب، لقد أفلت مرة ثانية من قبضة الموت مع، أنه كان
 حقاً قريباً منك، أنقذك هذه المرة فوييوس أبوللون، الذى من
 ٤٥٠ المؤكد عليك أن تصلى له حين تدخل حومة ارتطام الرماح.
 ولتعلم أنتى سألقاك عاجلاً أو آجلاً وسأقضى عليك، إذا أعاننى
 أنا أيضاً إله ما. أما الآن فسأشدد هجومى على الطرواديين
 الآخرين أينما وجدتهم."

٤٥٥ هكذا قال وطعن دريوبس فى العنق، فهوى عند قدميه.
 فتركه حيث تمدد، وقذف رمحه نحو ديموخوس بن فيليئتور
 فأصابه فى ركبته وأقعده. وهو رجل شجاع قوى البنية، وبعد
 ذلك ضربه بسيفه الضخم فانتزع منه الروح. ثم انقض على

- ٤٦٠ لاؤجونوس وداردانوس ولدى بياس، وجرهما من عربتهما نحو الأرض. قذف أحدهما بالرمح، والآخر طعنه بالسيف الضخم فى التحام مباشر. بعد ذلك تحول إلى طروس بن الآستور، الذى جاء بنفسه، متعلقاً بركبتيه متضرعاً إليه أن يبقى عليه حياً، وأن يأخذه أسيراً، وأن يبقى على حياته ولا يقتله إشفاقاً على شبابه الغض.
- ٤٦٥ وياله من أحمق! فلم يعرف أن توسله سيذهب سدى! فلم يكن رجلاً ذا قلب رحيم من السهل التوسل إليه، بل كان قاسياً بلا رحمة اليتة. تعلق الشاب بركبتي أخيليوس، وكله أمل أن يجدى التوسل، فما كان من المحارب إلا أن غرس سيفه فى كبده. فسقط الكبد من جسده، وغطت الدماء السوداء طيات ملبسه، وغطت الظلمة عينيه وفارقتة الحياة. وبعد ذلك اقترب أخيليوس من مولوس وقذفه بالرمح فى إحدى أذنيه، ومن الأخرى خرج سن الرمح البرونزى. وبالسيف ذى المقبض ضرب رأس إيكيلوس بن أجينور، فازداد حد السيف دفناً بغزارة الدم، ثم غطت ظلمة الموت والمصير الطاغى عيني عدوه. ثم طعن ديوكاليون فى مفصل الكوع بسن الرمح البرونزى. فتوقف فاقداً أحد ذراعيه ورأى الموت بعينيهِ، فطعنه أخيليوس فى الرقبة بسيفه مطيحاً برأسه وخوذته بعيداً. وعندئذ انبثق النخاع من العمود الفقرى، وتمددت الجثة على الأرض.

- وبعد ذلك لاحق ريجموس بن بيروؤس، الذى لا نظير له، والذى جاء من طراقيا ذات التربة الخصيبة. رشق رمحه بقوة فى منتصف البطن مستهدفاً معدته، فهوى بعنف من عربته. أما أريثوؤس تابعه فقد قذفه (أخيليوس) بالرمح الحاد فى ظهره، عندما كان يستدير بالخيول إلى الخلف، فألقى به من العربية، واضطربت الخيول وهى تجرى هنا وهناك.
- ٤٨٥

تماماً كما تتدلع السنة اللهب العجيب في الوديان الصغيرة

٤٩٠ العميقة على جنبات الجبل الصخري، فتشتعل الغابات وتتوهج
النيران بفعل هبوب الرياح العاصفة، هكذا اكتسح أخيليوس
كل مكان برمحه، كما لو كان إلهاً لا رحمة عنده بأى من ضحاياه.

وهكذا فاضت الأرض السوداء بأنهار الدماء. ومثلما يربط
٤٩٥ المرء الثيران عريضة الجباه إلى النير، لدرس الشعير الأبيض
في أرض الحصاد المنسقة جيداً، وبسرعة يدرس الشعير تحت
أقدام الثيران وهي تطلق خواراً مدويّاً. وهكذا سُحِقَت أكوام

٥٠٠ من الجثث والدروع المختلطة تحت أقدام خيول أخيليوس
الهمام ذات الحافر الواحد، وتتأثر الدم على محور عربته
وإطارات العجلات، نثرتها عليها حوافر الخيول. بيد أن
ابن بيليوس لازال يواصل هجومه الكاسح ليحرز المجد،
٥٠٣ ويدها اللتان لا تقهران مخضبتان بدماء متخثرة.

الكتاب الحادي والعشرون



ترجمة أحمد عثمان

- وعندما أتوا إلى مقدمة النهر، ذى الانسياب الرائع كسانثوس
 ذى الدوامات ابن زيوس الخالد، شطر أخيليوس حشودهم إلى
 شطرين. الشطر الأول واصل السير إلى السهل في اتجاه المدينة،
 وهو الطريق نفسه الذى سار عليه بالأمس الآخيون
 ٥ فارين مشتين حيث طاردهم هيكتور المجيد، حين غضب ولم
 يقف في طريقه أحد. هناك تدفقوا مدحورين
 مرعوبين، ووضعت هيرا في طريقهم ضباباً كثيفاً لكى
 تعوقهم. أما شطرهم الثانى فقد طردوا متكدسين إلى
 النهر العميق المجرى بدواماته القضيّة. لقد سقطوا وهم
 يولولون في صراخ مدو، ورددت المياه المتدفقة الأصدا
 ١٠ بزئيرها وتجاوبت الشيطان مع هذه الأصدا.
 وفى فوضى صرخوا وسعوا للسباحة هنا وهناك وسط
 دوامات تلف بهم في كل اتجاه. ومثلما يحدث عندما
 تأتى النيران المندلعة على أسراب الجراد، فتهرع
 طائرة إلى النهر، هكذا اندلعت النيران فجأة وأحرقت
 ١٥ كل شيء فألقوا بأنفسهم من الخوف في النهر. وأمام أخيليوس
 كان مجرى النهر كسانثوس يئن بالدوامات ويكتظ بالخيول
 والرجال المرتبكين.

- وترك سليل زيوس سهمه على ضفة النهر مستنداً على شجيرة
 الطرفاء، وقفز هو نفسه في النهر وكأنه إله في قوته، ممتشقاً سيفه،
 يضمّر عزماً مؤكداً على أمر ما. فكان يضرب يمينا ويساراً، وفي كل
 ٢٠ مرة تصعد عاليًا صرخات القتلى بسيفه.

وتخضبت المياه بلون الدم الأحمر. وفرت الأسماك الأخرى
 أما الدولفين الوحشى، فملأت الخلجان الصغيرة في ميناء آمن
 حيث لجأت إليها في ذعر، إذ التهم بنهم أية سمكة تقع

- في قبضته. هكذا في طول النهر الرهيب تكس
 الطرواديون مذعورين أسفل الضفاف الصخرية شديدة الانحدار. ٢٥
- فلما تعبت يداه من كثرة القتل، اختار اثني عشر شابًا
 نبيلًا، والتقطهم من النهر ليكونوا فدية لباتروكلوس بن مينيوتيس.
 قادهم إلى البر مذعورين كأنهم طباء صغيرة، فربط أيديهم
 من خلفهم بسيور جلدية جميلة كانوا يشدون بها ستراتهم ذات الطيات. ٣٠
 وسلمهم لأتباعه ليقودوهم إلى السفن المجوفة، بينما واصل
 هو القتال وكله ظمًا للقتل.
- عندئذ صادف ابن برياموس الدارداني وهو يهرب من النهر. ٣٥
 إنه ليكاؤن الذي كان هو نفسه ذات مرة قد أسره وأحضره
 رغم أنفه من حديقة أبيه في هجوم ليلي. إذ كان
 يقطع ببلطة حادة الأغصان الصغيرة من جذع شجرة
 تين، ليستخدمها في إطار العربة الحربية. ولكن الحظ العاثر
 غير المتوقع قد حط عليه في هيئة أخيليوس الإلهي. ٤٠
 حينئذ أخذ في السفن إلى ليمنوس^(*) الآلهة بالسكان
 وعرضه للبيع فاشتراه ابن ياسون ودفع ثمنه^(**). ولكن
 ضيفًا صديقًا لأبيه، إيثيون من إمبروس افتداه بمبلغ
 كبير وأرسله إلى أريسبي^(***) الإلهية، ومن هناك هرب
 سرًا وجاء إلى بيت أبيه. هكذا جاء من ليمنوس ومنذ
 ٤٥
 أحد عشر يومًا يمرح مع أصدقائه. وفي اليوم الثاني عشر
 أوقعه الإله مرة أخرى في أيدي أخيليوس. فقد كان
 مقدرًا أن يبعث به دون إرادته إلى مقر هاديس. بمجرد

(*) توصف ليمنوس في الكتاب الرابع والعشرين بيت ٧٥٣ على أنها جزيرة غير مضيافة. وتظهر هذه الجزيرة في

مسرحية سوفوكليس "فيلوكيتيس" على أنها جزيرة مهجورة تمامًا ويعيش فيها البطل وحيدًا. (الخر)

(**) ابن ياسون هو إينيوس Euneos أما الثمن فهو كأس فضي كما نعلم من الكتاب الثالث والعشرين بيت ٧٤٦. (الخر)

(***) مدينة على بحر مرمرة (هيليسبوتوس) ووردت في الكتاب الثاني ٨٣٦، ٨٣٨. (الخر)

- أن رآه أخيليوس الإلهي سريع القدمين دون سلاح ولا حتى
خوذة أو درع.
٥٠ ولم يكن حتى السهم في يده، لأنه ألقى كل أسلحته على الأرض
(لأنه عندما أسرع من النهر كان العرق يرهقه وكان يسعى
للهرب من النهر وأنهك التعب ركبتيه من تحته) عندئذ تحرك
أخيليوس في قوة وتحديث إلى روحه المتسامية!
- "أحق ما تراه عيناى، هذه الأعجوبة الكبيرة! هل حقاً سينهض
من جديد الطرواديون الشجعان من الظلمات المدلّمة
بعد أن قتلتهم، مثلما أرى هنا هذا الرجل الذى عاد هرباً من يوم الدمار
٥٥ وقد بيع فى ليمنوس المقدسة. لم تمنعه أعماق البحر الهائج التى
تمنع الكثيرين رغماً عن إرادتهم. لقد جاء، قدعه يذوق سن رمحي
لأرى بقلبي وأتأكد ما إذا كان سيعود هو أيضاً من عالم الموتى،
٦٠ أو ما إذا كانت الأرض واهبة الحياة ستحتفظ به، فهي تحتفظ بالقوى".
- هكذا كان يفكر وتوقف، ولكن ليكاون اقترب منه فى تردد،
إذ كانت به رغبة للتعلق بركبتيه فهو يتوق من كل قلبه أن يهرب
من الموت والمصير الأسود. وشهر أخيليوس الإلهي رحمه
٦٥ متلهفاً على ضربه، ولكن الأخير جرى وانحنى بسرعة وتعلق
بركبتيه ورأى الرمح وهو يمر من فوق ظهره لينغرس فى
الأرض منتصباً، مع أن الرمح نفسه كان يطمع فى اختراق
لحم البشر. وببداً أمسك ليكاون بركبتيه متوسلاً، وباليذ الثانية
أمسك الرمح المسنون ولم يكن ليتركه، وعندئذ رفع صوته
مخاطباً أخيليوس بكلمات مجنحة:
٧٠ "أتوسل إليك يا أخيليوس أن تنظر إلى بعين الشفقة.
فأنا، يا ربيب زيوس، متضرع مقدس، لأننى على مائدتك
٧٥ أكلت من حيوب ديميتر يوم أخذتني فى المرة الأولى أسيراً

- فى الحديقة المنسقة تنسيقاً جميلاً. وقدتنى
بعيداً عن أبى وأصدقائى، وبعتنى فى جزيرة ليمنوس المقدسة،
٨٠ وقدمت لك فديتى مائة ثور. والآن أفندى نفسى للمرة الثالثة.
وحيث إن هذا هو اليوم الثانى عشر لمجيئى إلى اليون بعد كل
هذه المعاناة، فإن قدراً قاسياً قد أوقعنى اليوم فى يدك من
جديد. من المؤكد أننى إنسان كرىه لدى الأب زيوس الذى
٨٥ سلمنى لك مرة أخرى. لعمر قصير ولدتنى أمى لاوثوى بنت
ألتيس المسن، الذى يحكم الليليجيين محبى الحرب فى بيداسوس عالية
البنيان بجوار نهر سانتنيويس. تزوج برياموس ابنته، بين أخريات،
وأنجب منها ولدين ستقتل ثانيهما كما قتلت الأول أنت بيدك.
٩٠ فلقد قتلت أختى فى مقدمة صفوف المحاربين، بوليديوروس الإلهى،
عندما أصبته برمحك الحاد، والآن سينزل هذا الشر بى هنا. إذ
يبدو لى أننى لن أفلت من يدك لقد أرسلنى إله ما بالقرب منك.
لكننى سأقول لك شيئاً آخر لتعيه جيداً بقلبك، لا تقتلنى وأنت
ترى أننى لست أخاً شقيقاً لهيكتور، الذى قتل صديقك
٩٥ اللطيف والشجاع".

- هكذا تحدث ابن برياموس المجيد متوسلاً لأخيلئوس بعمق،
ولكن الكلمة التى وقعت على أذنيه كانت قاسية:
"يا لك من أحمق! لا تقدم لى فدية ولا كلمة توسل.
إلى أن لقى باتروكلوس يوم مصيره، حتى ذلك الحين
١٠٠ كان يسرنى أن أبقى على حياة الطرواديين
لأخذ كثرتهم أحياءً وأبيعهم فيما وراء البحر، أما الآن فلن
يفلت أحد منهم من الموت، فكل من تضعه الآلهة فى يدى
١٠٥ أمام اليون لن يفلت من الموت، كل الطرواديين بلا استثناء،
وأبناء برياموس بصفة خاصة. نعم يا صديقى! لتمت كما مات
آخر. ولم تبكى هكذا عبثاً؟ لقد مات أيضاً باتروكلوس وهو

- أفضل منك بكثير. ألا ترى من أى نوع من البشر أنا،
 ألا ترى أنتى طيب وقوى؟ ألم أكن من نسل والد نبيل؟ وأمى ألم
 ١١٠ تكن إلهة؟ ومن المؤكد أن الموت والقدر الطاغى ينتظرانى
 ويد لا أعرفها سوف تنهى حياتى، عندما تنتشب المعركة، بسهم أو
 برمح ينطلق من قوس، صباحاً أو مساءً، أو فى منتصف النهار"
 ١١٥ هكذا قال، فسقطنا على الفور ركبنا ليكاون وذاب قلبه العزيز.
 سقط الرمح من يده وجثم رافعاً يديه فى استسلام تام. عندئذٍ
 استل أخيليوس سيفه البتار وطعنه فى الرقبة بجوار الترقوة،
 وغاص السيف بنصله الحادين إلى الأعماق.
 ١٢٠ فتمدد على الأرض وتفجر الدم الأسود فيضاً يبلل الأرض.
 وأمسك أخيليوس به من القدم وألقى به إلى النهر
 ليجرفه التيار ووقف مباهياً، ويصيح بكلمات مجنحة:
 "ارقد هنا الآن مع رفاقك الأسماك، التى ستلحق الدم
 من جرحك دونما اكتراث بمصيرك. فلن تضعك أمك
 على سريرك لتبكيك، ولكنه سكامندروس بدواماته الجارفة
 ١٢٥ سيفدك بك إلى أحضان البحر الواسع.
 أسماك كثيرة، وهى تسبح بين الأمواج، ستقفز تحت التيار
 الأسود لتتغذى على دهن ليكاون الأبيض. لتهلك أنت ونوعك بأكمله
 حتى نصل إلى مدينة إليون المقدسة، أنتم تفرون أمامى وأنا
 خلفكم أعمل القتل فيكم! لن ينفعكم النهر ذو الانسياب الجميل
 بدواماته الفضية مع أنكم قدمتم له قرابين التكريم،
 ١٣٠ ثيران كثيرة منذ زمن طويل، وألقيتم فى
 دواماته خيولاً حية من ذوات الحافر الواحد. مع كل
 ذلك ستهلكون وستلقون أسوأ مصير حتى تكفروا جميعاً عن
 مقتل باتروكلوس، والدمار الذى لحق بالآخيين الذين

١٣٥ قَتَلْتُمُوهُمْ عِنْدَ السَّفِينِ الْمَجُوفَةِ، عِنْدَمَا ابْتَعَدْتُ أَنَا عَنِ الْقِتَالِ"

هَكَذَا قَالَ فَاشْتَعَلَ غَضَبَ إِلَهِ النَّهْرِ ضَدَّهُ، وَأَخَذَ يَتَدَبَّرُ فِي

قَلْبِهِ كَيْفَ يُوَقِّفُ أَخِيلْيُوسَ الْإِلَهَى عَنْ عَمَلِهِ الدَّمَوِيِّ، وَكَيْفَ

يَصْدُ الْخُرَابَ عَنِ الطُّرُودِيِّينَ. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ انْقَضَ ابْنُ بِيْلْيُوسَ -

١٤٠ مَمْسِكًا رَمَحَهُ طَوِيلَ الظِّلِّ - عَلَى أَسْتِيرُوبَايُوسَ بْنِ بِيْلَاغُونَ

بِرَغْبَةٍ جَامِحَةٍ فِي قَتْلِهِ. إِنَّهُ ابْنُ أَكْسِيُوسَ النَّهْرِ وَاسِعَ الْفَيْضَانِ

مِنْ بِيرِيْبُويَا أَكْبَرَ بَنَاتِ أَكْسِيَامِينُوسَ الَّتِي تَزَوَّجَهَا وَخَالَطَهَا

النَّهْرَ عَمِيقَ الدَّوَامَاتِ. انْدَفَعَ أَخِيلْيُوسَ عَلَى عَدُوِّهِ (أَسْتِيرُوبَايُوسَ)

١٤٥ الَّذِي خَرَجَ مِنَ النَّهْرِ لِمُوَاجَهَتِهِ وَصَمَدَ أَمَامِهِ

مَمْسِكًا بِزَوْجٍ مِنَ الرَّمَاكِ، وَوَضَعَ كَسَانِثُوسَ الشَّجَاعَةَ فِي قَلْبِهِ.

إِذْ كَانَ الْغَيْظُ قَدْ اسْتَبَدَّ بِهِ، لِأَنَّ أَخِيلْيُوسَ قَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْ

الْمُحَارِبِينَ فِي مَجْرَاهُ وَدُونِ رَحْمَةٍ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ كُلُّ مِنْهُمَا

١٥٠ مِنَ الْآخِرِ كَانَ أَخِيلْيُوسَ الْإِلَهَى سَرِيعَ الْقَدَمِينَ الْبَادِيءَ بِالْحَدِيثِ:

"مَنْ أَنْتَ بَيْنَ الْبَشَرِ؟ وَمِنْ أَى مَكَانٍ يَأْمَنُ تَجْرُو عَلَى مُوَاجَهَتِي؟

يَا لِهَمْ مِنْ تَعَسَاءِ الْآبَاءِ، الَّذِينَ يُوَاجِهْ أَبْنَاؤُهُمْ قُوَّتِي"

فَأَجَابَهُ عِنْدئِذٍ ابْنُ بِيْلَاغُونَ الْمَجِيدُ:

"يَا عَظِيمَ الرُّوحِ أَى ابْنِ بِيْلْيُوسَ! لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ سَلَالَتِي؟

١٥٥ فَأَنَا مِنْ بَايُونِيَا الْخَصْبَةِ، أَتَيْتُ هَذِهِ الْأَرْضَ الْبَعِيدَةَ قَائِدًا الْبَايُونِيِّينَ

ذَوِي الرَّمَاكِ الطَّوِيلَةِ. وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ مِنْذُ مَجِيئِي

إِلَى الْإِيُونِ. يَمْتَدُّ نَسْبِي إِلَى أَكْسِيُوسَ وَاسِعَ الْفَيْضَانِ، أَكْسِيُوسَ

الَّذِي تَنْسَابُ مِنْهُ أَعْذَبُ الْمِيَاهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. فَهُوَ وَالِدُ

بِيْلَاغُونَ الْمَشْهُورِ بِرَمَحِهِ وَهُوَ - كَمَا يَقُولُ النَّاسُ - الَّذِي

١٦٠ أَنْجَبَنِي، وَلِذَا فَدَعْنَا الْآنَ نَتَقَاتِلَ يَا أَخِيلْيُوسَ الْمَجِيدُ"

هَكَذَا قَالَ مَهْدَدًا، وَشَهِرَ أَخِيلْيُوسَ الْإِلَهَى رَمَحَهُ الْمَصْنُوعَ مِنْ

الدَّرْدَارِ فَوْقَ بِيْلْيُونِ. وَلَكِنْ الْبَطْلُ أَسْتِيرُوبَايُوسَ قَذَفَ رَمَحِيهِ الْاِثْنَيْنِ

- دفعه واحدة، لأنه كان ذا ذراعين. برمح ضرب الدرع،
 ولكنه لم ينفذ لأن الذهب - هدية الإله - أوقفه. ١٦٥
- وبالرمح الثانى لامس وخدش الجزء الأمامى من ذراع أخيليوس
 اليمنى، فانثثق الدم الأسود. ولكن الرمح مرق من فوق
 جسده وانتصب منغرسًا فى الأرض، رغم تلهفه على
 اللحم البشرى. بعد ذلك رمى أخيليوس رمحه الدردارى الطائر
 على أستىروبايوس متلهفًا لقتله. ١٧٠
- فأخطأ الرمح الرجل، وأصاب ضفة النهر العالية، واستقر هناك
 رمحًا درداريًا يغطى نصف مساحة الضفة. عندئذ استل ابن
 بيليوس السيف البتار من جنب فحذه وانقض على غريمه
 فى غضب جنونى. ولم يتمكن الآخر بيده الضخمة
 من سحب رمح أخيليوس الدردارى من باطن الضفة. ١٧٥
- ثلاث مرات جعل الرمح يهتز ملهوفًا على سحبه، وثلاث
 مرات تخلى عن المحاولات الفاشلة. وفى المرة الرابعة
 عقد العزم على ثنى رمح سليل أياكوس الدردارى حتى
 ينكسر. ولكن أخيليوس حال بينه وبين مسعاه بأن قضى
 على حياته بالسيف. ١٨٠
- لقد طعنه فى البطن بجوار السرة، فخرجت أحشائه، وغطت
 الظلمة عينيه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ قفز أخيليوس
 على صدره ونزع عنه سلاحه وصاح عاليًا مباهيًا:
 "ارقد هنا! حقًا إنه لمن العسير عليك رغم أنك من
 نسل إله النهر، أن تصارع سلالة ابن كرونوس القدير. ١٨٥
- لطالما تباهيت أنك ابن نهر غامر الفيضان، ولكننى أزعم
 أن نسبى يعود إلى زيوس القدير. أبى الذى أنجبنى ملك على
 الميرميدونيين كثيرى العدد، إنه بيليوس بن أياكوس الذى
 أنجبه زيوس. ولذا فحيث إن زيوس أقوى من كل الأنهار ١٩٠

التي تنساب إلى البحر، فإن نسل زيوس أقوى من أى
ابن لأى نهر. أنظر! إنك تملك بيدك نهرًا عظيمًا، فهل
أفادك بشيء؟ فمن المحال محاربة ابن كرونوس زيوس،
إذ لا يضارعه حتى الملك أخيليوس، ولا أوكيانوس نفسه
هائل القوة عميق الانسياب

١٩٥

الذى منه تتبع كل الأنهار وكل البحار والينابيع والآبار
العميقة. ومع ذلك فهو يخشى صاعقة زيوس الجبار
والرعد المرعب عندما ينزل مدويًا من السماء".

٢٠٠

قال ذلك ثم سحب الرمح البرونزى من الضفة، ولكنه
ترك الرجل الميت بلا حياة يرقد على الرمال وقد بللته
المياه السوداء، وحوله التفت الإنكليس والأسماك الأخرى
تلتقط وتقطع الدهن حول كليتيه. ومضى أخيليوس فى
طريقه نحو البايونيين

٢٠٥

سادة العربات الحربية، الذين كانوا قد تشبثوا فارين
بحذاء النهر الجارف عندما شاهدوا مصرع بطلهم فى القتال
الضارى وسقوطه بيد ابن بيليوس وسيفه. وهناك
قتل ثيرسيلوخوس وميدون وأستيبيولوس ومنيسوس
وفراسيوس وآينيوس وأوفيلستيس.

٢١٠

وكان أخيليوس السريع سيقول المزيد من البايونيين، لو لم
يستشط إله النهر عميق الدوامات غضبًا ويتخذ هيئة البشر
ويصرخ صرخة مدوية خرجت من أعماق دواماته:

"لأنك يا أخيليوس، أقوى الرجال طرًا فإنك ترتكب أخطاء

٢١٥

أكثر من أى شخص آخر. إذ يساعدك الآلهة دومًا بأنفسهم.
فإذا كان ابن كرونوس قد سمح لك أن تقتل كل الطرواديين
فلا أقل من أن تطردهم خارج مجراى، وترتكب فعلتك

الشنيعَة في الوادى. انظر لقد اكتظ مجراى الجميل بجثث
الرجال، ولم يعد بمقدورى البتة أن أصب مياهى فى البحر الناصع.
لقد اختنقت بالموتى وأنت لا تكف عن القتل دون هواده. امض الآن!
وليحدث ما يحدث. فالرعب يملكنى يا قائد الحشود".

عندئذ أجابه أخيليوس سريع القدمين فقال:
"لك ما تطلب سكاماندروس، يا من يغذى زيوس،
إلا أننى لن أتوقف عن قتل الطرواديين المتكبرين،
حتى أحبسهم داخل المدينة، وألقى هيكتور وجهًا لوجه
لنحسم الموقف سواء هزمنى أو هزمته".
قال هذا وانقض على الطرواديين كأنه إله. وتحدث إله النهر
عميق الدوامات إلى أبوللون قائلاً:

"عجباً! يا ابن زيوس ياسيد القوس الفضى! فأنت لم تنفذ
أمر ابن كرونوس الذى أمرك بصرامة أن تقف إلى جانب الطرواديين
وتساعدهم، حتى يأفل النجم متأخراً ويعم الظلام الأرض السوداء"
هكذا قال وقفز أخيليوس الشهير برمحه من الضفة
إلى قلب النهر. ولكن النهر اندفع نحوه بمد فيضانى واستفر
كل مجراه للهبجان، فجرف كل جثث الموتى التى سدت مجراه،
وهم قتلَى أخيليوس، فقذف بها إلى البر وهو يخور مثملاً
يخور الثور. واحتفظ بالأحياء فى طيات مجراه الذى صار
الانسياب فيه آمناً، وخبأهم تحت دواماته العميقة والعريضة. وفى
المقابل أهاج الموجة الثائرة فتعالت حول أخيليوس
وشرع التيار الجارف يضربه

على درعه ويدفعه إلى الخلف، فلم يعد قادراً على الوقوف
على قدميه فى وجه هذا التيار. وأمسك بيديه شجرة
دردار ضخمة البنيان وعالية الارتفاع، اجتثها من

٢٤٥ جذورها فشقت كل الضفة وسدت مجرى النهر الجميل
 بفروعها المغصنة، وسدت النهر نفسه حيث إنها
 وقعت تمامًا في مياهه. وقفز أخيليوس من عمق
 الدوامة وأسرع على قدميه إلى الوادى مذعورًا، ولكن
 النهر القوى لم يتوقف بل ثار ضده بموجته ذات
 الذؤابة السوداء حتى يوقف أخيليوس الإلهى عن
 أفعاله، ولكى يصد الخراب عن الطرواديين.

٢٥٠ وركض ابن بيليوس مثل رمية رمح تنقض انقضا
 النسر الأسود، ذلك الطير الجارح الأقوى والأسرع
 بين جوارح الطير. هكذا مثله انقض فى فراره ورنَّ
 البرونز على صدره رنيناً مرعباً. فر أمام النهر

٢٥٥ خائفاً، والنهر من ورائه يفيض ويطارده ويزأر زئيراً مدوياً.
 كما يحدث عندما يقود رجل انسياب الماء من ينبوع معتم،
 فينساب الماء جاريًا بين مزروعاته وحدائقه، المعول
 فى يديه وبه يزيل الحواجز من المجرى، ويجرف التيار
 فى سريانه كل الأحجار الصغيرة التى تعترضه،

٢٦٠ وينزلق الماء سريعاً محدثاً دمدمة عبر منحدر فيسبق الرجل
 الذى يمهد له الطريق. هكذا كان فيضان النهر يسابق أخيليوس رغم
 سرعة قدميه، لأن الآلهة أقوى من البشر. وكلما حاول أخيليوس

٢٦٥ الإلهى سريع القدمين أن يقف على قدميه فى وجه الفيضان
 ليرى ما إذا كان كل الخالدين ساكنى السماء الواسعة قد
 تجمعوا ليسوقوه فى اندحاره، على أكتافه ضربه فيضان النهر
 الذى تغذيه السماء، وهو يتمنى لو استطاع

أن يقفز إلى أعلى بقدميه بعد أن أنهكت روحه. وواصل
 النهر إرهاب ركبته بمزيد من التيار

٢٧٠ الجارف، فمن تحت قدميه كان يسحب الأرض. عندئذ

أطلق ابن بيليوس صرخة مريرة وهو ينظر إلى السماء العريضة:

"أى زيوس الأب! كيف لا يتعهدنى فى هذا

المأزق المؤسف أحد من الآلهة وينقذنى من النهر؟

٢٧٥

وليحدث لى ما يحدث فيما بعد.

إننى لا ألوم أحداً من الآلهة كثيراً، بل أمى العزيزة فقط، فهى

التي خدعتنى بكلمات كاذبة، وقالت إننى تحت سور الطرواديين

المدججين بالسلاح سأهلك بقذائف أبوللون السريعة.

ليت هيكتور أفضل الرجال هنا قد قتلنى، عندئذ

٢٨٠

لكان القاتل رجلاً شجاعاً وكان المقتول أيضاً رجلاً شجاعاً.

أما الآن فقد قدر لى أن أموت ميتة بائسة، فيغمرنى

نهر قوى، مثل ابن مربى الخنازير الذى جرفه التيار

عندما حاول أن يعبر النهر ذات شتاء".

هكذا قال وعلى الفور اقترب بوسيدون وأثينة ووقفا

٢٨٥

بجواره، وقد اتخذا هيئة البشر. أمسكا يده بأيديهما

وطمأناه بالكلمات. وكان بوسيدون مزلزل الأرض البادىء بالحديث:

"يا ابن بيليوس! لا ترتعد هكذا أكثر من اللازم، ولا تخف

بعد الآن، فنحن الاثنين من بين الآلهة جنأ لنجذتك

٢٩٠

وبموافقة من زيوس، أنا (بوسيدون) وباللاس أثينة!

ليس مقدراً عليك أن يغمرك نهر، فسرعان ما سيتهاذن،

وستعرف ذلك بنفسك. ولكننا ننصحك نصيحة حكيمة، إذا كان لك

أن تسمح نصحناء، لا تغل يديك عن المعركة الفاصلة حتى تحبس

٢٩٥

الحشد الطروادى وكل من يهرب منهم داخل أسوار

إليوس الشهيرة. أما بالنسبة لك أنت نفسك، فيمجرد

أن تقتل هيكتور عد إلى السفن. انظر لقد منحناك أن تكسب المجد"

وعندما أنهى هكذا الإلهان حديثهما غادرا المكان

- إلى بقية الآلهة الخالدين. أما هو فقد اتجه إلى الوادي
لأن حديث الآلهة له قد ملأه تمامًا بقوة العزم.
٣٠٠ وكان الوادي عن آخره قد ملئ بفيضان المياه،
وكانت تسبح فيه الكثير من قطع السلاح والجثث،
جثث الشبان الذين قتلوا في المعركة، ولكنه قفز
عاليًا مندفعًا إلى الأمام ليصد الفيضان ولم يستطع
النهر غزير المد أن يوقفه، لأن أثينة وضعت فيه قوة
عظيمة. وكان على سكماندروس أن يهدىء من جنونه
٣٠٥ ولكنه إزداد غضبًا على ابن بيليوس، وازداد مد فيضانه
ارتفاعًا إلى الذروة وبصيحة مدوية نادى سيموئيس:
"أخي العزيز، دعنا معًا نوقف قوة هذا الرجل، الأمر
يحتاج إلى قوتنا نحن الاثنين، فهو على وشك أن
يهدم مدينة الملك برياموس العظيمة، فالطرواديون لن
يصمدوا أمامه في المعركة.
٣١٠ نعم فلتحمل لى أنت المدد سريعًا، املا مجاريك بالمياه
من ينابيعك واستنفر كل تياراتك، حرك موجة عالية،
ولتستثر حشدًا قويًا من جذوع الأشجار والحجارة،
عسى أن تتمكن من كبح جماح هذا الرجل الوحشى،
الذى يسود الآن ويزمع تحدى حتى الآلهة،
٣١٥ وأحسب أن قوته لن تفيده بشيء، لا ولا وسامته، ولا
حتى سلاحه العتيد الذى فيما أحسب سيقع فى عمق الوحل.
وهو نفسه سأقذفه برمالى وأكدسُ
فوقه أكداً من الحصى لا حدود لها، ولن يعرف
الآخيون أين يجدون عظامه، حيث سادفنه فى عمق الأعماق.
٣٢٠ هناك سيكون قبره المقرر له. ولن تكون هناك حاجة
لبناء كومة عندما يرغب الآخيون فى دفنه".

هكذا قال واندفع ثائراً على أخيلئوس عاصفاً بأمواجه

٣٢٥

إلى أعلى وهو يرغى بالزبد والدم

وجثث الموتى. وارتفع مد الفيضان الأسود للنهر الذى
تغذيه السماء، حتى كاد يغمر ابن بيليوس. فصرخت
هيرا عاليًا وقد تملكها الخوف على أخيلئوس، خشية
أن يكتسحه النهر العظيم بدواماته العميقة. وخاطبت على
وجه السرعة ابنها العزيز هيفايستوس قائلة:

٣٣٠

"انهض يا أعرج القدم! انهض يابنى!

لقد حسبنا أن كسانثوس الفياض هو نذك فى المعركة.
مد لنا يد العون على وجه السرعة، وأشعل لهيبًا لا
ينطفئ، وسأسرع أنا وأثير من البحر عاصفة وحشية للرياح
الغربية (زيفيروس) ورياح الجنوب (نوتوس) اللامع لتأتى

٣٣٥

على موتى الطرواديين وسلاحهم، فهى عاصفة تجلب معها نارًا
مدمرة. واعمل أنت على ضفتى كسانثوس، فأحرق أشجاره، وأشعل
النار فى النهر نفسه، ولا تدعه يجعلك تتراجع سواء بحلو
الكلام أو بالتهديدات. ولا تتوقف عن جنونك إلا عندما
أناديك أنا بصوت عالٍ عندئذٍ لتوقف نيرانك التى لا تكل"

٣٤٠

هكذا قالت وأعد هيفايستوس نارًا عجيبة الاندلاع.

فى البداية أشعلت النيران فى الوادئ فأحرقت الموتى
كثيرى العدد، الذين اكتظ بهم الوادئ بعد أن

٣٤٥

قتلهم أخيلئوس. فجف الوادئ كله تمامًا وغيض الماء الناصع.
وكما يحدث فى موسم الحصاد عندما تجفف الرياح الشمالية (بورياس)
مرة أخرى حديقة مروية بمياه عذبة فيتملك السرور زارعها.

هكذا جف الوادئ كله وتم حرق جثث

الموتى تمامًا. وعندئذٍ تحول (هيفايستوس) بلهبه المشتعل

٣٥٠ ضد النهر، فأحرقت أشجار الدردار والصفصاف والطرفاء،
واحترقت شجيرات اللوتس والسمار والسعد التى تنمو بوفرة
على ضفاف النهر ذى المجرى الجميل. أما أسماك
الإنكليس والأسماك الأخرى فقد اشتد عذابها فى الدوامات،
وراحت تغوص هنا وهناك فى المجرى الجميل
وقد ألمها هبوب عاصفة هيفايستوس كثير الدهاء.
٣٥٥ واحترق النهر القوى نفسه وتحدث مخاطباً الإله:

"أى هيفايستوس! لا يستطيع أحد من الآلهة أن يتحداك،
وبدورى لن أحاربك، وقد اشتعلت لهباً كما هو
حالك الآن. فلتتوقف أنت عن الصراع، ودع أخيليوس
الإلهى يطرد على الفور الطرواديين من مدينتهم،
٣٦٠ ما شأنى أنا بالصراع والإسهام فيه بالعون؟"

هكذا تحدث وهو يحترق باللهب، ويفور مجراه الجميل
بالغليان. ومثلما يحدث فى رجل يغلى من الداخل،
حين تسلط عليه شعلة وحشية، بينما يذيب شحم خنزير سمين
فيغلى فى كل جزء منه، وتوضع تحته حزم الحطب الجاف،
٣٦٥ هكذا كان النهر يحترق بمجراه الجميل فى النار،
وكانت مياهه تغلى، وعزم على ألا تنساب مياهه مرة أخرى،
بل اضطر للتوقف. لأن هبوب عاصفة هيفايستوس حكيم القلب
أنهكته. عندئذ خاطب هيرا بكلمات مجنحة وفى تضرع ملهوف:

"أى هيرا لماذا يهاجم ابنك مجراى ليرهقه دون غيره؟
فأنا أقل من أخطأ بين أولئك الذين ساعدوا الطرواديين،
٣٧٠ وسأتوقف إذا كان هذا ما تأمرين به،

لكن دعيه هو أيضاً يتوقف. وأكثر من ذلك سألزم نفسى
بهذا القسم: لن أدافع عن الطرواديين يوم الدمار، حتى

عندما تحترق طروادة عن آخرها بالنار المهلكة التي يشعلها

أبناء الأخيين محبى القتال". ٣٧٥

وعندما سمعت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض هذا على

الفور تحدثت إلى ابنها العزيز هيفايستوس:

"هيفايستوس ابنى المجيد! توقف، ليس من اللائق أن تضرب

هكذا إلهاً خالداً من أجل البشر الفانين"

وعندما تم كبح جماح شعلات هيفايستوس المندلعة، وعاد من ٣٨٠

جديد فيضان المياه لمجرى النهر الجميل حيث تم إخماد جنون

كسانثوس، توقف الاثنان عن التصارع، لأن هيرا أوقفتها رغم غضبها.

ولكن الصراع الحاد والمرير نشب بين بقية الآلهة، واحتدمت

الانفعالات فيما بينهم فى اتجاهات شتى. ٣٨٥

اصطدموا مع بعضهم البعض فى جلبة مدوية، ارتجت

لها الأرض الفسيحة ورددت أصداها، وتجاوبت السماء

العريضة بطنين مدوى كأنها بوق. فسمع زيوس

الجلبة حيث كان يجلس فوق الأوليمبوس، فانشرح

صدره داخله وأطلق ضحكة السرور الرنانة، لأنه

يرى الآلهة مشتبكة فى صراع. ٣٩٠

عندئذٍ لم يستمروا طويلاً متباعدين، وبدأ أريس محطم

الدروع الاشتباك، فبادر بالانقضاض على أثينة وقد امتشق رمحاً

برونزياً فى يده ووجه لها لوماً عنيفاً:

"لماذا ياذبابة الكلاب تجعلين الآلهة مرة أخرى تصطدم

مع بعضها البعض فى صراع وحشى مثل جرأتك،

وكما تدفعك روحك المتعالية؟ ٣٩٥

ألا تذكرين عندما دفعت ديوميديس بن تيديوس ليجرحنى،

وأنت بنفسك على مرأى من الجميع أمسكت له الرمح

وجعلته يصوبه نحوى، فمزق لحمى الطيب؟ ولذا فإنك
الآن فيما أحسب ستدفعين الثمن كاملاً على كل ما ارتكبت". ٤٠٠

قال هذا وضرب على درعها ذى الحلى المعدنية، الدرع أيجيس،
الذى لا تستطيع حتى صاعقة زيوس أن تخترقه، ضربه آريس الدموى
برمحه الطويل. ارتدت الإلهة للخلف ثم أمسكت بيدها
القوية حجراً أسود كان على أرض الوادى، خشناً
وضخماً، من تلك الأحجار التى كان القدامى يضعونها
حدوداً للحقول. بهذا الحجر ضربت آريس الوحشى على رقبته ٤٠٥
فحلّت أوصاله. فتمدد على الأرض مغطياً سبعة أذرع
وتمرغت خصلات شعره فى التراب، وقعقت أسلحته
من حوله. وأطلقت باللاس أثينة ضحكة عالية ووقفت
فوقه متباهية بكلمات مجنحة: ٤١٠

"أيها الأحمق! ليس لك بعد أن تظن نفسك أقوى منى،
حتى تجرؤ على مقارنة قوتك بقوتى على هذا النحو.
ستنفذ بالكامل لعنات أمك، التى فى غضبها سعت إلى أن تجلب
الشر عليك، لأنك هجرت الآخيين وساعدت الطرواديين المتغطرسين". ٤١٥

وعندما قالت ذلك حولت عينيها البراقنتين عنه. عندئذٍ
أخذته من يده ابنة زيوس أفروديتى، وحاولت أن تبتعد به،
بينما كان يتأوه بمرارة وبالكاد استطاع أن يستعيد
وعيه. وعندما رأتها هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض
على الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة: ٤٢٠

"عجباً يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أى أتريتونى!
لا تكلين أبداً ولكن ها هى ذبابة الكلاب تقود آريس مهلك
البشر بعيداً عن غمار القتال المحموم! اذهبي وراءها"

قالت هذا فانطلقت أثينة تطاردهما والسرور يغمر قلبها

- واندفعت نحو أفروديتي وضربتها على صدرها بيدها
 ٤٢٥ القوية، فارتخت ركبناها وذاب قلبها
 حيث كانت واقفة. وسقط الاثنان على الأرض الكريمة
 وتباهت أثينة عليهما بكلمات مجنحة:
- "فى مثل هذا المأزق ليقع كل من يساعدون الطرواديين
 ٤٣٠ ويحاربون ضد الأرجيين المدججين بالسلاح.
 وكل من تجرأ وتجاسر مثل أفروديتي، التى جاءت لتساعد
 أريس متحدية قوتي. ولقد مر وقت طويل منذ توقفنا
 عن القتال، وقد حاصرنا قلعة إليوس متينة البنيان".
- هكذا تحدثت فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض،
 ٤٣٥ ولكن الملك بوسيدون مزلزل الأرض تحدث مخاطباً أبوللون:
- "أى فويبوس لماذا نظل بعيدين نحن الاثنان؟ فليس من
 اللائق أن نظل هكذا وقد بدأ الآخرون. نعم وسيكون
 أكثر خزيًا، إذا عدنا دون قتال إلى الأوليمبوس ومقر
 زيوس ذى العتبات البرونزية. ابدأ فأنت الأصغر، فليس
 ٤٤٠ هذا مما يتناسب معى، وقد ولدت قبلك وأعرف أكثر منك
 أيها الأحمق! يالك من قلب بلا حس! ألا تذكر كل المتاعب
 التى تحملناها نحن الاثنان دون الآلهة فى إليوس، عندما جئنا
 بأمر من زيوس لنكون فى خدمة الملك لاؤميدون طيلة
 ٤٤٥ عام نظير أجر محدد. كان رئيسنا فى العمل، وأصدر إلينا أوامره.
 حقًا لقد بنيت للطرواديين حول مدينتهم سورًا عريضًا
 وجميلًا للغاية، حتى لا يمكن أن تقتحم هذه المدينة عنوة.
 وأنت يا فويبوس رعيت قطيعهم الأملس وبطىء الحركة
 ٤٥٠ عبر أحراش جبل إيدا كثيف الغابات، كثير المنحنيات.
 ولكن فى النهاية عندما أتت المواسم السارة بختام فترة

- عملنا المأجور، عندئذ خدعنا لأؤميدون الظالم
نحن الاثنين، ولم يعطنا أجرنا، وطردها بكثير من التهديدات^(*)
لقد هدد بأن يضعنا في الأغلال وبأن يصفد أيدينا وأقدامنا،
ويحملنا إلى جزيرة بعيدة ويبيعنا عبيداً.
كان وكأنه على وشك أن يقطع أذننا نحن الاثنين
بالبرونز. ولقد عدنا من عنده بقلوب مفعمة بالأسى
والهوان، لأنه وعدنا بالأجر ولم يوف بوعد.
وأنت الآن تسدى لشعبه الجميل، ولا ترجو مثلاً
أن يهلك الطرواديون تماماً مع صغارهم ونسائهم المحصنات"
حينئذ رد عليه الملك أيوللون بعيد القذائف:
"يامزلزل الأرض، قد تعنتى بلا عقل راجح إذا حاربتك
من أجل البشر الفانين، تلك المخلوقات الجديرة بالشفقة
لأنهم كأوراق الشجر. فهم الآن مفعمون بجذوة الحياة
ويأكلون من ثمار الأرض، وبعد حين يتلاشون ويهلكون.
نعم دعنا بسرعة نتوقف عن الصراع، ودعهم يتقاتلون هم بأنفسهم".
قال هذا واستدار للخلف، لأنه كان يخجل
من أن يتعامل بالضربات مع أخٍ لأبيه. ولكن
أخته أرتيميس إلهة الصيد ملكة الوحوش والغابات
البرية هاجمته بكلمات مريرة:
"هكذا هربت يا بعيد القذائف، واستسلمت لبوسيدون تماماً،
وسلمته النصر والمجد بلا مقابل! يالك من أحمق!
لماذا إذن تحمل قوساً لا قيمة له مثل قبض الريح؟
لا تدعني بعد الآن أسمعك تتباهى كما كنت تفعل دائماً
في قاعات والدنا وبين الآلهة الخالدين وتقول

(*) يشير هوراتيوس إلى هذه الأسطورة (Odes III 322) وكذا فرجيليوس (Iliad VII 452). (المحرر)

إنك تتوق إلى معركة مفتوحة مع بوسيدون".

هكذا قالت، ولكن أبوللون بعيد القذائف لم يرد عليها،
بيد أن زوجة زيوس الجليلة استشاطت غضباً ووبخت
ملكة القوس بكلمات التأنيب العنيف:

٤٨٠

"كيف أيتها الكلبة تفكرين بلا حياء الآن في الوقوف
أمامي؟ حقاً إنه من العسير عليك أن تصارعيني في
القوة، مع أنك تملكين قوساً حيث جعلك زيوس أسداً
بين النساء، ومنحك القدرة على أن تقتلى من تشائين منهن.
فالأكثر أمناً لك أن تقتلى الوحوش

٤٨٥

والغزلان البرية بين التلال، لا أن تحاربى من هم أقوى
منك. وإذا تعلمت شيئاً عن الحرب فستعرفين حق
المعرفة كيف أنى أقوى منك بكثير، بحيث لا يحق لك
أن تقيسى قوتك بقوتي".

٤٩٠

ومن ثم أمسكت بيدها اليسرى كلتا يدي الأخرى من الرسغ،
وباليمين نزعت القوس والسهم من فوق كتفها. وبهذه
الأسلحة نفسها ضربتها حول أذنيها، وضحكت وهي
تقلب رأسها هذه الجهة وتلك، وظلت السهم
السريعة تتساقط من الجعبة. وهربت الإلهة باكية من
أمامها، وكأنها حمامة تفر طائرة أمام صقر إلى صخرة
مجوفة أو صدع فيه، فلم يكن مقدراً لها أن تقع فريسة.
لقد هربت الإلهة باكية وخلفت وراءها القوس والسهم
حيث هي في مكانها.

٤٩٥

ولكن تحدث الرسول أرجيفونتيس^(*) إلى ليتو قائلاً:

(*) هذا لقب من ألقاب هرميس وهو مركب من كلمتين ويدل على معنى الظهور السريع ويمكن ترجمته "سريع
الحضور". (الحرر)

"أى ليتو لست أنا بأى حال الذى يحاربك، فهو أمر عسير
أن يتبادل أحد الضربات مع رفيقة جامع السحب زيوس.
أى نعم، ولك بقلب مفتوح أن تتباهى بين الآلهة الخالدين
أنك بقوتك قد تغلبت على".

٥٠٠

هكذا تحدث، وجمعت ليتو القوس المعقوف والسهام، حيث
كانت مبعثرة هنا وهناك فى خضم الغبار العاصف.

وعادت بعد أن أخذت قوس ابنتها وسهامها. ولكن العذراء جاءت
إلى الأوليمبوس حيث مقر زيوس ذو العتبات البرونزية

٥٠٥

وجلست تبكى على ركبتى والدها، ورداؤها الإلهى (الأمبروسى)
يهتز من حولها. فجذبها أبوها ابن كرونوس إليه وبابتسامة حلوة سألها:

"بنيتى الحبيبة من من سكان السماء أساء إليك،

٥١٠

كما لو كنت قد ارتكبت عملاً شريراً أمام الجميع؟"

عندئذ ردت عليه الإلهة ذات الإكليل الجميل،

والتي تصيح بصوتها عالياً عند الصيد، فقالت:

"أبى، إنها زوجتك هيرا ذات الذراع الأبيض، التى

أساءت معاملتى، وبسببها نشب الصراع والعراك بين الخالدين".

وفى هذا الشأن تحدث كل منهما للآخر، ولكن فويبوس أبوللون

٥١٥

دخل إليوس المقدسة. حيث انتابه القلق حول سور المدينة

ذات البنيان المتين، خشية أن يتخطى الدنائيون ماهو مقدر، فيحطمون

السور فى ذلك اليوم. أما بقية الآلهة الذين يذهبون

دوماً إلى الأوليمبوس، فإن بعضهم جاء فى حالة

غضب، والبعض الآخر فى نشوة كبيرة، وجلسوا جميعاً

٥٢٠

إلى جوار الأب سيد السحب السوداء.

ولكن أخيليوس كان لا يزال يواصل قتل الطرواديين

أنفسهم، وخيولهم ذات الحافر الواحد. كما يرتفع
الدخان إلى عنان السماء العريضة من مدينة
تحترق، يسوقه غضب الآلهة فتسبب الألم للجميع،
وتطلق المتاعب على الكثيرين. هكذا كان

٥٢٥

أخيليوس يسبب الألم والأحزان للطرواديين.
وقف برياموس الأشيب فوق السور الذى بناه الآلهة،
فرأى أخيليوس العملاق يسوق أمامه الطرواديين فى
اندحار وفرار، حيث لا مدد. وبصرخة مريرة أسرع
من فوق السور ليأمر الحراس الأقوياء على الأبواب
أن يصمدوا أمام السور قائلاً:

٥٣٠

"افتحوا الأبواب على مصاريعها بأيديكم، حتى يأتى
قومنا المنسحبين إلى المدينة، ها هو أخيليوس قريب
يطاردهم. تَوْأ سيقع أمر جلل فيما أحسب. لكن ما أن
يتجمعوا داخل السور ويتنفسوا الصعداء،
غلقوا الأبواب تماماً، فأخشى ما أخشاه أن يقفز هذا الرجل
الدمر إلى داخل السور"

٥٣٥

هكذا قال، ففتحوا الأبواب وسحبوا المزاليق إلى الخلف. وأتاحت
الأبواب المفتوحة على مصاريعها الخلاص للفارين. ولكن أبوللون قفز
إلى الأمام ليوأجه أخيليوس، ولكى يصد الدمار عن
الطرواديين. وفى تلك الأثناء

٥٤٠

كانوا يفرون إلى داخل المدينة وسورها الشاهق وقد
احترقوا عطشاً وغمرهم الغبار المثار من الوادى.
وكان أخيليوس لا يزال يضغط عليهم بسيفه، وقلبه
مفعم بغضب جنونى وبرغبة جامحة لكسب المجد.

عندئذ كان أبناء الآخيين سيستولون على طروادة ذات

البوابات العالية، لو لم يستثر فوبيوس أبوللون أجينور

٥٤٥

الإلهى بن أنتينور المحارب الجبار الذى لا نظير له.

وضع الإله فى قلبه الشجاعة ووقف إلى جانبه، لكى

يحميه من براثن (*) الموت الثقيلة. استند إلى شجرة بلوط

ولفه ضباب كثيف. وعندما رمق أجينور أخيليوس

محطم المدن أخذ قلبه يقلب بعض الأفكار القاتمة،

٥٥٠

وتحير كثيراً، وخاطب نفسه القوية قائلاً:

"الويل لى! فإذا فررت أمام أخيليوس القوى إلى حيث

سيق الآخرون فى اندحارهم، فإنه سيدركنى ويذبحنى فى

٥٥٥

جبنى. لكن ماذا لو تركت هؤلاء يسوقهم أخيليوس

بن بيليوس، وبأقدامى هربت خارج السور إلى وادى

إليوس، حتى أصل إلى كهوف ومنحنيات إيذا واختبأت

فى الأحراش؟ عندئذ ربما بعد أن أستحم فى النهر

٥٦٠

وأزىل عن جسدى العرق أعود إلى إليوس.

ولكن لماذا يخاطب قلبى نفسه هكذا؟

لا تدع بى رمقى، وأنا أهرب من المدينة إلى الوادى،

فينطلق ورأى ويدركنى بأقدامه السريعة.

عندئذ سيكون من غير الممكن تفادى الموت والأقدار،

٥٦٥

لأنه الأقوى كثيراً فوق كل البشر.

وماذا لو خرجت لملاقاته وجهاً لوجه أمام المدينة؟ فإن

لحمه هو أيضاً، فيما أحسب، يمكن اختراقه بحد السيف

البرونزى، وله هو أيضاً حياة واحدة، والناس يقولون إنه من

٥٧٠

البشر القانين، بيد أن زيوس بن كرونوس يمنحه المجد".

(*) ترد هذه الكلمة (cheiras) فى بيت ٥٤٨ بهذا المعنى فى طبعات كثيرة ومعناها "الأيدي". أما طبعة

اوكسفورد ففضل (keras) بمعنى "آلام" أو "أقدار" وسبب ذلك - فيما نرى - أن تشخيص الموت على أن

له يدين يقض بهما على الأرواح أمر نادر فى أشعار هوميروس.

قال هذا واستجمع قواه فى انتظار قدوم أخيليوس وقلبه نواق
للنزال والقتال، كالنمرة تخرج من الأحراش الكثيفة لتواجه
الصيد. لا يخاف قلبها ولا تهرب، حتى عندما تسمع نباح
الكلاب. فعلى الرغم من أن الرجل أمامها ويضربها
بطعنة أو برمية، بل وحتى عندما يخترقها الرمح،
لا تتوقف عن جنونها حتى تتغلب عليه أو تموت.

هكذا رفض الإلهى أجينور بن أنتينور النبيل
أن يهرب قبل أن يجرب حظه مع أخيليوس.
وأمسك درعه متين الاتزان من كل جانب فى مواجهته،
وصوب رمحه نحو أخيليوس صائحاً صيحة مدوية:

"حقاً فإنك فيما أحسب يا أخيليوس المجيد تأمل اليوم
من كل قلبك أن تدمر مدينة الطرواديين الأكابر.
يالك من أحقق! فالكثير من الفظائع سترتكب بسببها.
فنحن بالداخل محاربون كثيرون وأقوياء، وعلينا من
أجل آبائنا الأعداء وزوجاتنا وأطفالنا أن نحمل
إليوس، وسوف تلاقى مصيرك المحتوم هنا رغم
أنك محارب رهيب وباسل".

هكذا قال وأطلق بيده الثقيلة الرمح الحاد، فلم يخطئه وأصابه
فى قصبة الساق تحت الركبة. فأحدث درع الساق
المصنوع حديثاً من قصدير مسبوك رنيناً مدوياً فوق
ساقه. ولكن البرونز ارتد إلى الخلف ولم يخترق إلى
الداخل، لأن هدية الإله أوقفته.

وبدوره هجم ابن بيليوس على أجينور الإلهى. بيد أن
أبوللون لم يسمح له أن يكسب المجد، بل اختطف
أجينور بعيداً وخبأه فى ضباب كثيف. أبعدته عن

- الحرب، وأرسله إلى حيث يشق طريقه في سلام.
 ٦٠٠ وبالحيلة احتفظ أبوللون بابن بيليوس بعيدًا عن الحشد.
 إذ اتخذ الإله بعيد القذائف هيئة أجينور في كل شيء، ووقف
 موقفه أمام أقدامه. فاندفع أخيليوس وراءه مطارِدًا له بسرعة.
 وبينما كان يلاحقه عبر الوادي المزروع قمحًا، استدار به
 ناحية النهر سكاماندروس عميق الدوامات ذلك أن
 أبوللون لم يسبقه إلا بأقل القليل، إذ كان يخادعه ويظهر
 ٦٠٥ له أنه على وشك أن يدركه.
 وفي تلك الأثناء كان الطرواديون الآخرون الذين
 كانوا يجرون فرارًا واندحارًا يتزاحمون بحماس
 صوب المدينة. وامتألت المدينة بحشودهم،
 ولم يجرؤ أحدهم أن ينتظر الآخر خارج المدينة
 وسورها، ليعرف من نجا من الموت، ومن
 ٦١٠ قتل في المعركة. ولكنهم بسرعة ولهفة
 ٦١١ تدفقوا إلى داخل المدينة، بقدر ما أسعفت كل منهم قدماء وركبته.

الكتاب الثاني والعشرون



ترجمة عادل النحاس

وهكذا فإن هؤلاء الفارين إلى داخل مدينتهم كالظباء
الصغيرة كانوا يجفون عرقهم، فشرّبوا وأطفأوا نار الظمأ متكئين
على أسلحتهم المزخرفة، بينما كان الآخيون، من جهة أخرى،
يتدافعون سراعاً صوب الأسوار، حاملين دروعهم الضخمة على
أكتافهم. أما هيكتور فقد كبّله قدره المميت وأبقاه في مكانه
٥ أمام مدينة إليوس، بالقرب من بوابة سكاياي.

عندئذ يوجه الإله أبوللون فوبيوس الوضاء حديثه لابن
بيليوس، قائلاً:

"يا ابن بيليوس، لماذا تلاحقني بقدملك السريعتين،
أذلك الفاني يطارد إلهاً خالداً لا يموت؟

١٠ ألم تدرك بعد أنني إله! ولكنك لا تتوقف عن الغضب.
إنك لا تعباً قط بمعاناة الطرواديين الذين طاردتهم وهم يفرون
أمامك، وقد حُشروا داخل المدينة؛ أما أنت فقد ملت جانباً إلى
هنا، ولن تقتلني بالتأكيد، فلست ممن يخضعون لقدر الموت"

فأجابه أخيليوس سريع القدمين وقد اشتد غضبه، قائلاً:

١٥ "لقد خدعتني يا رامى السهام عن بعد، وأكثر الآلهة طرّاً
قدرة على التدمير. لقد استدرجتني إلى هنا بعيداً عن الأسوار،
وإلا كان الكثيرون لا يزالون ينهشون الأرض بأسنانهم، أو يحاولون
الوصول إلى مدينة إليوس. اليوم سلبتني مجداً عظيماً وأنقذتهم
بسهولة تامة، فأنت لا تخشى أى انتقام مستقبلاً،

٢٠ بينما كنت أنا الذي سينتقم منهم بكل تأكيد، إذا ما تملكيت القوة"

قال ذلك، وقد تملكه إحساس بزهو القوة، فتوجه صوب
المدينة، مندفعاً كالجواد الذي يجر عربة وفاز بجائزة السباق،
ويركض مسرعاً عبر الوادي في يسر وسهولة.

بمثل تلك السرعة حرك أخيليوس قدميه وركبتيه.

٢٥

وكان الشيخ الأشيب برياموس هو أول من رآه بعينه

منطلقا عبر الوادى، مارقا كالنجم

البازغ فى موسم الحصاد^(١)، تلمع أشعته البراقة،

بين العديد من النجوم فى ظلام الليل الحالك،

يطلقون عليه "كلب أوريون".

٣٠

وهو الأكثر بريقا فى السماء، ولكنه نذير شؤم،

فهو يحمل الكثير من الآلام لأولئك البؤساء الفانين.

هكذا لمع بريق البرونز على صدر أخيليوس وهو يجرى،

وعندئذ انتاب الشيخ الأشيب نوبة بكاء شديد، وأخذ يرفع يديه عاليا

ويهوى بها على رأسه، منتحبا بشدة، ثم صاح

٣٥

متوسلا إلى ابنه الحبيب، الذى كان رابضا أمام الأسوار،

راغبًا بلهفة فى منزلة أخيليوس، فتحدث الشيخ الأشيب

على نحو يثير الإشفاق ملوحا بيديه لابنه، قائلا:

"أيها الابن الحبيب، هيكتر، لا تواجه ذلك الرجل بمفردك،

من دون الآخرين، كيلا تلقى مصيرك المحتوم

٤٠

مقتولاً على يد ابن بيليوس، فهو الأكثر قوة،

والأشد بأسا. ليت لم يكن محبوبا على هذا النحو لدى الآلهة،

مثلما الحال بالنسبة لى! فعندئذ سيكون جسده الممدد على الأرض

دون دفن طعاما للكلاب وجوارح الطير.

وبذلك تزول عن قلبى تلك الآلام المبرحة،

ذلك الرجل الذى حرمنى العديد من أبنائى البواسل،

٤٥

فقد قتل البعض، وباع البعض الآخر فى الجزر النائية.

فالآن لا أستطيع أن أرى ولدى، ليكاون وبوليديوروس،

(١) تمتد فترة الحصاد منذ بزوغ النجم سايروس، أى فى نهاية شهر يوليو، حتى أفرول اليلياويس.

- بين الطرواديين المندفعين إلى داخل المدينة،
وهما من أنجبتهما لى لأوثوى، أميرة النساء.
- فإذا كانا على قيد الحياة فى معسكر جيش العدو، فسوف
أفتديهما فيما بعد بالبرونز والذهب، ولدينا منه بالداخل الكثير،
٥٠ حيث كان الشيخ المسن ألتيس، ذائع الصيت، قد قدمه هدية
زواج ابنته. أما إذا كانا قد ماتا، وهما الآن فى منازل هاديس،
فالألم لقلبى وقلب أمهما، نحن من أنجبناهما.
وسيكون حزن بقية الحشد أقصر،
- ٥٥ إذا نجوت أنت من الموت على يدى أخيلئوس،
نعم يا بنى، هيا وأسرع إلى داخل الأسوار لتتقذ الطرواديين
والطرواديات، ولكى لا تمنح ذلك المجد العظيم لابن بيليوس،
وحتى لا تنقذ أنت نفسك حياتك الغالية، أكثر من ذلك لتشفق على،
أنا التمس، أبوك سيء الحظ، الذى لا يزال على قيد الحياة.
- ٦٠ فهذا الأب، ابن كرونوس، سيبتلىنى فى شيخوختى بمصير مؤلم،
وبمشاهدة العديد من الكوارث: أبنائى الذين يلقون مصرعهم،
وبنائى اللآئى يُسحبن سبايا للعبودية، حجرات نومنا الخاوية،
وأطفالنا الصغار الذين يسحقون على الأرض فى خضم
الصراع القاتل، زوجات أبنائى اللآئى يُسحبن بأيدي الآخيين
سبايا. ثم أراى أنا نفسى فى النهاية تجرنى تلك الكلاب المتوحشة
٦٥ أمام البوابة الأمامية، عندما تنزع روحى عن جسدى بطعنة سيف
برونزى حاد أو رمية سهم، على يد أحد أولئك الكلاب الذين قُمتُ
بتربيتهم فى القصر وإطعامهم من أطايب مائدتى، الذين كانوا
يحرصون بواباتى وسيشربون من دمي دون توقف، ثم يتمددون
٧٠ أمام عتبات بوابات القصر، ويشتعل غضبهم. فالشباب الصغير
يليق به أى مصير: أن يقتل فى القرية، وأن يخترقه البرونز الحاد
وأن يرقد عارياً بلا دفن، نعم كل الأشياء تتناسب معه وتكرم مثواه.

- أما عندما تلوث الكلاب الشعر الأشيب وتعبث في اللحية البيضاء،
وتحط من شأن الشيخ العجوز الذي لقي حتفه في القتال^(١)،
فإن ذلك يجعل رثاءنا أشد إيلاماً على النفس لموت أولئك التعساء"
قال الشيخ الأشيب ذلك، ثم جذب شعيرات رأسه
الأبيض بيديه فاقتلعها. ولكنه لم يستطع إقناع هيكتور
ومن ناحية أخرى، فقد أخذت أمه في النحيب، زارفة الدمع الغزير،
وفكت طيات رداءها، ثم كشفت ثديها بيدها،
وخاطبته باكية بكلمات مجنحة، وقالت:
"ولدى هيكتور، أظهر الاحترام لثدي هذا، ولترحم شيبتي.
فأنا لم أمنع عنك ثدي هذا لترضع ولو لمرة واحدة ليهديء روعك.
تذكر ذلك، أيها الابن الحبيب، وقم بقتال ذلك الرجل العدوانى
من داخل الأسوار، ولا تقف في مواجهته هناك، إنه قاسى القلب،
لأنه إذا ما قضى عليك فلن أبكيك وأنت على فراشك،
أى صغيرى الحبيب، يامن ولدت، كما لن تبكى زوجتك التى منحتك
الكثير من هدايا الزواج، ولكن بعيداً عنا نحن الاثنين، وبالقرب من
سفن الأرجيين حيث ستلتهمك الكلاب حادة الأنياب".
وهكذا وجه الوالدان الاثنان معا حديثهما، وهما يبكيان، إلى
ولدهما الحبيب، مشفوعا بكثير من التوسلات. ولكنهما لم يستطيعا

(*) يقول تيرتايوس في الشذرة رقم ٥ ما يلى:

"كم هو رائع موت رجل شجاع يقف في الصفوف الأمامية للدفاع عن وطنه! هيا نحارب بكل شجاعة من أجل هذه الأرض. هيا نموت من أجل أطفالنا لا نبخل بالحياة، إليها الشباب! إلى الحرب في صفوف متراصة! لا تدع أى رجل فيكم يسلم اللواء ويهرب بسبب الخوف، لا تتركوا كباركم! من العار أن تروا بأعينكم محارباً مسناً يسقط في المقدمة.

برأسه الصلعاء ولحيته البيضاء، يغطى بيده عورته التى تزف منها الدماء بعد أن شوه الأعداء جسده. ياله من منظر كريه ومنفر!

بيد أن هذا لو وقع لشاب.. فهو أمر آخر. فطالما أنه في ريعان الشباب الزاهى سيفوز بإعجاب الرجال، وتعشقه النساء إن نجا من المعركة، أما إذا سقط جريحاً في الصفوف الأمامية بقت ملاحه حية لا تموت، قفقوا إذن ثابتين.. صامدين".

وقد أثار هذا التشابه جدلاً بين النقاد ولاسيما حول السؤال: من أخذ من الآخر راجع: أحمد عثمان، الأدب الإغريقى، ص ١٤٦ ومايليها. (الخرر)

إقناع قلب هيكتور بكل هذا. وظل ساكنا في مكانه حتى اقترب منه
أخيلئوس بجسده الضخم. ومثلما يفعل الثعبان الجبلى عندما يتربص
في جحره بأحد الأشخاص، وقد تغذى على عشب سام وداخل جسده
غضب شديد، وينظر نظرة مخيفة، ثم يأخذ في الدوران حول
٩٥ الجحر. هكذا كانت لهيكتور حماسة متقدة، فلم يتراجع أبداً،
بل أسند درعه اللامع على السور البارز،
وعندما تحركت مشاعره خاطب نفسه بشجاعة قائلاً:

"ويحك يا نفسى، إذا ما تراجعت إلى داخل الأبواب، خلف
١٠٠ تلك الأسوار، فسيكون بوليداماس أول من يصب على إهانات
التوبيخ، إنه من كلفنى بقيادة الطرواديين داخل أسوار المدينة.
فى تلك الليلة المرعبة، عندما انقض أخيلئوس الإلهى عليها،
ولكننى لم أطع أوامره، بالرغم من أنها كانت أفضل.
والآن فالئى قد تسببت فى دمار شعبى بحماقاتى،

ينتابنى الخزى من كل الطرواديين والطرواديات بملابسهن الطويلة،
١٠٥ وقد ينطق شخص آخر، أكثر منى سوءاً، قائلاً:
لقد تسبب هيكتور فى دمار شعبنا، لأنه وثق كثيراً فى قوته.
إنهم فى مثل هذا الحديث سيخوضون، ولذلك فمن الأفضل لى أن
أكون فى المواجهة، فإما أن أعود مظفراً بقتل أخيلئوس،
وإما أن أموت بشرف على يديه أمام أبواب المدينة.

١١٠ حتى وإن تخليت عن ذلك الدرع المزخرف بالحلى المعدنية،
أو تلك الخوذة الثقيلة، أو وضعت رمحى بجانب الأسوار، فسوف
أتقدم الصفوف بنفسى لأكون دائماً فى مواجهة أخيلئوس الذى
لا نظير له. وأعدّه أن هيلينى وكل المقتنيات النفيسة التى بحوزتها،
وكل تلك المقتنيات التى حملها ألكسندروس معه فى السفن المجوفة
١١٥ إلى طروادة - وهو ما كان سبباً فى نشوب الحرب -
سيعاد كل ذلك لأبناء أتريوس ليحملوها معهم. وأكثر من ذلك

- وبعيدًا عنه أعده بأن يتفاسم مع الآخرين قسمة متساوية كل
ممتلكات المدينة وسأكرم الطرواديين، وأجعل شيوخهم يقسمون
١٢٠ أنهم لن يخفوا أى شيء، بل وأن يقتسموا معهم كل شيء.
حتى تلك الكنوز، التى تحتفظ بها المدينة الجميلة داخلها.
ولكن لماذا حدثتني نفسى الآن بكل تلك الأشياء؟
فقد أذهب أنا لدعوته بينما هو لا يرحمنى،
ولا يحترمنى، وربما يقتلنى، طالما ذهبت إليه مجردا من السلاح،
١٢٥ هكذا كأحدى النساء، بعدما تخلّيت عن سلاحى. ولذلك فلا وقت
الآن لحديث ودى معه بلا طائل، فهو سيكون حديثًا
من شجرة البلوط أو من الصخر، كحديث بين شاب وفتاة،
فالشاب والفتاة غالبا ما يتجاذبان أطراف الحديث الحلو فيما بينهما.
ولذلك فمن الأفضل أن نلتحم فى أسرع وقت ممكن،
١٣٠ ولنر لمن منا سيمنح سيد الأوليمبوس المجد".
- ذلك ما كان يجول بخاطرهِ أثناء ترقبه، ولكن سرعان
ما تقدم أخيليوس قرين إنيلْيوس، وأصبح على مقربة من ذلك
المحارب ذى الخوذة اللامعة، رافعا حربته المرعبة،
المصنوعة من شجر الدردار فوق بيليون، على كتفه الأيمن،
ومن حوله يلمع البرونز، مثل وهج النار المندلعة
١٣٥ أو مثل أشعة الشمس الساطعة. انتابت هيكتور قشعريرة،
وعندما أحس به أمامه، لم يحتمل البقاء فى مكانه،
بل أعطى للبوابة دبره وولى مذعورا. ولكن ابن بيليوس
اندفع نحوه مسرعا، معتمدا على قدميه السريعتين.
مثل الصقر الجبلى الأسرع من كل طائر،
١٤٠ ينقض فى سهولة ويسر على حمامة مذعورة. فرت أمامه،
فاندفع الآخر خلفها، مطلقا صرخة مدوية، حتى أصبح على
مقربة منها، مدفوعا برغبة شديدة فى الإمساك بها.

- هكذا انطلق أخيلئوس باندفاع جنونى. وهكذا فر هيكتور مذعورا
تحت أسوار الطرواديين وقد أطلق العنان لركبتيه السريعتين.
١٤٥ اندفعا مروراً ببرج المراقبة وشجرة التين التى تعصف
بها الرياح، وابتعدا عن السور على طريق العربات
حتى بلغوا الينابيع، بديعة الانسياب حيث النبعان
اللذان يغذيان سكماندروس، ذا الدوامات:
أما الأول فينسب بمياهه الدافئة، وعلى جانبيه
١٥٠ يتصاعد دخان كما لو كان من نار موقدة؛
وأما الثانى فينسب بمياهه الباردة، كالبرد فى قيظ الحر،
أو كالثلج المتجمد، أو كقطع الثلج المتبلور فى الماء.
وهناك، أمام هذه الينابيع، توجد أحواض حجرية واسعة للغسيل،
حيث اعتادت فيما قبل زوجات الطرواديين،
١٥٥ وكذلك بناتهم الجميلات غسل الثياب زاهية الألوان.
وكان ذلك يحدث فى وقت السلم، قيل أن يصل أبناء الآخيين.
فى هذا المكان نفسه، مر كلاهما مسرعين، أحدهما يفر والآخر يكر
ملاحقاً له. فى المقدمة، يفر رجل عظيم الشأن، يلاحقه مسرعا
رجل آخر أقوى منه بكثير. ولم يكن سباقهما من أجل أضحية
أو جلد ثور، تلك الجوائز التى تقدم لأسرع الرجال فى سباقات
١٦٠ الجرى. ولكنهما كانا يتسابقان من أجل حياة هيكتور، مروض
الخيول. ومثلما تفعل الخيول المنتصرة، ذات الحافر الواحد غير
المنشطر، إذ تركض مسرعة وتدور حول العلامات، حيث تُقدّم
الجائزة الكبرى: وهى إما رجل ثلاثى الأرجل، أو امرأة؛ تكريماً
لموت أحد المحاربين^(١). هكذا، فقد دار كلاهما حول مدينة
١٦٥ برياموس ثلاث مرات، بأقدامهما السريعة. وكانت الآلهة جميعاً

(١) وهو ما يحدث عادة فى المسابقات الرياضية الجنازية، مثل تلك التى أقيمت تكرماً لباتروكلوس فى الكتاب الثالث والعشرين من الإلياذة.

تتابع ما يحدث. وعندئذ كان أبو البشر والآلهة (زيوس)، البادىء
بالحديث بينهم قائلاً:

- "ويحى، إني أرى بعينى رجلاً حبيباً
يطاردُ حول الأسوار. إن قلبى يأسف من أجل
هيكْتور، الذى كان يقوم بحرق أفخاذ الثيران قربانا لى،
أحياناً فوق قمة جبل إيدا، ذى الحنايا الكثيرة، وأحياناً أخرى
فى أعالى قمة المدينة. والآن يلاحقه أخيليوس الإلهى،
بقدميه السريعتين، حول مدينة برياموس.
ولكن هيا إذن، أيتها الآلهة، أعملوا فكركم وتدبروا، وقلوا لى
ما إذا كنا سننقذه من الموت، أم أننا سنتركه يموت
على يدى أخيليوس بن بيليوس على الرغم من أنه إنسان عظيم"
فأجابته الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:
"يا أبت، يا إله الصواعق، يارب السحب السوداء الثقيل،
أقول ذلك على رجل فان، مقدر عليه الموت منذ أمد طويل؟
أتريد أن تخلصه من مصير الموت المفجع؟
فلتفعل إذن، ولكن لن يوافقك على ذلك أى منا نحن الآلهة الآخرين"
فأجابها زيوس، جامع السحب، قائلاً:
"أيتها الابنة الحبيبة تريتوجينيا! فلم أكن
جادا فى حديثى، بل أُرغب فى أن أكون لطيفاً بك،
افعلى ما يحلو لك ولا تترددى"

قال ذلك، مشجعاً أثينة، التى كانت بالفعل متحمسة من قبل،
وهبطت مسرعة من فوق قمة الأوليمبوس.

وفى تلك الأثناء كان أخيليوس السريع مستمراً فى ملاحقة هيكْتور،
مطاردا إياه بحماس. مثلما يطارد كلب ظبياً صغيراً فوق الجبال،
بينما يفر من وكره عبر شعاب الغابة ووديانها؛

- وإذا ما أفلت منه، مختبئاً تحت أيكة،
يجرى الكلب خلفه بإصرار ويفتفى أثره حتى يعثر عليه.
هكذا لم يستطع هيكتور الإفلات من ابن بيليوس سريع القدمين:
فكم من مرة اندفع (هيكتور) يعدو نحو البوابات الداردانية
١٩٥ بحثاً عن الملجأ في حماية الأسوار متينة البناء، فقد يساعده رفاقه
من فوق الأسوار برمي السهام، ولكن غالباً ما كان أخيليوس
يستبقه ويُعيذه إلى الوادى ويسرع هو إلى جوار أسوار المدينة
وكما يحدث في الحلم؛ لم يستطع الحالم اللحاق بعدوه الذى يهرب
٢٠٠ منه. لم يستطع أحدهما أن يهرب، ولم يستطع الآخر اللحاق به
وهكذا فلم يستطع (أخيليوس) أن يلحق به عدواً، ولم يفلت الآخر
(هيكتور) منه فأنى لهيكتور أن يهرب من مصيره المحتوم،
إذا لم يقف أبوللون بجانبه في المعركة للمرة الأخيرة.
ليمنحه القوة، وليمنح ركبتيه السرعة؟
- ٢٠٥ وهنا أوماً أخيليوس الإلهى برأسه لجيشه، ليحجموا عن
رمي السهام والرماح الحادة على هيكتور، فربما يصيبه أحدهم
بسهامه فينال المجد، ويأتى هو فى المرتبة الثانية.
ولكن، عندما وصلا للمرة الرابعة، إلى الينابيع،
رفع أبو الآلهة شديد البأس ميزانه الذهبى إلى أعلى،
٢١٠ ووضع فوقه اثنين من مصائر الموت المفجع، الأولى لأخيليوس،
والأخرى لهيكتور، مروض الخيول. أمسك الميزان من الوسط
ورفعه، فهبط مصير هيكتور إلى أسفل، ورحل إلى هاديس؛
عندئذ تخطى عنه الإله أبوللون فويبوس (الوضاء). مرة أخرى،
وصلت الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، إلى ابن بيليوس،
ووقفت على مقربة منه، ثم خاطبته بكلمات مجنحة، وقالت:
٢١٥ "الآن، أى أخيليوس المجيد، الحبيب إلى قلب زيوس،
سنجلب كلانا المجد العظيم للأخيين، بالقرب من السفن،

- بالقضاء على هيكتور، الذى لا يشبع من القتال،
ولن يستطيع بعد الآن الإفلات منا، حتى ولو توسل أبوللون،
٢٢٠ رامى السهام عن بُعد، إلى والده زيوس،
لابس الدرع أيجيس، متذلاً. توقف أنت الآن وخذ نفساً عميقاً،
أما أنا فساذهب إليه وأقنعه بلقائك وجهاً لوجه فى المعركة"
هكذا تحدثت أثينة، واستقبل (أخيليوس) حديثها منشرح
الصدر، وتوقف متكئاً على حربته
٢٢٥ المصنوعة من خشب الدردار، بحددها البرونزى.
وعندئذ تركته مسرعة لتلتقى بهيكتور الإلهى،
وقد تمثلت له فى هيئة أخيه ديفوبوس، وفى صوته غير المنهك،
ثم وقفت على مقربة منه، وخاطبته بكلمات مجنحة:
"أخى من المؤكد أن أخيليوس السريع قد أساء إليك بشدة،
٢٣٠ وقد طاردك بقدميه السريعتين حول مدينة الملك برياموس.
ولكن فلنتوقف هنا، ولنتصدى لهجمته"
وعندئذ أجابها هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً:
"أى ديفوبوس، لقد كنتَ قبل ذلك بالنسبة لى الأحب إلى نفسى
من بين كل إخوتى الآخرين، الذين أنجبتهم هيكابى من برياموس،
٢٣٥ أما الآن فقد أدركت أنك ستحتل فى قلبى تكريماً أكبر،
لأنك جرؤت بعدما شاهدتتى بكلتى عينيك، أن تخرج
من خلف الأسوار من أجلي، بينما بقى الآخرون بالداخل"
فردت عليه الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:
"أيها الأخ الحبيب، حقاً لقد رجاني أبى كثيراً وكذلك أُمى
٢٤٠ الملكة، وأيضاً كل الرفاق من حولي، كلهم توسلوا بإلحاح واحداً
بعد الآخر، للبقاء معهم، وكانوا جميعاً يرتعدون من شدة الخوف،
ولكن نفسى كانت تعتصر ألماً من شدة الحزن.

أما الآن فلنقاتله بكل حدة. دعنا إذن لا نضن عليه بالحراب،
ولنرَ ما إذا كان أخيليوس هذا، بعد أن يقتلنا نحن الاثنين،
سيحمل الأسلاب المملوطة بالدماء منا إلى السفن المجوفة،
أم أنه سيلقى حتفه بطعنة نجلاء من حربتك"

٢٤٥

بهذه الكلمات وبهذه الحيلة قادته أثينة.

وعندما تقدم كل منهما في مواجهة الآخر، وأصبحا متقاربين،
كان هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، البادئ بالحديث، فقال:

٢٥٠

"يا ابن بيليوس، لن أفر بعد ذلك منك، مثلما فعلت من قبل
وجريت ثلاث مرات حول المدينة الإلهية لبرياموس العظيم،
ولم أجرؤ على البقاء لمواجهتك. أما الآن فتدفعنى نفسى دفعا
للقوف فى مواجهتك، قتلتك أم قتلت على يديك.

٢٥٥

هيا إذن، ولنشهد علينا الآلهة، فإنهم أعظم
الشهود، وأفضل الحافظين على ما سنتعاهد عليه .
فأنا لن أمثل بجسدك بوحشية، إذا ما منحنى زيوس
القوة على أن أنتزع روحك من جسدك.

٢٦٠

ولكنى فقط، أى أخيليوس، سأسلب أسلحتك الشهيرة،
أما جثمانك فسوف أعيده إلى الآخيين، ولتفعل أنت الشيء نفسه".

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بغضب ثم قال:
"أى هيكتور، أيها البائس الملعون، إياك أن تحدثنى عن العهود؛
فكما لا يوجد صدق فى الوعود بين البشر والأسود،
وكما لا تكون للخراف والذئاب نفس الميول،

٢٦٥

فدائما ما يضمركل منهم للآخر الشرور،
هكذا نحن أنا وأنت، فلن يستطيع أحدا أن يحب الآخر، ولن تكون
بيننا عهود قبل أن يرتوى الإله آريس، ذلك المحارب.
العتيد، بدم من يسقط منا أولاً. فلتستجمع كل قواك القتالية،

- فهذا ما تحتاجه الآن. تصرف بوصفك حامل رمح ماهر،
ومحارباً جريئاً. حقاً ليس لك مفر بعد الآن،
٢٧٠ فسوف تقضى عليك الإلهة باللاس أثينة
فى التو برمحى هذا، كما أنك ستدفع أيضاً جزاء
أحزانى على رفاقى الذين أردبتهم قتلى بحربتك العاصفة"
قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل،
ولكن هيكتور المجيد تغاداه بعدما رآه فى اللحظة الأخيرة.
٢٧٥ فقد لمحّه وجثا على الأرض فطار فوقه الرمح البرونزى.
وارتشق فى الأرض. فانتزعته أثينة باللاس، ثم أعادته مرة
أخرى لأخيلئوس، دون أن يدرك ذلك هيكتور، راعى الشعب.
وعندئذ خاطب هيكتور ابن بيليوس الذى لا نظير له، قائلاً:
"لقد أخطأت الهدف، ياشبيه الآلهة، أخيلئوس!
٢٨٠ فلم يكشف لك بعد زيوس شيئاً عن مصيرى رغم زعمك
أنك تعرف. ولكنك ذرب اللسان ماكر الكلام،
بهدف أن أرتعد فى مواجهتك وأنسى قوتى وبسالتي.
فاعلم أننى لن أفر من أمامك كى تغرس فى ظهري حربتك،
بل سألتقاها فى صدرى، بينما أندفع فى مواجهتك؛
٢٨٥ هذا إذا أذن لك إله ما بذلك. أما الآن بدورك فلتدراً عن نفسك
حربتى البرونزية، لعلها تخرق بأكملها لحمك،
مما يجعل القتال أكثر سهولة للطرواديين،
إذا ما قتلتك؛ فأنت بالنسبة لهم كارثة كبرى"
- ٢٩٠ قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل،
فأصاب منتصف الدرع الكبير لابن بيليوس، ولم يخطئه،
ولكن الرمح قفز مرتدّاً للخلف بعيداً عن الدرع، فاستشاط
هيكتور غضباً، لأن الرمح السريع انطلق من يده سدى،

فوقف مرتبكاً، لأنه لم يكن يحمل رمحاً ثانياً من الدردار
ولكنه بصوت جهورى نادى على أخيه ديفوبوس ذى الدرع
الأبيض، وطلب منه رمحاً طويلاً، فلم يجده إلى جواره؛
وعندئذ فطن هيكتور للأمر، وصاح قائلاً:

"ويحى، لقد دعنتى الآلهة هاهنا لموتى حقاً،
وكننت أعتقد أن البطل ديفوبوس يقف إلى جوارى،
بينما هو قابع داخل الأسوار. لقد خدعنتى أثينة،
وأصبح الموت البغيض قريباً منى الآن، وليس ببعيد؛
لا مفر منه إذن، وهو الأمر الذى كان يحظى منذ وقت طويل
بقبول زيوس، وكذا ابن زيوس، رامى السهام من بعيد، اللذان كانا
يحميانى من قبل برغبة صادقة. أما الآن فقد أدركنى قدرى..
ولكن دعنى، على الأقل، لا أموت دون قتال أو كرامة،
فلأقدم على عمل عظيم، كى يتعلم منه من سيأتى من بعدى"

هكذا قال، واستل سيفه البتار،
الذى كان يتدلى من خاصرته، كبيراً وقوياً.
واستجمع قواه، ثم انطلق كالصقر الذى يحلق عالياً،
ثم يهبط إلى الوادى عبر السحب القائمة،
لينقض على حمل وديع، أو أرنب برى مرتاع.
هكذا اندفع هيكتور، شاهراً سيفه البتار.

كما اندفع أخيليوس أيضاً نحوه، وقد امتلأ قلبه بغضب وحشى
وقد حمى صدره من الأمام بدرعه الكبير،
تلك الآية الفنية الرائعة، واهتزت فوق رأسه ذؤابة
خوذته اللامعة، ذات القرون الأربعة، ترفرف حولها خصلات
من شعر ذهبى بديع، كان قد وضعها هيفايستوس على جانبيها
بكثافة، كالعرف. إنه كنجم يمرق بين النجوم فى ظلمة الليل،

- إنه نجم المساء، أجمل نجم يلمع فى السماء.
وكذا لمع البريق من حد الرمح المسنون، الذى يشهره أخيلئوس
٣٢٠ بيمناه، راغبا فى إلحاق الأذى بهيكتور العظيم. ثم أخذ يتفحص
جسده القوى، بحثا عن الموضع الذى قد يصاب فيه بسهولة،
ذلك الجسد الضخم، الذى يغطى بالعديد من الأسلحة البرونزية
رائعة الصنع، التى سلبها من باتروكلوس الباسل، بعد أن قتله.
فوجد ثغرة مكشوفة عند التقاء الرقبة بالكتفين أى الحنجرة،
٣٢٥ حيث يقع أسرع طريق لموت الإنسان. هنا طعنه أخيلئوس الإلهى
برمحه عندما هاجمه (هيكتور) . وقد اخترق حد الرمح
الحنجرة الرقيقة حتى النهاية. بيد أن الرمح الدردارى المنقل
بالبرونز لم يكسر القصبة الهوائية تماما، مما يسمح
له بالإجابة والتحدث إلى عدوه.
٣٣٠ ولكنه سقط على التراب؛ فوقف أخيلئوس فوقه مختالاً وقال:
"أى هيكتور، عندما كنت تجرد باتروكلوس من أسلحته
حسبت أنك ستظل آمنا ولم تكن تخشاني، لكننى كنت بعيدا،
أيها الأحمق! ولكن بدونه، وهو يرقد الآن عند السفن المجوفة،
تركته هناك أنا الأقدر على الانتقام، وها أنا قد هزمتك. أما أنت
٣٣٥ فستمزق الكلاب الضالة والطيور الجارحة جسدك أسوأ تمزيق،
وأما هو فسوف يقوم الآخيون بمواراة جسده التراب وتكريمه."
وهنا رد عليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة،
وقد انهارت قواه تماما قائلاً:

- "أستحلفك بحياتك، بركبتك، بوالديك
ألا تتركنى بالقرب من سفنكم لتتهشنى كلاب الآخيين،
٣٤٠ ولتقبل تلك الهدايا الكثيرة من البرونز والذهب
التى سيقدمها إليك والذى ووالدتى الملكة،

فقط أرجو منك أن تعيد جثمانى إلى أهل منزلى، حتى يتمكن
الطرواديون، وزوجات الطرواديين من منحنى شرف حرق جثمانى"

عندئذ نظر إليه أخيلئوس، سريع القدمين، شزراً، ثم قال:

٣٤٥ "لا تستحلفنى، أيها الكلب، بركبتى أو بوالدى فليت غضبى
وجنونى يأمرانى بتمزيق جسدك، والتهام لحمك نيئاً، بسبب كل
ما ارتكبت ضدى فليس هناك من يدفع الكلاب عن رأسك،
حتى ولو أحضروا لى فدية لا تحصى ولا تعد، عشرة أضعاف
أو عشرين ضعفاً، بل ولو تعهدوا لى بأكثر من ذلك؛

٣٥٠ حتى ولو طلب منى برياموس بن داردانوس أن يفتديك
بمثل وزنك، أنت نفسك، ذهباً. لن تضعك أمك الملكة
على نعش الموت لتبكى عليك، أمك التى أنجبتك، فإن الكلاب
والطيور الجارحة فقط هى التى ستنهش لحمك عن آخره".

٣٥٥ فرد هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،

قائلاً: "حقاً، إنك دائماً كما عهدتك من قبل، وكما توقعت،
فليست لدى القدرة على إقناعك، لأن قلبك الذى بداخلك حديد. ولكن
ينبغى عليك الآن أن تعمل فكرك، حتى لا أكون سبباً فى غضب
الآلهة عليك فى ذلك اليوم الذى سيصرعك فيه باريس وأبوللون
فويبوس (الوضاء) على بوابة سكاياى، برغم قوتك"

٣٦٠ وما أن انتهى من حديثه حتى طواه الموت
وأفلتت روحه من أعضاء جسده هابطة إلى هاديس
باكية مصيرها، ومودعة للأبد الرجولة والشباب.
وبينما كان يحتضر، خاطبه أخيلئوس الإلهى قائلاً:

٣٦٥ "قلتمت أنت أولاً، وسأقبل الموت بنفس راضية حينئذ،
عندما يشاء زيوس، والآلهة الآخرون الخالدون"

- قال ذلك، ثم سحب رمحه البرونزى من الجثمان،
وألقاه جانبا، ثم انتزع بعد ذلك الأسلحة المطلخة بالدماء،
من فوق كتفيه. وعندئذ أقبل أبناء الآخيين مسرعين من كل
صوب، محدقين فى بنية هيكتور المتينة، وفى هيئته البديعة؛
ولم يقترب منه أحد إلا وطعنه بحربته^(١).
وقد يتحدث أحدهم لجاره، بينما ينظر للجثمان، قائلاً:
"يا إلهى، حقا لقد أصبح ملمس هيكتور الآن أكثر لنا
عما كان عليه عندما أحرق لنا سفننا بالنيران المتوهجة"
هكذا قد يقول قائل، ثم يقترب منه ويطعنه أيضا بحربته.
أما أخيلئوس الإلهى، سريع القدمين، فبعد ما جرده من أسلحته
شب واقفا بين الآخيين، ثم خاطبهم بتلك الكلمات المجنحة، قائلاً:
"أيها الأعزاء، بإقادة الأرجيين وسادتهم،
لقد شرفتنى الآلهة بقتل هذا الرجل، الذى اقترف
العديد من الشرور، يفوق كل ما فعله الآخرون مجتمعين.
دعونا نجرب أسلحتنا حول المدينة، لنعرف خطط الطرواديين
وما ينوونه فهل سيرحلون عن تلك المدينة العالية
بعد أن سقط ذلك الرجل، أم أنهم يرغبون فى البقاء،
على الرغم من عدم وجود هيكتور بعد؟ ولكن لماذا تجادلنى
نفسى الغالية فى مثل تلك الأمور؟ إن باتروكلوس
ما زال ممدداً فى السفينة جثة هامدة، بلا نحيب، وبلا مراسم
دفن، ذلك الرجل الذى لن أنساه أبداً، لن أنساه ما بقيت
بين الأحياء، وتتحرك قدمائى الغاليتان؛
وإذا كان الناس ينسون أمواتهم بعد رحيلهم إلى هاديس،

(*) كان الاعتقاد السائد لدى الشعوب البدائية أن تمزيق جسد القتيل يضعف شبحه، ويدفع عن الناس أذاه وانتقامه. وظل هذا الاعتقاد سائداً ومتبعاً فى بعض الناطق النائية حتى وقت قريب. (المحرر)

- ٣٩٠ فإننى لن أنسى صديقى الحبيب وهو هناك.
هلموا الآن يا شباب الآخيين، لنعد إلى سفننا المجوفة،
وننشد أناشيد النصر؛ ولنحمل معنا هذا الرجل؛ فقد أحرزنا
مجدا عظيما، وقتلنا هيكتور الإلهى، الذى كان الطرواديون
يتضرعون إليه فى كل أنحاء المدينة كما لو كان إلهاً"
- ٣٩٥ قال ذلك، وأخذ يفكر فى معاملة مشينة لهيكتور الإلهى،
فقام بثقب كلتا قدمى (هيكتور) من خلف العصبين، ومن الكعبين
حتى مفصل الركبتين، ثم مرر منها سيورا من جلود الأبقار،
ثم قام بربطها فى العربة الحربية، تاركا الرأس تتدلى على الأرض.
وعندئذ صعد إلى العربة؛ وبعد أن ارتدى أسلحته الشهيرة، ضرب
٤٠٠ الجياد بالسوط حتى تتحرك، فطارت مسرعة. ولما كان (هيكتور)
يتدلى على الأرض، فقد ثارت عاصفة من الغبار، وتناثرت
خصلات شعره الأسمر، بل وتمرغت الرأس بأكملها فى التراب،
تلك التى كانت غاية فى الجمال من قبل. بيد أن الإله زيوس قد
سلمها لأعدائه، حتى تساء معاملتها هكذا على أرض الوطن.
- ٤٠٥ وهكذا غطى التراب الرأس بأكملها. وعندئذ أخذت أمه
تمزق شعرها، وألقت بالوشاح المزركش بعيدا،
وأطلقت صرخة عويل مدوية عندما رأت ابنها.
أما والده الحبيب فأخذ يتأوه بطريقة يرثى لها؛ ومن حولهما
ملأت حشود الشعب المدينة كلها بالبكاء والعويل.
- ٤١٠ كما لو كانت النيران قد شبت فى كل أرجاء
مدينة إليوس، من أعلى التل إلى أسفله، وبالكاد أمسك الكثيرون من
الشعب بالشيخ الأشيب، الذى أصابه جنون الحزن
ويسعى للانطلاق بوحشية من البوابات الداردانية.

وتمرغ في الروث^(*). وأخذ يرجو الجميع

٤١٥ أن يتركوه داعياً كل شخص منهم باسمه، ويقول:

"توقفوا، أيها الأعزاء، يامن تهتمون بأمرى، ودعوني

أخرج بمفردى من هذه المدينة حتى أصل إلى سفن الآخيين،

وأتوسل إلى ذلك الرجل، المرعب مرتكب الأفعال الشنيعة،

فربما يستحي ويحترم شيبتي ويرثي لشيخوختي؛ فوالده بيليوس

٤٢٠ مُعمر مثلي، ذلك الذى أنجبه ورباه حتى صار وبالاً على كل

الطرواديين. ولكنه اختصنى من بين الجميع بالآلام:

فقد قضى على العديد من أبنائى، وهم فى ريعان الشباب؛

ولكن من بين كل هؤلاء لم أبك بشدة مثلاً بكيت على واحد منهم

٤٢٥ فقط، ذلك الذى سيؤدى بى حزنى عليه بشدة إلى ظلمات هاديس،

إنه هيكتور، ليته مات بين يديّ، وعندئذ كنا سنشبع بكاءً وعويلًا،

أمه تلك التى أنجبته لتعاستها، وأنا نفسى"

قال ذلك باكياً، كما كان يشاركه العديد من أبناء الشعب فى

٤٣٠ البكاء. أما هيكاى، فقد قادت وسط الطرواديات عويلاً عنيقاً قائلة:

"ولدى، أنا البائسة، كيف أعيش مع كل تلك المعاناه،

وقد فارقت الحياة. يامن كنت فخراً لى فى كل المدينة،

صباح مساء، وملاً آمناً لكل الطرواديين والطرواديات

فى المدينة، أولئك الذين كانوا يجلبونك كاله.

٤٣٥ فقد كُنْتَ بالنسبة لهم فى حياتك مجداً بالغ العظمة،

أما الآن فقد غلبك الموت والقدر"

قالت ذلك وهى تبكى. أما زوجة هيكتور فلم تك تعلم شيئاً،

ولم يذهب إليها أى رسول صادق ليخبرها بالحقيقة:

بأن زوجها كان لا يزال خارج أبواب المدينة.

(*) يقول بعض المعلقين إنها عادة شرقية للتعبير عن بالغ الحزن والأسى واليأس. (الخرر)

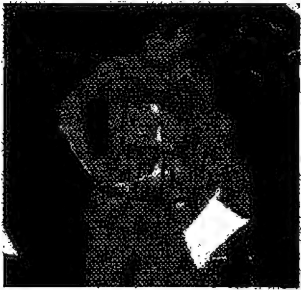
- ٤٤٠ فقد كانت تنسج على نولها داخل قصرها العالى
عباءة أرجوانية مزدوجة، تتناثر عليها الأزهار بألوانها المتعددة،
وقد استدعت وصيفاتها، بصفائهن الجميلة، إلى داخل المسكن
كى يشعلن النار أسفل المرجل الكبير ثلاثى الأرجل، حتى يتوافر
لهيكتور بعد عودته من القتال حمامات دافئة. يالها من حمقاء! فهى
لم تعرف بعد أنه أصبح بعيدا جدا عن تلك الحمامات،
٤٤٥ وأن أثينة، ذات العينين البراققتين قد صرعته بيدي أخيليوس.
والآن فقط تنامى إلى أسماعها نحيب وصراخ قادم من البرج،
فارتعدت أوصالها، وسقط من يدها مكوك النسيج على الأرض،
فعادت تخاطب وصيفاتها ذوات الصفائهن الجميلة قائلة:
- ٤٥٠ "هيا، فلتأت اثنتان منكن معى لنر ماذا حدث؛
فصوت أم زوجى الوقور يأتى من بعيد.
إن قلبى يقفز فى صدرى حتى يكاد يبلغ الحلقوم؛ كما تصلبت
ركبتاى أسفل منى؛ فهناك كرب ما قد ألم بأبناء برياموس.
ليت هذه الكلمة تكون بعيدة عن أسماعى. ولكنى أخشى بشدة أن
٤٥٥ يكون أخيليوس الإلهى قد قطع طريق العودة على هيكتور الشجاع،
وطارده وحيدا خارج أبواب المدينة إلى الوادى؛
وحطم الكبرياء المدمرة التى تتملكه.
فهو لا يرضى بالبقاء بين جمهرة الرجال،
ولكنه دائما ما كان يندفع بمفرده للأمام، ولا يستسلم لأحد بقوته"
٤٦٠ قالت ذلك، ثم اندفعت مسرعة كالمجنونة خارج مسكنها،
يكاد قلبها يقفز من مكانه؛ وقد تبعها وصيفاتها.
وعندما وصلت إلى البرج، حيث يتجمع الرجال، وقفت،
ثم أخذت تنظر من فوق الأسوار بنظرة فاحصة، فلمحته
مسحوبا أمام أسوار المدينة، تجره بلا رحمة الخيول المسرعة

- ٤٦٥ صوب سفن الأخيين المجوفة، فغشى عينيها ليل حالك السواد،
وتراجعت للخلف قليلاً، ثم خارت قواها تماماً.
وألقت من فوق رأسها زينتها اللامعة:
- الإكليل والوشاح والعصابة المجدولة والشال، الذى كانت أفروديتى
الذهبية قد أهدته إياها فى ذلك اليوم الذى قادها هيكتور، ذو
٤٧٠ الخوذة اللامعة، عروساً من منزل أبيها إيثيتيون،
وقد وهبها هدايا الزواج التى لا حصر لها.
عندئذ التف حولها، فى حشد كبير، أخوات زوجها وزوجات إخوته،
الذين أمسكوا بها، وقد بلغ بها الذهول حد الموت.
فلما استردت وعيها وعادت روحها إلى صدرها أجهشت بالبكاء،
٤٧٥ وتحدثت بين الطرواديات قائلة:
- "أى هيكتور واحسرتاه، لقد ولدنا كلانا أنا وأنت بالمصير
نفسه؛ أنت فى طروادة، فى منزل برياموس،
وأنا فى ثيبى، على سفح جبل بلاكوس، بأشجاره الكثيفة.
فى منزل إيثيتيون سييء الحظ، الذى قام بتربيتى أنا
٤٨٠ الأكثر تعاسة منذ طفولتى، فليته لم ينجبنى.
أما الآن فسوف تذهب وحدك إلى مقر هاديس فى أعماق
الأرض، وسوف تتركنى هنا فى حزن مميت،
أرملة فى قاعاتنا؛ وما زال ولدنا طفلاً.
ذلك الذى أنجبناه أنا وأنت، سيئاً الحظ؛ فلن تكون له
٤٨٥ بعد الآن ذا نفع، أى هيكتور، طالما لقيت حتفك.
كما أنه إن أفلت من حرب الأخيين المفجعة، لن يكون لك مفيداً.
إلا أنه سيعانى بعد ذلك من العذاب والألم،
حيث سيستولى الآخرون على حقوله.
ففى اليوم الذى سيصبح فيه يتيماً سيُحرّم من كل رفاقه فى اللعب،
٤٩٠ وسيمشى مطأطئ الرأس، تغمر وجنتيه الدموع،

- وبعد أن يصبح طفلاً فقيراً سيتوجه إلى رفاق والده،
يجذب هذا من عباءته والآخر من ردائه. فإذا رق قلب
أحدهما له فسيحصل منه على أقل القليل مما في الكأس،
٤٩٥ ما قد يبلى به فقط شفتيه، ولا يصل إلى حلقومه. أما ذلك الفتى
الذى مازال يعيش فى كنف والديه، فسوف يدفعه بعيداً عن المأدبة،
بعد أن يضربه بيديه، ويوبخه بكلماته اللاذعة، قائلاً:
أغرب بعيداً عن هذا المكان، فإن والدك لا يشاركنا الطعام.
فيرتد الطفل على عقبه إلى أمه الأرملة باكياً،
٥٠٠ إنه أستياناكس^(٢) ذلك الذى كان يُطعمُ من قبل
الزبد وما طاب من الطعام جالساً على ركبتي أبيه.
وكان عندما يتوقف عن لعبه، ويغط فى نومه،
يرقد فى مخدعه، بين ذراعى مربيته،
على فراشه الوثير؛ بعد أن يهدأ قلبه ويطمئن.
٥٠٥ أما الآن، وبعد أن فقد والده الحبيب، فسوف يعانى
أستياناكس، وهو الاسم الذى كان الطرواديون يدعونه به،
فقد كنت تدافع وحدك عن البوابات والأسوار العالية.
أما وقد أصبحت الآن على مقربة من السفن المعقوفة بعيداً
عن والديك فسوف يلتهمك دود الأرض المتلوى،
٥١٠ بعد أن تشبع منك الكلاب وقد رقدت جثة عارية. وفى منزلك
لا تزال ملابسك رائعة النسيج، الجميلة التى زركشتها لك
أيدى النساء. ولكن من المؤكد الآن أننى سألقى بها جميعاً فى
النار الموقدة، فلن تتفكك بعد الآن، ولن تنام بها مرة أخرى؛
ولكنها ستصبح شرفاً لك بين الطرواديين والطرواديات".
٥١٥ قالت ذلك وهى تبكى، وقد شاركتها فى البكاء كل النساء.

(٢) أستياناكس، لقب أنعم به الطرواديون على سكاماندروس بن هيكتور، تكريماً لوالده، ويعنى "سيد مدينتنا".

الكتاب الثالث والعشرون



ترجمة عادل النحاس

- هكذا كانوا سيكون في أرجاء المدينة. أما الأخيون،
فعندما وصلوا إلى سفنهم وبحر الهيليسبونطوس
تفرقوا، وذهب كل منهم إلى سفينته.
أما الميرميدونيون، فلم يتركهم أخيليوس ليتفرقوا،
ولكنه خاطب رفاقه محبى الحرب بقوله:
"أيها الميرميدونيون، ذوو الخيول السريعة،
يا رفاقي الأوفياء، دعونا لا نطلق سراح الخيول، ذات الحافر الواحد
غير المنشطر، من العربات الحربية، ودعونا نقرب قليلا بهذه الخيول
وتلك العربات الحربية، ولنبك على باتروكلوس، فهذا هو التكريم
الواجب للموتى، وبعد أن نأخذ كفايتنا من ذلك النحيب المرير
سنطلق سراح الخيول، ثم نتناول معًا طعامنا في هذا المكان جميعًا".
هكذا تحدث، وأجهشوا جميعًا ببكاء متناغم، ويقودهم أخيليوس،
ثم قاموا بالدوران باكين حول الجثمان بخيولهم ذات العرف
الجميل ثلاث مرات. وكانت ثيتيس في وسطهم تستثير رغبتهم في
البكاء. فامتزجت بدموعهم الرمال، كما ابتلت أسلحة الرجال.
لطالما أثار الذعر بين الأعداء ذلك الذى سيكونه!
ومن بينهم كان ابن بيليوس القائد في هذا النحيب العنيف؛
وبعد أن وضع يديه قاتلتى الرجال على صدر رفيقه؛ قال:
"أى باتروكلوس، تحية لك منى وأنت فى مقر هاديس،
فقد انتهيت من إنجاز كل ما وعدتك به آنفًا:
بأن أقوم بسحب جسد هيكتور فى هذا المكان، وأقدمه للكلاب
ليلتهموا لحمه نيئًا، وأن أذبح أمام محرقتك اثنى عشر رجلا
من أنبل أبناء الطرواديين^(١) وقد استشطت غضبا لموتك".

(*) كانت عادة تقديم القرابين البشرية معروفة في الأساطير الإغريقية، كما هو الحال بالنسبة للشعوب القديمة جميعًا على وجه التقريب. وامتدت هذه العادة حتى العصور التاريخية وأشير إليها في الكثير من الأعمال الأدبية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر "إفيجينيا بين التاورين" لهوريديدس. (أغرر)

وعندئذ جالت بخاطره تلك الأفعال المروعة لهيكتور الإلهي،

وقد بسط جثمانه وجعل وجهه على التراب بجوار نعش
ابن مينوبيتيوس. ألقى كل منهم بسلاحه البرونزي اللامع،
وأطلقوا سراح خيولهم، ذات الصهيل المدوى، ثم استلقى حشد
لا حصر له بالقرب من سفينة سريع القدمين (أخيليوس)،
سليل أياكوس. أما هو فقد أمر بإعداد وليمة جنازية سخية تسرية لهم.

فأخذت العديد من الثيران، ذات الجلد اللامع، تخور أثناء
نحرها بالسكين، كما بدأت العديد من الأغنام والماعز في الثغاء؛
وأعداد كبيرة من الخنازير، التي تلمع من سمنتها، بأسنانها البيضاء،
تلك التي كانت تنتشر في هذا المكان، قد وضعت جميعاً فوق
نيران هيفايستوس للشواء. لقد سال الدم بغزارة حول الجثمان
حيث سكبت الكؤوس فوقه^(٢).

في ذلك الوقت، قاد أمراء الآخيين ابن بيليوس،
السيد، سريع القدمين، صوب أجاممنون الإلهي. فبجهد جهيد
استطاعوا إقناعه بذلك، على الرغم من شدة غضبه لموت صديقه.
وعندما وصلوا إلى خيمة أجاممنون،

أصدروا أوامره في التو، إلى الخدم جهورى الصوت
أن يضعوا مرجلاً ضخماً ثلاثي الأرجل فوق النيران،
عساهم أن يتمكنوا من إقناع ابن بيليوس بالاعتسال من الدماء المتخثرة،
ولكنه أعرض عن ذلك وأقسم قائلاً:

"كلا، وحق زيوس الأعلى والأقوى من كل الآلهة،

فليس مباحاً للماء أن يقرب رأسى

(٢) ساد الاعتقاد عند الإغريق أن دم الأضحيات يقدم للموتى لتقويتهم ومساعدتهم في رحلتهم إلى العالم السفلي. وهذا ما كان سائداً حتى عند العرب القدامى قبل الإسلام، حيث كانوا يعتقدون أن الميت في قبره كان يطالب بهذه الدماء، ولا سيما إذا كان قتيلاً. وكانت الطقوس المصرية القديمة فيما يتصل بالموتى تؤدى المعنى نفسه، وهو تسهيل مهمة الرحيل إلى العالم السفلي، فيزودون الميت بكل المتطلبات. واستمرت الوجبة الإغريقية الجنائزية perideipnon في العصر الروماني بل إن مسيحي القرن الرابع الميلادي أقاموا هذه الولائم تكريماً للشهداء (القديس أوغسطين، الاعترافات (VI ii). (الخرور)

- ٤٥ قبل أن نضع باتروكلوس فوق محرقة، ونهيل عليه التراب،
ثم نحلق شعر الرأس عليه. فلن يصيب قلبي حزن آخر ،
مابقيت بين الأحياء مثلما أصابه.
ولكن دعونا الآن نمتثل لذلك الطعام غير المستحب.
في البداية، يا ملك الرجال أجاممنون، أصدر أوامرك
٥٠ بإحضار الأخشاب، وتقديم كل المتطلبات الملائمة،
التي يحملها الميت معه قبل أن يرحل إلى الظلمات السحيقة؛
لكي تأتي عليه النيران التي لا تكل
بسرعة وتختفي من أمام أعيننا، ثم يعود أفراد الجيش، كل إلى عمله"
قال ذلك، بينما كان الآخرون يستمعون إليه، وأطاعوه،
٥٥ فاستعد كل منهم بسرعة لطعامه،
ولم يك بهم ميل إلى وليمة عامة.
وعندما أشبعوا حاجتهم من الطعام والشراب،
توجه كل منهم إلى خيمته ليستريح على فراشه.
أما ابن بيليوس فقد استلقى بعيدا على شاطئ البحر بأصواته
٦٠ الهادرة، وشرع في نحيب شديد، ويحوطه حشد من الميرميدونيين.
في هذا المكان الفسيح، حيث تتلاطم الأمواج على الشاطئ،
وفي اللحظة التي غلبه فيها النعاس، مذبذبا هموم القلب،
استغرقه النوم اللذيذ إذ كانت أوصاله المجيدة قد أنهكت في مطاردته
لهيكتور حول مدينة إليوس شديدة الرياح .
٦٥ حينئذ أقبلت عليه روح باتروكلوس التعس
بكامل هيئته: قوامه، عيناه الجميلتان،
صوته الرنان، مرتديا رداءً يشبه رداءه؛
واستقام واقفا عند رأس (أخيلوس) ثم خاطبه بتلك الكلمات:
"أى أخيلوس، الآن تغط في نومك بعد أن نسيتني،

- ٧٠ بينما لم تكن تغفل عني وأنا على قيد الحياة، أما بعد موتى فقد نسيته.
إدفعني بأقصى سرعة ممكنة، حتى أعبر بوابات هاديس.
فالأرواح تدفعني بعيدا، وكذلك الأشباح؛
لا تسمح لي بالانخراط في زمرتها فيما وراء النهر،
ومازلت أهيئ عبثاً حول البوابات الواسعة لمقر هاديس.
٧٥ أمدد لي يدك الآن، أتوسل إليك، لأنى لن أعود مرة
أخرى من هاديس، بعد أن تمنحني ما يحق لي من النار؛
لن نجلس بعد الآن معاً بعيداً عن الرفاق الأعزاء،
كما كنا نفعل في حياتي، لنتبادل الرأي .
فالمصير البغيض قد فخر فاه لي، إنه المصير الذى حدد لي عند
٨٠ مولدى. وحتى أنت، أى أخيليوس، يا شبيه الآلهة، فمصيرك هو
أن تلقى حتفك تحت أسوار الطرواديين الأثرياء. والآن سوف أطلب
منك شيئاً آخر، وأستحلفك أن تحققه لي إذا اقتضت به،
وهو ألا تضع عظامي بعيدا عن عظامك، أى أخيليوس،
ولكن لتكون معاً في نفس المكان، مثلما ترعرعنا معاً في البيت نفسه،
٨٥ عندما أحضرني مينيوتيس صغيراً من أوبويس،
واقترادني إلى بيت آبائك؛ بعد أن ارتكبت جريمة قتل شنيعة.
إذ يومها، كنت قد قتلت ابن أمفيداماس، وكنت صغيراً لا أدرك
ولم أكن أرغب، ولكنه استثار غضبي بسبب اللعب بالزهر.
وهناك، تقبلني الفارس بيليوس في قصره.
٩٠ فأولانى رعايته، وجعلنى تابعا لك.
لكل هذا ينبغي أن يجمع وعاء رماد واحد بقاينا،
تلك الجرة الذهبية ذات المقبضين التى منحها لك والدتك المبجلة"
عندئذ رد عليه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:
"لماذا ياعزيزي، أتيت إلى هذا المكان،
٩٥ وتسالني أن أحقق لك كل تلك المطالب؟

- فسوف أنجز لك كل شيء، وأنفذ كل ما تأمر به.
ولكن قف هنا واقترب منى أكثر للحظات قليلة، حتى يعانق
كل منا الآخر، ونأخذ كفايتنا من النحيب المرير".
- وبعد أن قال ذلك، مد إليه يديه ليعانقه،
ولكنه لم يمسك به، فقد هبطت روحه كالدهان إلى
العالم السفلى، بهمة غير مفهومة؛ فقفر أخيليوس مذهولاً،
وضرب كفاً بكف، ثم قال كلمات مثيرة للشفقة:
- "عجباً عجباً!، ففي مقر هاديس توجد أرواح وأشباح؛
لكنها عديمة الإدراك. فقد لازمتني روح باتروكلوس المسكين،
الليل بطوله، منتحبة، ذارفة الدمع، وهى تلح أن أنفذ
رغباتها الواحدة تلو الأخرى. لقد كانت شديدة الشبه بصاحبها".
- قال ذلك، فاستثار رغبتهم جميعاً فى البكاء.
وقد لاحت فى الأفق أنوار إيوس بأصابعها الوردية مع بكائهم
على الميت المثير للشفقة، وعندئذ أرسل أجاممنون السيد
الرجال والبغال من الخيام فى كل الأنحاء لكى يأتوا بالأخشاب
وعلى رأسهم رجل قوى، ميريونيس تابع إيدومينوس، دمت الخلق.
وانطلقوا جميعاً، حاملين الفئوس فى أيديهم لتقطيع الأخشاب،
وكذا الحبال المجدولة، وتسير البغال من أمامهم.
وصعدوا وهبطوا وعرجوا وسلكوا طرقاً ملتوية،
ولكن عندما وصلوا إلى سفوح جبل إيدا كثير الينابيع،
أسرعوا فى الحال إلى تقطيع أشجار البلوط الشاهقة بفئوسهم
ذات النصل البرونزى الطويل، فسقطت محدثة دويماً هائلاً.
عندئذ قام الآخيون بشطرها،
وربطوها خلف البغال التى ضربت الأرض بأقدامها،
سعيًا للوصول، عبر الغابات الكثيفة، إلى الوادى.

- وهكذا حمل كل قاطعي الأخشاب معهم كتلا من الأخشاب
 مثلما أمرهم ميريونيس، تابع إيدومينيوس، دمث الخلق.
 ١٢٥ ثم ألقوا بها على الشاطئ وأحداً بعد الآخر، حيث خطط أخيليوس
 لإقامة كومة دفن عالية لباتروكلوس، ولنفسه أيضاً.
 وبعد أن ألقوا بأعداد لا حصر لها من الأخشاب في هذا المكان،
 جلسوا في أماكنهم وانتظروا جميعاً، حتى أعطى أخيليوس
 أوامره للميرميدونيين محبي القتال بأن يربطوا حول أجسادهم أسلحتهم
 البرونزية في الحال، وأن يشد كل منهم خيله إلى نير عربته الحربية.
 ١٣٠ فنهضوا جميعاً وحملوا أسلحتهم،
 ثم صعد مقاتلو العربات الحربية، وكذلك سائقوها، كل إلى عربته.
 الفرسان في المقدمة، يتبعهم أعداد لا حصر لها من جند المشاة.
 وفي الوسط، كان الرفاق يحملون باتروكلوس، وقد غطوا الجثمان
 ١٣٥ كاملاً بخصلات من شعر رأسهم حيث كانوا قد قصوها
 وألقوها عليه، ومن الخلف أمسك أخيليوس الإلهي برأسه،
 وهو في شدة الأسى، فقد كان يشيع صديقه الذي لا نظير
 له إلى هاديس. وعندما بلغوا ذلك المكان، الذي حدده أخيليوس،
 وضعوه على الأرض، ثم أقاموا بسرعة كومة من الأخشاب الكثيفة.
 ١٤٠ عندئذ طرأت أمور أخرى في ذهن أخيليوس الإلهي، سريع القدمين:
 فابتعد عن المحرقة، وقص خصلات شعره الأشقر،
 الذي كان قد تركه ينمو كاملاً، كي يقدمه قرباناً لنهر سبرخيوس^(*)،
 ثم قال بأسى وهو ينظر إلى البحر، القاتم مثل لون النبيذ:
 "أى سبرخيوس، لقد نذر إليك والدي بيليوس من قبل سدى،
 ١٤٥ أنه عندما أعود، إلى أرض الوطن الحبيبة، فسوف أقص شعر رأسي
 من أجلك أنت، وأن أقدم لك القربان الكبير (مائة رأس) وأن يقدم

(*) نهر في ثيساليا موطن أخيليوس.

- لك في نفس المكان خمسين كبشاً قريباً ذكوراً لا تشوبها شائبة
في ينابيعك، حيث معبدك ومذبحك برائحتهما الفواحة.
هكذا كان قد نذر الشيخ الأشيب، ولكنك لم تنجز رغبته.
أما الآن، فلأنى لن أعود ثانية إلى أرض الوطن الحبيبة،
فسأهب خصلات شعري إلى باتروكلوس البطل لترحل معه".
قال ذلك، ثم وضع خصلات شعره في يدي صديقه الحبيب،
مما استثار رغبة الآخرين في البكاء الشديد،
وكان ضوء الشمس سيهبط ببكائهم، لو لم يسرع
أخيليوس بالاقتراب من أجاممنون، قائلاً:
"يا ابن أتريوس، لأن جيش الآخيين لا يطيع أحداً مثلاً
ينصاع لكلماتك، فلهم أن ينالوا كفايتهم من البكاء،
أما الآن فأبعدهم عن المحرقة، ودعهم يعدون طعامهم.
أما في كل ما يتعلق بالميت فسنعنتي نحن به جيداً،
فنحن الأقرب والأعز، وليبق معنا القادة"
وعندما استمع أجاممنون، ملك الرجال، إلى هذا الحديث،
صرف الجنود في الحال إلى السفن سلسلة الانقياد، فيما عدا القائمين
على المراسم الجنائزية، فلم يبرحوا المكان وشرعوا في تكريم
الأخشاب حتى شيدوا محرقة ضخمة، قوامها مائة قدم من الاتجاهين،
ثم وضعوا الجثمان، وقلوبهم تدمى، على قمة المحرقة^(*).
ثم قاموا بسلخ العديد من الخراف السمينة، والأبقار
معقوفة القرون، بطيئة الحركة، أمام المحرقة وأعدوها.
ومنها جميعاً جمع أخيليوس عالى الهمة الدهن ثم غطى به الجثمان

(*) يكتب هذا الوصف الهوميروى محرقة باتروكلوس أهمية خاصة باعتباره أول وصف أدبي يصلنا لحرق الميت المكرم. وسجد أصداء واسعة له عند الكثيرين من الأدباء الإغريق والرومان قارن على سبيل المثال هيرودوتوس (62 IV). ونهاية "بنات تراخيوس" لسوفوكليس و"هرقل فوق جبل أويتا" لسينيك، كما أن عملية تأليه الأباطرة الرومان بعد حرقهم تواصل نفس التقاليد الموروثة راجع:

- من الرأس حتى القدمين، ثم أحاطه بالحيوانات التي تم سلخها؛
 ١٧٠ ثم وضع قدرين مملوئين بالعسل والزيت وقد أسندهما على النعش،
 ثم ألقى بسرعة في المحرقة بأربعة من الخيول، ذات الأعناق المشرببة.
 بينما كان يجهش بالبكاء المريع. وكان للأمير
 (أخيليوس وباتروكلوس) تسعة كلاب تربض بالقرب من المائدة،
 فألقى في المحرقة باثنين منها بعد أن دق عنقهما. كما ألقى باثني
 ١٧٥ عشر من أنبل أبناء الطرواديين البواسل، بعد أن ذبحهم بسيفه
 البرونزي. فقد كانت فكرة الانتقام الشنيع هي ما تشغل فؤاده.
 ثم أشعل في الكومة قوة النار التي لا تكل لتلتهم كل شيء.
 ثم صرخ باكيا، ومناديا صديقه الحبيب بالاسم، قائلاً:
 "أي باتروكلوس، تحية لك مني وأنت في منازل هاديس،
 ١٨٠ لقد نفذت كل ما سبق أن وعدتك به:
 فهؤلاء اثنا عشر من أنبل أبناء الطرواديين الشجعان
 تلتهم النار أجسادهم جميعا مع جسدك. أما هيكتور
 بن برياموس فلن أسلمه طعاما للنار، بل للكلاب".
 قال ذلك متوعدا، غير أن الكلاب لم تقرب جسد (هيكتور)،
 ١٨٥ فقد أبعدت أفروديتي ابنة زيوس الكلاب عنه، ليل نهار،
 بل ودهنته بالزيت المعطر برائحة الورد الأمبروسي (الخالد)،
 حتى لا يتسلخ جلده، أثناء سحبه هنا وهناك.
 ومن فوقه أتى أبوللون (فويبوس) الوضاء بسحابة سوداء،
 تمتد من السماء إلى الوادي لتغطي كل المكان،
 ١٩٠ حيث الجثمان، كي لا تجفف لسعة الشمس الساطعة
 الجلد بكامله، فيما بين الأوتار وسائر الأعضاء.
 ولكن النار لم تشب في محرقة باتروكلوس الميت بسرعة.
 وعندئذ طرأت على ذهن أخيليوس، سريع القدمين، أفكار أخرى؛

- فابتعد قليلاً عن المحرقة، وأخذ يبتهل للرياح: بورياس (رياح الشمال)
 ١٩٥ وزيفيروس (الرياح الغربية)، ووعدهما بقرابين طيبة؛
 وبحماس بالغ سكب السكائب من كأسه الذهبي، وتوسل
 إليهما أن يحضرا، حتى يتم بسرعة حرق جثث الموتى بالنار،
 بعد أن تبدأ الأخشاب فى الاشتعال. وفى التو سمعت
 إيريس هذا الرجاء، فانطلقت تحمل الرسالة للرياح،
 ٢٠٠ فوجدتها مجتمعة على مأدبة زيفيروس، شديد العصف، داخل منزله،
 فتوقفت إيريس عن الاندفاع عندما اقتربت من المدخل الحجرى؛
 وعندما شاهدها (بورياس وزيفيروس) بعينيهما،
 هبا مسرعين، ودعاها كل منهما إلى جواره،
 غير أنها رفضت الجلوس، وخاطبتهما قائلة:
 ٢٠٥ "لا جلوس لى، إذ على أن أعود إلى جداول أوكيانوس،
 فى أرض الأثيوبيين، حيث يقدمون أضحيات ضخمة للخالدين،
 وحتى أستطيع أنا أيضا الحصول على نصيبى من هذه القرابين.
 ولكن أخيليوس يبتهل لحضور بورياس وكذلك زيفيروس
 العاصف، ووعد بقرابين طيبة، حتى تشعلوا نيران المحرقة،
 ٢١٠ حيث يرقد باتروكلوس، الذى يبكيه كل الآخين".
- هكذا تحدثت، وولت مدبرة؛ فهبا معا
 محدثين دويا شديدا، فدفعا أمامهما السحاب،
 ووصلا بسرعة إلى البحر فنفخا فيه، فهاجت الأمواج
 ٢١٥ تحت صرير الرياح، حتى بلغا طروادة الخصبة.
 وما إن هبطا على المحرقة، حتى اندلعت النيران وتصاعد زئيرها.
 وظلت الرياح طوال الليل تضرب لهيب المحرقة بهبات عنيفة
 محدثة صغيرا شديدا. وظل أخيليوس السريع طوال الليل،
 ممسكا بكأس ذات مقبضين، يملؤها بالنبيذ من

- ٢٢٠ الطاس الذهبى، ثم يسكبها على الأرض فتمتصها فى الحال؛
مستدعيًا روح باتروكلوس البائس.
- ومثلما يحزن الوالد عندما يحرق عظام ولده حديث الزواج،
الذى أدت وفاته إلى إصابة والديه البائسين بالكرب العظيم،
هكذا كان حزن أخيلئوس عندما حرق عظام صديقه، فقد كان
يخطو خطوات ثقيلة حول المحرقة، ويبكى بلا انقطاع. وفى الوقت
الذى كانت نجمة الصباح تتابع دورتها كى تبعث الضوء فوق
الأرض؛ ثم تبعها الفجر بردائه الزعفرانى المنتشر فوق البحر،
فى ذلك الوقت بدأت نيران المحرقة تخبو شيئًا فشيئًا حتى
خمدت جذوتها. عندئذ عادت الرياح أدراجها مرة أخرى حتى
بلغت مستقرها، فى البحر الطراقي، الذى زار موجه وازداد هياجه.
وعندئذ انسحب ابن بيليوس بعيدا عن المحرقة،
وقد أرقه التعب، ثم غلبه نوم هادئ. ولكن ابن أتريوس
وأتباعه كانوا يحتشدون، فأيقظ أخيلئوس تصايحهم وجلبة قدومهم،
فنهض من مرقده واستوى جالسًا، ثم تحدث إليهم قائلاً:
- ٢٣٥ "يا ابن أتريوس، يا قادة كل الأخيين الآخرين،
أطفئوا أولا نيران تلك المحرقة بنبيذكم الأحمر،
حتى يخمد أوارها المتوهج؛ وبعد ذلك
لنجمع عظام باتروكلوس بن مينيوتئوس،
بعد أن نميزه جيدا، ومن السهل التعرف عليه
فهو ممدد فى وسط المحرقة، أما الآخرون
فقد احترقت أجسادهم عند الأطراف، الرجال والخيول مختلطين،
أما عظامه هو فلنلفها بطبقتين من الدهن، ثم نضعها فى جرة ذهبية،
حتى يحين أجلى وأغيب أنا نفسى فى هاديس.
- ٢٤٥ أما كومة الدفن (لباتروكلوس) فأسألكم ألا تكون هائلة، ولكن،
بما يتناسب مع حجمه، على أن تشيدوها، أيها الأخيون، فيما بعد

فسيحة ومرتفعة، أنتم يا من ستبقون من بعدى
فى السفن كثيرة المجاديف"

قال ذلك، فأذعنوا جميعاً لما أمر به ابن بيليوس، سريع القدمين،

٢٥٠ فأطفأوا فى البداية نيران تلك المحرقة بالنبيذ الأحمر
فى كل موضع بلغت النيران، حتى استقر الرماد فى العمق،
ثم بدأوا يجمعون، وهم يبكون، تلك العظام البيضاء للصيد
المحبوب فى جرة ذهبية بعد أن لفوها بطبقتين من الدهن.

ثم وضعوها فى الخيمة بعد تغطيتها بقطعة من الكتان الناعم.

٢٥٥ وبعد ذلك رسموا دائرة القبر وأحاطوا القاعدة
بالأحجار، وأمالوا عليها التراب. فلما ارتفعت كومة الدفن،
عادوا إلى مقرهم . أما أخيليوس

فقد استبقى أفراد الجيش هناك، وأمرهم بالجلوس على مدى فسيح؛
ثم أحضر من سفنه العديد من الجوائز: مراجل،

٢٦٠ وأوانى ثلاثية الأرجل؛ خيول، وبغال، وثيران قوية؛
ونساء جميلة القد، وقطع من الحديد الرمادى.

فى البداية حدد (أخيليوس) جوائز رائعة لسائقى العربات الحربية

السريعة؛ فiaخذ الفائز الأول امرأة لا نظير لها فى براعة الأشغال
اليديوية، وإناء ثلاثى الأرجل بمقبضين، يتسع لاثنتين وعشرين معياراً.

٢٦٥ كما حدد للفائز الثانى فرسة، عمرها ست سنوات،
ولم تروض بعد وتحمل فى أحشائها مهراً صغيراً.

ثم حدد للفائز الثالث مرآة استحمام جميلة جداً لم تمسه النار،
فهو أبيض ناصع لونه، يتسع لأربعة معايير.

وللفائز الرابع حدد متقال تالنتين ذهبيين.

٢٧٠ أما الخامس فقد حدد له وعاءاً ذا مقبضين، لم تمسه النار من قبل.
بعد ذلك هب واقفاً، وألقى كلمة فى الأرجيين قائلاً:

- "يا ابن أترئوس، يا كل الآخيين الآخرين المتسلحين
بدروعهم الجيدة، ها هي جوائز سائقي العربات الحربية. تُعرض
أمامكم في أرض السباق، ولو كان الآخيون يتسابقون الآن تكريماً
لشخص آخر (غير باتروكلوس)، لكنك قد حصلت على الجائزة
الأولى وحملتها إلى خيمتي، فأنت تعلمون إلى أي مدى تتفوق
خيولي في السرعة، فهي خيول خالدة، كان الإله بوسيدون قد أهداها
إلى والدي بيليوس، الذي أهداها بدوره لي.
ولكني سأبقى أنا وخيولي الأصلية ذات الحافر الواحد
لأنها فقدت سائقها القوى والمجيد واللطيف
الذي طالما دهن خصلات عرقها
بزيت الزيتون، بعد أن يكون قد غسله بالماء الرائق.
إنها تقف الآن بلا حراك، حزناً عليه وتلامس خصلات
عرقها الأرض، إنها تقف ويعتصر الأسى قلوبها.
أما أنتم يارجال كل الحشد تأهبوا، وكذا أي فرد من الآخيين يثق في
خيوله وعربته المربوطة خلفها".
- هكذا تحدث ابن بيليوس، فتجمع سائقو العربات المشهورون
بسرعتهم. نهض يوميلوس الأول بمراحل كثيرة، ملك الرجال
الابن العزيز لأدميتوس، الذي يفوق الجميع في الفروسية، يثق في
حصانه وفي متانة عربته. ثم تبعه ابن تيديوس، ديوميديس شديد البأس،
وقد سرج في عربته خيول طروس، التي كان قد استولى عليها
عنوة من آينياس الذي أنقذه أبوللون حينذاك من الأسر^(*).
ثم نهض ابن أترئوس، مينيلائوس الأشقر،
سليل زيوس، وقد سرج في عربته حصانين سريعين :
آيشي الشقراء مهرة أجامنون، وبودارجوس حصانه هو.

(*) راجع الكتاب الخامس بيت ٣٢٣ و ٣٣٤. (الغرر)

وكان إخيولوس بن أنخيسيس قد أهدى آيثى لأجاممنون،
حتى لا يتبعه إلى مدينة إليوس، كثرة الرياح العاصفة،
بل ولكي يبقيه حيا مستمتعاً بحياته في منزله؛ فقد منحه زيوس
ثراءً فاحشاً حيث يقيم في مدينة سيكيون الفسيحة^(*). وقد وضع
مينيلاؤس آيثى تحت النير، إذ كانت متلهفة على خوض السباق. ٣٠٠

أما الرابع فكان أنتيلوخوس الذي أعد خيوله ذات العرف الجميل،
وهو الابن المرموق لنيستور، الملك ذى الروح السامية
ابن نيلئوس. أما خيوله سريعة الأقدام التى تجر العربى فقد ولدت
فى بيلوس. وقف والده (نيستور) إلى جواره وأسدى له نصائحه النافعة،
رجل حكيم ينصح من يدرك جيداً ما يسمع. قال: ٣٠٥

"أى أنتيلوخوس، إنك حقاً فى ريعان الشباب، وقد أحبك
زيوس وبوسيدون، وعلماك كل فنون الفروسية،
ولذلك فلسـت فى حاجة لأن أعلمك الكثير.
فأنت تعرف جيداً كيف تستدير حول علامة النهاية؛ ولكن خيولك
هى الأبطأ فى السباق، ولذلك أعتقد أن الحزن سيصيبك.
لأن خيول الآخرين هى الأسرع؛ ولكن فرسانها أنفسهم
لا يفوقونك فى المهارة، ولا يعرفون أكثر مما تعرف أنت.
هيا إذن يا عزيزى، وفكر فى كل أساليب حسن التصرف.
حتى لا تفلت كل هذه الجوائز من بين يديك.

٣١٥
فبالفن والمهارة، لا بالقوة الجبارة، يتفوق قاطع الأخشاب.
بالفن والمهارة يسيطر الربان على السفينة المسرعة،
فى بحر قائم اللون كالنبيذ، بينما تتقاذفها الرياح.
بالفن والمهارة يتخطى سائق العربى الحربية سائقاً آخر؛
أما ذلك الذى يثق فى خيوله وفى عربته،

(*) تقع سيكيون فى سهل فيما بين خليج كورنثة ومرتفعات البلوبونيسوس. راجع Pausanisa iii 41-6. (الخور)

- ٣٢٠ ويقوم بالاستدارة دون حذر، تارة هنا وتارة هناك، فإن خيوله
ستحيد عن الطريق، ولن يستطيع أن يكبح جماحها. وأما من هو
على دراية كافية بكل تلك الأمور، حتى وإن كان يسوق خيولاً أقل
فإنه يثبت ناظريه على الهدف، ويستدير بالقرب منه،
ومن البداية يشدد قبضته على اللجام المصنوع من جلد البقر،
ويظل على ذلك وعينه تراقب من يسبقه. سأريك الآن علامة النهاية
الواضحة، والتي لا ينبغي أن تغيب عن ناظريك،
فهناك قطعة من الخشب الجاف، منتصبة بارتفاع طولها فوق الأرض،
وهي من شجر البلوط أو الصنوبر، لم تتحلل بعد بفعل الأمطار،
تستند من الجانبين بقطعتين من الأحجار البيضاء،
عند ملتقى طريقين، وحولها ينبسط مضمار السباق سلساً.
٣٣٠ وهي إما شاهد قبر لشخص قد مات منذ زمن بعيد،
وإما نقطة النهاية والاستدارة لسباقات الأقدمين،
وقد حددها الآن أخيليوس الإلهي، سريع القدمين علامة .
وعليك أن تقود العربة وخيولك بالقرب منها، النهاية والاستدارة.
٣٣٥ وعليك أن تميل داخل عربتك المزركشة
إلى اليسار قليلاً، ثم تنخس الحصان الأيمن،
منادياً عليه بصيحتك، ثم تطلق له العنان قليلاً من يديك.
أما الحصان الأيسر فلتجعله يمر على مقربة من نقطة النهاية،
حتى يبدو لك أن الجزء البارز من العجلة جيدة الصنع كاد
يلامس سطح الأحجار، على أن تتحاشى ملامستها فعلاً،
٣٤٠ فقد يؤدي ذلك إلى إصابة الخيول، وتحطيم العربة؛
وهو ما يسعد الآخرون، ويخزيك أنت نفسك.
ولذلك فينبغي عليك، يا عزيزي، أن تكون حكيماً وحذراً،
لأنك إذا ما تجاوزت نقطة النهاية والاستدارة وسبقت الآخرين على
مضمار السباق، فلن يلحق بك أحد ممن يسرعون فجأة ولن يتخطاك،
٣٤٥

- حتى ولو كان ممتطيا أريون^(*) الإلهي،
حصان أدراستوس السريع، التي تنحدر سلالته من الآلهة،
أو خيول لاؤميدون الرائعة، التي ترعرعت في هذا المكان^(**).
- وما أن أنهى نيسطور بن نيلوس حديثه حتى أسرع
بالجلوس في مكانه، بعد أن أفصى لابنه بخلصة كل شيء. ٣٥٠
- أما الخامس فكان ميريونيس الذي أعد خيوله ذات العرف الجميل.
وعندئذ صعدوا إلى عرباتهم، وضربوا القرعة وهز أخيلوس
الخوذة (التي بها شقافات القرعة)، فقفزت من بينها شقافة ابن نيسطور،
أنتيلوخوس؛ ومن بعده وقعت القرعة على يوميلوس السيد؛
ومن خلفه ابن أتريوس، مينيلأوس ذائع الصيت برمحه. ٣٥٥
- ومن بعده وقعت القرعة على ميريونيس بدوره في السباق،
وفي النهاية جاء دور ابن تيديوس، وهو الأقوى بكثير، للمشاركة في
السباق بعربته. وعندئذ وقفوا جميعاً جنباً إلى جنب في صف واحد، وقد
بيّن لهم أخيلوس نقطة النهاية والاستدارة. على مبعدة في الساحة
الممهدة؛ وبجوارها وضع من يراقب السباق وهو فوينيكس، ٣٦٠
- شبيه الآلهة، وتابع والده، حتى يقرر الحقيقة.
- لوح الجميع بسياطهم عالياً للخيول،
ثم ضربوها باللجام، منادين عليها بصيحة عالية لتحميسها،
فانطلقت مسرعة، عبر الوادي،
بعيدا عن السفن، فتصاعدت الأتربة ووقفت تحت صدورها. ٣٦٥
- فيما يشبه السحابة أو العاصفة،
كما تماوجت بشدة خصلات عرفها، بفعل الرياح.
أحياناً كانت العربات تتحرك على الأرض الخصبة،

(*) كان للحصان آريون في الأساطير الإغريقية صوت إنسان، وهو الذي حمل أدراستوس آمناً من ساحة الوغى،
راجع Pausanias IV 291. (المحرر)

(**) قارن وصف سباق العربات في مسرحية "إليكترا" لسوفوكليس أبيات ٧٠٩ وما يليه. (المحرر)

- وأحياناً أخرى كانت تندفع حتى كادت تسبح في الهواء. أما سائقوها
 ٣٧٠ فقد ظلوا واقفين في عرباتهم، يخفق قلب كل واحد منهم بشدة؛
 رغبة في الفوز؛ ولذلك كان كل واحد منهم يصيح عاليًا محفزًا خيوله
 فتقفز عاليًا في المضمار مثيرة عاصفة من التراب.
 وعندما في النهاية دارت الخيول السريعة دورتها الأخيرة،
 وارتدت عائدة صوب البحر الهائج، عندئذ ظهرت مهارة كل منهم،
 ٣٧٥ وبدأت الخيول في الركض بأقصى سرعتها، وفي التو
 تقدمت خيول (يوميلوس) سليل فيريس السريعة،
 ثم تبعتها خيول ديوميديس التي رباها طروس، كاملة الذكورة،
 ولم تكن بعيدة عنها بمسافة كبيرة، ولكنها كانت على مقربة منها،
 كما لو كانت على وشك أن تتخطى العربة التي تسبقها،
 ٣٨٠ حتى إن حرارة صهيلها كانت تلهب مؤخرة يوميلوس وكتفيه
 العريضين من الخلف؛ فقد كانت تقفز ورءوسها ملاصقة له،
 وكادت تتخطاه، أو تجعل فوزه غير مؤكد. لولا أن الإله
 أبوللون (فوبوس) الوضاء كان غاضباً من (ديوميديس) بن تيديوس،
 فأسقط السوط اللامع من بين يديه.
 ٣٨٥ عندئذ تساقطت الدموع من عيني (ديوميديس) من شدة تأثره،
 فقد رأى الخيول الأخرى تتقدم للأمام بسرعة مبتعدة عنه،
 بينما تتخلف خيوله؛ حيث كانت تتباطأ بلا مهماز.
 بيد أنه لم يفت أثينة خداع أبوللون
 لابن تيديوس، فأسرعت تعدو خلف راعي الشعب،
 ٣٩٠ وأعادت إليه السوط، بل وبثت الحماس في خيوله،
 ثم صبت جام غضبها على (يوميلوس) بن أدميئوس،
 فحطمت الإلهة نير الخيول؛ وعندئذ فرت الخيول بعيداً عن المضمار
 هنا وهناك، حتى تحطم محور العربة وسقط على الأرض.
 أما هو نفسه (يوميلوس) فقد سقط بعيداً عن العربة، بالقرب من

- ٣٩٥ عجلاتها. وقد تمزق جلد مرفقه وفمه وأنفه كاملا،
كما شجت جبهته من فوق حاجبيه؛ فاغرورقت عيناه
بالدموع، كما احتبس صوته الرنان. انحرف عندئذ ابن تيديوس
بعربته قليلا حتى أحكم سيطرته على خيوله ذات الحافر الواحد،
وتقدم للأمام متخطيا الآخرين. فقد ألهبت أثينة
الحماس في خيوله؛ أما هو فمنحته المجد.
٤٠٠ ومن خلفه كان ابن أتريوس، مينيلائوس الأشقر.
وعندئذ صرخ أنتيلوخوس في خيول والده قائلاً:
"تقدما أنتما أيضا إلى الأمام بأقصى سرعة،
فأنا لا أطلب منكما التنافس مع
٤٠٥ خيول ابن تيديوس البارِع، فقد منحته أثينة
السرعة كما منحه المجد، فلتلحقا إذن بخيول
ابن أتريوس بسرعة، ولا تتركها تفلت منكما
حتى لا تصب عليكم أي شيء كل اللوم
وهي ليست إلا مُهرة. لماذا سبقكما الآخرون وأنتما الأفضل؟
٤١٠ وسوف أصارحكما القول بما سيحدث لكما بعدئذ،
فلن يوليكم نيسطور راعي الشعوب عنايته،
وسوف يقتلكما في الحال بسيفه البرونزي البتار،
إذا حصلنا على جائزة أدنى مرتبة، بسبب تقصيركما،
فإلى الأمام إذن ولتدفعاً بأقصى سرعة لتلحقا بهم،
٤١٥ وسوف أتدبر بنفسى ذلك الأمر، وسأمعن النظر
في اجتياز ذلك الممر الضيق لنسبق الآخرين، ولن أغفل عن ذلك أبداً"
هكذا تحدث، فارتعدت فرائصها خوفا من توبيخ مليكها
وزادت من سرعتها لبعض الوقت، وعندئذ
شاهد أنتيلوخوس الباسل في القتال موضعاً ضيقاً في الممر المحفور

- ٤٢٠ وهو شرخ في الأرض كانت مياه الأمطار الشتوية تتجمع فيه،
مما أدى إلى تحطم جزء من الطريق، حيث هبطت هذه البقعة بأكملها.
أسرع مينيلأوس في ذلك المكان محاولاً تفادي تصادم العربات.
أما أنتيلوخوس فقد انحرف قليلاً مبتعداً عن الطريق محكماً سيطرته
على خيوله ذات الحافر الواحد، ثم عاد مرة أخرى إلى الطريق بعربته
وأخذ يلاحق (مينيلأوس) حتى سارا جنباً إلى جنب.
وعندئذ ارتعدت فرائص ابن أترئوس، وصاح في أنتيلوخوس قائلاً:

٤٢٥ "أى أنتيلوخوس، إنك تقود الخيول بتهور، وينبغي أن
تشكم خيولك في الحال لأن الممر ضيق؛ ويمكنك التخطي بعد
ذلك حيث سيكون الطريق أكثر اتساعاً، فربما نتعرض كلانا
للإصابة نتيجة التصادم بعربتي".

- هكذا تحدث إليه، أما أنتيلوخوس فقد استمر في القيادة
بأقصى سرعة، دافعا الخيول بالمهماز، وكأنه لا يسمع شيئاً.
٤٣٠ ومثلما يطير القرص، الذي يُقذفه من أعلى الكتف شاب يختبر قوته،
هكذا كانت قوة اندفاع خيوله، مما أدى إلى تخلف خيول
ابن أترئوس، فقد توقف هو نفسه وبقصد عن دفعها
خوفاً من أن تتصادم بالخيول ذات الحافر الواحد في الممر،
٤٣٥ مما قد يؤدي إلى انقلاب العربتين المزركشتين، ويقع صاحباها
على التراب بسبب جموح الرغبة في الفوز.
وعندئذ وبخه مينيلأوس الأشقر، قائلاً:

- "أنتيلوخوس، لا يوجد بين البشر من هو أسوأ منك.
٤٤٠ أغرب عن وجهي إذن! لقد كنا نحن الآخرين حمقى حين
زعمنا أنك حكيم، ولكنك لن تنال الجائزة دون قسم (*)".

(*) في أبيات ٥٨١ - ٥٨٥ يطلب مينيلأوس من أنتيلوخوس القسم بأنه لم يكن يبيت مكيدة ما أو شراً أثناء
السباق. (الخرور)

قال له ذلك، ثم صاح فى خيوله قائلاً:

"لا تبطنوا فى سرعتكم، إياكم أن تتوقفوا برغم حزنكم، فسوف
تلتحق بالحصانين الآخرين عندما تصاب أرجلها ومفاصلهما بالإجهاد
والتعب أكثر مما يصيبكم، فقد أصابتها الشيوخة".

٤٤٥

قال ذلك، فارتعدت فرائصها خوفاً من صياح مليكها،
وزادت من سرعتها، وبعد فترة وجيزة لحقت بالأخرى.

فى تلك الأثناء، كان الأرجيون الجالسون فى مكان السباق
يحملقون فى الخيول وهى تركض فى غمار عاصفة من التراب.

٤٥٠

وكان إيدومينيوس، قائد الكريتيين، أول من يتعرف على تلك

الخيول؛ فقد كان يجلس بعيداً فى مكان مرتفع يطل على المنطقة

بأسرها، وعندما سمع صوت الصائح. وعلى الرغم من بعد المسافة،

إلا أنه تعرف عليه، وأدرك بوضوح ذلك الحصان الذى تجاوز الجميع.

٤٥٥

كستنائى اللون، فى جبهته علامة بيضاء مستديرة كالبدر.

وعندئذ نهض واقفاً وتوجه بحديثه للأرجيين قائلاً:

"أيها الأعزاء، ياسادة الأرجيين وقادتهم،

هل أرى وحدى تلك الخيول، أم أنكم ترونها أيضاً؟

خيول أخرى تبدو لى فى المقدمة، وسائق آخر أيضاً

٤٦٠

هو الذى يظهر الآن، وتلك الخيول التى كانت فى المقدمة

قد أصيبت وتخلفت فى المضمار، بعد أن كانت هى الأفضل.

لقد شاهدتها فى المركز الأول وهى تستدير حول نقطة النهاية.

أما الآن فلا أستطيع أن أراها هناك. تدور عيناى

فى كل مكان من الوادى لتراها؛

٤٦٥

فربما سقط اللجام من يدي سائقها، ولم يستطع أن يتشبث به

جيداً عند استدارته حول نقطة النهاية فلم يفلح فى الدوران.

وأظنه قد سقط فى هذا المكان، بل وتحطمت عربته أيضاً.

أما الخيول فقد انحرفت عن المضمار من شدة ذعرها.

ولكن قفوا جميعا ولتنتظروا أنتم، فأنا لم أعد

أميز جيدا ما أراه، يبدو أنه أيتولى السلالة، وهو ملك الأرجيين الآن،
٤٧٠ إنه ديوميديس القوى، ابن تيديوس مروض الخيول".

عندئذ عنفه أياس السريع ابن أويليوس بشدة قائلا:

"أى إيدومينيوس، لماذا تتحدث كثيرا، وبتعجل؟ فتلك الخيول

السريعة مازالت هناك بعيداً، تركض فى الوادى الفسيح،
٤٧٥

فلا أنت أصغر الأرجيين سناً، ولا أحدهم بصراً،

إنك تثرثر دائماً بصوت عال، غير أنه لا يليق بك أن تكون ثرثاراً،

عالى الصوت، فهناك من هم أفضل منك. أما بالنسبة

للخيول فمازالت فى المقدمة، تلك التى كانت فى المقدمة من قبل،
٤٨٠

وهى خيول يوميلوس، الذى يقف فى عربته ممسكا بلجامها".

فرد عليه قائد الكريتيين، وقد استبد به الغضب، قائلا:

"أى أياس، الأبرع فى الإهانات، الأحق فى رأى،

والأسوأ فى كل شىء بين الأرجيين، ولك عقل عنيد.

٤٨٥ هيا إذن نراهن على موقد ثلاثى الأرجل أو رجل،

ولنحتكم لدى ابن أتريوس، أجاممنون، على

أى الخيول سيكون فى المقدمة، وستعلم بعد أن تدفع الرهان".

قال ذلك، وعندئذ نهض فى الحال أياس السريع، ابن أويليوس،

غاضباً ليرد عليه بكلمات حادة لاذعة ؛

٤٩٠ وكاد الشجار بينهما أن يستمر

لولا تدخل أخيليوس بنفسه بينهما إذ قال:

"لم يعد هناك مجال بعد ذلك لتبادل الكلمات اللاذعة

والبيذية، أى أياس وإيدومينيوس، كما أنه لا يليق بكما ذلك،

بل وكان الأجدر بكما أن تغضبا من أى شخص يفعل ذلك.

- ٤٩٥ فلتشاهدا معا تلك الخيول التى فى المضممار، وأنتما جالسان؛
بينما ستسرع هى بالحضور ساعية للفوز،
وعندئذ سيتعرف كل منكما على خيول
الأرجيين، وأى منها فى المرتبة الثانية، وأى منها فى المقدمة"
هكذا تحدث. أما ابن تيديوس فقد استمر فى تقدمه،
٥٠٠ وفى اقترابه منهم؛ حيث كان يقود عربته ضاربا خيوله
بالسوط بلا انقطاع، فكانت تقفز عاليا ناهية الطريق بأقصى سرعتها.
بينما تنهال ذرات التراب الكثيفة دائما على سائق العربة. أما عربته،
المكسوة بالذهب والقصدير، فكانت تندفع خلف الخيول سريعة الأقدام،
٥٠٥ حتى إن إطارات العجلات لم تكن تترك علامات فى التراب.
وفى النهاية توقف فى منتصف الدائرة، وقد تساقط العرق
الغزير على الأرض من رقاب الخيول وصدورها،
ثم قفز من العربة اللامعة على الأرض،
٥١٠ وأسند سوطه فوق النير. وعندئذ لم يتوان
ستينيلوس القوى، ولكنه أسرع للحصول على الجائزة،
وسلم لرفاقه النبلاء المرأة ليأخذوها معهم، وكذا الإناء
ثلاثى الأرجل، ذى المقبضين. ثم قام بفك الخيول من نير العربة.
ومن بعده وصل أنتيلوخوس سليل نيلیوس وهو يقود خيوله،
٥١٥ بعدما تخطى مينيلأوس بالخدعة وليس بالسرعة.
بيد أن مينيلأوس قاد خيوله المسرعة خلفه مباشرة.
على مسافة كتلك التى بين الجواد والعربة التى يجرها،
الجواد الذى يجز العربة بصاحبها عبر الوادى فيركض ركضاً
حيث تكاد أطراف شعر ذيل الجواد أن تلامس العجلة؛
٥٢٠ لأن العجلة كانت تجرى خلفها مباشرة
ولم يترك سوى مسافة ضئيلة. وهكذا كان مينيلأوس
خلف أنتيلوخوس الذى لا نظير له.

- ففى البداية كان يبتعد عنه بمسافة تعادل رمية قرص،
غير أنه استطاع اللحاق به بعد ذلك بسرعة، بعدما ألهب حماس
٥٢٥ آيثى، فرسة أجاممنون، ذات العرف الجميل.
ولو طال السباق بينهما قليلاً لكان من المؤكد
أن يسبقه مينيلائوس ولما ترك النتيجة غير حاسمة.
ولكن ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
جاء بعد مينيلائوس، ذائع الصيت، بمسافة تعادل رمية رمح.
٥٣٠ فقد كانت خيوله، ذات العرف الجميل، هى الأبطأ ؛
وكان ميريونيس نفسه الأقل مهارة فى قيادة العربة فى السباق.
وفى النهاية وصل ابن أدميتوس، متخلفاً عن الآخرين،
وكان يجر عربته الجميلة، ويقود خيوله أمامه.
وعندما رآه أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، أشفق عليه،
٥٣٥ فقام يخطب فى الأرجيين، بكلمات مجنحة قائلاً:
"لقد قاد أفضل الرجال خيوله ذات الحافر الواحد، وكان ترتيبه
الأخير؛ فهيا إذن، ولنقدم له جائزة تتناسب مع مهارته،
وهى جائزة المرتبة الثانية. أما الأولى فليحصل عليها ابن تيديوس".
قال ذلك، فأبدى الجميع موافقتهم على ما عرضه عليهم،
٥٤٠ وكادوا أن يقدموا له الحصان، حيث وافق الآخيون على ذلك
فيما عدا أنتيلوخوس بن نيسطور، سامى الروح،
الذى نهض ورد على أخيليوس بن بيليوس مطالباً بحقه قائلاً:
"أى أخيليوس، سأغضب منك بشدة إذا ما نفذت
كلمتك هذه، لأنك ستتزعج بذلك الجائزة منى،
٥٤٥ زاعماً أن الأذى قد أصاب عربته وحصانيه السريعين،
بينما هو نفسه شخص متميز؛ ولكن كان ينبغى عليه أن يضرع
للآلهة الخالدين، عندئذ ما كان آخر من وصل فى السباق.

أما إذا أشفقت عليه، وكان عزيزاً على قلبك،
فبداخل خيمتك الكثير من الذهب والكثير من البرونز،
والأغنام؛ لديك أيضاً السبايا والخيول ذات الحافر المتين،
وما عليك إلا أن تأخذ من بين كل ذلك جائزة كبرى وتمنحه إياها
الآن وفي التو، وسوف يوافقك الآخيون على ذلك.
أما جائزتي هذه فلن أعطيها لك؛ ودعه يلمسها من يرغب
في منازلتي بالقتال"

قال ذلك، فابتسم أخيليوس الإلهي، سريع القدمين،
مسروراً بأنتيلوخوس، رفيقه العزيز، ثم رد بكلمات مجنحة قائلاً:
"أى أنتيلوخوس، أما وقد طلبت منى أن أمنح من
منزلي هدية أخرى ليوميلوس، فسوف أفعل،
وسأقدم له درع الصدر الذي انتزعته من أستيروبايوس،
وهو مصنوع من البرونز، ومقوى من حافته
بقصدير لامع. وسيكون بالنسبة له ذا قيمة كبيرة"

قال ذلك، ثم طلب من رفيقه العزيز أوتوميدون
أن يأتي بالدرع من خيمته، فأسرع وأحضره،
ثم وضعه بين يدي يوميلوس، فتقبله بفرح شديد.
وعندئذ نهض مينيلائوس من بينهم حزينا،
وهو في شدة الغضب من أنتيلوخوس؛ وقد وضع
الخدام الصولجان في يده، ثم طلب من الأرجيين الصمت.
حينئذ خاطبهم ذلك الرجل، شبيه الآلهة، قائلاً:

"أى أنتيلوخوس، يامن كنت معروفاً من قبل بفطنتك، ما هذا
الذي فعلت! لقد أسأت إلى سمعتي ومهارتي، كما أسأت إلى خيولي
عندما دفعت أمامها بخيولك التي كانت الأسوأ منها بكثير.
ولكن هيا إذن، بإقادة الأرجيين وسادتهم،

ولتحكموا بيننا بالعدل، دون أدنى تحيز لأى منا نحن الاثنين،

حتى لا يقول أحد من الآخيين، لابسى البرونز فيما بعد: ٥٧٥

لقد فاز مينيلأوس بأكاذيبه على أنتيلوخوس،

وغادر بعد أن حصل منه على الحصان، لأن خيول (مينيلأوس) كانت

الأسوأ بكثير، أما هو نفسه فهو الأفضل دائماً فى المهارة وفى القوة.

ولكن دعونى، أنا بنفسى أعلن الحكم الصحيح، وأنا على يقين

أنه لن يعارضنى أحد من الدانائيين، لأن حكمى سيكون حكماً عادلاً، ٥٨٠

تعال هنا إذن، أى أنتيلوخوس، ياربيب زيوس - كما جرت العادة،

ولتقف أمام خيولك وعربتك، ثم أمسك فى يدك بهذا السوط

اللدن، الذى كنت تستخدمه من قبل فى قيادة عربتك،

ثم وأنت تلامس خيولك بيديك، أقسم بمن يمسك بالأرض

ويزلزلها، بأنك لم تعتمد إلى تعطيل عربتى بالخداع". ٥٨٥

وعندئذ أجابه المعروف بفطنته قائلاً:

"فلتوقف الآن. فأنا أصغر منك سناً،

أيها الملك مينيلأوس، أما أنت فأكبر سناً وأكثر تفوقاً؛

ولكنك على دراية تامة بطبيعة التجاوزات التى يقدم عليها أى شاب،

فهو متعجل فى تفكيره، ضيق الأفق فى إدراكه. ٥٩٠

ولذا فليكن قلبك صبوراً؛ أما تلك المهرة التى فزت بها

سأقدمها لك بنفسى، بل وإن رغبت

فى شىء أكبر من ذلك من مقتنياتى، فسوف أقدمها لك فى الحال.

وإلا، ياربيب زيوس، فلتخرجنى من قلبك

على الدوام، فأصبح عاصياً للآلهة". ٥٩٥

قال ذلك، ثم توجه ابن نيسطور، سامى الروح، بالمهرة

ووضعها بين يدى مينيلأوس، فانفض قلبه -

مثلاً يحدث عندما تتساقط قطرات الندى على بذور القمح،

- وهي تنمو، فشقت الأرض ببطء وربت وامتلت الحقول بالحفيف.
- ٦٠٠ هكذا كان حالك يا مينيلائوس، فقد انتفض قلبك سروراً في صدرك. وعندئذ خاطبه (مينيلائوس) بكلمات مجنحة، وقال:
- "أى أنتيلوخوس، الآن فقط سوف أكبح جماح غضبي، لأنك لم تكن من قبل طائشاً أو متهوراً، أما الآن فقد تغلبت رعونة الشباب على راحة عقلك، عليك أن تتحاشى خداع أولئك الأفضل منك ثانياً، ولم يكن ليشينى أى شخص آخر من الأخيين عن رأى بهذه السرعة. ولكنك قد عانيت أنت أيضاً كثيراً، كما أجهدت نفسك كثيراً من أجلى^(*)، أنت ووالدك الطيب، وأخوك^(**).
- ولذلك فسوف أقبل رجاءك، وأقدم لك تلك المهرة، على الرغم من أنها قد أصبحت لى، حتى يدرك هؤلاء القوم أننى لست متعجرفاً، أو متبلد الحس".
- ٦١٠ قال ذلك، ثم قدم لنوثيمون رفيق أنتيلوخوس المهرة ليقتادها، ثم احتفظ لنفسه بالمرجل اللامع.
- أما ميريونيس فقد فاز بتالنتين ذهبيين، حيث وصل فى المرتبة الرابعة. أما الجائزة الخامسة فلم يحصل عليها
- ٦١٥ أحد، وهى كأس ذو مقبضين وهنا حمله أخيليوس وسط جموع الأرجيين، ثم اقترب من نيسطور، وأهداه إليه قائلاً:
- "الآن هو لك، أيها الشيخ الكبير، فلتحتفظ به تذكراً من دفن باتروكلوس، لأنك لن تراه بعد الآن بين الأرجيين، ولذلك فأنا أمنحك هذه الجائزة، وأيضا لأنك لن تشارك فى الملاكمة، ولا المصارعة، كما أنك لن تشارك فى منافسات الرمي بالرمح، أو الجرى بالأقدام

(*) يعنى مجيئهم إلى طروادة لاسترداد هيلين. (الحرر)

(**) يعنى ثراسيميديس. (الحرر)

فقد أنقذت كاهلك الشيخوخة"

قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، أما هو فقد قبله فرحاً،
ثم خاطب (أخيليوس) بكلمات مجنحة، قائلاً:

٦٢٥

"حقاً، يابنى. إنك على صواب فى كل ما قلت،

فلم تعد لى، يا عزيزى، أطراف قوية، أى القدمان، ولم يعد
الذراعان يتحركان بخفة من الكتفين فى هذا الاتجاه أو ذاك.
ليتنى كنت شاباً، أو أملك تلك القوة الجبارة،

٦٣٠

التي كانت لى عندما وارى الإيبليون ملكهم أمارينكيوس التراب
فى بوبراسيون. وقد رصد أبناء الملك العديد من الجوائز.

فى ذلك الحين لم يكن هناك من يماثلنى من الرجال، لا من الإيبين،
أو من أهل بيلوس أنفسهم، أو من الأيتوليين الطيبين.

ففى الملائكة تغلبت على كليتوميديس بن إنوبس؛ وفى المصارعة على
أنكاوس من بليورون (فى أيتوليا) الذى واجهنى.

٦٣٥

أما فى الجرى فقد تخطيت إفيكلوس الذى كان سريعاً،
وفى رمى الرمح تفوقت على فيليوس، وأيضاً على بوليدوروس.

ولكن فقط فى سباق العربات تخطانى ابنا أكتور، حيث بفضل كثرة
عددهم^(*)، دفعوا خيولهم إلى الأمام وقد ركبهم الطمع فى الفوز.

٦٤٠

حيث خصصت الجوائز الكبرى لهذا السباق.

كانا توأماً يقود أحدهما الخيول بثبات،

أما الآخر فكان يأمرها بالإسراع مستخدماً السوط.

هكذا كنت ذات يوم. أما الآن فليواجه الأصغر سنّاً مثل هذه الأعمال.

وبالنسبة لى فيجب على الإذعان لشيخوختى الثقيلة.

(*) واجه الشراح مشكلات جمة فى تفسير هذه الفقرة. ويقول فقيه الإسكندرية أريستارخوس إن ابني أكتور استغلا طبيعة شكلهما الخلقية المركبة، إذ كان لهما جسد برأسين وأربعة أذرع وأربعة أرجل. وتم تجاهل اعتراض نيستور فى السباق على ذلك، وبعض الشراح الآخرين يقدمون تفسيرات أخرى منها:

١- أن ابني أكتور أدخلوا إلى المضمار أكثر من عربة فعضلا طريق المتسابقين الآخرين.
٢- أن غالبية الحكمين انحازوا لهما منذ البداية. (المحرر)

- ٦٤٥ مع أننى كنت فى الأيام الخوالى مرموقاً بين الأبطال.
أما أنت، فاذهب الآن و كرمْ مثنوى صديقك بإقامة المسابقات الرياضية.
وأقبل هذا الكأس بكل ترحاب، فمما يسعد قلبى
أنك دائماً ما تتذكرنى بمودة. ولم تنس
أن تقدم لى التكريم الذى يتناسب مع مكانتى بين الآخرين،
ولتكافئك الآلهة فى مقابل ذلك بما يرضى قلبك"
- ٦٥٠ وعندما انتهى من حديثه غادر ابن بيليوس المكان عبر جموع
الآخيين، بعدما استمع إلى ذلك المديح من (نيسطور) بن نيليوس.
وعندئذ عرض جوائز مسابقة الملائكة المؤلمة:
فأحضر بغلاً قوياً، ثم قيده فى مكان الحشد، له من العمر ست سنوات،
لم يتم ترويضه بعد؛ حيث كان من العناد بما يصعب
ترويضه. ثم حدد للمهزوم كأساً ذا مقبضين.
وعندئذ وقف (أخيليوس) وخطب الأرجيين قائلاً:
"يا ابن أترىوس، وكل الآخيين الآخرين المسلحين جيداً بالدروع
فلنطلب من رجلين من أفضل رجالنا
أن يرفعا أيديهما ويتلاكما. ولمن سيمنحه أبوللون
قوة تحمل كبيرة، وهو ما يشهد به كل الآخيين،
فليقتاد هذا البغل القوى ويعود به إلى خيمته.
أما المهزوم فسوف يحمل معه ذلك الكأس ذا المقبضين".
- ٦٦٠ وعندما انتهى من حديثه، نهض رجل قوى، ضخم البنيان،
على دراية تامة بالملائكة، وهو إيبوس بن بانوبيوس،
ووضع يده على البغل القوى، ثم قال:
"فليقترب إذن ذلك الذى سيفوز بجائزة الكأس ذا المقبضين.
وأما البغل فلن يحصل عليه شخص غيرى من الآخيين،
بعد الفوز فى مسابقة الملائكة. فأنا أباهى بأنى الأفضل فيها.

- ٦٧٠ ألا يكفي أنى أقل كفاءة فى القتال؟ وبالطبع لا يمكن
لامرئ أن يتفوق فى كل ما يقوم به من أعمال.
سأشرح لكم بوضوح كيف ستسير الأمور:
سأمزق لحم غريمى وأسحق عظامه،
ولينتظره هنا كل رفاقه المقربون مجتمعين،
ليحملوه مقهورا بهاتين القبضتين".

٦٧٥

- هكذا تحدث، بينما لاذ الجميع بالصمت،
وعندئذ نهض لمواجهة يورئالوس، شبيه الآلهة،
ابن الملك ميكيستيوس بن تالاؤس،
الذى ذهب ذات مرة إلى مدينة طيبة عند مواراة أويديبوس (أوديب)
فى قبره. وتغلب فى ذلك الحين على كل أبناء كادموس. وقد أبدى
٦٨٠ (ديوميديس) ابن تيديوس، ذائع الصيت فى استخدام الرمح، تأييده له،
وبث فى نفسه كلمات حماسية، مع أطيح تمنياته له بالفوز.
فى البداية ألبسه حزاما، ثم قدم له بعد ذلك سيورا جميلة
القطع من جلد ذلك البقر الذى يعيش فى المزرعة. وبعد أن ارتدى
كل منهما حزامه، تقدما معا إلى منتصف ساحة المباراة.
٦٨٥

٦٨٥

- وفى وقت واحد، رفع كل منهما يديه القويتين فى مواجهة الآخر،
ثم اندفع كل منهما نحو منافسه، وتشابكت أيديهما القوية، ثم تلاحت
الضربات القوية على فكيهما، ودوى اصطكاك الأسنان، وتساقط العرق
الغزير من جسديهما فى كل مكان. وعندئذ تحمس إيبوس الإلهى
ثم لكمه فى فكه بقوة، زاغت عيناه، ولم يستطع الوقوف على قدميه
لمدة طويلة، فقد تفككت مفاصل قدميه المجيدة وخر

٦٩٠

- على الأرض، كالسمكة التى تقفز عاليا مع الرياح الشمالية (بورياس)
صوب الشاطئ الممتلىء بالطحالب البحرية، فتغطيها موجة قاتمة.
هكذا قفز (يورئالوس) عاليا عندما لكمه، غير أن إيبوس، ذو
القلب الكبير، أمسكه بيديه، ثم أوقفه على قدميه، وعندئذ التف حوله

٦٩٥

رفاقه الأعضاء، ثم حملوه بعيداً عن الساحة التي يحتشدون حولها،
 بقدميه المتناقلتين على الأرض،
 وقد نزع دماً غزيراً، أما رأسه فكانت تميل في هذا الاتجاه وذلك.
 وبعد أن حملوه، ثم أجلسوه وسطهم، فاقداً وعيه،
 أسرعوا بإحضار الكأس ذا المقبضين التي فاز بها.

وبعد ذلك عرض ابن بيليوس بسرعة جوائز أخرى للمسابقة
 الثالثة، وهي خاصة بالمصارعة المنهكة، وأظهرها للدانائيين:
 يحصل الفائز على وعاء ثلاثي الأرجل يوضع فوق النيران،
 يُقدر الآخيون قيمته فيما بينهم باثني عشر ثوراً.
 أما المهزوم فقد وضع له امرأة في وسط المكان، وهي على دراية
 تامة بالعديد من الأعمال اليدوية الدقيقة، وتقدر قيمتها بأربعة ثيران.
 وبعد ذلك وقف (أخيلئوس) ليخاطب الأرجيين قائلاً:

"فلينهض كل من يرغب منكم في المشاركة في هذه المباراة".

قال ذلك، فنهض أياس العظيم بن تيلامون،
 ثم تبعه أوديسيوس، كثير الدهاء، والخبير بكل ألوان الحيل.
 وبعد أن ارتديا حزاميهما، تقدما إلى منتصف ساحة المباراة،
 ثم أمسك كل منهما بالآخر، وتشابكت أيديهما القوية،
 كالعوارض الخشبية المائلة التي يقوم بربطها أحد الفنيين ذائع الصيت،
 في سقف المنزل الشاهق، كي يستطيع مقاومة الرياح العاتية.
 فارتفع صرير ظهورهم من قوة يديهما، حيث

ضغط كل منهما على الآخر بشدة، ففاض العرق أنهاراً،
 وبدأت آثار الضربات تظهر على الأجانب وفوق الأكتاف
 بلون الدم الأحمر. بيد أنهما استمرا في النزال
 رغبة منهما في الفوز بالوعاء ثلاثي الأرجل جيد الصنع.
 ورغم ذلك فلم يستطع أوديسيوس أن يلقي به أو أن يطرحه أرضاً،

٧٢٠ كما لم يستطع أياس أيضاً، فأوديسيوس القوى يمتلك قوة هائلة.
ولكن عندما تسرب نفاذ الصبر إلى الأخيين، المسلحين بدروع جيدة،
حينئذ خاطبه أياس العظيم، بن تيلامون، قائلاً:

"ياربيب زيوس، يا ابن لائيرتيس، أوديسيوس واسع الحيلة، إما أن
ترفعني لأعلى، وإما أن أرفعك أنا، وكل الأمور ستعود لإرادة زيوس"

٧٢٥ قال ذلك، ثم حاول أن يحمله لأعلى، غير أن أوديسيوس لم
ينس حيله، وضربه في التجويف خلف ركبته، فنجح في ذلك واختل
توازن (أياس) فسقط على ظهره؛ وجثم أوديسيوس على صدره. وكان
أفراد الجيش في ذلك الحين ينظرون إليه بإعجاب وتقدير شديدين،
ثم حاول أوديسيوس الإلهي، قوى التحمل، أن يرفعه إلى أعلى بدوره،
ورفعه قليلاً عن الأرض ولكنه لم يستطع رفعه تماماً،

٧٣٠ والتفت ركبته بركبة أياس، وعندئذ سقطا معا على الأرض،
كل منهما بجوار الآخر، يغمرهما التراب،
ثم حاولا النهوض مرة ثالثة لمواصلة النزال،
لو لم يمنعهما أخيليوس بنفسه قائلاً:

٧٣٥ "لا تتصارعا أكثر من ذلك، ولا تهلكا نفسيكما،
فالنصر حليفكما معاً، وسوف تحصلان على جائزتين متساويتين،
انصرفا إذن، وليتنافس رجال آخرون من الأخيين".

هكذا قال، فاستمعا لقوله وأطاعا أمره،

فأزال كل منهما التراب عن جسده، ثم ارتديا عباءتيهما.

٧٤٠ بعد ذلك عرض ابن بيليوس جوائز أخرى لمسابقة سرعة الجري،
وهي وعاء من الفضة لمزج النبيذ بالماء، فخم في زخرفته، ويتسع لستة
معايير، وعاء ليس له مثيل في كل أرجاء الأرض من حيث الجمال،

- فقد صنعه أهل صيدا(*) المهرة بدقة فائقة،
 ثم حمّله الفينيقيون معهم عبر البحر المظلم بالسحب الكثيفة،
 وبمجرد أن وصلوا إلى الميناء، قاموا بإهدائه إلى ثواس،
 ٧٤٥ ثم منحه بعد ذلك إيونيوس بن ياسون (حفيد ثواس)
 للبطل باتروكلوس فدية ليكاؤن بن برياموس.
 والآن رصده أخيليوس جائزة لتكريم صديقه،
 للأكثر خفة والأكثر سرعة في الجرى بقدميه.
 ٧٥٠ وللفائز الثاني عرض ثورا ضخما ممثلاً بالشحم.
 أما الفائز الأخير فقد وضع له نصف تالنت من الذهب.
 وعندئذ شب (أخيليوس) واقفاً، ليخاطب الأرجيين قائلاً:
 "فلتنهضوا، يامن ترغبون في المشاركة في هذا السباق".
 قال ذلك، فنهض في الحال ابن أوليوس، أياس السريع،
 ٧٥٥ ثم تبعه أوديسيوس، واسع الحيلة؛ ثم ابن نيسطور،
 أنتيلوخوس؛ فقد تفوق من قبل على كل الشباب في الجرى بقدميه.
 وقف الجميع على خط واحد، وقد بيّن لهم أخيليوس نقطة
 النهاية والاستدارة. وحدد لهم طريق العودة منها، فلما انطلقوا
 بعد برهة أصبح ابن أوليوس في المقدمة بسرعة، وقد تبعه أوديسيوس
 ٧٦٠ الإلهي، وأصبح على مقربة منه، كاقتراب عصا الغزل من
 صدر امرأة ذات حزام جميل، عندما تمسكها جيداً بيدها وهي تشد
 خيط الغزل عبر السداة ببراعة،
 تمسك العصا على مقربة من صدرها. هكذا كان أوديسيوس يعدو في
 إثره؛ حتى إنه قد وطأ بقدميه آثار قدميه، قبل أن يغطيها الغبار المثار،
 بل ودائماً ما كان أوديسيوس الإلهي ينفث أنفاسه فوق رأسه،
 ٧٦٥

(*) من الواضح أن الفينيقيين قد انتشروا في البحر المتوسط كله بما في ذلك بحر إيجه، وعرف عبر تلك المناطق أن أهل صيدا هم أمهر الصناع وأبرعهم.. واشتهرت أعماهم. ومن الملاحظ أن هومروس في هذا السياق يميز مهارة أهل صيدا الصناعية عن شهرة التجارة الفينيقية بصفة عامة، وراجع المقدمة. (الخرور)

وهو يسرع الخطى رغبة منه فى الفوز . ولذلك صاح
كل الآخيين بقوة لتشجيعه وحثه على الإسراع بأذلاً أقصى جهده.
ولكن عندما وصل المتسابقون إلى الجزء الأخير فى السباق، توجه
أوديسيوس فى الحال بالدعاء من كل قلبه للإلهة أثينة،
ذات العينين الزرقاوين وقال:

٧٧٠

"أيتها الإلهة، استجيبى لدعائى، وكونى خير معين لقدمى"

قال ذلك متضرعاً، فاستجابت له الإلهة أثينة باللاس،
وبثت فى أعضائه الخفة والرشاقة، من قدميه حتى أعلى ذراعيه.
وبينما كانوا على وشك الانطلاق للحصول على الجائزة زلت قدما
أياس وهو يجرى، وانكب على وجهه - فقد أعاقته الإلهة أثينة

٧٧٥

فى ذلك المكان حيث تتأثر روث الثيران التى

ذبحها أخيلئوس سريع القدمين وهى تخور بشدة، من أجل باتروكلوس.
وبروث الثيران هذا امتلاً فم وأنف (أياس).

وهكذا حصل أوديسيوس الإلهى، كثير التحمل، على الوعاء
ورفعه عالياً؛ فقد وصل قبلهم جميعاً، أما أياس المجيد فقد حصل

٧٨٠

على الثور، وقد نهض ممسكاً بيديه قرن الثور ربيب الحقول،
باصفاً الروث من فمه وخاطب الأرجيين قائلاً:

"واحسرتاه، لقد عرقلت الإلهة قدمى، تلك التى كانت من قبل
وعلى الدوام بمثابة الأم لأوديسيوس، تسانده وتعينه".

قال ذلك، فضحك الجميع فى سرور.

٧٨٥

وحصل أنتيلوخوس مرة أخرى على جائزة المركز الأخير،
فابتسم، ثم تحدث إلى الأرجيين قائلاً:

"أيها الأعزاء، دعونى أخبركم بشئ، أنتم جميعاً على دراية به،
فحتى الآن تبجل الآلهة الخالدة كبار السن من البشر؛ فأياك أكبر
منى سناً بقليل، أما هذا (أوديسيوس) فهو من الجيل السابق

٧٩٠ من البشر الأقدمين. إنه الكهل اليافع كما يقولون، ومن الصعب على
أى من الآخرين أن يجاريه فى العدو بالقدمين، فيما عدا أخيليوس".

قال ذلك، ممجداً ابن بيليوس، سريع القدمين.

وعندئذ أجابه أخيليوس مخاطباً إياه بهذه الكلمات:

٧٩٥ "أى أنتيلوخوس، إن هذا المديح المستطاب لن يذهب سدى،
وسوف أزيدك نصف نالنت آخر من الذهب".
قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، فتقبله فرحاً.

بعد ذلك أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل

ووضعه فى مضمار السباق، كما أحضر درعاً وخوذة؛

٨٠٠ وهى أسلحة سارييدون^(*) التى كان باتروكلوس قد غنمها منه،
ثم هب واقفاً وخاطب الأرجيين قائلاً:

"فلنستدعى محاربين من بينكم، على أن يكونا الأفضل،

لنسلحهما بأسلحتهما وبالبرونز الحاد قاطع اللحم،

وليتبارزا فيما بينهما أمام هذا الحشد الكبير،

٨٠٥ ومن يسبق منهما الآخر فى إصابة لحم الآخر الرقيق،

أو يلامس الأجزاء الداخلية، مخترقاً الدروع، ومسياً دماً داكنا،

فله سأقدم هذا السيف الطراقى الجميل،

المزخرف بالفضة، والذى انتزعته من أستىروبايوس.

أما تلك الأسلحة التى أمامكم فليتقاسمها الاثنان معاً،

٨١٠ كما سنجيز لهما وليمة طيبة فى خيامنا".

قال ذلك، فهض أياس العظيم، بن تيلامون،

كما نهض أيضاً ابن تيديوس، ديوميديس العتيد،

وبعد أن تسليح كل منهما على جانبى الحشد،

والتقيا فى منتصف الساحة، وهما يتلفهان للمبارزة،

(*) راجع الكتاب السادس عشر آيات ٦٦٣-٦٦٥. (المحرر)

- يرمق كل منهما الآخر بنظرات حادة ؛ وغلبت الدهشة كافة الأخيين. ٨١٥
وعندما اقتربا وتقدم كل منهما إلى الآخر،
هاجم كل منهما الآخر ثلاث مرات، واصطدما ثلاث مرات،
عندئذ أصاب أياس درع (ديوميديس) شديد التوازن من كل جانب،
ولكنه لم يصل إلى جسده، فقد حماه واقى الصدر.
أما ابن تيديوس فقد حاول مرارا أن يصل بحد حربته البراقة، ٨٢٠
إلى عنقه فوق الدرع الكبير
فانتاب الأخيين شعور مريع بالخوف على أياس،
وطالبوهما بالتوقف عن النزال على أن ينالا جوائز متساوية.
ولكن البطل (أخيليوس) منح ابن تيديوس السيف الكبير
بغمده، كما منحه الحزام الجلدى الخاص به، والمصنوع بمهارة. ٨٢٥
بعد ذلك أحضر ابن بيليوس كتلة من الحديد الخام،
كان إئييتيون اعتاد أن يقذفها فيما مضى.
ولكن بعد أن قتله أخيليوس الإلهى، سريع القدمين،
حملها معه إلى سفينته، مع ممتلكاته الأخرى.
وعندئذ هب (أخيليوس) واقفا، ثم خاطب الأرجيين قائلا: ٨٣٠
"فلتتهضوا يامن ترغبون فى المشاركة فى هذه المسابقة،
فمن كانت له حقول خصبة هناك بعيدا عن المدينة،
فستكون له كفايته من الحديد على مدار خمسة أعوام،
ولن تكون به حاجة إلى أن يذهب راعى أغنامه أو القائم على محراثه ٨٣٥
إلى المدينة. فهذا الحديد يسد حاجته"
فلما قال ذلك نهض بوليبيوتيس شديد البأس فى القتال، ثم
ليونتيوس القوى، شبيه الآلهة، ثم أياس بن تيلامون، ثم إيبوس الإلهى.
وقفوا جميعا فى صف واحد، وحينئذ أمسك إيبوس الإلهى بكتلة الحديد.
وبعدما أدارها فى يده، قذفها بعيدا ؛ فضحك الأخيون جميعا. ٨٤٠

- ثم تبعه ليونتيوس، تابع آريس، وألقى بها.
أما الثالث فكان أياس العظيم، بن تيلامون، الذى قذف بها أيضا
بيده القوية، فتخطى كل العلامات.
وعندئذ أمسك بوليبيوتيس شديد البأس فى القتال بكتلة الحديد،
وبمقدار ما يقذف راعى البقر بعصاه فتطير فوق قطيع الأبقار،
تخطت رميته كل المضمار، فصاح الجميع مهللين.
ونهمز أتباع بوليبيوتيس القوى،
وحملوا جائزة ملكهم إلى السفن المجوفة.
- ٨٤٥ ومرة أخرى وضع (أخيليوس) جائزة من الحديد لرماة السهام:
عشر بلطات ذوات الحدين، وعشر أخرى ذوات الحد الواحد.
ثم ثبت بعيداً فى الرمال صارياً لسفينة سوداء المقدمة، وبخيوط رفيعة
ربط فيه حمامة رعاشة، ثم طلب منهم التصويب عليها قائلاً:
٨٥٥ "من ينجح فى إصابة تلك الحمامة الرعاشة فسوف يحصل
على كل البلطات هذه ذات الحدين، ويحملها معه إلى منزله.
أما من ينجح فى إصابة الخيط ويخطئ الطائر، سيكون الأقل
نجاحاً فى التصويب، وسيحمل معه البلطات ذات الحد الواحد".
قال ذلك، فنهض الملك تيوكروس القوى،
ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس.
٨٦٠ وعندئذ وضع كل منهما شقافة القرعة فى خوذة برونزية، ثم قاموا
بهزها، فوقعت القرعة على تيوكروس ليبدأ فى التصويب.
وفى الحال أطلق سهماً بقوة، وفاته أن ينذر بتقديم أضحية
كبيرة من الأغنام صغيرة السن للإله (أبوللون).
٨٦٥ ولشدة غضب الإله أبوللون منه، فقد جعله يخطئ الطائر؛
ولكنه نجح فى إصابة الخيط، على مقربة من قدم الطائر المربوط.
وهكذا فقد مزق السهم الحاد الخيط،

- وعندئذ انطلق الطائر إلى عنان السماء، بينما سقط
الخيوط على الأرض، فأطلق الآخيون صيحاتهم المدوية.
- ٨٧٠ ولكن ميريونيس اختطف على الفور القوس من يد تيوكروس،
وكان قد أعد السهم سلفاً، بينما كان تيوكروس يقوم بالتصويب.
وبسرعة نذر للإله أبوللون، رامى السهم عن بُعد،
أن يقدم له أضحية كبيرة من الأغنام صغيرة السن.
وفى الفضاء شاهد الحمامة الرعاشة أسفل السحب؛
٨٧٥ وبينما كانت تطير في دائرة، نجح في إصابتها
في المنتصف تحت جناحها، فاخترقها السهم حتى الجانب الآخر،
فهبطت إلى الأرض فوراً أمام قدمي ميريونيس.
انتفضت الحمامة فوق الصاري المأخوذ من سفينة سوداء المقدمة.
فتدلى عنقها، ثم هوت وجناحها ينتفضان بشدة، ففرقت روحها
٨٨٠ بسرعة مبتعدة عن جسدها، وحطت بعيداً عن الصاري.
وكان أفراد الجيش يحملقون فيما يحدث وهم في دهشة.
وحمل ميريونيس كل البلطات العشر ذات الحدين،
بينما حمل تيوكروس معه إلى السفن المجوفة العشر ذات الحد الواحد.
ومرة أخرى أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل ،
٨٨٥ كما أحضر أيضاً مرجلاً كبيراً لم تمسه النار بعد مزيئاً بالزهور،
وتقدر قيمته بثمن ثور، ووضعها في أرض السباق. وعندئذ نهض رماة
الرماح: فنهض ابن أترىوس، أجاممنون ذو الممتلكات الشاسعة.
ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
وعندئذ وجه أخيليوس الإلهي سريع القدمين، حديثه لهما قائلاً:
٨٩٠ "يا ابن أترىوس، لأننا نعلم أنك تفوق الجميع،
وأنك الأفضل في القوة، وفي دقة تصويب الرماح،
فلتعد إذن إلى سفنك المجوفة حاملاً معك هذه الجائزة.

أما الرمح فلنقدمه هدية إلى البطل ميريونيس، وليتها تكون تلك
أيضاً هي رغبتك ومن أعماق قلبك، واستسمحك في ذلك"

٨٩٥

قال ذلك، فلم يعترض أجامنون، ملك الرجال،

وعندئذ قدم الرمح البرونزي إلى ميريونيس. أما البطل

٨٩٧

(أجاممنون) فقد أعطى الجائزة الجميلة إلى تابعه تالشيبيوس.

الكتاب الرابع والعشرون



ترجمة عادل النحاس

- انفض الجمع، وتفرق الحشد، وذهب كل منهم
إلى سفينته السريعة. وانصب اهتمامهم جميعا
على الاستمتاع بالطعام، وبالنوم الهانئ. أما أخيليوس
فقد تذكر صديقه الحميم، ثم شرع فى البكاء، وقد جافاه النوم
الذى يغلب بسلطانه الجميع؛ كان يتقلب على جانبيه هنا وهناك،
وهو فى شدة الشوق لبطولة باتروكلوس وبسالته.
فكم من مهمة شاقة أنجزاها معا، وكم من كرب كابدها معا،
بخوض الحروب الضارية، وتخطى الأمواج العاتية.
هذا ما كان يجول بخاطره وجعله يذرف الدمع الغزير،
بينما كان يتقلب فى مضجعه على جانبه تارة، وعلى ظهره تارة،
ثم وهو منكب على وجهه تارة أخرى. وعندئذ نهض واقفا
وأخذ يهيم على وجهه بالقرب من شاطئ البحر، وما كان ليفوته
أن يلاحظ تسلل ضوء الفجر فوق البحر وعلى الشاطئ.
فسرج خيوله السريعة فى العربة الحربية،
ثم قام بربط جثمان هيكتور خلف العربة، وبدأ فى سحبه على الأرض.
وبعد أن سحبه مرات ثلاث حول مدفن ابن مينيوتيس.
توقف وعاد مرة أخرى إلى خيمته. وقد ترك جثمان هيكتور
ممدداً على وجهه فى التراب. فى تلك الأثناء كان أبوللون
يحفظ الجثمان من أية تشوهات قد تلحق به، فقد كان يرثى لحاله
فى مماته، فكان يغطى كل جسده بدرعه الذهبى،
حتى لا يتمزق جلده أثناء سحبه على الأرض.
وهكذا كان (أخيليوس) من شدة غضبه، يسىء معاملة هيكتور
الإلهى. أما (هيكتور) فكانت الآلهة المباركة ترثى لحاله عندما
تراه فى هذه الحالة؛ ولذلك فقد طلبوا من (هرميس) أرجيفونتيس
حاد البصر، أن يسرق جثة هيكتور،
الأمر الذى نال استحسان كل الآلهة الآخرين، فيما عدا الإلهة هيرا،

- والإله بوسيدون، وأيضا العذراء ذات العينين الزرقاوين (أثينة)؛
 فلم تتغير كراهيتهن، منذ البداية، لمدينة إليوس المقدسة،
 وأيضا لبرياموس وشعبه؛ بسبب كراهيتهن لابنه ألكسندروس،
 الذى حَقَّرَ الإلهات عندما وصلن إلى حظيرته،
 ٣٠ ورجح كفة تلك التى غدت الرغبة المحمومة لديه^(*). ولكن، منذ
 ذلك الحين (منذ قتل هيكتور)، وفى فجر اليوم الثانى عشر،
 خاطب الإله أبوللون فوبيوس الوضاء الآلهة الخالدين قائلاً:
 "أيها الآلهة، إنكم بلا رحمة، مدمرون،
 ألم يحرق لكم هيكتور أفخاذ ثيرانٍ وماعز لا عيب فيها قربانا،
 ٣٥ والآن، وبعد أن أصبح جثة هامة، فلا تفعلون شيئاً لتعود سالمة
 لزوجته لتراه، ولو الدتة ولابنه، وأيضا لو والده برياموس، بل ولشعبه،
 الذين سيسرعون بإحراقه فى النار، ثم دفنه بكل تقدير.
 ولكنكم، أيها الآلهة، تفضلون مساعدة أخيليوس المدمر،
 ٤٠ الذى لا يملك عقلاً راجحاً أو نفساً متسامحة
 داخل صدره. لقد أصبح فى شراسته كالأسد
 الذى يعتمد على قوته الجبارة ونفسه المختالة،
 فينقض على قطعان البشر ليتغذى.
 هكذا فقد أخيليوس إحساسه بالشفقة، وأيضا بالحياء،
 ٤٥ وهما إما يؤذيان البشر بشدة أو ينفعانهم بنفس الدرجة.
 فمن الممكن أن يفقد المرء من هو أعز لديه،
 كأن يفقد شقيقاً له من نفس الأم، أو ابناً له؛
 ولكن ما أن يبكيه وينتحب عليه حتى ينتهى الأمر، فقد غرست

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة التى ترد فى "الإلياذة". لأسطورة تنصيب باريس (ألكسندروس) حكماً فى مسابقة الجمال بين هيرا وأثينة وأفروديتى إلهة الجمال والحب والتناسل والتى حكم فيها لصالح الأخيرة، فبالأجل امرأة فى العالم وهى هيلين، التى بسبب اختطافها قامت حرب طروادة. هناك ذكر للمكان الذى يعتقد أنه شهد هذه الواقعة وهو تل كالليكلونى (ك ٢٠، ٥٣، ٥١). ولا تأتى هذه الإشارة الصريحة إلا فى الكتاب الأخير مما يلقى الضوء على فن هوميروس بالغ التعقيد والحبكة. راجع المقدمة (الآخر)

- ربات القدر مويراي الصبر وقوة التحمل داخل نفوس البشر.
- ٥٠ أما هذا الرجل، وبعد أن سلب حياة هيكتور الإلهي،
ربطه في عربته، وأخذ يسحبه حول مدفن صديقه الحميم،
ولن يجنى من ذلك خيراً ولا شرفاً،
وليدرك أننا قد نغضب نحن أيضاً منه على الرغم من كونه نبيلًا،
فهو يسىء إلى طين لا حياة فيه".
- ٥٥ وعندئذ اشتد غضب الإلهة هيرا، ذات الذراع الأبيض، وقالت:
"إن كلماتك، يا ذا القوس الفضى، قد تكون صحيحة
إذا ما منحتم أخيليوس وهيكتور المنزلة نفسها:
فهيكثور الفانى قد رضع من ثدى امرأة فانية،
أما أخيليوس فمن نسل إحدى الإلهات، التى أطعمتها
٦٠ وربيثها بنفسى، بل ووهبها زوجة لبشرى فان،
وهو بيليوس، الذى كان محبوبا فى قلوب كل الآلهة الخالدين.
وقد شاركتم جميعا، أيها الآلهة، فى عرسه؛ وكنت
أنت نفسك من بينهم، فقد حضرت الوليمة وفى يدك قيثارك"
وعندئذ رد عليها زيوس، جامع السحب، قائلاً:
٦٥ "لا تغضبى من الآلهة تماماً، أيتها الإلهة هيرا،
فلن تكون منزلة الاثنين واحدة، بيد أن هيكتور كان،
من دون البشر الذين يقطنون إليوس، الأقرب إلى قلوب الآلهة،
وهو كذلك بالنسبة لى. فهو لم يقصر فى تقديم الهدايا النفيسة لنا،
فلم يخلو مذبحى من الوليمة الملائمة وقرابين الشراب
٧٠ ودخان الأضاحى الدسمة، وطقوس العبادة التى هى حقنا.
ولكن فلندع جانبا سلب جثة هيكتور الجسور، وسيدرك أخيليوس ذلك،
فدائماً ما تساندته أمه، وتقف بجانبه ليل نهار.
والآن فليستدع أحد الآلهة الإلهة ثيتيس لتمثل أمامى.

٧٥ لكي أسدى لها النصيحة: عسى أن يحصل أخيليوس
على هدايا نفيسة من برياموس ليعتق هيكتور".

قال ذلك، فأسرعت الإلهة إيريس، ذات القدم - العاصفة،
لتبلغ الرسالة، فقفزت بين جزيرتي ساموس وإمبروس الوعرة،
في البحر المظلم، فارتفع صخب أمواج البحر فوقها،
٨٠ فقد اندفعت إلى الأعماق، كقطعة الرصاص المعلقة في الشصية،
المصنوعة من قرن ثور الحقول،

وقد نزلت لتجلب الموت للأسماك النهمه.
فوجدت ثيتيس في كهفها العميق، تجلس من حولها
عراس البحر الأخريات، وهى من بينهن
٨٥ تبكى مصير ولدها الذى لا نظير له، إذ قدر له
الفناء على أرض طروادة الخصبة، بعيدا عن وطنه.
فوقفت بجوارها إيريس، ذات القدمين السريعتين، وقالت:

"انهضى، أى ثيتيس، زيوس سيد النصائح الأبدية يدعوك إليه"
فأجابتها الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضيتين قائلة:
٩٠ "ترى لماذا يستدعيني هذا الإله العظيم، فأنا أستحي
من الاختلاط فى زمرة الخالدين، كما أن بقلبي مالا يحصى من الآلام.
ولكنى ذاهبة إليه، فكلمته، أيًا كانت، ستفنعى".

قالت ذلك، وارتدت عروس البحر الإلهية وشاحًا أسود،
ليس هناك ما يفوقه سوادًا. وعندئذ تحركت للذهاب إليه،
٩٥ تسبقها إيريس، ذات القدمين السريعتين سرعة الرياح.
تتلاطم حولهما أمواج البحر من كل جانب.
وبمجرد خروجهما إلى الشاطئ، اندفعتا مخلقتين صوب السماء،
فوجدتا ابن كرونوس، بعيد النظر، يجلس
من حوله كل الخالدين، المباركين الآخرين.

١٠٠ وجلست إيريس بجوار والدها زيوس، بعد أن تخلت أثينة عن مكانها.
أما هيرا فقد وضعت بين يدي (ثيتيس) كأساً ذهبياً جميلاً،
محيية إياها بكلمات رقيقة، ارتشفت ثيتيس منه ثم أعادته إليها.
وهنا تحدث أبو البشر والآلهة أجمعين قائلاً:

"أيتها الإلهة ثيتيس، لقد حضرت إلى الأوليمبوس برغم كربك
الشديد، ففي قلبك حزن لا راحة منه، وأنا نفسي أعرف ذلك.
ولكني سأخبرك بسبب دعوتي لك إلى هنا،
فقد شب نزاع بين الآلهة الخالدين منذ تسعة أيام
حول جثمان هيكتور، وأيضاً حول أخيليوس مدمر المدن؛
وطلبوا من أرجيفونتييس الرسول السريع، حاد البصر، أن يسرق الجثة،
ولكني قد منحت ذلك الشرف لأخيليوس،
حفاظاً على حبك واحترامك حتى النهاية.

١١٠ اذهبي إذن بسرعة إلى الحشد وبلغي ولدك وأمرى،
أخبريه بأن الآلهة قد استشاطت غضباً منه، ولكن غضبي
هو الأشد من كل هؤلاء الآلهة الخالدين، لأنه بفكره المجنون
قد احتفظ بهيكتور بالقرب من السفن المقوسة كالمنقار ولم يعتقه،
ولكنه قد يخشاني ويعتق هيكتور.

١١٥ ومن ناحيتي فسوف أبعث إيريس إلى برياموس سامي الروح،
كي يذهب إلى الآخيين، ليفتدي ولده الحبيب،
ويقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره".

١٢٠ قال ذلك، فما كان من الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضيتين
إلا أن أطاعت أوامره، وأسرعت بالهبوط من قمم الأوليمبوس،
حتى وصلت إلى خيمة والدها. وهناك، وجدته يبكي
بمرارة ومن حوله رفاقه الأعزاء
يعتنون به، ويهمون بإعداد طعام الإفطار،

١٢٥ بعد أن قاموا بنحر كبش كثيف الصوف، داخل خيمته.
فجلست أمه الفاضلة على مقربة منه،
وأخذت تداعبه بيدها، ثم دعتة قائلة:

"أى بُنى، إلى متى ستظل تنهك قلبك بالبكاء والحزن،
١٣٠ عازفاً عن الطعام، مجافياً المنام؟ فمن الأفضل أن تنغمس في
معاشرة إحدى النساء، فإنك لن تعمر في الأرض كثيراً،
بل اقترب منك بشدة الموت والقدر القاسى.

أما الآن، فلتصغ لى جيداً؛ إذ جئتك محملة برسالة من زيوس إليك:
وهو ينبئك بأن الآلهة قد استشاطت غضباً منك، وأن غضبه
١٣٥ هو نفسه الأشد من كل الخالدين، لأنك بجنونك
قد احتفظت بهيكتور فى سفينتك المقوسة مثل المنقار، ولم تعتقه.
فهيأ سلم جثته، بعد أن تقبل الفدية".

وعندئذ أجابها أخيليوس، سريع القدمين قائلاً:
"فليكن ذلك، وليحمل الجثمان من يحضر الفدية،
١٤٠ طالما كانت تلك هى رغبة الأولمبى ومقصده الحقيقى".

وهكذا تبادلت الأم وولدها، وسط حشد هذا الجمع من السفن،
العديد من الكلمات المجنحة. وفى الحال أسرع
ابن كرونوس بإرسال إيريس إلى إليوس المقدسة قائلاً:

"انطلقى أنت يا إيريس السريعة، واتركى مقرك فوق الأوليمبوس،
١٤٥ وأخبرى برياموس سامى الروح داخل إليوس

أن يذهب إلى سفن الأخيين كى يفتدى ولده الحبيب،
وأن يقدم لأخيليوس الهدايا التى تشرح له صدره،
على أن يكون بمفرده، دون أن يذهب معه أى شخص
آخر من الطرواديين، ولكن فليصحبه تابع كهل، كى يقود له
١٥٠ البغال، وعربته ذات العجلات الجيدة، ويساعده فى العودة

- إلى المدينة، بجثمان من صرعه أخيليوس الإلهي.
دعيه لا ينشغل بالتفكير في الموت أو بالخوف منه،
فسوف نبعث معه (بهرميس) أرجيفونتيس، ليقود خطاه،
حتى يصل به على مقربة من أخيليوس.
١٥٥ وعندما يتقدم به إلى داخل خيمة أخيليوس،
فلن يهتم (أخيليوس) نفسه بقتله، بل وسوف يكبح جماح كل الآخرين،
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثي لحال ذلك الرجل المتوسل من كل قلبه".
- قال ذلك، فانطلقت إيريس، ذات القدمين السريعتين كالريح،
١٦٠ لتبلغ الرسالة، وعندما وصلت إلى منزل برياموس، وجدت نحيبا
وعويلاً شديداً: فقد جلس الأبناء يحيطون بأبيهم في فناء القصر،
مبللة ملابسهم بالدموع، بينما يجلس الشيخ الأشيب. وسطهم مُدترّ
بعباءته الصوفية، وقد غطت رأس الشيخ الهرم ورقبته الكثير من
الأوحال التي أهالها على نفسه بيديه، بينما كان يتمرغ على الأرض.
١٦٥ كما شاهدت الإلهة بناته وزوجات أبنائه يولولن داخل القصر،
عندما يتذكرن ذلك العدد الكبير من الطرواديين البواسل،
الذين سقطوا وفقدوا أرواحهم على أيدي الأرجيين.
اقتربت إيريس، رسول زيوس، من برياموس الذي ارتعدت فرائصه،
١٧٠ ثم خاطبته بصوت هادئ، قائلة:
- "تشجع، أي برياموس، يا سليل داردانوس،
ولا تخف شيئاً، فأنا لم أحضر إليك لأنبيئك بشر،
ولكن بنية الخير، فأنا حاملة رسالة زيوس إليك،
فهو يهتم بأمرك ويرثي لحالك، على الرغم من أنه يقطن بعيداً.
١٧٥ إذ يأمرك الأوليمبي أن تفقدى هيكتور الإلهي،
وأن تقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره،

- على أن تكون بمفردك، دون أن يذهب معك أى من الطرواديين،
ولكن فليصحبك تابع كهل، كى يفود لك
البغال وعربتك سريعة العجلات، ويساعدك فى
والعودة بجثمان من صرعه أخيليوس الإلهى إلى المدينة. ١٨٠
لا تتشغل بالتفكير فى الموت، ولا تخشاه،
فسوف يبعث معك (بهرميس) أرجيفونتيس ليقود خطاك
حتى يصل بك على مقربة من أخيليوس،
وعندما يتقدم بك إلى داخل خيمة أخيليوس
فلن يهم (أخيليوس) بقتلك، بل وسيكبج جماح كل الآخرين، ١٨٥
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثى لحالك، بوصفك رجلاً متوسلاً من كل قلبك".
وبعدما انتهت إيريس، سريعة القدمين، من إبلاغ رسالتها غادرت
المكان؛ فأصدر برياموس أوامره لأبنائه بإعداد العرب، ذات العجلات
السريعة، التى تجرها البغال، وأن يربطوا فوقها السلة المجدولة. ١٩٠
أما هو فقد أسرع بالهبوط إلى حجرة كالقبو، مشيدة
من خشب الأرز، سقفها مرتفع، وتحتوى على العديد من الجواهر.
ثم دعى زوجته هيكابى، وصاح فيها قائلاً:
"أيتها الزوجة الفاضلة، لقد أتانى رسول أوليمبى، من زيوس،
يدعونى للذهاب إلى سفن الآخيين، كى أفتدى ولدنا الحبيب، ١٩٥
وأن أقدم لأخيليوس الهدايا التى تشرح له صدره،
فهيا إذن الآن وأخبرينى كيف يبدو لك الأمر؟
إن حماسى وقلبى يدفعاننى بشدة
للذهاب إلى هناك، إلى تلك السفن داخل حشد الآخيين".
قال ذلك فأجابته زوجته، وهى تجهش بالبكاء، قائلة: ٢٠٠
"يا ويلتى! هل ذهبت حكمتك التى اشتهرت بها بين الناس

- سواء الأجانب أو من تحكمهم؟! كيف ترغب في الذهاب إلى سفن الآخيين وحدك، وتقف أمام عيني ذلك الرجل الذي سلبك عددًا كبيرًا من أبنائك البواسل؟ حقا إن قلبك قد من حديد. لأنه إذا ما تملكك ووقعت عيناه عليك، وهو رجل متوحش وغير موثوق به، فلن يرحمك، ولن يشعر تجاهك بشيء من الحياء. دعنا الآن نبكى ولدنا هنا، بعيدًا عنه، قابعين في منزلنا؛ فلهيكتور كانت إلهة القدر مويرا قد نسجت بخيوطها مصيره؛ في نفس اللحظة التي وضعت فيها. أنه سيشتبع الكلاب سريعة الأقدام بعيدا عن والديه، وعلى مقربة من رجل عنيف، ذلك الذي طالما تمنيت أن أنتزع له كبده من أحشائه وأنهشه، وبذا يتم الانتقام الشديد لابنى الذي قتله، ولم يجبن بل كان يدافع عن الطرواديين والطرواديات ذوات الثياب عميقة الطيات، ولم يحاول الاختباء أو الفرار".
- وعندئذ أجابها الشيخ الهرم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً: "إياك أن تمنعيني وقد عقدت العزم على الذهاب، أو أن تصبى أنت نفسك طائر شؤم في منزلي. فلن تقنعيني. لأنه إذا ما طلب منى ذلك شخص آخر من الفانين على وجه الأرض، سواء كان عرافاً أو كاهناً يتنبأ، عندئذ كنت سأعتبرها أكذوبة وأهملها. أما الآن، وقد استمعت بنفسى إلى الإله، بل وشاهدته بعيني، فإنى ذاهب لا محالة، ولن يذهب الكلام سدى، حتى وإن كان مقدراً لى أن أموت بالقرب من سفن الآخيين لابسى البرونز. فأنا أسعى إلى ذلك، وليتني ألقى حتفى على يد أخيليوس، بينما أحتضن ولدى بذراعى، عندئذ سأتوقف عن البكاء".

- قال ذلك، ثم بدأ فى رفع أغطية الصناديق الجميلة.
- ثم أخرج منها اثنتى عشر ثوبا نسائيا فائقة الجمال؛ ثم اثنتى عشر
 ٢٣٠ عباءة ترتدى بمفردها، ثم عددًا كبيرًا من الأغطية؛ وعددًا كبيرًا من
 العباءات البيضاء كبيرة الحجم؛ ثم عددًا كبيرًا من ملابس
 الرجال الجميلة. ثم أحضر وحمل معه عشرة تالنتات، ذهبية خالصة،
 ووعاءين براقين ثلاثى الأرجل؛ ثم أربعة مراجل؛
 وكأسًا بالغ الجمال، كان الطراقيون قد أهدوها إليه
 ٢٣٥ أثناء زيارته لهم: ثروة كبيرة،
 فحتى هذا لم يدخره الشيخ الهرم فى المنزل، فقد كان يتوق
 إلى افتداء ولده الحبيب. ثم قام بعد ذلك بطرد كل الطرواديين
 من القاعة، موبخا إياهم بأبشع الكلمات، قائلاً:
 "اغربوا عن وجهى ياسبب عارى وشنارى
 ٢٤٠ أليس فى منازلكم ما يكفيكم من الأحزان، وتأتون هنا لمضايقتى؟
 أم أنكم تعبرون عن استيائكم من أن ابن كرونوس، زيوس، قد أصابنى
 بوجع الحزن، بعد أن قتل أفضل أبنائى؟ ولكن ستدركون جيداً:
 فالآن، وبعد مصرع ولدى، ستصبحون فريسة سهلة
 فى متناول يد الآخرين؛ أما أنا،
 ٢٤٥ فقبل أن أرى هذه المدينة، بعينى رأسى، مقهورة
 ومحطمة، فيجد ربى أن أهبط إلى مقر هاديس".
- قال ذلك، ثم بدأ فى إبعاد الناس بعصاه، فانصرفوا جميعاً.
- وفى تلك الأثناء كان الشيخ الأشيب يسرع الخطى، ويصيح فى أبنائه
 هيلينوس، باريس، أجاثون، بامون الإلهى،
 ٢٥٠ أنتيفونوس، بوليتيس البارع فى صيحة الحرب،
 ديفوبوس، هيبوثوؤس، ديوس النبيل.
- هؤلاء التسعة دعاهم الشيخ الهرم بصوت جهورى، وأمرهم قائلاً:

- "أسرعوا إلى أيها الأبناء السيئين، يا مجلبة عارى،
ليتكم كنتم قد قُتِلْتُمْ جميعاً بالقرب من السفن السريعة بدلاً من هيكتور!
يا حسرتى أنا التعس! فقد أنجبت أفضل الأبناء
٢٥٥ فى طروادة الفسيحة، ولكنى أقول إنه لم يبق منهم أحد:
ميسطور شبيه الآلهة، طرويلوس البارع فى قيادة العربة الحربية،
هيكتور، الذى كان إلهاً بين الرجال، فلم يكن مظهره يدل على
أنه ابن لرجل فان، ولكن لإله. لقد قتلهم أريس جميعاً،
٢٦٠ ولم يترك لى سوى من يجلبون لى العار، الكذابين سريعى الفرار،
أفضل الراقصين، ولصوص الأغنام والماعز.
الآن تجهزوا لى العربة على وجه السرعة،
الآن تضعوا فوقها كل هذه الأشياء، حتى تتطلق فى الرحلة؟"
٢٦٥ قال ذلك، فهبوا مذعورين من توبيخ والدهم
فأخرجوا العربة سريعة العجلات، تجرها البغال،
جميلة ومزركشة حديثاً. ثم ربطوا فوقها السلة المجدولة،
ثم أنزلوا نير البغال من الوتد الخشبى،
وهو ذو رأس مستديرة، ومزود بالحلقات كى يمر منها اللجام.
٢٧٠ وكذلك أحضروا سيرا من الجلد بطول تسعة أذرع،
وبه ثبتوا النير جيداً فوق العريش المصقول،
من خلال الحلقات الأمامية، وذلك بوضع الحلقات فى وتد خشبى،
ثم ربطها ثلاث مرات من الجانبين فوق سرّة النير،
وبعد تثبيتها جيداً قاموا بعمل عقدة فى نهاية السير الجدى.
٢٧٥ وأخرجوا من الخزانة فدية رأس هيكتور
التي لا تحصى، وكوموها فوق العربة المزركشة،
وربطوا البغال ذات الحوافر القوية فى النير، تلك
التي كان الميسيون قد أهدوها إلى برياموس من قبل، هدية فخمة.

كما أعدوا الخيول لبرياموس، تلك التي كانت مخصصة للشيخ
٢٨٠ المسن، والتي كان يقوم برعايتها في الحظيرة الفاخرة بنفسه.

وهكذا بينما كان الاثنان يشرفان على تجهيز العربة في
القصر العالي، برياموس وتابعه، وتجول بخاطرهما أفكار حكيمة؛
عندئذ دنت هيكابى منهما، بقلب حزين،
ممسكة في يدها اليمنى بنبيذ معسول،

٢٨٥ في كأس ذهبي، لكي يقدماه قربان شراب قبل الرحيل،
ثم وقفت في مواجهة الخيول، وخاطبت زوجها قائلة:

"هاك، اسكبها قربان شراب، لزيوس الأب، وتضرع
إليه أن تعود إلى بيتك من بين الأعداء القساة، مادامت نفسك
تدفعك إلى سفنهم، على غير رغبة مني.

٢٩٠ ابتهل أولاً لابن كرونوس، ذى السحب السوداء
سيد إيدا، المطل على كل طروادة،
توسل أن يبعث إليك رسولا سريعاً
الطائر الأقرب إلى قلبه والأقوى،
وأن يظهره على يمينك، كي تراه بكلتي عينيك.

٢٩٥ فتمتلىء ثقة وتشق طريقك صوب سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة.
أما إذا لم يمنحك زيوس، واسع النظر رسوله هذا
فمن المؤكد أنني لن أحتك على
الذهاب إلى سفن الأرجيين، بالرغم من لهفتك".

فأجابها برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
٣٠٠ "وأنا يا زوجتي لن أخالف مشورتك،

فإنه لشيء طيب أن نرفع أكف الضراعة لزيوس، فقد يرثى لحالنا".

قال ذلك، ثم أمر الشيخ الأشيب الخادمة
أن تصب ماءً نقياً على يديه، فأسرعت الخادمة

بالاقتراب منه وفى يديها إبريق ووعاء وإناء.
وبعد أن أتم الاغتسال، أخذ الكأس من زوجته،
ثم وقف وسط الفناء، وبدأ يبتهل، وهو يسكب النبيذ
ناظرًا إلى السماء، ثم رفع صوته بالدعاء:

"أيها الأب زيوس، يا من تحكم من فوق إيدا، أيها الأمجد
الأعظم، امنحني أن أكون موضع ترحاب وإشفاق لدى أخيليوس؛
ولتبعث إليّ رسولاً سريعاً، الطائر الأقرب إلى قلبك والأقوى ليظهر
على يميني كي أراه بعيني وأمتلىء ثقةً وأشق طريقى إلى
سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة"

قال ذلك مبتهلاً، فاستمع إليه زيوس ذو التدبير الحكيم،
فأرسل إليه فى التو نسرا، وهو الأكثر تأكيداً للفأل بين الطيور؛
نسرا داكن اللون، قناصاً، يدعوه الناس بالأسود.
وبقدر ارتفاع ضلفتى باب حجرة شاهقة الارتفاع،
محكمة المزاليق فى قصر رجل ثرى،
هكذا امتد جناحاه على الجانبين؛ وقد لاح لهم
من جهة اليمين، محلقة عبر المدينة، فسعدوا
لمشاهدته، وانشرح صدرهم.

وعندئذ أسرع الشيخ الهرم بالصعود إلى العربة،
ثم عبر الممر المؤدى إلى البوابة، ثم الرواق الذى يردد صدى الصوت.
وفى المقدمة، كانت البغال تجر العربة ذات العجلات الأربع،
وكان يقودها إيداىوس الحكيم. وفى خلفها سارت
الخيول التى كان الشيخ المسن يوجهها بالسوط، ويحثها
على الإسراع عبر المدينة، وشيعه كل الأصدقاء،
باكين بشدة، كما لو كان يرحل إلى الموت.
وعندما نزلوا من المدينة، وبلغوا الوادى،

عاد الجميع أدراجهم إلى إليوس، أبناؤه وأزواج بناته.
أما هما فبمجرد ظهورهما فى الوادى لم يغربا عن أعين زيوس،
واسع الرؤية، وعندما رآهما أشفق بشدة على الشيخ الهرم،
وفى الحال تحدث إلى هرميس، ولده العزيز، قائلاً:

"أى هرميس، حيث إن مرافقة إنسان فان هى من أحب

المتع إليك، وتعطى أذناً صاغية لمن تهتم بهم،
أسرع إذن وقد برياموس إلى سفن الأخيين المجوفة،
على ألا يراه أحد، أو يفطن إليه أى من
الدانائيين الآخرين، قبل أن يصل إلى ابن بيليوس".

قال ذلك، فلم يعصه رسول الآلهة، أرجيفونتيس.

وفى التو انتعل ذلك الصندل الذهبى
الجميل، الأمبروسى الخالد، والذى يطير به فوق البحار
وعبر الأراضى غير المحدودة مثل هبات الريح.
ثم أمسك بعصاه التى بها يستدرج عيون البشر للنوم إذا شاء،
أو يوقظ النيام من غفوتهم.

بهذه العصا فى يده طار أرجيفونتيس القوى،
فبلغ طروادة وهيليسبونطوس فوراً،
ثم شرع فى السير فى هيئة شاب من النبلاء،
تنبت لحيته لأول مرة وهو فى ريعان شبابه الوسيم.

وما أن عبر (برياموس وتابعه) مقبرة إيلوس الكبرى،

أوقفا البغال وأيضاً الخيول، حتى ترتوى
من النهر، حيث هبط الظلام على الأرض،
وهنا انتبه التابع إذ رأى الإله

هرميس على مقربة منه، فصاح فى برياموس قائلاً:

"انتبه، يا سليل داردانوس، فهذا أمر بحاجة إلى رجاحة العقل،

٣٥٥ فأنا أرى رجلاً، ويبدو أننا سنصبح أشلاء بعد قليل.
ولكن هيا إذن، ولنهرب فوق العربة، أو لنتوسل إليه
متشبثين بركبتيه، فربما يرثى لحالنا".

قال ذلك، فاضطرب عقل الشيخ الأشيب، وتملكه خوف شديد،
وانتصب الشعر على مفاصله المرنة،

٣٦٠ ووقف مذهولاً. وعندئذ اقترب الإله المستعان (هرميس)،
وأمسك بيدي الشيخ المسن، ثم سأله:

"إلى أين، أيها الأب، تقود خيولك وبغالك في ذلك الليل
البهيم الخالد (الأمبروسي)، حيث ينام كل البشر الفانين الآخرين؟
غير هياب بالآخيين النافثين جنوناً،

٣٦٥ المعادين بلا هوادة والقريبين من هنا؟
وإذا ما رأيك أحدهم في تلك الليلة المسرعة حالكة السواد،
محملاً بكل النفائس، فكيف ستتصرف؟

إنك لست شاباً، حتى تستطيع الدفاع عن نفسك ضد أى شخص
قد ينقض عليك؛ وكذلك فإن تابعك هو أيضاً رجل طاعن في السن.

٣٧٠ أما أنا فلن أمسك بسوء، بل وسأرد عنك غائلة
الآخرين، فإنك تشبه والدي الحبيب".

وعندئذ رد عليه الشيخ المسن برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"حقاً هو كذلك مثلما تقول، أيها الابن العزيز.

ولكن ربما يمد لى أحد الآلهة يده الآن،

٣٧٥ فقد أرسل لى عابر سبيل مثلك، جالباً للخير،
فأنت فى الهيئة والوسامة رائع؛

وذو عقل حكيم، ومن أبوين مباركين ولدت كما يبدو".

فرد عليه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً:

"حقاً، أيها الشيخ الهرم، فما قلت إلا صواباً.

٣٨٠ ولكن هيا إذن. تحدث، وأخبرنى ما إذا كنت تحمل كل تلك النفائس
لأناس غرباء، لكى يتركوك فى أمان،
أم أنكم تهجرون جميعاً مدينة إليوس المقدسة،
من شدة الخوف، بعد أن قُتِلَ أفضل الرجال،
٣٨٥ ابنك، الذى لم يكن ليتوقف أبداً عن قتال الآخيين".

وعندئذ خاطبه الشيخ الهرم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"من أنت، أيها الشاب النبيل، ولأى والدين ولدت؟
إنك تتحدث بكل خير عن مصير ولدى التعس".

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً:
٣٩٠ "إنك تختبرنى، أيها الشيخ الهرم، وتسالنى عن هيكتور الإلهى.
لقد شاهدته بعينى مرات عديدة فى المعركة،
التي تعطى المجد للرجال، عندما كان يطارد الأرجيين إلى سفنهم؛
ويقتلهم، ويمزقهم بسيفه البرونزى البتار.

أما نحن فقد دُهِشْنَا بما يفعله، بينما كنا نقف على مبعدة، حيث لم يسمح
٣٩٥ لنا أخيليوس بالقتال، بسبب غضبه من ابن أثريوس.
فأنا تابعه فى القتال، وحملتنا إلى هنا السفينة نفسها متينة الصنع.
إننى واحد من الميرميدونيين، وأبى هو بوليكتور؛
وهو من الأثرياء، ولكنه شيخ مسن مثلك أنت،
له ستة من الأبناء، وأنا السابع.

٤٠٠ ضربنا القرعة فيما بيننا واختيرت للحضور إلى هنا،
أنا الآن قادم من السفينة إلى الوادى. وفى الفجر
سيشعل الآخيون، ذوو العيون البراقة، القتال حول المدينة،
لتملأ الجالسين بلا عمل، ولن يستطيع
ملوك الآخيين أن يكبحوا جماح أولئك المتعطشين للقتال".

٤٠٥ وعندئذ خاطبه الشيخ المسن برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:

"إن كنت حقا تابع أخيليوس بن بيليوس فى القتال،
فهيا إذن وأخبرنى بكل الحقيقة.

هل مازال ولدى ممددا بجوار السفن، أم أن أخيليوس
قد مزقه إربا إربا، ثم ألقى به للكلاب؟".

٤١٠

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلا:

"لم تلتهمه الكلاب ولا الطيور الجارحة بعد، أيها الشيخ المسن،
ولكنه مازال ممددا بجوار سفينة أخيليوس،

وسط الخيام، إنه ممدد هناك منذ اثنى عشر فجرا،
ولم يتعفن جسده بعد، أو يأكله الدود

٤١٥

الذى يلتهم جثث قتلى المعارك. إن (أخيليوس)
يجر جثته، بلا شفقة، حول كومة الدفن

لصديقه الحبيب كلما ظهر ضوء الفجر الإلهى،

وعلى الرغم من ذلك فلم يشوه جسده، وتستطيع الذهاب بنفسك وتندهش
من إنه ممدد، ومازال جسده نضرا. وقد غسلت الدماء من فوق جسده،

٤٢٠

ولم يحدث أى تقريح، فقد التأمت كل الجروح

التي أصيب بها، حيث طعنه الكثيرون بسيوفهم البرونزية.

إن الآلهة المباركين يهتمون كثيرا بأمر ولدك الجسور،
حتى وهو جثة هامدة، لأنه عزيز على قلوبهم".

فانشرح صدر الشيخ الهرم بما سمعه، وخاطبه قائلا:

٤٢٥

"أى بنى، حقا إنه لشئ طيب أن يقدم الفانون مثل تلك الهدايا

للآلهة الخالدين. فلم يكن ولدى ينسى قط فى قصره، وقت

أن كان لى ولد، الآلهة المهيمين على الأوليمبوس.

ولذلك فقد تذكروه حتى وهو فى قبضة الموت.

ولكن هيا الآن وتقبل منى ذلك الكأس الجميل،

٤٣٠

وقم بحمايتى ومرافقتى بعون من الآلهة،

حتى أصل إلى خيمة ابن بيليوس".

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتييس، قائلاً:

"إنك تختبرنى، أيها الشيخ الهرم، فأنا الأصغر سناً؛ ولكنك

لن تقنعنى بقبول هديتك، دون علم أخيليوس.

٤٣٥

فأنا أخشاه وأكن له فى قلبى التبجيل وأستحى أن

أستولى على شىء يخصه، فقد يلحق بى السوء بعد ذلك.

ولكنى سأكون لك مرشداً، حتى وإن بلغت مدينة أرجوس (*) المجيدة،

سواء كان ذلك فى سفينة سريعة أو سيرا على الأقدام،

ولن يتعرض لك أحد، محتقراً مرشدك".

٤٤٠

قال ذلك، ثم قفز الإله المستعان بسرعة فوق العربة

خلف الخيول، وأمسك فى يديه بالسوط والعنان،

ثم أعطى للخيول والبغال دفعة قوية.

وعندما وصلوا إلى الأبراج المطلّة على السفن، وإلى الخندق،

كان الحراس قد بدأوا فى الانشغال بوجبة العشاء،

٤٤٥

فدثرهم رسول الآلهة، أرجيفونتييس بغلالة النوم،

ثم فتح البوابة بسحب المزلاج.

وعندئذ قاد برياموس وهداياها الثمينة المحملة فوق العربة للداخل،

فلما بلغوا خيمة ابن بيليوس العالية،

التي كان الميرميدونيون قد شيدوها لمليكيهم

٤٥٠

بجذوع أشجار الصنوبر، وغطوا سقفها

بأعداد كبيرة من الغاب، التي تم جمعها من المروج،

ومن حولها أقاموا فناءً كبيراً لمليكيهم

بأوتاد سميكة. كان للباب مزلاج واحد

من الصنوبر، وكان ثلاثة من الآخيين يجرونه لإغلاقه،

(*) أرجوس المقصودة هنا هي أرجوس البلاسية في ثيساليا. (الحرر)

٤٥٥

وثلاثة آخرون يفتحون المزلاج الضخم،

أما أخيليوس فكان يحركه بمفرده.

وهنا قام الإله المستعان، هرميس، بفتحه للشيخ الأشيب،

وقام بحمل الهدايا النفيسة إلى ابن بيليوس، سريع القدمين،

ثم هبط بعد ذلك من فوق العربة على الأرض وقال:

٤٦٠

"أيها الشيخ المسن، لقد أتيتك، أنا الإله الخالد

هرميس، بعد أن طلب منى أبى أن أكون لك مرشداً فى الطريق.

أما الآن فسوف أعود أراجى، ولن أظهر أمام

عينى أخيليوس؛ فربما يكون أمرا سيئا

أن يستقبل بشر فانون إلهاً خالداً وجهاً لوجه.

٤٦٥

أما أنت، فتعلق بركبتى ابن بيليوس بمجرد دخولك،

ثم توسل إليه بحق والده ووالدته ذات الخصلات الجميلة،

وأیضا بحق ولده، حتى تحرك مشاعره".

وبعدما انتهى هرميس من حديثه، عاد إلى الأوليمبوس

الشاهق وعندئذ قفز برياموس من فوق العربة إلى الأرض،

٤٧٠

وقد ترك إيدايس هناك. فضل رابضا فيها ممسكا

بالخيول والبغال، أما الشيخ المسن فقد دخل مباشرة إلى المنزل،

حيث اعتاد أخيليوس، حبيب زيوس، أن يجلس،

فوجده. أما رفاقه فكانوا يجلسون بعيدا عنه، فيما عدا اثنين فقط:

وهما المحارب أوتوميدون، وألكيموس سليل أريس،

٤٧٥

حيث كانا منهمكين فى خدمته، وكان قد انتهى لتوه من

الطعام والشراب، وما زالت المائدة ممدودة أمامه.

أما برياموس العظيم فقد دخل دون أن يراه أحد، ووقف على مقربة من

أخيليوس، ثم احتضن ركبتيه بيديه الاثنتين، ثم قبل تلك اليدين

المرعبتين قاتلة الرجال، التى أودت بحياة العديد من أبنائه.

٤٨٠ ومثلما تحل اللعنة القاضية برجل ما، فيقتل رجلا آخر
في وطنه، ثم يهرب إلى بلد أجنبي
ويلجأ إلى منزل رجل ثرى، فتتملك الدهشة كل من يراه.
هكذا أصيب أخيليوس بالدهشة عندما رأى برياموس، شبيه الآلهة؛
وهكذا أصيب الآخرون بالدهشة، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر،
وعندئذ خاطبه برياموس، متوسلا، وقال:

"ياشبيه الآلهة، أخيليوس، تذكر والدك،
فهو معمر مثلى، وعلى عتبات شيخوخته المضنية.
من يدرى ربما كان القاطنون حوله، والمحيطون به
يزعجون، ولم يجد أحدا ليدرأ عنه السوء والفناء.
ولكنه على الأقل، عندما يسمع أنك مازلت حيا

٤٩٠ ينشرح صدره، ويأمل فى كل يوم
أن يرى ولده الحبيب عائدا من طروادة.
أما أنا فتعس، سيئ الحظ، فقد أنجبت أفضل الأبناء
فى طروادة الفسيحة، وأقول لك إن أحدا لم يبق لى منهم.
لقد كان لى خمسون من البنين عندما حضر أبناء الآخيين.
٤٩٥ تسعة عشر منهم من رحم واحد،
أما الآخرون فقد أنجبتهم لى نساء أخريات داخل القصر.
كثيرون الذين حلّ آريس المجنون ركبهم.
وترك لى فقط، الذى كان يحمى المدينة، ورجالها،
فقد أرديته قتيلا أنت حديثا، وهو يدافع عن وطنه.

٥٠٠ إنه هيكتور. فمن أجله أتيت الآن إلى سفن الآخيين،
كى أفتديه منك؛ وقد أحضرت معى فدية كبيرة لا تعد ولا تحصى.
خاف الآلهة، أى أخيليوس، وأشفق على
عندما تتذكر والدك، فأنا أهل للشفقة أكثر منه، إذ تحملت مالا
يتحملة شخص آخر من البشر الفانين على وجه الأرض،

بأن أقبل يد من قتل أبنائي".

هكذا تحدث، فاستثار أحزان (أخيليوس) ليبيكى والده. وأمسك بيد الشيخ الهرم، ونحاه برقة جانباً. ثم أخذاً يستعيدان الذكريات الحزينة: أحدهما يتذكر هيكتور، قاتل الرجال،

وأجهش بالبكاء وهو ينحنى على قدمي أخيليوس. ٥١٠

أما أخيليوس فكان يبكي تارة والده، وتارة أخرى باتروكلوس. فعلاً النحيب بشدة عبر حجرات الخيمة. ولكن عندما أخذ أخيليوس الإلهي كفايته من البكاء، وذهب الحنين عن نفسه وعن كل أعضاء جسده،

نهض في التو من مقعده ورفع الشيخ المسن من يده. ٥١٥
فقد أشفق على شبيبة رأسه وعلى لحيته البيضاء،
ثم خاطبه بكلمات مجنحة، قائلاً:

"آه، أيها النعس، لقد كابدت الكثير من الآلام!
كيف تحملت الحضور إلى سفن الآخيين بمفردك،
في مواجهة الرجل الذي فتك بالكثيرين من أبنائك
البواسل؟ لك قلب من حديد.

٥٢٠
ولكن هيا إذن واجلس على المقعد، ولندع أحزاننا
تهداً داخل قلوبنا، على الرغم من الألم المرير.
فلا طائل من ذلك البكاء المدمر.

٥٢٥
هذا هو ما قدرته الآلهة للبشر النعساء،
بأن يعيشوا في ألم مرير، بينما هم أنفسهم بلا آلام.
فعلى عتبات معبد زيوس توجد جرتان كبيرتان مليئتان بالهدايا،
إحدهما مليئة بالخير، والأخرى بالشر.

فأى امرئ يمنحه زيوس، المتمتع بالصاعقة، هداياه المختلطة
٥٣٠ فتارة يصطدم بالشر، وتارة أخرى ينعم بالخير

أما من يمنحه مصير الأحزان، يجعله محط احتقار،
يطارده الجوع المفترس فوق الأرض المقدسة،
يهيم على وجهه دون اكتراث من الآلهة أو البشر.
فهكذا منحت الآلهة بيليوس الهدايا المجيدة

٥٣٥

منذ ولادته، فقد فاق كل البشر

في الازدهار والثراء. وصار ملك الميرميدونيين.

ثم اختاروا إلهة زوجة له، مع أنه إنسان فان.

ومع ذلك فقد أصابه الإله بسوء، فلم

ينجب في قصره ذرية من الأبناء ليخلفوه على العرش،

٥٤٠

ولكنه أنجب طفلاً واحداً حدد له أجل مبكر، لم يعد بوسعي

أن أرعاه وهو يتجه للشيوخوخة، لأنى بعيد عن أرض الوطن،

في طروادة. حيث تسببت في إيذائك وفي إيذاء أبنائك.

وأنت أيها الشيخ، لقد سمعنا من قبل أنك كنت من المحظوظين،

إذ كانت لك ليسبوس، موطن ماكار (*) الممتدة تجاه البحر

٥٤٥

غير المحدود. وأيضا فريجيا الممتدة فوق البر؛ وكذلك

هيليسبونطوس. يقولون إنك، أيها الشيخ الهرم، تفوقت على الجميع

في الثراء، وفي الأبناء. ولكن منذ أن أصابك أهل السماء بالخراب

فصارت المعارك تحيط بالمدينة من كل جانب، وكذلك قتل الرجال،

فلتتحمل إذن، ولا تتقل قلبك بأحزان لا نهاية لها.

٥٥٠

قلن تجنى شيئاً من حزنك الشديد على ولدك،

ولن تعيده مرة أخرى إلى الحياة، ولكنك ستعاني شروراً أخرى."

عندئذ أجابه الشيخ المسن، شبيه الآلهة، برياموس، قائلاً:

"لا لا تدعنى أجلس على مقعد، ياربيب زيوس،

طالما كان هيكتور ممدداً بين الخيام دون عناية، بل اعتقه بسرعة،

(*) هو في الغالب ملقرت الفيقي، راجع المقدمة. (المحرر)

٥٥٥ حتى أراه بعيني هاتين، ولتقبل فديته الكبيرة
التي أحضرناها إليك، ولتسعد بها، ثم تعود
إلى أرض وطنك، بعد أن تكون قد أبقيت على
حياتي وتركتني أرى ضوء الشمس".

فنظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بحدة وقال له:
٥٦٠ "لا تستثر غضبي أكثر من ذلك، أيها الشيخ الأشيب، وأنا نفسي
أنوى أن أعتق هيكتور؛ إذ وصلني رسول من زيوس،
أمى نفسها، التي أنجبتني، ابنة شيخ البحر المسن.
لقد تعرفت عليك، أي برياموس، ولم يغيب عن ذهني
أن أحد الآلهة قد أتى بك إلى سفن الآخيين السريعة،
٥٦٥ فلم يستطع بشرى من قبل أن يصل إلى حشد جيشنا، حتى وإن
كان أكثر شبابا وقوة منك. ولم يكن ليفلت من الحراس،
وما كان له أن يسحب بسهولة مزلاج بوابتنا.
ولذلك فلا تثر في نفسي الأحران،

وإلا فلن أبقيك حيًا، أنت نفسك بين خيامنا أيها الشيخ الأشيب،
٥٧٠ حتى وإن كنت متضرعا، ولو كان في ذلك ما يخالف أوامر زيوس".
قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأشيب وأطاع أمره.

وعندئذ قفز ابن بيليوس كالأسد متجها صوب الباب إلى خارج الخيمة،
لم يكن بمفرده، ولكن تبعه اثنان من مرافقيه:
وهما المحارب أوتوميدون وألكيموس، اللذان
يكرمهما أخيليوس أكثر من رفاقه الآخرين، بعد وفاة باتروكلوس.
٥٧٥ ففكوا الخيول والبغال من النير،

ثم اقتادوا التابع منادى الشيخ المسن للداخل.
وأجلسوه على أحد المقاعد. ومن العربة ذات الإطارات الجميلة
حملوا فدية رأس هيكتور التي لا تعد ولا تحصى.

- ٥٨٠ وتركوا بها عباةتين وثوباً جميلاً مغزولاً بمهارة،
حتى يتم تكفين الجثمان بها قبل إعادته إلى منزله. ثم استدعى
(أخيليوس) بعض الإماء وأمرهن بغسله ودهنه من كل جانب،
بعد حمله إلى مكان بعيد، حتى لا يرى برياموس ولده،
فقد لا يستطيع السيطرة على غضبه، من شدة حزنه،
عندما يرى ولده، مما قد يثير حنق أخيليوس عليه
٥٨٥ فيقتله، مخالفاً أوامر زيوس.
وبعدما انتهت الإماء من غسله ودهنه بالزيت،
غطين جسده كاملاً بالعباءة الجميلة وبالثوب،
ورفعه أخيليوس نفسه، ووضعوه فوق النعش الخشبي.
٥٩٠ وعندئذ قام رفيقه برفع النعش ووضعوه فوق العربة المزركشة جيداً.
ثم شرع بعد ذلك في البكاء، ونادى رفيقه الحبيب بالاسم قائلاً:
"أى باتروكلوس، لا تغضب منى إذا علمت
وأنت فى هاديس أننى قد أعدت هيكتور الإلهى
إلى والده العزيز، وأن الفدية لم تكن كما ينبغي،
٥٩٥ فلسوف أنقاسمها معك، وأمنحك منها كل ما أنت جدير به".
ثم عاد أخيليوس الإلهى مرة أخرى إلى داخل خيمته،
وجلس على مقعده الوثير رائع الصنع، ثم نهض مرة أخرى
وجلس بجوار الحائط المقابل، وتحدث إلى برياموس قائلاً:
"أيها الشيخ الأشيب، لقد أخليت سبيل ولدك كما طلبت،
وهو الآن ممدد فوق النعش الجنائزى. ومع ظهور أول ضوء للفجر
٦٠٠ ستراه بنفسك وتحمله معك. أما الآن فدعنا لا ننسى العشاء.
فحتى نيوبى^(*)، ذات الخصلات الجميلة، لم تنس الطعام،

(*) هذه هي الإشارة الوحيدة عند هومروس لأسطورة نبوي التي وردت كثيراً في أشعار الإغريق والرومان وترددت أصداؤها في الآداب الأوربية الحديثة. (الحرر)

- تلك التي قُتِلَ لها اثنا عشر من أبنائها داخل قصرها،
ست من البنات، وستة من البنين في ريعان الشباب،
٦٠٥ قتل أبوللون الأبناء بقوسه الفضي
بسبب غضبه من نيوبى، أما البنات فقتلتهم أرتميس رامية السهام.
لأن نيوبى تباغت بنفسها أمام ليتو، ذات الوجنتين الجميلتين.
وعيرتها بأنها قد أنجبت طفلين توأماً فقط، بينما أنجبت هي الكثير.
ولذا فعلى الرغم من أنهما اثنان فقط إلا أنهما قتلا كل أبنائها.
٦١٠ وظلوا لمدة تسعة أيام ممددين على الأرض، غرقى فى دمائهم،
فلم يكن هناك من يقوم بدفنهم، حيث حول ابن كرونوس الناس جميعاً
إلى حجارة^(*). وفى اليوم العاشر قامت آلهة السماء، بدفنهم،
وأما هي فلم تتس الطعام، حيث أنهكتها غزارة دموعها.
وهي الآن بين الصخور، فى جبل معزول،
٦١٥ فى سيبيلوس، حيث يقولون إنه مخدع الإلهات العرائس اللاتى
حول أخيلويوس. لقد تحولت إلى حجر بفضل الآلهة، وهى هناك
تتأمل أحزانها المرسلة من قبل الآلهة. ولكن هيا إذن، أيها الشيخ
القدير، دعنا لا ننسى نحن أيضاً الطعام، وبعد ذلك يمكنك البكاء مرة
أخرى على ولدك الحبيب، بينما تحمله معك إلى إليوس،
٦٢٠ فسوف تنهمر منك دموع غزيرة".
قال ذلك، ثم نهض أخيلويوس السريع ونحر شاة بيضاء،
وتولى رفاقه بعد ذلك سلخها وإعدادها كما ينبغي، وذلك بتقطيعها
بمهارة شديدة إلى شرائح صغيرة، ثم تمريرها فى الأسياخ،
ثم قاموا بشيها بعناية فائقة، وحملوها بعيداً عن النار.
٦٢٥ ثم أخذ أوتوميدون الخبز ووزعه على المائدة
فى سلال جميلة. أما أخيلويوس فوزع قطع اللحم.

(*) يربط بعض الدارسين بين كلمة "الشعب" laos فى اللغة الإغريقية وكلمة "الحجر" laas. (الخرر)

وعندئذ بدأ كل منهم يمد يده للطعام والشراب المصفوف أمامهم.
وعندما امتلأت بطونهم، ولم تعد لديهم رغبة في المزيد من طعام
أو شراب، أبدى برياموس، سليل داردانوس، إعجابه بأخيليوس،
٦٣٠ وكم كان طويلاً ووسيمًا، كما لو كان من الآلهة.

أما أخيليوس فقد أبدى هو الآخر إعجابه ببريافوس، سليل داردانوس،
برؤية مظهره النبيل، والاستماع إلى كلماته.
وبعدما أشبع كل منهما عينيه برؤية الآخر،
تحدث الشيخ الهرم، شبيه الآلهة، بريافوس أولاً، وقال:

٦٣٥ "دعنى أسترح الآن، وفى التو، ياربيب زيوس،
كى ننام، ونسعد بنوم هانىء،

فحتى الآن لم تغفل عيناى داخل جفونى
منذ أن لقي ولدى مصرعه على يدك.
فأنا أبكيه باستمرار، ولكنى أكتم أحزاني العديدة والمريرة،
٦٤٠ متمرغا فى الأوحال، فى حظيرة المنزل.

أما الآن فقد تناولت الطعام، ودفعت بالنبيذ المتقد
داخل جوفى، ومنذ وقت طويل لم أكن قد ذقت شيئاً من الطعام".

وهكذا، وعندما انتهى من حديثه، أمر أخيليوس رفاقه
وبعض الإماء أن ينصبوا أسرة خشبية فى القاعة، وأن يغطوها
٦٤٥ بأغطية أرجوانية جميلة، وأن يفرشوا فوقها مفروشات صوفية.
فخرجت الإماء إلى القاعة، ممسكات فى أيديهن بالمشاعل،
وفى التو أعددن، فى خفة وبسرعة، سريرين.

وعندئذ، ابتسم أخيليوس، سريع القدمين، وخاطبه قائلاً:

٦٥٠ "فلتسترح بالخارج، أيها الشيخ العزيز، فربما يأتى
أحد المستشارين من الأخيين، الذين يبقون دائماً
على مقربة منى، ويسألونى المشورة، كما هى العادة،

فإذا ما رأيك أحدهم فى تلك الليلة المنصرمة بسرعة، حالكة السواد،
فسوف يخبر فى الحال أجاممنون، راعى الشعوب،
ومن ثم فقد يرجىء تسليم الجثمان.

٦٥٥

ولكن هيا إذن وقل بصدق وأخبرنى
كم من الأيام تتوى أن تقيم فيها مراسم دفن هيكتور الإلهى،
حتى أنتظر أنا نفسى، وأمسك بالجيش عنك".

فأجابه الشيخ الهرم، شبيه الآلهة، برياموس قائلاً:

٦٦٠

"لو أنك ترغب حقاً أن أقيم مراسم دفن لهيكتور الإلهى،
فسيتفق هذا مع رغبتى، أى أخيليوس، أنت تعرف
بأننا محاصرون فى المدينة، وأن الأخشاب على مسافة بعيدة
كى نحملها من الجبل، كما أن الطرواديين خائفون بشدة.
تسعة أيام إذن كى نكبىه فى القصر،

٦٦٥

وفى اليوم العاشر نقوم بدفنه، ثم تقام وليمة جنازية،
وفى الحادى عشر نهيل عليه قبراً من التراب،
أما فى اليوم الثانى عشر فسوف نعود للقتال، إذا دعت الضرورة".

وعندئذ خاطبه أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، قائلاً:

"لك ذلك إذن، أيها الشيخ الأشيب برياموس، وكما طلبت؛

٦٧٠

فسوف أوقف القتال طوال المدة التى تحتاجها".

وبعدما انتهى من حديثه، أمسك بمعصم يمنى

الشيخ المسن، خشية أن يكون فى قلبه بعض الخوف،

وهكذا نام كلاهما، التابع وبرياموس، فى القاعة الأمامية للخيمة،
تدور بخلدهما أفكار حكيمة.

٦٧٥

أما أخيليوس فنام فى حجرته فى عمق الخيمة المنيفة،
وبجواره ترقد بريستيس، ذات الوجنتين الجميلتين.

كان الآلهة الآخرون، وكذلك الرجال، مقاتلو العربات الحربية

ينامون طوال الليل، فقد استسلموا للذة النوم،
 فيما عدا هرميس، الإله المستعان، الذى لم يغلبه النعاس،
 ٦٨٠ فقد كان يفكر بامعان كيف يرشد الملك برياموس
 بعيداً عن السفن، دون أن يرمقه حراس البوابات العتاة.
 وعندئذ وقف فوق رأس (برياموس) وقال له:

"أيها الشيخ المسن، لا يشغل بالك أى سوء قد يصيبك وأنت
 ترقد هنا وسط الأعداء، فقد أنقذك أخيليوس.
 ٦٨٥ أما وقد افتديت الآن ولدك الحبيب بتقديم الكثير من الهدايا،
 فمن أجلك أنت سيقدم أبناؤك، الذين تركتهم خلفك،
 ثلاثة أضعاف ما قدمت فدية، إذا ما تعرف عليك أجاممنون
 بن أثريوس، أو تعرف عليك كل الآخرين".

قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأسيب، وأيقظ تابعه
 ٦٩٠ وأعد لهما هرميس الخيول والبغال،
 وقادها بنفسه مسرعاً عبر المعسكر، دون أن يفتن إليهم أحد.
 ولكن ما أن بلغوا مخاضة النهر جميل الانسياب،
 نهر كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد،
 رحل هرميس إلى قمة الأوليمبوس الشاهق؛

فى حين انتشرت إيوس ذات الرداء الزعفرانى على وجه الأرض كافة. ٦٩٥
 أما هما فساقا الخيول صوب المدينة فى نحيب وبكاء؛
 وكانت البغال تحمل الجثمان. فى البداية لم يفتن إليهم
 أى من الرجال أو النساء ذوات النطاق الجميل،
 فيما عدا كاساندرأ، شبيهة أفروديتى الذهبية.

٧٠٠ فقد صعدت إلى برجاموس، ورأت والدها الحبيب
 واقفا فى العربة، وكذلك تابعه منادى المدينة؛ كما رأت أخاها ممددا
 فوق النعش الجنائزى على العربة التى تجرها البغال، وعندئذ أطلقت

صرخة عويل حادة فبلغت صيحتها كل أرجاء المدينة، قائلة:

"هلموا، أيها الطرواديون، وأيتها الطرواديات، وشاهدوا هيكتور،

٧٠٥

واسعدوا كما لو كان عائداً من المعركة حياً،

فقد كان الفرحة الكبرى للمدينة وللناس أجمعين".

قالت ذلك، فلم يبق رجل واحد أو امرأة داخل

المدينة؛ فقد غشيهم جميعاً حزن لا يحتمل،

وتقابلوا بالقرب من البوابة مع حامل الجثمان.

٧١٠

وكانت زوجته الحبيبة وأمه الرؤوم سباقتين، وألقت كل منهما

بنفسها فوق العربة ذات العجلات الجميلة، وهى تمزق شعرها وتولول،

ويلمسان رأسه؛ والناس من حولهما يتدفقون ويبكون.

وكادوا يستمرون هكذا طوال اليوم وحتى غروب الشمس

وهم يذرفون الدمع أمام البوابة من أجل هيكتور.

٧١٥

لولا أن وجه الشيخ الهرم حديثه للناس من فوق العربة قائلاً:

"أفسحوا الطريق لى وللبالغ حتى نستطيع المرور للداخل ،

ثم بعد ذلك فلتشبعوا رغبتكم فى البكاء، بعدما أحمله إلى داخل المنزل".

قال ذلك، ففتحوا قليلاً على الجانبين مفسحين الطريق للعربة.

وحمله الآخرون إلى داخل القصر المجيد، ثم وضعوه

٧٢٠

فوق سرير مربوط بحبال، ووضعوا بجواره المنشدين

قائدى المراثيات، ليفقدوا النشيد الجنائزى وشرعوا يتغنون

بالتراثيل الجنائزية، وبدأ النساء يولولن. ومن بينهن

كانت أندروماخى، ذات الذراع الأبيض، إذ قادت الأغنية الحزينة،

ممسكة بيديها رأس هيكتور قاتل الرجال قائلة :

٧٢٥

"زوجى، رحلت عن هذه الحياة شاباً، وتركتنى

أرملة فى هذا القصر؛ وابنك مازال فى المهد صغيراً،

ذلك الذى أنجبناه، أنا وأنت، نحن التعساء، ولا أظن

- أنه سيصل إلى مرحلة الشباب. فتلك المدينة ستكون قد هلك
عن آخرها قبل ذلك الحين، إذ هلكت أنت، يا من
كنت تدافع عنها، وتحمي نساءها النبيلات وأطفالها الصغار
اللاثي سرعان ما سيُحملن في السفن المجوفة،
وأنا معهن. أما أنت، يا بُنى، فإما أنك
ستتبعنى إلى هناك، حيث تقوم بأداء الأعمال الوضيعة
تحت إمرة سيد لا يرحم؛ أو أن أحد الأخيين
سيقذف بك، قابضًا على يدك، من فوق البرج إلى حتفك المفجع،
وقد تملكه الغضب لأن هيكتر كان قد قتل له من قبل أخًا،
أو أبًا أو ابنًا. فالعديد من الأخيين قد عضوا بأسنانهم تراب
هذه الأرض الفسيحة، بعد أن قضت عليهم يدا هيكتر.
فلم يكن أبوك لين الجانب في القتال الفتاك.
ولذلك فإن الناس يبقونه في كل أرجاء المدينة.
أى هيكتر؛ لقد جعلت والديك يكون بكاءً مريراً، وينتحبون بشدة،
ولم يبق لى سوى الآلام المبرحة،
لأنك لم تمد لى يديك وأنت ممدد فوق النعش،
كما لم تقل لى أية كلمة حكيمة، أمعن التفكير فيها
ليل نهار، وأنا أذرف فيها الدمع عليك".
- قالت ذلك وهى تبكى، بينما كانت النساء الأخريات يولولن بشدة.
ومن بينهن أخذت هيكابى دورها وقادت أغنية الحزن المفجع، قائلة:
"أى هيكتر، يا أعز على قلبى من كل أولادى،
كنت فى حياتك حبيب الآلهة، وهم الآن يحيطونك بعنايتهم فى موتك.
فأخيليوس سريع القدمين من قبل باع أولادًا لى آخرين،
أسرهم فى البحر الهائج وباعهم عبيدًا،
فى جزيرة ساموس، وفى إمبروس، وأيضاً فى ليمنوس، كثيفة الضباب.
أما أنت فقد سلبك حياتك بسيفه البرونزى ذى الحد الطويل البتار،

- ٧٥٥ ثم جر جسدك لمرات عديدة حول كومة الدفن المقامة لصديقه باتروكلوس، الذى قتلته من قبل. ولكن ذلك لم يعده للحياة، والآن ترقد ممددا داخل القصر بجسدك النضر، غير المشوه، كمن قد أرداه قتيلاً أبوللون، حامل القوس الفضى، بسهامه الرقيقة".
- ٧٦٠ قالت ذلك وهى تبكى، وصرخت صرخة حزن لا ينتهى. ثم واصلت هيلينى قيادة الأغنية الحزينة حيث قالت:
- "أى هيكتور، يا أعز على قلبى من كل إخوة زوجى، حقاً، إن زوجى هو ألكسندروس، شبيه الآلهة، الذى أحضرنى إلى طروادة؛ وليتنى كنت قد فנית قبل ذلك، فقد أمضيت الآن عشرين عاماً^(*) منذ ذلك الحين الذى رحلت فيه من هناك وغادرت وطنى. ولم أسمع منك كلمة مشينة أو مهينة قط. وإذا ما لامنى شخص آخر داخل القصر، سواء كان من إخوة زوجى أو أخواته، أو من زوجات إخوته بملابسهن الجميلة، أو أمك - أما أبوك فهو مثل والدى رقيق الحال معى دائماً - فإنك بحديثك معه، وكذلك بأسلوبك الرقيق، وكلماتك العذبة تجعله يتراجع ويهدأ. ولهذا فأنا أبكيك، كما أبكى على نفسى، سيئة الحظ، بقلب حزين. فلم يعد لى بعد ذلك فى طروادة الفسيحة شخص آخر لطيف أو عزيز، لأنهم جميعاً يفرعون منى".
- ٧٧٥

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة فى أشعار هوميروس للرواية الأسطورية المدهشة وفحواها أن الإغريق بعد خطف هيلينى قاموا بحملة فاشلة حيث رست سفنهم فى ميسيا بدلاً من طروادة عن طريق الخطأ فعادوا إلى بلادهم. وبعد عشر سنوات حشدوا أساطيلهم وقاموا بالحملة التى تتحدث عنها "الإلياذة". وهذه الرواية الأسطورية الغريبة غير المعروفة ولكنها تتفق وما جاء فى "الإلياذة" الكتاب التاسع عشر ريت ٣٢٧ من أن أخيليوس كان له ابن شاب يدعى نيوبوليموس. وهذه التقاسيم الزمنية المتقابلة فى الأسطورة تفتح مجال الشك فى علاقتها بالحقائق. فالاستعداد للحرب أخذ تسع سنوات ووقع الهجوم فى العاشرة. وحصار طروادة استمر تسع سنوات وأحرقت فى العاشرة. وبعدها تاه أوديسيوس فى طريق العودة إلى وطنه إيثاكي تسع سنوات ووصل فى السنة العاشرة. (الحرر)

قالت ذلك وهى تبكى، بينما كانت جموع الناس بلا عدد تتأوه.
بعد ذلك تحدث الشيخ المسن برياموس فى الناس قائلاً:

"والآن، أيها الطرواديون، أحضروا الأخشاب إلى المدينة، ولا
تخشوا على أنفسكم من أى كمين يعده لكم الأرجيون، فأخيلوس
قد تعهد لى، عندما تركنى أعود من السفن السوداء،
بأنه لن يقدم على أى عمل سيىء قبل حلول فجر اليوم الثانى عشر".

٧٨٠

قال ذلك، فقاموا يربط الثيران والبغال معا
فى نير العربة، ثم تجمعوا بعد ذلك مسرعين أمام أبواب المدينة،
وظلوا طوال تسعة أيام يجمعون كميات ضخمة من الأخشاب،
وعندما لاح فجر اليوم العاشر، ناشرا ضيائه على كل البشر،
عندئذ حملوا جثمان هيكتور الباسل، وهم يذرفون الدمع الغزير،
ووضعوه فوق قمة المحرقة، ثم أشعلوا فيها النيران.

٧٨٥

وعندما ظهرت إلهة الفجر إيوس ذات الأصابع الوردية،
استيقظ الناس جميعا، والتفوا حول محرقة هيكتور المجيد،
وبعدما تجمعوا والتأم شملهم جميعا، أطفأوا نيران المحرقة
بالنبيذ المتقد، حتى تمت السيطرة على جذوة اللهب،
ثم بدأ أشقاؤه ورفاقه يجمعون العظام البيضاء،
وهم يبيكون حتى سال الدمع الغزير على وجناتهم (كالأنهار).
أخذوا تلك العظام ثم وضعوها فى وعاء ذهبى.

٧٩٠

وغطوه بالرداء الأرجوانى الناعم ودفنوه فى قبر مجوف، ومن فوقه
وضعوا أحجاراً كبيرة بأعداد كثيرة، ثم أقاموا كومة الدفن؛
ومن حوله انتشر الحراس يراقبون المكان من كل اتجاه،
حتى لا يغير عليهم الآخيون، لابسو الدروع المتينة قبل الآوان.

٧٩٥

وبعدما انتهوا من إقامة كومة الدفن، عادوا أدراجهم، ثم
تجمعوا فى صفوف متراسة، والتفوا جميعا حول وليمة جنازية كبيرة
فى قصر الملك برياموس، ربيب الآلهة.

٨٠٠

وكانت تلك هى مراسم دفن هيكتور، مروض الخيول.

٨٠٤





Η ΤΟΥ ΟΜΗΡΟΥ ΙΑΙΑΣ

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصراً دقيقاً أو جامعاً مانعاً ما كتب عن هذه الطبعة في الصحافة اليومية والمجلات الثقافية، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية، وذلك على امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج. ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق في الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة "الإلياذة" كانت تمثل تحدياً ثقافياً مزمناً في التراث العربي.

وإذ يعيد المركز القومي للترجمة نشر هذا السفر الأدبي النفيس، فإنه يأمل أن يلبي تطلعات المهتمين والباحثين والقراء العرب إلى مزيد من التواصل مع تراث الإبداع الإنساني الخلاق.

